

دراسات تراثية  
في البلدان والتراجم وأدب الرحلات

# دراسات تراثية في البلدان والتراجم وأدب الرحلات- الجزء الثاني

المؤلف: د. عماد عبد السلام رؤوف

حقوق الطبع والنشر محفوظة للمؤلف

الطبعة الاولى ٢٠١٩م - ١٤٤٠هـ



مكتب التفسير

للطبع والنشر

أربيل - الشارع الثلاثيني قرب المنارة المظفرية

+964 750 818 08 66

www.al-tafseer.com

tafseeroffice@yahoo.com

f t g+ y i /TafseerOffice

الفهرسة أثناء النشر - إعداد مكتب التفسير

رؤوف، عماد عبد السلام

دراسات تراثية في البلدان والتراجم وأدب الرحلات- الجزء الثاني، د. عماد عبد السلام رؤوف (المؤلف)

٧٦٤ ص.

١٧\* ٢٤ سم

١- التاريخ ٢- الرحلات. أ. العنوان. ب. السلسلة

ISBN: 978-9922-620-30-5

رقم الإيداع في المديرية العامة للمكتبات العامة - إقليم كردستان ( ٢٤٥ ) لسنة ٢٠١٩

"الآراء التي يتضمنها هذا الكتاب لا تعتبر بالضرورة عن وجهة نظر الناشر"

خط الغلاف : نوزاد كويتي

# دراسات تراثية

في البلدان والتراجم وأدب الرحلات

الجزء الثاني

د. عماد عبد السلام رؤوف



## بسم الله الرحمن الرحيم

وبعد، فهذا هو الجزء الثاني من كتابنا (دراسات تراثية)، وهو ينطوي على ثلاثة محاور، فالمحور الأول تناول جوانب متنوعة من الحياة الاجتماعية، من خلال ثماني دراسات مستقلة، اختصت الأولى بدراسة المؤلفات البغدادية التي اتخذت من الأسرة موضوعاً للبحث في التاريخ الاجتماعي، وهو منهج نادر لم نجد من اتبعه قبل بدايات القرن الثالث عشر الهجري (التاسع عشر الميلادي)، وتناولت الثانية أسرة بغدادية نجدية الأصل استقرت في بعض محلات الكرخ واشتهرت بتجارة الخيل وغيرها، معتمدة على بعض وقفيات أفرادها، فكانت هذه الأسرة أنموذجاً دلياً على نمط الحياة لغيرها من الأسر المهاجرة التي اتخذت من بغداد وطناً لها في القرن المذكور، وتطرقت الدراسة الثالثة الى نظام الأصناف في العراق في العصر العثماني، وكان هذا النظام ينتظم الفئات المنتجة في المدينة الإسلامية ويحدد مكانتها في المجتمع وبين غيرها من الفئات. وتناولت الدراسة الرابعة ضرائب صنف القصابين في العراق من خلال وثيقة خطية مهمة رفعها أحد العاملين في هذه الحرفة الى والي بغداد علي رضا باشا لإعفائه من الضرائب التي كانت تثقل كاهله، فكشفت بذلك عن أنواع هذه الضرائب وطبيعتها ومقاديرها. وإذا كانت هذه الدراسات قد تناولت جوانب من العلاقات الاجتماعية في المدينة، فإن الدراسة الخامسة اختصت بالعلاقات الزراعية في العراق إبان القرن الثاني عشر للهجرة، مستندة الى عددٍ من الوثائق الخطية التي تضمنت أنواعاً من العقود المسماة عقود المغارسة، عقدها بعض الولاة مع مزارعي منطقة الحلة في جنوب بغداد. أما الدراسات السادسة والسابعة فتناولتا واقع الخدمات العامة التي قامت بها المرأة في العراق في مدينتي بغداد والموصل، من خلال تحليل معطيات مئات من الوثائق الوقفية المحفوظة في دوائر الأوقاف، وتتنوع هذه الخدمات بين إنشاء المساجد والمدارس وخزائن الكتب والسقايات والحمامات والخانات والقناطر وغير ذلك. وتتناول آخر دراسات هذا المحور المصطلحات الحضارية التي شاعت في فلسطين في القرن 11هـ/17م من خلال مجموعة كبيرة من الفتاوى الشرعية التي

أفتى بها فقيه كبير من أهل الرملة، منتهية الى تقرير أن كتب الفقه تصلح أن اكون مصدراً مهماً لكتابة التاريخ في عصر كاتبها .

واختص المحور الثاني بالوثائق والسجلات بوصفها المادة الأولى من مواد كتابة التاريخ، وهو يستوعب ثماني دراسات، تعرض أولاها لأهم مجموعة وثائقية في بغداد، وهي سجلات المحكمة الشرعية القديمة، التي تضم في طياتها عشرات الألوف من الأحكام الشرعية في مختلف القضايا التي كانت تُعرض على قضاة بغداد المتعاقبين في القرنين الأخيرين من عصر الدولة العثمانية في العراق، وتضم الدراسة فهرسة دقيقة لهذه السجلات، مع نماذج لبعض ما تنطوي عليه من قضايا متنوعة، ويزيد من أهمية هذه الفهرسة أن عدداً كبيراً من السجلات أُلِف بعد ذلك في أثناء حوادث الفوضى التي عمّت بغداد في سنة 2003. أما الدراسات التالية من هذا المحاور فتتناول بالبحث والتحليل نماذج عدة من وثائق متنوعة كان لها الدور الأساس في الكشف عن أسرار وخفايا غير معروفة من التاريخ، في العراق ولبنان ومصر، منها وقفيات غير منشورة، ورسائل سرية، ومنشورات سياسية، وجميع تلك الوثائق عثرنا عليه في أثناء بحثنا ولم يُنشر من قبل.

وتتناول المحور الثالث قراءات في مخطوطات، أكثرها لم يُنشر بعد، وإثنتان منها نشرناهما أخيراً، وهو يستوعب عشر دراسات، الأولى لمخطوطة مهمة في المكايل والموازين والأطوال، من القرن الثامن للهجرة، تعد أول رسالة مستقلة في هذا العلم، والثانية في مخطوطة فريدة لمثقف بغدادي اختصر فيها نسخة من كتاب (كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون)، تختلف في منهجها عن النسخة المطبوعة، وهذا هو موطن أهميتها، والثالثة تضمنت محاولة مبكرة لفهرسة عشر خزائن للكتب في بغداد، قام بها عالم معروف هو نعمان خير الدين الألوسي في أواخر العهد العثماني في العراق، والرابعة لمخطوطة فريدة في تعليم صنف (البلطجية)، وهو واحد من الصنوف العسكرية المهمة في جيوش العصر العثماني، لكن إسمه اتخذ معنى مختلفاً اليوم، والخامسة بعنوان (ذيل على تاريخ مصر لمرتضى بك الكردي الدمشقي)، وهو مؤرخ غَفَلَ عن ذكره المؤرخون، مع أنه أرخ لحقبة حافلة من تاريخ مصر في القرن الثاني عشر، وقد عُنيَت هذه الدراسة بإلقاء الضوء على سيرته، ومنهجه، وأهمية تاريخه من النواحي السياسية والاجتماعية والإقتصادية وغيرها، والسادسة لمخطوطة تضمنت

وقائع رحلة قام بها صاحبها من بغداد إلى استانبول، في أواخر القرن الثالث عشر للهجرة، وكشف فيها عن التغييرات التي طرأت على طرق المواصلات بين هاتين المدينتين في ذلك العهد، أما الدراسة السابعة فتضمنت قراءة في مخطوطة فريدة بعنوان (ورود حديقة الوزراء) لعالم بغدادي لم يُعرف مؤرخاً من قبل، هو محمد سعيد السويدي، من الأسرة السُويدية التي أنجبت العدد الجَم من المؤرخين والمؤلفين، وتكمن أهمية النص في أنه يعتمد على شهادة عيان مؤلفه عن تاريخ بغداد في أواخر القرن الثاني عشر الهجري (الثامن عشر للميلاد)، ويكشف عن خفايا جانب من عصر الماليك لا سيما في عهد أولهم سليمان باشا المعروف بأبي ليلة. أما الدراسة الثامنة فهي لمخطوطة بخط مؤلفها تبحث في تاريخ بغداد في القرنين الثاني عشر والثالث عشر (الثامن عشر والتاسع عشر للميلاد) من خلال الترجمة لعدد من أعلامها عهد ذاك من الولاة والعلماء وزعماء القبائل وحتى الموسيقيين. وأما الدراسة التاسعة فتختص بمخطوطة (نزهة المشتاق في علماء العراق) وهو نص جديد في تراجم أعلام العراق من العلماء والأدباء والشعراء في القرن الثاني عشر الهجري، لم ينشر من قبل. بينما تناولت الدراسة الأخيرة مخطوطة فريدة بخط مؤلفها عثرنا عليها في إحدى الخزائن الخاصة، وهي تتناول ظاهرة الغلاء التي أصابت الموصل سنة 1878، وتمثل هذه المخطوطة أول نص في التاريخ الإقتصادي كتبه مؤرخ عراقي في العصر العثماني كله.

وينطوي المحور الأخير من هذا الجزء، على دراستين في مجال التصوف، الأولى تسعى إلى تقديم تفسير سياسي للظاهرة الصوفية من خلال تتبع مسار كل من الواقع السياسي والفكر الصوفي في العصور الإسلامية، والأخرى تناولت سيرة متصوف بارز، هو عبد الكريم الجيلي، حياته، ورحلاته، ومؤلفاته، مع معجم بمصطلحاته الصوفية.

ولابد من القول أخيراً أن هذه الدراسات تمثل مختارات مما كتبناه فحسب، وثمة غيرها تركناه جمعه إلى مناسبة أخرى إن شاء الله، وهو- تعالى- من وراء القصد.

عماد عبد السلام رؤوف

11 تشرين الثاني 2016



## دراسات اجتماعية



## بيوتات بغداد في دراسات المؤرخين المحدثين

يُولي مؤرّخ المدينة المعاصر - وهو المعني بدراسة تطور العلاقات الاجتماعية لمدينة ما، وما يرتبط بها من ظواهر اقتصادية وثقافية معقّدة - عنايةً خاصّةً بتاريخ الأسر التي سكّنت تلك المدينة، بوصفه يكشف عن جملة من الظواهر؛ منها: أن معرفة الأصول القومية التي انحدرت منها تلك الأسر يكشف عن التركيب القومي لمجتمع تلك المدينة، ويوضّح نسب ذلك التركيب إلى حدّ ما.

كما إن معرفة الانتماءات القبليّة للأسر يُبين نوع المجتمعات البشرية التي يتألّف منها مجتمع المدينة، وبذا يُمكن للمؤرّخ - أو حتى عالم الاجتماع - تفسير كثير من الظواهر التي يتّصف بها ذلك المجتمع، وطبيعة ردود أفعاله إزاء التحديات الحضارية المختلفة.

إن معرفة المدن والمناطق التي انحدرت منها تلك الأسر، يُلقي الضوء على طبيعة المؤثرات الحضارية التي تؤثر في مجتمع المدينة المذكور، وتوضّح - إلى حدّ كبير - أصول تلك المؤثرات، بتحديد الأماكن التي انطلقت منها.

ومن شأن تحديد تاريخ هجرات الأسر إلى المدينة أن يُبين الحقب التي شهدت زيادةً في الهجرة إلى تلك المدينة، من التي لم تشهد مثل تلك الزيادة، وإذا ما لوحظ أثر العوامل السابقة؛ من معرفة الأصول القومية، والقبليّة، والمكانية؛ يكون ميسوراً معرفة الطريقة التي تكوّن على وفقها مجتمع المدينة المذكورة.

ومن ناحية أخرى فإن معرفة المهّن والحرف التي اشتهرت بها الأسر - سواء أكانت دينيّة أم علمية أم إدارية أم غيرها - توضّح طبيعة النشاط الاقتصادي، ومعايير الوجهة الاجتماعية في عصر ما.

كما إن تحديد الأماكن التي سكّنتها الأسر في المدينة، من شأنه أن يرسم خارطة توضّح توزيع الفئات الاجتماعية المختلفة في محلات المدينة، وتبيّن الأسباب التي دعت كل فئة إلى اختيار محلة معيّنة مُستقرّاً لها.

ثم إن دراسة الأعلام الذين خرّجتهم كل أسرة، والمجالات التي نبغوا فيها، يُساعد على فهم ظاهرة توارث الخصائص الثقافية والمهنيّة لأبناء المدينة الواحدة، وهو ما يُمَنح المدينة ملامحها الخاصة بين المدن.

ولنا أن نلاحظ أن التاريخ للأسرة لم يكن أحدَ الضروب البارزة لكتابة التاريخ في العصور الإسلامية، فلم نقرأ أن مؤلفاً رتبَ أعلامه على وفق أسرهم، وإنما جرت العادة على ترتيبهم وفقاً لمدارسهم الفكرية، أو لمجالات تخصصهم، أو على وفق السياق الزمني لوفياتهم، أو -

في الأقل - بحسب حروف المعجم، والمجال الوحيد الذي ذكرت فيه أسماء الأسر هو كتب الأنساب، فحينما يُشير مؤلفٌ معنيٌ بالنسب إلى عدد من الرجال الذين ينتظمهم خطأ نسب معين؛ يذكر أحياناً الاسم المشترك، الذي عرفوا به في عهده؛ كأن يقول: (وهم المعروفون بآل كذا)، وإن أشار إلى أبيهم قال: (وهو الذي يُعرف ولده ببني كذا)، وقد يكتفي مؤلفو كتب المُشجرات النُسبية - (وهي التي تصل بين الآباء والأبناء بخطوط) - بوضع لقب الأسرة فوق أسماء الرجال الذين يجمعهم عمود نسب واحد، في حقبة محدّدة<sup>(1)</sup>.

وفي تقديرنا، فإن اتخاذ (الأسرة) بوصفها الوحدة الاجتماعية الصغرى، موضوعاً للكتابة التاريخية، أو أساساً لترجمة الأعلام؛ قد لا يرقى ظهوره في أقطارنا العربية إلى أبعد من القرن الثاني عشر للهجرة - (الثامن عشر للميلاد) - وهو قد اتخذ شكل مؤلفات مُستقلة يؤرخ كل منها لأسرة معينة، أو أنه اتخذ من جمع تراجم أسر عديدة موضوعاً لكتاب.

وعلى الرغم من ازدهار كتابة التاريخ في بغداد في القرن الثاني عشر للهجرة؛ فإن أحداً من المؤرخين لم يدوّن لنا قائمةً بأسماء الأسر البغدادية التي عاصرها، فضلاً عن أن يتحدث عن تاريخها، وهكذا بتنا لا نعلم من سكن في هذه المدينة إبّان القرون المتأخرة؟ وما هي أصول أولئك الذين سكنوها؟ وما طبيعة نشاطاتهم الاقتصادية، واتجاهاتهم الفكرية.. إلخ؟

وأول قائمة بأسماء تلك الأسر وردتْنا صدفة! أي إنها لم تكن نتيجةً لعمل مؤرخ ما، وإنما جاءت عرضاً في ثنايا قصيدة بائية طويلة من بحر البسيط، لشاعر بغدادي، هو السيد محمد جواد السياهبوش (توفي سنة 1247هـ/1831م)

---

(1) وفي وسعنا أن نعد كتاب (الأصيلي) لابن طباطبا الطقطقي (المتوفى بعد سنة 701هـ/1301م)؛ (مخطوطة مصورة لدى الدكتور حسين علي محفوظ)، نموذجاً بيناً لهذا النوع من الكتب.

هجا فيها - دونما إقذاع غالباً - عدداً كبيراً من بيوتات بغداد، لأسبابٍ تتعلّق بموقّف هذه الأسرة أو تلك منه، فسجّل - بهجوه أو مدحه - وجودها في عهد نظم قصيدته (سنة 1239هـ / 1823م)، ومن نافلة القول: إن القصيدة لا تقدّم معلومات عن هذه الأسر غير أسمائها، ومع ذلك فإن أهميتها تتمثّل في انفرادها بذكر تلك الأسماء، التي ما كنا لنعرّف أكثرها لولا أن وردت في القصيدة المذكورة.

يبلغ عدد أبيات القصيدة 93 بيتاً، ومطلعها: <sup>(1)</sup>

لَا تَبْتَغِيْ غَيْرَ فَضْلِ اللَّهِ فِي الطَّلَبِ وَمَنْ يُؤْمَلْ عَطَاءَ اللَّهِ لَمْ يَخِبْ

ويبلغ عدد الأسر التي أُشير إليها في ثانيا القصيدة إحدى وأربعين أسرة، رُتبت على غير سياق محدّد؛ وهي:

1- آل مخلف.

2- آل الشالجي.

3- آل المراياتي.

4- آل كُبة.

5- آل عيشة.

6- آل المزارقجي.

7- آل الباجه جي.

8- آل زهرة.

9- آل دلة.

10- آل المَعْلَجي.

11- آل الدامر جي.

(1) توجد نسخة خطية من هذه القصيدة في دار المخطوطات العراقية ببغداد، وفي خزائن كتب خاصة نُسخ أخرى، وانظر عن ناظمها عباس العزاوي: تاريخ الأدب العربي في العراق ج2 ص132، وقد حقّق السيد زين أحمد عبدالله النقشبدي هذه القصيدة من نسخ عدة، وعلق عليها ونشرها في كتاب بعنوان (الأسر البغدادية في القرن التاسع عشر الميلادي من خلال القصيدة البغدادية)، بغداد 2014.

- 12- آل الطاطاني.
- 13- العَطَّطِيُّونَ (آل عطا).
- 14- آل القيمجي.
- 15- آل وَثَّة.
- 16- آل الدَّرْقَزَلِي (الدَّرْكَزَلِي).
- 17- آل عَرْمُوش.
- 18- بيت الفارسيَّة (بيت كاتب الفارسية، أو بيت الفارسي).
- 19- آل سلطان حَمُود (سلطان حمودة).
- 20- العَوْدَدِيُّونَ (آل العَوَّادي).
- 21- بنو الرَّهْبِي (آل الرحبي).
- 22- الجلجيون (آل الجلجي).
- 23- المكاريون.
- 24- آل حَرَبَاء (آل الحَرَبَاوي).
- 25- آل الجَرَجَفِي (آل الجرجفجي).
- 26- آل القَشْطَينِي.
- 27- الرَّفْرِفِيُّونَ (آل رَفَّة).
- 28- آل الأورفلي.
- 29- آل قهرية.
- 30- آل مصبغة.
- 31- آل سَنَد.
- 32- آل كافل الحسين.
- 33- بنو البيري.
- 34- آل طليقاني (آل الطالقاني).
- 35- آل بني عيسى (آل السيد عيسى).

36- آل زركوشة (آل الزركشي).

37- النيل فروشي.

38- أزارقة.

39- مليّة (آل الملي).

40- عمشة<sup>(3)</sup>.

بيد أن أول نص تاريخي يتناول بالبحث بيوتات بغداد المعروفة، هو الكتاب الذي عنوانه (تاريخ بيوتات بغداد في القرن الثالث عشر للهجرة)؛ لمؤلفه الشيخ عبدالرحمن حلمي بن محمد عبدالمحسن العباسي السهروردي (المتوفى سنة 1287هـ/ 1870م)، فقد تحدّث هذا المؤرّخ عن ست وستين أسرة بغدادية، تُعد - فيما يظهر - من أبرز أسر المدينة وأكثرها شهرة، وهي:

1- بيت أحمد شكري.

2- بيت السيد فتاح.

3- بيت رقة.

4- بيت الملا إسماعيل.

5- بيت الدباغ.

6- بيت الملا سليمان الجوره بجي.

7- بيت أوده باشي.

8- بيت السيد حسين رقة.

9- بيت معروف.

10- بيت مصطفى أغا.

11- بيت فتحي الموصللي.

12- بيت علاوي.

13- بيت فشتي.

14- بيت مصطفى.

15- بيت شيخ عمر.

- 16- بيت إبراهيم نديم.
- 17- بيت السويدي.
- 18- بيت العشاري.
- 19- بيت الأعظمي.
- 20- بيت مهدي جلبي.
- 21- بيت عبدالرحمن الأعظمي.
- 22- بيت اليمنجي.
- 13- بيت عبدالرزاق الشихلي.
- 24- بيت الشوشة جي.
- 25- بيت أمين.
- 26- بيت محمد رفيع.
- 27- بيت الرؤاف.
- 28- بيت تاتار اغاسي.
- 29- بيت الخاصكي.
- 30- بيت نائب بغداد.
- 31- بيت بكتاش.
- 32- بيت وهب أغا.
- 33- بيت عبود.
- 34- بيت البرزنجي.
- 35- بيت ينكجري أفنديسي (وهم آل الرهاوي، أو آل الأورفلي).
- 36- بيت النقيب.
- 37- بيت الحاج طه.
- 38- بيت العشاري (أشار إلى بعض رجالاته في موضوع سابق).
- 39- بيت الراوي.

- 40- بيت عبدالكريم أفندي.
- 41- بيت القيّار.
- 42- بيت الفنّهرة.
- 43- بيت مصطفى الخليل.
- 44- بيت الحاج صالح.
- 45- بيت يوسف بك.
- 46- بيت عزير أغا.
- 47- بيت الحاج حبيب.
- 48- بيت رضوان أغا.
- 49- بيت نائب زاده.
- 50- بيت السؤيدي (أشار إلى بعض رجالاته في موضوع سابق).
- 51- بيت محمود بن زكريا النقيب.
- 52- بيت محمد سعيد المفتي.
- 53- بيت يحيى المزوري.
- 54- بيت مرزا أغا.
- 55- بيت أغا زاده.
- 56- بيت الجاويش.
- 57- بيت خليل أفندي (الدفتري).
- 58- بيت بكتاش.
- 59- بيت الدوري.
- 60- بيت متولي الدور (وهم آل السهروردي).
- 61- بيت محمد سعيد نقيب بغداد.
- 62- بيت الحاج رسول أفندي.
- 63- بيت الدرّكزلي.

64- بيت الحيدري.

65- بيت الشاوي.

66- بيت صَمَنَاجِي زاده.

67- بيت المفتي.

وموطنُ أهمية كلامه عن هذه الأسر، أنه ضمَّته معلومات ذات فائدة حقيقية في دراسة منشئها، والمدن التي انحدرت منها، فقال في كلامه على بيت السيد فتاح: إن رجاله من بلدة الموصل، ووطنوا بغداد سنة 1236هـ، ووصف بيت الدباغ بأن أصلهم من الموصل سكَّنوا بغداد سنة 123هـ، ووصف بيت الجوره بجي بالموصلي، فعرفنا بأصلهم، ومثله ما ذكره عن بيت فتحي الموصلي وبيت علاوي؛ إذ قال عنه: من البيوت الموصلية، وقوله عن بيت البرزنجي: إنهم من أهل بَرَزَنجة، وعن بيت السويدي: إنهم من أهل قرية الدور العليا، وعن بيت الرواف: إنهم من أهل نجد، وعن بيت عبود: إنهم من أهل الموصل جاؤوا إلى بغداد.

ومثل هذه المعلومات تُفيدنا في تحديد تواريخ هجرة الأسر إلى بغداد، فضلاً عن مناطق هجرتها، مما يفتح مجالات جديدة للبحث في تاريخ الهجرات الاجتماعية، وآثارها الاقتصادية والسياسية إبان ذلك العصر.

ويُزيد من أهمية هذه القائمة، أنه أشار في مواضع عديدة إلى المهن التي اشتهرت بها تلك الأسر، وصلة ذلك بالعوامل التي أدت إلى هجرتها إلى بغداد، ومن تحليلنا للمعلومات التي أوردها عن الخلفيات الاقتصادية لتلك الأسر؛ توصلنا إلى أنه ذكر<sup>(1)</sup>:

• 28 أسرة من العلماء.

• 13 أسرة من الموظفين، وأرباب المناصب العسكرية (أغوات).

• 13 من التجَّار وأهل الحِرَف.

• 4 أُسر من الوجهاء.

• 8 أُسر لم تحدِّد مهنتها.

---

(1) نسخة بخط مؤلفها لم يختر لها عنواناً، وهي في مكتبتنا، وقد حقَّقناها وعلَّقنا عليها ونشرناها (بغداد 1996).

ومنهج عبدالرحمن حلمي في عرضه للأسر البغدادية في منتصف القرن الثالث عشر للهجرة (18م)؛ يتحدث في جملة من الأمور؛ أهمها: إشارته إلى موطن الأسرة الأولى ومهنتها - على ما ذكرنا - والتتويه بأبرز رجالاتها، مع التطرق إلى ما حازته تلك الأسر من سمعة طيبة ومجد، ويُشير - في بعض الأحيان - إلى صلة رجال الأسرة بالسلطة، وإلى طبيعة ارتباطها بأسرته، من علاقات ووشائج مختلفة.

وقبل أن يتوفى عبدالرحمن حلمي بسنة واحدة، وضع عالم بغداد ذي ذائع الصيت - هو إبراهيم فصيح بن صبغة الله الحيدري، (توفي سنة 1300هـ/ 1882م) - كتاباً مهماً في تاريخ بغداد والبصرة ونجد، بعنوان (عنوان المجد في بيان أحوال بغداد والبصرة ونجد)، ضمَّنه فصلاً كبيراً في (بيان البيوت الطيبة من ذوي العلم، والسيف، والقلم، والتجارة، في بغداد في عصرنا هذا)<sup>(1)</sup>.

وتحدث في هذا الفصل على ست وتسعين أسرة؛ هي:

- 1- بيت الحيدري.
- 2- بيت القادرية.
- 3- بيت الشاوي.
- 4- بيت عبدالله بك الربيعي.
- 5- بيت كُوسه دَفْتَردار.
- 6- بيت العَلَقَبَند.
- 7- بيت سُمَيْكه.
- 8- بيت الحاج إسماعيل المفتي.
- 9- بيت أحمد الطَّبَقْجَلِي.
- 10- بيت محمد سعيد المفتي.
- 11- بيت عبدالله بن مرتضى المفتي.

---

(1) طبع ببغداد دونما تحقيق سنة 1961.

- 12- بيت الرّحبي.
- 13- بيت الخطيب.
- 14- بيت جميل.
- 15- بيت ياسين المفتي.
- 16- بيت رَفَّه.
- 17- بيت السويدي.
- 18- بيت الراوي.
- 19- بيت الشوّاف.
- 20- بيت بكتاش أفندي.
- 21- بيت مدّج.
- 22- بيت شطّبي.
- 23- بيت أحمد النائب.
- 24- بيت عبدالرحمن الروزيهاني.
- 25- بيت الحاج أسعد أفندي.
- 26- بيت فَرهاد.
- 27- بيت عبدالباقي العمري.
- 28- بيت عبدالرحمن أفندي الأعظمي.
- 29- بيت الإمام عبدالله.
- 30- بيت جرجيس.
- 31- بيت الألوسي.
- 32- بيت السيد عبدالغفور المشاهدي.
- 33- بيت سيد محمود الأورقلي.
- 34- بيت إسماعيل كَهْيَه.
- 35- بيت محمود كَهْيَه.

- 36- بيت خليل أفندي الدفتری.
- 37- بيت علوش أفندي.
- 38- بيت علوش.
- 39- بيت درویش آغا القائم مقام.
- 40- بيت نعمان أفندي القائم مقام.
- 41- بيت بکر کهیه.
- 42- بيت أحمد أفندي الزندي.
- 43- بيت الزهاوي.
- 44- بيت صالح آغا رئیس الكتاب.
- 45- بيت عبدالجليل بك.
- 46- بيت عبدالرحمن الأورفلي.
- 47- بيت صاري کهیه.
- 48- بيت حسن بك.
- 49- بيت الجرجفجي.
- 50- بيت طويق.
- 51- بيت نظمي زاده.
- 52- بيت الروزنامجي.
- 53- بيت أحمد أفندي المصرف.
- 54- بيت السيد رحمة الله الجيبه جي.
- 55- بيت عمر آغا الجيبه جي.
- 56- بيت الغرابي.
- 57- بيت القشطيني.
- 58- بيت مينه.
- 59- بيت عرموش.

- 60- بيت وزنكر.
- 61- بيت الباجه جي.
- 62- بيت الملا عبدالرزاق.
- 63- بيت دَلَّه.
- 64- بيت الحاج سعيد البَقَّال.
- 65- بيت الأدهم.
- 66- بيت سَنَد.
- 67- بيت الوتري.
- 68- بيت الإمام.
- 69- بيت عطا.
- 70- بيت هاشم.
- 71- بيت المَزْرَقْجِي.
- 72- بيت كُبَّه.
- 73- بيت سيد عيسى.
- 74- بيت شالجي موسى.
- 75- بيت القِيمَقْجِي.
- 76- بيت المراياتي.
- 77- بيت الخاصكِي.
- 78- بيت الأعرجي.
- 79- بيت جلال.
- 80- بيت المَعْمَلْجِي.
- 81- بيت سيد يحيى.
- 82- بيت القصَّابْجِي.
- 83- بيت هلال.

84- بيت الدامرِجي.

85- بيت كُزِرْخان.

86- بيت يوسف جَبرة.

87- بيت جبرة أصفر.

88- بيت إلياس عيسى.

89- بيت عزره صرّاف باشي.

90- بيت سُومِيخ.

91- بيت ساسون.

92- بيت أبي قبلاغ.

93- بيت بحر.

94- بيت كُرجي.

95- بيت الطالقاني.

96- بيت التّوكمه جي.

فهذه القائمة - كما ترى - أوسعُ مما أورده عبدالرحمن حلمي، وأكثر شمولاً، كما أنها ضُمَّتْ لأول مرة أسراً نصرانية وأخرى يهودية، ولم يجمع بينهما إلا العيش المشترك والمواطنة في هذه المدينة.

وفضلاً عن ذلك، فإن ما كتبه الحيدري يمثل تطوراً محسوساً في منهج دراسة الأسر، فهو - على خلاف سابقه - أكثر اهتماماً بالأنساب التي تنتمي إليها الأسر؛ فبيت الحيدري - وهم أسرة المؤلّف - ينتمون إلى الإمام موسى الكاظم، بواسطة الشريف أحمد الأعرابي، وبيت الشاوي ينتسبون إلى شاوي بك، من آل شاهر شيوخ قبيلة العُبيد، وبيت فَرهاد من أولاد أبي بكر الصديق، ومثلهم بيت الخاصكي، وبيت علّوش من عشيرة القراغول وغير ذلك.

وهو - من ناحية أخرى - يُبدي اهتماماً بالغاً بذكر المدن التي تتحدر منها تلك الأسر، فبيت كوسه دفتر دار من أهالي إسلامبول، وبيت الحاج إسماعيل المفتي من أهالي «سُرّ مَنْ رَأَى»، ومثلهم آل خطيب الإمام الأعظم، وبيت الطبّجلي

من أهالي حديثة من نواحي عنة، وبيت عبدالله بن مرتضى من أهالي بُهْرُز من قرى بغداد، وآل الرحبي من أهالي الرحبة، وهي رحبة الشام، وبيت الراوي من أهالي راوه من نواحي عنة (عانه)، وبيت الشواف من أهالي الدير، وبيت فرهاد أصلهم من كركوك، والأصل الأول من عبدلان في نواحي الأكراد، وبيت عبد الباقي العمري من الموصل، وبيت جرجيس من أهالي عانه، وبيت الألوسي هم في الأصل من أُلوس قرب عانه، وبيت الباجه جي في الأصل من أكابر الموصل وغير ذلك.

كما أننا نجده شديد العناية بتحديد المهن والوظائف التي اشتهرت بها أكثر الأسر التي تحدث عنها، فبيت سميكة مثلاً بيت علم وتقوى، وصلاح وخيرات، وتجارة، وبيت الحاج إسماعيل المفتي بيت علم، وبيت الطبقجلي بيت علم وسيادة، ومثله بيت محمد سعيد المفتي، وبيت عبدالله بن مرتضى المفتي، وبيت ياسين المفتي، وغيرهم.

ومن ذلك قوله عن بيت الراوي: إنهم بيت فضل وعلم وتجارة، وعن بيت فرهاد: إنه بيت تجارة وخيرات وميراث، وعن بيت عرموش: هو بيت عز وتجارة، ومثل ذلك قوله عن بيت كُبة: هو بيت عظيم في التجارة، وعن بيت سيد عيسى: هو بيت تجارة وافية، وغير ذلك كثير.

ويحرص الحيدري على التنويه ببعض أعلام الأسر التي يتحدث عنها، متطرقاً الى سبب شهرتهم، ووظائفهم، كما نجده يتطرق إلى وصف ما آل إليه أمر هذه الأسر في عهده، فبيت الربيعي مثلاً بقي منهم بعض النجباء، وبيت العلقبند لم يبقَ منهم إلا رجل صالح من طلبة العلم، وبيت الحاج إسماعيل المفتي لم يبقَ منهم الآن أحد، وصارت ديارهم بلاقع، وبيت محمد سعيد المفتي بقي منهم بعض الطلبة، وبيت الحاج بن مرتضى المفتي لم يبقَ منهم أحد سوى بعض العُصبة من أهل الكسب، وبيت الرحبي لم يبقَ منهم إلا بعض العامة، وبيت رفّه بقي منهم بعض التجار، وبيت مدلج لم يبقَ منهم إلا بعض ذوي الأرحام، وغير ذلك مما نحسبه قد انفرد بذكره عما سواه من المؤرخين.

وبعد انتهاء الحرب العالمية الأولى، أُلّف العلامة محمد سعيد الراوي (ت 1936م) كتابه الضخم المسمّى (تاريخ الأسر العلمية في بغداد)<sup>(1)</sup>، على وفق منهج

---

(1) نسخة مخطوطة بخط مؤلفها، مصوّرة لدينا، وقد حقّقناها وعلّقنا عليها ونشرناها (طادار الشؤون الثقافية العامة ببغداد، 1997، وط2 الدار نفسها 2007).

جديد اختاره، زواج فيه بين الحديث عن الأسرة، والترجمة لعلمائها؛ فاختار أن يؤرِّخ للأسر العلمية الرئيسية في بغداد، خلال الترجمة للنابھين من أبنائها، وبهذا لم يُعَنَّ بالأسر التي لم يشتهر أبنائها بعلم أو أدب، وإن عُرِفَت بالتجارة والوجاهة مثلاً، بل إننا نجد غفل - عامداً - عن الترجمة لبعض البارزين من تلك الأسر، لا سيما المعاصرين له، فيمرُّ بهم بسرعة دونما تفصيل، لا لأمر سوى لعدم اشتھارهم - كأسلافهم - بشيء من علم وأدب.

ولم يقف في بحثه عند نطاق زمني محدّد، كأن يُترجم لأبناء القرن الذي عاش فيه، أو القرن السابق عليه، وإنما تتبَّع جذور تلك الأسر - موضوع بحثه - فترجم لأسلافها الأوائل، ومنهم من عاش في القرنين العاشر والحادي عشر للهجرة، وحدّد بذلك الصلات النَسَبية التي ربطت بينهم، وطبيعة الاهتمامات العلمية والأدبية التي ورثوها لأبنائهم، ومع ذلك فإنه لم يَشَأْ أن يجعل من (الأسرة) وحدة موضوعية يؤرِّخ لها بمَعزِل عن الترجمة لأبنائها؛ ولهذا فإن تراجمه - وإن توزَّعت على أسر محددة - لكنها ظلت - إلا في حالات معينة - خُلُوًّا من مقدّمات تاريخية تبحث في تلك الأسر نفسها، بينما توزَّعت تلك المقدّمات في ثنايا تراجم بعض البارزين من أبنائها، فكتب عن نسب أسرته - آل الراوي - ووضح صلاتها بالأسر الأخرى، في خلال ترجمته لأول من اختاره للترجمة من رجالها، وهو السيد حسين أفندي الراوي (المتوفى سنة 1165هـ/1751م)، وكتب عن نسب السادة الحيدرية، وقدومهم إلى العراق، والمواطن التي استقرُّوا فيها، ضمن ترجمة لأول من قدّم من رجالهم إلى العراق، وهو السيد صبغة الله الحيدري (المتوفى سنة 1187هـ/ 1773م)، ولكن ذلك لم يَمْنَعه من أن يعود - بعد أن فرغ من الترجمة لأبنائه وأحفاده - لترجمة العلماء من أسلاف صبغة الله المذكورة، حتى انتهى إلى أول من وقَّد من ما وراء النهر - حيث موطن الأسرة الأول - إلى العراق، ونظير هذا ما فعله في تاريخ أسرة السويديين، حين تناول شيئاً من التاريخ في ترجمة للشيخ عبد الله السويدي، وهو أول من اشتهر بالعلم من رجالها، وعُرف بهذا اللقب، وإن سبقه في الإقامة ببغداد جيلان قبله.

وما دونّه من نسب الألوسيين ومواطنهم الأولى في ترجمة السيد أبي الثناء محمود الألوسي (المتوفى سنة 1270هـ/1855م)، وهو أول من نال الشهرة العريضة من رجالاتهم، وإن لم يكن أولهم إقامة في بغداد.

ويمكننا أن نتتبع هذا المنهج في كلامه على آل جميل، وآل الشواف، وآل الطبّجلي، فقد تكلم على هذه الأسر في أثناء ترجمته للبارزين الأوائل من رجالاتها، لكننا نلّمح أن المؤلف طوّر منهجه في القسم الأخير من كتابه، فكتب مقدّمات مهمّة مستقلة في تاريخ بعض الأسر موضوع البحث.

ومن الواضح أنه ما فعل ذلك إلا لإحساسه بضرورة تقديم فذلّكة، وتقديم عام للأسر المذكورة، وهو ما تجلّى في بحثه عن النقباء من الأسرة الكيلانية، فقد تتبّع فيه جذور مؤسسة نقابة الأشراف في بغداد منذ أن تولّاها أحفاد السيد الشيخ عبدالقادر الكيلاني في القرن العاشر للهجرة (السادس عشر للميلاد)، ومثل هذا ما فعله بصدد آل الشاوي أيضاً، فإنه قدّم لتراجم رجالاتهم بمقدمة مستقلة، تكلم فيها عن نسبهم ومنزلتهم العامة بين القبائل، وما عرّفوا به من الشجاعة والبأس.

والمؤلف - بعد هذا - شديد الاهتمام بتوضيح ما يصل بين مترجميه من دواعي القرابة والمصاهرة، وهو ما يتجلّى بوضعه مشجرتي نسب لأسرتين ترجم لأبنائهما؛ هما: آل الراوي من السّواهيك، وآل الشاوي من حمير، وتشبيته العديد من المعلومات النسبية بشأن الأسر الأخرى، بما يمكن أن يكون سبباً في وضع (شجرات نسب) لها، تفيد في تقويم صلاتها الاجتماعية.

وفي الوقت نفسه تقريباً ألف باحث شاب - سيكون له شأن فيما بعد - هو الشيخ محمد بهجة الأثري، (المتوفى سنة 1996م) كتاباً مستقلاً في تاريخ أسرة علمية واحدة، هي الأسرة الألوسية، التي برزت في بغداد في مفتتح القرن الثاني عشر للهجرة (الثامن عشر للميلاد)، فتكلم عن نسبها، وترجم لأعلامها، ولا سيما منهم: السيد محمود شكري الألوسي، الذي تلمذ المؤلف على يديه، ويظهر أن الأثري أراد بهذا الكتاب أن يكون جزءاً من موسوعة كبيرة، تضم تراجم عدد كبير من أعلام العراق، عنوانها «أشهر مشاهير العراق في العلم والأدب، والسياسة والرئاسة، والظرف والفنون الجميلة، منذ القرن الثالث عشر (التاسع عشر للميلاد)»<sup>(1)</sup>.

وعلى الرغم من أن منهج الكتاب يلتزم قواعد الترجمة للأعلام - كما توضّحت في تراجم الألوسيين - فإن نظرة لبّت محتوياته المقترحة، تُظهر أنه

(1) أعلام العراق بغداد 1341هـ.

احتوى تاريخاً لأسر بغدادية بذاتها؛ منهم: آل السويدي، وآل الحيدري، وآل الرحيبي، وآل الخضير وغيرهم.

ومن المؤسف أن هذه الموسوعة النافعة لم يُكتب لها الظهور، باستثناء ما اختص منها بالألوسيين على ما أشرنا إليه.

ويأتي كتاب إبراهيم بن عبدالغني الدروبي البغدادي (ت 1959م)، الذي سمّاه (البغداديون أخبارهم ومجالسهم)<sup>(1)</sup>؛ ليقدم آخر صورة لأسر بغداد بتاريخها، وصلاتها، ومجالسها، وأعلامها قبل أن تعصف بها رياح التغيير الاجتماعي بعيد قيام ثورة تموز 1958م<sup>(2)</sup>. وبالرغم من عنوان الكتاب غير المُفصّل عن مضمونه تماماً، فإنه غطّى تاريخ أسر بغداد إبّان النصف الأول من القرن العشرين، مع مقدّمات ضرورية عن تاريخها قبل ذلك، وأكثر تلك الأسر ممن وُفِدَ إلى بغداد واستقرّ فيها، خلال القرنين الأخيرين.

ومثلما فعل الحيدري من قبل، تناول الدروبي في كتابه الحديث عن أسر بغداد الإسلامية والنصرانية واليهودية على حدّ سواء، فبلغ عدد هذه الأسر 223 أسرة؛ منها أسر نصرانية، وأخرى يهودية؛ وذلك على النحو الآتي:

#### أسر مسلمة:

تناول 202 أسرة تنتمي إلى أصول قومية مختلفة، أكثرها من العرب، وبعضها من الترك والكرد والمماليك، وهم الذين انحدروا من أصول كُرجية في النصف الأول من القرن الثاني عشر للهجرة (18م) وغيرهم، وقد سكن معظم هذه الأسر في الجانب الشرقي، ومنهم من سكن الجانب الغربي، وعرف بعض هذه الأسر باسم (بيت) وبعض آخر (آل)، بينما ترجم لقسم آخر باسم أعلام الأسرة البارزين؛ وهم:

- 1- السيد علي الكيلاني نقيب الأشراف، 2- السيد سلمان الكيلاني، 3- السيد عبدالرحمن الكيلاني، 4- السيد محمود حسام الدين الكيلاني، 5- السيد داود ضياء الدين الكيلاني، 6- السيد حسن سالم الكيلاني، 7- السيد عبدالله الكيلاني وأحمد الكيلاني، 8- السيد إبراهيم سيف الدين الكيلاني، 9- السيد موسى شرف الدين الكيلاني، 10- السيد محيي الدين الكيلاني، 11-

(1) طبع ببغداد سنة 1958.

(2) فرغ من تأليفه في رمضان 1377هـ/ آذار (مارس) 1958م.

السيد عبدالقادر الكيلاني، 12 - السيد أحمد السيد ياسين الكيلاني، 13 -  
 السيد محمد حامد الكيلاني، 14 - السيد حسين ناصر الدين الكيلاني، 15 - آل  
 الواعظ 16 - آل السويدي، 17 - أبو الثناء محمود الأوسى، 18 - آل الجميل، 19  
 - آل الشاوي، 20 - آل الطبّجلى، 21 - آل الحيدري، 22 - الشيخ عبدالرحمن  
 الروزيهاني، 23 - الشيخ طه الشواف، 24 - عبدالملك الشواف، 25 - قاسم  
 البياتي، 26 - عبدالرحمن الأدهمي، 27 - عبدالباقى العمري، 28 - الحاج حسن  
 الهندي، 29 - عبدالغفار الأخرس، 30 - صالح التميمي، 31 - بيت عطا، 32 -  
 الشيخ إبراهيم الراوي، 33 - بيت دلة، 34 - بيت السنوي، 35 - الشيخ  
 عبدالوهاب النائب، 36 - السيد عباس القصاب، 37 - آل القشطيني 38 - الشيخ  
 محمود الديملاني، 39 - القاضي الشيخ عبدالحميد الشيخ علي، 40 - داود  
 السعدي، 41 - آل عبدالجليل بك، 42 - بيت الزبيق، 43 - الشيخ سليمان الفنام،  
 44 - بيت الوسواسي، 45 - بيت الخنّيني، 46 - بيت المدلل، 47 - سليمان  
 الصالح، 48 - بيت الرئيس، 49 - السيد محمد سعيد المصطفى الخليل، 50 -  
 بيت الربيعي، 51 - الحاج حسن الكوله 52 - سليمان فائق، 53 - الحاج إسماعيل  
 شطي، 54 - الشيخ عيسى البندنجي، 55 - آل الأورفلي، 56 - بيت سمكة، 57  
 - درويش أغا القائممقام، 58 - عبدالغفور المشاهدي، 59 - نعمان أغا  
 القائممقام، 60 - آل الوتري، 61 - آل القلعه لي، 62 - آل مدّج، 63 - آل  
 الخضيرى، 64 - آل القيّارة، 65 - آل عزير أغا 66 - طاهر جليبي آل الراضي، 67  
 - محمد درويش بن عزيز، 68 - آل القيماقجي، 69 - آل التتار، 70 - أمير اللواء  
 محمد باشا الدياريكري، 71 - بيت الباجه جي، 72 - الملا عبدالحميد الضاحي،  
 73 - آل البرزّلي، 74 - آل ثنيان، 75 - الشيخ عبدالحليم الحافاتي، 76 - آل  
 الدفتري، 77 - معروف الرصافي، 78 - عبدالعزيز المطير، 79 - الشيخ  
 عبدالسلام الشهير بالشواف، 80 - آل العمري، 81 - الشيخ قاسم الغواص، 82 -  
 إبراهيم بك المميز، 83 - آل شاكر أفندي، 84 - الحاج أمين كاتب الخزينة، 85 -  
 آل الكتخدا، 86 - آل المصرف، 87 - بيت سَند، 88 - السيد أحمد خطيب  
 الأعظمية، 89 - بيت العلقبند، 90 - آل مامو، 91 - آل عارف أغا، 92 - آل  
 الروزنامه جي، 93 - آل فرهاد، 94 - آل الفارسي، 95 - آل الجادرجي، 96 -  
 رفعت بك ينكجري آغاسي، 97 - آل الجيبه جي، 98 - بيت متولي الأعظمية، 99  
 - آل الجوريه جي، 100 - آل رئيس الكتاب، 101 - بيت الرّحبي، 102 - غلام

رسول الهندي، 103 - بيت كوسه دفتردار، 104 - آل الزهاوي، 105 - فهمي  
 المدرس، 106 - الشيخ أمجد الزهاوي، 107 - الشيخ رشيد الكردي، 108 -  
 الشيخ محمد أمين الكردي المعروف بالملا معنوي، 109 - بيت البزركان، 110 -  
 حسين أفندي الغرابي، 111 - آل البقال، 112 - الحاج محمود التحميسي، 113 -  
 أيوب اليتيم، 114 - عبدالله الخياط، 115 - بيت ونة، 116 - بيت الخطيب،  
 117 - آل متولي سليمان باك، 118 - السيد أحمد الراوي، 119 - السيد إبراهيم  
 البرزنجي، 120 - آل رفة، 121 - فتاح باشا، 122 - الشيخ رضا الطالباني، 123 -  
 بيت الشيخلي، 124 - بيت الشابندر، 125 - آل سلطان حمودة، 126 - آل  
 الرحّال، 127 - آل شيخ الحلقة القادرية، 128 - بيت الريزه لي، 129 - الشيخ  
 أسعد الدوري، 130 - الشيخ أحمد الفكيكي، 131 - آل القره غولي، 132 - آل  
 يمني علي، 133 - الشيخ خالد النقشبندي، 134 - الشيخ أبو بكر عبدالرحمن  
 بن أبي بكر المصنف، 135 - أحمد أفندي التكية، 136 - الشيخ داود النقشبندي،  
 137 - طه جلبي، 138 - توفيق وهبي بك، 139 - قاسم القيسي مفتي بغداد، 140 -  
 الشيخ نعمان الأعظمي، 141 - عبدالفتاح المدرس، 142 - آل الوثّار، 143 - آل  
 الحاج خالد الجلبي، 144 - الشيخ محمد شريف العاني، 145 - آل بابان، 146 -  
 السيد خضر أفندي الطائي، 147 - الحاج محمود جلبي التكريتي، 148 - السيد  
 أمين الأعظمي، 149 - ياسين باشا الهاشمي، 150 - آل مصطفى سليم جلبي،  
 151 - الدكتور ناجي بك الأصيل، 152 - السيد طه الراوي، 153 - بيت العسايف،  
 154 - بيت الدركزلي، 155 - آل ملوكي، 156 - آل الشيخ قادر، 157 - الحاج  
 علي والحاج أحمد الشيخلي، 158 - الحاج حمدي الأعظمي، 159 - الشيخ محمد  
 القُرلجي، 160 - السيد عبدالحميد الأتروشي، 161 - آل البسّام، 162 - السيد  
 حسن البغدادي، 163 - عبدالله الشيخلي، 164 - الشيخ عبدالرحمن الزبير، 165 -  
 آل شلال القيسي، 166 - السادة الهيتاويين، 167 - جميل صدقي الزهاوي،  
 168 - أسعد أفندي الموصللي المدرس، 169 - السيد أحمد السيد عثمان الخطيب،  
 170 - الشيخ نوري الشيرواني، 171 - توفيق بك البرزنجي، 172 - أسرة الشوكة،  
 173 - الشيخ خضر بن عباس العجاج، 174 - محمد باشا الداغستاني، 175 -  
 محمد بك أكريبوز، 176 - السيد حسن الصدر، 177 - آل كُبّة، 178 - بيت  
 شالجي موسى، 179 - بيت المراياتي، 180 - الشيخ شُكر، 181 - أحمد الظاهر،  
 182 - بيت المِرزقجي، 183 - المِعْمَلَة جي، 184 - بيت القِيمجي، 185 - بيت

الطالقاني، 186 - علي كافل حسين، 187 - بيت الجرجفجي، 188 - آل  
الدامرجي، 189 - بيت السيد عيسى، 190 - بيت الحاصكي، 191 - آل  
الشالجي، 192 - السادة الحلاويين، 193 - السيد حسين يحيى، 194 - الشيخ  
كاظم الدجيلي، 195 - السيد جواد السيّاهبوشي، 196 - بيت السوز، 197 - بيت  
جلال، 198 - آل الدجيلي، 199 - آل المولى، 200 - آل حسين النجم الطائي، 201 -  
آل الشيببي، 202 - آل الفكيكي.

#### البيوت النصرانية:

تناول 10 بيوت، أكثرها من أصول موصلية، وبعضها من أصول حلبية،  
وأرمنية، وجميعها يسكن الجانب الشرقي من بغداد، وهي:  
203 - آل عيسائي، 204 - آل غنّيمة، 205 - يعقوب سركييس، 305 الأب  
أنستاس الكرملّي، 223 - آل عواد، 208 - آل مسكوني، 209 - سكندر اسطيّفان،  
210 - بيت جرجي، 211 - بيت نازو، 212 - بيت مراد الشيخ.

#### البيوت اليهودية:

تناول 11 أسرة، جميعها من أصول بغدادية قديمة، وهي تسكن جميعاً  
الجانب الشرقي:

213 - مناحيم دانييل، 214 - عزّره مناحيم دانييل، 215 - الحاخام ساسون  
خضّوري، 216 - أنور شاؤول المحامي، 217 - مير بصري، 218 - داود سمره،  
219 - يوسف الكبير، 220 - نعيم زلّخة، 221 - إبراهيم حبيم، 222 - روبين  
بطاط، 223 - صالح قحطان.

وكان شرط الدروبي في اختيار أسره يتمثل في وجود (مجلس) خاص بها، يؤمّه  
الناس في أوقات محدّدة، على وفق عادة البغداديين عهد ذاك، ومعنى هذا أنه جمع  
في كتابه كلّ الأسر التي تمتّعت بشيء من الوجاهة والنبيل والصيت؛ إذ إن إقامة  
مثل تلك المجالس كان شأن الأسر المذكورة عادة، هذا مع ملاحظة أنه تكلم عن  
مجالس لأفراد بارزين، ولكن لا أسر لهم.

ولقد توسّع الدروبي - بالنسبة إلى سابقه - في الحديث عن بيوتات بغداد  
في عهده، فتكلّم عن نسب البيت، وانتمائه القومي، والأصول القبلية التي ينحدر  
منها، وتاريخ وفوده إلى بغداد، وسبب ذلك غالباً، والمحلات التي سكنها، ومن خرج

منه من الأعلام، والمجالات العلمية والاجتماعية التي نبغ فيها، وصلاته بأبناء الأسر الأخرى، وما أثر عنه من ميراث؛ كوقف مسجد، أو خزانة كتب، أو مدرسة مثلاً، وما قيل فيه من شعر، وتواريخ، ومواضع دُفِن أفرادها.

اعتمد الدروبي في إعداد مادته العلمية على عددٍ من الكتب، أكثرها كان مخطوطاً في عهده؛ مثل (عنوان المجد) للحيدري، ومجاميع في التراجم، كما اعتمد أحياناً على معطيات سجلات المحكمة الشرعية في بغداد، والتي كان مطلعاً - بحكم عمله في هذه المحكمة - عليها، فضلاً عما كان يستقيه من رجال الأسر نفسها من معلومات خاصة، وما كانوا يُطلعونه عليه من وثائق تتعلق بأسلافهم؛ لذا جاء كتابه موثقاً إلى حدٍ كبير، وقد زاد من أهميته ضياع أكثر الأصول التي اعتمدها، من وثائق وروايات، وانفراد - من ثم - بإيراد ما نُقِل عنها.

والمهم أن كتاب الدروبي كان آخر الأعمال المطبوعة التي تناولت بالبحث في تاريخ الأسر البغدادية كلها في صعيد واحد؛ فإن جميع ما صدر بعده من كتب ودراسات اقتصر على أسر محلة أو حي بذاته.

من ذلك ما كتبه الدكتور حسين علي محفوظ (المتوفى سنة 2009م)، حينما عرّف - في دراسة شاملة - ببيوتات قصبة الكاظمية - قُرب بغداد - على عهده، وقد شغلت هذه الدراسة معظم الجزء الثالث من الكتاب المسمى (موسوعة العتبات المقدسة) الصادر سنة 1970م<sup>(1)</sup>؛ فأعد جدولاً بأسماء الأسر الحسنية في الكاظمية وهي كما قدرها: (23) أسرة، كما أثبت عمود النسب الذي تتفرع منه هذه الأسر.

ثم إنه تناول أسماء الأسر الحسينية، فبلغت عنده (53) أسرة، موضحاً نسب كل مجموعة منها، وخص الأسر المؤسوية بمبحث خاص استوعب فيه أسماء (37) أسرة، وأوضح - أيضاً - أعمدة نسبها.

وبعد أن نوّه المؤلف بهذه الأسماء والأنساب، تناول - بشيء من التفصيل - الكلام على بيوتات الكاظمية، مقسماً إياها إلى ثلاث فئات: الأولى هي البيوتات العلمية، وعدتها (53) أسرة، والثانية هي بيوتات الخُدّام والسُدنة، وعدتها عنده (36) أسرة، والثالثة هي بيوتات التجار وأهل الحرف وغيرها، وسمّاها البيوتات المعروفة، وقد تناول (86) أسرة.

(1) الصفحات 63-158.

وكلامه عن هذه الأسر يتراوح تفصيلاً واختصاراً بين عدة صفحات، وسطر واحد، حسب أهمية الأسرة، وما هو متوفّر عنها من معلومات، على أن الطابع العام للبحث يتّسم بالتركيز الشديد، فهو يذكر أحياناً نَسَبها، إن كان لها نسبٌ معروف، كما يُشير إلى مواطنها الأولى قبل هجرتها إلى الكاظمية، والمواضع التي سكنتها في مهجرهم الجديد، وما تفرّعت إليه من أسر، وبعض ما نُسب إلى أفرادها من أعمال مهمة، وهو يُورد - في أحيان قليلة - مشجّرات صنعها بنفسه لبعض تلك الأسر لتزيد صلات أبنائها وضوحاً.

وفي سنة 1984 أصدر الدكتور هاشم الدبّاغ الأعظمي كتاباً جمع بين التاريخ والمأثور الشعبي، بعنوان (الأعظمية والأعظميون)، تكلم فيه عن أسر الأعظمية مرتبة على وفق المراحل التاريخية التي وفدت فيها إليها؛ فالقسم الأول يختصُّ بأسرها الأصلية، وهي التي ثبتَ وجودها في الأعظمية قبل دخول السلطان مراد الرابع بغداد سنة 1048هـ/ 1638 وما بعدها، وقد تكلم فيه على 112 أسرة.

أما القسم الثاني، فقد تناول فيه أسر الأعظمية بعد عام 1247هـ/ 1831م - أي: بعد الطاعون والغرق الذي داهم بغداد في ذلك التاريخ، ويبلغ عددها 114 أسرة - بينما استوعب القسم الثالث الأسر التي استقرت في الأعظمية منذ عام 1900، ويبلغ عددها 84 أسرة، أما القسم الرابع، ففيه تعريفٌ بالأسر التي استوطنت الأعظمية بين الحريين العالميتين 1918 - 1945، ويبلغ عددها 245 أسرة.

ومنهج الدبّاغ يتّسم بالإيجاز الشديد، فهو لا يزيد على ذكر اسم الأسرة، وما اشتهرت به من كُنية أو لقب، والمدن التي انحدرت منها أحياناً، وأسماء أبنائها على وفق طريقة (المبسوط) التي يعرفها النسّابون خاصة، مع فارق واحد هو أن هذه الأسر لا تتصل بنسب واحد، وإنما تنتهي إلى أنساب مختلفة مستقلة غالباً.

وأثار صدور كتاب (بغداد كما عرفتُها) الذي ألفه الدبلوماسي العراقي السابق الحاج أمين المُميز (المتوفى سنة 1997م)، سنة 1985، وخصَّ فيه محلّته القديمة (الدنجية) بعناية كبيرة؛ اهتمام بعض الفضلاء بتاريخ محلاتهم التي نشأوا فيها<sup>(1)</sup>.

(1) طبع ببغداد سنة 1978، وقد ناشد مؤلّفه الحاج أمين المُميز قُدّامى البغداديين أن يكتبوا عن المحلات التي نشأوا وترعرعوا فيها، وعن الشخصيات التي عاصروها، وعن المعالم التي شاهدوها، وعن بغداد أيام طفولتهم وصباهم وشبابهم، في الأسلوب الذي يختارونه.

فلم تمضِ إلا سنواتٌ قلائل، حتى كتب أنور عبد الحميد الناصري كتاباً مستقلاً عن محلة (سوق الجديد)، وهي من محلات الجانب الغربي من بغداد، فأرُخ فيه لأسرٍ عديدة كانت تسكن محلته؛ أبرزها: آل القشطيني، وآل العلوي، وآل خضير، وآل جمهور، وآل الحسن، وآل الهدبان، وآل هندي، وآل الناصري، وآل جرجيس، وآل النقشبندي، وآل النوره جي، وآل الجعفري، وآل وهب، وآل الشواف، وغيرهم.

وتتفاوت الأحاديث عن هذه الأسر سعة واختصاراً، والغالب عليها الاختصار، بل الاقتصار أحياناً على الترجمة الموجزة لأبرز رجالها ممن عاصرهم المؤلف نفسه في بعض مراحل حياته، وهو إذ لم يتخذ لنفسه منهجاً محدداً في الكتابة عن تواريخ تلك الأسر، فلأنه أراد - فيما يظهر - أن تأخذ مكانها كجزء من النسيج الاجتماعي العفوي لمحلته، ومن هنا ترك القلم ليُعرف بكل أسرة دونما سياق أو منهج مُطرد.

وفي الوقت نفسه، كتب السيد شاکر جابر البغدادي (المتوفى سنة 2007م) كتابه المُعَنَوَن (من تاريخ الكُرادة الشرقية)<sup>(1)</sup>، وهو كتاب قصد به استيعاب تاريخ هذا الحي الواسع من بغداد الشرقية، منذ العهود القديمة وحتى العصر الإسلامي، فالعصر الحديث.

وقد خصَّص أجزاءه الأخيرة وهي التي لم تُطبع بعد، لدراسة أسر هذا الحي، فأفرد فصلاً خاصاً بأنساب السادة الهواشم، مرتباً إياهم على النحو الآتي:

- الأسر الحُسَينية، وعدتها 13 أسرة.
- الأسر الحُسَينية وعدتها 27 أسرة، وهي تضم أسراً زيدية وأعرجية وموسوية.
- الأسرة العباسية.

ثم إنه بحث في تواريخ الأسر الأخرى، وحدد أنسابها، ومهنها، والمواطن التي هاجرت منها، والمحلات التي سكنت فيها في الكُرادة الشرقية، ورتب ذلك كله على حروف المعجم، فجاءت دراسته مستوعبة لتواريخ 436 أسرة، منها 272 أسرة بغدادية سكنت محلات هذا الحي، ومنها 165 أسرة سماها كُرادية أصلية، والأخرى وافدة في عهود متأخرة، وتنتمي هذه الأسر إلى أصول عشائرية مختلفة،

---

(1) طُبِعَ الجزآن الأولان ببغداد سنة 1990، ويقعان في مجلد واحد، وقد فرغ مؤلفه من إعداد ثلاثة أجزاء تالية، تضم تاريخ الأسر التي قطنت الكُرادة الشرقية على ما أخبرني هو بذلك.

عدنانية وقحطانية، فمنها 45 أسرة من زبيد، و40 أسرة من خفاجة، و43 من بني سعد، و22 من طَي، و15 من ربيعة، إضافة إلى 52 أسرة لم تكتمل المعلومات عن أنسابها، و45 أسرة من النصارى، و26 أسرة من اليهود.

ومن الجدير بالذكر أن الدراسة تناولت باهتمام مهَن تلك الأسر ووظائفها الاجتماعية، من أصحاب بساتين، وتجار، ووزراء، وغيرهم.

وفي العقد الأخير من القرن العشرين وبدايات القرن الحالي تضافرت جهودٌ متنوعة للبحث في تواريخ الأسر البغدادية، وأغلب تلك الجهود لم ترَ لنور النشر سبيلاً بعد، من ذلك ما كتبه الباحث جميل الطائي في كتابه عن محلات بغداد، الذي عُنُوْنَه (موسوعة تاريخ محلات بغداد وأسرها، الجانب الشرقي)؛ حيث جاء هذا الكتاب، الذي صدر منه الجزء الأول (بغداد 2004، 296ص)، من أجزاء عدة، متضمناً عدداً كبيراً من البيوتات، يبلغ نحو السبعمئة بيتاً، وتتوزع هذه البيوتات زمنياً على حقبة تبدأ من سنة 1048هـ/ 1628م وحتى سنة 1958م كما تتوزع مكاناً في نحو 56 محلة هي أبرز محلات بغداد في خمسينيات هذا القرن.

وقد اختص الجزء الأول بالبحث في جانبٍ من محلة باب الشيخ، إحدى كُبريات محلات الجانب الشرقي من بغداد، وتناول من خلال هذا البحث تواريخَ أسَرٍ بارزة من أهل المحلة؛ منها: الأسرة الكيلانية، وآل الطيار، وآل التُّكرلي، وآل الأدهمي، وآل الواعظ، وآل البكري، وآل غلام، وآل علقبند، وآل وثّة، وآل الرحبي، وآل الشيخ قادر، وآل الجادر، وآل الشالجي، وآل الكيَّارة، وآل النُقشلي، وآل دَلّة، وآل علّو، وآل القاضي، وآل الجوراني، وآل الراضي، وآل السُّكوتي، وآل مَلوكي، وآل وريد، وآل الوطني، وآل شَنْشَل، وغيرهم.

وأرَّخ الباحث قيس عبدالقادر الشихلي لمحلة باب الشيخ، وتناول من خلال تاريخه لها دراسة الأسر القديمة التي استوطنت المحلة في العصر العثماني، مُعتمداً - بصفة رئيسة - على الوثائق، والقسَّامات، والإعلامات الشرعية، وقد بلغ عددُ الأسر التي أرَّخ لها 120 أسرة، كثير منها لم يترجم له أحدٌ من قبل؛ مثل: العُبُوسي، وآل الحوراني، وآل طيفور، وآل المخزومي، وآل الخزرجي، وأسر أخرى أشارت إليها المصادر السابقة إشارات عابرة؛ مثل: آل القيَّارة، وآل الدرِكزلي، وآل الجَرَّاح، وآل التُّكرلي، وآل زبير، وآل غُلام، وآل الرُّحبي، وآل الطيَّار، وآل دَلّة، وآل

الأدهمي، وآل ملوكي، وآل ونّة، وآل الريزه لي، وآل المدفعي، وآل الشالجي، وآل الجاوش، وآل حموش، وآل الخطيب، وآل النقشلي، وغيرهم.

ووضع الباحث رفعت مرهون الصفار كتاباً مستقلاً عن محلة صبايغ الال وما جاورها من محلات بغداد وبغداد الشرقية، ضمّنه جدولاً بأسماء أسر المحلة والأصول العشائرية التي تتحدّر منها، ويبلغ عدد هذه الأسر أكثر من مائة أسرة؛ منها مثلاً: آل كُبة، آل أبي التمن، آل القاموسي، آل الغبان، آل الصفار، آل الخاصكي، آل العينة جي، آل الخضري، آل المراياتي، آل علش، آل حبة، آل شكاره، آل البغدادي، آل الجواد، آل البير، آل رحمة الله، آل زلزلة، آل الملائكة، آل تويج، آل حمّدي، آل الخياط، آل الشماع، آل أبو الأقلام، آل مكّية، آل البصام، آل الطويل، آل كافل الحسين، آل الراضي، آل الخنلي، آل البعلي، آل الشالجي، آل سلبي، آل طعيمة، آل صندوق، آل السيد عيسى، آل الشديدي، آل الأعرجي، وغيرهم من الأسر البغدادية القديمة التي استوطنت تلك المحلة وجوارها، وكان لها وجود إبّان النصف الأول من القرن العشرين.

ثم إنه وسّع هذا الكتاب بأن أضاف إليه دراسات أخرى عن محلات مختلفة في شرقي بغداد، اتبع فيه منهجه نفسه في ذكر أسماء الأسر فيها، وقد طُبِع الكتاب بعنوان (تاريخ محلات بغداد).

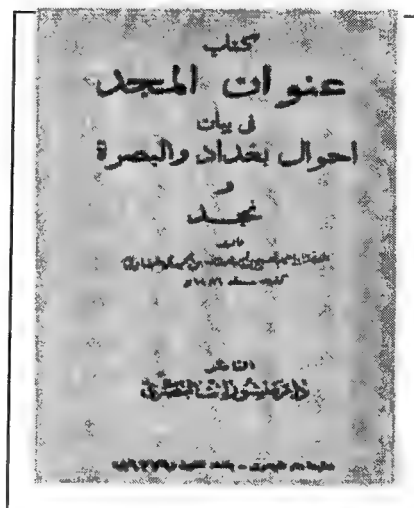
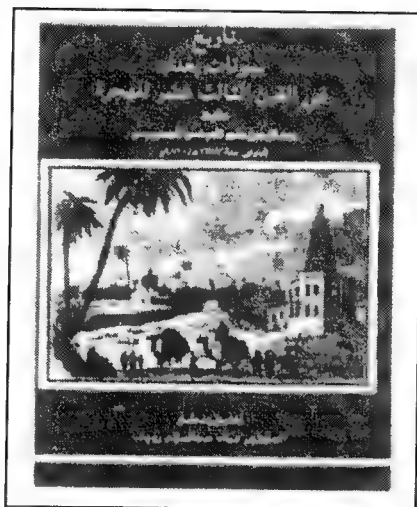
وبحثاً عن مناجم معلومات جديدة قمنا بجرد سجلات الوقفيات، والحجج، والإعلامات الشرعية المحفوظة في أرشيف وزارة الأوقاف ببغداد؛ فاستخرجنا منها قائمة بأسماء نحو ثلاثمائة أسرة بغدادية، كان لها وجود في المدينة في الحقبة الممتدة من سنة 894هـ/1488م (وهي تاريخ أولى الوقفيات المحفوظة)، وحتى نهاية العصر العثماني، وقد أثبتنا إزاء اسم كل أسرة أسماء رجالها الذين وردوا بصفاتهم من الواقفين أو المتولين أو الشهود، وتواريخ الوقفيات والوثائق الشرعية التي سجلت ذلك، إضافة إلى أسماء محلات بغداد التي سكنوها أحياناً.

ونشرنا تلك القائمة في آخر كتاب (تاريخ بيوتات بغداد في القرن الثالث عشر للهجرة) لعبدالرحمن حلمي، الذي قمنا بتحقيقه والتعليق عليه<sup>(1)</sup>، وكثير من هذه الأسر لم يرد أسماؤه في الكتب المتقدمة مما دلّ على أنها تقع خارج نطاق ما

(1) الصفحات 119-140.

وَضَعُوهُ مِنْ شُرُوطٍ، وَهُوَ أَنْ يَكُونَ لِلْأُسْرَةِ أَصْلٌ قَدِيمٌ، أَوْ مَجْلِسٌ مَعْقُودٌ، أَوْ فَضْلٌ مَشْهُورٌ، وَمِنْ نَاحِيَةٍ أُخْرَى، فَإِنْ عُدِدَا غَيْرَ يَسِيرٍ مِمَّا تَضَمَّنَتْهُ تِلْكَ الْقَائِمَةُ لَمْ يُسْمَعْ بِهِ مِنْ بَعْدُ، مِمَّا دَلَّ عَلَى انْقِرَاضِهِ نَتِيجَةً لظُرُوفٍ مُتَنَوِّعَةٍ.

وَلَا نَشْكُ فِي أَنْ مَنَاجِمَ جَدِيدَةً مِنَ الْمَعْلُومَاتِ لَمَّا تَزَلْ تَنْتَظِرُ الْبَاحِثِينَ فِي هَذَا الْجَانِبِ الْمُهْمِ مِنْ جَوَانِبِ تَارِيخِ بَغْدَادِ الْاجْتِمَاعِيِّ، تَأْتِي فِي مَقْدُمَتِهَا سَجَلَاتُ الْمَحْكَمَةِ الشَّرْعِيَّةِ فِي بَغْدَادِ، الَّتِي تَغْطِي وَثَائِقُهَا الْقَرْنَيْنِ الْأَخِيرَيْنِ بِكُلِّ تَفْصِيلٍ، وَالْحَاوِيَةَ عَلَى عَشْرَاتِ الْأُلُوفِ مِنَ الدَّعَاوِي وَالْقِسَامَاتِ وَالْحُجَجِ وَالْعُقُودِ الشَّرْعِيَّةِ؛ مِمَّا يَفِيدُ الْبَاحِثَ فَائِدَةً كَبِيرَةً.



## آل الرواف في بغداد

(القصيمات) عشائر وحمائل هاجرت من موطنها القصيم في نجد الى بغداد في العصر العثماني، واتخذت من جانب الكرخ من بغداد في القرن الثاني عشر للهجرة (الثامن عشر للميلاد) مستقراً لها، حيث تحالفوا هناك مع بعض فروع قبيلة شمر، تعرف بالشمامرة، مكونين اتحاداً عشائرياً باسم (عقيل)، وبلغ من كثرتهم وشدة بأسهم أن عُرف الجانب الغربي كله باسم هذا الاتحاد، فقليل له (صوب عقيل)، والصوب هو الجانب، وكان هذا الجانب يعرف قبل نسبته إليهم باسم (قرش ياخا) وهو مصطلح تركي يعني حرفاً (ذاك الصوب)<sup>(1)</sup> أو الصوب المقابل، وقد سعى ولاة بغداد إلى تفكيك هذا الاتحاد بأن عيّنوا لكل من القصيمات والشمامرة زعيماً، فأدى ذلك إلى التباعد التدريجي بين الزعامتين، وفي الحوادث التي صاحبت حصار القوات العثمانية القادمة القضاء على حكم الماليك وإسقاط حكم آخر ولاتهم داود باشا سنة 1247هـ/1831م بدا جلياً مدى ما آلت إليه حالة الاتحاد من الانقسام، حين وقفت القصيمات إلى جانب زعامات الماليك، ساندة لهم في الدفاع عن بغداد، بينما وقفت الشاممرة إلى جانب القائد العثماني علي رضا باشا اللار، قائد القوات المهاجمة للمدينة، والمعادية لتلك الزعامات<sup>(2)</sup>.

ونظراً لانفتاح طرق ذلك الجانب على بوادي العراق الغربية الجنوبية فقد تولوا تنظيم رحلات الحج وخدمة الحاج بين بغداد وبلاد الحَرَمَيْن، وهي طرق صعبة المسالك تجتاز بوادي نجد لا سيما مناطق القصيم وجبالها ومضايقها، فكانوا الأدرى بتلك السبل والفجاج، والأقدر على حماية الحاج من الأخطار التي تهدد السالكون فيها، ومن تلك الحمائل أسرت اتخذت تجارة الخيل بين العراق ونجد والهند، مهنة لها تتوارثها جيلاً بعد جيل، تعلم أسرارها، وأنواعها، وأسعارها، فكانت لها في الكرخ أسواق معلومة، يقصدها الولاة والأمراء، في عصر كانت الخيل وسيلة النقل السريعة

(1) ينظر ياسين بن خير الله العمري: غرائب الأثر في حوادث ربع القرن الثالث عشر، الموصل 1359هـ/1940م ص60

(2) سليمان فائق بك: مرآة الزوراء في سيرة الوزراء، ترجمه من التركية موسى كاظم نورس بعنوان (تاريخ بغداد)، بغداد 1961، ص98 و99.

في حالي السلم والحرب معاً، ولها في الحالين رُغاب وطلاب<sup>(1)</sup>، كما عرفوا بتجارة المواشي بوجه عام. فحازت من الخبرة في هذا المجال ما أكسبها ثروة إفتقرت باحترام الناس لما كانوا يتصدقون منها على وجوه الخير المختلفة.

ومن الأسر القصصية الشهيرة في بغداد آل الرواف، الذين اتصلت مآثرهم بتاريخ هذه المدينة حتى نسب إليهم حي كبير من أحيائها، وقد تألفت هذه الأسرة، أصلاً، من أربعة بيوتات كانت تقيم في ضاحية لبلدة (العُيُينة) قرب الرياض في نجد، تجتمع في أب واحد هو محمد، وهي 1- آل عبدالرحمن 2- آل عبد الله 3- آل إبراهيم 4- آل موسى. وفي سنة 1170هـ/1756م شاء القدر أن يتفرق أهل العُيُينة في البلاد، بسبب ما أصاب بلدتهم من الجذب والوباء، فكان أن تفرقت بيوتات آل الرواف كمثل غيرها من أسر البلدة. وقصد كل بيت حذباً يبعدهم عنها، ومن تلك البيوتات آل عبد الرحمن، الذين قصدوا بلدة (القَصيم) واستقروا فيها، وعملوا في مجال تجارة الماشية بين نجد والعراق والشام، فضلاً عن إمرة حُرَّاس قوافل الحجيج، فأثروا، وتوسعت أعمالهم حتى اقتضت أن يكون لهم من يديرها في هذه البلاد، فكان أن هاجر محمد بن عبد الرحمن بن محمد من القصيم قاصداً بغداد، حيث اتخذها مستقراً له ولذريته فيما بعد<sup>(2)</sup>. ومن الراجح أن هجرته إليها جرت في أوائل القرن الثالث عشر للهجرة (أواخر القرن الثامن عشر للملاد)، وعملوا كغيرهم من مواطنيهم بتجارة الخيل والمواشي، أما آل موسى فقد غادروا إلى الأحساء، والظاهر أن منهم من وجد طريقه إلى بلدة الزبير قرب البصرة، حيث أنشأوا فيها مسجداً نُسب إليهم، فعرف بمسجد موسى الرواف. ومن آل عبد الله من لحق بأعمامهم، فهاجر محمد بن عبد الله إلى الشام حيث استقر في دمشق، وهكذا وجدت الأسرة نفسها، في جيل واحد، قد تفرقت بين مراكز التجارة المهمة في نجد والأحساء وبغداد ودمشق، ولا شك في أن

---

(1) أصيبت هذه التجارة بالفتور إثر قيام السلطات العثمانية بمنع تصدير الخيل إلى الهند.

ينظر : رحلة عالي بك إلى بغداد، في الجزء الأول من هذا الكتاب

(2) شهادة موثقة بقلم الشيخ محمد بن عبد اللطيف، نشرها محمد بن ناصر العبودي في كتابه: معجم

أسر بريدة، الرياض، دار التوثيق، 1431هـ/2010، ج 8 ص 210. ويورد الفاضلان عبد الرزاق الصانع وعبد العزيز العلي رواية أخرى عن منشأ ثروة محمد بن عبدالرحمن المذكور، حيث قالوا أن أصله من بريدة من بلدان القصيم في نجد، وأنه هاجر إلى بلدة الزبير القريبة من البصرة، وكسب شهرة في قصة له تروى عن أنه عثر على كنز كبير، وكان محسناً، فندّر أن يبني مساجد شتى في البلاد التي يمر بها ما استطاع إلى ذلك سبيلاً. إمارة الزبير بين هجرتين، ج 1 ص 239.

هذا الإنشار كان من شأنه السيطرة على شؤون تجارة الخيل والمواشي في فينا في هذه البلاد، مما كان يزيد في ثروتهم ويُقوّي مركزهم الاقتصادي إلى حد كبير. على أن ذلك لم يشغلهم عن أعمال البر والخير، فعُرفوا حيثما استقروا بكثرة مبرأتهم، وإتيانهم أبواب الخير، من بذل للمعروف وإنشاء المساجد أو الإنفاق عليها.

ففي بغداد حقق محمد بن عبد الرحمن، الذي تقدمت الإشارة إليه، نجاحاً محموداً في مجال التجارة، لا سيما في تجارة الخيول الأصيلة، كما اشتهر بأعمال البر، فعُرف باسم (الحاج محمد جلبي)، والجلبي لقب كان يختص به ذوو المكانة الاجتماعية من كبار التجار في ذلك العصر. وكان من أعلام أسرته أيضاً (حسن جلبي الرواف) و(عمر الرواف) ولا نعلم صلتها بالنسبية<sup>(1)</sup> به.

وعدهم عبد الرحمن حلمي السهروردي من بيوت السُرّة في بغداد، فقال «بيت الرواف هو من بيوت التجارة، وهو من أهالي نجد» ثم قال «وهو بيت عز وخيرات»<sup>(2)</sup>.

وقد وقفنا في أثناء بحثنا في وثائق ذلك العهد على وثيقة مهمة بالعربية تتعلق ببعض أوجه الخير التي قامت بها هذه الأسرة الكريمة، وهي تتضمن وقفية لسيدة تدعى خديجة خاتون بنت عبد الله آل شريف جلبي، زوجة الحاج محمد جلبي بن عبد الله الرواف المذكور، على خمسة مساجد في بغداد ومسجد واحد في بلدة الزبير من أعمال البصرة، مؤرخة في الخامس من ذي الحجة سنة 1236 للهجرة (2 أيلول 1822م). وفي إشارة لعبد الرحمن حلمي السهروردي، وقد تولى الإشراف على الوقفية، أنها وقفت «جميع أملاك» زوجها<sup>(3)</sup> مما يعني أنه وهبها هذه العقارات فعادت هي فوقفتها بموجب الوقفية المذكورة.

وتوضح الوقفية العقارات الموقوفة على النحو الآتي:

1- ثلاث بساتين تقع خارج الباب الشرقي من بغداد، تحد الأولى نهر دجلة وبستان أحمد أفندي النائب، وبستان مهدي الشماع بن حسين، وبالطريق العام. وتحد الثانية بالطريق العام، وبستان أحمد أفندي النائب، وبستان خليل بن محمد

(1) ورد إسماهما في الوقفية موضوعة الدراسة كما سيأتي.

(2) عبد الرحمن حلمي العباسي السهروردي، تاريخ بيوتات بغداد في القرن الثالث عشر للهجرة، ص 39-40.

(3) تاريخ بيوتات بغداد ص 39.

البستاني المستجدة. وتحد الثالثة، وهي البستان المستجدة بمزرع أحمد أفندي النائب، وبمزرع السيد مهدي المذكور، وبالمزرع الذي هو تبع لهذه البساتين الثلاث. وترتيب هذه البساتين في الوقفية يدل على أن أصلها، وهي الأولى، كان يقع على شاطئ نهر دجلة رأساً، وهذا أمر طبيعي لأن دجلة هو موردها الوحيد، أما البستان الثانية فهي مُستجدة، تتصل بالأولى، بينما تتصل الثالثة بالثانية وقد استجدت بعدها، وهذا يشير إلى أن غرس البساتين بدأ من جهة النهر ومضى باتجاه الشرق في عهد يسبق زمن الوقفية بمدة لا تتجاوز جيل واحد في أكثر تقدير، وهذا ما يفهم من وصفها بالمستجدة. وكانت وقفية سابقة، مؤرخة في القرن الحادي عشر (17م) قد وصفت كل هذه النواحي بأنها أرض بيضاء، أي لا زرع فيها، فضلاً عن تكون مغروسة بالنخيل، وهذا يكشف عن أن عملية غرس البساتين حوالي بغداد جرت في القرن الثاني عشر (18م) تحديداً، وهو القرن الذي شهد نوعاً من الاستقرار السياسي منذ أن تولى والي بغداد القوى حسن باشا حكمها في مفتتح ذلك القرن، وتولى ابنه أحمد باشا، ثم أخلافه من مماليكهما ذلك الحكم في الحقبة اللاحقة، وحتى نهاية عهدهم في منتصف القرن التالي. زهد اشترت السيدة خديجة هذه البساتين الثلاث فعرفت منذ ذلك الحين ببساتين الرواف، ثم جرى استبدال هذه الموقوفات بالنقد سنة 1930، فنهضت على الفور محلة سكنية باسمها عُدَّت في حينه من الأحياء الراقية في ضواحي بغداد النزهة، يحدها من الشرق شارع أبي نواس المحاذي لشاطئ دجلة، ويشقُّها من الغرب شارع السعدون الذي عبَّ بعد ذلك التاريخ بمدة قليلة، ومن أبرز المعالم الحالية فيها فندق بغداد الواقع على شاطئ دجلة وعمائر كبيرة أخرى.

2- دار تقع في محلة النقاشين من محلات بغداد، تتألف من (دار الحرم) و(ديوان خانة) محدودة بالطريق العام ودار الواقعة وباحة الإسطبل (حوش الآخور) والحمام وبالمطبخ الخارجي للدار، ودار مريم شقيقة الواقعة، ويحد الحرم- أي حرم دار الواقعة- بدار مريم المذكورة، ودار محيي الدين، وعبد القادر أفندي إبن صبغة الله، ودار الحاج محمد الأعظمي، ودار الجوخجي، ودار يونس، ودار موشي اليهودي. وتوضح هذه المعالم سعة دار الواقعة، فهي تتألف من دارين- كأكثر دور السراة عهد ذاك- الأولى للأسرة، وهو الحرم، والآخر لضيوف صاحب الدار ومجلسه، وهو الديوان خانة، هذا فضلاً عن اسطبل مخصص لخيول أصحاب الدار وضيوفهم، وحمام، وكان وجود حمام مستقل في دور ذلك العصر أمراً نادراً ولا وجود له إلا في

دور كبار سرة المدينة، أما (المطبخ الخارجي) فهو يدل على وجود مطبخين في الدار، أحدهما داخل الدار وآخرهما خارجه، ومن غير المحدد وظيفة الأخير، ويمكن أن يكون لخدمة الضيوف خاصة لإخراج الصدقات من الطعام. وتحيط بالدار ستة دور مستقلة أخرى، أحدها لسيدة تدعى مريم، وهي شقيقة الواقفة، والأخرى لأشخاص عدة، بينها دار لوكدي من يدعى صبغة الله، ولا نعلم هوية الأخير، ولعله العلامة صبغة الله الحيدري، أحد كبار علماء بغداد عهد ذاك. ومن اللافت للنظر وجود جار يهودي لهذه الدار، وهو أمر يدل على أن الأخير كان يعيش في المحلة نفسها التي يعيش فيها جيران له مسلمون، على الرغم من وجود محلة خاصة باليهود في بغداد. أما محلة النقاشين فلا نملك من النصوص ما يدل على موقعها، فهي المرة الوحيدة التي يرد فيها اسمها، والمفهوم أنها كانت من محلات الجانب الشرقي من بغداد، فجميع المعالم الواردة في الوقفية تقع في هذا الجانب، وعليه فإنها لم تكن تقع في الجانب الغربي حيث دور سرة النجديين.

أن ريع هذه العقارات يُنفق، بحسب نص الوقفية، على الواقفة نفسها، بينما يتولى زوجها الحاج محمد جلي الرواف التولية على الوقف، وبعد وفاتها يؤول الريع إليه وإلى أولاده من بعده، وواضح من هذا النص أن خديجة هذه لم يكن لها، أو لزوجها، حتى تاريخ الوقفية، أولاداً ذكوراً أو إناث، يمكن أن تسند إليهم التولية بعد وفاة زوجها، ولذلك فإنها أطلقت لهذا الزوج أن يسندها إلى من يختارهم من أولاده الذين سيؤلدون له من بعد، من زوجة أخرى يختارها، فإذا ما انقرض الجميع فتؤول التولية إلى أحد (الصلحاء من أهل بغداد)، ويظهر أن التولية انتقلت فعلاً إلى من له هذه الصفة، فقد ذكر الشيخ الأديب عبد الرحمن حلمي العباسي السهروردي أن جميع أوقاف هذه السيدة «تحت توليتي حسبما شرطت سنة 1236 هجرية [1820م]»<sup>(1)</sup>.

شرطت الواقفة في حال إنقراض الذرية أن يُنفق ريع الوقفية على عدة مساجد يتولى المتولي على الوقف الإنفاق عليها، هي:

- 1- مسجد السادة. تُعين الوقفية موقعه بأنه في الطريق بين الطاق الأظلم وسوق السنك ودار الملا عبد الفتاح بن عبد الله المفتي ببغداد، ودار خميس الصباغ بن جويد، ونجدية مملوكة زوجة كريم، ودار أولاد محمد سعيد الدباغ.

(1) تاريخ بيوتات بغداد ص 40.

والطاق الأظلم هو مبنى الباب الشرقي أحد ابواب بغداد العباسية، ويقرب أن يكون اسمه ترجمة للفظ التركي (قرانلق قابي) اي الباب الأسود او الأظلم، أما سوق السنك، فهو في المحلة المعروفة بهذا الاسم، والسنك لفظة تركية تعني الذباب سميت به لكثرتة في أنحائها، حيث كانت أرضها تُزرع بالبصل وتسمد بالسماذ الطبيعي. ولذلك عُرف الباب المذكور في العصر العباسي بباب البصلية<sup>(1)</sup>، وإشارة الوقفية الى السوق تدل على بداية انتشار العمران في هذه الأرض الزراعية.

2- مسجد النعماني. وهو قريب من سابقه، وتُعين الوقفية حدوده بأنه يقع بين الطريق العام والخاص، ویدار ريمة ورثة الشيخ جمعة الكركوكي الدباغ، والسيد عبد الله الزرقلوني، ویدار ورثة الحاج فارس الدباغ». ويظهر أن المساحة التي كانت تشغلها هذه الدور تتصف بالسعة، فقد لاحظ السيد محمد سعيد الراوي (المتوفى سنة 1354هـ/ 1936م) أن «أمامه عَرَصَة، وكانت من أوقافه، فاغتصبها بعض من لا يخاف الله، أيام الحكومة العثمانية زمن الحرب العامة، ولما احتلت الحكومة الإنكليزية بغداد سجّلها باسمه، ثم باعها لجمعية نصرانية شادت عليها كنيسة باسم الرهبان الكرملين المرسلين»<sup>(2)</sup>، وكان قد وصفه السيد محمود شكري الألوسي (المتوفى سنة 1342هـ/ 1924م) بأنه «من مساجد بغداد القديمة، فيه منارة بيضاء مطلة على الطريق». وذكر عبد الحميد عبادة (المتوفى سنة 1349هـ/ 1930م) أن والي بغداد داود باشا عمّر هذا الجامع سنة 1239هـ، 1823م أي بعد ثلاث سنوات من تاريخ الوقفية<sup>(3)</sup>. وقد آل الجامع إلى الخراب فجدد سنة 1354هـ/ 1935م، ثم هدمته الأوقاف وبنته بعمارة أصغر من سابقتها سنة 1391هـ/ 1971م. ولا يزل هذا الجامع قائماً<sup>(4)</sup>.

3- مسجد ظهير الدين. ذكر أنه يقع في محلة خان الحايك (الحياك)، وأنه محدود بالطريق العام من الطرفين، ویدار سبتي بن حسين كليب، ویدار ورثة الحاج خميس المعماري. قلنا: وهو مسجد قديم لا تعرف هوية منشئه يقع بين محلة المربعة ومحلة الحاج فتحي، حيث كانت تقع تلك المحلة المندثرة<sup>(5)</sup>.

(1) نقض هذا الباب في سنة 1937م وكان موقعه في أرض (ساحة التحرير) الآن.

(2) محمد سعيد الراوي: خير الزاد في تاريخ مساجد وجوامع بغداد، بتحقيقنا، بغداد 2005، ص 139

(3) عبد الحميد عبادة: العقد اللامع بآثار بغداد والمساجد والجوامع، بتحقيقنا، بغداد 2004، ص 414.

(4) العقد اللامع ص 414

(5) وقد عرف المسجد فيما بعد بمسجد نور الدين نسبة الى مجددده سنة 1259هـ/ 1840م

محمد نور الدين ويظهر من الابيات التي نقلها الألوسي (مساجد 81) من على جداره انه كان اميرا حاز على رتبة الوزارة واصله من دمشق الشام.

4- مسجد دكاكين حَبُوب. ذكر أنه مسجد صغير، وأنه محدود بالطريق الخاص، وبيدار صالح البقال، وبيدار الشيخ رجب، وبيدار الحاج بكر والي، وحمد السعيد. قلنا: يقع هذا المسجد في محلة بالاسم نفسه، تنسب إلى خمسة دكاكين، يظهر أن مالکها يدعى (حَبُوب)، وقد تقلصت هذه المحلة في تاريخ لاحق، حتى غدت عقداً من عقود محلة المربعة، وعند فتح شارع الخلفاء سنة 1957 دخلت في أرض الشارع، في المنطقة الممتدة بين أمانة بغداد ووزارة التجارة<sup>(1)</sup>.

5- جامع الأحسائي في محلة رأس القرية، قرب خان العادلية. نُسب هذا المسجد إلى اسم دفينه الشيخ محمد بن أحمد الأحسائي الحنفي المتوفى سنة 1083هـ/1672م، وكان عالماً فاضلاً مصنفاً له مؤلفات كثيرة في الفقه والنحو والمنطق<sup>(2)</sup>. ثم اتخذه الشيخ خالد النقشبندي المتوفى سنة 1242هـ/1826م، تكية له، وعمرها، فنُسبت إليه باسم (التكية الخالدية) ثم صارت مسجداً جامعاً ولما يزل عامراً، وهو يقع في محلة رأس القرية، من محلات الجانب الشرقي من بغداد.

6- مسجد الرُواف، هو المسجد الوحيد الذي يحمل اسم الأسرة، ويقع خارج بغداد، وذكرت الوقفية أنه واقع في بلدة الزبير بسوق البزازين، ومحدود بالطريق العام وبيدار علي النجار وبيدار علي الحساوي (الأحسائي). قلنا: وهذا هو مسجد موسى الرواف الذي أشرنا إليه من قبل، وقد أشار ابن الغملاس الزبيري إلى هذا المسجد ونوه بإثنين من الأئمة فيه هما محمود سنة 1347هـ/1928م ومحمد بن عثمان البغادة، أي البغداد<sup>(3)</sup>.

وشرطت الواقفة أن يُنفق من ريع الوقف المذكور على الجهات الآتية، بـ(القرش الرايغ بغداد)، وهو نقد فضي يعادل 10 بارات، أي ريع القرش الصاغ، الذي يعادل 40 بارة. وذلك على النحو الآتي:

المبلغ بالقرش	أوجه النفقة
15	إمام مسجد السادة
100	المؤذن
50	ساقى الماء

(1) كتابنا: الأصول التاريخية لمحلات بغداد، بغداد 2005 ص56.

(2) المحبي: خلاصة الأثر ج4 ص313 وعبادة: العقد اللامع ص360 والراوي: خير الزاد ص112.

(3) ابن الغملاس: تاريخ الزبير والبصرة، بتحقيقنا، عمان دار دجلة 2005، ص40 و42.

40	الشيرج والقناديل والحصران في مساجد النعماني وظهير الدين ودكاكين حيوب
240	الأئمة والمؤذنون والخدمة والأباريق في مساجد النعماني وظهير الدين ودكاكين حيوب
400	قراءة القرآن سنوياً
50	أضحية للواقفة
50	أضحية لزوجها محمد جليبي الرواف
50	أضحية إلى مُعتقى زوجها : عنبر وياقوت
500	لكل مُعتق سنوياً
500	ثمار البساتين على الفقراء والمساكين
100	الناظر على الوقف
المتبقى	لتعمير العقارات الموقوفة وتنمية الوقف

من الوقفية نسختان، الأولى مُذيلةً بعبارة تفيد أنها مسجلة في المحكمة الشرعية في بغداد في السجل 16 والصحيفة 47 والعدد 112، وقد وقفنا على نسخة منها في مجموعة لدينا تضم نسخ من وقفيات بغداد، والأخرى مسجلة في وزارة الأوقاف في بغداد (ديوان الوقف السني اليوم) في السجل 2 الصفحة 57.

دُيِّلت الوقفية المسجلة في المحكمة الشرعية باسم القاضي في بغداد في حينه وهو (الحاج خليل رشدي القاضي بمدينة بغداد المحروسة)، بينما نجد اسم قاض آخر في النسخة المسجلة في الأوقاف هو (محمد رفيع بن حسين)، ويمكن تفسير ذلك الاختلاف بأن الوقفية أعيد تسجيلها بعد سابقتها بعشرة أيام، فهي مؤرخة في 15 ذي الحجة 1236هـ.

وفيما يأتي نص هذه الوقفية:

بسم الله الرحمن الرحيم

(الحمد لله الذي أوقف الواقفين الواثقين على مناهج الخيرات، لسلوك مباحج المسرات، ووفق العالمين بأحاسن الطاعات، والصلاة على محمد النبي الكريم، وعلى آله وأصحابه الغر الميامين.

وبعد، فأني قد وقفتُ وأبَدْتُ وَحَبَسْتُ ثلاث قطع البساتين الواقعة خارج الباب الشرقي من بغداد، تحد الأولى نهر دجلة، وبستان أحمد أفندي النائب، وبستان مهدي الشماع بن حسين وبالطريق العام، وتحده الثاني بالطريق العام وبستان أحمد أفندي النائب، وبستان خليل بن محمد البستاني المستجدة. وتحده الثالثة وهي البستان المستجدة بمَزْرَع أحمد أفندي النائب، وبمَزْرَع السيد مهدي المذكور، وبالمَزْرَع الذي هو تبع لهذه البساتين الثلاثة.

ووقفت أيضاً الدار الواقعة في بغداد، محلة النقاشين، التي هي عبارة عن دار الحرم والديوان خانه، المحدودة بالطريق العام، وبقربنا حوش الآخور والحمام، وبمطبخنا الخارجي، وبقرب مريم شقيقة الواقعة. ويحد الحرم بدار مريم المذكورة، وبقرب محيي الدين وعبد القادر أفندي إبن صيغة الله، وبقرب الحاج محمد الأعظمي<sup>(1)</sup>، وبقرب الجوخجي، وبقرب يونس، وبقرب موسى اليهودي، وفقاً صحيحاً شرعياً على نفسها، ومن بعدها يكون الوقف والتولية إلى زوجها الحاج محمد الرواف، وعلى من سيولد له من نسله وعقبه، وإذا انقرضوا تُصَرَّف غلة الوقف على:

[المسجد الاول، وهو] المسجد المسمى مسجد السادة، الواقع في الطريق بين الطاق الأظلم وسوق السنك، وبقرب الملا عبد الفتاح بن عبد الله المفتي ببغداد، وبقرب خميس الصباغ بن جويد، وبقرب مملوكة زوجة كريم، وبقرب اولاد محمد سعيد الدباغ.

ويحد المسجد الثاني، وهو المسجد المسمى مسجد النعماني بالطريق العام والخاص وبقرب ريمة، ورثة الشيخ جمعة الكركوكي الدباغ، والسيد عبد الله الزرقلوني، وبقرب ورثة الحاج فارس الدباغ.

ويحد الثالث، وهو مسجد ظهير الدين الواقع في محلة خان الحايك، وبالطريق العام من الطرفين، وبقرب سبتي بن حسين كليب، وبقرب ورثة الحاج خميس المعماري.

ويحد الرابع وهو مسجد دكاكين حبوب، وهو صغير، بالطريق الخاص وبقرب صالح البقال، وبقرب الشيخ رجب، وبقرب الحاج بكر والي، وحمد السعيد.

(1) وهو أحد الشهود على هذه الوقفية كما سيأتي.

وجامع اللّحسائي في راس القرية، قرب خان العادلية.

ويحد المسجد السادس وهو مسجد الرواف الواقع في الزبير بسوق البزازين وبالطريق العام وبار علي النجار وبار علي الحساوي.

والمتولي على هذه الأوقاف بعد الانقراض للأعلم والأصلح من علماء بغداد يصرف نماء الوقف في كل سنة أولاً على خدام المساجد المذكورة، يعطى للإمام في مسجد السادة الأول مائة وخمسين قرش رايح بغداد، وللمؤذن مائة قرش رائج بغداد، ولساقى الماء خمسين قرش رائج بغداد، وللشريح والقناديل والحصران أربعين قرش رائج بغداد، ويعطى لكل مسجد من مسجد النعماني، ومسجد ظهير الدين، ومسجد دكاكين حبوب مائتين وأربعين قرش رايح بغداد، تُصرف على الأئمة والمؤذنين والخدمة، وللحُصْر والأباريق، وينفق أيضاً من غلة هذا الوقف خيرات للواقفة، كل يوم ختمة قرآن تاماً، في كل سنة أربعمئة قرش رائج بغداد، وللأضحيات الثلاثة في كل سنة خمسين قرشاً رايح بغداد، واحدة للواقفة، والثانية لزوجها الحاج محمد الرواف، والثالثة على روح عنبر وياقوت، مُعتقي زوجها الحاج محمد الرواف، وعلى ما تناسل منهما. وأن يُعطى لكل واحد منهما في السنة خمسمئة قرش رائج، وبعد وفاتهما على نسلهما بالسوية بلا ترتيب، وبعد الانقراض يرجع هذا المبلغ وينفق أيضاً من ثمر البساتين الثلاثة خمسمئة قرش رايح بغداد في كل سنة على الفقراء والمساكين، والناظر على المتولي العام والمُعْتَقَات أو نسلهما إن عَدَمَا أو عَدَم نسلهما فالصلحاء من أهل بغداد هو الناظر، وله في كل سنة من نماء هذا الوقف مائتا قرش رايح بغداد، والفضلة تُصرف على تعمير المساجد والبساتين والديوان خانه والحرم، ويُشترى من الفضلة بعض الدكاكين ويضاف على الوقف<sup>(1)</sup>، فاطلب تسجيل تقريري بالوقف المذكور، والحكم بصحته وفق شروطه. وبعد الترافع بالوجه الشرعي [أقر] هذا الوقف ولزومه، بخصوصه وعمومه، عالماً بالخلاف الجاري بين الأئمة الأسلاف، حكماً شرعياً، ويسجل ذلك في اليوم الخامس من ذي الحجة الشريف سنة 1236 في السجل 16 والصحيفة 47 والعدد 112 وأنا الفقير إليه عز شأنه الحاج خليل رشدي القاضي بمدينة [بغداد] المحروسة).

(1) يلاحظ هنا اعتماد الواقف في تنمية وقفه على العقارات ذات الطابع التجاري داخل المدينة، بدلاً من الأراضي الزراعية

ذُيِّلَت الوقفية بأسماء عدد كبير من الشهود هم:

- 1- السيد فتاح صادق الموصللي<sup>(1)</sup>
- 2- رواف زاده السيد عمر جليبي
- 3- ملا إسماعيل<sup>(2)</sup> إمام جامع الصياغين<sup>(3)</sup>
- 4- دباغ ملا عمر<sup>(4)</sup>
- 5- داود آغا بن ملا سليمان جوريجي<sup>(5)</sup>
- 6- رواف زاده السيد حسين جليبي
- 7- عبد الوهاب بن مصطفى آغا
- 8- حمو بن حاج يونس الموصللي
- 9- محمد أمين إبراهيم يتيّم<sup>(6)</sup>

---

(1) نوه عبد الرحمن حلمي السهروردي بفضل أسرته فقال «هو بيت سيادة وفضل، ورجاله من بلدة الموصل، استوطنوا بغداد قبل سنة 1236هـ/1820م وأخذوا بالبيع والشراء وصار لهم حظ وافر والله أعلم، واشتهر من أهل هذا البيت السيد فتاح صادق المعروف بالموصللي، وهو رجل صالح محبوب» تاريخ بيوتات بغداد ص27.

(2) هو الشيخ إسماعيل بن مصطفى الموصللي، هاجر إلى بغداد شاباً، حيث أكمل دراسته على كبار مشايخها، وتوفي سنة 1302هـ/1884. علي علاء الدين الآلوسي: الدر المنتثر ص93-95 ومحمود شكري الآلوسي: المسك الأذفر ص136، وأثنى عليه السهروردي بقوله «هو من أهل الفضل والعلم والصلاح.. صارت له شهرة فائقة بفضلته وصلاحه» تاريخ بيوتات بغداد ص28-29.

(3) جامع الصياغين أو جامع الصاغة ويعرف أيضاً بجامع الخفافين، أقدم مسجد مائل في بغداد اليوم شيد في العصر العباسي، أنشأته السيدة زمرد خاتون سنة 599هـ/1202م، وكان يعرف عصر ذلك بمسجد الحظائر.

(4) قال السهروردي «أصلهم من الموصل، سكنوا بغداد سنة 1223هـ تقريباً، وظهر [فيهم] الرجل الصالح ملا عمر الدباغ».

(5) آل الجوريه جي أسرة من وجهاء بغداد، أصلها من الموصل، وكان لها مجلس في دارهم في محلة رأس القرية في شرقي بغداد، وترددت أسماء رجالهم شهوداً على عدد من وقفيات بغداد. ينظر تاريخ بيوتات بغداد ص30 وهامش المحقق.

(6) جد هذه الأسرة هو إبراهيم بكتاش اليتيم (بالتصغير) شغل أمانة الإفتاء في بغداد، وتولى التدريس في مساجدها، ووقف جميع ممتلكاته على مسجد النورة في كرخ بغداد، ومسجد

- 10- أمين أفندي سُويدي زاده<sup>(1)</sup>
- 11- ملا محمد عُشاري<sup>(2)</sup>
- 12- الحاج محمد أعظمي<sup>(3)</sup>
- 13- الحاج عبد الرحمن أعظمي<sup>(4)</sup> بن الحاج محمد
- 14- ملا عبد الرزاق شيخلي<sup>(5)</sup>
- 15- محمد بن حاج درويش شوشه جي<sup>(6)</sup>

---

في محلة الحديثيين في الموصل، ابراهيم الدروبي: البغداديون أخبارهم ومجالسهم، ص 146-148.

(1) هو العلامة المؤرخ الأديب محمد أمين بن علي السويدي، المولود في بغداد سنة 1240 والمتوفى في بريدة في طريق أوبته من الحج سنة 1246هـ (1785-1830هـ). تقدمت سيرته في هذا الكتاب ج 1 ص 391-417 بعنوان (العلامة محمد أمين السويدي دفين بريدة) .

(2) نوه عبد الرحمن حلمي السهروردي ببيته بقوله «بيت علم وفضل في بغداد، من رجاله الملا محمد العشاري». تاريخ بيوتات بغداد ص 32، والعشاري نسبة إلى موطن الأسرة الأول، وهو بلدة (عُشار) الواقعة على ضفة نهر الخابور، وكانت تتبع في العصر العثماني لواء دير الزور من ألوية ولاية حلب.

(3) قال السهروردي (تاريخ بيوتات بغداد ص 37) «بيت الأعظمي بيت فضل وديانة من رجاله الحاج محمد الأعظمي» قلنا: ومحمد الأعظمي هذا هو السيد محمد أفندي بن السيد جعفر أفندي الأعظمي، الوارد اسمه شاهداً على وقفية محمد سعيد باشا المؤرخة في 6 صفر 1230هـ.

(4) ثوه السهروردي به وقال أنه: الحاج عبد الرحمن بن الحاج محمد الأعظمي. تاريخ بيوتات بغداد ص 37.

(5) قال السهروردي أن «بيت ملا عبد الرزاق الشيخلي من بيوت العلم، ومن رجاله عبد الرزاق المذكور» تاريخ بيوتات ص 38، وكان لهم مجلس حافل في دارهم في محلة الحيدرخانه . البغداديون ص 156-157.

(6) قال السهروردي «بيت الشوشه جي بيت تجارة، من رجاله محمد مصلح بن الحاج داود نعمة»، والشوشه: الزجاج والبلور. تاريخ بيوتات بغداد ص 38.

## نظام الاصناف في العراق

### ابان العصر العثماني

كان من الآثار المباشرة لحركة نمو المدن العراقية في العصر العثماني، وبخاصة في القرنين الثاني عشر والثالث عشر للهجرة (الثامن عشر والتاسع عشر للميلاد)، وما نجم عنها من نشاط متزايد في الحياة الاجتماعية لسائر الشرائح والفئات. أن تعاضم دور التنظيمات الاجتماعية القائمة بما من شأنه أن يحقق نوعاً من التضامن داخل كل شريحة أو فئة، وداخل المجتمع ذاته ككل، فكان بروز دور تلك التنظيمات سمة عامة من سمات القرنين الآخرين للعهد العثماني في العراق، لها دلالتها وأهميتها.

وتختلف مهمة هذه التنظيمات بين مدينة وأخرى اختلافات واضحة، يرجع أغلبها إلى طبيعة تكوين المدينة الاجتماعي والاقتصادي، كما تختلف أيضاً في وضوح إنتماءاتها للطبقات الاجتماعية التي نشأت عنها، وعلى هذا فإن أبرز تنظيمات هذا العهد، وهي: نقابات الأشراف، والطُرق الصوفية، وأصناف الحرفيين<sup>(1)</sup>، كان يفتقر إلى الحدود الفاصلة بينها عملياً، وهذا ما يؤكد حقيقة أن بعض التنظيمات قد فقد مبررات قيامه الأولى، واتخذ في هذا العهد مبررات أخرى مُستمدة من تطور المجتمعات المدنية المختلفة، كما يؤكد أيضاً أن جميع هذه التنظيمات قد أمسى يُمثل - في جوهره - مصالح الطبقات الدنيا من تلك المجتمعات، فالأشراف والطرق الصوفية والأصناف، كانوا يرتبطون - بصفة رئيسية - بمصالح طبقة واحدة تقريباً، وهي طبقة العامة، على تنوع فئاتها، فكان تعاضم أهمية هذه التنظيمات، منسجماً تماماً مع تعاضم دور تلك الطبقة وازدياد ثقلها السياسي والاقتصادي في الحياة العامة في مدن العراق آنذاك.

وفيما يتعلق بنظام (الأصناف) نجد أن تزايد النشاط الحرفي في المدن العراقية خلال القرن الثاني عشر للهجرة (الثامن عشر للميلاد)، وتطور العلاقات الانتاجية

---

(1) الصنف لغة: الطائفة من كل شيء، وكل ضرب من الأشياء صنف على حدة، وقد أورد المؤرخون القدامى كلمة (صنف) على نحو يدل على أنها استخدمت للتعبير عن الجماعات الحرفية في المجتمعات الإسلامية، وهي ما كان يشار إليه بأصحاب المهن، وأهل الصنائع، وأرباب الحرف. ينظر عبد العزيز الدوري: نشأة الأصناف والحرف في الإسلام، مجلة كلية الآداب ببغداد، 1(1959) ص 141.

بين الحرفيين من جهة، والتجار والفلاحين من جهة أخرى، قد أدى إلى تعاظم أهمية الأصناف باعتبارها تنظيمات إقتصادية - إجتماعية ذات أسس أخلاقية خاصة، تحمي أصحاب كل حرفة من التعدي، وتضمن مستوى مقبولاً للحرفة، وتحدد أسعار منتجاتها، وتنظم العلاقة بين الدولة وأرباب الحرف.

وكان من الطبيعي أن تضم هذه الأصناف أكثر الطبقات في المجتمع العراقي آنذاك نشاطاً وإنتاجاً، وأن تؤدي دورها في تماسك ذلك المجتمع إلى حد كبير. وكان شيوخ الأصناف يكون في المناسبات العامة، الأعيان والأمراء<sup>(1)</sup>

ومن المهم أن نذكر أن علاقة هذه التنظيمات بالطرق الصوفية كانت علاقة وثيقة ومتداخلة تماماً. وقد لاحظ بعض الباحثين مدى تأثير هذه الطرق في نظام الأصناف<sup>(2)</sup>، إلا أنه من غير الواضح، على وجه التحديد، طبيعة العلاقة بين النظامين إبان العهد الذي ندرسه، فبينما نجد أن الطرق تحت أتباعها على إمتهان الحرف وإتقان الصنائع<sup>(3)</sup>، وتجعل من العمل قيمة أساسية من قيمها، وتضفي عليه عمقاً روحياً خاصاً، فإننا نجد الأصناف تتجه لأن تكون طرقاتاً بذاتها، مستعيرة من الطرق الصوفية أغلب شعائرها وتقاليدها وروحانياتها المميزة لها، مثل المواكب الخاصة بأتباعها، ومواسمها في زيارة قبور مؤسسيها وأوليائها المفترضين وسلاسل مشايخها وإجازاتهم المتوارثة<sup>(4)</sup>، فكان للأصناف بوصفها تنظيمات اجتماعية، احتفالاتها ومواكبها ومواسمها الخاصة بكل منها. وتعد هذه الإحتفالات من أهم مظاهر الحياة

(1) المصدر نفسه والصفحة.

(2) Lewis, B, Islamic Guilds, Economic History Review vol. VII, PP. 28, 29

(3) لاحظ النظام الداخلي للطريقة الرفاعية في: أبو الهدى الصيادي: الطريقة الرفاعية (بغداد 1969) ص 88-92، وقد عرف هذه الطريقة بأنها «اتخاذ حرفة للمعيشة من طريق حل، وقد عد ذلك الامام الرفاعي رضي الله تعالى عنه سلوكاً وأوصى أتباعه بذلك وبإلغ بالوصية» ونقل عن الشيخ سكران البعقوبي (نسبة إلى بعقوبيا قرب بغداد) قوله: «اعمل ولو ببيع الابرة والجرة، واقصد بها الطاعة لاوامر نبيك يبارك لك في عملك وتثاب وإياك والكسل» ونقل عن أحمد الرفاعي قوله: «احترف بما تصل اليه قوتك وبيلغه امكانك ادنى حرفة من الاعمال والصنائع.. انسجوا وشى صنعا ويز فارس وخز اشبيلية بين سوارى أروقتكم بهذه القرية واجمعوا بين صنائع العرب والفرس والروم..» وانظر أيضاً عبد المجيد الخادمي: شرائط النقشبندية (مخطوط في مكتبة جامعة القاهرة) وابراهيم فصيح الحيدري، عنوان المجد في أحوال بغداد والبصرة ونجد (بغداد 1961) ص 130.

(4) أوليا جليبي سياحتنامه سي، استانبول 1314هـ، ج 1 ص 513 و 499 - 500.

الاجتماعية للصنف، ودليلاً على تضامن أعضائه، وغالباً ما يكون الاحتفال عند وصول موكب أبناء الصنف إلى مرقد الولي (البير) الذي ينسب الصنف اليه تأسيس حرفته ويعدّه حامياً له<sup>(1)</sup>، بل بلغ التداخل بين النظامين أن طريقة صوفية عُرِفَتْ في القرن الثاني عشر الهجري ( الثامن عشر للميلاد)، كانت تشتق اسمها (وهو: الشاكردية)<sup>(2)</sup>، من الاسم الخاص بالمبتدئين في الحرف (شاكرد)<sup>(3)</sup>.

ومن المرجح أن يكون هذا التشابه بين النظامين الإجتماعيين راجع إلى تأثرهما كليهما، بنظام (الفتوة) الذي عُرِفَ في بعض أقطار العالم الاسلامي، وشهد تطوراً ونضجاً واضحاً في بغداد في نهاية العصر العباسي، وكانت الفتوة، هذه، تنظيمات اجتماعية شعبية ضمت اليها أهل الصنائع في المدن الاسلامية، وتميزت بضوابط أخلاقية رفيعة، مثل المروءة والكرم والايثار<sup>(4)</sup>، وكان منها أيضاً من عُرِفَ بالشطار

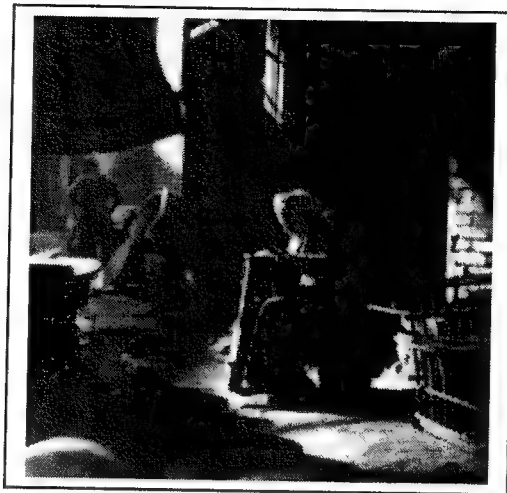
(1) من ذلك مثلاً أن جميع قصابي بغداد كانوا يحتفلون، في مواسم معينة، بزيارة الضريح المنسوب إلى (جومرد القصاب) في احد احياء بغداد الشرقية. وأن صنف الخياطين ببغداد، كان يزور بكامل هيئته، كل عام، قبر من يدعى بالسيد ادريس (في الكرادة الشرقية وسط مزارع خارج بغداد) على اساس انه كان رئيساً للخياطين أو حامياً لهم، فكانوا على ما وصف بعض معاصريهم «يحجّون اليه وهم بكامل ملابسهم الجديدة المزركشة، بما كانت تجري عليه سنن الازياء في ذلك الوقت». وكان ثمة زيارة عامة يقوم بها عدد من الأصناف إلى ضريح الصحابي سلمان الفارسي في بلدة سلمان باك (عند المدائن القديمة) وهي احتفال يظهر التضامن العام بين أهل الحرف، على اختلاف اختصاصاتهم، فسلمان، على ما يذكر أوليا جلي، الحامي الرئيس لعموم أهل الحرف، ومنه تسلسلت اجازات الأصناف إلى اصحابها.

(2) رحلة نيبور الكاملة ص225

(3) أولياً جلي سياحتنامه سي، ج1 ص604.

(4) يؤكد محمد بن أبي المكارم ابن المعمار البغدادي على أهمية قيم الفتيان وأخلاقهم، ويجعل من المروءة شرطاً أساسياً للفتوة، ويذكر مائتي خصلة يندب الفتى لفعلها، ونقل عن الجنيد البغدادي التعريف الآتي: (الفتوة كف الاذى، وبذل الندى، وترك الشكوى)، (كتاب الفتوة، تحقيق مصطفى جواد وآخرين، بغداد 1960 ص 153 و 168 و 256 - 261) وهذه الاخلاق هي التي دفعت بعض الباحثين، مثل (Hammer) إلى القول بأن نظام الفروسية الاوربي مقتبس من هذا النظام. ويرى تشنو ان حركة الفتوة بدأت حركة فروسية ارستقراطية، ثم تحولت إلى أن تكون حركة الطبقة المتوسطة في القرن 13 الميلادي، وأخيراً هبطت في القرن 15 إلى ان اصبحت حركة العوام، وهكذا اندمج الفتيان بنقابات الحرف (عبد العزيز الدوري: الأصناف والحرف الاسلامية، مجلة القضاء، (بغداد 1952) ص 12 ويرى كوبرلي أن الفتوة هي التي قلّدت الطرق الصوفية في أركانها ومواسمها، وذلك قبل ان يغلب عليها

والعيارين، وتتسم فتوتهم بسمة عملية عنيفة، لها اثر اجتماعي ثوري، وسياسي في بعض الأحيان<sup>(1)</sup>. لقد أخذت الطرق الصوفية من (الفتوة) معظم تقاليدھا وانظمتھا الداخلية ومظاهرها الاجتماعية، وعليه فقد كان من المنتظر أن يكون لكل من الصنف والفتوة والطريقة، تأثيرات متبادلة، فتأخذ الاصناف الضوابط الاخلاقية الرفيعة من أهل الفتوة، وتأخذ الطرق الصوفية اصطلاحاتها منهم.



صانع الأواني في بغداد (صورة قديمة)

من ذلك أن شيوع استعمال لفظ (الشيخ) لرئيس الصنف قد أخذ عن حركة الفتوة، وحل محل اسم (الرئيس)، وظهور شعائر احتفالية معينة مثل (الشد) وهو الإحتفال بشد المئزر على الصانع كدليل على دخوله للصنف، على نحو شبيه بشد (الخرقة) للصوفي إشارة إلى دخوله الطريقة، ومثل انتساب كل صنف إلى أحد الصحابة أو الأولياء (ويسمى: بير) بوصفه حامي الصناعة أو الحرفة وشيخها الروحي الأول<sup>(2)</sup>. وكان فقيه عالم من أهل القرن العاشر للهجرة قد سئل «فيما يعتقده أرباب

---

طابع الصناعة بانضمام (صبيان أرباب الحرف) اليها. انظر محمد فؤاد كوبرلي: قيام الدولة العثمانية، ترجمة أحمد السعيد سليمان، القاهرة ص 110 - 111.

(1) ثمة تفاصيل مهمة عن صلة الفتوة بحركة العيارين والشطار التي ظهرت في العراق منذ القرن الثاني للهجرة (الثامن للهجرة) وحتى اواخر العصر العباسي في: عبد العزيز الدوري: نشوء الاصناف والحرف في الاسلام، مجلة كلية الآداب (بغداد 1959) ص 157.

(2) جب وبوون: المجتمع الاسلامي والغرب، ترجمة أحمد عبد الرحيم مصطفى، القاهرة 1971، ج2 ص 123.

الحرف من أن كل من لم ينسب حرفته إلى صاحبها الذي اخترعها لا يُعتد به ولا يحل له تعاطيها ويحرم عليه تناول أجره عمله فيها، كالخياطة إلى إدريس، والنجارة إلى نوح، والحلاقة إلى سلمان الفارسي، وسياسة الخيل إلى قنبر، ويعتقدون ذلك شيئاً يسمى الشد عندهم، وهو أن يجتمع أهل الحرف الذين في البلدة، فيُعد لهم من يريد الشد عندهم طعاماً ولغيرهم ممن حضر المجلس» وعد الفقيه هذه المعتقدات والاحتفالات من البدع لأنه من شأنها أن تهرق من يقوم بها من الفقراء مالاً مما يضطره إلى الاستدانة<sup>(1)</sup> وهو ما دعاه إلى الإفتاء بمنعها.

يتميز (الصنف) عن التنظيمات الاجتماعية الأخرى، بتكوينه الهرمي المحكم الذي يرأسه غالباً (شيخ) منتخب من الأساتذة (الأسطوات) البارزين في الصنف، ويجمع في منصبه أكثر من وظيفة، مثل: أمين صندوق، وكاتب. ولعل من أهم مميزات هذا التكوين إبان القرنين الثاني عشر والثالث عشر للهجرة (الثامن عشر والتاسع عشر للميلاد) في العراق، تأثيره الواضح بالنظام العائلي السائد في تلك الحقبة، فكان أن تحولت مشيخة الصنف إلى منصب وراثي محض، تتوالاه في كل حرفة أسرة معينة مبرزة في صنفها<sup>(2)</sup>، على أن ذلك كان يستلزم موافقة أساتذة الصنف مما يُبقي صفة الانتخاب. وبظل الشيخ في منصبه مدى الحياة ما لم يصدر منه ما يوجب إبداله بسواه، ومن المحتمل أن يُعرف هذا الشيخ باسم كهية، أو كَتخدا<sup>(3)</sup>، وهو لقب بقي معروفاً في المدن العراقية حتى مطلع القرن العشرين. ويتولى الشيخ أو الكتخدا مسؤوليات عديدة فيما يتصل بأعضاء صنفه، فهو يُشرف على شؤونهم الإدارية والمالية، ويحل النزاعات بينهم، ويرأس هيئة الإدارة، ويرعى المراسيم والحفلات، ويقوم بالنظارة الدائمة على أحوال الصنف، وتمثيل مصالحه لدى السلطات، وبشكل (الأساتذة) وهم (الأسطوات) القسم الرئيسي من الصنف، ويتمثل بأرباب الحرف

(1) خير الدين الرملي: الفتاوى الخيرية لنفع البرية، القاهرة 1300هـ، ص 235.

(2) نيقولا سيوفي: مجموع الكتابات المحررة على ابنية الموصل، تحقيق سعيد الديوه جي، بغداد 1956، ص 57 حاشية.

(3) الكتخدا، وتخفيفه: كهية: كاهية، اصطلاح فارسي مركب بمعنى صاحب الدار، وهو يطلق على وظائف متعددة متنوعة، منها مساعد الوالي ومعاونه. ويلاحظ ان محلات المدن العراقية الرئيسية، مثل بغداد والموصل والبصرة، كان يرأسها، في العصر العثماني، رؤساء يحملون لقب كتخدا هذا. سجلات الدولة العثمانية Tapu Defteri، سجلات ولاية بغداد، دفتر 1028، ورقة 361 وولاية الموصل دفتر 195 و 660 ومدينة البصرة دفتر 282 ورقة 442.

وأصحاب المشاغل اليدوية، وأصحاب العمل للفئات الأخرى من الصنف مثل الصناع والمبتدئين<sup>(1)</sup>، وقد ظلت تلك الفئة هي المسيطرة على أحوال الحرفة، حتى بعد انهيار نظام الأصناف في بدايات القرن العشرين.

ويلى الاستاذ - عادة - من يُعرف باسم (الخليفة) أو (الخلفة) وهو ينوب عن أستاذه في العمل أحياناً، ويتبعه، ويتعلم منه، ثم (الصانع)، وأخيراً المبتدئ (الشاكرد) الذي يلتحق بالعمل طلباً لتعلمه فهو أشبه بالتلميذ لأستاذه. ولقد ظل المصطلحان الأولان مستخدمين في الحياة الحرفية في العراق حتى عهد قريب، بل إلى الآن أحياناً، أما مصطلح (الشاكرد) فقد لاحظنا أنه اطلق، في القرن الثاني عشر الهجري (الثامن عشر للميلاد)، على طريقة صوفية، لا على فئة معينة من أهل الحرف، وفي الواقع فأنا ما زلنا في حاجة إلى معلومات عن هذه الناحية.

ولقد كُفّلت قوانين العصر لأعضاء الأصناف، مكانة خاصة تميزهم عن غيرهم من أهل المهن الأخرى في المجتمع، فنرى أن فقيهاً بغدادياً من أهل القرن الحادي عشر (السابع عشر الميلادي)<sup>(2)</sup> يميز بين نوعين من الأجراء، وهما الأجير المشترك (وهو الذي يستحق الأجرة بالعمل لا بتسليم النفس) والأجير الخاص (وهو الذي يستحق الأجر بتسليم نفسه في المدة المتعاقد عليها وإن لم يعمل)<sup>(3)</sup> فالحدّاد والنسّاج والطبيب هم أجراء مشتركون لأنهم يقومون بأعمال خدمة لعدد مختلف من الناس في الوقت الواحد، وهم لذلك يتمتعون بالحقوق الهامة المكفولة لهذا النوع من الأجراء، وأهمها توفر استقلال شخصياتهم من عملائهم، فهم - بحسب هذه القاعدة - أرباب عمل حقيقيون، وليسوا أجراء عاديين.

ويقدم الفقيه البغدادي المذكور أمثلة متنوعة على ما كان سائداً من حقوق حرفيي الأصناف في عهده. فمثلاً لا يُسأل الحارس المستأجر لحفظ الخان إذا ما

---

(1) انظر جب ويون ج 2 ص 124 - 125 وكوبرلي: مصدر سابق 101 و Massignon مقالة sinf في Enc. Of Islam

(2) غانم بن محمد البغدادي الحنفي المدرس في المدرسة المستنصرية (توفي سنة 1620م/ 1030هـ): مجمع الضمانات في مذهب الامام ابي حنيفة النعمان (مخطوط في مكتبة الأوقاف المركزية ببغداد).

(3) مجمع الضمانات، الورقة 10

سَرَق ولا يطالب بتعويض «لأنه يحفظ الأبواب، أما الأموال فهي بيد أربابها»<sup>(1)</sup>، وصاحب الخان المستأجر لحفظ الأمتعة غير مسؤول إذا ما سطا سارق على أمتعته أثناء غيابه، وكذلك لا يدفع الحريق، مثل: النساج والحداد والقصار (المشتغل بقصر ألوان الملابس) والدباغ، تعويضاً عن شئ فقد من محل حرفته أو تلف بغير سبب منه، حتى لو ترك محله ذاك في وقت كثر فيه اللصوص<sup>(2)</sup>، وجعل للحرفيين الذين لعملهم أثر كالصباغ حقاً في الاحتفاظ بالسلعة عند مماطلته بالسعر، وهو ليس مسؤولاً عنها إذا ما تلفت أو فقدت<sup>(3)</sup>، وأعفى الأطباء والجراحين عموماً من مغبة أعمالهم إذا ما هلك مرضاهم، دون سبب منهم واضح<sup>(4)</sup>، كما أعفى الملاحين من المسؤولية إذا ما غرقت سفنهم المحملة ببضائع غيرهم، حتى وإن كان غرقها بسبب عطب فيها<sup>(5)</sup>.

أما الأجير الخاص، فهو على ما تدل الأحكام الخاصة به، تابع للحريق، وهو في الغالب مُستأجر لديه، ولهذا فليست له شخصية خاصة به عن مخدومه، وهو يستحق أجرته منه في كل الأحوال، حتى في حالة تعطله عن العمل<sup>(6)</sup> لأنه محسوب عليه ولا مورد له من سواه. ويبدو أن هذا الأجير لم يكن في معظم الأحيان إلا تلميذ الحريق أو صبيّه، إذ يؤكد البغدادي على عدم قيام المعلم، أو الأستاذ، بضرب صبيه، أو تلميذه، إلا بإذن أبيه أو وليّه<sup>(7)</sup>، وإذا ما أذن للصبي بالترقي إلى مرتبة (الصانع) اختلف وضعه القانوني، فيتحمل عند ذلك مسؤولية كاملة تجاه رب عمله (الحريق) فهو يعوّض ما يفقد منه أو يتلفه من سلع على عكس زميله غير المأذون، الذي يتحمل عنه مخدومه مسؤولية أعماله كافة<sup>(8)</sup>.

ويحدد مؤلف عراقي مجهول، في مخطوطته عن تقاليد صنف الحلاقين كتبت في القرن الثاني عشر، ما يجب أن يكون عليه (الحريق) الذي هو عنده (المُزِين) باثني عشر شرطاً، هي:

(1) المصدر نفسه، الورقة 15.

(2) المصدر نفسه

(3) المصدر نفسه، الورقة 22 (ضمان الصباغ).

(4) المصدر نفسه، الورقة 25 فصل (ضمان الفصاد ومن بمعناه).

(5) المصدر نفسه، الورقة 26 فصل (ضمان الملاح).

(6) المصدر نفسه، الورقة 14 فصل (في الأجير).

(7) المصدر نفسه، الورقة 22 فصل (ضمان المعلم ومن بمعناه).

(8) المصدر نفسه، الورقة 14.

- 1- أن لا يخدم أستاذاً ما خدم أستاذاً ولا هو داخل في معرفة الاستاذين (كذا).
  - 2- أن يخدم أستاذاً عارفاً بأركان الصناعة وقواعدها وشروطها حتى يضع كل شئ في موضعه من الشروط والقواعد ولا يُنكر على أستاذه لئلا ينكر عليه.
  - 3- أن يكون مع الناس حاضراً في خدمتهم وناصباً لهم ومحترماً ومُعزاً لهم وقائماً بحقوقهم.
  - 4- أن يأخذ العهد والبيعة من يد أستاذه ويستأذنه ويطلب منه الرخصة في الصناعة.
  - 5- أن يعيش بالكد الحلال ويقنع به وإن كان قليلاً.
  - 6- أن يكون مواظباً على الفروض الخمسة في الأوقات الخمسة ويكون صاحب عبادة وذكر لله تعالى على كل حال وإن يكون حامداً شاكراً ذاكراً لله تعالى قانعاً بما قسم الله له.
  - 7- ترك الهوى وحفظ النفس والتكبر بل يكون متواضعاً خاشعاً خاضعاً عفيفاً لطيفاً.
  - 8- أن يكون إذا رأى [شعر] رأس أحد من المسلمين طويلاً يُزينه ولا يُخلجه في الثمن، فإنه ربما يكون لا يملك الثمن في وقته ذلك، بل إذا أعطاه شيئاً أخذه منه بالقبول والبركة قليلاً كان أو كثيراً، وأن يعطه شيئاً لا يطالبه فربما يكون صفر اليدين.
  - 9- أن ينظر إلى الغني والفقير بعين واحدة ويكون في خدمتهم سواء.
  - 10- أن يُفرّق بين المؤمن والمنافق فإذا حَضَرَهُ (كذا) مؤمن ومنافق فيُقدّم المؤمن على المنافق.. وإذا حضر شريف وعامي فيُقدّم تزيين الشريف لشرفه.
  - 11- أن يكون إذا رأى في جسد إنسان عيباً وخللاً فلا يظهره على الناس بل يكتمه ويستره.
  - 12- أن يكون عارفاً بقواعد الصناعة عارفاً بشرايطها وأركانها وما يحتاج اليه في صنّعه<sup>(1)</sup>.
- ويحدد صاحب المخطوطة المذكورة طبيعة العلاقة بين الصانع الحرفي (المُزِين) وأستاذه، فيقول: «يجب عليه أن يكون في خدمة أستاذه كالميت بين يدي المُغسل،

(1) مجهول: رسالة في حلاقة الرأس، مخطوط في المكتبة القادرية ببغداد، الورقة 12-18.

والصانع لا يكون صاحب حُجَّة على أستاذه، ويجب على الأستاذ أن يُعلم صانعه النصيحة، وأن يذهب به إلى المرشد الكامل حتى لا يبقى للصانع حق على أستاذه. وله - أي لأستاذه - أن يمنع صانعه من اللعب والطرب واللهو، ولا يفتاض على صانعه من غير ذنب، ولا يضربه بغير سبب، ولا يعمل في تعليمه له تقصيراً، وإذا كان عند أستاذه معرفة غريبة يُعلِّمها لصانعه، وكلما كان عنده من الصنائع يُظهره عليه، ولا يخرج الصانع من عند أستاذه إلا بإذنه<sup>(1)</sup>.

ويبدو أن الرقابة على الأصناف والحرف ازدادت إبان العصر العثماني، فخضعت الأصناف إلى إشراف مُوَحَّد، وذلك بأن جُعِلَت تحت (مشيخة) عامة واحدة، وفُرضت عليها الضرائب بالضمان أو بالالتزام، فكان للحرف ضامن ملتزم أمام حكومة الولاية بتحصيل الضرائب على أهل الأصناف، وهو أمر أدَّى إلى أن يُسمَّى شيخ الأصناف مسؤولاً أمام الضامن مباشرة، وليس أمام الحكومة<sup>(2)</sup>. ويفهم مما أورده المؤرخ الموصلي محمد أمين العمري (توفي سنة 1201هـ/1786م) أنه كان على هذا الشيخ أن ينظم حساباته في (دفتر) خاص يبين فيه ما يُنفقه وسبب انفاقه، وأنه كان عليه أن يُقدِّم دفتره إلى الضامن ليُشرف بنفسه على سير الأمور المالية للأصناف بأسرها<sup>(3)</sup>.

وكان لكل نوع من الأصناف قانون خاص يعرف به (الدستور) تتعلق أحكامه بالأمور المالية للصنف وبخاصة ما يتصل بتحديد أجور الصانع، وتقدير كمية الانتاج، والضرائب المفروضة على الصنف. وتكشف سجلات ولاية البصرة العثمانية (القرن العاشر/السادس عشر الميلادي) عن وجود عدد كبير من (دساتير العمل) هذه، فكان هناك دستور للقصابين وللدبّاغين وللخصّافين<sup>(4)</sup> وللعطارين، ولدلالي الأقمشة والعقاقير، وكان هناك أيضاً دستور لصبّاغِي الغُزول وغيرها يحدد أسعار الصُبّغ، وآخر للملاحين<sup>(5)</sup>.

(1) المصدر نفسه، الورقة 21.

(2) كتابنا: الموصل في العهد العثماني، النجف 1975، ص 291.

(3) منهل الاولياء ومشرب الأصفياء من سادات الموصل الحدباء، تحقيق سعيد الديوه جي، الموصل 1967، ج 1 ص 132.

(4) الخصّاف المشتغل بكبس التمر.

(5) الأرشيف العثماني، سجلات ولاية البصرة، دفتر 282، الورقة 425-429.



الصناعة العامة التي يملكها الصنف برمته، كأن تكون على المصايغ (بويه خانه) ودور النسيج (ابريسم خانه) ومواقد النار لإذابة القار (القيز خانه) والمخابز (يمك كارخانه) والممالح، وفُرضت أيضاً على الدكاكين والأسواق<sup>(1)</sup>.

وكان لتزايد النشاط الاقتصادي في مدن العراق، في أوائل القرن الثالث عشر للهجرة (أواخر القرن الثامن عشر للميلاد)، أثره في زيادة أهمية ضمان الأسواق والمرافق الاقتصادية وما يدره ذلك من أموال، فسجّل (إلتزام) سوق الغزل ببغداد، وهو السوق المختص ببيع الغزول اللازمة للنسيج، زيادة سنوية مستمرة خلال السنوات زيادة سنوية مستمرة خلال السنوات 1212 – 1216 هـ/1767-1801م على النحو الآتي<sup>(2)</sup>:

2250	1212
4000	1213
4500	1214
5000	1215
5400	1216

وبلغ من نفوذ السلطة السياسية على شؤون الأصناف، أن تولّى الوالي نفسه إدارة تلك الشؤون أو الإشراف عليها من النواحي المالية، وهو ما كان يحدث في الموصل إبان القرن الثالث عشر للهجرة (القرن التاسع عشر للميلاد)، حيث كانت عملية البيع تجري بين الأصناف بالدين، بضمانة الوالي نفسه، ويحتفظ الأخير بسندات الصفقة في خزانة الولاية<sup>(3)</sup>، ويحدد صاحب تاريخ ماردين<sup>(4)</sup> أواسط القرن الثاني عشر تاريخاً لقيام السلطات المحلية بالاقتراض المنظم من الأصناف، ومن ثم بدايةً جدية لتدخلها في شؤونها المالية مباشرة. فيقول في ترجمة (الخزينة كاتبي محمد أفندي) متسلم ماردين، وكانت يومذاك جزءاً من ولاية بغداد «ثم حَكَم الخزينة كاتبي محمد أفندي سنة 1155 هـ/1742م، وحُكمه أربع سنين.. وهو الذي

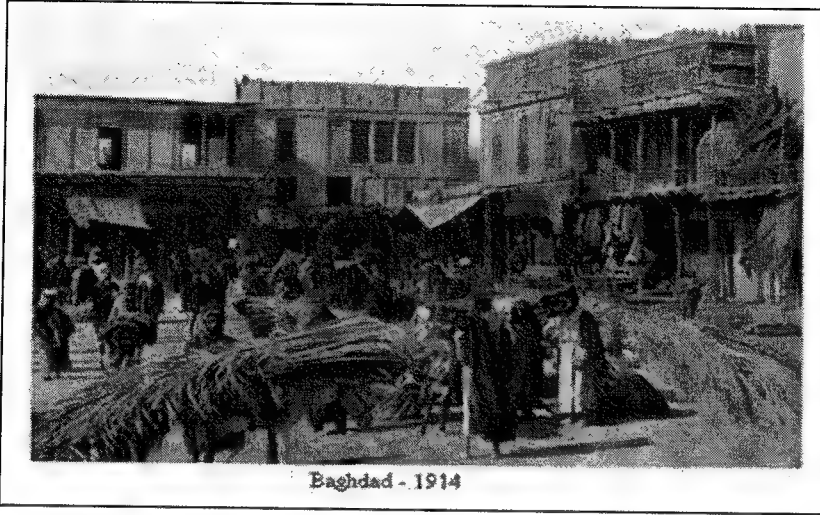
(1) سجلات ولاية البصرة، دفتر 282 ورقة 425.

(2) المحكمة الشرعية ببغداد، سجل 6 قديم، ورقة 34.

(3) مجهول: القوانين السلفية، مخطوط في دار المخطوطات العراقية ببغداد، الورقة 18.

(4) عبد السلام المفتي المارديني: تاريخ ماردين، مخطوط في دار الكتب المصرية، الورقة 141.

أبدع الدين على أهل الحرفة، وكان يعطيهم بذلك صكاً مختوماً، فاذا أراد أداء دينه أعطي من الأموال ما أراد بمقدار ما يريد كما هو المعتاد في هذا الزمان».



سوق قديم ببغداد سنة 1914

ويبدو أن للأسباب المالية والإدارية دورها في ضم عدد من الأصناف المتشابهة حرفها، ضمن صنف واحد. إذ تشير نصوص تاريخية<sup>(1)</sup> إلى أنه كان في الموصل سبعة أصناف، يرأسها شيخ يُعرف باسم (شيخ الأصناف السبعة). وأغلب الظن أن تحديد عدد الأصناف بسبعة فقط، لم يكن إلا تحديداً رسمياً، هدفه توحيد إدارة كل مجموعة من الأصناف المتقاربة المهن، في صنف واحد رئيس، تسهياً للإشراف على الحرف العديدة التي كانت منتشرة في ولاية الموصل آنذاك، وضم الجميع تحت (مَشِيخة) عامة واحدة<sup>(2)</sup>.

وليست ثمة معلومات دقيقة عن عدد الأصناف في المدن العراقية إبان العصر العثماني، ويقدم لنا مؤلف فقهي مهم، كتب في القرن الحادي عشر (السابع عشر للميلاد)<sup>(3)</sup>

(1) امين العمري: منهل الاولياء ج1 ص142-143.

(2) كان عدد الاصناف في حلب المجاورة (72) صنفاً، وعلى كل واحد شيخ (توتل: وثائق تاريخية عن حلب، بيروت 1958)، ويذكر الجبرتي نحو 70 أو 72 (صنف) في القاهرة، وهو يماثل ما كان موجوداً في حلب (جب ويون ج2 ص139) ومن المحتمل ان يكون هذا الرقم عدداً تقليدياً للأصناف في أكثر من مدينة، منها الموصل ذاتها، وذلك على افتراض ان وجود سبعة اصناف فيها يمثل اختزالاً شكلياً للعدد المذكور، أما القسطنطينية فقد كان فيها (1001) صنفاً، وهو عدد رمزي كما يبدو، يشكون 57 شعبة. انظر أوليا جلبي سياحاته سي ج1 ص604 الى 669.

(3) غانم البغدادي: مجمع الضمانات، الورقة 7-25.

عرضاً لأسماء الحرف الرئيسية القائمة في عهده والتي تبلغ الأربعين، ويمكن القول استناداً إلى ما يصفه المؤلف من الوضع القانوني الخاص بكل نوع من الحرف، بأن هذه الحرف كانت تشكل (أصنافاً) قانونية قائمة بذاتها، وأصحاب تلك الحرف هم:

القصّابون، الطبّاخون، الطحّانون، الخبازون، النساجون، الحياك، الخياطون، القصّارون، الصباغون، الصياغ، الصيّقليون (صاقلو السيوف)، الفصّادون، الحجّارون، الختانون، الكحالون (أطباء العيون) البياطرة، الملاحون، الوراقون، الغلافون، الكتّاب، الإسكافيون، الخفافون، النجّارون، الدلالون، السماسرة، البياعون، النحاسون، دلالو الأراضي، الحرّاس، الخانيون (أصحاب خانات التجار)، المكاريون والحمالون.

ومن الواضح أن هذه القائمة أغفلت أصنافاً أخرى من الحرفيين مثل السقائين والنحاسين والأطباء والحدادين.. الخ، وأنها لم تذكر إلاّ قسماً يسيراً منهم فقط<sup>(1)</sup>. ويعقد الرحالة التركي أوليا جلبي، في كتاب سياحته، (وكان قد زار بغداد في منتصف القرن الحادي عشر الهجري) فصلاً خاصاً بـ(الحرف والصناعات) ببغداد، لكنه لا يشير إلى أكثر من خمسة أصناف رئيسية، هم صنّاع السروج، والصاغة، والخياطون، والحدادون، وصنّاع السيوف<sup>(2)</sup>.

وقد استخلصنا من نصوص الوقفيات التي وقفها بغداديون خلال العصر العثماني، أسماء الاسواق المنسوبة الى ما كانت تختص به من حرف مختلفة، فبلغت نحو خمسين سوقاً، ابرزها اسواق:

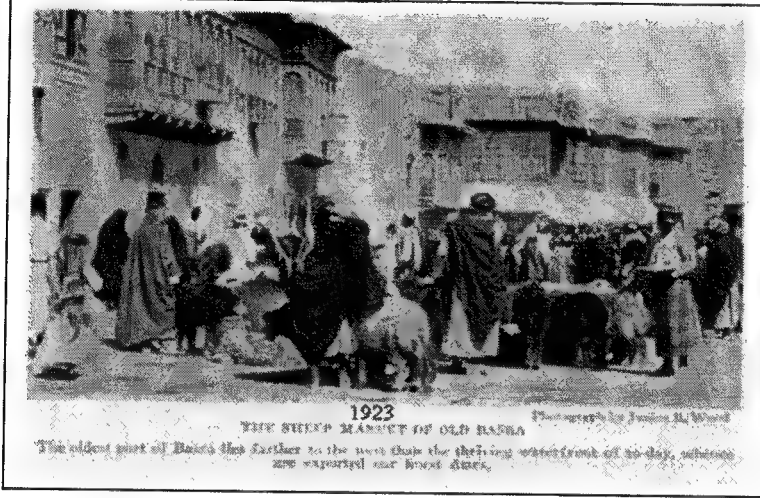
اسكيجيلر (باعة المواد القديمة)، الاطرقجية (باغة الامتعة المستعملة)، البزازين، البقالون، البلطه جية، البالانجية، التّمارة، الجبقجية، جوخجية، الحدادين، الحرير، الخردة فروشية، خونداقجية، الخياطين، الدقاقين، الدنكجية، الدهانة، السبزه راتجية، السراجين، السريرجية، الشعريافية، الصباغين، صبايغ الآل، الصحاحيف،

(1) ثمة أنواع من الحرفيين، اشار اليهم المؤلف، لا يدخلون -فيما يبدو- ضمن الهيئة الاجتماعية للمدينة، وانما هم ريفيون، وان كانوا يؤدّون خدمات معينة لاهل المدن، مثل: الرعاة، ورعاة البقر، ويشير أوليا جلبي الى اختصاص الفلاحين باستانبول بصنف مستقل، ينتسب الى احد الاولياء (الأيبار - جمع بير) وهو منصور القطان المدفون في المدائن جنوب بغداد (اوليا جلبي سيا حتمامه سي 1 ج 1 ص 589) على أن هذا الصنف كان لا يشمل -فيما يبدو- الا الفلاحين القاطنين في المناطق المحلية من العاصمة (جب ويوون ج 2 ص 213).

(2) أوليا جبي سبا حتمامه سي ج 4 ص 422.

الصفارين، الصياغ، العطاطير، الغزل، القزازين، القطن، الفحم، الذهب، القوافين. وثمة حرف أخرى كثيرة يزوالها أصحابها في أسواق مشتركة، أو أسواق تنسب إلى محلات أو أعلام<sup>(1)</sup>.

وتشير قائمة أحياء بغداد وعقودها التي وضعها الكوماندز فليكس جونز في سنة 1846، إلى نحو سبعين صنفاً متميزاً مستقلاً<sup>(2)</sup>، وتشمل أغلب ما تحتاجه المدينة، في ذلك العهد، من منتجات وخدمات مختلفة<sup>(3)</sup>.



### سوق لبيع الماشية في البصرة القديمة 1923

وزاد من أثر الأصناف في الإدارة وفي توجيه الحكام، إنضمام معظم الحرفيين إلى أورطاط (فرق) الجيش الانكشاري المربطة في المدن العراقية<sup>(4)</sup> وإداؤهم، من

(1) كتابنا: معالم بغداد في القرون المتأخرة، ط2، الوقف السني، بغداد 2016، ص 827-361

(2) Jones. F.. Selection from the Record of Bombay Government (Bombay 1954) pp. 312. 338

(3) ذكر الشيخ جلال الحنفي في كتابه (الصناعات والحرف البغدادية) بغداد 1966، جملة كبيرة من تلك المهن والحرف، تؤلف نحواً من ثلاثين مجموعة حرفية، أغلبها مما كان معروفاً في القرن التاسع عشر.

(4) يذكر روسو (Rousseau) أن سكان بغداد كانوا يتكونون بأسرهم من الانكشارية الذين يقومون بممارسة التجارة والصناعة (جب ويوون ج2 ص140) ويمكن القول أن الوضع نفسه كان موجوداً في كل من الموصل والبصرة، حيث يذكر الاب دومنيكولانزا (Lanza) في معرض كلامه على الموصل، أن «كل الاتراك (يقصد المسلمين) تقريباً ينتسبون إلى إحدى الأورطاط

خلال تلك الأورطات، أدواراً مختلفة انحدر بعضها إلى مستوى الفوضى والتخريب، وتشير وثائق عثمانية ترقى إلى أواخر القرن العاشر الهجري (16م) إلى أن تلك الظاهرة بدأت في وقت مبكر، ففي سنة 985هـ/1571م أصدر السلطان حكماً إلى أمير أمراء بغداد يقضي بعدم تعيين (المحليين) في سلك القوات المسلحة<sup>(1)</sup>، وبلغ من خطورة هذه الظاهرة أن فئات غير منضبطة صارت تُدخل نفسها في عداد هذه القوات، فيرتكبون بإسمها أنواعاً من التعديات. ويؤشر حكمٌ موجه إلى قاضي الموصل في سنة 1119هـ/1707م إلى أن بعض الناس من سكان الموصل صاروا يذهبون إلى بغداد وإلى كركوك، وحينما يعودون إلى بلدهم يدعون أنهم صاروا في عداد سلك الإنكشارية، ويقومون بتشكيل جمعيات للإفساد والتخريب، ويطلب الحكم بملاحقة هؤلاء ومعاقتهم<sup>(2)</sup>. وفي سنة 1191هـ/1777م، عرّض (عامّة البلد) في ماردين، على السلطان عبد الحميد الأول، إعادة تشكيل أوجاغ (صنف) للإنكشارية كانت الدولة قد استحدثته في البلدة في أول عهدها فيها ثم ألغته «والتمسوا أن يخرطهم في سلك الينكجارية (الانكشارية) ويراعوا شروطها العرفية كما هو القانون المعتاد، ويكونوا من عسكر السلطان كسائر البلاد، وغرضهم من ذلك أن يكونوا على الإتفاق لئلا يجور عليهم أهل البغي والنفاق، مع أن التدابير لا تغلب التقادير.. فأجابهم السلطان إلى ما طلبوا وأدخلهم في هذا الأوجاغ، ثم أنهم شرعوا بالزنا وشرب الخمر، وتعاملوا بأنواع الفسق والفجور، فمنهم من كان يمنع حقوق العوام، وبطل بينهم الشرع وحكم الحكام، وصاروا كأنهم عمالقة من بني حام.. ثم أنهم هجموا يوماً على الويوّده (متسلم وحاكم) عرب علي اغا، وقتلوه وقتلوا خزينة داره سليمان أغا»<sup>(3)</sup>. وفي عام 1225هـ/1810م لبس أهل الأسواق ببغداد سلاحهم وعزموا على قتل قائممقام المدينة، ولم يثبهم عن عزمهم سوى إستعانة القائم مقام المذكور بقوات القبائل المجاورة<sup>(4)</sup>.

---

ليحتموا بواسطتها من الغير» (مذكرات دمنيكو لانزا، ترجمة روفائيل بيداويد، الموصل 1952، ص 58 حاشية).

(1) الأرشيف العثماني، دفتر مهمة 20 ص 81 في 8 صفر 985

(2) الأرشيف العثماني، دفتر مهمة 115 ص 255 في أواخر ربيع الآخر 1119

(3) تاريخ ماردين، الورقة 144.

(4) ياسين العمري: غرائب الاثر في ريع القرن الثالث عشر، الموصل 1940، ص 120.



سوق السرجانة القديم في بغداد

على أنه تجدر الإشارة هنا الى ان الأصناف لم تستطع ان تبلغ في فعاليتها السياسية حداً يمكنها من الاستحواذ على السلطة في المدن. حقيقة أنهم كانوا دوماً عنصراً له أهميته من الناحية الاقتصادية، إلا أنهم لم يتمتعوا بنفوذ سياسي مؤثر على نفس المستوى<sup>(1)</sup>. ولقد بقيت طبقة التجار، بما لها من تحكم في تصدير السلع المنتجة وتوريد مواد التصنيع الخام، تمارس سيطرتها على السوق المحلية، ومن ثم على وضع الأصناف الاقتصادي نفسه. وبوصول تلك الطبقة، في بعض المدن العراقية إلى السلطة السياسية<sup>(2)</sup>، وتمكنهم في البعض الآخر من التأثير على تلك السلطة<sup>(3)</sup>، فإن سيطرة التجار على الأصناف أصبحت ذات مدلول سياسي أيضاً، إذ باتت طبقة التجار تشكل حائلاً فعالاً يقف بين الأصناف وبين السلطة السياسية ويمنعها من نيل إمتيازات رئيسية كالتى نالتها مثيلاتها في أوروبا، وهو أمر كان من شأنه أن يجعل نظرة هذه الأصناف إلى السلطة البلدية والمركزية مشوبة بكثير من الشك والريبة<sup>(4)</sup>، وأن تتضافر

(1) Bonne, Alfred : state and Economic in the Middle East. P, 50.

(2) وهو ما حدث في ولاية الموصل في عهد آل الجليلي.

(3) وهذا ما حدث في ولاية بغداد ابان عهد المماليك.

(4) Bonne, A. OP. Cit., P. 51

مع التنظيمات الإجتماعية الأخرى، كالطرق الصوفية والتجمعات الشعبية التي تقودها نقابات الأشراف، في الوقوف أمام تلك السلطة. على أن مثل هذا الموقف لم يكن يمنع - أحياناً - من أن تتخذ الأصناف موقفاً مؤيداً للسلطة المحلية المتمثلة بنظام المماليك، وبخاصة عند تعرض هذا النظام لمحاولات السلطة المركزية العثمانية في التدخل في الشؤون الداخلية للولايات العراقية. من ذلك ما حدث سنة 1192هـ/1778م، حينما انضمت الأحياء التي تمثل مراكز ثقل هذه التنظيمات، وهي باب الشيخ (مركز قيادة الطرق الصوفية ونقابة الأشراف) والشورجة (مركز تجمع التجار والحرفيين) ورأس القرية (مركز الأسواق)، إلى جانب القيادة المملوكية البغدادية، مناوئين بذلك محاولة الدولة العثمانية فرض والٍ دخیل على الولاية<sup>(1)</sup>. وجبنا أعلنت تلك التجمعات تأييدها لحكم المماليك إزاء جيش الدولة المركزية الذي يقوده علي رضا باشا سنة 1247هـ/1831م لذلك لم يكن غريباً أن تفرض الدولة الضرائب الفادحة، بل الغرامات، على الأصناف إثر سقوط نظام المماليك، عقاباً لها على موقفها المساند لهذا النظام. ويذكر المؤرخ عبد الرحمن حلمي العباسي السهروردي (توفي 1287هـ/1870م) ناقلاً عن أبيه الذي عاصر زوال المماليك ودخول علي رضا باشا بغداد أن الأخير «وضع ضرائب على التجار والبزازين والخفافين والحدادين والعطارين وغيرهم من الوجوه والأغنياء، فالذي لم يدفع يُحبس ويُضرب»<sup>(2)</sup>.

وعلى الرغم من الطابع الديني الصوفي الذي كان يسود الأصناف إبان هذا العهد، فقد ضمت الأصناف المذكورة مختلف الطوائف الدينية دونما تمييز إداري يذكر، وذكر عبد الرحمن السهروردي في نصّه المتقدم أن علي رضا باشا لم يميز في فرضه الضرائب بين «[أهل] الإسلام واليهود والنصارى». وكان معظم تلك الأصناف منظماً بحسب التخصصات المهنية المميزة للطوائف الدينية المختلفة، فمهنة الصيدلة والصياغة، إلى جانب معظم التجارة في المواد الغذائية، كانت حكراً على المسلمين، في حين كانت الصيرفة والتجارة في الذهب والفضة من نصيب

---

وللمقارنة بين الاصناف في أوروبا والشرق الاسلامي، أنظر: ماسنيون، لويس: الهيئات الحرفية والمدنية الاسلامية. مجلة المورد 3 (بغداد 1973) ص 18-19.

Economic history of the Middle East, P. 30 Hersbiac, Z.Y.. Introduction to the Modern

(1) عبد الرحمن السويدي: تاريخ حوادث بغداد والبصرة، ص 51

(2) تاريخ بيوتات بغداد في القرن الثالث عشر للهجرة، ص 71.

أصناف يغلب عليها الذميون، وبلغ هذا التخصص في الأصناف حد أن كانت مهن معينة، مثل صياغة الفضة والتطعيم بالمينا حكراً على طائفة الصابئة، بينما بقيت صياغة الذهب بيد المسلمين، وظل نحت الرُخام مهنة خاصة بالنصارى في الموصل، في حين اختص المسلمون بعملية البناء والعمارة.



سوق الصفارين في بغداد

ويبدو أن للعلاقات القبليّة دورها أيضاً في تنظيم التخصصات المختلفة للأصناف، وهو أمر معقد اختصت به مدن العراق إبان العصر العثماني، وبخاصة في القرن الثالث عشر (التاسع عشر الميلادي)، حين اشتدت الهجرة القبليّة والريفية إلى المدن. وفيما يأتي نماذج لهذه الحالة الاجتماعيّة في مدينة بغداد<sup>(1)</sup>:

الحمالون: عشيرة البو مُفْرَج.

العلوّجية (وهم أصحاب منائر المنتوجات الزراعيّة، أو أسواق الجملة): عشيرة الكُروية.

الحماميون والحمالون: عشيرة البو عَجيل.

الطباخون: عشيرة بني عز.

العكّامون (وهم خدم القوافل وحراسها) عشيرة البو صقر والجنابيون والسواكن.

صناع الحُصُر: عشيرة الجعيفر

(1) محمد خورشيد: سياحتهاه حدود، ط. حجر استانبول، ص213-216.

أهل الاطعمة (الأكمكجيون): جماعة الفلاحات.

المكاريون: جماعة الوشاحات.

القصابون: عشيرة المهديّة.

الفحامون: عشيرة جميلة.

بوابو (حراس) المخافر: عشيرة البوشبل.

ولم يقتصر هذا الوضع على بغداد فحسب، بل تعداها إلى مختلف المدن العراقية كالحلة<sup>(1)</sup> وكركوك<sup>(2)</sup> وغيرها.

ولم يقف نمو طبقة التجار وسيطرتها على السوق المحلية عند حد ممارسة نفوذها على الحياة السياسية فحسب، بل تعداه، في القرن المذكور، ولاسيما في النصف الثاني منه، إلى أن يُوسّع أولئك التجار نشاطهم متعاونين مع الجاليات الاجنبية، أو من يرتبط بمصالحها كالأرمن واليهود وبعض الأسر المسيحية الحلبية، فيفتحون بذلك الأسواق المحلية على مصراعيها، أمام البضائع الصناعية الأوربية الرخيصة. وهكذا فقد احتلت تلك البضائع الأسواق مُنافسة الإنتاج المحلي على نحو خطير، وانخفض في الوقت نفسه، استيراد الخامات نصف المصنوعة التي يحتاجها الحرفيون عادة في أعمالهم، وخاصة منها الغزول والأصباغ (النيلة) مما أدى إلى ركود مضطرب في الحياة الإقتصادية والإجتماعية للأصناف عامة، فانخفض -مثلاً- عدد ورش النسيج في بغداد من 12.000 معمل في منتصف القرن التاسع عشر إلى بضع مئات في بداية القرن العشرين<sup>(3)</sup>، ومثل ذلك ما حدث في البصرة، حيث اختفت تقريباً صناعة أنواع من النسيج المحلي عُرفت بها، وفي الموصل أيضاً، التي طالما اشتهرت بقماشها (الموصلين) الثمين. وبازدياد استيراد الأواني المعدنية المطلية من أوروبا، تقلصت صناعة النحاس المحلية إلى حد كبير<sup>(4)</sup>، بعد أن وصفت في القرن الثامن عشر بأنها تفوق المصنوعات الأوربية إتقاناً وجودة<sup>(5)</sup>، وعجزت صناعة النفط المحلية والأسفلت في (مندلي) و

(1) خورشيد باشا ص 300.

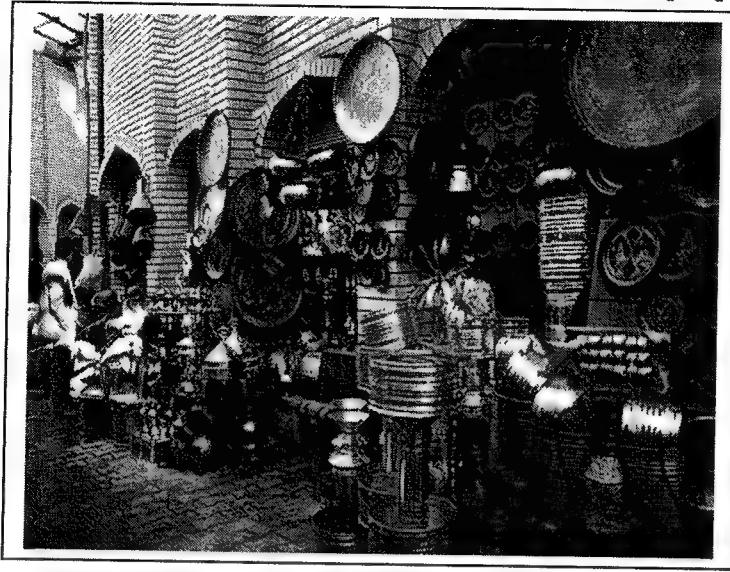
(2) المصدر نفسه ص 228.

(3) كوتولوف، ل: ن: ثورة العشرين الوطنية التحررية في العراق، ترجمة عبد الواحد كرم، بغداد 1971، ص 81

(4) المصدر نفسه ص 81.

(5) جاكسون: مشاهدات بريطاني عن العراق سنة 1767، ترجمة سليم طه التكريتي، بغداد ص 105 ويذكر هذا الرحالة أنه شاهد في الموصل عدداً كبيراً من مصانع النحاس والحديد، وأن

(هيت) من منافسة نفط باكو والولايات المتحدة، فاغلقت سنة 1901 العين النفطية في مندلي، وهي التي كانت تبعث بمنتجاتها حتى ذلك الحين إلى بغداد.



جانب من سوق الصفارين ببغداد

ولقد أضرَّ هذا الوضع بمصالح طبقة الحرفيين بشكل عام، وأضعف من تنظيماتها إضعافاً شديداً. وشهدت أواخر القرن التاسع عشر ضموراً بالغاً في دور الأصناف، وفي أوائل القرن العشرين قامت بعض الاصناف باضرابات عامة مطالبة بزيادات في الأجور، ولعل أول اضراب نسمع به في بغداد، حدث في أواخر سنة 1912، حين اجتمع دُباغو الأعظمية قرب بغداد في أحد ردهات مشغلهم مطالبين -فيما يبدو- بزيادة في الأجور، إذ ما أن زاد رئيسهم (الكتخدا) رواتبهم حتى «عدّكوا عن غايتهم شاكرين له»<sup>(1)</sup>. ويلاحظ أن هذا الإضراب لم يكن ضد السلطة أو من يمثلها وإنما ضد رئيس الصنف، مما دلّ على أن حالة من التفكك أخذت تعمل على تدمير ما تبقى من نظام الاصناف التقليدي، تاركة المجال أمام تنظيمات جديدة، أكثر تمثيلاً لظروف المرحلة التالية وحاجاتها، لتحل محلها في قيادة حركة العمل في العراق الحديث.

---

كميات كبيرة من مختلف المواد التي تصنع من هذه المعادن كان يتم ارسالها عبر نهر دجلة نحو الجنوب حتى البصرة، بالإضافة إلى كميات هائلة من النحاس غير المشغول ترسل من المناطق الجبلية إلى الجنوب.

(1) مجلة لغة العرب 1912.

## ضرائب صنف القصابين في العراق

### القرن التاسع عشر

#### دراسة في وثائق جديدة

يشعر الباحث في تاريخ العراق الحديث بفداحة النقص في المعلومات المتاحة عن النظم الضريبية في العراق، وهو أمر من شأنه أن يُبقي جوانبَ مهمة من الحياة الاقتصادية - ولا سيما ما يتعلّق بموارد الولايات العراقية - غامضة، وفي حاجة إلى ضوء يوضّح مشكلاتها ومقاديرها ومصادرها، ولا يقلّ الأمر خطراً بالنسبة للحياة الاجتماعية؛ لما للضرائب من أثر في طبيعة العلاقة بين السُلطة والسكان، ويمكن أن يُعزى سبب ذلك النقص إلى أن الضرائب بتقديرها وحسابها وجبايتها من الأمور المعقّدة التي كانت تتجاوز فهم أكثر المؤرّخين، وحتى الذين كانوا يتعرّضون لها يكتفون - غالباً - بملاحظة آثارها الاجتماعية، أو ما كان يصحّب جبايتها من عسف وقهْر، ولا شك في أن دراسة جادة للنظام الضريبي في عهد ما يستوجب الاطّلاع على السجلات الرسمية والدفاتر والوثائق الخاصة به، وهو ما لم يكن متاحاً لأغلب المؤرّخين.

ومما زاد في فداحة الأمر، أن جميع ما كان مُودعاً في سراي بغداد من (سجلات الخزينة وأوراقها) مما يرقى إلى القرون الثلاثة الأولى من العصر العثماني وحتى نهاية عهد المماليك - فقد أو تُلّف؛ نتيجة الكوارث الطبيعية والإتلاف المتعمّد في أثناء الفوضى الناشئة في ولاية بغداد سنة 1247هـ/1831م<sup>(1)</sup>، ولم يجرِ الاحتفاظ بما تخلف من الوثائق حتى أواخر العصر العثماني<sup>(2)</sup>.

ومن ناحية أخرى، فإن كثيراً من السجلات والوثائق، على فرض وجوده، لا يسجّل جميع ما كان مفروضاً من ضرائب منظورة، فبعض تلك الضرائب كان يُفرض من مسؤولين أدنى درجة، دون علم أو مراقبة الجهات المالية الأعلى، بل إن أكثر ضروب ذلك النوع من الضرائب لم يكن يُسجّل أصلاً، وفي أفضل الظروف كان يمنح دافعها تذاكر (وهي الوصولات بلغتنا العصرية) لا يعرف مدى دقتها، وهذه التذاكر مُعرّضة - بالطبع - للتبديد والضياع في كل حين<sup>(3)</sup>.

(1) سليمان فائق: مرآة الزوراء، ص 177.

(2) بحثنا: واقع الوثائق العثمانية في بغداد، من هذا الكتاب.

(3) ومما يؤكّد هذا المعنى أنه توجد في المكتبة القادرية ببغداد (مضبطة) يوضّح موقعوها أنهم دفعوا الرسوم المستحقة عليهم ويطلبون التأكد من سجل الرسوم، تاريخها 1116هـ/1704م كتابنا: الآثار الخطية في المكتبة القادرية، ج4، بغداد 1980، ص304.

وتُقدِّم المؤلفات الفقهية المتأخّرة ومجاميع الفتاوى<sup>(1)</sup> معلومات لا بأس بها عن (الضرائب الشرعية)، إلا أن تلك المؤلفات لا تتطرق إلى الضرائب العُرفية، وحتى بعد إصدار القوانين والأنظمة المالية العثمانية، فإن أكثرها لم يكن يُعبّر عن الصورة الحقيقية للنظام الضريبي المُطبّق في مدن العراق وريفه<sup>(2)</sup>.

ومن هنا بات على الباحث في تاريخ الضرائب إبان تلك العهود، أن يتلمّس طريقه بيده؛ وذلك بالبحث عن الوثائق المالية حيثما وجدت، وبأية صورة كانت؛ لعلها تُلقِي ضوءاً على ذلك الجانب المهم من تاريخ العراق المالي والاقتصادي.

ولقد أسعدنا الحظ بالوقوف على وثيقتين تاريخيتين<sup>(3)</sup> لهما أهمية بالغة في الكشف عن أنواع من الضرائب والرسوم العُرفية مما كان مُطبّقاً في العراق في أوائل القرن الثالث عشر للهجرة (التاسع عشر للميلاد)، والوثيقة الأولى عبارة عن (عَرْضَ حال) رَفَعَه رجلان من فئة العلماء، من أهل مدينة الحلة، إلى والي بغداد علي رضا باشا اللاظ سنة 1247هـ/1831م يَطْلُبَان فيه إصدار أمره بإعفائهما من رسوم محدّدة كانا يَدفعانها عن دكان قصاب يَمْلِكانه في تلك المدينة، بينما كتبت الوثيقة الأخرى في الجهة العُليا من الورقة نفسها، وهي عبارة عن أمر للوالي (المسمّى بالتركية بيورلدى) يتضمّن الإستجابة الكاملة للطلب المرفوع إليه، ونص (العرض حال) كالآتي:

(المعروض إلى حضرة أفندينا وليّ النعم، أيدّ الله به الدين، وجعل العلماء بإحسانهم لمدهم نايلين

إن للداعين في الحلة قصاب نرجو من مراجعكم الوافية، وإحسانكم الكافية، الرُخصة العالية بأن يَذبح مستأجره فيه يومياً خمسة رؤوس من الغنم، أو جاموسة، أو جملاً، أو بقرة، وألا يتعرّضه أحد من ملتزمي المُوَمَّخانة والقصابخانة وميدان الثيران والمطايا بطلب شحم ورسم المُوَمَّخانة ورسم القصابخانة ورسم المَيْدان، ولا يُطلَب عيدية، ولا يُرمى غنم أو جاموس أو بقر عليه، وألا يُمنع من شراء غنم أو جمال أو جاموس أو بقر في الحلة، وألا يتعرّض بكافة العوارض والتكاليف، وأن يُصان من جميع التّعديات، وألا يُطلَب ملتزمو المقاطعات المذكورة

(1) مثل: (نتيجة الفتاوى) و(فتاوى علي أفندي) و(فتاوى بهجة أفندي)؛ انظر عباس العزاوي: تاريخ الضرائب العراقية (بغداد 1958) ص 55.

(2) المصدر نفسه، ص 107-108.

(3) نسخة مصوّرة لدينا، وكنا قد صوّرناها عن الأصل الذي يحتفظ به أحد باعة المخطوطات في بغداد سنة 1980.

التزامه عن الداعين، ونرجو الترحم ببيورلدى شريف بذلك خطاباً لخدامكم أمير  
الحلة، أيد الله دولتكم إلى ممر الأيام، وخلد سعادتكم إلى انقراض الأعوام

الداعي محمد أسعد، الداعي محمد سعيد مفتي بغداد سابقاً).

أما الأمر الصادر من الوالي، والمسمى (بيورلدى)<sup>(1)</sup>، فقد كتب بخط مائل على  
الجهة اليسرى من أعلى الوثيقة، ونصه:

(الذي يُعلم به أمير الحلة قد رخصنا أن يُذبح بالمكان المذكور يوماً خمسة  
رؤوس غنم، أو جاموسة، أو جملاً، أو بقرة، وعفونا عن الرسوم المذكورة، فينبغي أن  
تَمنع ملتزمي المُوخانة والقصابخانة والميدان عن التعرض بطلب الرسوم  
والعديّة، ورمي المواشي عليه، ولا تدعهم يتعرضون قصابه بطلب التزامه، ولا بطلب  
شحم، ولا يمنعون عن اشتراء مواشي بالحلة، ولا يمدون يداً عليه من طرف  
العوارض والتكاليف وسائر المواد من كل الوجوه، وتُصونه من التجاوز والتعدي من  
جميع الجهات، وتبقى بيورلدينا بأيديهم، وفيه الكفاية، 6 من (رمضان) سنة 1247).

ويشير هذان النصان (العرضحال والبيورلدى) اهتمام الباحث من أوجه عدة؛  
فهما أولاً صدرًا في عهد والي بغداد علي رضا باشا، أول وال عثماني يتولاها بعد  
إسقاط نظام المماليك، بيد أن تاريخ البيورلدى المبكر (وقد صدر في أول سني حكمه)  
يدل على أنه جرى في غايته وأسلوبه وشكله على وفق ما كان يصدر في عهد المماليك  
السابق، ولا يبعد أن يكون ذلك جرى بتوسط حاكم الحلة، وهو آنذاك محمد أسعد  
النائب (حكمها من 1247 إلى 1253هـ/ 1831 - 1837م)<sup>(2)</sup>، الذي سبق أن قام بمهمة  
مماثلة حين توسط سنة 1243هـ/ 1827م لأديب مصري بإيصال عريضته إلى والي  
بغداد السابق داود باشا، وكانت تتضمن إعفاءه من بعض التجاوزات والرسوم، والعمل  
لدى داود لإصدار أمر بذلك الإعفاء<sup>(3)</sup>، وفي الواقع أن هذا الرجل، وإن كان يدين  
بمنصبه لعلي رضا، إلا أنه يمثل امتداداً لتقاليد المماليك في الإدارة والحكم، حتى إنه  
دفع حياته ثمناً لما اتهم به من مُمالة لتلك التقاليد<sup>(4)</sup>.

(1) مصطلح تركي، يعني: تفضل بكذا.

(2) كتابنا: الأسر الحاكمة ورجال الإدارة والقضاء في العراق في القرون المتأخرة، بغداد 1992،  
ص 296.

(3) العزاوي: المصدر السابق، ص 106 - 107.

(4) انظر عثمان بن سند: مطالع السعود بطيب أخبار الوالي داود، بتحقيقنا، ط2: بيروت 2010م،  
ص 81 و 486 و 576، وعباس العزاوي: تاريخ الأدب العربي في العراق، ج 2 ص 224 و 314.

ولنا أن نلاحظ أن العرضحال يسمي حاكم الحلة المذكور (بأمير الحلة)، وكذا ورد على لسان علي رضا باشا، ويظهر أن هذا اللقب كان موروثاً من عهد أن حكم الحلة أمراؤها من آل عبدالجليل، وهي الأسرة العربية التي تولت الحكم فيها، بصفة وراثية، منذ سنة 1115هـ/1703م وحتى سنة 1232هـ/1816م، وإلا فلم يكن محمد أسعد إلا إدارياً عينه علي رضا نفسه.

وموقعاً العرضحال، رجلان نعرف أحدهما جيداً، وهو الحاج محمد سعيد نائب زاده، أحد كبار علماء بغداد في عصره (توفي سنة 1273هـ/1856م)، وكان قد أفتى في الحلة عدة سنوات قبل أن يصبح مفتياً للحنفية في بغداد سنة 1246هـ/1830م<sup>(1)</sup>، أما الآخر، فلم يوقع إلا باسمه الأول، وهو محمد أسعد، والراجح أنه محمد أسعد أفندي، الأخ الأصغر للمفتي (توفي سنة 1271هـ/1854م) وكان قد أفتى في الحلة عدة سنوات أيضاً<sup>(2)</sup>، فعلاقة الرجلين بالحلة واضحة، ويظهر أنهما تملكا دكاناً فيها، وأنهما أجراه لقصاب، وكتباً ذلك العرضحال لإعفائه من رسوم عدة، مما يرجح أنهما كانا يشاركانه الريح بنسبة معلومة، وهو ما نفهمه من طلبهما بأن (يذبح مستأجره فيه)، وتدلل استجابة الوالي لذلك الطلب بحذافيره على منزلة الرجلين؛ كونهما من العلماء المفتين، وأنه هو الذي عين محمد سعيد مفتياً ببغداد في أول توليه الحكم فيها.

يوضح العرضحال حقيقة أن جميع الرسوم المستحصلة في ذلك العهد، كانت تجبى من ملتزمين، على وفق نظام الالتزام الذي كان سائداً في الدولة العثمانية عامة، ومن المعروف أن أول بيان رسمي يعد بإلغائه، وهو (خط كلخانة) صدر سنة 1255هـ/1839م<sup>(3)</sup>؛ أي: بعد تاريخ العرضحال بنحو ثماني سنوات، وفي الواقع فإنه لم يُلغ عملياً إلا في أوائل القرن العشرين.

(1) محمود شكري الألوسي: المسك الأذهر، ج1، بغداد 1930، ص96.

(2) المصدر نفسه ص (100)، ومحمد سعيد الراوي: تاريخ الأسر العلمية في بغداد، بتحقيقنا، ط2: بغداد 2007 ص173، وجاء في كتاب (نزهة الادباء) لمحمد أمين السهورودي، بتحقيقنا، دار الزمان بدمشق 2016 ص 85 ما نصه «وأما محمد أسعد أفندي فقد عزلوه أيضاً من إفتاء الحلة، وأخذ يزرع هو وأخوه محمد سعيد أفندي المار الذكر بعض النهران، التي كانت بأيديهما من قبل، والآن فقد تهيأت الى الخروج من بغداد، ليسكنوا الحلة».

(3) جاء في هذا البيان: لكن أصول الالتزامات المضرة المعتبرة من ضمن أسباب الخراب التي لم يظهر منها ثمرة نافعة في أي حال لم تزل جارية الآن، فيلزم بعد الآن تعيين خراج مناسب

ويُطالب العرضحال بالإعفاء من تسديد الرسوم الآتية، وهي:

أولاً- رَسْم المُوَمَخانة: وهي لفظة تركية مُركَّبة من (مُوم) وتعني الشمع، و(خانة) التي تعني الدار والمكان، فهي مكان الشمع، أو دار تصنيعه، وبما أن الكلام لا يتعلَّق بالشمع أصلاً، فالمقصود به هنا - فيما نرى - المكان الذي تُصنع فيه الشموع من الشحم خاصّة، أو الذي يُستخلَص فيه الشحم لأغراض مختلفة، مثل الإضاءة وغيرها، ولا تُصرَّح الوثيقة بمقدار ما كان يُستوفى من رَسْم بهذا الاسم، ولكن من الواضح أنها كانت رسوماً نقدية؛ لأن الوثيقة تُميّز بين هذا الرسم والشحم الذي كان يتوجَّب على القصاب تقديمه إلى الملتزمين.

ولا تَمُدُّنا مصادر الحَقبة بمعلومات عن الموقع الذي كانت تَحْتلُّه هذه (المُوَمَخانة)، ومقدار ما تُتَّجِه من مواد، والذي نرجِّحه - بناءً على قرائن عدة - إنها كانت مملوكة لصنف القصابين بذاته، وهو نوع من المَلِكِيَّة الجماعية التي اخْتُصَّ بها نظام الأصناف الحرفية في العصر العثماني، مثلها في ذلك مثل: (البُويخانة = المصبغة) و(السَرَجخانة = دار تصنيع الجلود) في مدن أخرى، وواضح أنه كان لهذه الدار مُلتزم مهمته جمع الرسوم الخاصة بها من الصَّنْف، بيد أن ذلك يُثير السؤال التالي: إذا كانت المُوَمَخانة ملكاً لصنف القصابين، فلماذا يطالب أصحاب العرضحال من الوالي إعفائهم من أداء الرسم إلى ملتزمها؟ وليس من حل لهذا الإشكال إلا بافتراض أن الملتزم كان يدفع ما يجمعه من رسوم للسلطة، بوصفها تمثِّل حصة السلطة المذكورة من أموال الصَّنْف نفسه.

ثانياً- رسم القصابخانة: وهي لفظة مركَّبة من (قصاب) وتعني (الجزَّار) بلغة أهل العراق، و(خانة) التي تقدِّم معناها، فتكون مهمتها مماثلة لمهمة (المجزرة) في وقتنا الحاضر، ويظهر أن رسماً مُعيَّناً كان يُفرض على المواشي التي يجري ذبحها في هذه الدار؛ ولذا فقد كانت تُمنَح بالالتزام، وإذ يطلب صاحبا العَرْضحال إعفائهما من هذا الرسم، فإن ذلك يدلُّ على اختصاص الدار بالذبح مُطلقاً، ويؤكد هذا المعنى

---

على قدر اقتدار وأملاك كل فرد من أفراد أهالي المملكة، انظر محمد فريد بك: تاريخ الدولة العلية العثمانية، بيروت 1977، ص254.

التماسهما أن يذبح مستأجر الدكان في دكانه عدداً محدداً من المواشي، فذلك وحده ما يعفيه من دفع رسم القصابخانة، ولو كان جائزاً الذبح خارج الأخيرة لأمكن التخلص من ذلك الرسم أصلاً، ويمكننا أن نتصور عائدة هذه المجزرة كانت لصنف القصابين، مثلها في ذلك مثل (المومخانة).

ولا تشير الوثيقة إلى مقدار ذلك الرسم، والظاهر أنه لم يكن قليلاً، ففي رسالة قوجي بك المؤلفة في سنة 1041هـ/1632م شكوى مرة من ارتفاع الرسوم المقررة على رؤوس الغنم، فبينما كانت تُقدَّر في أواخر القرن العاشر للهجرة (السادس عشر الميلادي) بنحو نصف آقجة (وهو الدرهم الفضي العثماني)، زادت على يد المستوفين في القرن التالي إلى ضعف ذلك المبلغ، ثم إلى 7 أو 8 آقجات، وقد عدَّ مؤلف تلك الرسالة هذه الزيادة غاية المنتهى من الظلم والاعتداء، فصار الأمر مما لا يُطاق<sup>(1)</sup>.

ثالثاً- رسم الميدان<sup>(2)</sup>: واضح من سياق العرضحال أنه المكان المخصَّص لعرض الماشية وشرائها، وكان ثمة رسم يُستحصل من ثمن الماشية المُشتراة؛ ولذا فقد منح الميدان لأحد (الملتزمين) ليتولَّى جمع تلك الرسوم.

ومطالبة صاحبي العرضحال إعفاءهما من الرسم المذكور يدل على أن جزءاً منه كان يتحمَّله المشتري، وإلا فالمنطق يقضي أن يكون الرسم على البائع، وهو القابض للثمن، ولا تمدنا الوثيقة بما يوضِّح مقدار ذلك الجزء، وطريقة تقاسم الرسم، وما إلى ذلك من تفاصيل، ويظهر أنه لم يكن مسموحاً لأصحاب الدكاكين من القصابين شراء الماشية من خارج (الميدان) المخصَّص لهذا الغرض؛ ولهذا يطلَّب صاحب العرضحال السماح لهما بتجاوز ذلك المنع، بشراء الغنم أو الجمال أو الجاموس أو البقر في الحلة، ولا معنى لهذا الطلب إذ لم يكن شراء المواشي من غير المكان المخصَّص لها، يعني حرمان الملتزم (والسلطة) من الرسم المُشار إليه.

(1) العزاوي: تاريخ الضرائب 116.

(2) الميدان اصطلاح يقصد به المكان، أو الساحة المخصَّصة لعرض الجيش حصراً؛ ولذا فإنه يقع غالباً قريباً من قلعة المدينة، أو (القشلة)؛ أي: ثكنتها، والظاهر أن ميدان الحلة استغل في هذه الحقبة، ليكون مباءة لعرض الماشية؛ نظراً لموقعه المهم وتوسطه المدينة، وفي هذه الحالة يمكننا أن نتصور وجود المنشآت الأخرى ذات الصلة بذبح الماشية، كالقصابخانة والمومخانة في موضع قريب من هذا الميدان.

رابعاً- ضريبة باسم (عیدیة): لم تُحدّد طريقة دفعها، والظاهر أنها كانت ضريبة موسمية، تُدفع في عيد الأضحى، حين يكثر الذبح، وربما في عيد الفطر أيضاً، ومن المحتمل أنها بلغت شيئاً مذكوراً، بحيث لم ينسَ صاحب العرضحال طلب إعفائهما منها.

خامساً- ثمة رسوم لم تُحدّد أسماؤها: عدّها العرضحال أنواعاً (من العوارض والتكاليف) و(التعدي) وأضاف إليها البيورلدى عبارة (التعدي من جميع الجهات).

سادساً- يطلب صاحب العرضحال إصدار أمر يقضي بعدم (رمي غنم أو جاموس أو بقر عليه)؛ أي: مستأجر دكانهما، وهذا يعني أنه كان يكلف بشراء ما لا حاجة له من الماشية، مما يُسبب تلفه، وخسارة ثمنه، فضلاً عن ربحه، والظاهر أن هذا التكليف كان يجري العمل به من أجل تحقيق أكبر ربح ممكن للملتزم الميدان والجهات المستفيدة الأخرى، كالمومخانة والقصابخانة، لكنه يأتي - في الواقع - ضاراً بمصالح القصابين أنفسهم؛ لأن من شأنه زيادة العرض على الطلب.

ويلاحظ أن كاتب العرضحال لم يرفّع طلبهما إلى أمير الحلة أو حاكمها، وإنما قدّماه إلى والي بغداد مباشرة، ولا تفسير لهذا الأمر إلا على أحد الوجهين الآتين: إما أن مسألة الإعفاء من تلك الرسوم تستدعي صلاحية أوسع مما للأمير المذكور، أو أن الكاتبين لم يشاءا - لأمر ما - تقديم طلبهما إلى الأخير، وفضلاً تجاوزوه إلى المسؤول الأعلى عن الحلة في ذلك العهد، وفي الحالة الأولى لا يبعد أن يكون لحاكم الحلة يد في رفع العرضحال إلى والي كما ذكرنا من قبل، خاصة وأنه ليس في البيورلدى مؤاخذه تدل على أن صاحبي الطلب قد تجاوزا مرجعهما المباشر، أو تخطّيا سلسلة مراجعهما كما نقول في هذه الأيام، وهو ما يدل على اعتياد الناس على رفع ظلامتهم، أو عرائضهم، إلى المرجع الأعلى، حتى في الأمور التفصيلية - كما في هذا العرضحال.

ويلاحظ أيضاً أن إجابة والي على العرضحال جاءت واضحة، ومُلبية للطلب بكل تفاصيله، وقد اتخذت الموافقة شكل أمر رسمي (بيورلدى) كتب في الجهة اليسرى من أعلى الورقة التي تضم العرضحال نفسه، وكان مُتبعاً ترك فراغ في أعلى الطلبات التي تُقدّم إلى المراجع العليا؛ ليتسنى للمرجع كتابة مطالعته، أو أمره، حسب كل حالة، وتاريخ البيورلدى هو السادس من شهر رمضان سنة (1247هـ/1831م).

وتُشير الوثيقة نَفْسُها إلى استمرار تَمَتُّع صاحِبَي العرضحال بالإعفاءات المذكورة حتى ما بعد نحو ثلاثة عشر عاماً من صدور البيورلدي، فَتَمَّة حاشية بخط البيورلدي نفسه، على الجِهَة اليمنى من أعلى العرضحال، تقول: (ينبغي أن يعمل بموجب هذا البيورلدي، وفيه الكفاية)، وهي مؤرَّخة في 13 جمادى الأول سنة (1259هـ / 1842م)، ويظهر أن أصحاب الطلب قد أكَّدوا ما بأيديهم من أمر، بعَرَضه على الوالي علي رضا مجدداً على تلك العبارة القاطعة.

ولا شكَّ في أن القصاب الذي تَخَصَّص هذه الإعفاءات كان واحداً من قصابي الحلة في الثلث الأول من القرن الثالث عشر (التاسع عشر للميلاد)، فما فَرَض عليه من رسوم وضَّعتها الوثيقة، كان مفروضاً على زملاء مهنته أيضاً، وبمعنى آخر: إنها تَخْتَصُّ (بصنّف القصابين) بصفة التنظيم الحرفي الذي يُنظِّم أهل تلك الحرفة ويدافع عن مصالحهم في ذلك العصر، فالوثيقة تكشف بصورة غير مباشرة، عن أزمة أهل الأصناف في موقفها من السلطة من جهة، ومن نظام الالتزام من جهة أخرى.



الحلة في الثلاثينيات من القرن الماضي، نِسوة يغسلن الثياب على شاطئ  
الفرات، وجسر المدينة العائم، وجانب من دور المدينة على الجانبين

## صور من العلاقات الزراعية في العراق

### إبان القرن الثامن عشر

#### دراسة في وثائق تاريخية جديدة

لتاريخ العلاقات الزراعية أهمية خاصة في دراسة تاريخ العراق الاجتماعي والاقتصادي إبان العصر الحديث، ذلك أن هذه العلاقات تمثل الخلفية الاقتصادية المباشرة لتطور المجتمع في الريف الزراعي، كما أنها من جهة أخرى تمثل الخلفية غير المباشرة للتطور الاجتماعي، بل والسياسي أيضاً، في المدينة نفسها. وصعوبة دراسة هذه العلاقات تكمن في أنها تستند - بصفة وحيدة تقريباً - إلى الوثائق الزراعية، بخلاف الحال عند دراسة أحوال المدن في تلك الحقبة، حيث يسد المؤرخون المعاصرون بعض النقص في مواد البحث الأولية بما يدونونه من تواريخ مختلفة، فإن اهتمام المؤرخون كان قاصراً، بصفة عامة، على (المدينة) دون أن يمتد إلى الريف، بعلاقاته وأوضاعه وتركيبه الاجتماعي والاقتصادي.

ووفقاً للقاعدة التاريخية القائلة بأن (لا تاريخ بغير وثائق) فإن جوانب مهمة من أحوال الريف تبقى دون تاريخ أصلاً، وسبب ذلك يعود إلى أن قسماً كبيراً من علاقاته الزراعية لم ينظم بموجب وثائق بالمرّة، وإنما جرى بحسب الأعراف السائدة في الحقب السابقة، والاتفاقات الشفوية فحسب، وليس تعليل هذه الظاهرة بعسير، فوسط حالة من الأمية المطلقة كانت تسود الريف ومعظم مجتمعات المدن، يصبح من الصعب تنظيم مثل هذه الوثائق التي تستدعي دراية مُعَيَّنة في أمور (المعاملات). وفي ظل انقطاع الصلات الحقيقية بين المدينة والريف، وغُيْبَة الأولى عن ممارسة دورها الفعلي خارج أسوارها أو جوارها على الأكثر، تصبح العلاقات الزراعية القائمة بين الفلاحين أو العشائر الزراعية، والقبائل البدوية، علاقات مبنية على أساس توازن القوى عملياً، دون أن تستند في تثبيتها إلى صيغ قانونية مدونة.

ولما كانت سعة الأرض الزراعية في العراق أكثر بكثير من حجم الكثافة السكانية فيها، لا سيما في تلك الحقبة (حيث لم يزد عدد السكان الريفيين الذين يعتمدون على الأرض للزراعة والرعي على نصف المليون تقريباً)<sup>(1)</sup> فإن مساحات كبيرة من تلك

(1) محمد سلمان حسن: التطور الاقتصادي في العراق، التجارة الخارجية والتطور الاقتصادي 1864-1958، بيروت 1965، ص 52.

الأراضي لم تكن تعاني (مشاكل زراعية) أصلاً، ومن ثم لم تكن ثمة حاجة -غالباً- إلى تثبيت حدود ملكيات المزارعين وحقوقهم في وثائق مُصدّقة مُلزِمة. ومن ناحية أخرى فإن أنواعاً مختلفة من العلاقات الزراعية، لا سيما المغارسة، لم تكن منطبقة في أحيان كثيرة على القواعد الشرعية، مما كان يحول دون توثيقها، فإذا ما كتبت واحتيج إلى تصديقها لدى جهة شرعية، استعين على هذا الأمر بما يُعرف (بالحيل الشرعية) حتى يمنح ذلك (شكلاً) شرعياً يجوز الإعراف به والمصادقة عليه.

ويزيد من صعوبة البحث في هذه الوثائق ودراستها، أنه لم يكن ثمة تصنيف خاص بها حتى بعد مصادقتها من طرف المحكمة الشرعية، فلا تميّز سجلات المحاكم الشرعية بين الوثائق الزراعية وغيرها من الوثائق المتنوعة الأخرى، كالأحوال الشخصية والوقفات وعقود البيع والشراء وسائر المعاملات، ولذا فإننا نجد عقود المزارعة والمغارسة والمساقاة واستئجار الأرض الزراعية وبيعها والعمل الزراعي، مختلطة مع غيرها من الوثائق بشكل يصعب تمييزها إلا بعد دراستها وتحليل محتواها.

وعلى الرغم من أن عدد هذه الوثائق، بافتراض وجودها جميعاً، لا يغطي -في تقديرنا- المساحات الزراعية التي كان يجري فيها التعامل أصلاً إلا بنسبة ضئيلة جداً، فإن من شأن ما تبقى منها - إذا ما دُرِسَ ونُشِرَ - الكشف عن جملة أمور مهمة في تاريخ التطور الاجتماعي والإقتصادي للعراق إبان العصر العثماني، فهي توضح طبيعة الملكية الزراعية في الريف، وسُبل انتقالها وتحولها، وأنماط العلاقات التعاقدية بين مالك الأرض والفلاح من جهة، وبين الحكومة ومالك الأرض من جهة أخرى، وطبيعة واجبات الفلاحين تجاه المالك وأنواعها، ومقدار أجور العمال في الحقل أو البستان، ونسب مقاسمة الحاصل. ولا ريب في أن دراسة كهذه ضرورية تماماً لفهم تطور المدينة ذاتها، فكثير مما كانت تتعرض له المدن من ظروف هذا التطور، تكمن أسبابه في أعماق الريف. كما أن غير قليل مما كان يصيب الريف من تبدل في علاقاته الزراعية كان يرجع في أصوله إلى ما كان يمر به مجتمع المدينة من تغيرات.

ولقد عثرنا في أثناء بحثنا في هذا المجال على جملة من الوثائق التاريخية التي تكشف لأول مرة عن أنماط من التعامل الزراعي كانت سائدة في ريف العراق إبان القرن الثامن عشر، وفيها إشارات مهمة إلى عددٍ من الظواهر والأعراف الشائعة في الريف الزراعي في خلال تلك الحقبة.

وهذه الوثائق مكتوبة بلغة عربية، تتفاوت قوة وضعفاً، وفيها من الألفاظ والمصطلحات ما لا يستهان به، كأسماء بعض العملات وتحديد أقيامها، ومقاييس الطول المستعملة في تلك الايام، وما الى ذلك من أمور تفيد الباحث في تاريخ العراق الإقتصادي على وجه خاص. وهي محفوظة في المكتبة القادرية ببغداد<sup>(1)</sup>.

ويمكن تصنيف هذه الوثائق على النحو الآتي:

الوثائق (1) و(2) و(3) ثلاثة عقود مفارسة بين سعيد بك بن سليمان باشا والي بغداد بولاية أبيه، وبوكالة محمد سعيد بك، وبعض الفلاحين، على غرس مقاطعات من أرض الهندية قرب الحلة، مؤرخة في سنة 1213هـ / 1798م.

(4) عقد ضمان أو التزام بمعنى إجارة للأرض ووساطة زراعية بين والي بغداد وأحد الملتزمين، لقرى في الحلة، مؤرخ في السنة نفسها.

(5) عقد مزارعة بين والي بغداد وعشيرة البو هيكل على زراعة منطقة محددة من أرض مقاطعة الهندية، مؤرخ في السنة نفسها.

(6) عقد عمل زراعي بين الحاج محمد سعيد أفندي قاضي الحلة واثنين من الفلاحين على العمل في أحد البساتين في الحلة، مؤرخ في السنة نفسها.

(7) (8) عقد بيع يرد على عقار بين المرأة (خانة بنت جمعة) بوكالة الحاج عباس بن أحمد، واثنين من الفلاحين، على بستان في قرية أم العتايق من قرى الحلة. مؤرخ في سنة 1220 هـ (1805م).

وترقى هذه الوثائق الى عهد والي بغداد سليمان باشا الكبير (1194-1217هـ/1780-1802م) وخلفه علي باشا (1217-1222هـ/1802-1807م) اي الثلث الاخير من حكم المماليك في العراق (حكموا من 1162 الى 1247هـ/1749-1831م)<sup>(2)</sup> وهي الحقبة التي شهدت تحول المماليك فيها من فئة بيروقراطية - عسكرية تعتمد

---

(1) كنا قد وضعنا فهرساً مفصلاً بمخطوطات هذه المكتبة ووثائقها، انظر الآثار الخطية في المكتبة القادرية، 5 أجزاء (بغداد 1974، 1980).

(2) ينتمي المماليك الى أصول جيورجية، جلبوا رقيقاً في عهد والي بغداد القوي حسن باشا في مطلع القرن الثامن عشر، واتخذهم هذا الوالي، وابنه أحمد باشا من بعده، جيشاً له وموظفين، وأثبتوا من المقدرة ما مكّنهم من تولي الحكم سنة 1162هـ/1749م وشمل حكمهم بغداد والبصرة وشهرزور، بينما قوى نفوذهم في ولاية الموصل، وتوالى على الحكم منهم عشرة ولاة كان آخرهم داود باشا الذي عزل سنة 1247هـ/1831م.

في معاشها على ما تتقاضاه من خزينة الولاية من رواتب، الى طبقة مالكة لها مواردها الاقتصادية من ملكياتها العقارية الواسعة، وزاحمت خلالها الطبقات المالكة الأخرى، لا سيما تلك التي تمثل الملكيات الزراعية الكبيرة مصدر ثروتها الأساس. ويفهم من استقراء الوقفيات العديدة التي وقفتها أسر المماليك على مساجد بغداد، وعلى ذرايرهم، أن تلك الأسر كانت تتجه في استثمار أموالها في اتجاهين رئيسيين: الأرض، والتجارة. وكان معظم أصحاب الأموال يوزعون استثماراتهم تلك، بنسبة متعادلة تقريباً، بين الملكيات الزراعية والملوكيات المتعلقة بأعمال تجارية بحتة<sup>(1)</sup>. ويظهر أن شيوع عقود المغارسة بين المماليك والفلاحين، في هذه السنين، كان يعود إلى رغبة المماليك في زيادة استثمارهم للأراضي الزراعية الواسعة التي بحوزتهم بهدف تحقيق أكبر ربح ممكن لاعادة توظيفه في مجالات تجارية وعقارية داخل المدن نفسها.

وفيما يأتي نصوص هذه الوثائق المهمة، ننشرها كاملة، ملحقين كل وثيقة منها بما تقتضيه من تحليل ودراسة<sup>(2)</sup>.

### الوثيقة (1) [عقد مغارسة]<sup>(3)</sup>

«سبب تحرير هذه الوثيقة الشرعية، والنميقة الصريحة المرعية، يُعرب مضمونها عن ذكر ما هو: أنه قد حضر الرجل المدعو محمد بن حمد بطوَّعه وحسن اختياره من غير جبر ولا إكراه، وطلب المغارسة الآتية ذكرها مع حضرة أفندينا الأسعد الأمجد سعيد بك المجد،<sup>(4)</sup> نجل الوزير الأعظم، والدستور المكرم، حضرة أفندينا ولي النعم سليمان باشا والي بغداد المفخم، أدام الله تعالى دولته، في مقاطعة الهندية الواقعة في جانب الشامية قرب الحلة المحمية. على أن يُغارسه في زراعة بستان مشتملة على نخيل وكروم وآصال وأشجار. وحيث أن النقيب سعيد بك المومى إليه لم يبلغ حينئذ حد الحلم، تصدى لهذا العقد حضرة أفندينا المشار اليه بحسب ولايته الخاصة عليه، فأقر

(1) مجموعة من وقفيات بغداد (مخطوطة لدى المؤلف).

(2) أشكر الدكتور عدنان أحمد العزاوي على مساعدته إياي في دراسة هذه الوثائق من الناحية القانونية.

(3) العنوانات من وضعنا.

(4) سعيد بك (باشا فيما بغداد) ولد سنة 1205هـ (1790م) فيكون عمره عند كتابة هذه الوثيقة سبعة أعوام، تولى الحكم ببغداد سنة 1228هـ/1813م بسبب تأييد زعماء المماليك له، اثر خلافة مع عبد الله واليها السابق، واستمر في الحكم حتى تمكن داود أفندي دفتر داره (باشا فيما بعد) من عزله، بتأييد الدولة المركزية، ثم قتله سنة 1232هـ/1816م وتوليه الحكم مكانه.

للمغارس المذكورة من أرض المقاطعة المزبورة أربعة آلاف ذراع طولاً بذراع الكرياس،<sup>(1)</sup> وألفي ذراع عرضاً، مُعَيَّنة عند المغارس المذكور محمد، فباعه بحب ولايته الميمونة من الأرض المذكورة، المفروزة خُمسِها مشاعاً غير مقسوم، بمبلغ قدره وبيانه ألف قرش رايح، فصارت هذه الأرض المرسومة مشتركة بينهما بطريق الشيوخ: ثلاثة أخماس الى جانب المشار اليه سعيد بك، وخمسان للمغارس المذكور. ثم أن المزبورة يقتضي لها بناء جدران وزرع أشجار ونخيل وفسلان، وتعاهد بسقيها وحفر سواقيها ومساقيتها وغرسها وخدماتها. فقومَ بناء جدرانها وقيمة أشجارها وفسلانها بقيمة معينة، فسلم المغارس محمد المذكور ما يترتب على استحقاقه قيمة بناء الجدران وقيمة الأشجار والفسلان، الى جانب شريكه سعيد بك المومي اليه، ليصرفها مع مصارف استحقاقه من بناء الجدران وإشراء الأشجار والفسلان. ثم أن محمد المذكور أجر نفسه الى مدة عشرين سنة من جانب المومي اليه بالمبلغ المتقدم ذكره، وهو ألف قرش قيمة خمسي الأرض المذكورة، على أن يعمل في هذه الأرض جميع ما يطلب من الفلاحين في البساتين من الغرس والسقي والرفس<sup>(2)</sup> وحفر السواقي والمساقى وتعاهدا بالحفظ والخدمة. [و] بمنه وكرمه تعالى جميع ما يحصل من نماء هذه المغارسة يقسم على خمس حصص، ثلاث منها لجانب المشار اليه سعيد بك، وحصتان للمغارس المذكور.

ثم أن الحاكم الموقَّع اسمه أعلى الكتاب<sup>(3)</sup> حكم بصحة المغارسة حكماً شرعياً مرعياً صحيحاً. وكان ذلك في اليوم الثالث والعشرين من شهر صفر الخير لسنة ثلاث عشرة ومائتين وألف.

### تحليل الوثيقة

1- إن ظاهرة إثبات عقود المغارسة كتابة بهذا التفصيل ظاهرة تستلقت النظر في هذه الحقبة، إذ كان المعتاد حتى في ظل القانون المدني أن يصار الى اتفاق شفاهي، وهو الأمر الذي كان سبباً في ضياع حقوق المغارسين غالباً.

- 
- (1) ذراع الكرياس، ويساوي على الأرجح ما عرف بالذراع العامة، وهذه كانت تساوي 04، 54 سم . فالترهنتس: المكاييل والأوزان الاسلامية ص89، ترجمة كامل العسلي، عمان 1970، فيكون طول الأرض (216,60) متراً، وعرضها (1088) متراً. أي تسعة دونمات وبعض الدونم.
- (2) الرفس لغة: الصدمة بالرجل في الصدر (تاج العروس. رفس) واصطلاحاً لدى أهل العراق: التسميد .
- (3) ليس على الوثيقة اسم هذا القاضي، وأغلب الظن انه السيد رائف ابو بكر، وكان قد تولى قضاء بغداد في تلك السنة، واستمر فيه الى جمادى الآخر سنة 1214هـ / 1799 م . ابراهيم الدروبي : أخبار قضاة بغداد (مخطوط) .

2- إن عقد المغارسة عند الحنفية بخلاف المذاهب الإسلامية الأخرى<sup>(1)</sup>، عقد فاسد، أي أنه لا ينعقد وإنما يكون الحكم على أن الشجر لرب الأرض وللمغارس قيمة غرسه يوم الغرس وأجر مثل عمله، وللمغارس قيمة غرسه يوم الغرس وأجر مثل عمله، أي أجر المثل<sup>(2)</sup>. والحيلة الشرعية الواردة في الوثيقة هو أن يبيع صاحب الأرض الى العامل او المغارس بثمن معلوم، ثم يأذنه بإنفاقه في غرس نصيبه. ومما يؤكد انطواء هذا العقد على حيلة شرعية هو أن بدل البيع قرر بذات المبلغ المقرر للمغارس كأجر له عن الغرس.

3- ان الشيوع شرط واجب به لصحة العقود الزراعية عموماً كالزراعة والمساقاة، وبهذا المعنى نصت المادة 1444 من مجلة الأحكام العدلية «يشترط أيضاً كما في الزراعة ان تكون حصة العاقلين في عقد المساقاة جزءاً شائعاً كالنصف والثلث».

### الوثيقة (2) [عقد المغارسة]

«السبب الداعي لتحرير الكتاب الشرعي، والأمر الباعث لتسطير الخطاب المرعي هو: أنه حضر الرجل المدعو عمران بن عسكر، وطلب المغارسة والشركة الآتي ذكرهما مع حضرة جناب الأكرم الأفخم سعيد بك المفخم نجل الوزير المبجل حضرة افتدينا سليمان باشا، أدام الله أيام سعوده، ومتعنا والأنام بطول بقائه ووجوده. وحيث أن المومى اليه سعيد بك لم يبلغ حينئذ، تصدى عنه والده الوزير المشار اليه فوكل من جانب الاكرم مصرف<sup>(3)</sup> بابه الحاج محمد سعيد أفندي<sup>(4)</sup>

(1) عقد المغارسة لدى المذاهب الإسلامية الأخرى، وبخاصة المالكية، عقد جائز ومشروع بل نظمت احكامه لدى الأخيرين بشكل يكفل حقوق المغارسين .

(2) انظر التفاصيل في عدنان أحمد العزاوي : العلاقات الزراعية في القانون العراقي، دراسة مقارنة، رسالة ماجستير غير مطبوعة، جامعة بغداد 1976، ص 12-18.

(12) سليم رستم باز : شرح المجلة، بيروت 1923، ص 766 .

(3) المصرف، موظف يتولى حساب النفقات والواردات في عهد المالك، واسم الوظيفة المصرفية، والمصرفدارية، والمصرفخانة: دار المصرف .

(4) تولى المصرفية في عهد سليمان باشا الكبير، ثم تولى (دفتردارية) بغداد، حتى عزله عنها والي بغداد عبدالله باشا سنة 1225هـ/1810م، ولكنه عاد فعينه كخدا بغداد وكالة لمدة شهر واحد سنة 1226هـ/1811م وكان مقرباً من سعيد باشا ومن أعوانه، فلما تولى داود باشا الحكم سنة 1232هـ/1816م وقتل سعيد باشا لاحق مقربيه وأعوانه، فقتل منهم محمد سعيد المذكور، وارسل رأسه، مع الآخرين، الى استانبول. وكانت لمحمد سعيد دار تقع قرب السراي . رسول الكركوكلي: دوحة الوزراء، ترجمة موسى كاظم نورس، بيروت، ص 253، 277 .

المحترم وكالة مطلقة، بشهادة الأكرمين: لطف الله أفندي<sup>(1)</sup>، ومحمد بك شاوي زاده<sup>(2)</sup> المحترمين، فحضر الوكيل المومى اليه وأحضر المغارس المزبور، وافرز له من أرض مقاطعة الهندية طولها ذراع بالذراع الحديد البغدادي الكرياسي<sup>(3)</sup> وعرضها ثمانمائة ذراع بالذراع المذكور، فباعه نصفه مشاعاً غير مقسوم بمبلغ قدره ألف قرش من الرايخ في الوقت، بيعاً صحيحاً شرعياً. ثم انهما اتفقا على ان يفرسا جميع الأراضي المزبورة نخلاً وأصلاً من الميواة<sup>(4)</sup> أنواعاً، ويصرف كل منهما على قدر استحقاقه وما يخصه من بناء الجدران وقيمة التال<sup>(5)</sup> والأشجار، فلما تم ذلك أجز المزبور حسين نفسه من البيك المشار اليه بأن يقوم بجميع ما يحتاج اليه البك المشار اليه من الغروس المذكورة من السقي والحرث والتحويض والتسميد والتلقيح والتعكيس والتركيس وحضر الحقبور<sup>(6)</sup> للتال والأصل، من تاريخ الورقة

(1) هو لطف الله أفندي، من مدينة كركوك أصلاً، عاش في بغداد، وتلقى العلم فيها، وعين كاتباً فرئيساً للديوان (ديوان الأنشاء) ببغداد في عهد واليها سليمان باشا الكبير، وعرف بعلمه في الرياضيات، حتى ان داود باشا درس على يديه هذا العلم، وتوفي سنة 1216هـ/1801م، أي بعد شهادته على هذه الوثيقة. عثمان ابن سند : عبد القادر الشهباني، تذكرة الشعراء، الأصل الكامل بتحقيقنا، بغداد 2002، ص356-361 وعثمان بن سند: مطالع السعود بتحقيقنا، ص198، 277، 538 ومختصره لأمين الحلواني، القاهرة 1371، ص172.

(2) محمد بن عبد الله بن شاوي من أمراء قبيلة العبيد في أواخر القرن الثاني عشر وأوائل الثالث عشر. تولى عدة سفارات دبلوماسية بين بغداد وإيران، وعرف بدهائه وحنكته، وكانت ثمة خلافات بينه ووالي بغداد سليمان باشا الكبير، فأرسله هذا في بعض المهمات الصعبة طلباً للتفاوض مع الوهابيين، وبعد عودته اتهمه منافسوه بالميل الى الوهابيين، حتى اذا ما تولى علي باشا الحكم سنة 1217هـ أمر بخنق محمد بك الشاوي مع أخيه عبدالعزيز بك، فخنقا ودفنا في محرم 1218هـ/1803 في منطقة قريبة من الموصل. مطالع السعود ص142-149، 158، 313، 319، 347، 348، ومختصره ص21، 26، 40، 44، 51، 72، ودوحة الوزراء ص164، 165، 207، 213، 224 وابن سند : سبائك المسجد ص82.

(3) ذراع الحديد، نوع من الأذعة، يبلغ 25 أصبعاً شرعياً، كان يستخدم في مصر والحجاز كذراع بز، وطولها هو 58، 187 سم، والظاهر أن كاتب الوثيقة أراد ان يميز ما عناه بالذراع الحديد عن غيره مما يحمل الاسم نفسه، فوصفه بالبغدادي الكرياسي، وقد تقدم ان الذراع الكرياسي هو 04 ، 54 سم، ولا ندري ان أراد به مجرد وصف للأخير، ام انه نوع مستقل من الأذعة. هنتس : المكايل والأوزان 87.

(4) الميواة : فارسية، وتعني الفاكهة، وما تزال مستعملة أحياناً في العاميات العراقية.

(5) التال : فسلان النخل.

(6) كذا.

الى مضي عشرين سنة بالمبلغ المطلوب من قيمة نصف الأرض المزبورة، وذلك ألف  
فرش . فمن الله تعالى ويمنه إذا بعث بالنماء والخير من الغروس المذكورة يقسم  
الحاصل مناصفة، نصف لحضرة افندينا اليك المومي اليه، ونصف للمزبور عمران  
. وأما ما يزرعه المزبور عمران من الخضر والمخاضير والقطن والحنطة والشعير  
وانواع الحبوب والمخاضير فهو له خاصة دون البيك المشار اليه، بيعاً وشراكة  
صحبتان صريحتان شرعيتان مرعيتان، جرت بينهما بالطوع والرضا .  
وكان ذلك في سلخ ربيع الأول ثلاثة ( ثلاثة ) عشر ومائتين والف .





### تحليل الوثيقة

1- إن عقد البيع الوارد على الأرض يتضمن في حقيقته عقد مغارسة توصل اليه العاقدان من خلال الحيلة الشرعية، أي الوصول الى إجراء عقد المغارسة من خلال عقد بيع صوري . ويؤكد ذلك أن المغارس استوفى مبلغاً لقاء الغرس يقابل مبلغ البيع، إضافة الى ان اقتسام الأشجار والثمر تم بذات النسبة التي تم بها الإتفاق .

2- ان اقرار الحق للمغارس مآلاً، أي بعد إعمال الحيلة الشرعية بنصف الأرض والشجر يمثل حكماً جديراً بالملاحظة، لأن إثبات الحق بنسبة كهذه قد كرس في فترة متأخرة، وعلى وجه التحديد بصدر القانون 117 لسنة 1970.

### الوثيقة ( 3 ) [ عقد مغارسة ]

«وجه تحرير السند الشرعي: هو أنه قد استأجرت من جناب الأفخر الأفخم الحاج محمد سعيد بك، مصرف حضرة افندينا ولي النعم، كثير الجود والكرم، الدستور المكرم والمشير المفخم، الذي فاضت سحائب جوده على الخاص والعام، والي

ولاية بغداد مدينة السلام، سليمان باشا يسر الله له من الأمور ما شاء، ولا زالت أغصان اقباله خضرًا مورقة، وبحار سعادته ممتلئة متدفقة، وكلُّ بحسب ولايته على مخدمه الأفخم الأعظم أفتدنا سعيد بك المحترم، بشهادة صاحب المجد والعرفان، وكاتب الديوان الأكرم لطف الله أفتدي المحتشم، وشهادة النقيب الأديب الأمد الأمجد الأكرم محمد بك<sup>(1)</sup> المحترم : الأرض البيضاء<sup>(2)</sup> المتصلة بنهر الهندية، التي طولها ألفا ذراع بذراع الكرياسي، وعرضها ألفا ذراع كذلك، الى مضي تسعين سنة بأجرة معينة قدرها ألفا قرش استيجاراً صحيحاً شرعياً . ثم بترضيها فسخت الاستيجار في نصف الأرض المذكورة فسقط نصف الأجرة المسطورة . ثم تشاركت مع جناب المشار اليه بحسب وكالته، على أن يضع من مال الأجرة التي بذمتي خمسمائة قرش وأنا أضع مثلاً، ونخلط المالين خلطاً لا يتميز، ونشتري بها تالاً أنواعاً، وأغصاناً أضراباً، من جميع انواع التال والأصال، ونغرسه في الأرض المذكورة. ثم بعد ما تم أمر المشاركة، استأجرني جناب المشار اليه بحسب وكالته الشرعية لخدمة ما يخصه من نصف الغرس المذكور من التال والأصال الى المدة المذكورة، ولبناء وحفر السواقي والتسميد وقطع الأغصان اليابسة [ و ] التلقيح والتطين والتركيس والتعكيس وسائر الخدمات المعلومة بين ارباب المغارسات بأجرة معينة قدرها خمسمائة قرش. وقد قبلت ذلك الاستيجار بالأجرة المذكورة الى مضي المدة المسطورة، وإذا جاءت الثمرة بإذن الله تعالى تقسم مناصفة، نصف لأفتدنا الأكرم سعيد بك المحترم، ونصف لنا . وعلى هذا وقع الرضا والقبول .

وكان ذلك في اليوم الخامس والعشرين من شهر ربيع الأول من السنة الثالثة عشر بعد المائتين والف».

### تحليل الوثيقة

1-إن صيغة الاجارة هي صيغة غير مألوفة خاصة من حيث مدة هذه المغارسة، وهي تسعين سنة، اضافة الى اقترانها بالتزام المؤجر مآلاً بالغرس، وهو لا يقع ضمن التزامات المستأجر عادة. والأمر لا يعدو ان يكون حيلة شرعية أريد بها الاتفاق على الغرس واقتسام الارض والشجر بين المالك ومن قام بالغرس. ولكون

(1) هو محمد بك الشاوي المتقدم ذكره في الوثيقة السابقة .

(2) الأرض البيضاء : هي الأرض الجرداء التي لا نبت فيها .

الأحكام المرعية في المذهب الحنفي لا تجيز عقد المغارسة، فإن الحاجة قد مست الى مثل هذه الحيلة لتمرير هذا التصرف.

2- يلاحظ أن العقد لا يرتب أية حقوق عينية للمغارس أن يدعي بأي حق من الحقوق المتصلة بالملكية، ويقتصر مركزه الشرعي على كونه مستأجراً فقط، ينتهي حقه بإنهاء المدة المتفق عليها بالوثيقة. ويلاحظ أن المدة قد قررت على النحو الوارد بالعقد اي 90 سنة للوصول الى نتائج مقارنة لتلك النتائج المتوخاة عادة من المغارسة دون الاصطدام بالأحكام الفقهية الحنيفة التي لا تقر هكذا عقد أصلاً .

3- يلاحظ أن هذا العقد هو بين ذات الأطراف الوارد ذكرهم في العقد السابق، وبنفس الشهود والتاريخ وينصب على ذات المنطقة، وهو أمر قد يفهم منه بأن محل العقد هو واحد في الحالتين، ولكن تعددت هذه العقود لضمان حقوق العاقدین في ظل واقع قانوني لا يجيز مثل هذا التصرف أصلاً، بحيث يصار الى الاستعانة بهذا المستند اذا اتضح عدم شرعية او اصولية المستند الأول.

4- يستشف من هذه الوثيقة وما سبقها ان التعامل بالمغارسة كان أحد ضروب التعامل الزراعي الشائعة في العراق، او على الأقل في هذه المنطقة، علماً بأن عقود المغارسة لم تعرف في بعض البلدان الاسلامية الأخرى، كمصر مثلاً .

#### الوثيقة (4) [ عقد ضمان أو التزام ووساطة زراعية ]

«وجه تحرير التمسك : بأن عليّ وفي ذمتي لباب حضرت أفندينا - أدامه الله تعالى - من الدين اللازم والحق الثابت مبلغاً قدره من الغلال ثمانية عشر تغار ونصف حنطة، وخمسة وعشرين تغار<sup>(1)</sup> شعير، وذلك عن طلب ضابط الحلة علي جلبي<sup>(2)</sup>، الحنطة عن بقية ضمان الحبوب والشهابية، والشعير عن بقية ضمان

(1) التغار، والطغار، وزن شائع في العراق، وهو يعدل 20 وزنة عراقية والوزنة 4 أمانان بالمن العراقي، والمن ست حقق بالحنة البقالي، والحنة أربع أواق بقالي. ويزن الطغار 2165 كيلو غراماً و 125 درهماً (وهي خمسة الكيلو تماماً). ابراهيم سليمان العاملي: الأوزان والمقادير، صور 1962، ص 80- 82 .

(2) هو علي جلبي بن خليل جلبي بن اسماعيل بن محمد ياسين جلبي، من الأسرة الحاكمة في الحلة، والمعروفة في فترة تالية على التاريخ الوثيقة بأل عبد الجليل (شجرة عائلتي الجلبي والبيكات في بغداد والحلة، مخطوطة لدى المؤلف) تولى حكم الحلة سنة 1207 و 1209 هـ (1792-1794) ثم عزل عنها، وأعيد اليها بعد نحو سنتين، وهذه الوثيقة تشير الى وجوده

الحمزاوية، دين قرضه حسنة في ذمتي يستحق أدائه ووفاءه حين الطلب . وأعطيت هذه التمسك سنداً في 10 ر 1213 .  
عن اقرار المصباح<sup>(1)</sup> .

### تحليل الوثيقة

- 1- إن عقد الضمان الوارد في العقد لا ينصرف إلى معنى التزام الضريبة، وإنما هو صيغة من صيغ الايجار الشائعة في التعامل الزراعي المحلي، خاصة في ميدان البستنة. ويبدو أن بدل الإجارة قد حُدّ سلفاً بمقادير معينة من الحبوب .
- 2- يستدل لتقريب معنى الضمان الوارد في الوثيقة الى المعنى الذي اسلفنا، أن الضمان قد اقتصر على مساحة زراعية معينة فقط، والغالب ان يجري الالتزام على كامل المنطقة. ويمرّز هذا الإستدلال أن البديل قد اختلف في الحالتين، فهو حنطة في الاول، وشعير في الآخر.

### الوثيقة (5) [ عقد مزارعة ]

«الباعث لتحرير الشريطانة هو أنه: قد رخصنا ناقلين الشريطانة البوهيكل على النزول بقاع الهندية من نصف أبو طرفة الى خان الدندان ويسمّون<sup>(2)</sup> شتوي صيفي والبزر والسكك<sup>(3)</sup> والمساحي<sup>(4)</sup> بالمانصفة، نصف على الباب<sup>(5)</sup>، ونصف عليهم، والمساعدة على الباب وما عليهم منها شيء. وأعطينا لسكنتهم<sup>(6)</sup> عشرين جوق<sup>(7)</sup> مطلق

---

حاكماً سنة 1213هـ، واستمر في منصبه حتى عزله عنه كتخدا بغداد علي باشا سنة 1214هـ/1799م . دوحة الوزراء ص 211 .

(1) كان ملتزماً للهندية، وقد ورد اسمه بهذه الصفة في وثيقة مرسلة اليه من والي بغداد سليمان الكبير تاريخها سنة 1216هـ/1801م، وهي محفوظة في المكتبة القادرية .

(2) يسقم : يزرع .

(3) السكك جمع سكة، وهي حديقة الفدان (القاموس المحيط . سك) .

(4) المساحي جمع مساحة، وهي أداة حفر التربة وقلبها، وأورد اسمها ابن سيدة في المخصص 25/11 ولم تورد في المعاجم العربية الأخرى .

(5) الباب : يريد الحكومة .

(6) يريد : للمقيمين في الأرض لأجل زراعتها من أبناء العشيرة .

(7) الجوق: الجماعة من الناس (القاموس المحيط . جوق) وبالفارسية : الجوخ، بالمعنى نفسه، ويبدو ان المقصود بها هنا كمية معينة من المحصول .

مُعاف<sup>(1)</sup>، ولشيخ المشايخ صاحب المضيف خمسة أجواق أيضاً مطلق مُعاف، وبقية الأجواق اربعة، والخامس مطلق للفلايح<sup>(2)</sup> على المعتاد. وحين الحصول، بعد اخراج البَزْر، نقسم عايد زراعتهم نصفين، نصف للباب، ونصف لهم. وأن يعمرّون بالمحل المذكور بساتين. ونقل التال على الباب، ونقل الأصال على المرقومين، ومعتادهم من البساتين المذكورة على معتاد بني خيكان<sup>(3)</sup>. وأعطيناهم هذه الشرطنامة سنداً بيدهم».

### تحليل الوثيقة

1- يلاحظ ان التعامل الزراعي المنصوص عليه في هذه الوثيقة ليس بتعامل مباشر بين صاحب الأرض ومزارعين، وإنما جرى تعيين الطرف المتعاقد مع صاحب الأرض إجمالاً، وهو عشيرة البو هيكل دونما تخصيص .

2- إن هذا التعامل قد يفسر لنا - الى حد ما - الصيغة التي تمت بها عملية التسوية التي أجريت في فترة لاحقة، حين كانت الأرض تسجل باسم الشيخ فلان وجماعته .

3- إن هناك إشارة الى تقرير حصة من الحاصلات الى المضيف، وهو تعامل استمر العمل به حتى عهد غير بعيد، سبق إصدار قوانين الإصلاح الزراعي الأولى.

4- يُفهم من صيغة الترخيص، وهي صفة إدارية، الى أن العقد قد تم بين الوالي بصفته الرسمية، أي بين الدولة، والبو هيكل . وقد يفسر ذلك بأن الدولة كانت مالكة في الأصل لهذه المساحة الصالحة للزراعة، وهو الأمر الذي يمكن أن نبني عليه وجود ملكية مستقلة للدولة، تستقل عن ملكية الوالي الشخصية، وعن ملكيات الاشخاص.

---

(1) أي معفو من الضرائب .

(2) الفلايح، والفلاح، جمع فلاح عند العامة في العراق .

(3) بنو خيكان : مجموعة عشائر مختلطة من اصول عدة، وكانوا يعدون من العشائر الملحقة باتحاد قبائل المنتفق. أما رؤساؤهم فيمتون الى ربيعة. ومواطنهم الاولى في نواحي عككة وكرمة بني سعيد والجبايش، ثم انحدر قسم منهم للإقامة بين المدحتية وناحية القاسم من نواحي الحلة، وما زال هذا القسم مقيماً هناك، ومن الواضح -بناءً على ما أورده الوثيقة- ان انتقال بني خيكان الى هذه النواحي جرى في فترة قريبة من تاريخ العقد . عباس العزاوي: عشائر العراق 4، بغداد 1956، ص 58 و 62 .

5- أن العقد لم يتضمن مدة معينة للاستغلال، وهو ما قد يفهم منه أن هذا العقد يحمل طابع الامتداد أو الاستمرارية.

6- ثمة إشارة في الوثيقة الى معنى الاشتراك في مصاريف الانتاج، كما يستبان من عبارة «مناصفة مصاريف البذر والسكك والمساحي (أدوات الحرث)».

7- ثمة إشارة في الوثيقة الى معنى الالتزام بالتسليف من قوله «المساعدة على الباب» اي على صاحب الارض.

8- اختصت الوثيقة ببيان تكاليف المغروسات، فجعلت نفقات التال من واجبات صاحب الارض، والأصال من واجب المتعاقدين الآخرين.

9- يلاحظ أن الحصص الثلاثين الواردة في الوثيقة قسمت على النحو التالي:  
20 حصة لعشيرة البو هيكل، وهي ما تمثل نسبة الثلثين من نسبة النصف المخصصة للزراعة أصلاً، اما النصف الثاني، وهو ما يقابل مجموعة هذه الحصص فللوالي .

9 حصص لشيخ المشايخ صاحب المضيف، 1 للفلاليح، ويبدو أن المقصود بهم العمال الزراعيين الذين تمس الحاجة اليهم في بعض فترات الزراعة كوقت البذار ووقت الحصاد .

### الوثيقة (6) [ عقد عمل زراعي ]

«وجه تحرير التمسك : هو أنه أنا نجم بن محمد، وحسين بن علي، ومشعل، [نُقر] بأن علينا وفي ذمتنا لناقل السند الشرعي جناب الأكرم الحاج محمد سعيد افندي قاضي الحلة من الدين اللازم، والحق الواجب، مبلغاً قدره ونصابه مائة وخمسين رايج بغداد<sup>(1)</sup> دين في ذمتنا متكافلين<sup>(2)</sup> متغامرين، الحي يؤدي عن الميت، والخاضر يؤدي عن الغائب، وهي عن مساعدة فلاحه في بستان الكبيرة المزملة، بشرط ان نفلح في البستان، ونتقيد بخدمتها خدمة تصلح لها، ونزرع بها صيفي وشتوي على حدودها، ويعطينا عوض خدمتنا كل واحد نصف تغار شعير تمويت<sup>(3)</sup>

(1) أي : قرش رايج بغداد .

(2) في الأصل : متكافلين .

(3) تمويت : أطفاء .

ما نطالب، وخمس منامج<sup>(1)</sup> مخيرات . وعلى هذا وقع الرضا بيننا، واعطيناه الوثيقة سنداً بيده لوقت الحاجة في 17ر ( ربيع الاول ) 1213 .

### تحليل الوثيقة

1- يبدو ان العقد ينصرف الى التعاقد مع بعض الفلاحين في البستان المشار اليها في الوثيقة في ظل وجود مساقى (اي فلاح بستان ) يقوم بهذه المهمة، بحيث تأتي جهود المذكورين في العقد مكمله لجهود ذلك المساقى في العناية بالبستان. والتعبير الوارد فيها (مساعة فلاحه) يعزز هذا المعنى.

2- إشارة الوثيقة الى معنى التضامن بين المكلفين بأداء الالتزام بمعنى أن للمتعاقد الآخر أن يطالب أيأ منهم يختاره للإيفاء بالالتزامات المترتبة عليهم جميعاً دون ان يضطر الى تجزئة الحق.

### الوثيقة (7) [ عقد بيع يرد على عقار ]

«السبب الداعي لتحرير الكتاب الشرعي، والأمر الباحث لتسطير الخطاب المرعي : هو أنه قد حضر كل من المدعويين، وهما محمد وعليوي ابنا حميد ابي خشوت، وباعا بالبيع البات القطعي الشرعي، من وكيل رافعة هذا الكتاب الشرعي، الحاج عباس بن احمد، وهو اشترى وابتاع منهما بمال موكلته لموكلته المدعوة (خانة بنت جمعة) دون غيرها، ما هو للبائعين المزبورين وملكهما ويبيدهما وتحت تصرفهما الى حين صدور هذا البيع منهما، وذلك ثمانى حصص من أصل خمس وأربعين حصّة من جميع فلاحاني البستانة المعروفة بأمر الخستاوي، الواقعة في قرية العتايق<sup>(2)</sup> المشتملة على نخل وأشجار وتال وفسلان، وأرض وكرد على الفرات العظمى<sup>(3)</sup>، المحدودة بحدود الأربعة: الأول مغارسة ذياب البلبوص، والثاني طريق العذار<sup>(4)</sup>، والثالث بعضاً

(1) كذا في الأصل .

(2) قرية العتايق: قرية على شط الحلة، من الجانب الغربي، ذكرها الفيروزآبادي (ت 817/1315م) بقوله «بلدة شرقي الحلة المزيدية» القاموس المحيط، ط بولاق 1301، ج 3 ص 254 وهي معدودة من أخصب قرى الحلة وقد انتقلت، في الربع الاول من القرن العشرين، الى ملكية الاسرة المعروفة بأل سامي بك .

(3) يريد : شط الحلة .

(4) العذار : اسم يطلق على القرى الواقعة على ضفتي نهر الحلة في الجهة الجنوبية والشمالية من الحلة، ويمتد من أعالي اطلال بابل الى اسفل قضاء الهاشمية. يوسف كر كوش الحلي : تاريخ الحلة، النجف 1965، ج2ص 153 .

سجاجة، وبعضاً الباغجات<sup>(1)</sup> اللاتي من وراء القرية، وبعضاً الطريق المار الى الفرات العظمى، والرابع الفرات العظمى، بثمن معين ومبلغ معين، قدره ونصابه مائتا قرش رومي من عين الشوشي الكبير<sup>(2)</sup> المضروب بسكة السلطان سليم خان، عبارة عن القرش تسع تقاليس من رايج مدينة بغداد، مقبوضة في يد الوكيل المزيور الحاج عباس في مال موكلته المزيورة خانة، الى يدي البائعين المزيورين بالوفاء والتمام، بيعاً وابتياًعاً صحيحين صريحين شرعيين مرعيين، مشتمل على الايجاب والقبول، والتخلية في الطرفين في اليدين، واسقاط الغبن والخيار، صدر انهما في حال الصحة والإختيار من غير إكراه ولا إجبار، فيوجب ذلك حكم بصحة البيع، وصار جميع ما وقع عليه عقد البيع ملكاً من املاك الموكلة المزيورة خانة، وحقاً من حقوقها تتصرف به كيف تشاء وحيثما تشاء، كتصرف الملاك بأملاكهم وذوي الحقوق بحقوقهم، من غير مانع ولا منازع لها في ذلك . ثم غب صحة البيع وقبض الثمن إصطلحت المشتريه مع البايعين وابرات ذمتها إبراءً عاماً وأبرءاً ذمتها أيضاً أبراء عاماً، ولم يبق لكل فريق عند الآخر دعوة ولا طلبه بوجه من الوجوه .

(1) الباغجة، مركبة من باغ : جنة، جه : أداة تصغير، فتكون، جنينة، والمقصود بها اصطلاحاً مزرعة البقول كالسلق واللفت والشوندر . الخ . داود الجليبي : كلمات فارسية في عامية الموصل، بغداد 1960، ص 19 .

(2) هذه إشارة فريدة الى نوع من العملات المستعملة في العراق في القرن الثامن عشر، ليس ثمة معلومات مؤكدة عنه لحد الآن، فالقرش الرومي اسم يطلق على القرش الصاغ، وهو عملة فضية عثمانية، كانت تعدل 40 بارة (عملة فضية صغيرة)، بينما ثمة نوع آخر من القروش، هو القرش الرائج، ويعدل ربع القرش الصاغ، أي عشر بارات، وإشارة كاتب الوثيقة (من عين الشوشي الكبير) قد تحمل الى الظن انه عنى ما كان يعرف بالقرش العين، وهو نوع من القروش كان يضرب من الفضة الخالصة، ويعدل في القرن الثامن عشر قرش صاغ وثلاث القرش، أي 54 بارة (كتابنا : الموصل في العهد العثماني، النجف 1975، ص 557) ومما يعزز هذا الرأي ان فيليكس جونز اشار في منتصف القرن التاسع عشر الى ان قيمة الشوشي 56 (قرشاً) فالظاهر أنه اراد بما سماه قرشاً البارة عينها . (بغداد في سنة 1853، ترجمة عبد الوهاب الأمين، مجلة المورد عدد (2، 3، 1974، ص 80) لتقاربها الشديد مع عدد البارات في القرش العين، وعلل صاحب محيط المحيط تسمية الشوشي بأنها نسبة الى نقش فيه كالشوشة (الشوشة : الرأس) وصرح بافرنجية هذه العملة (ولعله استند في ذلك على اساس ان العملة العثمانية ليس فيها صور لرؤوس الملوك خلافاً للنقود الاوربية) وتابعه في هذا آخرون (عباس العزاوي : تاريخ النقود العراقية 169 والكرملي: النقود العربية 179) وتصريح كاتب الوثيقة بأنها مضروبة بسكة السلطان سليم خان، ينفي افرنجيتها .

وكان ذلك في الرابع والعشرين من شهر شوال السنة عشرين ومايتين والف

عن قبول  
عن قبول  
محمد  
عليوي

### الوثيقة (8)

«هو أنه قد حضر الرجل المدعو الحاج عباس ابن أحمد الوكيل عن المرة<sup>(1)</sup> المدعوة خانة بنت جمعة المياحي، وكالة مطلقة على الدعوى على الرجلين المدعويين محمد وعليوي ابني حميد ابي خشوت بالبستانة المعروفة بمال المياحي، الواقعة في قرية العتايق من أعمال الحلة السيفية. وان المزبور الحاج عباس وموكلته بعد ذلك قد اصطلحا معهما وإبراء ذمتهما من الطرفين في البستانة المزبورة، ما عدا ما كتبها لها بذلك حجة إبراء عاماً مُسقط لجميع الدعاوى وحاسم لجميع الآثام، بحيث لم يبق للموكلة المزبورة عندهما من خصوص البستانة المذكورة دعوة ولا طلبية ما عدا ما باعاهما من الحصص المذكورة في حجتها، وكذلك هما أبرء<sup>(2)</sup> ذمتهما إبراء عاماً مُسقط لجميع الدعاوى، وحاسم لجميع الآثام، بحيث لم يبق لهما عندها دعوة ولا طلبية بوجه من الوجوه، لا في الدنيا ولا في الآخرة.

وكان ذلك في اليوم الرابع والعشرين من شهر شوال السنة عشرين ومايتين والف .

عن قبول  
عن قبول  
جمعة بنت خانة  
الحاج عباس

### تحليل الوثيقتين

1- إن ظاهر النص ينصرف الى إبرام عقد بيع بين طرفين متعاقدين، ولقد تم تعيين محل العقد بشكل مفصل تجنباً للجَهالة والغَرَر، لا سيما وأن الشريعة الاسلامية لا تعرف مفهوم الشكلية في العقود ( كالتسجيل في السجل العقاري الجاري به العمل الآن) مما يقتضي تعيين المحل تفصيلاً، لأن هذا العقد هو ما سيكون المحرر الوحيد الذي يثبت هكذا بيع .

(1) المرأة.

(2) في الأصل : ابراء .

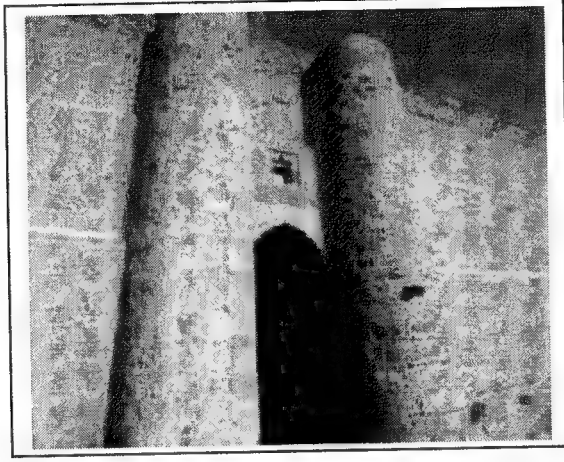
2- يلاحظ أن العقد يؤكد صراحة على العناصر الواجبة لصحة التراضي، أحد أركان العقد، خاصة بما يتعلق بسلامة الإرادة من العيوب، والمعبر عنها بالوثيقة بالإكراه .

3- إن الشرط الأخير يفيد معنى المخالصة، حيث يُقر كلا الطرفين باستيفاء كامل حقوقهما من الآخر، ومن ثم إسقاط أية مطالبة قضائية مستقبلاً بهذا الشأن .

4- يلاحظ أن الوكالة عن المرأة لا تعني عدم أهليتها لإبرام هذه العقود، لأن المرأة ذات اهلية شرعاً شأنها شأن الرجل في إبرام العقود المختلفة، بل أن ذمتها مستقلة بالكامل عن ذمة زوجها . خلافاً لما هو متبع حتى الآن في بعض الدول الأوروبية .

## من تاريخ الخدمات النسوية العامة في بغداد

كلما ذُكرت مشاريع الخدمة العامة التي قامت بها المرأة في العراق، بل في تاريخ الإسلام، إلتمعت في وجدان الباحث مآثرة تلك السيدة الكريمة زُبيدة زوج الخليفة هارون الرشيد في توفير مياه الشرب للحاج في طريق الحج، في مشروع عملاق ما زالت معالمة باقية حتى اليوم، إلا أن تلك المآثرة لم تكن هي الوحيدة في مجال ما قدمته المرأة في العراق في مجال الخدمة العامة ونافع الأعمال، وإنما تلتها مآثر أخرى قامت بها نساء صالحات في ذلك المجال النافع.



مشروع السيدة زبيدة لارواء الحجيج في مكة

ويهدف هذا البحث إلى تقديم مدخل لدراسة تاريخ الخدمات النسوية العامة في بغداد منذ أواسط العصر العباسي وحتى نهاية عهد الدولة العثمانية، من خلال دراسة نماذج من المشاريع الخدمية المهمة التي أنشأها، أو شاركن في إنشائها، وهي موزعة على خمسة محاور رئيسية:

- 1- إنشاء المساجد والجوامع والوقف عليها.
- 2- إنشاء المدارس ودور القرآن والوقف عليها.
- 3- إنشاء الربط والزوايا والوقف عليها.
- 4- إنشاء الخدمات الصحية والبلدية.
- 5- وقفيات على أعمال خير متنوعة.

ولا شك في أن قيام هذه المبادرات يدل على تفهم كثير من النساء - في أكثر الحقب ركوداً - لحاجات مجتمعاتهن الأساسية، وإنشاء المساجد أو الوقف عليها كان يمثل تأكيداً على صلة المسلم بربه بإقام الصلاة في أوقاتها، وتأسيس المدارس العديدة كان يمثل في الواقع تقديراً لحاجة المجتمع إلى العلم والثقافة، وإنشاء الرُّبُط والزوايا، كان يمثل تقديراً لحاجة فئات من العُباد والصالحين إلى مأوى لهم، ومن ناحية أخرى فإن وقف الأوقاف الكثيرة على الفقراء والمحتاجين والأرامل والأيتام يقف دليلاً على تفهم مشاكل تلك الفئات والتعاطف معها، ومن ثم فإن ذلك كله يسجل مقداراً عالياً من (الوعي) لدى أولئك النسوة الصالحات.

وليس (الوقف) مجرد إيجاد مصادر ثابتة لتمويل مشاريع معينة، وإنما هو يتجاوز ذلك إلى إنشاء مؤسسات حقيقية تخدم المجتمع وتقدم النفع العام، فوقف أراضي زراعية ودكاكين، وخانات تجارية، ودور، في وقفية ما، يستلزم إدارة كفوءة وأمانة في آن واحد. ولقد سعى أصحاب الوقفيات إلى اختيار (مُتولِّين) تجتمع فيهم هاتان الصفتان لإدارة مشاريعهم من بعدهم، إلا أن سعة الوقف كان يستلزم دون ريب موظفين آخرين (ناظر، محاسب، ساعي، مُعقَّب... الخ) وهو ما يعني تكوين مؤسسة فعلية، مستقلة في مصادر ثروتها تعمل من أجل تحقيق أهداف الوقاف.

ولم يكن دور إدارات هذه المؤسسات قليلاً بأية حال، ففي المجالات التعليمية كان المتولي يمارس صلاحيات واسعة في اختيار المدرسين، واختبارهم، وفي عزلهم إن اقتضى الأمر ذلك، وفي قبول الطلبة، وتوفير الخدمات لهم، مما نص عليه الوقاف. أما إدارة المشاريع المخصصة للخدمة الاجتماعية، مثل مساعدة الفقراء والأرامل والأيتام، فكان على المتولي أن يسعى لرعاية من يستحق العون بحسب المواصفات التي حددها الوقاف، وتشمل تقديم الطعام، والكساء، وتخصيصات مالية أحياناً.

وعلى الرغم من صعوبة إدارة مؤسسات كهذه، ودقتها فإن المجتمع لم يرَ بأساً في أن تتولاها سيدات عُرفن بالكفاءة والأمانة، لذا فقد حظلت الوقفيات بأسماء نسائية بصفتهم (مُتولِّيات) لإدارة الوقف، وهو ما يعني أن عدداً كبيراً من المؤسسات الدينية والثقافية والاجتماعية كانت تتولاها المرأة باستقلال تام، نظراً لما يتمتع به الوقف نفسه من حصانة واستقلال، حتى أن المرء ليحтар حقاً كيف استطاعت نساء في مثل تلك الظروف أن يتولين مؤسسات خدمية كثيرة الموارد، متنوعة المصادر، مختلفة الخدمات ولفترات غير قليلة من الزمن.

وتحتل بغداد نسبة عالية من مشاريع الخدمة العامة التي أنشأتها نساء فضليات على امتداد تاريخها الطويل وذلك على النحو الآتي:

### أولاً: إنشاء المساجد والجوامع والوقف عليها

#### مسجد الحظائر

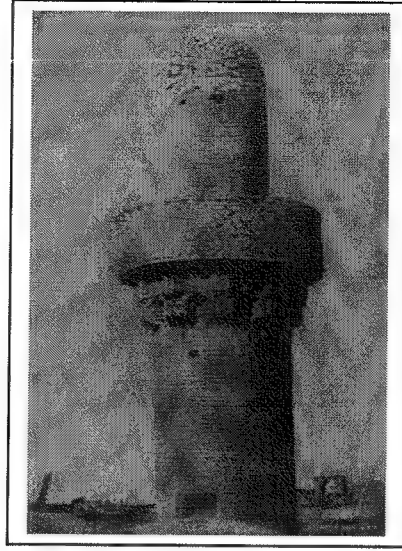
أنشأته السيدة زمرد خاتون زوجة الخليفة المستضيء بأمر الله (566-575هـ/ 1170-1180م) في موضع نزه من شرقي بغداد، إلى الجنوب قليلاً من مبنى المدرسة المستنصرية، مُطل على شاطئ دجلة عند مَشْرَعَة عُرْفَت، عصر ذاك، بمشْرَعَة المُرْمَلَات، والمزملات هي السقايات الموقوفة على الواردين من أبناء السبيل، وما زال مبنى هذا المسجد حتى يومنا هذا شامخاً بقبابه المعقودة على الطراز العباسي البديع، وبمئذنته المزججة الرشيقة التي تعود إلى عهد إنشائه، وتتميز هذه المئذنة بالآجر الأزرق المزجج الذي يزين أعلى قبتها، وقد نُسب هذا المسجد أولاً إلى حظائر الشوك، أي أماكن حفظه وبيعه وقوداً، التي كانت بقريه، ثم عرف في العهود المتأخرة بجامع الصاغة الخفاف في هذا السوق في العهود التالية<sup>(1)</sup>. وقد وصف السيد محمد سعيد الراوي هذا الجامع بقوله «هو جامع وسط في السَّعة والكبر، له مُصَلَّى كبير مُطل على نهر دجلة.. وعلى يمين هذا المصلى مصلى صغير بباب معقود، وفيه باب يؤدي إلى المصلى الكبير، وهو مُعد للشافعية، وفيه مئذنة واقعة غربي المصلى، وعلى يمين الداخل إلى صحن الجامع غرف تحتيّة إحداها مدرسة.. فيه مدرس وخطيب وإمام ومُؤذن وخادم»<sup>(2)</sup>.

وكعادة هذه السيدة في الإشراف المباشر على شؤون مؤسساتها، اختارت بنفسها الشيخ عمر بن يوسف بن محمد بن نيروز البغدادي (541-611هـ/ 1145-1214م)<sup>(3)</sup> ليكون إمام مسجدها، وكان هذا شيخاً صالحاً كثير العبادة<sup>(1)</sup> «خيراً ثقة»<sup>(2)</sup> على ما وصفه معاصروه.

(1) محمود شكري الألوسي: مساجد بغداد وآثارها، بغداد 1345، ص112 وعبد الحميد عبادة: العقد اللامع بآثار بغداد والمساجد والجوامع، بتحقيقنا، بغداد 2005، ص341-345. ومحمد سعيد الراوي: خير الزاد في تاريخ مساجد وجوامع بغداد، بتحقيقنا، بغداد 2006، ص95-100.

(2) خير الزاد ص96-97.

(3) الذهبي: تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام الطبعة 62، الترجمة 33.



مئذنة جامع الخفافين

وقد وجدت في هذا المسجد خزانة كتب قديمة تضم نوادر المخطوطات. وصفها السيد محمود شكري الألوسي بأنها تشتمل على مخطوطات قديمة العهد، والكثير منها تلف بتداول الأيدي<sup>(3)</sup>، وسجل السيد نعمان خير الدين الألوسي أسماء نحو ستين كتاباً منها في فهرس خاص وقفنا عليه ونشرناه<sup>(4)</sup>، ومن تلك المخطوطات كتب جادة، أي كتب منهجية مما كان يدرس في المدارس الإسلامية، وكتب في الحكمة وعلم الحيوان والطب والأدب وغير ذلك، ومن بقايا هذه الخزانة شرح صحيح مسلم للنووي بخط بديع محلّي بالذهب، مخطوط سنة 900هـ، ويظهره وقفية المخطوط<sup>(5)</sup>.

#### مسجد السيدة بنفشة خاتون ببغداد

أمرت السيدة بنفشة بنت عبد الله زوجة الخليفة المستضيء بأمر الله العباسي (566-575هـ / 1170-1180م) بإنشاء مسجد كبير بسوق الخبازين من سوق الثلاثاء عند عقد الحديد ببغداد «فعمر عمارة فائقة وكُسي» وجرى افتتاحه في النصف من شعبان من سنة 573هـ/1177م، وكان أول من أم فيه بالناس الشيخ عبد الوهاب بن

(1) ابن الفوطي تلخيص مجمع الآداب في معجم الأسماء والألقاب، تحقيق مصطفى جواد ج 4/817

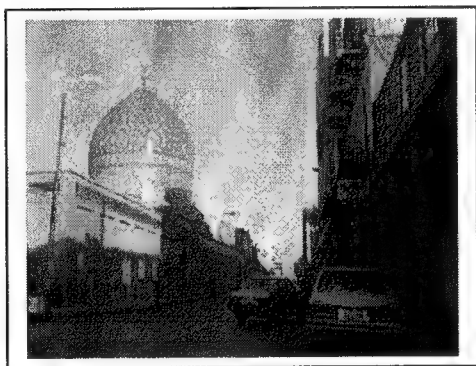
(2) مصطفى جواد: في التراث العربي 72/1 نقلاً عن تاريخ ذيل تاريخ بغداد.

(3) مساجد بغداد وآثارها 42.

(4) فهرست مكاتب بغداد الموقوفة، بتحقيقنا، الوقف السني ببغداد 2013، ص 170-173.

(5) الدروبي: البغداديون أخبارهم ومجالسهم، بغداد 1958، 321.

العيبي (وهو زوج ابنة العلامة أبي الفرج ابن الجوزي)، وكان يقرئ فيه القرآن أيضاً. قال محمد بن سعيد بن الديبشي الواسطي في ترجمته «وأقرأ القرآن الكريم وأمّ بالناس في الصلوات بالمسجد الذي أنشأته بنفسها عند عقد الحديد»، وقال ابن النجار في ترجمته: «وكان يُصلي إماماً بالمسجد الجديد بسوق الخبازين عند عقد الحديد»<sup>(1)</sup>. وسوق الخبازين هو المحلة التي عرفت في العصور التالية بسوق باب الآغا القديم، تمييزاً عن درب فراشة الذي عرف فيما بعد بسوق باب الآغا، ثم عُرف القديم منهما بمحلة العاقولية نسبة إلى جامع العاقولي هناك. ولبث مسجد السيدة عامراً لكنه عُرف في العصر العثماني بجامع الحيدر خانة نسبة إلى المحلة التي أحاطت به، ثم أمر والي بغداد داود باشا بنقضه وتوسعة أرضه بضم بعض الدور إليه، وشيد على هذه الأرض جامعاً كبيراً عرف بالحيدر خانة أيضاً سنة 1242هـ، وأضاف إليه مدرسة عُرفت بالداودية نسبة إليه وخزانة فخمة للكتب<sup>(2)</sup>. ويعد هذا الجامع انموذجاً لعمارة الجوامع البغدادية في العصر العثماني.



جامع الحيدر خانة (مسجد بنفشأ القديم)

### جامع الوفائية

يقع هذا الجامع في السوق المسمى قبل نحو قرن بالكبابجية ثم بسوق البزازين ويسوق العبي (جمع عباءة)، وهو جامع قديم لا تُعرف هُوية مؤسسته، أو مُجددته، على وجه اليقين، وذهب بعض الباحثين<sup>(3)</sup> أنها السيد وفا خاتون من نساء الجلاليين

(1) ابن الساعي: جهات الائمة الخلفاء من الحرائر والإماء، تحقيق مصطفى جواد، ص113 وهامش المحقق ص 114.

(2) تذكرة الشعراء، بتحقيقنا، بغداد 2002، ص273.

(3) عباس العزاوي: تاريخ العراق بين احتلالين ج2 ص335.

المتوفاة سنة 761هـ، بينما ادعى بعض المتأخرين في إعلام شرعي متأخر أنها السيدة وفا خاتون بنت أحمد افندي من نساء القرن العاشر الهجري (16م)، وأنها وقفت عليه عدداً من الدكاكين لتتفق وارداتها على تعمير الجامع وترميمه ودفع رواتب العاملين فيه، مدعياً أنه من ذريتها، وسماها السيد عباس بن رجب البغدادي «السيدة وفا العباسية» رجماً بالغيب<sup>(1)</sup>.

وقد وصفه السيد محمود شكري الالوسي في أوائل هذا القرن بأنه «من مساجد بغداد القديمة العهد، فيه مصلى صغير وفناء واسع وحُجر»<sup>(2)</sup>، ووصفه عبد الحميد عبادة بقوله «جامع قديم تقام فيه الجُمع والأعياد والصلوات الخمس.. وإدارة شؤون هذا الجامع من قبل متوليه»<sup>(3)</sup> وقال السيد محمد سعيد الراوي أنه «مشمّل على مُصلّى صغير، أمامه رواق مُسقّف بالخشب، وفيه فناء واسع وبعض الحجر»<sup>(4)</sup>.

وما زال هذا الجامع عامراً بالمصلين حتى يومنا هذا.

### جامع الوزيرية

أنشأت السيدة خاتون بلاسم جامع الوزيرية في المحلة التي كانت تعرف بهذا الاسم من محلات بغداد القديمة، وهي غير حي الوزيرية الحديث الذي نشأ بعد هذا التاريخ بأكثر من قرنين، ووقفت جميع القطعة المعروفة ببيت دراج على المسجد لخدمة منفعة دائمة وثواب غير منقطع وصارت القطعة والغرس وقفاً على المسجد المشهور في محلة الوزيرية وعلى الخدمة وذلك في محرم 1149هـ / أيار 1736م<sup>(5)</sup>.

### جامع الست نفيسة

ينسب هذا الجامع إلى السيدة نفيسة القشطيني من أهل القرن الثاني عشر للهجرة، ويقع في المحلة المعروفة باسمه قرب شريعة خضر الياس في كرخ بغداد، المسماة قبلاً بمحلة الحجّاج. ونفى السيد محمد خلوصي الناصري أن تكون مؤسسته

(1) كتابنا: مساجد بغداد في كتابات الأجداد، بغداد 2006، ص36.

(2) مساجد بغداد وآثارها ص54

(3) العقد اللامع ص348.

(4) خير الزاد ص100-101.

(5) وزارة الاوقاف (الوقف السني اليوم) سجلات الاوقاف ج1 ص119 وسنرمز الى هذه المجموعة من الوقفيات قيما يأتي بكلمة (الوقاف) إلتماساً للاختصار.

هي السيدة نفيسة المذكورة، وقال أن مؤسسه هو محمد سعيد القشطيني الأول، أو هو محمد سعيد المشهور بالحاج سعودي التكريتي، قلنا: فإن لم تكن هي المنشئة، ففي أقل تقدير أنها عمرته وجدته، فنسب إليها. ووصف السيد محمد سعيد الراوي هذا الجامع بأنه «يضم حجرة للتدريس، وخزانة للكتب، وقفت فيها الكتب الغالية، وجعلتها لتدريس فقه الإمام الشافعي رحمه الله، كما يظهر من تلك الكتب الموقوفة التي معظمها كان في الفقه الشافعي، وقد رأيت كثيراً منها بعيني.. وأنه مشتمل على مصلى واسع، فيه حجرة للإعتكاف والخلو، وأمام المصلى صُفَّة، وشمالي الصُفَّة حجرة فيها قبور»<sup>(1)</sup>.

### وقفية حُسنَى بنت عبد الله على جامع عمر السهروردي

وقفت السيدة حُسنَى بنت عبد الله بن فتحي من سكان قرية بلاد روزين، وهي بلدة (بلدروز) الحالية في محافظة ديالى، من مضافات مدينة بغداد، الباغجة التي تملكها في القرية المذكورة (المشتملة على ثلاثين شجرة نخل والمعروفة ببستان محمد وعبد الله فتحي) على تميمير مرقد الشيخ ابي حفص شهاب الدين عمر السهروردي (المتوفى سنة 632هـ) ببغداد، بموجب وقفيتها المؤرخة 28 ذي القعدة 1157هـ/ 23 تشرين الثاني 1745م<sup>(2)</sup>.

### جامع العادلية الصغير

أنشأت هذا الجامع السيدة عادلة خاتون<sup>(3)</sup> بنت والي بغداد الوزير أحمد باشا بن والي بغداد حسن باشا، وكان يقع في المحلة التي عرفت (بالدنكجية) من محلات الجانب الشرقي من بغداد<sup>(4)</sup>، فنُسب إليها<sup>(1)</sup>، شيدته سنة 1160هـ/ 1747م إحياء لذكرى والدتها كُلْرُخ خانم.

(1) خير الزاد ص398 والعقد اللامع ص482.

(2) سجلات الاوقاف ج1 ص10.

(3) افردنا كتابا مستقلا في سيرة هذه السيدة بعنوان (عادلة خاتون صفحة من تاريخ العراق) طبع ببغداد سنة 1997 ووسعناه واضفنا اليه مواد جديدة ووثائق مهمة وطبع في دمشق سنة 2015.

(4) يذكر الحاج أمين المميز، وهو الذي عاش سني طفولته وصباه في هذه المحلة بأنه سمع من الشيبية والعجائز انها نسبت الى جهاز يعرف بالدنك منصوب في دكان في عقد الصخر (قريب من سوق الصفاير حالياً) ويستعمل لتهبيش التمن، وهو عبارة عن صخرة كبيرة مشدودة الى ذراع طويل من الخشب يشبه العتلة، فيرفع الصخرة عدد من العمال ثم يهوون بها على التمن فتهبشه (أي تفصل السحالة عن حبات التمن الصحيحة) ببغداد كما عرفتها، ببغداد 1985، ص90.

وقد وصف الحاج أمين المُمَيِّز هذا الجامع، كما رآه في صباه، بما يأتي «هو يتكون من الحَرَم (يريد المصلى أو بيت الصلاة) والطارمة الواقعة أمامه، وغرفة الامام، وغرفة الخادم والمرحاض. وتتوسطه حديقة صغيرة فيها ثلاث نخلات»<sup>(2)</sup>.

ووصفه في مفتتح هذا القرن السيد محمود شكري الآلوسي بقوله: «هو مسجد صغير حَسَنَ الوضع، قرب الجسر اليوم في الجهة الشمالية منه، وهو من المساجد التي تقام فيها الجُمُوع والأعياد وسائر الصلوات، وقد تداعى للسقوط فجدد عمارته متولي أوقافه سنة ثمان عشرة بعد الثلاثمائة والألف»<sup>(3)</sup>(1900م).

وقال السيد محمد سعيد الراوي: «هو جامع صغير واقع على يسار السالك من سوق الصَّفارين الى طريق الجسر عند منتهى الدرب الواقع أمام بناية مطبعة الحكومة»<sup>(4)</sup>. وهو جامع مشتمل على مصلى وصُفَّة أمامه، وحجرتين عند مدخل الباب على يسار الداخل متجهة بابهما نحو القبلة. ويُدَار هذا الجامع من قبل المتولي الذي يلي أوقاف جامع العادلية الكبير، وهو أيضاً من أبنية المرحومة صاحبة الخيرات عادلة خاتون بنت الوزير فاتح همدان أحمد باشا، وزوجة المرحوم الوزير الخطير سليمان باشا صاحب الخيرات رحمة الله عليهم أجمعين<sup>(5)</sup>.

وكانت على باب هذا الجامع لوحة من الرخام، كتبت عليها ثمانى أبيات دالية، تؤرخ بناءه بحساب الجُمْل، وقد طُمست معالم البيتَيْن الأولين منذ زمن بعيد، وبقيت الأبيات الستة التالية، وسجلها الآلوسي<sup>(6)</sup> وعباده<sup>(7)</sup> والراوي<sup>(1)</sup> على النحو الآتي:

---

(1) أشار السيد عباس بن رجب البغدادي إلى هذه المسجد باسم مسجد الدنكجية، وقال: وهو معمور، ومن آثار المرحومة عادلة خاتون. نيل المراد في أحوال العراق وبغداد، فصل نشرناه في كتابنا (مساجد بغداد في كتابات الأجداد) ص45.

(2) بغداد كما عرفت ص 180-181 ولما تزل إشتان من هذه النخلات باسقنان في موضعهما ولم تمسهما يد القطع، على الرغم من ازالة الجامع نفسه، وكان ذلك بسعي محمود بذله المرحوم الاستاذ الحاج أمين المميز لدى أمانة بغداد في حينه لتبقى شاهداً على مكان ذلك الجامع الشريف.

(3) مساجد بغداد وآثارها، بتهذيب الشيخ محمد بهجة الآثري، بغداد 1341هـ، ص45-46.

(4) هي البناية التي شغلها مطبعة الحكومة ثم أصبحت مقراً لمديرية الآثار العامة، وقد أصبحت منذ 1970 متحفاً للموروث البغدادي باسم (المتحف البغدادي).

(5) خير الزاد ص233

(6) تاريخ مساجد بغداد وآثارها ص45.

(7) العقد اللامع ص274.

لقد أشبعتها الحادثاتُ وردّها إلى صدف الأجداث بعد السنا الردى  
 فغمّر أهلوها لها أي مسجد على غير تقوى الله لن يتشيّدا  
 أمانٌ ولا خوف، ورُشد ولا عمى وخيرٌ ولا ضرٌّ به أشرق الهدى  
 فصّفوا به صّفو القلوب ولم يزل تراه لأبصار المصلّين أثمدا<sup>(2)</sup>  
 فلما زهى ببيان باب دخوله لنا وجلّى ماءً لضمّان من الصدى  
 هناك اقتبسنا آية الذكر أرخوا لرب السّما الهادي أدخلوا الباب سجّدا  
 (1161)

إلا أن من المؤسف أن تُرفع هذه اللوحة هي أيضاً بعد تعميره الذي سبق إزالته  
 كلية. وإذ تشير الأبيات المذكورة الى أن أهل سيّدة ما قد عمّروا لها هذا المسجد<sup>(3)</sup>،  
 فإن أبيات أخرى بالتركية، كانت قد حرّرت على رخامه وضعت فوق مُصلاها، صرّحت  
 بأن تلك السيّدة هي كلرُخ خاتون، وإن ابنتها السيّدة عادلة خاتون هي التي عمّرت  
 الجامع إيفاء لحقوقها عليها. وعجز التاريخ هو: (فَبَنَتْ لِلَّهِ دَاراً لِلْعِبَادِ الصَّالِحِينَ).  
 وحسابه: سنة 1168هـ.

وهذه الأبيات، هي إحدى روائع ما خطته يد الخطاط المَجُودِ إسماعيل الأنوري  
 البغدادي<sup>(4)</sup>، من كبار خطاطي بغداد في القرن الثاني عشر للهجرة (18م)، ولم يكن

(1) خير الزاد ص 234

(2) الاثمد هو حجر الكحل الذي يجلو البصر.

(3) ظن المرحوم السيد محمد رؤوف الشихلي أن السيّدة التي تشير إليها هذه الأبيات هي عادلة خاتون نفسها، وعليه فقد ذهب إلى أنها توفيت قبل سنة 1161 ولكنه لم يستطع تفسير الإشارة إليها بوصفها على قيد الحياة في الأبيات التي على جامع العادلية الكبير المبني بعد الجامع الصغير المذكور، فقال أن تواريخها بعد تاريخ هذا الجامع الصغير لم يذكر فيها وفاتها بل العكس يؤكد أنها على قيد الحياة، فمن يحل لنا هذا المشكل؟، المعجم الجغرافي لمدينة بغداد القديمة بين سنة 1270-1360هـ، البصرة 1977، ص 87، قلنا: وسبب هذا اللبس أن المؤلف المذكور لم يرجع إلى الأبيات التركية التي تصرّح باسم كلرُخ خاتون.

(4) هو السيد إسماعيل بن مصطفى الأنوري البغدادي، أخذ الخط عن كبار خطاطي عصره، وسافر الى استانبول للأخذ عن خطاطيها، وتوفي هناك في شهر رجب سنة 1189هـ/ 1775م. انظر ترجمته في وليد عبد الكريم الأعظمي: جمهرة الخطاطين البغداديين ج2، بغداد 1989، ص 595-596.

مصير اللوحة بأفضل من سابقتها، فقد أزيلت منذ عهد بعيد<sup>(1)</sup>، وانفرد عبادة بتسجيل ما كان عليها من أبيات.

ونلاحظ أن الوقفية المؤرخة في غرة جمادى الأولى سنة 1162هـ/19 نيسان 1749م على جامع العادلية الصغير تضمنت تخصيص راتب يومي لمحافظ المكتبة، وذكرت عناوين بعض الكتب في التفسير والفقه وغير ذلك، فضلاً عن المصاحف الشريفة، مع أنها خلت من إشارة إلى وجود مدرسة، أو مدرس، وليس في نص الوقفية التالية (المؤرخة في سنة 1171هـ/1175م) ما يدل على وجود مكتبة في هذا الجامع، وإنما صرّحت بوجودها في جامع العادلية الكبير حيث توجد مدرستها، فلعل الواقعة نقلت كتبها إلى ذلك الجامع بعد حين. وكان عباس العزاوي قد أشار إلى وجود مدرسة في هذا الجامع، سماها (العادلية الصغيرة) لكننا لم نقف على أحد من مدرسيها<sup>(2)</sup>.

وعلى الرغم من التعميرات التي قام بها متولو الوقف، فإن قراراً صدر بإزالة الجامع من الوجود، لغرض توسيع شارع المأمون الذي يفضي إلى جسر المأمون (جسر الشهداء الحالي)، فكان أن نُقض الجامع برمته، وأدخلت أرضه في الشارع المذكور. وفي سنة 1382هـ/1963م قام متولو الوقف، بإنشاء جامع جديد، أكبر سعة، وأفخم بناءً، على قطعة أرض تبلغ مساحتها 2873 متراً مربعاً، ويشغل الجامع منها نحو 1500م مربع، وهو يتسع لنحو أربعمائة مصلي، ولأنه من أوقاف عادلة خاتون أصلاً، عُرف هذا الجامع باسم هذه السيدة المحسنة<sup>(3)</sup>.

وللجامع قبة ومئذنة ومغسل وداران للإمام والخطيب، فضلاً عن مقر لجمعية الآداب الإسلامية<sup>(4)</sup>، وأنشئت إلى جانبه قاعة كبيرة للمناسبات الدينية والاجتماعية. وتقع الباب الرئيسية في جهة الشمال، وهو مبني بالآجر الاعتيادي المكسو بالآجر الأزرق، وقد كتب في أعلاه ما نصه:

(مسجد السيدة عادلة بنت أحمد باشا جدته مديرية الأوقاف العامة سنة 1382هـ/1962م)

(1) تحطمت هذه اللوحة في أثناء تعمير الجامع سنة 1320هـ/1902م.

(2) تاريخ العراق بين احتلالين ج 6 ص 334.

(3) تولى تصميم الجامع المهندس الحاج عبد الله الصغير، وتولى الإشراف على تشييده المرحوم

المهندس عبد الغني شندالة رئيس المهندسين في الأوقاف المتوفى شهيدا سنة 1970م.

(4) جمعية خيرية ثقافية تأسست في أيلول من سنة 1946.

كما يوجد باب آخر صغير بالجانب الشمالي الشرقي كتب في أعلاه بالكاشاني ما نصه (جامع عادلة خاتون 1382هـ/1967م). وأمام بيت الصلاة طارمة تقوم على ستة أعمدة أسطوانية من الكونكريت تعلوها عقود مزخرفة على الطراز الأندلسي. وفي أعلى الطارمة إفريز كتب عليه بخط بديع الآيات الكريمة من قوله تعالى (في بُيُوتِ أَذُنَ اللَّهِ أَنْ تَرْفَعَ وَيَذْكُرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ) (36) رَجَالٌ لَا تُلْهِهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ) (37) لِيَجْزِيَهمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ) (38) وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بَقِيعةٍ يَحْسبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِنْدَهُ) (سورة النور آية 36-37-38-39)



الرواق الأمامي لجامع العادلية الصغير الجديد

## جامع العادلية الكبير

هذا هو ثاني جامع تقوم بإنشائه السيد عادلة خاتون في بغداد، وقد استغرق بناؤه السنوات 1163-1168هـ/1749-1754م كما دلت عليه الكتابات التذكارية التي عليه. ووصفه السيد محمود شكري الألوسي بقوله: «فيه مصلى واسع ومنارة شامخة»<sup>(1)</sup>، وفيه مدرسة في الطابق الذي فوق الباب، وخزانة كتب، وبعض الحُجَر. أنشأته صاحبة الخيرات والمبرات عادلة خاتون بنت أحمد باشا الذي تولى إيالة بغداد اثنتا عشر سنة وذلك من سنة تسعة وأربعين ومائة والى سنة الحادية وستين<sup>(2)</sup>، وكان زوجها أحد موالى أبيها، وهو سليمان باشا.. وكانت هي من أهل التقوى والصلاح مُحَبَّةً لأهل العلم والزهد كثيرة الصدقات. ولوالدها مآثر مبرورة ومساعٍ مشكورة، وهو الذي حافظ بغداد وقاوم نادر شاه ملك الفرس من استيلائه على العراق.. وكان الفراغ من عمارة هذا المسجد ومدرسته سنة ثمان وستين مائة والى.. وهذا الجامع الى اليوم مشيد الأركان، رصين الجدران، تقام فيه الجمع والأعياد، وفيه مدرس وخطيب وإمام ومؤذن وخدم، مفروش مصلاه بأحسن الفرش، له أوقاف كثيرة»<sup>(3)</sup>.

ووصفه الشيخ عباس بن رجب البغدادي (المتوفى 1334هـ/1915م) بقوله: «مسجد عادلة خاتون من بنات وزراء بغداد السابقين، وهو جامع جمعة، وفيه مدرسة ومئذنة، وإمامان شافعي وحنفي»<sup>(4)</sup>.

وأطنب السيد محمد سعيد الراوي في الحديث عن هذا الجامع، فقال: «هو الجامع الواقع على شارع النهر تجاه دار المحكمة الشرعية، يبعد عن جامع الصاغة»<sup>(5)</sup>

---

(1) من غير المحدد تاريخ انشاء هذه المئذنة، فقد وجدنا كتابة بالأجر المزجج على حوضها تشير الى سنة 1229هـ/1814م فلعلها أنشئت في هذا التاريخ، او أن تعميراً أجري عليها في السنة المذكورة.

(2) هذه هي ولايته الثانية في بغداد، وقد امتدت من 8 رجب 1149هـ/12 كانون الأول 1136م إلى 24 شوال 1160هـ/29 تشرين الأول 1747م. كتابنا: الأسر الحاكمة ورجال الإدارة والقضاء في العراق في القرون المتأخرة، بغداد 1991 ص 63.

(3) مساجد بغداد وآثارها ص 43.

(4) نيل المراد في أحوال العراق وبغداد، فصل حققناه ضمن كتابنا: مساجد بغداد في كتابات الأجداد، ص 27.

(5) هو جامع الخفافين المعروف في العصر العباسي بجامع الحظائر.

قدر ربع ميل .. وهو جامع مشتمل على مصلى واقع على يمين الداخل اليه، ومنارة عالية واقعة على الركن الغربي للمصلى، وعلى يمين باب المصلى رواق صغير لصلاة من فاتته صلاة الجماعة فيصلي هناك منفرداً. وعلى يسار الداخل الى الجامع درج يُصعد به الى المدرسة المطلة على الشارع. ويوجد بعض حُجر في الجهة الشمالية والشرقية للجامع مُعدّة لسكنى الفقراء. أنشأت هذا الجامع صاحبة الخيرات والمبرات عادلة خاتون بنت أحمد باشا المعروف بفتح همدان.. وقد كانت هذه الخاتون المرحومة من الصلاح والتقوى على جانب عظيم، كثيرة الصدقات، محبة لأهل العلم والصلاح... ولا يزال الجامع هذا مشيد الأركان قائم البنيان، غير أنه أصبح منحطاً عن الطريق أكثر من نصف قامة، بسبب تعديل الطريق وتعبيده، وقد اعتنت به دائرة الاوقاف بعد وضعها يدها عليه وعلى أوقافه... وقد كانا يُداران من قبل المتولين ابراهيم افندي المذكور [المميز] ثم ابنه عبد الوهاب<sup>(1)</sup> ثم ولده<sup>(2)</sup>.. وفيه من الموظفين مدرس وإمام وخطيب ومؤذن وخدام، وهو مفروش بأحسن البُسط وأوقافه كثيرة<sup>(3)</sup>. وكانت ثمة أبيات تؤرخ بناء الجامع. حُفرت على لوح من رخام ثبتت على بابه، وهي<sup>(4)</sup>:

ألا لله من بيت مُعلى	مُعدّ للإقامة والصلاة
بناءً أسسه تقوى ودين	ينيف على الخورنق من جهات
فنعم الجامع الوضّاح يزهو	كبدر في الليالي الحالكات
تنوّر بالعبادة فهو يُزري	بأنوار النجوم الزاهرات
بنّته بمالها أمّ المعالي	عقيلة قومها بنت السُراة
سليلة أحمد المرحوم رب الـ	محامد والعلى مولى الكُفاة
وزوجة مفخر الوزراء حُف العـ	دا فلاق هامات الكُماة
سليمان) الزمان الآصف القَرم	فتى الفتيان ممدوح السّمات

(1) الصحيح أن عبد الوهاب هو ابن قدوري بك.

(2) هو عبد القادر بن عبد الوهاب.

(3) خير الزاد ص 102-111.

(4) نقلها الآلوسي والراوي وعبادة بلفظ واحد.

ألا يا دهرُ فافخر أنتَ حقاً	بَعادِلَة الرضا أم الصلّات
كريمةُ قومها في كل مجد	وغيرَ دهرها ذات الهبات
ومُطعمَةُ اليتامى والبرايا	وكاسية الأرامِل والعُراة
تُجددُ كلَّ يوم فعلَ خير	ومن حُسنى صنيع الصالحات
وتُعمّر مسجداً لله يبقى	جزاء الخير في يوم النجاة
وهذا الجامعُ الأسنى بنته	ترومُ به ثوابُ المُحَسّنات
وقد جَعَلتْ ثواباً كانَ منه	لوالدها الرضا ذي المكرمات
ليحيا ذكرها في الدهر دوماً	وتُذكر في الحياة والممات
حماها ربنا من كلِّ سوء	بعز دائم طولَ الحياة
وضاعَفَ أجرها في دار خُلد	ووفّاهَا جزاءَ القانتات
ولما أن تكمل قيل: أرخ	ألا يا تم حيّ على الصلاة

(1163)

وثمة أبيات أخرى، على باب مصلاه الغري، كتبت بالأجر المزجج (القاشاني)  
هذا نصها:

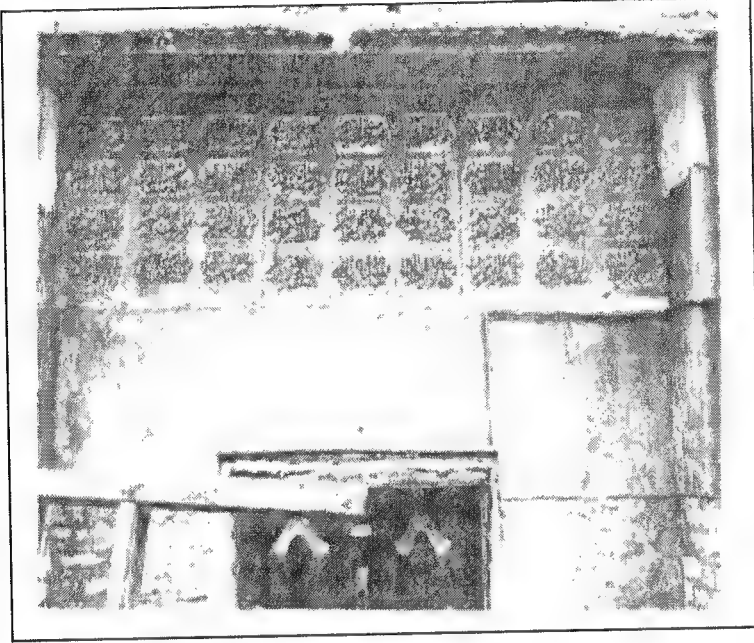
ذا جامعٌ مؤسسٌ	على تقى الرب المتين
بنت الوزير أحمد	بنته للدين المبين
عادلة كريمة	مخدومة للمؤمنين
دامت بعز دائم	في حفظ رب العالمين
تاريخه جاء الهنا	فنعم دار المتقين

(1168)

وقد حُرر تحت هذه الأبيات ما نصه: قال النبي (صلى الله عليه وسلم): (لا عز إلا بطاعة الله تعالى). أما المنبر فقد كتبت عليه، بالأجر المزجج. قوله تعالى: (في بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه يسبح له فيها بالغدو والآصال [36] رجالاً لا

تَلْهِيمُهُمْ تِجَارَةً وَلَا بَيْعَ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ [37] لِيَجْزِيَهمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ [38]] وذلك سنة 1168.

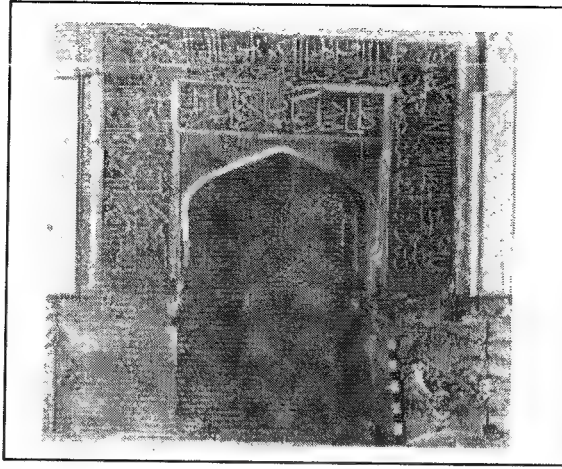
وكانت ثمة أبيات بالتركية، بالمعنى نفسه، كتبت على رخامة في أعلى الباب الواقعة عكس القبلة. والكتابات تشير إلى تجديد جرى على الجامع سنة 1312هـ/1895م. إلا أن أكثر هذه الأبيات والكتابات أزيل في أثناء التعميرات اللاحقة.



أما محراب الجامع القديم فقد كان مكسوًّا بالأجر المزجج، زين داخله بزخارف نباتية يحيط بها شريط على شكل مربعات تقريبية، وفي أعلاه كتبت الآية (كَلِمًا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ) ويحيط به شريط كتابي عريض كتبت عليه الآية (فِي بُيُوتٍ أُذِنَ لِلَّهِ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ)، وفي آخره التاريخ (1168).

وفي وقفية صادق بك بن سليمان باشا المؤرخة في غرة جمادى الآخرة سنة 1233هـ/1817م شهادة لسيد حسن إمام العادلية، وإشارة إلى أن مما وقفه الواقف المذكور «المزرعة المعروفة بمزرعة دوب هندي الواقع قرب المنطقة المحدودة من جهة بأرض وقف جامع العادلية»<sup>(1)</sup>.

(1) كتابنا: معالم بغداد في القرون المتأخرة ص132.



### المحراب القديم لجامع العادلية الكبير

وفي سنة 1330هـ/1911م وُسِّع الطريق المقابل لباب الجامع، وهو الذي كان يعرف بسوق راس القُرَيَّة<sup>(1)</sup>، ثم عُرِف بشارع النهر فشارع المستنصر، فهدمت الباب ورفعت عنها الرخامة المحررة عليها الأبيات المتقدمة، التي مطلعها (ألا لله من بيتٍ معلّى.. إلخ).

وكان ثمة سطر يعلو جدار الجامع وخطوط على محرابه ومنبره بخط الخطاط الشهير صبري بن مهدي<sup>(2)</sup>.

وينوّه عبادة بوقفية قديمة لعادلة خاتون تاريخها سنة 1160هـ/1747م وقفت فيها على هذا الجامع أوقافاً معلومة، وإنها شرطت التولية لنفسها في الحياة وبعدها لأولادها، وإذا انقرضوا فالغلة<sup>(3)</sup> توصل إلى فقراء المدينة المنورة بتعيين رجل أمين يوصلها، وتعيينه مَنوط الى القاضي، وحكم بهذه الوقفية القاضي مومه زاده السيد

(1) تقع محلة راس القُرَيَّة على دجلة، وتحيط بها محلات باب الاغا والدهانة والسبع ابكار، وهي قديمة عرفت باسمها هذا منذ العصر العباسي وكانت تضم في ذلك العصر قصور الخلفاء والامراء ودور الدولة، وكان ابرز قصورها الشاطئية قصر التاج الذي اصبح المقر الرسمي للخلافة العباسية، وعرف سوقها في العصر العثماني باسم سوق (قرية باشي) وهي ترجمة تركية لذلك الاسم، وكثرت فيها الخانات التجارية، ومن معالمها أيضاً بيت القضاة في المحكمة الشرعية وجامع العادلية وخان العادلية المذكور مما أنشأته عادلة خاتون. كتابنا: الأصول التاريخية لمحلات بغداد، بغداد 2004 ص67.

(2) الدروبي: البغداديون ص278.

(3) الصواب: فضلة الغلة.

أحمد حسيب في 18 ذي الحجة سنة 1160هـ (21 كانون الأول 1747م)، وقد شهد فيها عدة أشخاص كرام، منهم أحمد أفندي المصرف، ورئيس البوابين (قبوجيلر كَتَّخْدَاسِي) حسين آغا، والكُمرْكُجي علي أفندي، وأحمد آغا بن محمد آغا كَتَّخْدَا، وعمدة الكرام صاحب السعادة محمد باشا، ورئيس الجواويش كَتَّخْدَاي جاوشان إبراهيم آغا.

والظاهر أن هذه الوقفية هي أولى وقفيات عادلة خاتون، وقد غيّرتها في الوقفيتين التاليتين المؤرختين في سنة 1167هـ/1752 سنة 1171هـ/1757م، ولا شك في أن أحد أسباب التغيير يكمن في كونها لم تُتَجَب خلال المدة التالية من يمكن أن يتولى أوقافها الكثيرة، وسنجدها في الوقفية الأخيرة تُعَيَّن للتولية ابن عمته محمد صالح بك بن عبد الرحمن باشا<sup>(1)</sup>، ومن بعده أولاده وأولاد أولاده<sup>(2)</sup>، وهي لم تفعل ذلك إلا بعد أن تجاوزت سن الإنجاب ويُسْت من أن يكون لها وريث.

وتشير وقفية سنة 1171هـ إلى العقارات الكثيرة التي وقفها على جامعها ومدرستها. ومنها بستان خارج باب المعظم، وهي بستان الصرافية، وثلاثة خانات تجارية، ومقهيان في جانبي بغداد الشرقي والغربي، ودكاكين عديدة وأسكلة خشب، و ساقية، وبئر، ودولاب<sup>(3)</sup>.

وبلغ من عناية أهل الخير بالوقف على هذا الجامع، أن أحد ممالك أحمد باشا بن حسن باشا، ويدعى بشير آغا، وقف سنة 1175هـ/1761م. أي في حياة الواقفة نفسها، عقارات عديدة منها «مزرعته المسماة بدولاب الفحامية، ومقاطعة خارج باب الإمام الأعظم على نهر دجلة على لوازم جامع العادلية الكبير، وقد اشترط أن يقوم ثلاثة قراء بتلاوة القرآن العظيم الشأن في جامع عادلية الشريف المنشأ لخيرات المغفور له المشار إليه أحمد آغا طيب الله ثراه، الواقع قرب محكمة مدينة بغداد دار السلام، على أن يتولى اثنان منهم يومياً جزءاً من القرآن الشريف لكل واحد، ويتلو الثالث يومياً [سورة] ياسين الشريف المذكور بعد ضمة إلى واردات ذلك الجامع» مما يدل على جسامه الأموال التي كانت مخصصة للانفاق على هذه المنشآت النافعة.

(1) تسميه الوقفية: امير امراء شهرزور وكركوك. وكان قد تولى شهرزور (مركزها كركوك) من محرم سنة 1143هـ الاسرة الحاكمة ص240.

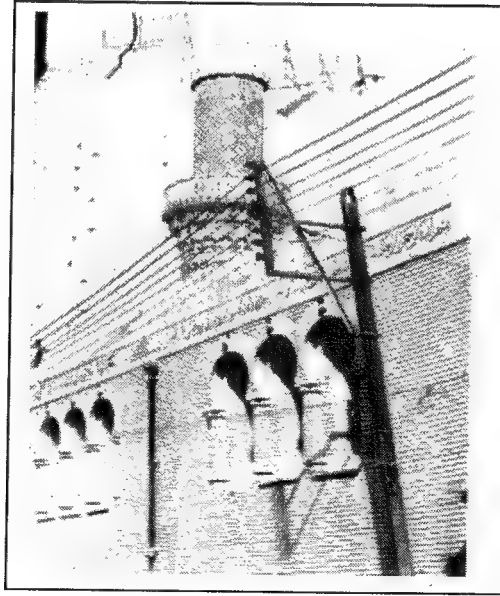
(2) وهم الذين سيعرفون، فيما بعد، بآل المُمَيَّز.

(3) نشرنا هذه الوقفيات في ملاحق كتابنا (عادلة خاتون)..

وقد أعاد متولو الوقف بناء الجامع كلياً سنة 1937م<sup>(1)</sup>. ولما يزل الجامع عامراً  
حتى يومنا هذا.



مئذنة جامع العادلية الكبير



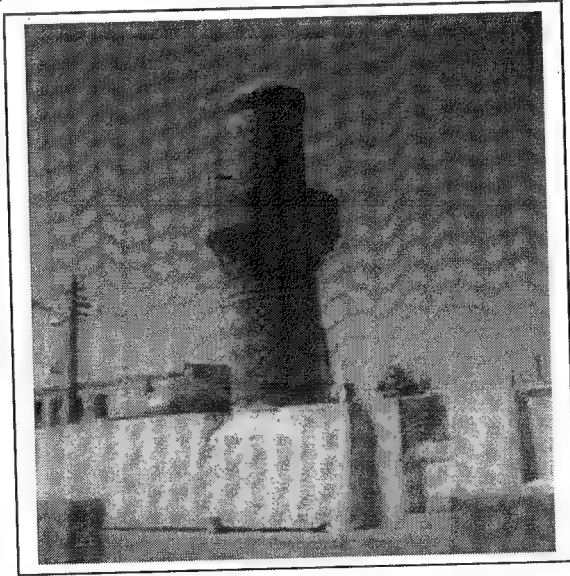
جانب من جامع العادلية الكبير

---

(1) مجلة لغة العرب، السنة 1937، ص317.

## جامع النعمانية

انشأته السيدة الحاجة فاطمة خاتون بنت بكتاش بن السيد ولي سنة 1185هـ/ 1719م، في محلة الشط من محلات الجانب الشرقي من بغداد قديماً (كان هذا الجامع يقع مقابل مبنى البريد المركزي القديم ويلصق المدرسة الثانوية المركزية) وألحقت به سقاية، وعيّن فيه عدداً من العاملين ورتبت لهم الرواتب، منهم: الإمام والخطيب والواعظ وستة مؤذنين ومؤذن المحفل والمشعلجي (الموكل بالإنارة) وخدام السقاية والكّاس وحامل السيّف والكليدار وغيرهم. ووقفت لذلك عدداً من العقارات منها خان الصاغرجية في سوق رأس الجسر ببغداد، ويشتمل على ثلاثين حجرة، والمقهى قرب الخان، والدكاكين الأربعة القريبة من الخان، والمقهى والمخبز الواقع مقابل (كلخان الكيجه جية)<sup>(1)</sup>، والدار الملاصقة للمخبز، والدكان المتصلة بالدار، والدكان الملاصق لمدرسة الوفائية، ودار الحرم قرب الجامع، والديوان الصغير، وحصص عديدة من بساتين في قصبة مندليجين (مندلي) وفي مقاطعة الخالص، وذلك بموجب وقفيتها المؤرخة في شعبان سنة 1185هـ/ 6 تشرين الثاني 1771م<sup>(2)</sup>.



مئذنة جامع النعمانية

(1) الكله خانه المعمل والكجه جيه معمل اللباد .

(2) سجلات الاوقاف ج 14 ص 176 .

## مسجد حاجية خاتون

مسجد كان يقع في محلة الامام طه<sup>(1)</sup> في الجانب الشرقي من بغداد، أنشأته السيدة حاجية خاتون بن محمد، وأوقفت عليه أوقافاً كثيرة تشتمل على دكاكين وساتين في بغداد وخارجها، منها دكاكين في سوق السلطان (قرب الميدان)، وأخرى في سوق الطويل، وخان قرب المصبغة، واقع بين جامع الصياغ (وهو جامع الخفافين) وشاطئ دجلة، وباغجة (حديقة) الشماع في قصبة الإمام الاعظم، وباغجة أخرى في القصبية نفسها، ويستان نهر علياوه في مندلي مع الأرض الخالية والمعروفة ببستان جميلة.

وقد اشترطت هذه السيدة المحسنة التولية على أوقافها لنفسها، ثم لأولادها ثم «للأعلم من في البلد» يأخذ اربعة أخماسه ويُصرف الباقي الى المسجد، وسجلت الوقفية في جمادي الاولى سنة 1187هـ/24 تموز سنة 1773م<sup>(2)</sup>.

وتوفيت الواقعة سنة 1207هـ/1792م.

## وقفية رحمة بنت أمين على مسجد التسابيل ببغداد

مسجد قديم ينسب الى المحلة المحيطة به، وقفت عليه السيدة رحمة بنت الحاج امين الملا خضير الدكان الواقع في سوق العطارين (وهو سوق الشورجة اليوم) بحسب وقفيتها المؤرخة في 10 صفر 1234هـ/10 كانون الاول 1818م<sup>(3)</sup>.

فكان ذلك الوقف سبباً في تعميره في السنة التالية<sup>(4)</sup>.

---

(1) محلة قديمة كانت تقع بين محليتي الدشتي والماقولية نسبت الى مسجد فيها بهذا الاسم وقد دخل معظم المحلة في ارض ساحة الامين (حيث تمثال الرصا في اليوم) وبقي منها جزء فيه مسجد الامام طه نفسه.

(2) سجلات الاوقاف ج13 ص15 وعبادة: العقد اللامع ص 282-283 وقد هدم هذا الجامع ونقلت جهته إلى جامع الصليخ الجديد، حيث أصبح جامعاً تقام فيه الجمع والأعياد. ينظر إبراهيم السامرائي: تاريخ مساجد بغداد الحديثة ص268 وفي دليل خارطة بغداد المفصل ص299 ورد اسم الواقعة (حاجية خاتون)

(3) الاوقاف ج4 ص149.

(4) مساجد بغداد وآثارها 78.

## وقفت خديجة خاتون على مساجد بغداد والزبير:

عينت السيدة خديجة خاتون آل شريف جلبي بعدد من المساجد في بغداد، ومسجد واحد في بلدة الزبير، فوقفت ثلاثة بساتين غناء تقع خارج الباب الشرقي ببغداد وهي التي تعرف ببساتين الرواف<sup>(1)</sup>، نسبة الى زوجها الحاج محمد الرواف من وجوه أهالي نجد، ودار واقعة في محلة (النقاشين)<sup>(2)</sup> قرب جامع مرجان، على نفسها ثم زوجها المذكور وذريتها ثم على خمسة مساجد ببغداد هي:

1 مسجد السادة في محلة السنك «بين الطاق الاظلم وسوق السنك».

2 مسجد النعماني، وهو غير جامع النعمانية، ويقع في محلة السنك أيضاً

3 مسجد ظهير الدين في محلة (خان الحياك).

4 مسجد دكاكين حبوب (في محلة دكاكين حبوب)

5 مسجد الأحسائي في محلة رأس القرية (قرب خان العادلية). وهو الذي عرف بالتكية الخالدية لإقامة الشيخ خالد النقشبندي فيه.

ومسجد واحد في بلدة الزبير يسمى بمسجد الرواف ويقع في (سوق البزازين) هناك وبلغ مجموع ما خصصته من أموال على هذه المساجد مبلغاً كبيراً هو (1740) قرشاً رائجاً من القروش البغدادية المستعملة عهد ذاك، تتفق سنوياً على إعمارها ودفع رواتب الأئمة والمؤذنين والعناية بتوفير الماء الصالح للشرب فيها ووقود الاضاءة أيضاً<sup>(3)</sup> وذلك بموجب وقفيتها المؤرخة في 15 ذي الحجة 1236هـ/15 أيلول 1820م.

## وقفية السيدة أسماء على مسجد ظهير الدين

مسجد قديم لا يعلم أول انشائه يقع بين محليتي المربعة والحاج فتحي<sup>(4)</sup> من محلات شرقي بغداد، أوقفت عليه السيدة أسماء بنت علي المزين دارها الكائنة في

(1) استبدلت هذه الوقفيات بالنقد وبيعت واصبحت اليوم محلة كبيرة تعرف بمحلة الرواف.

(2) نسي اسم هذه المحلة اليوم.

(3) الاوقاف ج2 ص56.

(4) في وقفية الواقفة جاء تعريفه بأنه الواقع في محلة الحياك.

محلة الحياك، وصدرت بذلك الحجة الشرعية المؤرخة 35 صفر سنة 1236هـ/ 1820م<sup>(1)</sup>.

### مسجد محبوبه خاتون

أنشأته الحاجة محبوبه خاتون في الجانب الشرقي من بغداد سنة 1237هـ/ 1821م<sup>(2)</sup>.

### وقفية عائشة بنت عبد القادر على مسجد آل مدلج

كان الشيخ مدلج الصغير بن ظاهر بن أحمد الرحبي، المدرس في جامع الشيخ عبد القادر الكيلاني (المتوفى سنة 1081هـ/ 1670) قد أنشأ سقاية للواردين ألحقها بمسجد أنشأه في محلة الشيخ عز الدين الجديداي (قسم من محلة السنك فيما بعد). وفي سنة 1240هـ/ 1824م وقفت السيدة عائشة خاتون بنت الشيخ عبد القادر مدلج بستاناً في قصبة الكاظمية على مصالح المسجد بموجب الوقفية المؤرخة في 27 ذي القعدة من السنة المذكورة<sup>(3)</sup>.

### وقفية رحمة بنت عبد الكريم جليبي على جامع خضر بك ببغداد

أنشأ هذا الجامع خضر بك بن عبد الله جليبي بن أحمد جليبي من آل عبد الجليل بك امراء الحلة في القرن الثاني عشر للهجرة (18م) سنة 1200هـ/ 1785م في محلة في بغداد كانت تعرف بكموش حلقة، أي الحلقة الذهبية، ثم نُسِي اسم هذه المحلة وعُدَّت جزءاً من محلة قنبر علي. وألحق بجامعه هذا مدرسة وخزانة للكتب<sup>(4)</sup>. ويتميز الجامع بمئذنته الصغيرة الجميلة.

وفي سنة 1212هـ/ 1797م عُنيت السيدة الحاجة رحمة خاتون بنت عبد الكريم جليبي من الأسرة نفسها بهذا الجامع فوقفت عليه حصصها من بساتين الحاج شهاب وعباس بن محمد النجم وعلي السلطان والحاج عبد المطيري، ونصف شاطئ أحمد،

---

(1) وقد عرف المسجد فيما بعد بمسجد نور الدين نسبة الى مجددده سنة 1259هـ/ 1840م محمد نور الدين ويظهر من الابيات التي نقلها الالوسي (مساجد 81) من على جداره انه كان اميرا حاز على رتبة الوزارة واصله من دمشق الشام.

(2) محمد بهجة الاثري: فوائت مساجد بغداد واثارها 143

(3) مجموعة من وقفيات بغداد

(4) العقد اللامع ص 234 .

ونصف شاطئ الملحوس، وذلك بحسب وقفيتها المؤرخة في 10 رمضان سنة 1239هـ/10 آيار 1823م<sup>(1)</sup>.

وتوفيت الواقة سنة 1246هـ/1830م<sup>(2)</sup>. أما الجامع فلما يزل عامراً.

### مسجد فاطمة خاتون في بغداد

أوصت السيدة فاطمة خاتون بنت عبد الله ان تُحوَّل دارها في محلة الصابونجية ببغداد، بعد وفاتها الى مسجد، ووقفت عليه بستاناً لها في قرية قزانية (من اعمال بعقوبة)، وشرطت أن تخصص غلة هذا البستان للإنفاق على إمام المسجد الشريف، ومؤذنه، وعلى الفرّاش، والكناس، وموقد الشموع، والخادم، والاباريقي، ولسائر الخدام، وعلى مفروشات المسجد وتعميره وترميمه، وأن تكون التولية عليه للسيدة عائشة خاتون بنت أحمد اغا، وذلك بموجب وقفيتها المؤرخة في ربيع الآخر سنة 1246هـ/أيلول 1830م<sup>(3)</sup>.

### وقفية الحاجة محبوبة خاتون على جامع حسين باشا ببغداد

وقفت الحاجة محبوبة خاتون، زوجة سليمان باشا<sup>(4)</sup>. جملة من العقارات على ذريتها، وبعد انقراضهم على الفقراء والمساكين، ثم على جامع حسين باشا السلاحدار، في محلة الحيدر خانة ببغداد، وتشمل هذه العقارات دكاكين في باب خان الدكة، ودكان في سوق الخفافين، ودكان في سوق هرج، ودكان في سوق قنبر علي، ودكان وزور خانة<sup>(5)</sup> في محلة قنبر علي، والعلوة الكبيرة والعلوة الصغيرة، والبستان في علاوي الطهماسية<sup>(6)</sup> في قسبة الحلة، وذلك بموجب وقفيتها المؤرخة في ذي الحجة 1257هـ/كانون الثاني 1843م<sup>(7)</sup>.

(1) الأوقاف ج5 ص70.

(2) ابراهيم الدروبي: البغداديون ص 341.

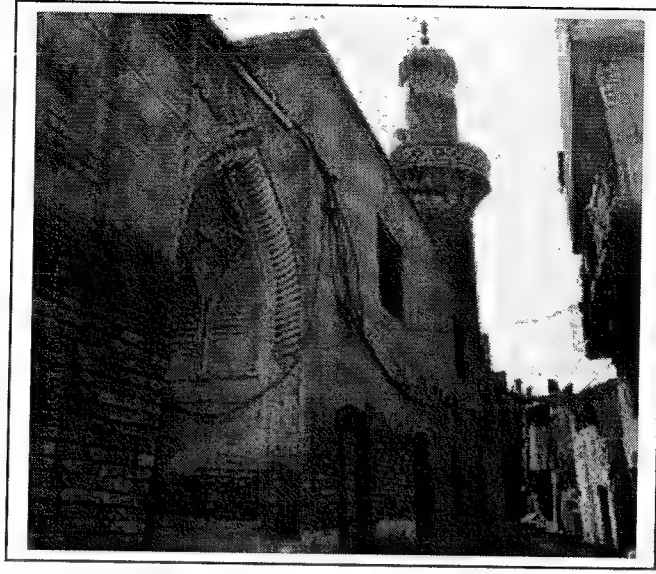
(3) الأوقاف ج2 ص23.

(4) هو سليمان باشا المعروف بالصغير، وقد حكم العراق من 1222 إلى 1225هـ/1807-1810م.

(5) الزور خانه مصطلح من الفارسية : زور بمعنى قوة، وخانه بمعنى المكان والبيت، فهو المكان المخصص لالعب القوى، وهذه اول اشارة الى وجود مثل هذه الاماكن في بغداد.

(6) كذا وردت في الوقفية، وتعرف اليوم بالطهمازية بالزاي، وهي قرية في ضواحي الحلة، تتبع ناحية الخواص من نواحي محافظة بابل وتنسب إلى نهر بهذا الاسم.

(7) الأوقاف ج2 ص76.



جامع حسين باشا

#### مسجد أسماء خاتون

انشأت السيدة أسماء خاتون بنت الوزير يوسف باشا<sup>(1)</sup> وزوجة والي بغداد الوزير علي رضا باشا<sup>(2)</sup> مسجداً في محلة (البَلنجية) ببغداد محدوداً بملك محمد اغا كشيّش زاده، وبملك محمد كهية، وبالقاطرخانة، وبطريق عام، وعرفت هذه المحلة فيما بعد، بشارع الزهاوي (يتفرع من شارع الرشيد ويصل الى سراي بغداد القديم)، عند شقه واختراقه معالمها .

ولقد وقفت هذه السيدة على مسجدِها المذكور الدكاكين بشرقي بغداد لإدامة الإنفاق على عمارته ثم على فَرشه وشيرجه وجميع ما يقتضي له، ثم على الخادم والمؤذن والإمام. وتتوزع هذه الدكاكين قرب حمام الباشا وفي سوق (الجُبُجّية) وسوق الميدان وسوق هرج.

(1) شغل منصب الصدارة العظمى في عهد السلطان عبد الحميد الأول. وقد ذكر مؤرخ المماليك سليمان فائق في كتابه (مرآة الزوراء) الذي ترجم الى العربية باسم تاريخ بغداد، ص 182 ان علي رضا ترك زوجته ابنة يوسف باشا في حلب حين قدومه منها الى بغداد، والذي يظهر لنا من هذه الوقفية، أنها جاءت الى بغداد لتقف هذه الأوقاف.

(2) تولى بغداد من 1247هـ (1842-1821م).

وسجلت وقفيتها في 25 شعبان 1258هـ/22 أيلول 1842م<sup>(1)</sup>. وعند توسيع شارع الزهاوي، نقض المسجد وادخل في نطاق الشارع الجديد.

### مسجد عائشة خاتون

أنشأته السيدة عائشة خاتون بنت معروف، وكان يقع مقابل جامع الأزبك في محلة الطوب من محلات شرقي بغداد<sup>(2)</sup> وقريباً من جامع المرادية، وصفه السيد محمد سعيد الراوي بقوله «مشمتم على مُصلّى، وصُفّة أمامه، وفيه إمام وخادم، وموقعه في محلة الطوب، وإدارته من قبل الأوقاف»<sup>(3)</sup> ولا يُعلم تاريخ إنشائه. وذكر عبد الحميد عبادة في حاشية له على كتابه (العقد اللامع)<sup>(4)</sup> «لعلها عائشة خاتون بنت أحمد باشا، وزوجة عمر باشا والي بغداد». قلنا: وهذه هي الأخت الصغرى لعادلة خاتون المقدم ذكرها في الكلام على جامعي عادلة خاتون، ولكن اسم أبيها يختلف عن اسم أبي تلك السيدة.

### وقفية خاتون على مسجد الخطيب ببغداد

سَعَت السيدة آسية بنت الحاج إسماعيل أفندي في تعمیر مسجد خَرِب كان يقع في محلة الشيخ الخلاني، وعُرف بمسجد الخطيب<sup>(5)</sup>، فوقفت في صفر سنة 1261هـ/ شباط 1845م نحو نصف كَرَادَة<sup>(6)</sup> البوشاهين في الكَرَادَة الشرقية، ونصف البستان

(1) الاوقاف 83/2.

(2) في فوائت مساجد بغداد واثارها للشيخ محمد بهجة الاثري انه يقع في محلة الطوف بالفاء بغربي بغداد،

(3) خير الزاد ص271

(4) ص180

(5) كان هذا المسجد يقع في أرض ساحة الخلاني اليوم، سمي بمنزل الشهداء، وينسب إلى آل الخطيب، وهي الأسرة التي تولت الخطابة جيلاً بعد جيل في جامع الإمام الأعظم أبي حنيفة، قال إبراهيم فصيح الحيدري «بيت الخطيب، وهو بيت فضل وسيادة، وهم خطباء الجامع الأعظمي، وهم من أهالي سر من رأى»، عنوان المجد في أحوال بغداد والبصرة ونجد، ص93. قلنا: وتجتمع هذه الأسرة في نسبها بعشيرة أبو عيسى العلوية السامرائية، وبالسادة آل التاتار في بغداد.

(6) الكرادة: الأرض التي تسقى من النهر بواسطة الكرود، وهي الدولاب الذي يدار بالدواب.

المستجدة هناك حسبة لله، وشرطت أن تتفق فضلة النماء في «عمارة المسجد الخراب الواقع في محلة الشيخ الخلاني - عليه الرحمة- الشهير بمسجد بيت الخطيب»<sup>(1)</sup>.

### مسجد نائلة خاتون

أنشأتها السيدة نائلة خاتون بنت عناية الله آغا بن أحمد افندي سنة 1261هـ/1845م في محلة الحيدر خانة بشرقي بغداد، ووقفت عليه البستان الكائن في قرية الحاج قره من مضافات بغداد، وشرطت أنه في حال خراب هذا المسجد ولم يبق من يصلي فيه تُصرف غلّته في عمارة مساجد المسلمين.

### وقفية مريم وعائشة بنتي محمد الباجه جي على جامع الصاغة

شاركت السيدتان مريم وعيشة (عائشة) بنتا الحاج محمد جلبي الباجه جي أخاهما الحاج عبد الرحمن جلبي، في وقف جملة من العقارات المهمة على مصطفى بن سليم مُعَتّق الحاج بكر الباجه جي وعلى ذريته، وبعد انقراضهم تتفق غلة الوقف على مصالح جامع الصاغة (أو الصياغ) وهو جامع الخفافين المعروف قديماً بجامع الحظائر الذي شيده السيدة زمرد خاتون (انظر هذه المادة) وجاء في نهاية الوقفية «وإذا خرب ولم يبق من يصلي فيه فإلى فقراء مدينة السلام».

وتتألف هذه العقارات من نصف دار تقع في مقابل الكُمرِك في البصرة، وربع الدارين والديوانخانته والحرَم الواقعين في محلة آل عيسى في كربلاء، وربع الخان الواقع في محلة آل زُحَيْك في البلدة نفسها، وربع بزارة الشيرج، وربع بزارة الصابون الداخلة فيها، وربع الدكاكين الملاصقة لهما، وربع بزارة السيلان الواقعة في سوق العباس، وربع بزارة السيلان الواقعة في محلة آل فايز في البلدة نفسها. وذلك بموجب وقفيتها المؤرخة في 24 رجب هـ/30 تموز 1845م<sup>(2)</sup>.

### وقف عادلة خاتون على جامع نازنده خاتون

وقفت السيدة عادلة خاتون بنت عناية آغا جميع أملاكها ببغداد على أولادها وذريتهم وبعد انقطاعهم تكون غلة الوقف على مصالح جامع نازنده ببغداد (انظر هذه المادة) بموجب الوقفية المؤرخة 25 شوال سنة 1272هـ/1855م.

(1) الاوقاف ج3 ص127

(2) الاوقاف ج3 ص137.

وتوفيت الواقعة في سنة 1287هـ/1870م.

### جامع الحاجة منورة خاتون ببغداد

أنشأته الحاجة منورة خاتون بنت عبد الله<sup>(1)</sup>، من سكة محلة الطوب<sup>(2)</sup> في محلتها، ووقفت عليه بتاريخ 25 ذي الحجة سنة 1277هـ/5 تموز 1861م حصتها البالغة ثلاثة أسهم من أصل خمسة أسهم من القرية والبساتين المعروفة بقرية (ديله) قرب قضاء الحلة، وبساتين بسبس قرب قزانية من أعمال مندليجين (مندلي)، واشترطت أن تُصرف غلة الوقف على تعمير الجامع الشريف المذكور، وتُصرف من الفضلة الباقية مبلغ قدره 1750 قرشاً صاغاً سنوياً الى جهات الوعظ والإمامة والخطابة، ومبلغ 750 قرشاً صاغاً سنوياً لراتب جهة التدريس، بينما خصصت رواتب أخرى لقارئ الدُور والمؤذن والكناس والفرّاش وموقد القناديل وناقل الماء، والمسؤول عن السبيلخانة<sup>(3)</sup>.

### وقفية نازلي خاتون على جامع حسين باشا ببغداد

وعُنيّت نازلي خاتون بنت عبد الغني بالإنفاق على جامع حسين باشا في محلة الحيدرخانة ببغداد (تأسس سنة 1085هـ/1674م) فأوصت في وقفيّتها المؤرخة 21 شوال 1277هـ/14 نيسان 1863م، أن تُؤجر ما تملكه من عقارات وهي دكان في سوق الصياغ بلصق خان جفان، ودكان في سوق الخفافين، وحصتها من الدكان الواقع في سوق البزازين، ومن بستان ركن الواقعة في مندليجين (مندلي)، والدار الكائنة في محلة

---

(1) هي متور خاتون زوجة والي بغداد الوزير سليمان باشا الكبير (حكم من 1193 إلى 1217هـ/1778-1802م) وأم ولده صالح بك، وتوفيت سنة 1269هـ/1852م. أنشأت هذا الجامع سنة 1267هـ وكان يضم مدرسة أيضاً، هدم هذا الجامع في 1966 وبقيت منه مئذنته، ثم أنشئت في أرضه مدرسة، ينظر العقد اللامع ص221، ومساجد بغداد ص221.

(2) سميت هذه المحلة بالطوب والطوبجية نسبة إلى وجود قشلة (ثكنة) للطوبجية (المدفعيين) فيها، وتحتل اليوم أرضاً على يسرة شارع الخلفاء من جهة القادم من باب المعظم، وقد زالت هذه الثكنة منذ عهد بعيد، ونسي اسم محلّتها أيضاً، وهي غير محلة الطوب الكائنة في أرض دار الكتب والوثائق مقابل مبنى وزارة الدفاع.

(3) الأوقاف ج2 ص50. وقد أبطلت هذه الوقفية فيما بعد.

كوكنظر ببغداد، وأن يعطى ثلاثة أرباع الغلة إلى من يلي الإمامة والخطابة في الجامع المذكور، بينما يعطى الربع الباقي الى المتولي على الوقف نفسه<sup>(1)</sup>.

### وقف الحاجة حسنة على جامع الخنيني

من مساجد الكرخ القديمة، يقع في محلة سوق الجديد، جدد عمارته سنة 1292هـ/1873م الشيخ عبد الله بن صالح من آل خُنين النجديين، فُتُسب إليه<sup>(2)</sup>.

وتولت السيدة الحاجة حسنة بنت الحاج حسين وقف الدار الواقعة في محلة جامع عطا الكرخي/وتخصيص ريعها للانفاق على مصالح المسجد المذكور، وذلك بموجب الوقفية المؤرخة في 29 شعبان سنة 1291هـ/1872م /27تموز 1881<sup>(3)</sup>.  
وتوفيت الواقفة سنة 1212هـ/1894م.

وقد وصف السيد محمد سعيد الراوي هذا الجامع بقوله «عبارة عن مصلى في قبلي المسجد، بين يديه صُفَّة، وعلى يسار الصُفَّة دَرَج يُرْتَقى فيه إلى سطحه، وفي وسط الدَرَج حجرة يسكنها إمام المسجد، وكان يقيم فيها بعض الغرباء من طلاب العلم الذين يتولون الصلاة إماماً، وكان الشيخ المذكور [يريد: عبد الله بن صالح] وبعض أهالي نجد يَصِلُونهم من الزكاة أو الصدقة، ويكاد النجديون جميعهم يصلون في هذا المسجد ومسجد آل عطا وجامع آل عطا، لأن أئمة هذه المساجد لم يكن لهم راتب، والصلاة خلف ذي الرتب عند الحنابلة غير صحيحة، لذلك يقصد النجديون الحنابلة في الصلاة هذه المساجد». ويقع هذا المسجد قريباً من جامع الشيخ صندل، وما زال عامراً، وقد جددته أحد أحفاد الواقف تجديداً شاملاً سنة 1380هـ/1960م<sup>(4)</sup>.

(1) الأوقاف ج2 ص112.

(2) الاوقاف ج12 ص7 وذكر الشيخ هاشم الأعظمي في تاريخ جامع الإمام الاعظم ومساجد الأعظمية، بغداد 1965، ج2 انها اشتهرت بالكرم واطعام واكساء المحتاجين وكان لها مجلس يحضره البارزون من رجال الولاية والعلماء والوجهاء والحاجة البارة تحسن القراءة والكتابة والأدب ولها خط جميل .

(3) الاوقاف ج17 ص52.

(4) خير الزاد ص556. وينظر مساجد بغداد ص114 والعقد اللامع ص491.

### وقف أمونة بنت محمد على جامع بنات الحسن ببغداد

مسجد قديم في محلة رأس القرية ببغداد، نُسبت اليه المحلة التي حوله، وترددت الإشارة اليه منذ منتصف القرن الثالث عشر للهجرة (19م) ووصف في أوائل ذلك القرن التالي بأنه مسجد جمعة فيه مشهد يُزار، وله مئذنتان<sup>(1)</sup>.

وفي 9 ذي القعدة سنة 1314 هـ/ 12 نيسان 1896م وقفت السيدة أمونة بنت محمد بك بن اسماعيل بك الدار الواقعة في زقاق كاتب العربية من أزقة محلة رأس القرية على نفسها، ثم على نساء سَمَّتهن، وبعد وفاتهن تكون الغلة -بعد التعمير- أقساماً منها الى أربع تهاليل في السنة، في الليلة السابعة والعشرين من رمضان المبارك، وفي ليلة عيد الأضحى، والى قراء القرآن، على أن يكون ثواب ذلك مُهدى الى روح الواقعة، وما بقي من الغلة يصرف الى ماء وشيرج وبعض اللوازم المقتضية الى جامع بنات الحسن الكائن في محلة رأس القرية.

ولم تكتف الواقعة بذلك وإنما أضافت في وقفيتين ملحقتين دكاناً في محلة جامع عطا، وداراً في زقاق بنات الحسن، لتضم غلتهما الى إيراد الوقف.

ووقفت صفية خاتون بنت يوسف بن الحاج مصطفى داراً في محلة رأس القرية على أعمال البر، ومنها تعمير وترميم جامع بينات الحسن في المحلة المذكورة، بموجب وقفيتها المؤرخة في 16 ذي القعدة 1322هـ/ 1904م.

### جامع هيبة الله بنت عبد الرحمن في بغداد

أنشأته ضمن مبرات أخرى السيدة الحاجة هيبة الله خاتون بنت عبد الرحمن افندي بن محمد افندي سنة 1336هـ/ 1917م في «أرض بستان السبخة الشهيرة ببستان الصباغ الكائنة في محلة النصّة في الاعظمية» (قرب دائرة البريد القديمة في الاعظمية). وعلى الرغم من عدم اتمام البناء يوم تسجيل وقفيتها، وهو 12 ربيع الاول من سنة 1336هـ/ 27 كانون الاول 1917 فانها عيّنت في مسجدھا إماماً وعدداً من الموظفين وقراء القرآن الكريم وقنديلجي (وهو الموكل بقناديل الجامع)، ومؤذن، وخادم، وسبيلي (وهو الموكل بالسبيل خانة اي السقاية) وحددت لهم رواتبهم.

(1) عباس بن رجب: نيل المراد في في أحوال العراق وبغداد، فصل ضمن كتابنا: مساجد بغداد في كتابات الأجداد، ص25

وقد تم الفراغ من هذا المسجد وملحقاته في السنة التالية، وتوفيت الواقعة سنة 1337هـ/1919م<sup>(1)</sup>.

### ثانياً: إنشاء المدارس والوقف عليها

#### مدرسة تركان خاتون

هي ثالث مدرسة أنشئت في بغداد إبان العصر العباسي<sup>(2)</sup>. أمرت ببنائها السيدة تركان خاتون الجلالية، زوجة السلطان ملكشاه السلجوقي، المتوفاة سنة 487هـ/1094م في الجانب الشرقي من بغداد، عند دار السلطنة السلجوقية، (أي في أرض محلة العلوازية الحالية). وكانت هذه السيدة موصوفة بالحزم والشهامة، باشرت الحروب، ودبرت الجيوش، وقادت العساكر<sup>(3)</sup>. وبقيت مدرستها عامرة آهلة، وإن لم نعلم من مدرسيها أحداً، حتى أواخر القرن الخامس للهجرة (11م) إذ أمر بنقضها الخليفة المستظهر بالله العباسي سنة 496هـ/1097م مع ما جاورها من منشآت<sup>(4)</sup>.

#### مدرسة بنفش الشاطئية ببغداد

من أجل مدارس بغداد وأشهرها في العصر العباسي، أنشأتها السيدة بنفش بنت عبد الله زوجة الخليفة المستضيء بأمر الله العباسي (566-575هـ/1170-1180م) في موضع نزه كان يُعد من أحسن محال بغداد وأعمرها في أواخر العصر المذكور، فهي تُطل على دجلة من ناحية، وتجاور باب المراتب، أحد أبواب دار الخلافة العباسية المهمة من ناحية أخرى، وحولها كانت دور القادة والوزراء والأدباء ومخازن الفلال<sup>(5)</sup>.

وكان أصل هذه المدرسة داراً لنظام الدين أبي نصر المظفر بن علي بن جهير وزير المقتفى بأمر الله، ثم استملكها السيدة المذكورة وجعلتها مدرسة، ووقفت عليها الأوقاف لإدامة الإنفاق عليها<sup>(6)</sup>.

---

(1) العقد اللامع ص 59 وإبراهيم الدروبي: البغداديون ص 344 وهاشم الأعظمي: تاريخ جامع الإمام الأعظم ج 2 ص 58.

(2) المدرستان الأوليتن هما 1- مدرسة مشهد أبي حنيفة وقد افتتحت في 27 جمادي الآخرة سنة 459هـ 2- المدرسة النظامية وقد بناها الوزير نظام الملك وافتتحت في 10 ذي القعدة من سنة 451هـ أي بعد افتتاح المدرسة الأولى بنحو أربعة أشهر وثلاثة عشر يوماً.

(3) المنتظم ج 9 ص 84.

(4) المنتظم ج 9 ص 135.

(5) ياقوت: معجم البلدان.

(6) سبط ابن الجوزي: مرآة الزمان ج 8 ص 510.

وقد اشتهرت السيدة بنفسها بالخير والصلاح، وعُرفت بمبرراتها العديدة، والخدمات النافعة لأهل بغداد في عصرها، فأشاد بها معاصروها، وترجم لها المؤرخون. قال ابن الساعي البغدادي في ترجمته لها «مَولاة الإمام المستضيء بأمر الله -رضي الله عنه- كانت من خواصيه و سراريه، لها المكانة الرفيعة عنده، والمنزلة العالية والحكم النافذ والأمر والنهي، وكانت صالحة كثيرة الخير، فائضة المعروف، متفقدة للفقراء والمساكين، كثيرة الصدقة والبر، جعلت دارها بأسفل البلد على شاطئ دجلة مدرسة ووقفها على الحنابلة، ووقفت عليها وقوفاً»<sup>(1)</sup>. وترجم لها يوسف سبط ابن الجوزي بقوله: «كانت كريمة صالحة، كثيرة الصدقات والصلوات، عمّرت الرُّبط والمساجد والجسر ببغداد، وتصدقت بأموال كثيرة على العلماء والفقراء...»<sup>(2)</sup>.

وقد حرصت هذه السيدة المحسنة على اختيار أفضل العلماء ليدرس في مدرستها، فكان ان اختارت أولاً أبا جعفر ابن الصباغ، ثم ما لبثت بعد أيام ان سلمت المدرسة الى اشهر علماء بغداد في عصره، الفقيه المفسر المؤرخ، عبد الرحمن بن علي ابن الجوزي (510-597هـ/1116-1200م) مما دل على ثقافتها ورعايتها المباشرة لشؤون المؤسسة التي أنشأتها. ويتولي هذا العالم شؤون التدريس، جرى افتتاح المدرسة بصورة رسمية، وكان ذلك في 15 شعبان من سنة 570هـ/1175م. ولقد أرخ ابن الجوزي نفسه هذه المناسبة بقوله «وتقدم الى يوم الخميس المذكور بذكر الدرس فيها، فحضر قاضي القضاة ابو الحسن بن علي الدامغاني، وحاجب الباب، وفقهاء بغداد، وخُلفت عليّ خلعة، وخرج الدعاة بين يدي والخدم، ووقف أهل بغداد من باب النبوي إلى باب المدرسة كما يكون في العيد وأكثر، وكان على باب المدرسة ألوف، والزحام على الباب، فلما جلستُ لإلقاء الدرس، عُرض كتاب الوقف على قاضي القضاة، وهو حاضر مع الجماعة، فقرأ عليهم، وحكم به وأنفذه، وذكرت بعده الدرس فألقيت يومئذ دروساً كثيرة في الأصول والفروع، وكان يوماً مشهوداً لم ير مثله»<sup>(3)</sup>.

ومن الذين زاروا هذه المدرسة، وشاهدوا معالمها، والتقوا بمدرستها وأعجبوا بتدريسه، الرحالة الأندلسي ابن جُبَيْر، الذي وصل بغداد سنة 580هـ/1185م. قال واصفاً مجلس تدريسه «ومن أبهر آياته وأكبر معجزاته أنه يصعد المنبر ويبتدئ القراءة بالقرآن وعددهم نيف على العشرين قارئاً، فينتزع الإثنا مناهم او الثلاثة آية من

(1) جهات الأئمة الخلفاء من الحرائر والإماء ص113.

(2) سبط ابن الجوزي: مرآة الزمان 8/510 .

(3) المنتظم ج10 ص253

القرآن يتلونها على نسق بتطريب وتشويق، فإذا فرغوا تلت طائفة أخرى على عددهم آية ثانية، ولا زالوا يتناوبون آيات من سور مختلفات الى ان يتكاملوا قراءة... فإذا فرغوا أخذ هذا الامام الغريب الشأن في إيراد خطبته عَجْلاً مُبْتَدِئاً، وإفراغ في الأسماع من ألفاظه دُرراً، وانتظم أوائل الآيات المقروءات في أثناء خطبته، فقرأ وأتى بها على نسق القراءة لها، لا مُقدِّماً ولا مؤخراً، ثم أكمل الخطبة على قافية آخر آية منها.. ثم أنه بعد أن فرغ من خطبته برقائق من الوعظ وآيات بينات من الذكر، طارت لها القلوب إشتياً، وذابت لها النفوس احتراقاً، الى أن علا الضجيج، وتردد بشهقاته النشيج، وأعلن التائبون بالصياح، وتساقطوا عليه تساقط الفَرَّاش على المصباح، كلُّ يلقي ناصيته بيده، ويمسح على رأسه داعياً له.. وفي أثناء مجلسه ذلك يبتدرون المسائل، وتطير اليه الرقاع فيجواب أسرع من طرفة عين، وربما كان أكثر مجلسه الرائق من نتائج تلك المسائل»<sup>(1)</sup>.

وتوفيت الواقعة في 29 ربيع الاول من سنة 598هـ/كانون الاول 1201م ودفنت في احتفال مهيب داخل تربة السيدة زمرد خاتون (القبة المنسوبة للسيدة زبيدة) المجاور لقبر معروف الكرخي في الجانب الغربي من بغداد.<sup>(2)</sup>

أما المدرسة فيبدو انها اندثرت في العصر المغولي<sup>(3)</sup> ولم نعد نقرأ عنها خبراً.

### مدرسة زمرد خاتون

مدرسة أمرت بانشائها السيدة زمرد خاتون، أم الخليفة الناصر لدين الله، وزوجة الخليفة المستضيء بأمر الله، وهي التي اشتهرت بحبها لفعل الخير، وبكثرة منشأتها النافعة، ووفرة ماتقف عليها، وقد أشاد بذكرها المؤرخون فوصفها ابن الساعي بأنها «كانت كثيرة المعروف»<sup>(4)</sup> وترجم لها ابن قتيبو الإربلي فقال: «كانت من أرغب النساء في فعل الخير وأكثرهن له فعلاً، ولها بر وافضال، فضلت به أمثالها في الصدقات الجارية وعمارة المساجد والمشاهد والأربطة والمدارس وغير ذلك مما لا خفاء فيه عن نظر المتأمل»<sup>(5)</sup>. ووصفها سبط ابن الجوزي بقوله: «كانت صالحة كثيرة المعروف والصدقات، دائمة البر. والصلوات، متفقدة لأرياب البيوت. حجّت وانفقت

(1) رحلة ابن جبير ص 176

(2) جهات الأئمة الخلفاء ص 113 وابن الساعي: الجامع المختصر في عيون التواريخ وأعين السير، تحقيق مصطفى جواد، ج 9 ص 89 وابن الأثير: الكامل ج 9 ص 258.

(3) كتابنا مدارس بغداد في العصر العباسي ص 192

(4) ابن الساعي: الجامع المختصر، ج 9 ص 122.

(5) سبط بن قتيبو الاربلي: خلاصة الذهب المسبوك ص 280.

ثلاثمائة ألف دينار - على ما بلغني - كان معها نحو من ألفي جمل، وتصدّقت على أهل الحرمين، وأصلحت البرك والمصانع، وعمرت التربة عند قبر معروف الكرخي والمدرسة التي الى جانبها وأوقفت عليها الأوقاف»<sup>(1)</sup>.

وكان افتتاح مدرستها المذكورة في يوم الخميس التاسع عشر من شوال سنة 589هـ/19 تشرين اول 1193م، بعد ان اوكل امر التدريس بها الى أبرز علماء بغداد آنذاك، هو فخر الدين محمد بن ابي النوقاني، «وكان بارعاً في الفقه حسن الكلام»<sup>(2)</sup> ويقول يوسف سبط ابن الجوزي في حوادث تلك السنة: «وفيها فتحت المدرسة التي الى جانب تربة والده الخليفة عند معروف الكرخي، وحضر أرباب الدولة وعمل سماط عظيم وسلّمت الى النوقاني فدرس بها»<sup>(3)</sup>.

ولقد ألحقت هذه السيدة الفاضلة بمدرستها داراً لسكنى المدرس فيها، وحُجراً يقيم فيها جماعة من الطلبة، على نحو يشبه الأقسام الداخلية اليوم<sup>(4)</sup>، وأجرت للجميع الرواتب الحسنة. وبلغ من عنايتها بها، وشدة اهتمامها بشؤونها، أنها أمرت ببناء قبة لها بجوارها، لتكون لها مدفنًا فتجاوزها ميتة كما عُتيت بها في حياتها، وهي تلك القبة المخروطية العالية التي لما تزل قائمة في مقبرة الشيخ معروف الكرخي، والمعروفة خطأ بقبر الست زبيدة. وتدل تراجم مدرسي المدرسة على المستوى العلمي الفائق الذي أرادته هذه السيدة لها، فجميعهم كان عالماً، فاضلاً، واسع المعرفة، كثير التصانيف، معروفاً بالورع. كما تكشف ترجمة آخر المدرسين المعروفين لنا عن استمرار التدريس فيها حتى اوائل القرن التاسع الهجري (15م) ولا يستبعد استمراره بعد ذلك التاريخ أيضاً، دليلنا على ذلك وجود مبانيها قائمة بعد أن تحولت الى مسجد حتى سنة 1195هـ/1380م حين أمر والي بغداد سليمان باشا الكبير (1193-1217هـ/1780-1802م) بنقضها واستعمال أنقاضها في بناء سور بغداد الغربية، وقد وصف بناءها السيد محمود شكري الألوسي، بوصفها مسجداً بقوله: «كان واسعاً، رصين البناء قوي الاركان»<sup>(5)</sup> فكان هذا آخر وصف لها في تاريخها الطويل.

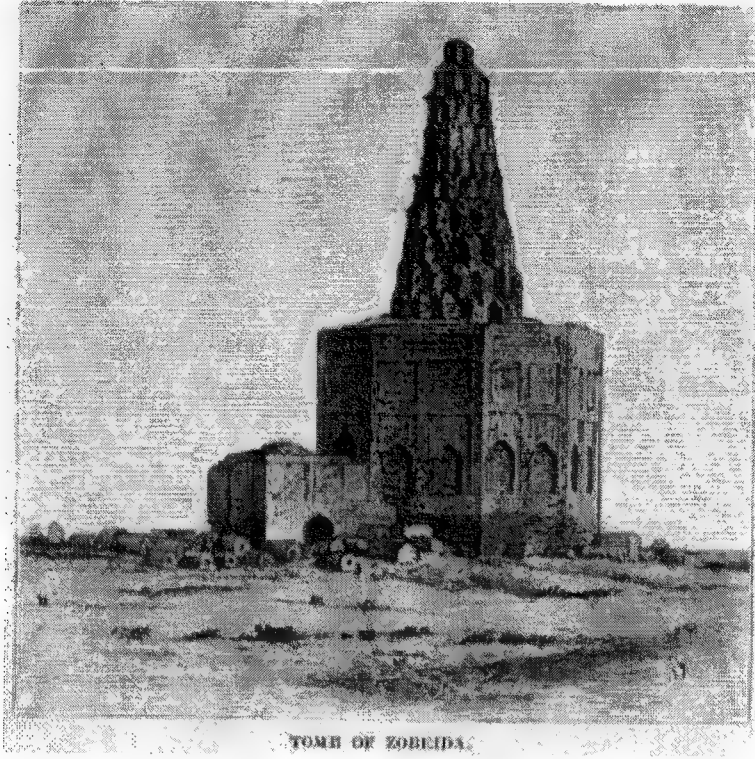
(1) سبط ابن الجوزي: مرآة الزمان ج8 ص513.

(2) ابن الصابوني: تكملة إكمال الإكمال في الكنى والأسماء والألقاب، تحقيق مصطفى جواد ص351. الحوادث 207.

(3) مرآة الزمان ج8 ص422.

(4) مدارس بغداد ص123.

(5) مساجد بغداد واثارها ص125.



مرقد زمرد خاتون (صورة قديمة)

### المدرسة البشيرية

أنشأت هذه المدرسة احدى نساء الخليفة المستعصم بالله (640-656هـ) المعروفة بباب بشير<sup>(1)</sup> لتدريس مذاهب الفقه على قاعدة المدرسة المستنصرية المنشأة سنة 631هـ/1233م، فكانت ثاني مدرسة يجري فيها التدريس على هذه القاعدة، ليس ببغداد فحسب بل في العالم الاسلامي أيضاً، ولقد استمر العمل في بناء المدرسة هذه ما يقرب من اربع سنوات (من 649 الى 653هـ/ 1251-1255م) ومن هنا نعلم مدى اتساعها وضخامة مبانيها. قال صاحب كتاب (الحوادث) يصف افتتاحها سنة 653هـ: «وفيها فتحت المدرسة البشيرية بالجانب الغربي من بغداد تجاه قطفتا،<sup>(2)</sup> التي أمرت ببنائها حظية الخليفة المستعصم، أم ولده ابي نصر المعروفة بباب بشير، وجعلتها وفقاً على المذاهب الأربعة على قاعدة المدرسة المستنصرية، ووقفت عليها

(1) نسبة الى خادم بابها المسمى بشيرا

(2) محلة كبيرة ذات اسواق، مجاورة لمقبرة الدير التي فيها قبر الشيخ معروف الكرخي -رضي الله عنه- بينها وبين دجلة اقل من ميل، وهي مشرفة على نهر عيسى. ياقوت: معجم البلدان.

وقوفاً كثيرة قبل فراغها، وكان فتحها يوم الخميس ثالث عشري جمادي الآخرة، وحضر الخليفة وأولاده فجلسوا سطحها، وحضر الوزير وأرباب المناصب ومشايخ الربط والمدرسون. وكان المدرس بها سراج الدين النهرقلي أفضى القضاة وشرف الدين عبد الله بن استاذ الدار ومحي الدين ابن الجوزي ونور الدين محمد بن الغربي الخوارزمي الحنفي وعلم الدين أحمد بن الشرمساحي المالكي، وعملت وظيفة عظيمة وخلع على المدرسين المذكورين وعلى الناظر بها ونواب العمارة والفراشين وخدم القبة، وأنشدت الأشعار وكان يوماً مشهوداً<sup>(1)</sup>.

ويظهر من بعض النصوص التاريخية أن للمدرسة البشيرية هذه خزانة حافلة بالكتب ذات خازن خاص، مختص بأمورها، وفهارس مكتوبة بطريقة حسنة، قال عبد الرزاق ابن الفوطي في ترجمة فخر الدين أبو اسحق بن حسن بن عبد الله البغدادي الأديب «الشيخ الأديب الكاتب، صاحب الاخلاق الحميدة والاداب الغزيرة، كتب بخطه الصحيح، وهو الذي تولى كتابة فهرست المدرسة البشيرية على طريقة حسنة، وذلك في سنة أربع عشرة وسبعمئة»<sup>(2)</sup>.

وتدلنا تراجم مدرسيها ومعيديها على استمرار التدريس في هذه المدرسة حتى أواخر القرن الثامن للهجرة (14م)<sup>(3)</sup>.

أما السيدة الواقعة فقد توفيت سنة 652هـ/1255م.

### دار القرآن البشيرية

أمرت ببنائها السيدة المعروفة بباب بشير من نساء الخليفة العباسي المستعصم بالله على شاطيء دجلة بغربي بغداد، وافتتحتها في سلخ شعبان من سنة 652هـ/1255م<sup>(4)</sup>، أي قبل افتتاح مدرستها بنحو سنة واحدة، وكانت على ما ترجح تشبه دار القرآن التابعة للمدرسة المستنصرية، وذلك لرغبة السيدة باب بشير بتقليد نمط المدرسة المذكورة بكل مرافقها ونظمها. وممن تولى مشيخة هذه الدار الشيخ محب الدين أحمد بن يوسف بن أحمد بن عكبر العلوي الكرخي البغدادي، وكان عارفاً باللغة مؤرخاً<sup>(5)</sup>. ويدل تاريخ وفاته،

(1) كتاب الحوادث ص324

(2) تلخيص مجمع الاداب ج 4 الترجمة 1900، وانظر نفس المصدر، الترجمة 1899.

(3) ترجمنا لهم في كتابنا مدارس بغداد ص205-217.

(4) كتاب الحوادث ص319.

(5) تاريخ ابن الوردي 2/278.

وهو سنة 721هـ/1321م، على استمرار التدريس في هذه الدار الى النصف الاول من القرن الثامن للهجرة (14م) في اقل تقدير، ومن الراجح عندنا ان مبناها تحول بعد ذلك الى مسجد هو الذي عرف بمسجد السيف<sup>(1)</sup> وقد ازيل هذا المسجد سنة 1965م.

### المدرسة العصمية

وفي سنة 671هـ/1272م انشأت السيدة شمس الضحى بنت عبد الخالق بن ملكشاه بن ايوب، ارملة ابي العباس احمد بن الخليفة المستعصم (المقتول شهيداً في واقعة بغداد) وزوجة علاء الدين عطا ملك الجويني صاحب ديوان العراق، مدرسة بجوار مشهد عبيد الله بن عمر العلوي المعروف بمشهد النذور<sup>(2)</sup>، ووقفتها على المذاهب الاربعة، على قاعدة المدرسة المستنصرية، فكانت أول مدرسة تنشأ على هذه القاعدة منذ احتلال المغول بغداد. وقد اختارت هذه السيدة لمدرستها افضل مدرسي بغداد في تلك الحقبة العسبية من تاريخها، وهم القاضي عز الدين محمد بن جعفر البصري، وعفيف الدين ربيع بن محمد الكوفي، وشرف الدين داود الجيلي، ومجد الدين المعروف بشقير الواعظ، وتم افتتاح المدرسة في احتفال كبير وزعت به الخلع على الجميع، واطعم فيها الحاضرون<sup>(3)</sup>.

ولا شك في انها وقفت على المدرسة أوقافاً جمة، لأننا نعلم أنها جعلت النظر فيها، اي في شؤون المدرسة، لصدر الوقوف، وهو متولي اوقاف بغداد، شهاب الدين علي بن عبد الله، وجعلت الإشراف عليه الى من ولي قضاء القضاة ببغداد<sup>(4)</sup>.

وقد اثنى صاحب كتاب الحوادث على هذه السيدة فقال «كانت كثيرة الصدقات والاحسان والمبرات، وكانت تحب اهل بغداد وترعى مصالحهم وتقوم في حوائجهم وتساعدهم»<sup>(5)</sup>.

---

(1) بحثنا: دار القرآن البشيرية وهل هي مسجد السيف القديم. جريدة البلد عدد 1749 (10 تشرين الثاني 1965).

(2) تقع بقايا هذا المشهد اليوم في محلة النصبة بالاعظمية ويعرف بقبر ام رابعة، وهي كنية السيدة المذكورة، اذ هي والدة رابعة ابنة ابي العباس احمد بن المستعصم وقد دفنت رابعة بجوار والدتها سنة 685هـ.

(3) كتاب الحوادث ص408.

(4) كتاب الحوادث ص406.

(5) كتاب الحوادث ص446.

توفيت سنة 678هـ/1279م ودفنت في تربة اعدتها لنفسها بجوار مدرستها المذكورة<sup>(1)</sup>. واستمرت المدرسة قائمة بمهمتها العلمية والثقافية نحو نصف قرن. بعد وفاتها في الاقل، ومن المحتمل انها توقفت عن تلك المهمة لما اصابها من الغرق العظيم سنة 725هـ/1225م، فقد ذكر ابن الوردي في تاريخه<sup>(2)</sup> انه مما انهار في ذلك الغرق مدرسة عبيد الله، وان خزانة الكتب التي بها غرقت «وكانت تساوي اكثر من عشرة الاف دينار».

### المدرسة الايكيجية

من مدارس بغداد، انشأتها في منتصف القرن الثامن الهجري (14م) السيدة مخدوم شاه، الملقبة (ايكجي) والى لقبها نسبت وقد وصف المؤرخ البغدادي عبد الله بن فتح الله الغيائي هذه المدرسة بقوله انها «مدرسة عظيمة»، ولكنه لم يزد في توضيح جوانب عظمتها. ووصفت مؤسستها بأنها من الاميرات صاحبات الشأن والرأي الصائب والفصل في المهمات<sup>(3)</sup>.

### المدرسة الوفائية

تقع هذه المدرسة في الجامع الذي شادته السيدة وفا خاتون في سوق الكبابجية بشرقي بغداد، وكانت تشغل عدة حجر تطل على فناء الجامع نفسه. وقد ورد في الاعلام الشرعي المؤيد لما جرى به «التداول القديم»<sup>(4)</sup> ان هذه السيدة رتبت راتباً، من الاوقاف العديدة التي وقفها للمدرس في جامعها، مما دل على ان المدرسة هي من انشأتها ايضاً.

واستمر التدريس في المدرسة طيلة العصر العثماني، درس خلاله فيها عدد غير قليل من العلماء علمنا منهم مصطفى العلقبند المتوفى سنة 1228هـ/1813م<sup>(5)</sup>.

### مدرسة صالحة خاتون بنت عبد القادر الرحبي ببغداد

كان اصل هذه المدرسة دارا تشتمل على «حوش خارج» في اسفله بيت واويان وزهر كبير (كذا) وباغجة (حديقة) نخل، وحوض، وبئر. وفي علوه كوشكان واويانان،

(1) كتاب الحوادث ص446.

(2) تاريخ ابن الوردي ج2 ص378.

(3) التاريخ الفياثي بتحقيق طارق الحمداني، بغداد 1975، ص93.

(4) الدروبي: البغداديون 232

(5) الاوقاف 61/1

وعلى حوش داخل فيه اربعة بيوت واىوانان وبيت تتور وباجعة نخل ويئر وكرد كوشك، تعرف قديماً بمحلة عز الدين، من محلات بغداد الشرقية.

وقد أمرت السيدة صالحة خاتون بنت الشيخ عبد القادر الرحبي بتحويل الحوش الخارج الى مجلس علم يحضره طلبة العلم من ذريتها وغيرهم، يشبه أن يكون مدرسة، بينما جعلت الحوش الداخل مسكناً للعيال. ووقفت لادامة هذه الدار، بمرافقتها الثقافية المذكورة، أوقافاً جمّة، منها حصة تبلغ النصف من دكانين ونصف في سوق السلطان (سوق الهرج الحالي)، ومنها نصف كرد الوجيلاني عند نهر الزعفرانية المعروف بنهر قرارة، وسدس المزرعة المعروفة بدوب النخالة، وستان في الاعظمية تعرف بالرحبية، وربع فدان في ارض الشالجية، ومثله في ارض الغرابية من هور عرقوف، وذلك بموجب وقفيتها المؤرخة في 21 ذي الحجة سنة 1118هـ/ 27 آذار 1707م<sup>(1)</sup>.

### مدرسة سَكينة خاتون

من مبرات السيدة سَكينة خاتون بنت الحاج محمد العباسية، أنها أنشأت مدرسة ببغداد، في الجهة الجنوبية من السراي مُطلّة على سوق السراّجين، «جعلتها للخيرات» وأنفقت عليها من خالص أموالها، ثم أنها وقفت عليها جملة من العقار، منها نصف عقر المرادية في ناحية الخالص، وسبعة اسهم من أصل الستة عشر سهماً من مقاطعة الويسية، وسبعة أسهم من أصل ثمانية من جدول العامرية في «قرية بلاد روزين» (التي عرفت فيما بعد باسم بلد روز) وذلك في شهر ذي الحجة 1140هـ/ 1727م.

ثم انها وقفت عليها الدارين الواقعتين في محلة شالي قولي دلال ببغداد، وهي التي سميت محلة جديد حسن باشا، واشترطت أن يُصرف الحاصل من ايجارها سنة بعد أخرى على مصاريف المدرسة المذكورة<sup>(2)</sup>.

### المدرسة العادلية في بغداد

ألحقت السيدة عادلة خاتون بنت والي بغداد أحمد باشا بجامعها المسمى جامع عادلة خاتون او العادلية الكبير<sup>(3)</sup> مدرسة لتدريس العلوم في المعقول والمنقول، وكانت هذه المدرسة تشغل عدداً من الغرف في الطابق الأعلى من الجامع، وضمت اليها

(1) السجلات القادرية (مخطوط)

(2) الاوقاف 21/1

(3) الاوقاف 122/2

خزانة للكتب لتكون عوناً لطلبتها ومدرسيها على حد سواء، وحددت عدد طلبتها بخمسة عشر طالباً، وهو عدد كبير قياساً الى المدارس الاخرى، ورتبت الرواتب للمدرس، ولحافظ المكتبة، والمخصصات اليومية للطلبة. وبلغ من اهتمامها بأمر هذه المدرسة أنها كانت تشرف بنفسها على شؤونها وتتعهدها بالعناية، وقد ميّزت طلبتها بأن جعلت لهم سمات (باجات) خاصة يحملونها على صدورهم، كتب عليها (طلبة المدرسة العادلية ببغداد)<sup>(1)</sup> وهو ما انفردت به بين واقفي المدارس كافة.

ولقد درّس في هذه المدرسة، عبر الحقب المتعاقبة، صفوة من أشهر علماء بغداد، منهم السيد محمود شكري الالوسي، والسيد صبغة الله الحيدري، والشيخ نجم الدين الواعظ، والشيخ محمد افندي الحاج حمد العسايفي وغيرهم.

أما المكتبة فقد تفرّقت كتبها منذ أمد بعيد، ونقل المتولي ما تبقى منها الى داره، فعاثت بها الإرضة هناك «حتى أصبحت لا ينفع بها».

### مدرسة جامع الصياغ

أشأ هذه المدرسة، في جامع الصياغ (جامع الخفافين المعروف قديماً بجامع الحظائر) الحاج ابو بكر الباجه جي الموصلي سنة 1205هـ/1790م. وفي سنة 1212هـ/1797م قامت أربع سيدات بغداديات صالحات هن:

أ- الحاجة حوى خاتون بنت الحاج عثمان افندي.

ب- زينب بنت الحاج مصطفى.

ج- عائشة بنت عمر الباجه جي.

د- لطيفة بنت عمر الباجه جي.

بأنشاء خزانة كتب في المدرسة ضمت كتباً عديدة، كما أنهن - حرصاً منهن على ادامة الانفاق على هذه المدرسة وملحقاتها- وقفن جملة من الأوقاف التي تتألف «من دور ودكاكين وعقارات وأراض وما اتصل بها من بناء وأشجار ونخيل متنوعة» على النحو الآتي:

- في بغداد: دكان واقع في سوق الصفاخير، ودكان عند (القلنج)<sup>(2)</sup> وأربع دكاكين في سوق الخفافين، وخان مشتمل على حجر عديدة وساحة في سوق الصياغ.

(1) البغداديون ص321

(2) كلمة تركية بمعنى مركز الشرطة.

- في البصرة: دار مقابل كمرك البصرة، وأرض عند باب الرباط من أبواب مدينة البصرة، وقطعة أرض معروفة بالشوأكة.

- في كربلاء: دار مشترك بالنصف مع الحاج احمد بك الشاوي، يتألف من ديوان خانه وحرم ووزارة داخلها «بزارة للصايبون»، وخمس دكاكين، وخان، ونصف بستان وربع بستان آخر.

وقد جعلت الواقفات في المدرسة مدرسين اثنين، لكل منهما 120 قرش رائج بغداد سنويا وقارئ للقرآن، وحافظ لأجزائه. وذلك بموجب وقفيتهم المؤرخة في سنة 1212هـ/1717م<sup>(1)</sup>.

### مدرسة نابي خاتون

أنشأتها السيدة نابي خاتون بنت عبد الله، زوج والي بغداد الوزير سليمان باشا الكبير (1193-1217هـ/1780-1802م)، ووالدة والي بغداد سعيد باشا (1228-1232هـ/1813-1812م)<sup>(2)</sup> في السوق الجديد من (الميدان) بالجانب الشرقي من بغداد سنة 1236هـ/1820م، ووقفت عليها عقارات عديدة في قرية السندية التابعة لناحية الخالص، وفي قصبة الإمام الأعظم (الأعظمية)، وفي منطقة أم العظام في الجانب الغربي، ودكاناً قرب حمام الكُمرك (بجوار المدرسة المستنصرية)، وآخر في سوق السباهية<sup>(3)</sup>، أثبتتها في وقفيتها المؤرخة في 28 رجب 1237هـ/1821م<sup>(4)</sup>.

### المدرسة الخاتونية

من أشهر مدارس بغداد وأهمها في النصف الأول من القرن الثالث عشر الهجري (19م) أمرت بإنشائها السيدة عاتكة خاتون بنت السيد علي نقيب الأشراف ببغداد (المتوفى سنة 1228هـ/1813م) وزوجة السيد محمود بن زكريا نقيب الأشراف أيضاً (المتوفى سنة 1258هـ/1842م) في موضع قريب من جامع الشيخ عبد القادر

(1) الاوقاف 87/3-8

(2) شاركت هذه السيدة في الحكم وأسهمت في توجيه سياسة زوجها وولدها، وبعد مقتل الأخير، اعتزلت الناس، وتركت الحياة العامة، ثم شرعت بجملة من الأعمال الخيرية النافعة. ينظر: سليمان فائق: مرآة الزوراء في سيرة الوزراء (المسمى تاريخ بغداد)، ص51، وكتابه: تاريخ الممالك الكولة منذ في بغداد، ترجمة نجيب الأرمنازي، بغداد 1961، ص49.

(3) السباهية هم الفرسان بحسب نظام التيمار العثماني.

(4) مجموعة من وقفيات بغداد.

الكيلاني، مقابل له، ووقفت عليها العقارات الكثيرة لتضمن بقاءها ودوام نفعها . منها بستان، ورحى للماء خارج بغداد، ودار وبستان (باغجة) بأتصال الجامع المذكور/ ودكاكين في سوق الشورجة وسوق الخفافين، وعلوة للبصل، وذلك بموجب الوقفية الصادرة بتاريخ 20 جمادي الاولى سنة 1235هـ/1819م.

وتدل نصوص هذه الوقفية المهمة على مبلغ عناية السيدة عاتكة بمدرستها، وبشؤون العاملين فيها، فقد رتبت لها مدرساً، وعشرة طلاب علم، ومعيداً للدرس، وفراش، وكناس، وقندلجي، ومحافظ للكتب، وحددت لهم رواتب مجزية، وجعلت لكل طالب علم فضلاً عن المخصصات النقدية، ما يكفيه من الخبز والرز والخضروات والقهوة والشيرج للإضاءة وغير ذلك من المواد العينية.

كما أُلحقت بمدرستها سقاية كبيرة لتوفير مياه الشرب لطلبتها ولسائر الناس في تلك المحلة، وشرطت لادامتها مبلغاً سنوياً محدداً.

وبلغ من اهتمام الواقفة بخزانة كتب مدرستها أنها أوكلت أمر حفظها والعناية بها الى أحد العلماء ببغداد يومذاك، هو الشيخ عبد الكريم جليبي دله، وقد أرسلته لغرض تنمية كتبها وتزويدها بكل هو طارف وتالد الى الآستانة، وبلاد الشام، ومصر، لشراء كتب مخطوطة ومطبوعة، ولما وصلت الكتب الى بغداد حفظتها في خزانات من خشب ووقفها على مدرستها، وكتبت على ظهر كل كتاب منها عبارة (وقف المدرسة الخاتونية) وتحتها ختم (عاتكة خاتون).

وقد درس في هذه المدرسة علماء أعلام، أولهم الشيخ العلامة علاء الدين الموصللي، وتخرج منها العلامة السيد محمود شهاب الدين الالوسي صاحب تفسير (روح المعاني) إذ أجاز من شيخه علاء الدين الموصللي إجازة علمية عامة، وقد أعدت السيدة عاتكة خاتون بهذه المناسبة- وليمة فخمة دعت اليها جميع العلماء والأشراف والتجار للحضور الى المدرسة ليشهدوا حفلة تسليم الإجازة. ووصف الالوسي نفسه هذه الحفلة في كتابه (غرائب الإغتراب) بقوله: «ولما بلغت من العمر إحدى وعشرين سنة جمع لشهود إجازتي علماء بلدتي شيخي علي علاء الدين، فكان يوم الجمع مشهوداً ومشهوراً أفاض على العدو شروراً، وكان ذلك في المدرسة الخاتونية قريباً من الحضرة القادرية»<sup>(1)</sup>.

(1) غرائب الاغتراب ص30

وظلت المدرسة مزدهرة بطلاب العلم الى أن داهمها الغرق والطاعون اللذان عما بغداد سنة 1246هـ/1830م فتخرّبت، وتشعثت، ولم تعد صالحة للتدريس، ولذا نُقل التدريس الى المدرسة القادرية القريبة. ومع ذلك فقد لبثت بقايا المدرسة شاخصة الى أن أزيلت تماماً عند شق شارع الملك غازي سنة 1957م.

أما الواقعة المحسنة فكانت وفاتها بدمشق، في طريق عودتها من مكة حاجة، ودفنت في مسجد شيدته هناك، عرف بمسجد عاتكة خاتون، سنة 1245هـ/1829م<sup>(1)</sup>.

### مدرسة نازدة خاتون

أنشأتها السيدة نازدة خاتون بنت مصطفى آغا زوجة والي بغداد حافظ علي باشا (1217-1222هـ/1802-1807م) في محلة الحيدر خانة من محلات بغداد الشرقية، ورتبت لها مدرساً وإمامين ومؤذنين ومحافظ كتب (مما يدل على وجود خزانة كتب فيها) وقارئ دُور، وقندلجي، ومسجد، ورئيس محفل، وكناس، وبواب المصلى، وبواب الجامع، وواعظ شهر رمضان، وممجد في ليالي رمضان.

ولم يحدد عدد الطلبة في هذه المدرسة، لكن الواقعة خصصت لهم نفقة باسم (نفقة الطلبة) تقدر بأربعة آلاف قرش كل سنة، تُدفع لهم عيناً على شكل خُبز وشمع، فضلاً عن رواتب العاملين في هذه المؤسسة، وهي رواتب عالية إذا ما قيست برواتب أمثالهم من العاملين في المؤسسات التعليمية والدينية المشابهة، فبلغ راتب المدرس ثمانية آلاف قرش رائج، ولحافظ الكتب ستمائة قرش، ولماء السبيل في سقايتها ألف وثمانمائة قرش. ووقفت للإنفاق على ذلك كله أوقافاً جمّة، هي جميع بستان الجلبيّة في البصرة، وجميع الخان الشهير بخان الباشا مع الدكاكين الثمانية المتصلة به الواقع في قصبة الحلة الفيحاء «وفقاً صحيحاً شرعياً على مصالح الجامع الذي أنشأته الخاتون. مع المدرسة الكائنة فيه إنشاءً لوجه الله» في وقفيتها المؤرخة في شعبان من سنة 1263هـ/1846م<sup>(2)</sup>.

وتوفيت الواقعة سنة 1284هـ/1866م<sup>(3)</sup>.

(1) البغداديون ص333-335.

(2) المصدر نفسه.

(3) البغداديون ص339.

## مدرسة مُنور خاتون

كانت هذ المدرسة في الأصل ثكنة للمدفعية تعرف بقشلة الطوبجية، وبتصالها من جهة الطريق المؤدي الى حمام المالح قهوة [خانه]، فاشترتها السيدة مُنور خاتون زوجة والي بغداد الوزير سليمان باشا الكبير 1192-1217هـ/1778-1802م وجعلتها جامعاً وألحقت به مدرسة، وعيّنت في المدرسة مدرساً هو الشيخ عبد الوهاب بن عبد الفتاح بن محمود بن حجازي، وكان عالماً نابهاً له تصانيف عدة، وتوفي سنة 1313هـ/1895م، وخصصت ثمة حجرات لسكنى الطلبة<sup>(1)</sup>. وقد كتب على باب الجامع أبياتاً تشير إلى تاريخ بنائه وبانيه<sup>(2)</sup> وهي:

جامعٌ للأنوار لاح محررٌ في جبين الزوراء الله أكبر  
أسسته على التقى من حلالٍ فحكى المسجد الحلال المُطهر  
زوجُ فرد الزمان أعني سليم ان أبا صادق الوزير المُظفر  
هي أم الخيرات ذات المبرأ ت التي في ذرا المنابر تُذكر  
قلتُ إذ أكملتُه بالخير أرخ (جامعٌ للأنوار شادت مُنورٌ)

1267

ومن مآثر هذه السيدة أنها ألحقت بمدرستها خزانة حوت جملة وافرة من الكتب. ووقفت على الجميع عدة أراض ومُسَقَّفات، منها الأراضي الواقعة في الحلة المسماة علاجية وهمينة ونصف البستان المسماة بسين<sup>(3)</sup>.

ويلاحظ أن تاريخ الوقف جاء سابقاً على تاريخ الفراغ من بناء هذه المنشآت بمدة غير قليلة، وتاريخ الوقفية هو سنة 1241هـم 1825م بينما تاريخ إتمام البناء هو سنة 1267هـ/1850م.

وقد استمر التدريس قائماً في المدرسة إذ تعاقب على التدريس فيها نخبة من أشهر علماء بغداد، منهم العلامة عبد الوهاب النائب (1269-1354هـ/1852-1925م)

(1) عباس بن رجب: فصل من كتابه (نيل المراد في أحوال العراق وبغداد) في كتابنا (مساجد بغداد في كتابات الأجداد) ص42.

(2) الآلوسي: مساجد بغداد ص34 والعقد اللامع ص212 وخير الزاد ص292.

(3) البغداديون ص338.

والشيخ حسين فوزي، والشيخ كمال الدين الطائي، والشيخ عبد القاهر بن عبد الرزاق خطيب جامع أبي حنيفة، وهو آخر من تولى التدريس فيها.

### مدرسة نائلة خاتون ببغداد

أنشأتها السيدة نائلة خاتون بنت عبد الرحيم اغا سنة 1291هـ/1874م تجاه جامع الحيدرخانه ببغداد، وألحقت بها مسجداً وخزانة كتب ضمت نوادر المخطوطات في مختلف العلوم، وعيّنت فيها مدرساً وماماً ومؤذناً وخادماً ومحافظاً للكتب، ووقفت لإدامة الإنفاق عليها عقارات عديدة، منها أربعة بساتين في قرية الهويدر من أعمال بعقوبة، وحصتها البالغة ثلاثة أرباع نخيل وأشجار البساتين المعروفة بعلاف وخشخشية في الحلة، والتي أرضها من الأراضي الأميرية، ونصف الحصة الشائعة من النخيل وسائر الأشجار من بساتين فنيان في قرية الحاج عبيد من أعمال الحلة، والتي أراضيها أميرية أيضاً، وكذلك الخانين الكبير والصغير المعروفين باسم خان الدفتردار<sup>(1)</sup> قرب سوق سرير جيلر (صناع الأسرّة)، والدكاكين الأربعة، والحصة الشائعة البالغة الربع من المخزن الواقعة باتصال الخانين المذكورين.

ودار الحرّم الواقعة في المحلة المذكورة، وبساتين عديدة في قصبة بدره، ومندلي، ودار في محلة جديد حسن باشا.

وشرطت أن تُصرف غلة هذه العقارات أولاً على تعمير المواضع التي تحتاج الى عناية من المدرسة، ثم ينفق ما تبقى على النحو الآتي:

75 قرش صاغ شهرياً للإمام

50 قرشاً صاغ شهرياً للمؤذن

300 قرش صاغ سنوياً لتلاوة الوترية في ليالي رمضان

300 قرش صاغ سنوياً لسقاء الماء في المدرسة

720 قرش صاغ سنوياً لحافظ الكتب في المدرسة.

وشرطت أن يتراوح عدد الطلبة «ممن هم فقيري الأحوال، أو غريبي الدار» بين خمسة طلاب وعشرة، «وأن يعطى لكل واحد منهم يومياً قرشان صاغ»، وأن يعطى

(1) شيدت على أرض هذين الخانين عمارة الدفتردار.

لكل طالب أربعمائة درهم من الشمع للإضاءة، وأوقفت عليها كتباً مخطوطة وغير مخطوطة<sup>(1)</sup>.

وذكر عبادة في وصفه هذه المدرسة «كان جلوس الطلبة وتدريس المدرس في طاق كبير مُطل على الطريق، مُزَيَّن بالمرآة، ومطلّي جدرانها بالأصباغ الملونة. ولما وُسِّعت الجادة العمومية أخذ لها الدار الملاصقة له والمقابلة لها، والتي هي من جملة أوقافها، فتهدمت ثم بُنيت جميعاً مجدداً سنة 1340هـ/1921م»

ونقل أبياتاً كانت على باب هذه المدرسة تتضمن بيت التاريخ، وهي:

دَعْ ذكر نازنَدَه في وقتها	وما بنته من بناء نبيل
وانظر إلى ما قد بنت بعدها	نائلة الخير بباع طويل
وأوقفت لله ما قد أوقفت	مدرسةً ليس لها من مثيل
وشيدت أركانها حسبةً	والله يجزيها الجزاء الجميل
وأصبح العلم مقيماً بها	مخيماً ليس يريد الرحيل
ليهنها إن سلكت فعلها	في طرق الخيرات قصد السبيل
قد قلتُ لما أرسلت أَرْخُوا	(نائلة الخير نالت مُراد الجميل)

1291

وتوفيت الواقعة سنة 1294هـ/1877م.

وكان من حظ هذه المدرسة أن تعاقب على التدريس فيها عددٌ من كبار العلماء ببغداد، منهم العلامة اسعد افندي الدوري، ومفتى بغداد العلامة قاسم القيسي، والشيخ محمد القزنجي، والعلامة الشيخ نجم الدين الواعظ، وكل منهم تخرج على يديه نخبة من خيار الطلبة الذين تولوا مختلف المناصب الثقافية والشرعية في العراق<sup>(2)</sup>.

(1) العقد اللامع ص252.

(2) العقد اللامع ص255.

## ثالثاً: إنشاء الربط والزوايا والوقف عليها

### رباط فاطمة للنساء

أنشأته السيدة فاطمة بنت الحسين بن الحسن بن فضلوية، المتوفاة سنة 521هـ/ 1127م، وكانت واعظة متعبدة محدثة، تتلمذ عليها العلامة ابن الجوزي صغيراً إذ سمع منها كتاب (ذم الغيبة) لإبراهيم الحربي، ومن مجالس ابن سمعون روايتها عن ابن النفور عنه، ومسند الشافعي وغير ذلك، وترجم لها، وقال: «لها رباط تجتمع فيه الزاهدات»<sup>(1)</sup>.

### رباط بَنَفْشا للنساء

أنشأته السيدة بَنَفْشا بنت عبد الله زوجة الخليفة المستضيء بالله العباسي، في سوق كان يعرف بسوق المدرسة، قريباً من المدرسة النظامية بشرقي بغداد، وقد جعلته للنساء الصوفيات. وجرى افتتاحه في الأول من رجب سنة 573هـ/ 24 كانون الاول 1177م، وأوكلت إدارته الى أخت أبي بكر الصوفي شيخ رباط الزوزني، أحد مشاهير الصوفية في ذلك العهد<sup>(2)</sup>.

### رباط المأمونية

أمرت بنائهما السيدة زُمُرْد خاتون، وافتتحته سنة 579هـ/ 1183م<sup>(3)</sup>. وكان يقع في محلة المأمونية شرقي بغداد فنسب اليها، ويظهر أن هذه السيدة لم تشأ أن تقتصر مهمة رباطها على العبادة والإعتكاف - كما هي مهمة الكثير من أمثاله - وإنما أرادت أن يكون داراً للثقافة والعلم. فألحقت به خزانة كتب حوت كتباً قيمة، عرفنا منها واحداً، هو كتاب (الفنون) لأبي الوفاء ابن عقيل البغدادي، يكاد يؤلف، وحده، خزانة كتب قائمة برأسها فقد قُدر عدد مجلداته بمائتي مجلد وقيل 470 مجلداً.

### رباط الأصحاب

أنشأته السيدة زُمُرْد خاتون أيضاً بجوار مشهد عُبَيْد الله العلوي (حيث دفن الخليفة المستعصم بالله فيما بعد، وهو في الأعظمية اليوم) وتعهده بالعناية، فحين

(1) المنتظم ج 10 ص 27.

(2) سبط ابن الجوزي: مرآة الزمان ج 5 ص 365.

(3) المصدر نفسه ج 8 ص 48.

أصابه الغرق سنة 646هـ/1248م وهُدم، تولّت هذه السيدة تجديده، وإعادته على ما كان عليه أول مرة، وجرى افتتاحه سنة 650هـ/1252م. قال صاحب كتاب الحوادث في حوادث تلك السنة «وفتح الرباط الذي أمرت بتجديده أم الخليفة الناصر، مجاور مشهد عبيد الله عليه السلام، وعمل فيه دعوة، وكان قد تشعّت منذ الغرق وأجري على ما كان عليه أولاً»<sup>(1)</sup>.

### رباط الفيروزجية

أنشأتها عائشة ابنة الخليفة المستجد بالله المعروفة بالفيروزجية (المتوفاة 640هـ/1242م)، وكانت صالحة مُسنّة بكرة، رأت عدة من الخلفاء، أباه المستجد بالله، وأخاه المستضيء، وابن أخيها الناصر، وابنه الظاهر، وابنه المستنصر، ثم ابنه المستعصم، وقيل أنها قاربت الثمانين، وبنت ببغداد رباطاً يُعرف بها<sup>(2)</sup>.

### رباط السيدة هاجر في بغداد

أمرت ببناء هذا الرباط السيدة هاجر زوجة الخليفة المستنصر بالله، وأم الخليفة المستعصم بالله، آخر الخلفاء العباسيين، المتوفاة سنة 646هـ/1248م، الى جانب تربة (مدفن) أنشأتها لنفسها في شارع ابن رزق الله احد شوارع الجانب الغربي من بغداد<sup>(3)</sup> واستغرق بناؤه عدة سنين بعد وفاتها إذ جرى افتتاحه كما يذكر صاحب كتاب الحوادث سنة 650هـ/1252م. قال في حوادث تلك السنة «وفيها فتح الرباط المستجد الذي أمرت أم الخليفة المستعصم بعمارته الى جانب تربتها بشارع ابن رزق الله وحضر الوزير وكافة أرباب الدولة وكان الخليفة في سطحه وعملت فيه دعوة عظيمة وخُلع على كل من تولى عمارته»<sup>(4)</sup>.

والسيدة هاجر هي، كما وصفها ابن طباطبا الطقطقي «من بنات الناس»، أي من عامة الشعب، أصلها من بَنَدَنِيَجِينَ (مندلي الحالية) وكانت «ذات بُروج وُسُك»<sup>(5)</sup>

(1) كتاب الحوادث 305.

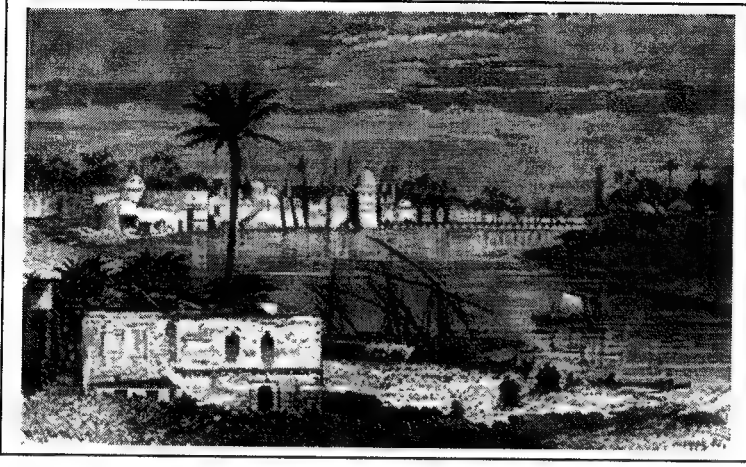
(2) المنتظم ج 10 ص 250.

(3) كان هذا الشارع مجاوراً لنهر عيسى الآخذ من نهر الفرات والنافذ بين دروب الجانب الغربي الى دجلة عند جامع قمرية في الكرخ.

(4) كتاب الحوادث ص 304.

(5) ابن طباطبا الطقطقي: الأصيل الورقة 127.

ووصفها صاحب الحوادث بأنها «كانت راغبة في فعل الخيرات والمواصلات»<sup>(1)</sup> للفقراء،  
حجّت في خلافة ولدها وتصدقت في تلك السنة بأموال كثيرة»<sup>(2)</sup>.



بغداد سنة 1837

يظهر عن يمين الصورة جامع قمريّة، وعن يسارها قلعة بغداد، تتلوها مباني  
السراي وفصور الماليك، فجامع الوزير، ثم جسر بغداد العائم، فجامع الاصفية  
وبعده المدرسة المستنصرية

#### رباط العَصْمِيّة

ومن مبرات السيد شمس الضحى الأيوبية، أنها أنشأت إلى جوار مدرستها  
المعروفة بالعصميّة، عند مشهد عبيد الله بن عمر، رباطاً للمتصوفة، وجرى افتتاح  
هذا الرباط مع المدرسة سنة 671هـ/1272م<sup>(3)</sup>.

#### وقفية خوري بنت منصور على تكية الحاج بكتاش

وقفت السيدة خوري بنت منصور، من أهالي قسبة بَندنجين (مندلي) البستان،  
المعروف باسم بستان سُويد في البلدة المذكورة على (تكية) الحاج بكتاش ولي، على أن  
يُنْفَق المتبقي من الغلة على تعمير البستان نفسه، وذلك بموجب وقفيتها المؤرخة في  
جمادي الاولى 1113هـ/تشرين الاول 1701م.

(1) الموصلة هنا: المحبة وبذل الصلات.

(2) كتاب الحوادث ص262.

(3) كتاب الحوادث ص408.

### وقفية صالحة بنت السيد علي البندنجي على تكية البندنجي ببغداد

تكية مشهورة ببغداد، أنشأها الرجل الزاهد السيد علي البندنجي (المتوفى سنة 1186هـ) في شرقي جامع الشيخ عبدالقادر الكيلاني ببغداد، والحق بها مدرسة لطلاب العلم، ووقف على مصالح التكية والمدرسة بعض العقارات في قصبة مندلي (بندنجين) و«شرط أن يكون المتولي عليها أعلم تلميذ فيها».

وفي سنة 1257هـ/1841م وقفت السيدة صالحة بنت السيد علي البندنجي بعض الأملاك على مصالح التكية، وهي جميع البستان الشهيرة ببستان رجب الواقعة على نهر السُّوق من قصبة بَنْدَنجِين، وكذا قطعة البستان الشهيرة بقطعة فاطمة خاتون الواقعة في المحل المذكور، وشرطت أن يرجع ثلث نماء الوقف بعد وفاتها «إلى فقراء تكية والدها المرحوم السيد علي البندنجي»<sup>(1)</sup> يصرفه لطعامهم وشرابهم، وبعد انقراض ذريتها تعود غلة الوقف جميعاً إلى فقراء التكية المذكورة. وقد سُجِّل ذلك في 14 صفر من السنة المذكورة<sup>(2)</sup>.

### وقفية أم كلثوم على تكية البندنجي ببغداد

ووقفت السيدة أم كلثوم خاتون بنت أحمد أفندي، من سَكَّة كركوك، الثمن الشائع من نهر صَيْدِلان الواقع في ناحية زَنْكِياد «على تكية المرحوم ساكن الجنان السيد علي مَنْدَلِجِي الواقعة قرب محلة حضرة الشيخ عبد القادر الكيلاني ببغداد»<sup>(3)</sup>، بموجب وقفيتها المؤرخة في 3 ذي الحجة 1226هـ.

### وقف مريم بنت إبراهيم على مصالح تكية البندنجي ببغداد

وفي سنة 1325هـ/1907م وقفت السيدة مريم بنت حسين من أملاكها الدار الواقعة في فَضْوَة عَرَب من محلات باب الشيخ، وبساتين ودكاكين في قصبة مندلي على ذريتها، ثم على مصالح مرقد السيد حسن الكائن في فضوة عرب، وبعد الإنقراض تكون الغلة والتولية بيد شيخ السجادة في تكية السيد علي البندنجي، وسجلت الوقف في 3 من رجب من السنة المذكورة<sup>(4)</sup>.

(1) يلاحظ الفارق الزمني بين وفاة السيد علي البندنجي وتاريخ وقفية السيدة صالحة.

(2) سجلات الأوقاف ج1 ص131.

(3) الأوقاف ج17 ص53.

(4) الأوقاف ج4 ص175.

## رابعاً: الخدمات الصحية والبلدية

### مستشفى أم المقتدر

أشأته السيدة شَغَب، زوجة الخليفة المعتضد بالله، وأم الخليفة المقتدر بالله، في سوق يحيى على دجلة من الجانب الشرقي ببغداد (من أرض الأعظمية اليوم) وافتتحته أول محرم سنة 306هـ/14 حزيران 918م. وكانت إدارة المستشفى الطبية بيد رئيس الأطباء في عصره وطبيب الخلفاء، سنان بن ثابت بن قُرّة الحراني المتوفى سنة 231هـ/942م، فهو الذي يُعَيِّن الأطباء في المستشفى ويشرف عليهم، أما الإدارة المالية فكانت بيد يوسف بن يحيى المنجم، ولم يكن ثمة تداخل بين عمل الإدارتين، وقد بلغت النفقة على هذا المستشفى في كل شهر ستمائة دينار (وهو مبلغ ضخم بحسب أسعار ذلك العصر)<sup>(1)</sup>.

### قنطرة السيدة بنفشأ وجسرهما في بغداد

من أعمال السيدة بنفشأ بنت عبد الله زوجة الخليفة العباسي المستضيء بأمر الله (566-575هـ/1170-1180م) ذات النفع العام في بغداد، أنها أمرت ببناء قنطرة على نهر عيسى في الجانب الغربي من بغداد، وكان هذا يأخذ من الفرات ويصب في دجلة، وتسير فيه السفن، كما أمرت بعقد جسر جديد يصل بين أعلى دار الخلافة العباسية في الجانب الشرقي وما يقابله من الجانب الغربي، وهو باب الرقة حيث بستان الخلفاء<sup>(2)</sup>.

### دار الشفاء الإيكلية

أنشأتها السيدة مخدوم شاه الملقبة (إيكلجي) في منتصف القرن الثامن للهجرة (14م) واليها نسبت، وكانت على جانب دجلة في الجانب الشرقي من بغداد<sup>(3)</sup>.

### بيت القضاة في بغداد

أنشأت عادلة خاتون (1112-1188هـ/1700-1774م) بنت والي بغداد أحمد باشا، قرب المحكمة الشرعية ببغداد، داراً خصصتها لسكنى القضاة الذين كانوا يقدمون إلى بغداد، ولم يكن ثمة دار تختص بهم قبل ذلك، وقد ذهب بعض الكتاب إلى

(1) ابن القفطي: أخبار العلماء بأخبار الحكماء، ص122 وابن أبي أصيبعة: عيون الأنباء في طبقات الأطباء، ج1 ص272.

(2) ابن الساعي: جهات الأئمة الخلفاء ص113.

(3) التاريخ الغياثي ص93.

أنها أنشأت أيضاً مبنى المحكمة الشرعية نفسه<sup>(1)</sup>، بينما تشير النصوص الوقفية والتاريخية إلى أن هذا المبنى يرقى إلى عصر سابق على عاذلة خاتون إذ أشير إليه في وقفية حسين افندي المؤرخة سنة 1089هـ/ 1686م وفي وقفيته المؤرخة في سنة 1100هـ/ 1688م<sup>(2)</sup>. وذكر الشيخ عبد الله السويدي أنه كان يتلقى العلم في أول شببته في أوائل القرن الثاني عشر للهجرة (18م) في المدرسة الأحسائية (جامع التكية الخالدية فيما بعد) على شاطئ دجلة «على يسار محكمة القاضي»<sup>(3)</sup>، فما وقفته عاذلة خاتون كان الدار التي خصصته لإقامة القضاة، وكلهم كان يقدم إلى بغداد من مدن أخرى، وليس مبنى المحكمة نفسه<sup>(4)</sup>.

وذكر السيد محمد سعيد الراوي أن الدار التي وقفها على سكنى القضاة كان في الأصل دارها<sup>(5)</sup>، وهي إشارة مهمة يؤيدها الدروبي حين نوه بأن هذه الدار «كان قصرها الذي تسكنه بجانب المحكمة الشرعية»<sup>(6)</sup>. ومن الراجح أن تكون قد عمرت المحكمة تعميراً شاملاً، أو أعادت بنائها على هيئة جديدة. ولاحظ الراوي أن المحكمة ليست من أوقافها كما يقول بعض الناس ظناً، لأن وقفية الجامع تنطق بالمحكمة الشرعية، وتعتبرها حداً من حدود ما وقفته، وقد كانت المحكمة قبل وجود الجامع المذكور وأوقافه.

وقد بقي الحال كذلك حتى أواخر العصر العثماني وأوائل عهد الدولة العراقية، غير أن دار سكنى القضاة تداعت ولم تعد صالحة للسكن، ومع أن المحكمة الشرعية بقيت تزاوّل أعمالها في المبنى القديم، فإن البناء نفسه أصبح، في ثلاثينيات القرن العشرين آيلاً للسقوط ومعرضاً للخطر.

(1) ذكر عبادة أنها «شرطت أن تكون محلاً للقضاء ولسكن القضاة»، ولم نجد في وقيياتها ما يدل على هذا الشرط. العقد اللامع ص355 والآلوسي: مساجد بغداد وآثارها ص45.

(2) محمد سعيد الراوي: خير الزاد، تحقيقنا في ص109.

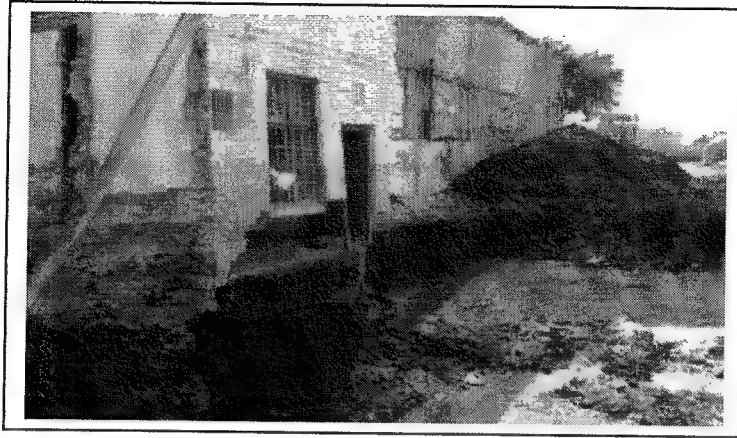
(3) النفحة المسكية في الرحلة المكية، بتحقيقنا ص70.

(4) وكان آخر من سكن تلك الدار من القضاة هو المرحوم محمد سعيد الحديثي قاضي بغداد الأسبق، وسمي الحمام المجاور للمحكمة الشرعية لهذا السبب (حمام القاضي)، وهو من أوقاف ليلى خاتون بنت جواد آغا، وقد هُدم هذا الحمام وبُني في مكانه سوق التجار حالياً. المميز: بغداد كما عرفت في ص168 والدروبي: البغداديون ص125.

(5) خير الزاد ص109.

(6) فهرست الوقفيات المسجلة في سجلات المحكمة الشرعية، الورقة 341ب. ونرجح أن تكون قد أنشأت قصرها هذا بعد وفاة زوجها سليمان باشا، إذ كان الولاة يسكنون حتى عهده في قصر مخصص لهم على شاطئ دجلة بينه وبين سراي الحكم.

وفي سنة 1352هـ/1934م شيدت وزارة العدلية (العدل) بناءً جديداً للمحكمة في موقع المبنى القديم.



مكان المحكمة الشرعية بعد نقضها وإزالة أنقاضها سنة 2012

وكانت الواقعة قد دُفنت في مقبرة الإمام أبي حنيفة، وعند تجديد المحكمة، أقيم في وسط باحة المحكمة الشرعية القديمة قفص كبير ليضم رُفاتها بعد نقله من موقعه الأول. وقبل المباشرة بالهدم والبناء جرى الإتفاق بين المتولين السابقين من آل المميز، وبين وزارة العدلية، على تخصيص إحدى حُجرات المبنى الجديد لنقل الرُفات إليها، وقد تم ذلك سنة 1934، ونُقل الرُفات إلى حجرة خاصة تقع على الجهة اليسرى من مدخل المحكمة، ثم استخدمت هذه الحجرة - مع وجود القبر- مخزناً لسجلات المحكمة مدة من الزمن.

ولقد ظلت هذه المؤسسة النافعة تقوم بمهامها الإجتماعية لأهل بغداد منذ عهد الواقعة، وسُميت محكمة الأحوال الشخصية في الرصافة. وفي سنة 2012 رأت الجهات (المسؤولة) أن تستفيد من موقعها المهم لأغراض تجارية بحتة، فكان أن أزلت مبناها بالكامل، وشيِّدت على أرضها سوقاً مقفلاً (قيصرية)، فزال بذلك معلّم مهم من معالم بغداد ارتبط بتاريخها نحو أربعة قرون أو يزيد.

### سقاية عادلة خاتون في جامعها الكبير

ومن مبرّات عادلة خاتون أنها أنشأت سقاية كبيرة لتزويد جامع العادلية الكبير والمنشآت المجاورة، فضلاً عن سائر الناس، بمياه الشرب. وكانت تلك السقاية تتألف من بئر عميقة تقع عند الشاطئ النهر، مقابل شريعة المحكمة، قد نُبِت فيها دولا ب

(كرد) تحركه الدواب، فيرفع الماء من البئر إلى قناة عالية، مبنية على عقود من الآجر، أنشئت بجوار الزقاق النافذ من الشريعة المذكورة حتى تقطع، على قطرة معقودة، درب رأس القرية فيجري الماء فيها حتى يصل إلى حوض خاص في الجامع، يستقي منه الناس، ودون أن تمسه يد سقاء قط. وقد ورد في وقفيته المؤرخة في سنة 1171هـ/1767م أن مما وقفته على جامعها ومدرستها البئر والدولاب على دجلة والساقية القديمة الممتدة إلى الجامع الشريف المقابلة<sup>(1)</sup>، وأنها شرطت لـ «من يخرج الماء من البئر» راتباً يومياً قدره خمسة عشر آقجة، فضلاً عن عشرين آقجة للسقاء. وقد أوقف العمل في الكرد بعد تزويد الجامع والمنشآت الأخرى بالماء الصافي بواسطة الأنابيب المعدنية الحديثة والمضخات<sup>(2)</sup>.

### سقاية عادلة خاتون في جامعها الصغير

أنشأتها في مسجدتها المعروف بالعادلية الصغير في محلة الدنكجية القديمة، على طريق الجسر القديم (جسر المأمون فالشهداء حالياً) وخصّصت راتباً لمن يقوم برفع الماء من بئر الجامع قدره خمسة عشر آقجة، وعشرين آقجة للسقاء<sup>(3)</sup>.

وكان على باب المسجد لوحة من الرخام عليها ستة أبيات دالية فيها إشارة إلى السقاية وتاريخها، منها:

فلما زهى بُنيانُ باب دُخوله      لنا وجلى ماءً لضمآن من الصدى  
هناك اقتبسنا آية الذكر أرخوا      لرب السما الهادي أدخلوا الباب سجداً

(1161)

### سوق القيسرية

أنشأتها السيدة عادلة خاتون أيضاً، وكان هذا السوق يقع قريباً من سوق البزازين أحد أسواق الجانب الشرقي من بغداد<sup>(4)</sup>، في طريق ضيق عرف بطريق المصبغة، وقد وقفت فيه دكاكين أشير إليها في وقفيته، ووصفها أمين المميز بأنها

(1) ينظر نص الوقفية في ملاحق كتابنا (عادلة خاتون) الطبعة الثانية.

(2) كتابنا: تاريخ مشاريع مياه الشرب القديمة في بغداد، بغداد 2002 ص112.

(3) عبادة: العقد اللامع وكتابنا: تاريخ مشاريع مياه الشرب ص111.

(4) كتابنا: معالم بغداد ص219.

شيدت على أرض مساحتها تقرب من مائتي متر مربع، ولها مدخل يؤدي إلى فناء بمساحة 5×5 متر تقريباً. وفي المدخل سلّمان يؤديان إلى الطابق العلوي، ويحيط بالفناء عدد من الدكاكين ومرافق، بينما يحيط الطارمة العليا عدد من العُرف (مُسافرخانه) أي فندق. ويعلو الفناء سقف تتوسطه كُوة ذات مزاغل أشبه بالشبابيك مفتوحة من جهاتها الأربع، وذلك للتهوية ودخول أشعة الشمس<sup>(1)</sup>.

### خان عادلة خاتون في قوش تبة

تقع بلدة (قُوش تبة) على الطريق المؤدي من بغداد إلى أربيل، على مسافة لا تتجاوز 30 كم عن مركز الأخيرة، وقد نُسبت البلدة إلى تل عال مجاور سُمي بهذا الاسم، ويعني تل الطير، وهي اليوم بلدة زاهرة متنامية.

وقد ذكر نيبور أن الفضل في تأسيس بلدة قوش تبه، يعود إلى هذه السيدة وإلى أبيها والي بغداد أحمد باشا، فقال في رحلته «وقرية قوش تبه تسمى خان عادلة أيضاً، ومع أن جميع أراضي هذه المنطقة كثيرة الخصب إلا أنها كانت إلى قبل بضعة أعوام صحراء قاحلة، خالية من السكان، ما خلا بعض الأكراد الذين يتجولون فيها في أوقات معلومة من السنة، وقد أمر أحمد باشا والي بغداد بحفر بئر وإقامة دار للراحة في هذا المكان وذلك لتسهيل الطريق على السعاة وموظفي البريد. كما أمرت ابنته عادلة خاتون بتشديد خان لتأمين راحة المسافرين والمستطرقين».

وأصدر الباشا فرماناً<sup>(2)</sup> يقضي بمنح الحرية وحق زرع الأراضي المحيطة بهذا المكان لكل من يرغب السكنى فيها من الفلاحين، و«بهذه الطريقة تكونت قرية كبيرة في مدة وجيزة من الزمن»<sup>(3)</sup>.

ويُعد خان عادلة خاتون في قوش تبة أنموذجاً واضحاً على مجموعة الخانات التي أنشأتها هذه السيدة المحسنة في أنحاء مختلفة أخرى من العراق، فهو يشغل مساحة مستطيلة في جنوبي القرية، ويتألف مبناه من مدخل حصين، حيث يبلغ ثخن الجدار الخارجي نحو المتر، وإذا دُلفَ زائرُه إلى الداخل رأى حجرة مقببة،

(1) بغداد كما عرفتْها ص105.

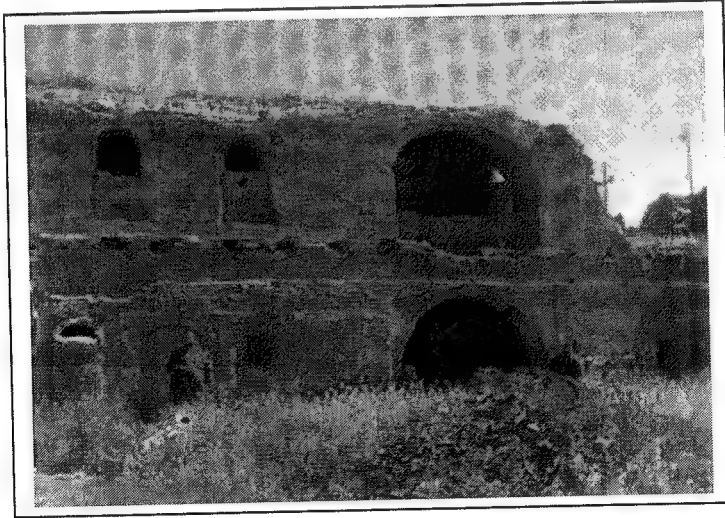
(2) الفرمان هو الأمر الصادر من السلطان حصراً، وكان الأولى ان يسميه (بيوراولدي) وهو مصطلح تركي بمعنى (تفضل بـ) وكان يختص بإصداره الولاة.

(3) نيبور: رحلة ص89.

يُنْفَذ من يسارها عبر إيوان عال إلى فسحة مستطيلة مكشوفة، وإذا نفذ إلى اليمين رأى مخرجاً لحجرة مشابهة لكنه مغلق حالياً، أما إذا تقدم إلى الإمام فسينفذ من خلال عقد عال إلى رواق صغير على هيئة الحجرة السابقة يطل من واجهته على فناء واسع، وعن يمينه حجرة مقبية لها نافذتان، أما عن يساره فحجرة مقبية مشابهة لسابقتها، ولها نافذتان تطلان على الفناء، وثمَّ سلم عال يبدأ بالصعود من مكان في مدخل الحجرة اليمنى المشار إليه سابقاً ويدور فيصّل بالصاعد إلى الطابق العلوي، ويتخذ هذا الطابق في تصميمه وارتفاعه ومواد بنائه هيئة الطابق المذكور، ففيه حجرة مقبية وتوجد عن كل من يمينها وشمالها حجرتان مشابھتان.

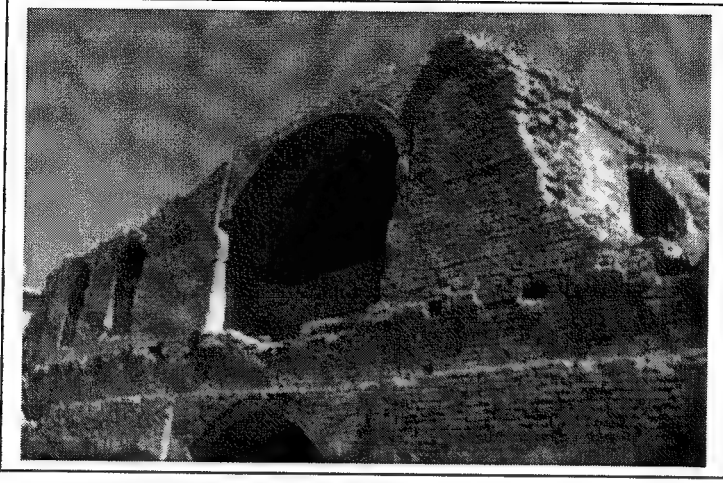
وثمة جناحان يتصلان بجناح المدخل هذا من يمين وشمال، فأما الذي من يمينه فيتألف من حجرتين مقببتين تتصل كل منهما بالأخرى، أعدت لتكون مطبخاً للنازلين في الخان، وثمة مرفق صحي في نهاية هذا الجناح. أما الذي عن الشمال فيتألف من إيوان كبير، يظهر أنه أعد لراحة النازلين. وقد أضيفت في وقت متأخر ثلاث حجرات إلى هذا الجناح، من طابوق نيء وفُصل الإيوان المذكور بجدار في وسطه.

وفناء الخان يتخذ شكل مستطيل كبير، بلط القسم القريب من جناح المدخل بالآجر الفَرَشِي، وفي وَسَطه آثار بئر للماء، وثمة صفٌّ من حُجُرات وأواوين في الجهة المقابلة من الخان، نُقِض ولم يبق منه إلا بقايا تتصل بسور الخان.



خان عادلة خاتون في قوش تبة- جناح المدخل (تصوير المؤلف)

بني الخان بقطع من الآجر المفخور، حسن الصنع، من حجمين مختلفين، وقد أحيطت نوافذ الطابق العلوي بإفريز يعلو عقده تاج تساقط معظمه.



خان عادلة خاتون في قوش تبة- جناح المدخل (تصوير المؤلف)

ذكرنا أن الخان يبعد عن مركز أربيل، أي قلعتها الأثرية، نحو ثلاثين كيلو متراً، ومعنى هذا أن عادلة اختارت أن تنشئ خانها على بعد مرحلة كاملة من أربيل، والمرحلة ما كانت تقطعه القوافل في النهار الواحد، وتقدر بخمسة فراسخ، ويساوي الفرسخ 6 كم، ولنا هنا أن نتساءل: وماذا عن المراحل الأخرى في طريق يبلغ نحو 400 كم، فيها الكثير من المفاوز والقفار، إن منطق الأشياء يقضي أنها أنشأت خانات أخرى على طول هذا الطريق، لأنه لا يعقل أن تنشئ خاناً في قوش تبة، وتترك سائر الطريق خالياً من أي منزل يمكن أن تبيت فيه القوافل، أو تحتمي فيه من أي تهديد محتمل، وإلا لا يكون لخانها في قوش تبة أي جدوى عملية إذاً، وقد أسعدنا الحظ أن وقفنا على إشارة مهمة تدل على وجود خان في بلدة آلتون كوبري<sup>(1)</sup>، على الزاب الأسفل، وهي بلدة تبعد عن خان قوش تبة بنحو 30 كيلو متراً أيضاً، أي مسافة مرحلة كاملة، ومجرد وجود هذا الخان يدل على احتمال وجود خانات أخرى بين كل مرحلة وأخرى، لا سيما في الفضاءات التي تقع في

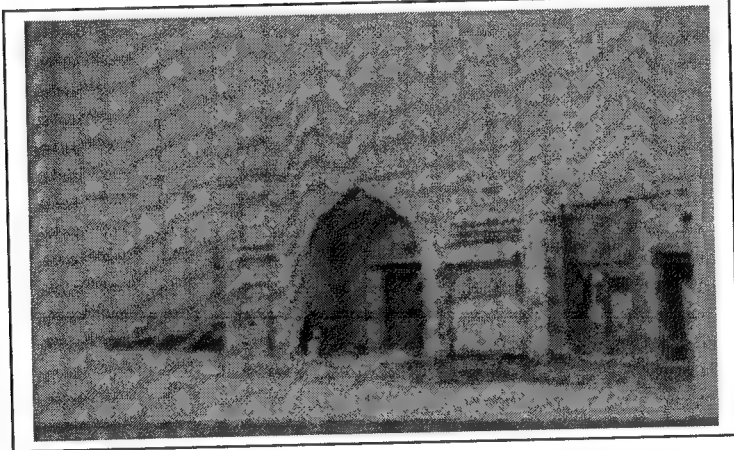
(1) ذكر الرحالة ليكلاما في أثناء مروره بالبلدة أنه كان ثمة خان في آلتون كوبري «كان سابقاً كاروان سراي جميل واليوم مهدم»

Lycklama, voyage en Russie, au Caucase et en Perse, dans la Mesopotamie le Kurdistan, 1866-1867 et 1868, Amsterdam, P.88.

خارج المدن. ومن المؤسف أننا لا نمتلك معلومات كافية عن تلك المنشآت وما آل إليه مصيرها، نظراً لسكوت الرحّالين عن ذلك، وهنا علينا أن نتذكر أنه حتى خان قوش تبّه، على أهميته وضخامته، ما كنا لنسمع به لولا ما نوه به الرحالة نيبور من إشارة فريدة بشأّنه.

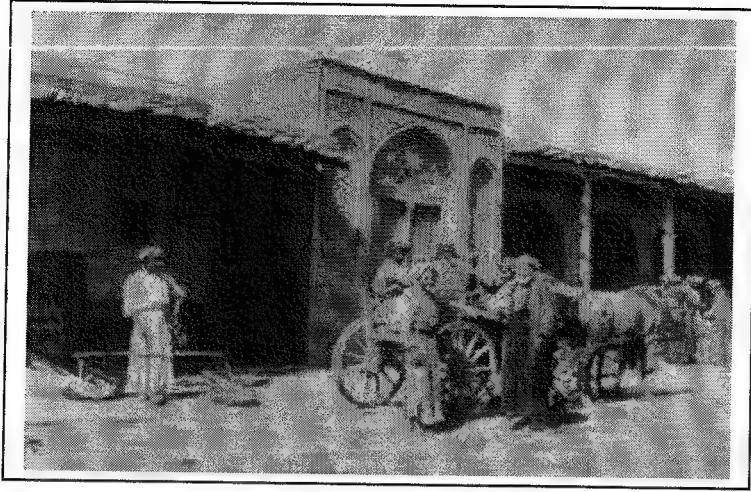
### خان المحمودية

ومن مبرّات عادلة خاتون أنها أنشأت خان المحمودية الذي يصفه نيبور بأنه بين خان النص وخان آزاد، على طريق الحلة، وقد نشأت عند هذا الخان على الفور قرية تُسبّت إلى الخان، فقبل لها المحمودية، ومر بها نيبور في 5 كانون الثاني سنة 1766م، فقال «قرية المحمودية التي بنتها قبل بضع سنوات فقط عادلة خاتون زوجة سليمان باشا»<sup>(1)</sup>. وقد نمّت هذه القرية في القرن التالي حتى أصبحت بلدة كبيرة، واليوم هي مدينة مهمة تعد مركز قضاء باسمها تابع لمحافظة بغداد.



أما الخان فهو أنموذج آخر على الخانات التجارية التي أنشأها عادلة خاتون، من حيث المتانة والسعة ووفرة الخدمات، وهو في تصميمه العام شبيه بالخان الذي أنشأته في قوش تبّه، ويمكن وصف عمارته بأنه يشغل أرضاً مستطيلة، له مدخل عال يتألف من طابقين، يبرز عن سور الخان الخارجي، ويوجد في الطابق الأرضي ايوان كبير من الخارج، مُدبّب الرأس، ينفذ منه، من خلال باب، إلى الداخل، ويعلو الباب من الداخل عقد مدبب، وهو مفتوح على فناء الخان.

(1) رحلة نيبور ص 148.



أما الطابق العلوي فيوجد فيه ايوان مشابه للإيوان الأرضي، ولكن لا يوجد على جانبيه جناحان كما في خان قوش تبة، وإنما يزين هذا الطابق من خارجه، صف من الزينة الآجرية على هيئة أواوين صغيرة مصمتة، وثمة نافذتان على شكل عقدين مديبين عن يمين الباب الخارجية وشمالها. ويحيط بالفناء أواوين معقودة على شكل نصف دائري يبلغ عددها (34) إيواناً في جهتيه الشمالية والجنوبية يقابلها (40) إيواناً أخرى في الجهتين الشرقية والغربية، وأمام كل ايوان معلف وحلقة حديدية مثبتة بعمود من الخشب تستخدم لربط الحيوانات. ويتوسط الفناء أيضاً، مصليان بشكل مستطيل يرتفع كل منهما نحو 1,5 م عن سطح الأرض وقد فرشت أرضيتهما بالطابوق الفرشي<sup>(1)</sup>، وتتقدم أواوين الخان سقيفة خشبية مغطاة بالحُصر تستند على دعائم من الخشب، وكانت مُعدة لسكنى من ينزلون فيه واستراحتهم. وفي وسط الخان كان ثمة بئر يستخدم لإرواء الناس والدواب. ويلاحظ أن الخان يخلو من موضع خاص بالدواب عن شمال المدخل، كما في قوش تبة، وإنما تربط الدواب في ركن يلي المدخل من الداخل مباشرة. والبناء كله مشيد بالآجر المفخور، ويحجم واحد في أغلبه، مما يدل أنه أعد خصيصاً لبنائه، ولم يكن منقولاً من مبان أخرى.

ما زال الخان شاخصاً، وقد أحاطت بجدرانه صفوف من الدكاكين، وهو يعد أكثر المواقع التراثية أهمية في مدينة المحمودية الآن.

(1) علي هادي المهداوي، موقع على الأنترنت.

## تعمير جامع الكوفة

لم تقتصر عناية عادلة خاتون على إنشاء أو تعمير الخانات التجارية في الطرق الخارجية، وبناء الجوامع والمدارس ومشاريع الخدمات العامة في المدن، فحسب، وإنما سعت إلى تعمير بعض المعالم الإسلامية الكبرى في العراق، ومن أهم تلك المعالم مسجد الكوفة الشهير، وكان هذا المسجد الكبير قد أصابه، بعد اندثار الكوفة نفسها في القرون المتأخرة، شيء كثير من الإهمال، فتشعثت أركانه، وتهدم جانب كبير من جدرانه الخارجية، وتعطلت وظائفه، حتى وصفه نيبور، وقد مر به سنة 1179هـ/1765م، بـ «الجامع المتهدم»، وصار يؤدي- في أكثر تقدير- دور محطة على طريق زوار النجف الأشرف، فعمدت هذه السيدة إلى صيانة المسجد، وترميم جدرانه، وكانت جدرانه من ناحية الشمال الغربي قد انهارت بالكلية، فأعادت هي تشييدها، وبحسب نيبور فإنها رمت بعض تلك الجدران وشيدت البعض الآخر، ثم أن همتها انصرفت إلى العناية ببعض المشاهد التاريخية والمقامات الدينية التي يضمها الجامع، وإحداث إضافات فيه، من ذلك أنها أمرت بإنشاء بناية صغيرة ذات قبة واحدة، قرب الجامع ضمت عدة مواضع مهمة، ومن المعلوم أن ضخامة هذه الجدران المفرطة وارتفاعها كان يستلزم نفقات كبيرة وجهداً بالغاً عهد ذاك<sup>(1)</sup>.

وإذ أشاد نيبور بهذه الأعمال، فإنه ذكر أن من قامت بها عادلة خاتون زوجة سليمان باشا، وقال «التي توفيت منذ بضع سنوات»، وهذا غريب فعلاً، لأنه زيارته لهذا المسجد كانت في يوم 22 كانون الأول سنة 1765م ويوافق 9 رجب 1179هـ، بينما كانت وفاة عادلة في سنة 1188هـ/1774م، ويظهر أنه أراد أنها بنت ما بنت قبل بضع سنين، فهذا يتسق مع ما ذكره عن قرية المحمودية التي مرَّ بها بعد أقل من اسبوعين من هذا التاريخ<sup>(2)</sup>، وهكذا يكون إنشاؤها لهذه الأماكن في أواسط العقد السابع من ذلك القرن تقريباً.

(1) في سنة 1290هـ/1873م نزل الكوفة بعض الناس وبنوا فيها بيوتاً من القصب على ضفة الفرات اليمنى، فكانت تلك البيوت نواة لحركة عمرانية نامية، ولم تمض إلا سنوات قليلة حتى عدَّت الكوفة ناحية تابعة لقضاء النجف. كتابنا: الأسر الحاكمة ص351.

(2) رحلة نيبور ص1148.



بوابة مسجد الكوفة



مسجد الكوفة (صورة قديمة)

#### سقاية سُكينة بنت محمد

أنشأت هذه السقاية الحاجة سُكينة (وتعرف أيضا باسم سكي) بنت محمد في مسجد كانت تتولاها أسرتها منذ سنة 1048هـ/1638م، وموقعه في الأرض التي شغلتها قشلة بغداد، وكان موضع السقاية منه مما يلي باب الجامع من شرقيه في السوق، ورتبت من يُعنى بالسبيل (مُسبلاً) وسقاء ماء إلى حوض السبيل، وشرطت للأول يومياً خمس آقجات وللثاني ست آقجات، ولبثت هذه السقاية قائمة حتى

هُدِمت في عهد ولاية مدحت باشا سنة 1286هـ/1868م، وقيل أن كتابات أثرية حطمت في أثناء هدمها<sup>(1)</sup>.

### سقاية وهبي خاتون ببغداد

أنشأتها السيدة وهبي خاتون بنت عبد الله «في سوق المرحوم عبد الله باشا» ببغداد، ولا نعرف مكان هذا السوق، ووقفت لتعميرها والانفاق على سائر لوازمها من العقارات الحديقة الواقعة في ناحية بدرية من مضافات مدينة بغداد، عند خرق البكتاشية، والحديقة الواقعة في قرية زرباطية التابعة للناحية المذكورة حسبة لله تعالى، وذلك في 20 ذي الحجة سنة 1179هـ/24 كانون الثاني 1782م<sup>(2)</sup>.

### سقاية فاطمة خاتون على جامع النعمانية

أنشأت فاطمة خاتون بنت بكتاش بن ولي مسجدها الذي عرف بجامع النعمانية، نسبة إلى زوجها وهو متوليه، نعمان آغا، وذلك سنة 1185هـ/1771م، ووقفت عليها، وعلى الجامع أوقافاً جمّة، وكان موضع السقاية من المسجد قرب بابها يُطل شبّاكها على الطريق، وفي سنة 1322هـ/1902م أعاد من اسمه عبد الحميد تعمير السقاية وكتب على رخامة فوق شبّاكها ستة أبيات دالية، من نظم الشاعر عبد الرحمن البناء، في ثلاثة أسطر، وبيت التاريخ هو

ترى الكوثر الصافي عليه مؤرخاً      ورودك حوض السلسبيل حميداً

### سقاية نابي خاتون

أنشأتها السيدة نابي خاتون بنت عبد الله، زوجة والي بغداد سليمان باشا الكبير، باتصال مدرستها المتقدمة (تنظر هذه المادة) سنة 1236هـ/1820م، ووقفت عليها عقارات جمّة أثبتتها في وقفيتها المؤرخة في 28 رجب 1237هـ/1821م<sup>(3)</sup>.

### سقاية أمينة خاتون

أنشأتها السيدة أمينة خاتون، إحدى المحسنات ببغداد في العصر العثماني، وكتبت

(1) العقد اللامع ص 277 وكتابنا: تاريخ مشاريع مياه الشرب القديمة في بغداد، بغداد 2001، ص 178.

(2) الأوقاف ج 10 ص 57.

(3) مجموعة من وقفيات بغداد (مخطوط)

على جدارها أبيات يفهم منها تاريخ الإنشاء وهو سنة 1210هـ/1799م. وهذه الأبيات هي:

ذا سَكْسَبِيلٌ ماؤهُ سَكْسَلُ	راق ومنه طاب نفساً وارده
زَلالُهُ عَذْبُ فَرَاتٍ سَائِعُ	شرا به يروي العطاش بارده
عَيْنُ الرِّضَا قَدْ سَكْسَلَهُ صَافِياً	موصولة لشارب عوائده
خيراتهُ أَمِينَةٌ مِنْ رِيبة	نافعة والخير صاف شاهده
مُرْصَعاً بجوهر العقد أتى	تاريخه حوض (صفت موارده)

1214

### سقاية نازنده خاتون

أنشأتها السيدة نازنده خاتون بنت مصطفى آغا (توفيت سنة 1284هـ/1867م) وافتتحتها سنة 1263هـ/1846م<sup>(1)</sup>، وكانت تقع في الجامع الذي شيدته في محلة الحيدر خانة، قريبة من شارع الرشيد، يطل شباكها على الطريق، وخصصت لها من الأوقاف العيدة التي وقفتها مبلغاً قدره (1800) قرشاً رائجاً للإنفاق على صيانتها، وتزويدها بالماء على الدوام<sup>(2)</sup>. قال السيد محمد سعيد الراوي واصفاً الجامع «وأنشأت فيه سقاية للمارين والعابرين، مطلة على الطريق»<sup>(3)</sup> وذكر أنها كتبت على جدارها هذه الأبيات<sup>(4)</sup>:

لنازنده خاتون المحامد قد غدا	لها عند ذكر الصالحات ثناء
فكم عمّرت لله بيتاً وكم بها	بجير قلوب المعدمين بناء
لأعمالها المَرْضاة عند إلهها	من الصدقات الجاريات بقاء
فذي بقعةً من بعض آثار برّها	بها منهلّ عذب المياه صفاء

(1) إبراهيم الدروبي: البغداديون ص340.

(2) مجموعة من وقفيات بغداد.

(3) خير الزاد ص260

(4) عبادة: العقد اللامع ص172 وخير الزاد ص263.

أعدت لورّاد السبيل فأرخوا (بمُوردها للشاربين شفاءً)

1263

وقد تعطلت هذه السقاية منذ أن لحق الخراب الجامع نفسه، في أوائل القرن العشرين<sup>(1)</sup>.

### وقفية عائشة بنت عبد القادر على سقاية آل مدلج

كانت السيدة عائشة بنت عبد القادر آل مدلج الرحبي، قد وقفت سنة 1240هـ/ 1670م بستاناً في الكاظمية على مصالح السقاية التي أنشأها جدها الشيخ مدلج (المتوفى سنة 1081هـ/ 1670م) في محلة عز الدين الجديداي (قسم من محلة السنك اليوم) وأضافها إلى المسجد الذي أنشأه هناك وتعهده أسرته بالعناية من بعده<sup>(2)</sup>.

### وقف كلي بنت علي في بغداد

أنشأ رجل يدعى عيفان بن صالح البناء، حماما فنسب إليه، وكان يقع في جانب من محلة الفضل، فعرفت المحلة لشهرته باسم (الفضل وعيفان)، بل عد ما حوله محلة قائمة بذاتها، ثم أن الحاجة (كلي بنت علي) اشترت هذا الحمام سنة 1309هـ/ 1891م ووقفته على ابنتها عواشة، وابن زوجها الحاج توفيق بن الحاج محمد، ثم على أولادهم من بعدهم، وبعد الانقطاع «إلى الفقراء والعلماء القاطنين في بغداد»<sup>(3)</sup>.

### سقاية نافعة خانم في بغداد

ومن المشاريع الخيرية ذات النفع العام، السقاية التي أنشأتها السيدة نافعة خانم بنت والي بغداد محمد رشيد باشا الكوزلُكي (1268هـ/ 1851-1856م) في محلة الميدان ببغداد لإرواء المارة وأبناء السبيل، وبعد وفاة هذه السيدة تولت أمها السيدة فاطمة خانم بنت أحمد بك، وهي زوجة الوالي المذكور، بإدامة الإنفاق على هذا المشروع الخيري إذ وقفت عليه سنة 1280هـ/ 1863م جملة من أملاكها في نواحي ديال، وهي نصف الحصّة الشائعة من عقارات قرية (عنه بكلي) وهي التي عرفت

(1) أعادت الأوقاف بناء ليكون مدرسة دينية باسم (مدرسة نازنده خاتون). ثم شيدت وزارة الأوقاف مدرسة بالاسم نفسه في شارع المغرب بين ساحتي الرباط والمغرب وأجرتها إلى وزارة التربية، وشغلتها (مدرسة المتميزات).

(2) المصدر نفسه.

(3) العقد اللامع ص300.

بالعَبَكِيَّة، من اعمال الخالص، ونهر بوازير مع توابعها «لتأمين بذل الماء لابناء السبيل وسائر عباد الله وإرواء العطاشى، وأن يُصرف عند الاقتضاء لتطهير وتنظيف قنوات السبيلخانة (السقاية) ولتعميرها ولسائر ما يلزم لها من مصاريف» وذلك بموجب الوقفية المؤرخة في 17 ذي الحجة سنة 1280هـ/25 ايار 1864م<sup>(1)</sup>.

### سقاية نائلة خاتون

من مبرات السيدة نائلة خاتون بنت عبد الرحيم آغا أنها أنشأت على الطريق المؤدية الى قسبة الأعظمية، ضمن البستان المعروف بالبراني، سقاية لإرواء العطاشى في تلك الناحية، ووقفت عليها غلّة قطعتي أرض ميرية برانية وشطانية، وشرطت أن «تُصرف الغلة على تعمير المحلات المحتاجة للتعمير من السبيلخانة (السقاية) التي بنتها وأنشأتها.. والكائنة في بستان البراني المار الذكر، وكذلك لتعمير المقابر الكائنة في نفس المكان، ولتعمير الموقوفات نفسها، وأن يتم وضع حباب وسائر ما يلزم في السبيلخانة المذكورة، وما يبقى من فضلة الغلّة يُصرف منها سنوياً تسعمائة قرشاً صاغاً الى شخص مستحق يُعين سبيلجياً (ساقياً) وخادماً في السبيلخانة المذكورة، ويقوم ببذل الماء لعباد الله وإرواء العطاشى، وذلك أثناء اداء الوظيفة المذكورة» بموجب وقفيتها المؤرخة في 8 ربيع الثاني 1291هـ/26 ايار 1874م<sup>(2)</sup>.

وجعلت الواقفة من هذه السقاية مدفناً لزوجها مراد افندي، المتوفى سنة انشائها، ثم مدفناً لها بعد وفاتها سنة 1294هـ/1877م. وقد بقيت السقاية قائمة للنفع العام حتى إزالتها عند توسعة شارع الامام الأعظم سنة 1935 ونقل رفاة دفينيها الى مقبرة الامام الاعظم. ولما بنى السيد عبد الحميد الدهان جامعه على قطعة ارض كانت تعود الى هذه الواقفة بنى فيه سقاية، وبنّاؤها موجود الى اليوم<sup>(3)</sup>.

### سقاية عطية بنت محمود آغا في جامع العاقولي

أنشأتها السيدة عطية بنت محمود آغا بنت عبد الله سنة 1310هـ/1892م باتصال جامع العاقولي في شرقي بغداد، ووقفت عليها داراً في محلة جديد حسن باشا، وشرطت إخراج ثلثمائة قرش من الآقجات الصحيحة لتلافي اجرة نقل الماء الى

(1) الاوقاف ج2 ص92

(2) مجموعة من وقفيات بغداد.

(3) كتابنا: تاريخ مشاريع مياه الشرب القديمة في بغداد ص124-125.

السبيلخانة (السقاية) في جامع العاقولي الشريف، وأن يُعطى كذلك الى من يقوم بإيفاء خدمة السبيلخانة المذكورة ثلاثمائة قرش صاغ في العام» وذلك في وقفيتها المؤرخة في 21 صفر/19 يلول من تلك السنة<sup>(1)</sup>. ولم يبق للسقاية اثر، وقد علمت ممن عاصرها<sup>(2)</sup> أنها زالت في الاربعينات من القرن الماضي.

### سقاية عطية بنت محمود اغا في جامع عثمان أفندي

وحيثما انتفت حاجة جامع العاقولي إلى الماء الذي وقفته هذه السيدة المحسنة، ولعدم وجود ماء في مسجد عثمان أفندي، فإنها اشترطت أن يصرف ريع الدار التي وقفته لإنشاء (سبيلخانه) في مسجد عثمان أفندي الواقع في محلة جديد حسن باشا، وأن يصرف سنوياً مبلغ ثلاثمائة غرش بالأقجات الصحيحة لمصاريف نقل وإيصال الماء إلى السبيلخانه المذكورة، وأن يصرف إلى الخدم والعاملين في خدمة السبيلخانه مبلغ ثلاثمائة غرش سنوياً كذلك<sup>(3)</sup>.

### سقاية فطيم بنت محمد في بغداد

ووقفت السيدة فطيم بنت الحاج محمد بن عبد الله بستاناً لها في قضاء خريسان وثلاثة دور ونصف في محلة الميدان، ونصف دار أخرى في محلة البارودية ببغداد، على نفسها ثم -من بعدها- تصرف غلة الأملاك المذكورة على ترميمها وترميمها، والفاضل منها يُصرف منه أربعون قرشاً صاغاً على السبيلخانة (السقاية) التي ستنشئها، الكائنة في محلة كوكنظر، من ماء وأواني للشرب وغير ذلك، ويُعطى في كل شهر قرشاً صاغاً لمن يلي خدمة السبيلخانة المذكورة، هذا فضلاً عن تخصيصها مبلغاً من المال لتلاوة القرآن الكريم بموجب وقفيتها المؤرخة في 12 جمادى الاولى سنة 1324هـ/5 تموز 1906<sup>(4)</sup>.

### سقاية هَيَّبة الله في بغداد

أنشأتها السيدة الحاجة هَيَّبة الله خاتون بنت عبد الرحمن أفندي بن محمد أفندي (المتوفاة سنة 1337هـ/1919م) في سنة 1336هـ/1917م وكانت تقع باتصال

(1) مجموعة من وقفيات بغداد.

(2) خالي عبد القادر سعيد.

(3) كتابنا: معالم بغداد في القرون المتأخرة، ص270-271.

(4) معالم بغداد ص5.

مسجدها الكائن في محلة النصّة في الاعظمية (قرب دائرة البريد اليوم) وعيّنت فيها «سبيلياً موكلاً بشؤون السبيل خانة (السقاية)» ورتبت له راتباً جارياً<sup>(1)</sup>.

### سقاية صفية خاتون

أنشأتها السيدة صفية خاتون بنت محمد أفندي بن مفتي بغداد الشهير عبد الغني أفندي آل جميل<sup>(2)</sup>، في باب جامع آل جميل<sup>(3)</sup> في محلة قنبر علي، ووقفت أربعة دكاكين واقعات في سوق الخياطين، وشرطت أن يعطى (350) قرشاً لتصرف على لوازمها وذلك في سنة 1315هـ/1898م.

وتوفيت الواقعة سنة 1322هـ/1904م ودفنت في الجامع المذكور.

### وقفية حصّة خانم آل الزبيق على وجوه الخير

وقفت السيدة حصّة خانم بنت عبد الله جليبي بن الحاج سليم جليبي الزبيق حصتها في الحمام الواقع في محلة الفحامة، وفي الحديقة وبئر الماء والخرابة الكائنة في المحلة المذكورة، على وجوه الخير، في وقفيتها المؤرخة في 7 ذي القعدة سنة 1331هـ/1913م.

### خامساً: وقفيات على اعمال خير متنوعة

ثمة وقفيات كثيرة قامت بها نسوة فضليات على مختلف وجوه الخير، مثل الإتفاق على الفقراء، ومنهم فقراء الحرمين الشريفين، وفقراء من نجد، وعلى قراءة القرآن، وعلى الذرية، وعلى أشخاص بذواتهم، منهم علماء، وطلبة علم، ومماليك، وعلى إطعام الطعام، وأعمال بر أخرى، منها :

الواقفة	التاريخ	الموقوف
خجة خاتون بنت عيسى	رجب 1254	دار في محلة إمام طه

(1) مجموعة من وقفيات بغداد.

(2) توفي سنة 1279هـ/1863م.

(3) جامع صغير، يقع تجاه بيت عبد الغني آل جميل، ويضم قبور أسرته، أنشأه محمد أفندي آل جميل والد المفتي عبد الغني، وذكر السيد محمد سعيد الراوي أن «فيه مصلى صغير واقع على يمين الداخل إليه، أمامه صفة صغيرة، وعلى شمال الداخل حجرة معدة لجلوس الإمام، الذي هو خطيب أيضاً، وعلى يسار الداخل حجرة متخذة تربة لآل جميل» خير الزاد ص305.

مريم خان بنت محمد	17 شعبان 1303	3 دور، دكان، في محلة امام طه
فاطمة بنت حمودي بن قاسم	6 جمادى الأولى 1317	دكان في محلة امام طه
رقوشة بنت مصطفى بن احمد	4 ذى القعدة 1306	دراران في محلة باب الآغا
رازقية بنت عبد الرزاق بن عباس	6 رمضان 1309	دار في محلة امام طه
آمنة بنت ولي بن بابا	12 ذى الحجة 1311	6 كاكين في محلة باب الاغا
رحمة بنت جواد بن ابراهيم	22 ربيع الآخر 1329	دار في محلة باب الآغا
فاطمة بنت سيد حسين	1337	عقار في سوق الصغير في باب الآغا
زهوة بنت عبد الوهاب المزراقي	ربيع الأول 1229هـ	دكان في سوق الجوخجية في باب الآغا
عيشة بنت حسين آغا بن حسن	13 رجب 1331	دار في محلة البارودية
فطيم بنت الحاج محمد بن عبد الله	12 جمادى الأولى 1324	دار في محلة البارودية دار في محلة الميدان
مريم بنت غريب بن عبد الله	16 شوال 1339	دار ودكان في محلة البارودية
بهية بنت أمين بن عبد الرحمن	1 شعبان 1317	داران ودكانان في محلة البارودية
نورية بنت يوسف بن علي	10 جمادى الأولى 1369	دار في محلة البارودية
فرحة بنت فاضل بن خلف	23 شوال 1368	دار في محلة بني سعيد
صفاتي (حفاتي) بنت نعمان آغا	25 محرم 1292	دار في محلة جديد حسن باشا
أموش بنت علي آغا بن خلف	3 ربيع الآخر 1296	دار في محلة جديد حسن باشا
رازقية بنت محمد آغا	11 ذى الحجة 1307	دار في محلة جديد حسن باشا
خميسة بنت عبد الله	23 شوال 1318	دار في محلة جديد حسن باشا

سعيدة بنت عبد الله	23 شوال 1318	دار في محلة جديد حسن باشا
عائشة بنت معروف آغا	15 شعبان 1320	دار في محلة جديد حسن باشا
حليمة بنت عبد الله بن عبد الرحمن	28 صفر 1324	دار في محلة جديد حسن باشا
صلوحة بنت عبد بن حسن خيوكه	21 ذي القعدة 1328	عقارات عديدة
مريم خانم بنت الحاج عبد القادر أرييلي	سلخ ربيع الآخر 1326	داران في محلة جديد حسن باشا
تاجه خانم بنت أحمد أفندي بن علي القصيب	15 جمادى الآخرة 1330	دار في محلة جديد حسن باشا
حصة خانم بنت عبد الله جلي الزبيق	7 ذي القعدة 1331	دار في محلة جديد حسن باشا
منورة خانم بنت عبد الفتاح بن حبيب آغا	13 جمادى الآخرة 1320	دار في محلة جديد حسن باشا
فاطمة بنت السيد أحمد أفندي منيفة بنت السيد محمد أمين بن أحمد أفندي زينب بنت علي آغا بن عبد الله	17 جمادى الآخرة 1339	عقارات عدة في محلة جديد حسن باشا
شفيقة بنت مصطفى بك بن محمد	19 شوال 1341	دار في محلة جديد حسن باشا
طيبة بنت إبراهيم بن إدريس	30 ذي القعدة 1315	حصة في دار في محلة الحاج فتحي
عطية بنت أحمد بن عبد الله	23 جمادى الآخرة 1347	دار في محلة الحاج فتحي
حبيبة بنت محمد	28 رجب 1308	دار في محلة الحيدر خانة

أمانة خاتون بنت ابراهيم بن علي	23 ربيع الآخر 1328	دار في محلة الحيدرخانه
ماهية خانم بنت الحاج علي آل الشهيد	23 شعبان 1329	دار في محلة الحيدرخانه
درويشة بنت جاسم بن مهدي	غرة ربيع الأول 1321	دار في محلة الدشتي
زهوة بنت السيد يوسف بن عبد الحليم	23 جمادى الأولى 1341	دار في محلة الحيدرخانه
أسمى خاتون بنت داود	12 جمادى الآخرة 1167	دار في محلة الدنكجية
أمانة خانم بنت عبد القادر بك بن رستم بك	28 رمضان 1925	عقارات كثيرة في بعقوبا
خديجة بنت السيد عيسى	29 شعبان 1369	خان في محلة الدهانة
حليمة بنت عبد الله أفندي	9 شوال 1281	دار في محلة راس القرية
أسماء خانم بن عبد الرحمن الروزيهاني	سلخ صفر 1317	اسطبل في محلة راس القرية
صفية خانم بنت عبد الرزاق جليبي المزارقجي	28 ذي القعدة 1319	4 دور في محلة راس القرية
صفية خاتون بنت يوسف بن مصطفى	16 ذي القعدة 1322	دار في محلة راس القرية
زهو بنت حسين بن علو	4 رمضان 1338	باقجة في محلة راس القرية
خديجة بنت هداوي بن جاسم	6 ذي الحجة 1342	دار في محلة راس القرية
خديجة بنت الحاج خليل جليبي	30 ذي الحجة 1356	دار في محلة راس القرية
أمانة خاتون بنت الحاج عبد الرحمن جليبي الباجه جي	22 رجب 1333	دار في محلة سبع أبارك، و6 دكاكين، وآخور (اسطبل)

فطوم بنت مصطفى	21 جمادى الآخرة 1342	دار في محلة سبع أبار
سلطانة بنت موسى بن عبد الله	13 شعبان 1323	دار في محلة الست هدية
زمزم خاتون بنت علي افندي نقيب الأشراف	21 جمادى الأولى 1320	حصتها من خرابة في محلة السنك، بستان في محلة باب الشيخ
أمة الله خانم بنت الحاج محمد صالح الشخلى	4 شعبان 1331	دار ونصف مقهى ونصف دكان في محلة باب الشيخ
رقوشة خاتون بنت محمد بن الحاج سلمان	8 ربيع الأول 1329	نصف دكان في محلة سوق الغزل
خديجة خانم بنت خليل بن أمين جلبى	15 رجب 1348	دار في محلة سوق الغزل
فطيم بنت خالد بن حمودي	12 جمادى الأولى 1324	دار في محلة السيد عبد الله
عائكة خاتون بنت عمر أهدي	1244	دار في محلة شاه قولى دلال
عبودة خاتون بنت محمد جواد الغرابي	11 جمادى الأولى 1330	دار في محلة سراج الدين دار في محلة الميدان
فاطمة بنت محمد جواد الغرابي	22 جمادى الأولى 1352	داران في محلة سراج الدين
عبودة بنت درويش بن ملا مصطفى	20 شعبان 1343	دار في محلة باب الشيخ
بهية خانم بنت عبد القادر بن مراد الكيلاني	5 شوال 1343	سهم في دار في محلة باب الشيخ
خانم خاتون بنت حسين	24 ذي الحجة 1147	خان، أربعة دكاكين، مقهى، في محل الشيخ نجم الدين

فاطمة خاتون بنت عبد الله	ربيع الآخر 1246	دار في محلة الصابوتجية
آمنة خاتون بنت عبد الوهاب آغا بن رضوان آغا	8 ذي القعدة 1325 8 ذي الحجة 1325	عقار في محلة الصابونجية دار ودكانان في محلة الفضل
فاطمة بنت الحاج حمودي		دكان في محلة إمام طه
عائشة خاتون بنت محمود أفندي بن محمد أفندي آل نظمي	6 جمادى الآخرة 1247	عدة مزارع وقرى في الراشدية وهيب
كلثوم بنت سلمان بن موسى	17 رجب 1330	داران في محلة الطوب، منشآت أخرى
نوري خاتون بنت مصطفى	2 جمادى الآخرة 1266	دار في محلة العاقولية
حبيبة بنت خضير	4 شعبان 1277	دار في محلة العاقولية
زمزم خاتون بنت محمد آغا	16 ربيع الثاني 1288	حصص عديدة في الخالص
رحمة خاتون بنت الحاج بكر	5 جمادى الآخرة 1280	دار في محلة العاقولية
فضلة بنت عبد الله	17 ذي الحجة 1307	دار في محلة العاقولية
حنيفة بنت خضر آغا بن قاسم آغا	26 ذي الحجة 1323	دار في محلة عيفان
عائشة بنت أرناؤوط	17 شوال 1186	دار في محلة قاضي الحاجات
زهرة بنت حسين بن حسن	14 ذي الحجة 1305	دار في محلة قمر الدين
آمنة بنت ولي بن علي	13 شوال 1307	دار في محلة قنبر علي
جموعة بنت عنبر بن عبد الله	9 شعبان 1339	دار في محلة قنبر علي
آمنة بنت محمد النجار	17 جمادى الأولى 1339	دار في محلة قنبر علي

سكنة بنت الشيخ صالح بن مهدي	17 ذي القعدة 1315	دار وكاكين في محلة قهوة شكر
اسمى بنت عباس	29 شوال 1310	حمام المالح، وكلخان، ويثر في محلة الفضل
كلي بنت علي	2 ذي القعدة 1309 25 محرم 1320	حمام ودكان ودار في محلة الفضل دار في محلة الفضل
زهرة خاتون بنت عبد الله	12 شعبان 1313	دار في محلة الفضل
مريم خان بنت محمد جان		
أمونة بنت محمد بن حمام	5 ذي القعدة	دار في محلة الفضل
زهرا خانم بنت أحمد آغا بن عبد الله	21 محرم 1320	دار في محلة الفضل
أمونة بنت الياس بن فارس	10 ربيع الأول 1326	دار وحصة من دار أخرى في محلة الفضل
فاطمة خانم بنت حسين باشا بن فيض الله	15 ربيع الآخر 1313	داران ودكانان في محلة الميدان
زهرة بنت طاهر بن معروف	26 شوال 1333	دار في محلة الميدان
مريم بنت شيخو بن عبد الله	11 جمادى الأولى 1334	دار في محلة الميدان
فاطمة بنت السيد هاشم بن أمين	17 شعبان 1307	دار في محلة الهيتاويين
سكنة بنت علي	7 رجب 1322	دار ودكاكين في محلة السيف ودار في محلة الشواكة
منيرة خانم بن عبد الفتاح بن حبيب آغا	13 جمادى الآخرة 1335	دار في محلة جامع عطا

نشعة بنت مال الله الجميلى	2 جمادى الأولى 1341	دار في محلة جامع عطا
آمنة بنت جاسم بن مهدي	27 شعبان 1322	دار في محلة سوق الجديد، دار في محلة المشاهدة
سكينة بنت باقي آغا	20 ربيع الآخر 1325	دكان وأسكلة الأحطاب في محلة سوق الجديد
لطيفة بنت قدوري بن علاوي	25 جمادى الآخرة 1340	دار في محلة سوق حمادة
عطية بنت محمد المعروف بالسعد	أوائل ذي القعدة 1337	حصتها من العلوة الكائنة في محلة الشيخ بشار
اسبريمة يوسف	10 جمادى الآخرة 1189	دكان في سوق اسكيجيلر
فطومة بنت قاسم	1 جمادى الآخر 1270	حصتها من دكان في سوق الأطرقجية
مريم بنت الحاج عبد الله نعمة	13 جمادى الآخر 1305	دكانان في سوق البزازين
صالحة بنت السيد عيسى بن مصطفى	6 ربيع الاول 1337	دكان في سوق البزازين
فاطمة بنت السيد هاشم	17 شعبان 1307	دكان في سوق الشورجة
أسمه بنت الحاج أحمد النعلىجى	6 ذي القعدة 1304	7 دكاكين
فاطمة بنت السيد حسين	أوائل ذي القعدة 1337	دكان في سوق الصفاير
محبوبة خاتون بنت عبد الله	20 شعبان 1229	دكان في سوق الصياغ

دكان في سوق الهرج ومنشآت أخرى	20 ربيع الأول 1223	آمنة بنت الحاج ابراهيم التكريتي
خان، مقهى قرب جامع العادلية	2 رمضان 1295	نجو بنت الحاج عبد القادر

## من تاريخ الخدمات النسوية العامة في الموصل

كان للمرأة الموصلية مبادرات مهمة في مجالات أعمال الخير، حيث تكشف لنا الوقفيات القديمة، المرتقية إلى العصر العثماني، والكتابات الأثرية الموجودة، أو التي وصلتنا نصوصها عن طريق المصادر التاريخية، وكتب التاريخ والرحلات، عن جوانب مهمة مما عانيت المرأة به إبان القرون المتأخرة، ويتركز معظمه في مجالات الخدمة الثقافية والاجتماعية وهي<sup>(1)</sup>:

1- إنشاء المساجد والوقف عليها .

2- إنشاء المدارس والوقف عليها .

3- وقف الأوقاف للإنفاق على الفقراء والمساكين .

وسنتناول، في هذا البحث، نماذج مما وقفنا عليه من هذه المشاريع النسوية النافعة، في الحقبة الممتدة من بدء السيطرة العثمانية وحتى نهاية القرن الماضي وذلك كما يأتي:

### 1- إنشاء المساجد والوقف عليها:

#### جامع رابعة خاتون الجليلية

أنشأته سنة 1180هـ/1766م، السيدة رابعة خاتون بنت والي الموصل اسماعيل باشا الجليلي (1139-1140هـ/1726-1727م)<sup>(2)</sup> في محلة (شارسوق) في مدينة

---

(1) ساعدت المرأة الموصلية الرجل في سعيه الدائب لتوفير أسباب المعيشة لأسرتها، فكانت المرأة في الريف تعمل في مجالات شتى مثل تهبيش القمح، واستخلاص الزيت من الحليب، وجمع العلف للحيوانات، والعمل في طواحين الحبوب، وكان الغزل من أهم مهام ربة البيت، سواء أكان ذلك في الريف أم في المدينة، وعد المجتمع الموصلية عدم معرفة المرأة بالغزل عيباً لا يفتقر في تربيتها المنزلية، ووصفت المرأة الكاملة بطول ما تغزله من خيط. فكانت المرأة بذلك ركناً أساسياً في الاقتصاد الموصلية الذي يعتمد على تصدير المنسوجات اعتماداً كبيراً، لذلك كان الرجل - عند اختيار شريكة حياته- يفضل المرأة العاملة على المرأة الغنية. ومن الجدير بالذكر أنه كان للمرأة دور مهم في الأحداث الكبرى التي عاشتها الموصل، فقد شاركت النساء بحماس عظيم في الدفاع عن المدينة في أثناء حصار نادرشاه لها سنة 1156هـ/1744م. انظر كتابنا: الموصل في العهد العثماني، فترة الحكم المحلي، النجف 1975، ص 356-360.

(2) هو أول ولاية الجليليين في الموصل، شارك في الحملة العسكرية التي جهزها والي بغداد أحمد باشا لفتح همدان، وكان قبل توليه الحكم ملتزماً بضمان الضرائب على أصناف الحرف في الموصل،

الموصل، والتي عرفت فيما بعد بالرابعة نسبة إلى الجامع نفسه، وعينت فيه اماماً، وخطيباً، وواعظاً، ومؤذناً، واربعة مكبرين، وكناساً، وفراشاً، وقنديلجي، وسقاء للماء<sup>(1)</sup>. كما الحقت به مدرسة، وعينت لها مدرساً.

ووقفت على ذلك كله «ماهو بيدها وملكها وتحت تصرفها» من عقارات مختلفة، منها حصتها في رحاة (رحى) باببوخت، على نهر الخوصر، ودكاكين عديدة في سوق التبن من أسواق الموصل، ودكاكين الحدادين، وقهوة (مقهى).

وعينت متولياً على إدارة الوقف ابن أخيها والي الموصل يومذاك محمد أمين باشا الجليلي، وذلك بموجب الوقفية المؤرخة في 27 شعبان سنة 1181هـ/1767م<sup>(2)</sup>.

وتوفيت الواقعة في 17 رمضان سنة 1211هـ/1796م، وقد أصاب الجامع، في السنين الأخيرة<sup>(3)</sup>، الخراب، فأهمل شأنه، وتصدعت جدرانه، وانقطعت الصلاة فيه.

### جامع العراقدة في الموصل

أنشأته السيدتان فتحية خاتون وعائشة خاتون من نساء الجليليين سنة 1194هـ/1780م في محلة حمام المنقوشة بالموصل<sup>(4)</sup>.

وفي سنة 1204هـ/1789م وقفت السيدة فتحية خاتون عقارات عديدة تشمل دكاكين في سوق الصياغ، والسوق الكبير، و (قهوة خانة) في سوق الشيخ عبد الله المكي للإنفاق على هذا الجامع وتأثيثه ودفع راتبتي الإمام والمؤذن. وسجلت ذلك كله في الوقفية المؤرخة في أواسط جمادى الآخرة سنة 1204هـ/شباط 1789م<sup>(5)</sup>.

---

وكان أحد ثلاثة انفقوا على انشاء فناء لجر الموصل سنة 1133هـ/1720م. أنظر عنه: محمد أمين العمري: منهل الاولياء ج1 (الموصل 1968) 146، وياسين العمري: الدر المكنون ص580 (مخطوطة المتحف البريطاني). وكتابنا: الموصل في العهد العثماني ص53-54.

(1) محمد الجليلي: مجموعة وقفيات الموصل جمعها بخطه وهي لدى الدكتور محمود الجليلي رحمه الله (مخطوطة). وقد سمح لي بتصوير نسخة منها لمكتبتي الخاصة

(2) نقولا سيويج: مجموع الكتابات المحررة في أبنية مدينة الموصل، تحقيق سعيد الديوه جي، الموصل 1956، ص36-38 وفيه مجموع ما حرر على جدران الجامع من كتابات أثرية.

(3) كان هذا في سنة 1989.

(4) من محلات الموصل التي لما تزل تعرف بهذا الاسم، وتنسب الى نقوش كانت تزين حمامها، سيويج: مجموع الكتابات ص166.

(5) مجموعة وقفيات الموصل

ولما يزل هذا الجامع عامراً حتى اليوم.

### مسجد العقبة

أنشأته زوجة والي الموصل الغازي محمد أمين باشا الجليلي (المتوفى سنة 1189هـ/1775م<sup>(1)</sup>) كما هو مكتوب في لوحة من المرمر مثبتة على بابيه، وعُيّنت بالإتفاق عليه، سيدة موصلية أخرى هي آسية خاتون بنت الحاج سليمان أغا، زوجة والي الموصل سليمان باشا الجليلي (المتوفى سنة 1211هـ/1796م) فوقفت عليه، في شهر ربيع الآخر سنة (1216هـ/1791م) جميع «القهوخانة الشهيرة بقهوة خانة الانبار الواقعة بقرب حمام العليل المشتمل على رواق طويل ورواق صغير وحوش القهوة خانة الواقعة بسوق الصغير.. وأيضاً أرض بسيطة.. في سوق الصغير»، وشرطت هذه المحسنة، أن يعطى من ريع الأملاك الموقوفة للمؤذن في شهر 80 صاغة، وللإمام في كل شهر 160 صاغة، وللمتولي في كل شهر 60 صاغة، وأن يُصرف ما يتبقى من الربع على عمارة المسجد وتأثيثه، وعلى «المستحقين من الفقراء والمساكين وأبناء السبيل»<sup>(2)</sup>.

### جامع المحمودين

سعت السيدة زوجة والي الموصل محمد باشا الجليلي (حكم 1204-1221هـ/1779-1806م) وأم والي الموصل محمود باشا الجليلي (حكم 1224-1225هـ/1809-1810م) إلى انشاء جامع مزار يعرف باسم حامد ومحمود<sup>(3)</sup>، وفي سنة 1211هـ/1796م، أشركت ولدها محمود باشا بالامر، فتم بناؤه في السنة التالية.

قال المؤرخ ياسين بن خير الله العمري في حوادث سنة 1212هـ: وفيها أحدثت أم الخيرات أم الامير محمود بك، زوجة محمد باشا الجليلي، جامعاً للصلاة والخطبة في مقام حامد ومحمود، وبنت فيه مدرسة، وأوقفت عليه أوقافاً، وجعلت المتولي ولدها محمود بك، والمدرس عزيز الكردي.

(1) تولى الموصل مرات عدة في السنوات 1166-1169هـ/ 1752-1755م، و 1169-1170هـ/ 1755-1756م، و 1172هـ/1758م، و 1173-1174هـ/1759-1760م، و 1175-1182هـ/ 1761-1768م، و 1189هـ/ 1775م، أنظر عنه أمين العمري: منهل الأولياء ج 1 ص 166-175 وياسين العمري: منية الأدباء، تحقيق سعيد الديوه جي (الموصل 1955) 84 وكتابتنا الموصل في العهد العثماني 64-78.

(2) مجموعة وقفيات الموصل .

(3) وكان هذا المزار قد عمرته سيدة ذكرت- في كتابه تذكارية في اعلا بابيه- أنها والدة الحاج احمد بن الحاجي صالح الدرويش سنة 1135هـ/ 1722م، سيوف: مجموع الكتابات ص 89.

وقد دفنت هذه السيدة وولدها في فناء الجامع<sup>(1)</sup>، ولما يزل هذا الجامع عامراً حتى اليوم، وهو يعرف أيضاً بجامع الحامدين، وبه تعرف المحلة التي يقع فيها<sup>(2)</sup>.

### جامع النعمانية

شاركت السيدة عائشة خاتون سنة 1212هـ/1797م أخاها نعمان بك (والي الموصل فيما بعد)<sup>(3)</sup> بن سليمان باشا الجليلي في إحياء مسجد السرج خانة القديم في محلة السرج خانة من محلات مدينة الموصل بعد أن «آل إلى الانهدام وقارب الانعدام» فهدماه، وأعادا بناءه مسجداً جامعاً للجمع والأعياد والأوقات، وعيّنوا فيه عدداً من الموظفين لإدارة مرافقه والعناية به، منهم إمام، وخطيب ومؤذن، وقراء، وكليدار، ومكبرون، وموكلون بالإضاءة، وبمياه الشرب وغيرهم، ورتبوا لهم الرواتب.

ولقد وقف الواقفان، للإنفاق على ذلك كله، عقارات جمّة في الموصل وأعمالها، وكانت حصّة السيدة عائشة منها كبيرة، منها «القهوة التي في سوق الصياغ الشهيرة بقهوة ابن خروقة» و«سدس حمام القلعة، ودكاكين عدة في أسواق الموصل»<sup>(4)</sup> ولازال الجامع بفضل تلك الأوقاف عامراً بالمصلين<sup>(5)</sup>.

### جامع الحاجة فاطمة الخياط

يقع هذا الجامع في محلة المكاوي، أنشأته السيدة المحسنة الحاجة فاطمة بنت يحيى أفندي الخياط سنة 1212هـ/1797م والحقّت به مدرستين، الأولى كُتّاب لصغار الطلبة، والأخرى تختص بتدريس الفقه للكبار، وكانت للجامع أوقاف متعددة، منها قرية في (النافكر)، وسبعة دكاكين من سوق الصرافين، وثلاثة بيوت في محلة رأس الكور. وقد أصابه في منتصف القرن العشرين إهمال أدى إلى انهدام قبته سنة 1962م، فأعاد بناءه الدكتور زين الدين سنة 1409هـ/1989م، وهو عامر بالمصلين<sup>(6)</sup>.

(1) سعيد الديوه جي: جوامع الموصل في مختلف العصور (الموصل 1963) ص 223.

(2) ياسين العمري: منية الأدياء ص 105.

(3) تولاهما من 1221 إلى 1223هـ/1806-1808م. كتابنا: الموصل في العهد العثماني ص 91.

(4) انظر عنه: سيوفي: مجموع الكتابات المحررة ص 23 والديوه جي جوامع الموصل ص 226-228.

(5) مجموعة وقيّات الموصل (مخطوطة)

(6) اعتمدنا في هذه المعلومة على الكتابة التذكارية المثبتة في أعلى بابه، وعلى إفادة المرحوم

الحاج محمد السراج، أحد أقدم الساكنين في جواره، وهو الذي كان يحتفظ بالوثائق

### وقف حمرة خاتون على فقراء جامع النبي جرجيس

وقفت السيدة حمرة (حمراء) خاتون<sup>(1)</sup> بنت الحاج صادق آغا، وزوجة والي الموصل الشهير الحاج حسين باشا الجليلي<sup>(2)</sup>، ثلاثة أرباع الدكاكين الواقعة على حافة الخندق بقرب جامع الأغوات في الموصل على عمارة جامع النبي جرجيس، وأن «يؤخذ كل ليلة جمعة لحم للشورية التي تطبخ في الجامع حضرة نبي الله جرجيس (عليه السلام) وتفرق على الفقراء «الساكين في الجامع الشريف» وذلك بموجب وقفيتها المؤرخة في 10 من شهر شعبان سنة 1213هـ/1798م<sup>(3)</sup>.

### وقف فردوس خاتون الجليلية على سقاية جامع النبي يونس

عنيت السيدة فردوس خاتون بنت يحيى آغا الجليلي، زوجة حسن بك (باشا) والي الموصل، بمشكلة توفير المياه الصالحة للشرب للمصلين في جامع النبي يونس على تل التوبة، في الجانب الشرقي من الموصل. وكان ارتفاع التل الذي يقع عليه الجامع من ناحية، وبعده النسبي عن شاطئ نهر دجلة، يمثل مشكلة حقيقية لقاصدي الجامع من الزوار والمصلين فضلاً عن العاملين فيه. ويظهر أن توصيل المياه إلى سقاية الجامع كان يستلزم مالاً لم يكن من الميسور دفعه من واردات الجامع نفسه، لذا فقد وقفت هذه السيدة المحسنة «الربع من بستان الزيتون الشهيرة ببستان الزعامة في قرية باعشيق من قرى الموصل المحروسة لسقاية الماء الذي ينقل من نهر دجلة إلى جامع حضرة نبي الله يونس عليه السلام في كل يوم للشرب ولخدمة الزوار

---

الخاصة بانتفاضة الموصل سنة 1255هـ/1839م. وهي الوثائق التي اعتمدها في بحثنا (أضواء على انتفاضة الموصل المنسية في سنة 1839م) في هذا الكتاب.

(1) سيدة محسنة عرفت بصلاحها ولها موقف إنساني محمود، نوه به ياسين العمري في حوادث سنة 1154هـ/1741م (زبدة الآثار الجلية في الحوادث الأرضية، بتحقيقنا، ط: 2، دمشق 2017، ص 72) وتوفيت سنة 1213هـ/1798م.

(2) تولاها ثماني مرات، أولاهما سنة 1143هـ/1730م وآخرها سنة 1171-1172هـ/1757-1758م، وكما تولى ولايات عديدة أخرى، عرف بحسن تدبيره وسياسته الرشيدة وعدله، واشتهر بدفاعه المجيد عن مدينته إزاء حصار نادر شاه لها سنة 1156هـ/1743م. انظر عنه: منهل الأولياء 1/144 ومنية الأدياء 81-85، 207-209 وياسين العمري: الدر المكنون في المآثر الخالية من القرون ص 586 (مخطوطة المتحف البريطاني) والموصل في العهد العثماني 62-64 و 102-115.

(3) مجموعة وقفبات الموصل.

والدراويش الساكنين في الجامع المشار اليه»، وكان تسجيلها لهذا الوقف النافع في شهر محرم سنة 1215هـ/ ايار 1800م<sup>(1)</sup>.

### وقفية زينب خاتون بنت عبد الله على جامع زقاق الحصن

ووقفت السيدة زينب خاتون بنت عبد الله على جامع زقاق الحصن<sup>(2)</sup> في محلة السرج خانة بالموصل، أوقافاً جمّة للإنفاق عليه، وعمرته تعميراً شاملاً وذلك سنة 1235هـ/ 1819م.

وكتب على باب الجامع :

عمارة جامع الخيرات فاقت وطبتم فادخلوها خالدين  
قد تطوعت بعمارت الجامع الحاجة زينب خاتون إبتغاء لمرضاة الله تعالى  
1235<sup>(3)</sup>.

وفي سنة 1373هـ/ 1954م هُدم أكثر الجامع وأدخل أكثر من نصف مساحته في شارع الفاروق، ثم اعيد بناؤه مجدداً.

### وقفية خيرى خاتون على جامع عمر الأسود

أنشأ هذا الجامع من يدعى عمر الأسود بين سنتي 1091 أو 1093هـ/ 1680-1682م، فنُسب اليه وربما سمي (جامع شهر سوق)، لوقوعه في وسط المحلة المعروفة بهذا الاسم من محلات الموصل القديمة.

وفي سنة 1239هـ/ 1823م أصاب الجامع الإهمال، فوقفت عليه السيدة خيرى خاتون عقارات، وعينت له متولياً، فرمم بعض أقسام الجامع، وبنى فيه منارة مزينة بقطع الآجر المزجج<sup>(4)</sup>، ولا يزال هذا الجامع عامراً بالمصلين<sup>(5)</sup>.

---

(1) مجموعة وقفيات الموصل.

(2) نسبة الى حصن قديم هناك، كان المغول قد أنشأوه بعد احتلالهم الموصل سنة 660هـ، واتخذ مقراً لحكومة الموصل حيناً من الدهر، واقيم في أرضه- فيما بعد- سراي الموصل ومسجد وحمام. والزقاق الذي يمتد أمام الحصن من السراج خانة الى الجامع النوري هو زقاق الحصن. انظر سعيد الديوه جي: جوامع الموصل ص160

(3) سيوي: مجموع الكتابات 25.

(4) الديوه جي: جوامع الموصل 164.

(5) سنة 1986

## جامع الخاتون

أنشأته السيدتان مريم خاتون بنت والي الموصل محمد باشا الجليلي (حكم 1204-1221هـ/1789-1806م) وأمها هيبية الله خاتون بنت عبد الله، في محلة حوش الخان في الموصل، سنة 1241هـ/1825م، وشاركهما في عملهما هذا محمد أمين بك محمد باشا الجليلي<sup>(1)</sup>. وكانت أرضه قبل بنائه خالية من العمارة، ويقول المرحوم سعيد الديوه جي: «ولا ندري هل أن الجامع أنشئ على آثار مسجد قديم أم أنشئ على غير هذا».

وعلى الرغم من إدخال أقسام من أرض الجامع وبنائه في شارع نينوى على أكثر من مرحلة من مراحل شقه وتوسيعه، فإن الجامع بعمارته الرئيسية ظل عامراً بالمصلين حتى يومنا هذا<sup>(2)</sup>.

### وقفية مريم خاتون الجليلية على مسجد الصوفية

عنيت السيدة مريم خاتون بنت أحمد باشا الجليلي والي الموصل (1227-1237هـ/1812-1821م) بهذا المسجد الذي كان يعرف أيضاً بمسجد عبد المقيم، وذلك في وقفيتها المؤرخة في أواسط شهر ذي الحجة من سنة 1251هـ/1835م، فقد عينت راتباً للمدرس يقدره المتولي على أوقافها، وأن يدفع من ريع تلك الأوقاف، وتشمل دكاكين في قيصرية العباجية المطلة على سوق البارودجية من جهة، وعلى سوق الجبوقية من جهة أخرى، بينما يوزع سائر الريع على ذريتهما فاذا ما انقرضوا، يفرق «على المستحقين من الفقراء والمساكين»<sup>(3)</sup>.

### وقف رقية خاتون على مسجد الخُضري:

وفي سنة 1278هـ/1861م وقفت السيدة رقية خاتون بنت محمد أفندي الشهير بابن المصرف، الساكن في محلة (عبدو خوب) من محلات مدينة الموصل، الدكان الذي تملكه في سوق الصفارين، على مصالح مسجد الحاج محمود أفندي بن عبد الجليل الخضري، بموجب وقفيتها المؤرخة 3 من شهر شعبان من السنة المذكورة<sup>(4)</sup>.

(1) سيوفي: مجموع الكتابات 36 والديوه جي: جوامع الموصل، ص 239-241.

(2) كتب هذا سنة 1986

(3) مجموعة وقفيات الموصل (مخطوطة).

(4) مجموعة وقفيات الموصل (مخطوطة)

### تجديد فاطمة بنت محمد لمسجد الصوفية

مسجد قديم كانت فيه جهة تدريس- كما يفهم من وقفية السيدة مريم خاتون الجليلية (انظر هذه المادة)، وقد تطوعت لتجديده سنة 1326هـ/1908م السيدة فاطمة بنت محمد، فكتبت على باب مصلاه النص الآتي<sup>(1)</sup>:

(تطوعت بعمارته تقرباً إلى الله تعالى وابتغاء جنته ورجاء رضوانه ومغفرته فاطمة بنت المرحوم محمد في غرة شوال سنة 1326).

### وقف مريم خاتون على جامع العراقدة

خصصت السيدة مريم خاتون بنت إبراهيم بك بن نجيب بك، من سكتة محلة الرابعة في الموصل، قسماً من ريع ما أوقفته «لكل من يكون مدرساً في المدرسة الكائنة في مسجد العراقدة الواقع في محلة المنقوشة من محلات المدينة المذكورة» بموجب وقفيتها المؤرخة 20 من شهر جمادي الآخر سنة 1329هـ/1911م، فأظهرت بذلك رغبتها في رفع شأن العلم والعلماء<sup>(2)</sup>.

### جامع يحيى الإمام

يقع هذا الجامع في حي المنصور، من ضواحي مدينة الموصل، تطوعت بعمارته السيدة الصالحة الحاجة وهبية بنت خليل سنة 1388هـ/1968م.

### جامع المصطفى

يقع هذا الجامع في حي الشهداء، من ضواحي مدينة الموصل، وقد تطوعت ببنائه السيدة الصالحة الحاجة والية الصفو سنة 1405هـ/1984م.

### تعمير صديقة بنت أحمد بكر لمسجد حمام السراي

مسجد في محلة زقاق الحصن، كان قديماً يقع داخل الحصن الذي أسسه المغول قريباً من السراي، ومنه اكتسب اسمه، كما عرف أيضاً بمسجد (شيخ الأصناف السبعة) نسبة لمن عمره، وكانت عليه كتابة أثرية تشير إلى أن الشيخ يونس عمره سنة 1057هـ/1647م، وأنه رُمِّم سنة 1345هـ/1926م<sup>(3)</sup>، ثم ما لبث أن أهمل، كما أهمل

(1) نقولا سيوفي: مجموع الكتابات ص209.

(2) مجموعة وقفيات الموصل (مخطوطة)

(3) أنظر سيوفي: مجموع الكتابات المحررة في أبنية مدينة الموصل ص26 و 170.

رباط قديم مجاور له، ينسب إلى السيدة نفيسة (رضي الله عنها)، فكان أن تطوعت السيدة صديقة بنت أحمد بكر حمو الحاج خليل رحمها الله لتجديده سنة 1405هـ/ 1985م، تجديداً شاملاً فأعادت بناء المسجد وأثنته تأثيثاً حسناً، وشملت عنايتها مزار السيدة نفيسة أيضاً. وثبتت على كل من المنشأتين كتابة تؤرخ قيامها بهذا العمل النافع.

## 2- إنشاء المدارس والوقف عليها:

### المدرسة الرابعة:

أنشأتها السيدة رابعة خاتون بنت والي الموصل اسماعيل الجليلي المتوفاة سنة (1217هـ/ 1802م)، في جامعها الكبير الذي شيده سنة 1180هـ/ 1766م في محلة شارسوق من محلات الموصل القديمة<sup>(1)</sup> وكانت تشرف بنفسها على سير التدريسات في المدرسة، فتُعَيِّن من تراه أهلاً للتدريس، وتعزل من لا تراه كذلك<sup>(2)</sup>. وأول من درَّس بها شيخ القراء الشيخ سعد الدين بن أحمد بن مصطفى البصير المتوفى سنة 1188هـ/ 1774م، والشيخ مصطفى الصباغ المتوفى سنة 1200هـ/ 1785م، ومن المتأخرين الشيخ محمد آل دباغ، والشيخ صالح الجوادي بن إسماعيل شيخ القراء بالموصل<sup>(3)</sup>.

### مدرسة جامع المحمودين

أنشأتها زوجة الوزير محمد باشا الجليلي سنة 1212هـ/ 1797م في جامع المحمودين الذي عمرته<sup>(4)</sup>، والكائن في المحلة المنسوبة إليه من محلات مدينة الموصل. وضمت إليها خزانة كتب حفظ الزمان 35 مخطوطاً منها<sup>(5)</sup>، يرقى أقدمها إلى القرن التاسع للهجرة، وهي تتوزع على موضوعات القرآن الكريم والحديث الشريف والفقه والطب والأدب<sup>(6)</sup>.

(1) مجموعة وقفيات الموصل (مخطوطة).

(2) من ذلك انها عزلت الشيخ مصطفى الصباغ وكان يدرس النحو والفقه والفرائض والحساب، وكان سبب عزلها إياه ما بلغها عنه من «قلة المعلوم، وعدم الضبط، وسوء الحفظ». محمد أمين العمري: منهل الأولياء 267/1.

(3) سعيد الديوه جي: مدارس الموصل في العهد العثماني، مجلة سومر، بغداد 1962، ص 84.

(4) تقدم الكلام على هذا الجامع.

(5) أحصى منها داود الجليلي 28 مخطوطاً. مخطوطات الموصل ص 91-92.

(6) سالم عبد الرزاق أحمد: فهرس مخطوطات مكتبة الاوقاف العامة في الموصل، 8 (الموصل 1983) 331-344.

## مدرسة الحجّيات

تقع هذه المدرسة في محلة القنطرة، قرب سور الموصل القديم، وهي من المدارس المستقلة عن المساجد في الموصل، أنشأتها الحاجة عادلة خاتون وأختها الحاجة فتحية خاتون ابنتي والي الموصل عبد الفتاح باشا الجليلي (1183-1185هـ/1769-1771م) سنة 1241هـ.

وقد عُيّنت الواقفتان بتوفير أجواء الدرس الملائمة في مدرستهما، فأضافتا إليها قسماً داخلياً يتألف من عدة حجرات لاقامة الطلبة، وخصصتا لكل حجرة نفقة مالية شهرية، وتخصيصات عينية من الشمع في أيام الشناء<sup>(1)</sup>، كما ضمنا إليها خزانة كتب غنية بالكتب الخطية النادرة في التفسير، والحديث، والحكمة، والفقه، واللغة، والنحو، والادب، والطب، والفلك، وغير ذلك. وعينا لهذه الخزانة موظفاً خاصاً بعنوان (كتب خانجي) يعنى لها ويتقاضى راتباً شهرياً<sup>(2)</sup>.

وجعلت الواقفتان للمدرسة ناظراً يرفع شؤونها المختلفة، مستقلاً بها عن المتولي الذي يدير ما عليها من وقف، ومن ثم فإنهما فصلا بين الإدارتين المالية والإدارية لهذه المؤسسة، ويلاحظ أيضاً إنهما حددا راتب المدرس بثلاثين غرشاً، وهو ما يزيد عن راتبي المتولي والناظر مجتمعين، مما دلّ على رجحان كفة المالين على الإداريين خلافاً لأكثر الوقفيات الأخرى.

وقد رصدت الواقفتان المحسنتان، للإتفاق على مدرستهما ريع ما يملكان وقفاً صحيحاً شرعياً ثابتاً، وهو بيت سكنهما، والحمام الشهير بحمام باب البيض، وبلغ من حبهما للعلم وتقديرهما لأهله. انهما أوصيتا بدفنتهما عند وفاتهما في رحاب هذه المدرسة، وبالفعل فإنهما دُفنتا جنباً إلى جنب، داخل الحجرة التي يدخل منها إلى خزانة الكتب، ولقد أصاب الخراب هذه المدرسة وهجرت، وسكنت بعض الأسر في أقسام اقتطعت منها.

## المدرسة النعمانية

شاركت في إنشائها سنة 1212هـ/1797م السيدة عائشة خاتون بنت والي الموصل سليمان باشا الجليلي<sup>(3)</sup>، وتقع في الجامع الذي شيده، وأخوها نعمان بك (باشا فيما

(1) مجموعة وقفيات الموصل (مخطوطة).

(2) داود الجليبي: مخطوطات الموصل 98-120.

(3) تولّاها أربع مرات (1185-1189هـ/1771-1775م) و (1189-1190هـ/1775-1776م) و

(1191-1197هـ/1777-1783م) و (1200-1204هـ/1786-1789م).

بعد) في محلة السراج خانة من محلات الموصل، وعينا فيها مدرساً، وجعلا الإنفاق عليها مما وقفاه على الجامع من عقارات عديدة، وكانت للسيدة عائشة حصة كبيرة في تلك الأوقاف<sup>(1)</sup>.

وضم الواقفان إلى مدرستهما خزانة كتب احتوت على جملة وافرة من الكتب في العقائد والحديث والفقه واللغة والمنطق والأدب والتاريخ والفلك وغير ذلك<sup>(2)</sup>، بقي منها اليوم (55) كتاباً مخطوطاً، آلت جميعاً إلى مكتبة الأوقاف العامة في الموصل<sup>(3)</sup>.

### المدرستان الحسينيتان

من مبرات السيدة فردوس خاتون بنت يحيى أغا الجليلي أنها شاركت زوجها حسن بك (الذي كان والياً على الموصل فيما بعد) بن الحاج حسين باشا الجليلي في إنشاء إحدى أهم المدارس في الموصل أبان القرن الثالث عشر الهجري (التاسع عشر الميلادي). وهي المعروفة بالمدرسة الحسينية نسبة إلى زوجها المذكور.

وتعد وقفية هذه<sup>(4)</sup> المدرسة من أكثر الوقفيات التي وصلتنا تفصيلاً ودقة، فقد سعى الواقفان إلى توفير أفضل الخدمات للعاملين في مؤسستهما الثقافية وللطلبة «الطالبين للإستكمال»، وكانت المدرسة تتألف بحسب رغبتهما من قسمين منفصلين، عدتّهما الوقفية مدرستين قائمتين بذاتهما، الأولى «لأجل تدريس علوم النقلية والعقلية» والخرى «لأجل تدريس القراءة والتجويد»، فتكون الأخيرة، أشبه -من حيث طبيعتها- بدور القرآن المتخصصة بعلوم القرآن الكريم، التي ظهرت في العصور الإسلامية الوسيطة.

ومن حسناتهما انهما ألحقا بمدرستهما خزانة كتب كبيرة، احتوت على جملة وافرة من الكتب، في التفسير والقراءة والحديث، والفقه، وأصوله، والتصوف، والمواعظ، والعقائد، واللغة والأدب ودواوين الشعر، والطب، فضلاً عما يعرف بكتب الجادة، أي الكتب المنهجية البحتة، وتشمل النحو والمنطق والهندسة وما إليها<sup>(5)</sup> وجعلا لكل طالب علم حجرة خاصة.

(1) تقدم الكلام على هذا الجامع.

(2) داود الجليبي: مخطوطات الموصل 224-227.

(3) فهرس مخطوطات مكتبة الأوقاف في الموصل 273/7-283.

(4) نشرنا نص هذه الوقفية في كتابنا الموصل في العهد العثماني، الملحق العاشر ص 540-544.

(5) عد الدكتور داود الجليبي منها في كتابه مخطوطات الموصل (ص 120-139) 317 كتاباً مخطوطاً.

ورتباً لجميع العاملين في هذه المدرسة، وللطلبة، الرواتب الكافية، وذلك على النحو التالي:

- 1- مدرس العلوم العقلية والنقلية 120 صاعاً<sup>(1)</sup> يومياً.
- 2- مدرس علم القراءة 80 صاعاً يومياً.
- 3- كليدار الكتب خانة (أمين المكتبة) 28 صاعاً يومياً.
- 4- كليدار المدفن (السادن) 4 صاعات يومياً.
- 5- تالي جزء من القرآن لروح الواقفين 8 صاعات يومياً.
- 6- خادم السبيل (السقاية) 20 صاعاً يومياً.
- 7- 6 من الطلبة، لكل طالب 8 صاعات يومياً.
- 8- قابجي (بواب) المدرسة 24 صاعاً يومياً.
- 9- ماء سبيل خانة (ماء الشرب) 360 صاعاً يومياً.

وحدد الواقفان لكل موظف واجباته بكل دقة ووضوح، فالمدرس يقرأ درسه كل يوم، على أن يكون أول دروسه في علم الأخلاق، ثم بعده باقي العلوم، و(الكتاب جي) يمسح الكتب كل ثلاثة أيام مرة من الغبار، ويكنس الكتاب خانة (المكتبة). والسبيل خانة جي (الموكل بمياه الشرب) يغسل مزملة السبيل خانة كل شهرين. ولا شك أن إدامة مدرسة كهذه تتطلب أموالاً جمة، وعناية فائقة، لذا فقد وقف المنشئان، حسن بك وزوجته السيدة فردوس، عقارات مهمة لهذا الغرض. وكان حصّة السيدة فردوس أن وقفت ما آل إليها بالإرث الشرعي من والدها يحيى أغا الجليلي «من القيصريّة الشهيرة بقيصريّة علي أفندي بجميع ما اشتمل عليها من البناء في السوق الكبير<sup>(2)</sup> من أسواق الموصل المحروسة، (وال) نصيب المنتقل إليها من رحاة بابيوخ المذكورة، وهو من كل أربع وثلاثين سهماً سهماً واحد»<sup>(3)</sup>.

(1) الصاع: عملة عثمانية صغيرة كانت تساوي 4 فلوس من النحاس في تلك الأيام. كتابنا الموصل في العهد العثماني ص 561-563.

(2) السوق الكبير، ويعرف اليوم بسوق السراجين.

(3) وكان زوجها حسن بك (باشا) قد وقف حصته من الرحى المذكورة، وتقع على نهر الخوصر في شرق الموصل.

وقد سُجِّلَت الوقفية في غرة شعبان سنة 1232هـ/1816م.

أما المدرسة نفسها فقد لبثت منها لطلبة العلم في الموصل أجيالاً متعاقبة، وشغلت مبناها مؤسسات تعليمية مختلفة، هي على التوالي: المدرسة الإسلامية، المدرسة الفيصلية، المدرسة الفيصلية الوقفية، المتوسطة الفيصلية الدينية، متوسطة الارشاد الدينية، مدرسة الارشاد الاعدادية الدينية، المدرسة الدينية، ابتدائية الاوقاف الإسلامية، وذلك من خلال المدة الواقعة بين سنتي 1924-1973م.

وقد آلت مخطوطاتها الكثيرة إلى مكتبة الأوقاف العامة في الموصل، وبقي منها 84 كتاباً<sup>(1)</sup>.

### مدرسة فتحية خاتون

أنشأت السيدة فتحية خاتون بنت سليمان أغا مدرسة في مدينة الموصل عرفت باسمها، ووقفت لإدارتها حصتها من خان الشط<sup>(2)</sup> وتوابعه، والدكان الواقعة في قيصرية البابوجية العتيقة، وشرطت للمتولي عشر الرُّبع من غلة الوقف، بينما خصصت الباقي للانفاق على لوازم المدرسة، وذلك في وقفيتها المؤرخة أوائل رمضان سنة 1271هـ/أيار 1855م<sup>(3)</sup>.

### مدرسة الخاتون:

أنشأتها السيدتان مريم خاتون بنت والي الموصل محمد باشا الجليلي، وأمها هيبة الله خاتون بنت عبد الله، في الجامع الذي شيدته في الموصل، وعرف بجامع الخاتون سنة 1241هـ/1825م. وشاركهما في ذلك محمد أمين بك بن محمد باشا الجليلي<sup>(4)</sup>.  
فعرفت المدرسة بالأمنية نسبة إليه.

وضما إليها خزانة للكتب حوت كتباً في التفسير والحديث والعقائد والفقه وأصوله والأدب، وكتباً مدرسية مختلفة<sup>(1)</sup>. بقي منها الآن (64) كتاباً مخطوطاً، وقد آلت هذه الكتب إلى مكتبة الأوقاف العامة في الموصل<sup>(2)</sup>.

(1) انظر فهرس مخطوطات مكتبة الاوقاف العامة في الموصل الجزء الاول، خزائن حسن باشا الجليلي (الموصل، طبعة 1، 1982).

(2) يرقى هذا الخان الى سنة 1122هـ/1710م كما تبين ذلك كتابة اثرية فوق بابه (نيقولا سيوفي: مجموع الكتابات المحررة على ابنية الموصل 125).

(3) الاوقاف 165/8.

(4) تقدم الكلام على هذا الجامع.

### وقفية أسماء خاتون غصيبة على مدرسة الصائغ

تتسب هذه المدرسة إلى مؤسسها التاجر عبد الرحمن جلبي بن محمد الصائغ سنة 1250هـ/1834م، وهي تقع في محلة الإمام إبراهيم من محلات مدينة الموصل القديمة، وقد ألحق بها خزانة كبيرة تحوي المئات من نواذر المخطوطات<sup>(3)</sup>.

وفي سنة 1300هـ/1882م وقفت السيدة أسماء خاتون بنت عبد الرحمن غصيبة حصصها في خان الجفت الكبير قرب سوق باب الجسر «على مصالح المدرسة المشهورة بمدرسة عبد الرحمن جلبي بن محمد الصائغ المعلومة مشتملاتها وحدودها، الواقعة في محلة إمام إبراهيم من تعميرها وسائر لوازمها الضرورية، فإذا فضل شيء بعد مصاريف المدرسة المذكورة، يقسم على وجوه البر».

### 3- وقف الأوقاف للإنفاق على الفقراء والمساكين وبعض أوجه الخدمة الاجتماعية العامة

#### وقفية فتحية خاتون الجليلية على الفقراء:

سعت السيدة فتحية خاتون بنت عبيد آغا الجليلي إلى العناية بشؤون الفقراء والمساكين في مدينتها الموصل، فوقفت لهذا الغرض بعض حصصها في «الخان الواقع على نهر دجلة» وفي «الخان الشهير بخان عبيد آغا» والرحى الواقعة قرب ترجيلة وحمّام عبيد آغا، وقهوة الإمام، وقهوة خانة باب الجديد، ويساتين لها في مدينة الموصل.

ولم تكتف بذلك، وإنما أوصت ببيع ثلث ما تملكه من عقاراتها السكنية مع ثلث ما تتركه من الأموال ليشتري بالثمن مسقفات، يُصرف ريعها في كل سنة على المستحقين من الفقراء والمساكين، وذلك بموجب وقفيتها المؤرخة في أواسط جمادي الآخرة سنة 1204هـ/شباط 1789م<sup>(4)</sup>.

#### وقف زينب خاتون بنت يونس آغا على الفقراء

وسعت السيدة زينب خاتون بنت الحاج يونس آغا إلى تخصيص مبالغ كبيرة من

---

(1) داود الجلبي: مخطوطات الموصل 79-82.

(2) سالم عبد الرزاق: فهرس مخطوطات مكتبة الأوقاف العامة في الموصل 7 (الموصل 1983) 335-356.

(3) داود الجلبي: مخطوطات الموصل 1500-151.

(4) مجموعة وقفيات الموصل (مخطوطة).

أوقاف رصدتها في مدينة الموصل للتخفيف عن كاهل الفقراء المنقطعين، في وقفية تعد من أكثر الوقفيات سخاء لهذا الغرض النبيل، ففي 6 من شهر ذي الحجة سنة 1229هـ/1813م وقفت السيدة المحسنة ما تحت يدها من حصص في العديد من مرافق المدينة الاقتصادية وتشمل: حمام، وخانات تجارية، ورحى قرب قرية بابيوخ على نهر الخوصر، ومقام، وقيصريات، ودكاكين كثيرة في أسواق مختلفة، وبستان خارج المدينة، ومنشآت اقتصادية أخرى، وشرطت أن تتفق واردات هذه المرافق، وهي كثيرة، على من يسكن الموصل من الفقراء المنقطعين<sup>(1)</sup>.

### وقف السيدة خديجة خاتون على الفقراء والمساكين

وقفت السيدة خديجة بنت الحاج صادق أغا ما تملكه من أسهم في عدد من المنشآت الاقتصادية في مدينة الموصل على بعض وجوه الخير سنة 1232هـ/1816م، وتشمل هذه الوجوه، شراء الأضاحي في عيد الأضحى، وإيقاد الشموع في ليالي رمضان للتراويح، وتوفير مياه الشرب، وانفاق الباقي «على المستحقين من الفقراء والمساكين»<sup>(2)</sup>.

### وقف عادلة خاتون بنت عبد الرحمن على وجوه الخير

وفي جمادي الآخرة 1233هـ/1817م وقفت السيدة عادلة خاتون بنت عبد الرحمن أغا ما تملكه من أسهم في المقهى الواقع في سوق الميدان بالموصل مع دكانين مُخرَجَتين منها لتتفق على بعض أوجه الخير التي حددتها في وقفيتها، وهي التضحية في أعياد الأضحية، وتوفير مياه الشرب في كل ليلة جمعة، وقراءة القرآن الكريم، وتفريق ما يتبقى على الفقراء والمساكين والمستحقين<sup>(3)</sup>.

### وقفية الحاجة حمرة خاتون وكريمتها اسمها خاتون وعدله خاتون على الفقراء في الموصل

وقفت الحاجة حمرة خاتون بنت الحاج صادق أغا، وكريمتها أسمه (اسماء) خاتون وعدله (عادله) خاتون بنتي سعد الله باشا الجليلي<sup>(4)</sup> والي الموصل السابق،

(1) مجموعة وقفيات الموصل (مخطوطة).

(2) مجموعة وقفيات الموصل (مخطوطة).

(3) مجموعة وقفيات الموصل (مخطوطة).

(4) تولى الموصل من 1225 الى 1227هـ/1810-1812م.

جملة كبيرة من الاوقاف الدارة على أنفسهم، وإذا ما توفيت واحدة، يرجع نصيبها إلى الباقيات، وبعد انقراضهن جميعاً «ترجع الوقوف إلى المستحقين من الفقراء والمساكين وطلبة العلم».

وتتألف هذه الوقفيات من دكان قيصرية ...<sup>(1)</sup> وقهوة خانة في محلة (عبدو خوب) مع سردابين تحتها، وبستان في قرية نينوى تعرف ببستان البنات، مع بئر، وأشجارها هناك، وأخرى في القرية نفسها، مع بئرها، وأشجارها، وأكثر من نصف البستان المعروفة ببستان سعد الله باشا الكائنة في طرف القبلة من البلدة، مع بئر، وأشجار، وقصر البستانجي، ودكاكين ومعصرة وبيت فوق المعصرة في محلة اليهود، وأكثر من النصف في ثلثي قيصرية السراجين مع ثلاثة دكاكين خارجها، ونصف قيصرية المطريانة الواقعة في ميدان القلعة، وقسم من بستان<sup>(2)</sup> على نهر الخوصر، وأكثر من نصف الملك الواقع في محلة الشيخ محمد عليه الرحمة، وحصص مختلفة في بستان علي أفندي، والفسيل الملاصق له، ومن خان عبيد أغا، ومن خان شيخ [الأصناف] السبعة، والمعصرة الواقعة خارجه، وذلك بموجب وقفيتهم المؤرخة في أواسط ذي القعدة 1244هـ/حزيران 1828م<sup>(3)</sup>.

### وقف خديجة خاتون بنت نعمان أغا على وجوه الخير

شاركت السيدة خديجة خاتون بنت الحاج نعمان أغا، سنة 1244هـ/1828م زوجها الحاج حسين أغا بن الحاج صادق أغا، في وقف حصتهما في خان الشط والكمرك وتوابعه، وخان عبيد أغا وتوابعه، في مدينة الموصل، على أوجه الخير والبر، وتشمل شراء الأضاحي في عيد الأضحى، والانفاق على «المستحقين من الفقراء والمساكين والأرامل والأيتام».

ثم عادت هذه السيدة فوقفت منفردة سنة 1255هـ/1839م، حصتها من الخانين المذكورين، مع دكاكين لها في ميدان باب الجسر، بلصق الكمرك، وفي السوق الكبير في الموصل، على أوجه الخير المشابهة، وتشمل - فضلاً عن تقديم الأضاحي - إيقاد الشمع

(1) فراغ في اصل الوقفية.

(2) فراغ في اصل الوقفية، واثبتنا ما رجحناه.

(3) الاوقاف السجل 9ص56.

في ليالي رمضان لأجل صلاة التراويح وإطعام الفقراء والمساكين في ليالي القدر والأشرف (يقصد الأيام المُشرَّفة)، وتوفير مياه الشرب في هذه الليالي، وإنفاق الباقي «على المستحقين من الفقراء والمساكين»<sup>(1)</sup>.

### وقف عدلة خاتون على الفقراء

ووقفت السيدة عدلة (عادلة) خاتون بنت أحمد أفندي بن السيد عبيد أفندي، من سكنة محلة المكاوي في الموصل، ثلث مالها، بعد وفاتها، للفقراء والمساكين، وأوصت أيضاً أن تصرف غلة الدكان الذي تملكه في محلة السراج خانة على الفقراء والمساكين، بموجب وقفيتها المؤرخة في 16 ذي القعدة 1300هـ/19 أيلول 1882م<sup>(2)</sup>.

### وقفية مريم خاتون بنت أحمد بك على الفقراء:

ووقفت السيدة مريم خاتون بنت أحمد بك الآي بكى بن عبد الله، من سكنة محلة جامع جمشيد في الموصل، دارها «التي هي عبارة عن حوشين داخل وخارج..» على بعض سكان محلتها، وبعد انقراضهم «يرجع الوقف المذكور للفقراء والمساكين» بموجب وقفيتها المؤرخة في 27 جمادي الآخرة سنة 1304هـ/24 آذار 1886م<sup>(3)</sup>.

### وقفية دولة بنت فتحي على أعمال البر والفقراء

ووقفت السيدة دولة بنت الحاج فتحي بن ياسين الصباغ، من سكنة محلة باب النبي في الموصل، دارا لها في محلة سوق الصغير، والنصف الشائع الذي تملكه من دار أخرى في محلة باب السراي من محلات مدينة الموصل، على أعمال البر والخير، إذ شرطت أن يُنفق من غلة الوقف - بعد تعميره - على من يعط الناس، وعلى قارئ القرآن في جامع الأغوات خلال شهر رمضان من كل عام. وأن تشتري في الشهر نفسه شمعتان توقدان في «المحل المحتاج من الجوامع والمساجد»، وأضحيتان في عيد الأضحى، على أن يقسم المتبقي من الغلة «على الفقراء والمساكين» بموجب وقفيتها المؤرخة في 28 شعبان 1310هـ/16 آذار 1893م<sup>(4)</sup>.

(1) مجموعة وقفيات الموصل (مخطوطة).

(2) وزارة الاوقاف، السجل 9 ص 39.

(3) وزارة الاوقاف، السجل 14 ص 141.

(4) وزارة الاوقاف، السجل 10 ص 44.

### وقفية خُدوجة بنت علي المفتي على الفقراء:

ووقفت السيدة خُدوجة (خديجة) بنت علي المفتي بن أحمد أفندي، الساكنة في محلة جامع جمشيد في الموصل، حصتها الشائعة في الدكان الكائن في سوق الصرافين «على الفقراء والمساكين في المواسم والأيام الأشراف» بموجب وقفيتها المؤرخة في 25 صفر 1315هـ/ 20 أيلول 1892م<sup>(1)</sup>.

ثم أنها عادت، فوقفت حصتها الشائعة في دكانين آخرين، أولهما في محلة السراج خانة، وثانيهما في سوق العتمة، وشرطت أن تُعطي غلة الأول إلى إحدى نساء محلتها وذريتها، وبعد انقراضهم تعطى «إلى الفقراء والمساكين»، أما الثاني فتعطى نصف غلته إلى «الفقراء والمساكين» والنصف الآخر إلى المتولين على الوقف نفسه، وذلك بموجب الوقفية المؤرخة في 17 صفر 1317هـ/ 28 حزيران 1898م<sup>(2)</sup>.

### وقفية فاطمة بنت وحيد على الفقراء

ووقفت السيدة فاطمة بنت وحيد آغا الدار الكائنة في محلة امام عون الدين في الموصل حسبة الله، وشرطت في وقفيتها المؤرخة في 30 جمادي الاولى سنة 1350هـ/ 12 تشرين الاول 1931م على المتولي أن يبتاع في كل عيد أضحية «كباشين من الضأن ويوزع لحومها على الفقراء والمساكين. وان يبتاع المتولي (تكة) كاز واحدة في شهر رمضان لادارة أي مسجد شاء أثناء صلاة العشاء والتراويح» كما خصصت هذه الواقعة سلفاً من المال على الفقراء «وفي بدء الشتاء من كل سنة يبتاع المتولي خمسة وعشرون ذراعاً خاماً وخمسة وعشرون ذراعاً كتان يعدله قيصاً (قمصان) يوزعها على المحتاجين للكسوة. ويبتاع حسب الموسم عنباً وحلاوة مع خبز، بقدر ما يبقى عنده من ريع الدار، ويوزع ذلك على الفقراء»<sup>(3)</sup>.

### وقفية مثيلة الصراف على الفقراء:

وقفت السيدة مثيلة بنت عبد اللطيف الصراف دارها الكائنة في محلة سوق الصغير بالموصل على وجوه من الخير، فجعلت ريع ريع الوقف ونصف الربح إلى

(1) وزارة الاوقاف، السجل 14 ص 55.

(2) وزارة الاوقاف، السجل 14 ص 61.

(3) وزارة الاوقاف، السجل 10 ص 84.

خدمتها، والربع إلى أخيها، على أن يشتري بالربع ونصف الربع الباقي في كل سنة بقرتان، وأربعة أكباش، وتضحى في أول يوم عيد الاضحى من كل سنة، ويشتري في فصل الشتاء، كل سنة عشرة قمصان وعشرة عباءات ويعطي ذلك للفقراء والمساكين، وصينية بقلادة توزع على الصائمين في رمضان من كل سنة، وذلك بموجب وقفيتها المؤرخة 24 شوال 1366هـ/9 أيلول 1947م<sup>(1)</sup>.

### خاتمة

بلغ عدد المؤسسات الثقافية والدينية التي قامت المرأة بإنشائها في مدينة الموصل، إبان العصر العثماني وحده، نحو اثنين وعشرين مؤسسة، بين مسجد ومدرسة ودار قرآن، ويمثل هذا العدد أكثر من نصف منشآت المدينة المشابهة، خلال العصر نفسه، ويكشف هذا الإحصاء عن الاسهامات الواسعة للمرأة في مجالات الحياة العامة لمدينتها آنذاك.

ولنا أن نلاحظ مما تقدم في هذا البحث وفرة الموقوفات التي خصصتها للإنفاق على تلك المنشآت الخدمية النافعة، وتنوعها، بين قرى زراعية كاملة، وأرحاء، وآبار، وأسواق، ودكاكين، وخانات تجارية، وحمامات، ودور سكنية، وهو ما يشكل ثروة حقيقية تتفق، وفق شروط الواقفات، لضمان ديمومة المؤسسات وترميمها وصرف رواتب العاملين فيها.

وفي الواقع، فإن دور المرأة لم يقتصر على التأسيس أو الإنفاق فحسب، وإنما امتد ليشمل اختيار العاملين، وتحديد رواتبهم واختصاصاتهم، وانتقاء أفضل المدرسين للعمل في المدارس التي أنشأتها، وعزلهم عند التأكد من نقص كفاءتهم، كما يلاحظ اهتمامها، بوجه عام، بوقف الكتب، فقد ألحقت -كما تدل الوقفيات- خزائن حفلت بالعديد من الكتب، وبينها ما هو نادر ونفيس في بابها، تيسيراً على المدرسين والطلبة للحصول على ما يحتاجونه من مصادر البحث والدرس. بل بلغ من حب بعض الواقفات للعلم، انهن أوصين بأن يدفن في مدارسهن التي أنشأنها أو في الحجرات التي تضم خزائن كتبها الخاصة.

(1) وزارة الاوقاف 37/9.

وسعت أكثر الواقفات إلى توفير مستوى معقول لمعيشة العلماء والطلبة على حد سواء، فكان أن خصصن مبالغ محددة للانفاق المستمر على شراء الشمع اللازم للاضاءة، وتيسير ماء الشرب والغسل، وتوفير الطعام، بل والتدخل أحياناً بتحديد أصنافه.

وفي مجال الخدمة الاجتماعية، سعت المرأة إلى وقف الأوقاف الكثيرة للانفاق على أوجه الخير، منها شراء الأضاحي في الأعياد، وإيقاد الشمع لاضاءة المساجد، وتوفير مياه الشرب فيها، وإطعام المساكين والأرامل والأيتام، بل والتدخل أحياناً بتحديد أصنافه وإكسائهم بحسب فصول السنة، وغير ذلك من أوجه الخير.

إن رصد أعمال كهذه، لهو أمر جدير باعادة النظر في التقويم السائد لدور المرأة في تقديم الخدمات العامة لمجتمعها، إبان العصور الماضية، وهو يقدم محفزاً للباحثين في استجلاء هذا الدور المشرف في كل مكان.

## دور الجماهير في صمود الموصل

سنة 1156هـ/1743م

### مقدمة

لعل أكثر الإتجاهات حداثة في مجال الدراسات التاريخية تلك التي تحاول تبيان دور الشعوب في صنع الحدث، أو- في الأقل- دور(القوى التحتية) في المجتمعات الإنسانية التي تدفع بعض الأفراد، أو الفئات، إلى صنع ذلك الحدث. بل ربما ذهبت بعض الاتجاهات إلى معالجة ردود الأفعال العفوية لتلك القوى، في مواجهة تحدٍ ما، ودراسة العوامل الخفية لهذا الموقف أو ذلك الفعل، عن طريق مقارنة ردود أفعال تلك القوى عبر حقب متعددة، أو مقارنتها مع غيرها من القوى المشابهة في مناطق وأمم أخرى، وهذا ما دعا بعض المؤرخين المحدثين إلى الإعلان عن أن المؤرخ تواجهه في كل لحظة حاجة مستمرة للنفاز إلى (أسرار القوى الجماعية) التي تشكل حياة المجتمع والأفراد المكونين لذلك المجتمع في أية لحظة في التاريخ<sup>(1)</sup>.

وهكذا فقد امتدت يد البحث، وفق هذه النظرة العلمية، إلى حقب التاريخ المختلفة، فحاولت استيضاح دور حركة الشعب، أو الناس العاديين، في رسم صورة حدث ما، وفي تقرير نتائجه أيضاً، كقيام ثورة، أو تغيير نظام سياسي، أو تحرير بلاد محتلة، أو الوقوف في وجه تحدٍ خارجي، أو داخلي. الخ، مما لم تكن ملامح الشعب ظاهرة فيه من قبل، أو أنه كانت مخفية وراء دور هذا القائد العسكري، أو زعامة تلك الأسرة.

إن البحث في عوامل خفية كهذه يشبه ما يقوم به الجيولوجي في البحث عن الحركات التي تحدث في الأعماق السحيقة من باطن الأرض، والتي تتجم عنها تغييرات جسيمة على سطحها، كأنفجار البراكين فجأة، أو زوال الجزر، أو تغيير المعالم الظاهرة، وهو أيضاً يشبه عملية التنقيب عن الأسس الخفية من البناء، لا مجرد تبين ملامحه الخارجية.

وبما أن البحث في الأعماق ليس مُيسراً كغيره من ضروب البحث الأخرى، فربما استعان الباحث في عمله بما لم يفكر في استعماله أسلافه من المؤرخين السابقين،

---

(1) جفري براكلو: الاتجاهات العامة في الأبحاث التاريخية، ترجمة صالح أحمد العلي، بيروت 1984، ص118.

كعلوم الاجتماع، وعلم النفس الجمعي، والاقتصاد، وغير ذلك من علوم مساعدة تهديه إلى غايته.

ولا نشك في أن واقعة حصار الموصل من قبل الجيوش الإيرانية سنة 1156هـ/1743م هي من أكثر اللحظات التاريخية التي عبرت فيها القوى الشعبية عن نفسها في حدث ذي طابع سياسي وعسكري، حتى أنه من الصحيح القول بأن هذه اللحظة يمكن أن تكون نموذجاً دراسياً مهماً صالحاً لتبين ردود أفعال القوى المذكورة، إزاء ما مثله الغزو، ثم الحصار، من تحدٍ خارجي عنيف، ومن المهم أن نذكر هنا أن الخروج بنتائج علمية، ومحددة، لا يمكن أن يكون إلا بدراسة اللحظات التاريخية التي سبقت تلك الواقعة، أي دراسة التطورات الداخلية العميقة، التي مر بها المجتمع الموصل، منذ نصف قرن في أقل تقدير.

### القوى الشعبية والسلطة

فمنذ أوائل القرن الثامن عشر، وربما قبله أيضاً، كانت القوى الشعبية الموصلية قد نجحت في إصعاد أسر ذات تراث ديني وثقافي، إلى مواقع الزعامة الحقيقية للمدينة، وكان آل العمري، تلك الأسرة الموصلية القديمة، يمثلون النموذج الأبرز لمثل هذا النوع من الزعامة المحلية، وفي الواقع كانت هذه الزعامات قادرة على منافسة ممثلي السلطة العثمانية المركزية، أو مقاومتها إن استدعى الأمر ذلك، ذلك لأنها تقف على نفس القاعدة الاقتصادية التي تقف عليها تلك السلطة، وتقوم هذه القاعدة على ملكية إقطاعية محلية قوية<sup>(1)</sup>. ويتملكها العديد من القرى الزراعية المنتجة في ريف الموصل، فأصبحت منافستها، أو مقاومتها، للنظام الإقطاعي- العسكري- الإداري العثماني فعالة ومؤثرة، بل أنها أصبحت تمثل القوى الشعبية الموصلية وتسيطر من ثم على أحياء مهمة من مدينة الموصل نفسها، وقادرة على إثارة الاضطرابات في وجه الولاة كلما شكلوا تهديداً لمصالح السكان، وبالفعل فإنها أعلنت الثورة غير مرة على والي العثماني سنة 1123هـ/1711م<sup>(2)</sup>، وسنة 1138هـ/1725م<sup>(3)</sup>.

- 
- (1) ينظر: كتابنا الموصل في العهد العثماني، فترة الحكم المحلي، النجف 1975، ص 41  
(2) ياسين العمري: زبدة الآثار الجليلة في الحوادث الأرضية، بتحقيقنا ص 61، والعمري أيضاً: منية الأدباء في تاريخ الموصل الحدباء، تحقيق سعيد الديوه جي، الموصل 1955، ص 79.  
(3) محمد أمين العمري: منهل الأولياء ومشرب الأصفياء من سادات الموصل الحدباء، تحقيق سعيد الديوه جي، ج 1، الموصل 1968، ص 141.

ودامت الثورة في المرة الأخيرة نحو ستة أشهر كاملة، ويكشف دوامها لهذه المدة عن مدى شعبيتها.

ويمكن القول أن تلك الأسر استطاعت أن تكون نوعاً من (الإقطاعية الوطنية) مقابل إقطاعية الدولة المركزية، وكان هذا أول تحرك سياسي مؤثر للقوى الشعبية في الموصل ضد سيطرة العثمانيين عليها في أوائل القرن السادس عشر.

### تجلى روح الديانة

بيد أن النضال الذي قادته (الإقطاعية الوطنية) سرعان ما أخذ يضر بمصالح قوى شعبية أخرى كانت أهميتها الاقتصادية آخذة بالنمو في الوقت نفسه، فقد أدى استتباب حد أدنى من الأمن في المنطقة، إلى استعادة المدينة نشاطها الاقتصادي الذي يفرضه عليها موقعها الجغرافي، فنمت طبقة الحرفيين بتنظيماتها الاجتماعية المحكمة المسماة بـ(الأصناف)، كما نمت أيضاً طبقة التجار بنفوذها الواسع في سوق المدينة وعلاقاتها الممتدة إلى المدن الأخرى<sup>(1)</sup>، وكان طبيعياً أن يضر الصراع الدائر بين القوتين الإقطاعيتين، المركزية والمحلية، بمصالح هذه الطبقات الجديدة، فمركز ثقل الإقطاعية الوطنية هو الريف، بينما مركز ثقل الطبقات المذكورة في المدينة، وكان انتقال الصراع إلى داخل الأخيرة يعني إغلاق الأسواق، وتوقف الإنتاج، وتعطيل التجارة، وغير ذلك من الأنشطة الاقتصادية المدنية، فكان لابد لجماهير الحرفيين والتجار إصعاد الزعامات الأكثر تمثيلاً لها إلى المستوى السياسي المؤثر، وهكذا فقد جرى تولي الأسرة الجليلية مقاليد الزعامة الشعبية العامة لتلك الجماهير، وهو الأمر الذي مهد لها الوصول إلى السلطة السياسية للمدينة، والإحتفاظ بمقاليدها مدة تزيد على القرن (1139-1248هـ/1726-1834م) ولم يكن التغيير يعني، في أحد جوانبه، إلا نجاح القوى الشعبية مرة أخرى في اختيار قيادتها الممثلة لمصالحها، وانتقال الزعامة من (الإقطاعية الوطنية) التي كان يمثلها العمرىون وحلفاؤهم، إلى ما يمكن أن نسميه (البرجوازية الوطنية) التي كان يمثل مصالحها الجليليون وحلفاؤهم.

وكان وصول القوى الشعبية إلى السلطة السياسية قد عجل في عملية تحول أخرى كانت تجري في فرق الجيش الإنكشاري المتخذة مواقعها في محلات المدينة

(1) ينظر: الموصل في العهد العثماني ص 285-311.

الرئيسية، وخلاصة ذلك التحول أن أعداداً غفيرة من السكان، ومعظمها من أبناء الحرفيين، قد أخذت بالانضمام إلى الفرق المذكورة، مستغلة ضعف الإدارة المركزية للجيش الإنكشاري، وبهذا أصبحت هذه الفرق، منذ النصف الأول من القرن الثامن عشر، لا تعني إلا أصناف الحرفيين بأزياء إنكشارية<sup>(1)</sup>، وبهذا نجحت جماهير الموصل، أو قواها الشعبية، مرة ثالثة في الاستحواذ على السلطة الاقتصادية، بفرقها (أورطاتها) الخمس الموجودة في الموصل، فاستوت لها بذلك السيطرة على السلطات السياسية (السراي) والعسكرية (الإنكشارية) فضلاً عن التنظيمات الاقتصادية (الأصناف) والثقافية (العلماء)، وهكذا فإن من المجافاة للواقع التاريخي، البحث في تلك المرحلة بالذات، عن خطوط تفصل بين هذه السلطات، لا سيما ما يتعلق بصناعة القرار السياسي، وعليه فليس من الممكن تصور موقف شعبي، قد يتناقض أو حتى يختلف، عن موقف أي من السلطات والقوى المذكورة، وبخاصة السلطة السياسية. وفي الواقع فإن (روح المدينة) كانت تتخلل كل شيء فيها، وتتمثل في تلك العلاقات الاجتماعية والإقتصادية المتينة بين فئات السكان، من ولاية وتجار وحرفيين وعلماء وضباط وجنود محليين، فلقد كانت الموصل كلاً واحداً له أوجه مختلفة، وليس اتحاداً أو توازناً بين أجزاء، وكان ذلك، على وجه التحديد، هو مبعث قوتها، وسر صمودها، في طول أيام الحصار الشاقة الطويلة.

### المشاركة في قبول الحرب

إن دور الموصلين في ذلك الحصار إذن، هو دور الجماهير لا أقل ولا أكثر، ليس من فرق بين وال وجندي وتاجر وحرفي ومثقف، وهذا في الوقت نفسه هو منشأ الصعوبة عند الحديث عن دور محدد لأي من هؤلاء. فمن الناحية السياسية فإن مجرد الحديث عن الموصلين بعيداً عن دور قائدهم الحاج حسين باشا الجليلي يعني تجريد القوى الشعبية الموصلية من زعامتها الشرعية، وإذ سمى الموصليون هذا الوالي القائد - كما يذكر دومنيكو لانزا - بأبيهم<sup>(2)</sup>، يعني أن العلاقة بينه وبينهم كانت تسمو

(1) نيبور: رحلة نيبور إلى العراق في القرن الثامن عشر، ترجمة محمود حسين الأمين، بغداد 1965، وينظر جب وبون: المجتمع الإسلامي والغرب، ترجمة أحمد عبد الرحيم مصطفى، القاهرة 1970، ص 92، والموصل في العهد العثماني ص 144-246.

(2) دومنيكو لانزا: الموصل في القرن الثامن عشر، ترجمه عن الإيطالية رفائيل بيداويد، الموصل 1952، ص 52.

على أي اعتبار طبقي، أو أسري، أو إداري مفروض، فهي علاقة أبوية أولاً، ولا يهم- بعد ذلك- بأي إطار تكون.

وفي ظل العقلية السياسية السائدة في تلك العهود، لم يكن مألوفاً على الإطلاق أن يكون للجماهير الشعبية كلمة، أو رأي، في القرارات الرئيسية التي يفترض أن تخص الدولة مباشرة، كإعلان حرب، أو عقد هدنة، أو توقيع إتفاق ما، وإنما كان ذلك من مهام السلطان وحده، ومن يختارهم ممثلين له، من ولاية وقادة كبار، ولكن الوالي حسين باشا الجليلي لم يكن ممثل السلطان وحده، وإنما كان يمثل جماهير الشعب في الوقت نفسه، فإنه خرق هذا العرف عامداً، تاركاً لأدنى الفئات في المجتمع الفرصة لإبداء الرأي في أكثر الأمور فصلاً وأهمية.

وذكر الشيخ فتح الله القادري<sup>(1)</sup>، أن الحاج حسين باشا الجليلي، حينما وردت إليه أنباء تحرك نادر شاه بجيوشه الضخمة نحو الموصل، دعا إلى اجتماع جماهيري حاشد في دار الحكم، أي سراي المدينة، ولم تكن الدعوة مقترنة بأي قوة أو إلزام، بوصفه والياً، إذ يذكر:

فنأدى في الناس هلموا واقبلوا  
إن تسمعوا قولي وإلا فاهملوا

فكان مجرد حضور الناس إلى المكان المحدد، في الموعد المضروب، مع ترك الخيار لهم بعدم الحضور، يمثل أول استفتاء شعبي حول ضرورة اتخاذ موقف جماعي موحد

---

(1) أرجوزة في حصار الموصل، نشرها سعيد الديوه جي في ملاحق منية الأدباء ص242-272 ثم أعاد نشرها مستقلة بعنوان (ملحمة الموصل)، الموصل 1965، وتصور هذه الأرجوزة دور الجماهير الموصلية في أثناء الحصار بشكل يزيد تفصيلاً هلى ما أورده المصادر التاريخية الأخرى، ومن الواضح، من الأرجوزة نفسها، أن اطلاع ناظمها كان دقيقاً على مجريات الحصار والصمود، وسنعمد هنا على النشرة المستقلة لها، ومن الجدير بالذكر أنه من غير المحدد تاريخ هذا الاجتماع الشعبي المبكر، ولكن يفهم من الأرجوزة التي انفردت بالإشارة إليه، أنه سبق توجه نادرشاه إلى بغداد، ومعنى ذلك أنه جرى في أعقاب أول تغيير أحدثه نادرشاه في خطته، حينما أوقف عملياته في الشرق، وشرع يخطط لمهاجمة الدولة العثمانية، وكان قد جرى ذلك في ذي الحجة 1155هـ/كانون الثاني 1742م، وهذا ما يؤكد رواية طه بن يحيى الباليساني (في رحلته التي دونها بعد الحرب بسنة واحدة) بأن أفراداً من داخل جيش نادرشاه «أرسلوا خفية إلى أهل الموصل الخبر أن طهماس (يريد نادرشاه) مراده غدا وفي وقت كذا يأتيكم كذا، أصحوا أن أعمالوا جهدكم (رحلة طه الكردي الباليساني، بتحقيقنا، ط2، أربيل 2007) وإذ ذكر ياسين العمري في (الآثار الجلية) أن استعداد الموصلين جرى بعد أن تحققوا من قدوم نادرشاه في ذي الحجة 1155هـ/ 1742م، يكون ذلك الاجتماع قد عقد في أحد أيام الشهر المذكور، ولا يذكر محمد أمين العمري هذا الاجتماع.

من الأحداث، كما أن حضورهم «لسماع قوله» يعني أيضاً، قبولهم، في هذا الاستفتاء الحر، به، ليس بوصفه والياً رسمياً معيناً من قبل الدولة فحسب، فهذا أمر لم يكن يحتاج إلى استفتاء، وإنما كزعيم شعبي، أو ك (أب) كما يذكر لانزا.

وفي الاجتماع الكبير لم يطرح الوالي رأيه، وإنما طلب من الجماهير التي حضرته رأيها، يقول القادري<sup>(1)</sup>:

وقال: يا ناس فما التدبير؟ ما الفعل ما القول وما التقرير

واكتفى هو بتقديم تقرير فني حول إمكانات المدينة العسكرية، وبحسب القادري فإن ذلك التقرير جاء واقعياً تماماً، وبعيداً عن أي مبالغة في تقدير حصانة المدينة ومنعتها، وإنما قدم الحقائق كما هي، أو كما تبدو فعلاً، فالسور (مدثور)، والخندق (من قدم مهجور) و(آلة الحصر) معدومة، وهكذا فقد واجه الجماهير بالحقائق، بكل ما كانت تبدو عليه من قتامة، مكتفياً بنصيحة، لا بأمر، بأنه لم يفقد الأمل بقدره الله على التدخل لصالحهم، إذا ما قاموا، متكاتفين متوحدين، لا فرق بين خواص وعوام، بإنجاز ما أشار إليه التقرير من مواطن ضعف وخلل<sup>(2)</sup>.

فلتخرج الخواص والعوام      كذا خطب، وكذا إمام  
نحفر خندقاً ونبني سوراً      ونحفظ العيال، ثم الدوراً



أحد أبواب الموصل القديمة

(1) ملحمة الموصل ص8.

(2) المصدر نفسه والصفحة.

ولا نشك في أن مواجهة الجماهير بالحقائق المجردة، كان الخطوة الصحيحة الأولى في طريق المشاركة الفعلية في اتخاذ القرار، وهو ما أدى - من ثم - إلى إطلاق كل طاقاتهم في سبيل تنفيذ ما توصلوا إليه من رأي مشترك. لقد أدركت الجماهير، بفطرة سليمة، أن المُستهدف الأول هو وجودها نفسه، ومصير أجيالها المقبلة، قبل أن يكون نظاماً أو سلطاناً، فكان تعبير (حفظ الأولاد) و(العيال) و(الأطفال والعيال) و(الدور) هو السائد على ألسنة الموصليين، وهو ما أدى إلى إحساس كل واحد منهم، بأن الحركة إن هي إلا حركته هو، وأنه اتخذ قراره بنفسه في وجوب الدفاع عن مدينته حراً بلا إكراه<sup>(1)</sup>، وإن مصيره الشخصي ومصير أسرته مرتبط بنتائج قراره. ووفقاً لهذه الروح هيأت المدينة قواها واستعدت للمجابهة العسكرية.

وحينما أرسلت الدولة العثمانية مفتياً إلى الموصل يحمل فتوى شيخ الإسلام بوجوب محاربة الإيرانيين، فوجئ هذا المفتي بتهمك الجماهير الموصلية، فقد كانت هذه الجماهير أكثر وعياً مما افترض شيخ الإسلام، وبواعث الثبات والمقاومة أكبر شأناً مما أودع في تلك الفتوى. ويشير القادري إلى أن الناس طلبوا منه، إن كان صادق المقال، أن يثبت ليشاركهم القتال<sup>(2)</sup>، وهي إشارة مهمة، لأنها تدل على أن الناس كانوا يدركون، وهم يعيشون في عصر الفتاوى السياسية، أنه لا قيمة لقول دون عمل وقتال. ولم تفت أنباء استيلاء نادرشاه، على كركوك وأربيل، وتوجهه إلى الموصل، من عضد الموصليين، بل زادت من تماسكهم، ودعا الوالي الجليلي الجماهير مرة أخرى إلى اجتماع حاشد، واجهها فيه بالوقائع المحددة، كما وردت إليه، وفي لحظة توحد وتلاحم شعبي حقيقي، أكد أن وحدة القيادة بالشعب - في حقيقة الأمر - وحدة عضوية. يقول القادري في أرجوزته معبراً عن فحوى ذلك الخطاب:

فنحنُ منكم، ثم أنتم منّا      فلا تخافوا فشلاً وجُبناً

وعرضكم عرضي، وأنتم مني      وطفلكم طفلي، خذوا ذا عني

وفي 21 رجب 1156هـ/9 أيلول 1743م وصلت طلائع الجيش الإيراني إلى القرى القريبة من الموصل، محرقة مهلكة مدمرة، ووفدت إلى المدينة سفارة من مقر الشاه في أربيل يرأسها مفتي كركوك السابق، وتحمل رسالة كتبها ملا باشي علي أكبر، الرئيس

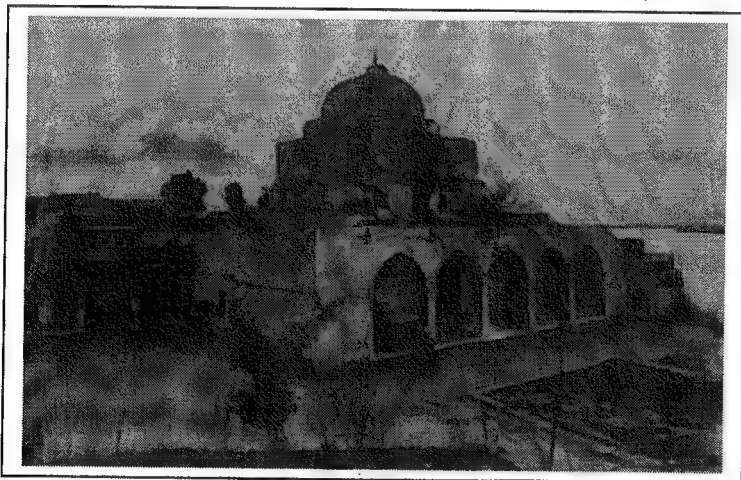
(1) من أرجوزة في وصف الحصار للسيد عبد الله الفخري. ينظر عثمان عصام الدين العمري:

الروض النضر في ترجمة أدباء العصر، تحقيق سليم النعيمي، بغداد 1974 ج1 ص306.

(2) المصدر نفسه ص14.

الديني للإيرانيين إلى مفتي الموصل، يحاول فيها استمالة الموصلين بتصوير الحرب على أنها وسيلة لحسم نزاع عقائدي مع السلطان العثماني لا شأن لمدينتهم فيه.

ومع أن أمر الرد على رسالة كهذه، كان يقع ضمن صلاحية الوالي وحده، إلا أنه فضل مرة أخرى اللجوء إلى ما يمكن تسميته بالدبلوماسية الشعبية، فدعا (سكان المدينة على اختلاف طبقاتهم) إلى اجتماع كبير في الفضاء الواقع خارج باب السراي، أحد أبواب السور الجنوبية، قريباً من الجامع الأحمر<sup>(1)</sup>، أحد أقدم المساجد الأثرية في الموصل وأهمها. وبدلنا اختيار الفضاء موضعاً للإجتماع على ضخامة عدد الجماهير التي جرى توقع مجيئها إلى حضوره. وعند الجدار القبلي للجامع الأثري، تمت تلاوة الرسالة التي بعث بها نادرشاه على مسامع الجمهور المحتشد، وكما كان متوقعاً، تعالت الهتافات من كل ناحية تدعو إلى ضرورة التمسك بالمدينة إلى الرمح الأخير، وإلى تفضيل الموت في الحرب على الاستسلام المشين<sup>(2)</sup>.



الجامع الأحمر (المجاهدي)

### حيث اجتمع الموصليون لاتخاذ قرار الدفاع والمقاومة

(1) يقع هذا الجامع على شاطئ دجلة، في جنوبي الموصل القديمة، أمر بإنشائه مجاهد الدين قيمان سنة 576 كما شهدت بذلك كتابة أثرية قرأها نيبور سنة 1766م، وسمي بالجامع المجاهدي نسبة إليه، ثم عرف في القرون المتأخرة بالجامع الأحمر بسبب لون مصلاه، كما عرف بجامع الخضر، جرى تجديده غير مرة. ينظر سعيد الديوه جي: الجامع المجاهدي، مجلة سومر، المجلد 11، الجزء 1955.

(2) منية الأدباء ص 180.

وعلى إثر ذلك الاجتماع، صيغت رسالة جوابية احتوت على أكبر قدر ممكن من معاني الإباء والشجاعة واستصغار العدو<sup>(1)</sup>، ووضح «أنه لن تسلم المدينة وفيها إنسان حي، ولن يرتكب أحد منا دناءة التسليم ولا يتحمل ذل مثل هذه الخيانة»<sup>(2)</sup>، وانتهزت الجماهير هذه الفرصة فبايعت قائدها «على القتل وقد تحالفوا لا ينقض منا أحد».

ولسنا نريد هنا أن نستعرض واقع الحصار نفسه، بصفحاته المتعددة، فذلك ما يخرج عن نطاق بحثنا والغاية التي توخيناها من هذا البحث.

### اعداد ساحة المعركة

وكان تحصين المدينة، الذي تعرض للإهمال إبان القرون الأخيرة، يمثل أول متطلبات التعبئة، فانطلقت الجماهير (الخواص والعوام) إلى قضاء الموصل لترميم ما تصدع من أسوارها، وتجديد ما اندثر من حصونها، وما إنردم من خنادقها. ويشير القادري إلى أن خروج الناس كان (على الإطلاق)، وأن واحداً لم يستثن نفسه لأي سبب كان، وبضمنهم تلك الفئات التي اعتيد على عدم زجها في المعارك، كالعلماء والعلويين، وذوي المهن الدينية البحتة، كالخطباء وأئمة المساجد. ويذكر ياسين العمري أن الذين خرجوا هم أهل الموصل: الكبير والصغير، والغني والفقير، والعزيز والحقير. ويمكننا أن نتوصل من الإشارة إلى إغلاق الحوانيت والأسواق، إلى أن أغلب من خرج للعمل كان من أهل الحرف والكسبة والباعة والتجار، أي من كانوا يُسمون بالعامّة، ويلاحظ أن خروجهم لم يكن عشوائياً، وإن كان عفويّاً، إذ يذكر محمد أمين العمري أن الوالي «نصب على كل صنف من الناس واحداً من المتقدمين عنده»<sup>(3)</sup>، وهو ما يدل على أن حركتهم كانت تجري في نطاق تنظيماتهم الحرفية المعروفة بالأصناف. وفي مدينة الموصل، ذات نشاط حربي وتجاري كبير، كان أغلب السكان منتظمين في أصناف، وكان لكل صنف جمهوره المتمثل بعامة الفعلة والخلفات، وقيادته المنتخبة المتكونة من شيخه وكهيته (أي نائبه) ومجلس الصنف الذي يضم الأسطوات<sup>(4)</sup>، ولا نشك في أن أصناف البنائين والحجّارين والمعمّارين والصقالين والجصاصين والمكاريين والخشابين والنجارين كانت في مقدمة تلك الأصناف العاملة، وقد تعاملت قيادة

(1) نشرها سعيد الديوه جي في ملاحق منية الأدباء.

(2) سالنامة الموصل لسنة 1325هـ، ملاحق منية الأدباء، ص 274.

(3) منهل الأولياء ج 1 ص 152.

(4) بحثنا: الملاحم الاجتماعية لنظام الأصناف في العراق إبان العصر العثماني، من هذا الكتاب

الولاية مع جماهير الأصناف وفقاً لأصنافهم، وكل ما في الأمر، أنها عينت على كل صنف مشرفاً عنها، من أجل تخطيط العمل وتنظيمه، وإقامة التنسيق بين الأصناف نفسها في إنجاز الأعمال المناطة بها .

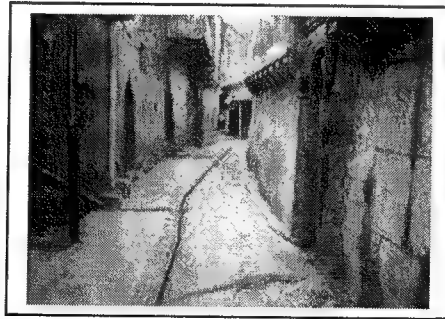
وبتوجيه من القيادة الموصلية انطلقت الجموع إلى خارج أسوار المدينة لتزيل الروابي والأكمات المحيطة بها، وتجعلها قاعاً صفصفاً، خشية من أن يتخذها الأعداء سبباً في تسلط على داخل المدينة، ولنا أن نتصور ضخامة الأعداد التي خرجت ليلاً وهي تحمل معاولها، و(زنايلها)<sup>(1)</sup>، لتحيل مثل تلك المرتفعات أرضاً مستوية خلال وقت قصير<sup>(2)</sup>.

يقول القادري<sup>(3)</sup>:

ثم ترانا في ظلام الليل      نرفع زنبيلاً كهطل السيل  
وتسمع الصباح والضجيج      كانما في مكة حجيج

### الإعداد المعنوي

وكان للفنانين نصيبهم من التعبئة، أو التهيئة لها، فقد صدحت في فضاء المدينة أصوات الآلات الموسيقية، من الطبول والبوقات والنايات والمزامير<sup>(4)</sup>، وإذا افترضنا أن جانباً من ضاربي الطبول ونافخي الأبواق كانوا من فرقة الموسيقى العسكرية، المعروفة باسم (المهترخانة)، فإن النايات والمزامير كانت آلات شعبية تماماً، تنبئ بأن عازفيها لم يكونوا إلا موسيقيين عاديين من عامة أهل الموصل وفنانيها .



عوجة (زقاق) في الموصل القديمة

(1) الزنبيل: السلة الكبيرة التي تحاك من جريد النخل.

(2) ملحمة الموصل ص9.

(3) المصدر نفسه ص9.

(4) المصدر نفسه ص10.

## الإعداد المالي

ولما كانت أعمال ضخمة كهذه تستلزم أموالاً جمة، تزيد على إمكانات الخزينة المحلية، فقد تسارع الموسرون إلى بذل الأموال للإنفاق على مستلزمات التحصين المختلفة. وعلى الرغم من أننا لا نملك معلومات عن الفئات التي أنفقت، ومقدار المبالغ المنفقة، ففي وسعنا القول أن الأمر شمل جميع البيوتات الموسرة، والتجار، وشيوخ الأصناف، وذلك أن حكومة الولاية قد اعتادت، في حالات الضرورة، دعوة أولئك الموسرين للإنفاق على المشاريع الخدمية ذات النفع العام، وهو ما عبر عنه القادري بقوله<sup>(1)</sup>:

بذلنا جهداً، وصرفنا مالا      لحفظ الأولاد والعبالا

إن مشاركة الموسرين بالتبرع من أجل الإنفاق على مستلزمات المعركة المقبلة يكشف عن حقيقة مهمة، وهي أن إعداد هذه المستلزمات لم يكن يجري على سبيل السخرة، مع أنه لو جرى ذلك لما عُد الأمر غريباً، فالمعركة قادمة والدفاع عن المدينة واجب أهلها، إلا أن المبادئ، على نبها، لم تكن مبرراً للتجاوز على الحقوق.

## تأمين الغذاء

ويعد أن أنجزت أعمال التحصين والحفر، واستردت المدينة منعتها، أسرع الشعب، بتوجيه من قيادته، في حملة حصاد الغلال، بهدف خزن الغذاء الكافي للسكان في أثناء الحصار المقبل. ولم تكن الحملة بالأمر الميسر بأي حال، فحصاد كميات ضخمة من القمح في مساحات واسعة من الحقول، وبسرعة استثنائية مع ضيق الوقت، ثم نقلها، وهذا الأصعب، من القرى التي في شرقي الموصل إلى المدينة عبر جسر عائم وحيد، كان أمراً صعباً، لا سيما وأن هذا الجسر كان مشغولاً في الوقت نفسه بعبور أعداد كبيرة من أهل تلك القرى الفارين إلى المدينة للإحتماء بأسوارها، ومنهم عيال وأطفال لهم «عويل وصراخ». ويصور القادري هذه الحملة على أنها كانت صورة أخرى من صور التلاحم الشعبي، منقطع النظر، إذ قال<sup>(2)</sup>:

فأخرج الناس إلى الحصاد      أجابوا بالسمع بلا عناد

(1) المصدر نفسه ص 11.

(2) المصدر نفسه ص 13.

وقال: دوسوا<sup>(1)</sup> ثم ذروا وانتقلوا غلتكم وأحذروا نصحي تهملوا

مما دل على أن الذين قاموا بحملة الحصاد الكبرى تلك، لم يكونوا من فلاحي القرى فحسب، وإنما شاركهم من خرج إليهم من جماهير المدينة، وهم الذين سبق أن شاركوا في حملة البناء والتحصين من قبل. ولم تقتصر عملية خزن الغذاء على القمح فحسب، وإنما تم نقل كميات كبيرة من الخشب ربما بوصفها مصدر طاقة للطبخ ونحوه، فضلاً عن البقول<sup>(2)</sup>.

وحينما تفتق ذهن نادرشاه عن خطة جديدة تعتمد على إضعاف معنويات الموصليين عن طريق قطع مياه الشرب عنهم، بتحويل مجرى الماء الذي منه يستقون، لم يعدم الشعب توفير هذه المياه من مصادر أخرى مختلفة، ومن ثم «بقي الجميع كما كانوا في طابيات الحصن الحصين معتمدين بالصبر الجميل»<sup>(3)</sup>.

### إعداد السلاح

وجرياً على أسلوب تنظيم الحملات الشعبية، جرى إعداد حملة أخرى لإصلاح قطع السلاح المتوفرة في المدينة، ومن الراجح أن هذه الحملة شملت آلات الحصار، كما وصفها تقرير الوالي القازيقي، فضلاً عن المدافع والأسلحة النارية والعادية الأخرى<sup>(4)</sup>. وبدل توزيع الوالي قطع السلاح من (التفك)<sup>(5)</sup> والسيوف على الجماهير وتقسيم كميات البارود فيما بينها<sup>(6)</sup>، عن طبيعة المعركة كما فهمتها القيادة والجماهير معاً، فمسؤولية الدفاع لن تكون على عاتق الجيش النظامي وحده المتمثل بفرق الإنكشارية فحسب (رغم أن هذه الفرق لم تعد إلا أهل الموصل حصراً)، والحرب لن يتولاها الجنود المحترفون على الأسوار وفي الأبراج الحصينة، وإنما هي معركة الشعب كله، وعلى هذا ينبغي للسلاح أن يكون بأيدي الجميع، دونما تمييز.

(1) داس الزرع، تعبير عامي موصلي، بمعنى درسه.

(2) في النسخة المطبوعة من أرجوزة القادري ورد اللفظ بشكل (ثقل) ولكن المحقق ذكر أنه في نسخ أخرى من الأرجوزة ورد بشكل (بقل) ونرى أن اللفظ الأخير هو الأنسب للسياق.

(3) تقرير حسين باشا ص 283.

(4) ملحمة الموصل ص 13

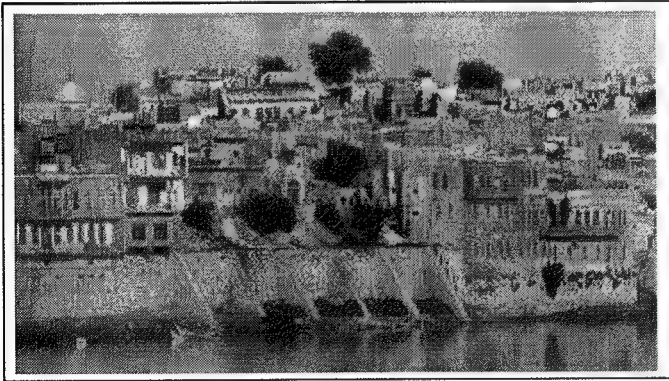
(5) التفك والتفك: البندقية والبنادق.

(6) المصدر نفسه.

## التطوع الشعبي للقتال

ويمكن القول أن جميع ما حدث بعد ذلك من وقائع كان يعبر بجلاء عن حالة نادرة من التماسك الاجتماعي، فلم نسمع بانتفاء غير الإلتواء إلى المدينة، ولم يكن ثمة هدف إلا الثبات ودفع العدوان. واندمجت قوى الشعب المسلحة، والقوات النظامية والقيادة العليا، بحيث يعسر على الباحث أن يضع أي خط فاصل بين هذه القوى، ولاشك في أن القوات النظامية لم تكن تكفي للمقاومة الفعالة، فهذه القوات لا تزيد على ستة آلاف أو سبعة آلاف مقاتل في أقصى تقدير، بينما احتاجت الموصل إلى عدد يفوق هذا بأضعاف لتواجه جيشاً قدر بنحو ثلاثمائة ألف جندي. ولما كان عدد السكان في داخل المدينة قد بلغ نحو (50000) نسمة<sup>(1)</sup>، يضاف إليهم من قدم إليها من أهل القرى<sup>(2)</sup>، فإن المجموع كان يصل إلى (70000) أو (80000) نسمة. ونستطيع القول بأن عدد من كان يستطيع حمل السلاح من هؤلاء كان لا يقل عن (20000) أو (30000) رجل، وهو أقصى ما تستطيعه مدينة محاصرة أن توفره من جنود، وهكذا فقد كانت الموصل كلها في المعركة، وقد كشفت مجريات الحصار والعمليات العسكرية التي رافقته عن أهمية هذا العامل في رسم نتائج جميع الوقائع وصفحاتها المتعاقبة.

ولما لم يكن جميع المتطوعين مدربين على استعمال السلاح، لا سيما في مثل هذه المعركة الحاسمة، فقد عمدت القيادة الموصلية إلى تكليف فئة من العسكريين «يُعلِّمون طرق الجهاد» ويهدون ناساً سبل الرشاد<sup>(3)</sup>.



جانب  
من  
محلات  
الموصل  
القديمة

(1) كتابنا: الموصل في العهد العثماني ص 318-319.

(2) حبش بن جمعة: مذكرات خطية نشرها روفائيل بيداويد في ملاحق مذكرات لانزا: الموصل في القرن الثامن عشر ص 94.

(3) ملحمة الموصل.

## المشاركة في القتال

ويبرز دور (العساكر) النظامية في معركة الخيالة الخفيفة التي جرت عند مشارف الموصل بين (عساكر الإسلام المنصورة) بقيادة عبد الفتاح الجليلي (700 أو 800 فارس)، أخي والي الموصل وبين قوة كبيرة من الجيش الإيراني، قدرت بنحو عشرة آلاف مقاتل، وفيما عدا هذه المعركة، لم يعد ثمة دور مستقل لهذه القوات<sup>(1)</sup>، إلا بوصفها جزءاً من قوى المدينة كلها، العسكرية والمدنية على حد سواء، ولم نعد نسمع إلا إشارات إلى (الناس) و(أهل الموصل) و(رجال الموصل) و(الجميع).

لقد استتفر الوالي الجليلي الشعب للقتال، فخرج الجميع حاملين ما يملكون من أنواع السلاح.

ويقول القادري عن لسان حسين باشا الجليلي:

فَقُومُوا يَا قَوْمِي إِلَى السِّلَاحِ      وَصَاحَ فِينَا صَائِحُ: الْفَلَاحِ!  
وَأَعْطِيَ لِكُلِّ مِقَاتِلٍ دَوْرَهُ فِي الْمَعْرَكَةِ، فَلَمْ يَكُنْ ثَمَّةَ جُزْءٍ مِنَ الْأَسْوَارِ إِلَّا وَعَلَيْهِ مِقَاتِلُ:

وَرَتَّبَ النَّاسَ عَلَى الْبُرُوجِ      وَمَا تَرَى فِي السُّورِ مِنْ فُرُوجِ  
وحيثما بدأ نادرشاه هجومه بقصف المدينة «بالمدافع الكبار والقنبر»<sup>(2)</sup> في 8 شعبان 1156هـ/25 أيلول 1743م، كان أهل الموصل على الأسوار، مرابطين في الليل والنهار، لا يفترقون عن الاستغفار. ولم تميز إطلاقات الجيش الهاجم بين أحد من أهل الموصل، فقد صارت المدافع تطلق قنابلها من إثني عشر جانب على داخل المدينة. ويصف تقرير رسمي أثر تلك الإطلاقات بقوله إن «قطعها الهدامة للبيوت تسلب الراحة، وأصواتها الشبيهة بالصواعق تمثل حلول يوم القيامة»<sup>(3)</sup>. ووصف مؤرخ موصل أن الناظر كأنه كان يرى «أن السماء أمطرت ناراً على الأرض، وهاجت

(1) في تقرير حسين باشا (ص 281) إشارة إلى أن هذه القوات كانت تضم قوات من الدلاة (جمع دلي وهي كلمة تركية تعني حرفياً المجنون)، ويقصد بهم المندفعون في خوض غمار المعركة، واللوند، وهي فرقة من القوات المجندة محلياً، وأغوات الأندرون، أي الضباط التابعون للسراي، إلا أن هذه الأسماء لم يعد لها أي ذكر في صفحات القتال التالية.

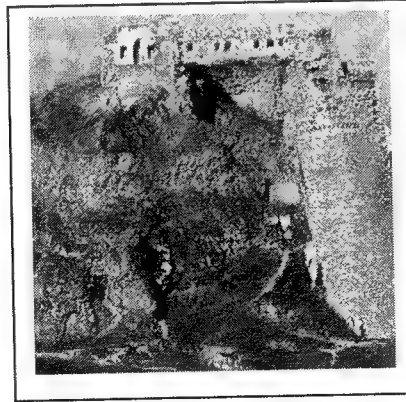
(2) زبدة الآثار الجليلة ص75

(3) هذا التقرير رفعه كل من محافظ الموصل حسين باشا القازيقجي، ووالي الموصل الحاج حسين باشا الجليلي، ملاحق منية الأدباء ص277.

الحرب، وماجت الأرض، وعلا الصراخ، وكثر الرعد كالصواعق». وذكر أن هذه الإطلاقات هدمت كثيراً من الدور، و«دثرت بيوتاً لا يحصى لها عدد وأهلكت أنفساً كثيرة»<sup>(1)</sup>. ولكن آثارها على الروح المعنوية للشعب كانت مختلفة تماماً، يقول هذا المؤرخ «ومع ذلك ما هالت قلوب الناس الغازين (أي المجاهدين) بل كلما زاد عليهم شديد ضرب المدافع والقنابر، إزدادوا شجاعة وثباتاً، وعلت أصواتهم بالتكبير والتوحيد للجليل الجبار إلى أن صاروا يَعمون في بحر من نار كمثل طيور السمندر»<sup>(2)</sup>.

### الالتفاف الشعبي حول القيادة

وبعد ثلاثة أيام من القصف المتواصل، لاح للعيان فشل الصفحة الأولى من الهجوم في ترويع السكان بالقنابل لحملهم على الاستسلام، وافتتح نادرشاه الصفحة الثانية بتكثيف الهجوم بالمدفعية الثقيلة على برج (باشطابية) الأثري، حيث مقر القيادة الموصلية، وتمكنت قواته من إحداث ثغرة جسيمة فيه «تمكن الخيالة من اجتيازها فضلاً عن الرجالة»، فكان أن أمر الوالي الجليلي بسد الثغرة على الفور، وتولت فرقة مُعدة لهذا الغرض من البنائين، تسمى (المعمارية) العمل، فضلاً عن سائر (الناس) وجازف هو بنفسه «وأحجار السور تهوى عليه كالطر»<sup>(3)</sup> ليحثهم على الإسراع بسد الثغرة، «فكلما انفتح جانب من السور سدوه بغرارات التراب، ووضعوا أجسام القتلى بدلاً من الحجارة» فأنقذت شجاعته، فضلاً عن الموقف الشعبي المساند، الموقف، وتم إحكام البرج من جديد.



برج باش  
طابية حيث  
مقر قيادة  
الحاج  
حسين باشا  
الجليلي

(1) منهل الأولياء ج1 ص 154 و155.

(2) المصدر نفسه. وتقرير حسين باشا الجليلي ص282.

(3) المصدر نفسه ج1 ص156.

وتوالى هدير المدافع خمسة أيام أخرى دون انقطاع، قُدِّر ما ألقى على الموصل خلالها بأربعين ألف أو خمسين ألف قنبلة مدفع، ومائة ألف قذيفة هاون، وكان الوالي الجليلي «من أول الليل إلى النصف الأول يدور حول البلد والبروج، ويقوي المجاهدين من الغزاة والثبات على الأعداء»<sup>(1)</sup> ثم يقوم ولداه مراد ومحمد أمين بالسهر على الحصون حتى الصباح.

وازاء مقاومة الموصلين واستعدادهم عمد الإيرانيون إلى تكتيك عسكري كان متبعاً في حصار المدن المنيعه في ذلك العصر، وهو حفر أنفاق طويلة تحت الأرض، تتصل بأسس الأسوار، تسمى (ألفاماً)<sup>(2)</sup> وتحشيتها بالبارود وتفجيرها لهدم تلك الأسوار، وهكذا فإنهم حضروا أنفاقاً من ناحية مرقد الشيخ قضيبي البان، في خارج باب سنجار، وحشوها باروداً، إلا أن ذلك لم يؤد إلى الغاية المرجوة، إذ انفجر نفقان على الذين فوقهما، ولم يصل أثرهما إلى دعائم سور الموصل، فزاد ذلك في ارتفاع معنويات المدافعين، و«ثبت أهل الموصل أحسن ثبات»<sup>(3)</sup>. ويصف القادري حال أهل الموصل في تلك الأيام الحاسمة بقوله<sup>(4)</sup>:

فالتجأ الناس نعم للسور	وفوضوا الأمر إلى الغيور
وأخلصوا لله بالنيات	ووطنوا الروح على الثبات

### قتال النفس الأخير

ولما لم يجد القصف، ولا قطع المياه، ولا إطالة أمد الحصار، في الفت في عضد الجماهير المدافعة عن مدينتها، بدأت الصفحة الثالثة والأخيرة من العدوان، وذلك بالهجوم الكبير على الأسوار بأفواج كثيرة من الجند، تحمل نحو ألف سلّم عال أعدت لتسلقها، وفي الواقع، فإن جماهير الموصل عبّرت في صد هجوم السلالم هذا عن أروع معاني البسالة والتماسك الاجتماعي، فحينما صد الجنود في الأسوار والمزاغل هجوم متسلقي السلالم بوابل من نيران بنادقهم، وبالقنابل

(1) منهل الأولياء ج 1 ص 155.

(2) أصل كلمة لغم: لقم، لأن البارود كان (يلقم) في أفواه الأنفاق.

(3) المصدر نفسه ص 103.

(4) ملحمة الموصل ص 14.

اليديوية، وبالسلاح الأبيض، بل والحجارة<sup>(1)</sup>، وأوقعوا بمن كان في الخنادق، هبطت جماعات من الموصلين لتفتك بمن وجدوهم في أسفل السور، فدارت معارك في الخندق «بالخناجر والسيوف»، وجرى سحب سلالم المهاجمين من على السور، «وكان كل واحد منهم كأنه أسد ضار»<sup>(2)</sup>. ويصف مؤرخ معاصر، هو محمد أمين العمري، تلك الساعات العصيبة من تاريخ الموصل بقوله<sup>(3)</sup>:

فنزّل المسلمون وانقضوا عليهم انقضاض الشهب على الشياطين، وأعملوا فيهم السيف البتار، وفتكوا منهم ما لا عدد له، ولحق الغازون من خارج السور أثر الملحدين، كأمثال الذئاب، وقتلوا منهم ما لا يحصى عددهم، وأوقعوهم بالذل والخيبة، وكان يوماً على الكافرين عسيراً

أذابت حمى الدفاع عن المدينة والاستبسال المتناهي عن كل حجر فيها، كل فرق بين من هو جندي في الجيش، وبين من هو فرد عادي من العامة، فلم نعد نقرأ عن جنود نظاميين، وإناس متطوعين، وإنما نقرأ عن (مسلمين) و(غزاة) و(شجعان موحدين) فحسب، يقاتلون بوصفهم كتلة متراسة واحدة.

وفي مساء ذلك اليوم «هبت نسائم النصر»<sup>(4)</sup> إذ تأكد لنادرشاه، بما لا يقبل الشك، خسارة جيشه المعركة نهائياً، وعدم جدوى الوقوف تحت أسوار المدينة الصامدة، لتلقي المزيد من الخسائر، بينما كانت بوادر التملل السياسي قد أخذت تبين في داخل إيران نفسها. وفي اليوم التالي جرت مفاوضات قصيرة حول الانسحاب، أريد بها الحفاظ على ما تبقى من ماء وجهه إزاء جنده<sup>(5)</sup>، وبانتهاء ذلك، شرع الجيش الإيراني بالانسحاب غير مُخْلَف وراءه إلاّ ذكريات الفشل والهزيمة المرة<sup>(6)</sup>.

(1) تقرير حسين باشا، مصدر سابق ص282. وياسين العمري: الدر المكنون، الورقة 594.

(2) تقرير حسين باشا ص286.

(3) منهل الأولياء ج1 ص159.

(4) تقرير حسين باشا ص288.

(5) وافق نادرشاه على إخلاء جميع الأراضي التي احتلها. رسول حاوي الكركوكلي: دوحة الوزراء س51.

(6) انسحب نادرشاه عن الموصل في 4 رمضان 1156هـ/21 تشرين الأول 1743م. ياسين العمري: غاية المرام في تاريخ محاسن بغداد دار السلام ص182.



نادرشاه

### خاتمة

لقد كشفت مجريات معركة حصار الموصل سنة 1156هـ/1743م عن أنها كانت - بالدرجة الأولى- معركة شعب يدافع عن وجوده، ماضياً وحاضراً ومستقبلاً، وجميع ما ادعاه نادرشاه من أسباب الحرب، كشف الشعب بطلانه وزيفه. ولقد أدرك الموصليون، منذ اللحظة الأولى، أن الدفاع عن مدينتهم يبقى مسؤوليتهم هم، قيادة وجيشاً وشعباً، قبل أن تكون مسؤولية السلطان العثماني. لذا فقد استمات الجميع، دون انتظار لجيش أو مدد عثماني، من أجل الدفاع عن مدينتهم، ولذلك فإن النصر كله كان للجماهير الموصلية، على اختلاف أطرافها. ولم يجد مُعد التقرير الرسمي عن الحصار من فضل يُعزيه إلى السلطان سوى (دعواته المباركة) (1).

لقد كانت- كما سماها باحث معاصر<sup>(1)</sup> بحق- (ملحمة الموصل) كل الموصل، وهي بذلك تعد أنموذجاً نادراً لمدى ما يمكن أن تؤديه روح المدينة، المعبرة عن تماسك جماهيرها ووحدتها، من دور مؤثر في الاستجابة للتحديات<sup>(2)</sup>.

(1) المرحوم سعيد الديوه جي، صفحة العنوان لأرجوزة القادري سنة 1965.

(2) ذكر الأديب البغدادي محمد بن عبد الغفور الرحبي في ترجمته للسيد عبد الله الفخري أن له منظومة «في وقائع نادرشاه وما نتج منها ومحاصرته للحدباء ورحيله عنها وعدم نيله منها ما أراد، ولم يحصل له مُتمناه ومُراد، إذ هي محروسة بعين عناية الملك المتعال، والأفهي وقعة تشيب لها الأطفال، وتذك الجبال، وتذهب العقول، وتحير الفحول، وقى الله شرها، وبرد حرها، ودفع ضررها، فآلف هذا الفاضل الذي فاق الأوائل هذه الأرجوزة، وجعلها ميدان تلك الوقعة والحروب والنوائب». غاية المشتاق في علماء العراق (مخطوط)

## أضواء على انتفاضة الموصل المنسية سنة 1839 م

عاش المشرق العربي إبّان إعادة الحكم العثماني المباشر إليه في الثلث الأول من القرن التاسع عشر، منعطفا مهما في تاريخ تطوره السياسي والحضاري العام، تمثل بزوال حكوماته المحلية شبه المستقلة عن الإدارة العثمانية المركزية، ومن ثمّ ضياع آخر أمل بالاستقلال. ونتيجة لانفتاح البلاد على التجارة الرأسمالية الأوربية، قُضي على إمكانات تطورها الإقتصادي المستقل، ومهدّ الطريق لهيمنة اقتصادية أجنبية متزايدة، سرعان ما اتخذت بُعداً سياسياً ملحوظاً، واقتترنت بجملة من الظواهر الاجتماعية المعقدة.

ومن ناحية أخرى شهد المشرق العربي قيام دولة محمد علي في مصر، بما تمثّله من روح عصرية جديدة، ووصول الجيش المصري بقيادة إبراهيم باشا بن محمد علي إلى بلاد الشام، وإحرازه الإنتصارات السريعة على القوات العثمانية؛ ليضم هذه البلاد إلى مصر في دولة واحدة، ومن الطبيعي أن تؤدي تلك المتغيرات الجديدة إلى بعث الأمل لدى الفئات العراقية المعارضة لإعادة الحكم العثماني المباشر، للتخلص من السيطرة العثمانية، وهكذا فقد شهدت مدن العراق قيام انتفاضات شعبية متعددة، عبرت في واقع الأمر عن رفض السكان عودة السيطرة المباشرة على مدنها، بما تعنيه من أبعاد سياسية واقتصادية واجتماعية مختلفة، وقد بلغ من عنف هذه الانتفاضات وامتدادها، أنها كادت - في بعض اللحظات - أن تقضي على الوجود العثماني نفسه، أو أن تخرجه إلى حد كبير، كما تدل مجرياتها على اختصاصها بقيادات ذات تجربة ويأس، وحسن تقدير للمواقف السياسية عهد ذلك، ففي بغداد شبت الثورة في الجانب الشرقي في 27 ذي الحجة 1247 (آخر أيار 1832 م) بزعامة مفتي المدينة عبدالغني آل جميل<sup>(1)</sup>

وتشير التقارير إلى أن نصف أهل بغداد كانوا في ثورة على واليها علي رضا باشا اللاط (1247-1258هـ / 1831 - 1842م)<sup>(2)</sup> (ولم يتم القضاء على الثورة إلا بعد

(1) عباس العزاوي؛ تاريخ العراق بين احتلالين، 14/7.

(2) دار الوثائق القومية والتاريخية بالقاهرة، محفظة 238 عابدين، وثيقة رقم 68 تقرير لوحيد أفندي عن يوم 8 ربيع الآخر 1248هـ/4 تشرين الاول 1832م.

قصف مراكزها بالمدفعية، والتتكيل بالثوار، وحرّق دُورهم<sup>(1)</sup>، ولم تكد الثورة أن تنتهي حتى نشبت ثورة أخرى في الجانب الغربي من بغداد، قامت بها عشيرة عقيل النجدية التي سبق وأن اتّفق زعمائها مع القيادة المصرية في الشام، ونجح علي رضا في القضاء على الثورة بعد استعمال مدفعيته مرة أخرى<sup>(2)</sup>.

وفي البصرة شكل الثوار قيادة جديدة تحت زعامة عزيز آغا متسلم المدينة السابق، وحاول الأخير إزاحة علي رضا باشا عن حكم بغداد بالقوة<sup>(3)</sup> إلا أن محاولته لم تنجح بسبب الأوضاع الدولية<sup>(4)</sup>.

تدل الشائعات التي انتشرت بين الناس في تلك الآونة على مدى ضعف السلطات العثمانية، وحراجة موقف علي رضا، فقد أُشيع أنه اعتصم بقلعة بغداد<sup>(5)</sup>، وأنه فرّ من المدينة<sup>(6)</sup> وأنه لقي مصرعه<sup>(7)</sup>، وأن أهل بغداد عزلوا الوالي الذي نصبته الدولة العثمانية عليهم، وعينوا مكانه والياً من بينهم؛ إبرازاً لملهم إلى مصر<sup>(8)</sup>، ولم تقتصر الثورة على المدن الرئيسية فحسب، وإنما امتدت إلى ما سواها من المدن والقصبات، فأظهر متسلم (عانه) طاعته للحكومة المصرية، وأعلنت (هيت) انضمامها إلى جانب مصر<sup>(9)</sup>، فزاد ذلك من حراجة الموقف العثماني في بغداد، حتى قيل: إن «كل البلاد الواقعة بين بغداد وحلب منتظرون قدوم العساكر المصرية المنصورين»<sup>(10)</sup>، وأكد

---

(1) العزاوي؛ المصدر السابق 15/7، وعبدالعزیز سلیمان نوار؛ تاريخ العراق الحديث، (القاهرة 1968)، 452.

(2) الوثائق القومية، محفظة 246 عابدين، وثيقة 65 بتاريخ غرة شعبان 1248هـ/ 24 كانون الثاني 1832م والعزاوي؛ المصدر السابق 29/7، وانظر: عبدالرحمن حلمي السهروردي؛ تاريخ بيوتات بغداد في القرن الثالث عشر للهجرة، بتحقيقنا (بغداد 1996) ص71.

(3) 1832هـ/ أيار 1248 في محرم 198 ووثيقة رقم 235 لوثائق القومية، مدفظة

(4) العزاوي؛ المصدر السابق 25/7.

(5) الوثائق القومية، محفظة 235 الوثيقة السابقة.

(6) الوثائق القومية، محفظة 250 الوثيقة رقم 480 في 2 ذي الحجة 1250هـ/ 2 أيار 1835.

(7) الوثائق القومية، محفظة 235 وثيقة رقم 198 محرم 1248هـ/ أيار 1832م.

(8) الوثائق القومية، دفتر معية تركي وثيقة 823.

(9) الوثائق القومية، محفظة 238 عابدين، الوثيقة العربية رقم 262 مراسيم إلى شيوخ القبائل

العراقية في 24 ربيع الآخر 1248هـ/ أيلول 1832م.

(10) الوثائق القومية، محفظة 238 عابدين، وثيقة 68 تقرير وحيد أفندي في 8 ربيع الآخر

1248هـ/ 4 تشرين الاول 1832م.

التقرير الذي رفعه قنصل إنكلترا في بغداد «أن هذه الولاية هي الآن في أشد حالات البؤس والضيق تحت حكم علي باشا، وأنظار الشعب العربي متجهة في المحبة نحو إبراهيم) يريد: إبراهيم باشا قائد الجيوش المصرية في الشام<sup>(1)</sup>»

وفي الموصل كانت الأسرة الجليلية التي حكمت الموصل مدة قرن تقريباً<sup>(2)</sup>، تتحين الفرص لاسترجاع حكمها بعد أن أودت السياسة العثمانية المركزية بحكم آخر ولايتها يحيى باشا الجليلي، وقد أقام الأخير في حلب متابعاً أخبار تقدم الجيش المصري، وهزائم العثمانيين إزاءه، ويظهر أن اتفاقاً قد جرى بينه وبين القيادة المصرية بوساطة حليفه الشيخ صفوك الفارس شيخ مشايخ شمر الجريا؛ إذ ما أن قارب إبراهيم باشا دخول حلب، حتى غادرها يحيى باشا متجهاً مع حليفه صفوك نحو الموصل، وكانت المدينة تعيش فترة قلق واضطراب آنذاك بسبب عجز الدولة العثمانية عن حمايتها إزاء الأخطار المجاورة<sup>(3)</sup>.

وتشير بعض الوثائق إلى أنه «استولى على الموصل بمساعدة بعض سكانها<sup>(4)</sup>»؛ مما دلّ على وجود كتلة، أو حزب، مؤيد له في الثورة على الدولة العثمانية، وإن هذا الحزب كان من القوة؛ بحيث لم يبق بيد المتسلم المنصوب من قبل علي رضا إلا حي واحد فقط، وهو قريب من السقوط، وأن يحيى باشا أعلن بصراحة أنه يحكم الموصل بأمر من دولة إبراهيم باشا لا بأمر الدولة العثمانية<sup>(5)</sup>.

وإذ يذكر الوكيل السياسي البريطاني في بغداد الكولونيل تايلر Taylor، أنه كان في الموصل حزب قد أخذ جانب مصر<sup>(6)</sup>، فمن الراجح أن يكون هذا الحزب هو الذي استند إليه يحيى باشا في فرض سيطرته على المدينة، ولم يستطع العثمانيون القضاء

(1) من تايلر القنصل الإنكليزي في بغداد إلى كامبل القنصل الإنكليزي في الإسكندرية، بتاريخ 6 تشرين الثاني 1833؛ داود بركات: البطل الفاتح إبراهيم 94.

(2) انظر عن حكم هذه الأسرة لولاية الموصل كتابنا: الموصل في العهد العثماني، فترة الحكم المحلي، النجف 1975.

(3) المصدر نفسه، ص 202 - 203.

(4) الوثائق القومية، من إبراهيم باشا يكن إلى إبراهيم باشا بن محمد علي في 9 جمادي الأول 1248هـ/ 4 تشرين الثاني 1832، محفظة 239 وثيقة رقم 73.

(5) الوثيقة نفسها.

(6) عبدالعزيز نوار؛ تاريخ العراق الحديث، القاهرة 1968، ص 194.

على حكمه إلا بعد اتباعهم سياسة إشغال حليفه صفوك في نزاعات قبلية مستمرة<sup>(1)</sup>، ويعزله ثم القضاء على آخر الحكومات المحلية شبه المستقلة في العراق، وفرضهم الإدارة المباشرة عليه.

وكنا لا نعلم مصير هذا الحزب المؤيد لزعامة الجليليين، ولإدارة المصرية في الشام، بعد انتهاء حكم يحيى باشا الجليلي، حتى وقفنا على وثيقة مهمة تتضمن تقريراً سرياً بعث به أحد ضباط الجيش المصري إلى إبراهيم باشا في الشام سنة 1255هـ/1839م، تحدث في بعض فقراته عن انتفاضة كبيرة قام بها الموصليون في تلك السنة، وقد جاء في التقرير ما يأتي<sup>(2)</sup> «جواب الشيخ الموما إليه (هو حمود جَسَّار) الأول بخصوص علي باشا (اللاظ) ، فإنه بتاريخ 35 ص (صفر 1255 )، قد وكل بغداد فريق باشا<sup>(3)</sup> وملا علي<sup>(4)</sup>، وهو توجه إلى الموصل بينه وبين بغداد مقدار اثني عشر يوماً، ومعه من العساكر مقدار سبعة آلاف من الجهادية وغيرهم، وكان وصوله في ثاني من ربيع الأول، وحصل بينه وبين أهل الموصل وقعة، فقتل من أعيانهم اثنين وسبعين شخصاً، وسيّر من العلماء سبعة إلى نواحي البصرة من دون ذنب، غير أنه يخبر على أنهم كاتبوا سعادة أفندينا إبراهيم باشا، ومبغضون إلينا...»

فهذا النص يكشف على أن (الوقعة) المذكورة لم تكن - في حقيقة الأمر - إلا انتفاضة شعبية عارمة، شارك فيها عدد كبير من أعيان المدينة وزعمائها؛ لأنه ليس مألوفاً أن يُعدم هذا العدد الكبير منهم، ما لم تكن قد شملت المدينة بأسرها، وباتت تهدد الوجود العثماني هناك نفسه.

وتدل معاقبة العلماء بنفيهم إلى البصرة، على مشاركتهم الفعلية في حوادث الانتفاضة؛ إذ لولا تلك المشاركة وجديتها، لما تعرضوا إلى النفي والتباعد، ولقد حاول

(1) الموصل في العهد العثماني، 206.

(2) الوثائق القومية، محفظة 267 عابدين، وثيقة حمراء من خورشيد إلى الباشمعون في غرة جمادي الآخرة 1255هـ/ 12 آب 1839.

(3) لم تقف على هوية فريق هذا في مصادر الحقبة.

(4) هو المعروف بالملا علي الخصي، وكان يتولى وظيفة (كتخدا الحرم)، فقدمه علي رضا باشا وجعله بمنزلة قائد الجيش، ومسؤولاً عن ضرائب العشائر، واشتهر بظلمه؛ العزاوي المصدر السابق، 49/7.

والي الموصل العثماني تطبيق التجنيد الإجباري، مستهدفاً تحقيق أمرين معاً، أولهما : زيادة القوات العثمانية المتجهة لإسناد الجهد العسكري الرئيس في أعالي الفرات ضد الجيش المصري بقيادة إبراهيم باشا، وثانيهما : التخلص من القيادات الموصلية السابقة، والمؤيدة لحكم الجليليين، وضرب زعامتها بالقضاء على تشكيلاتها العسكرية، فكان ذلك كله من الأسباب التي أدت إلى سرعة انتشار الانتفاضة وعنف مواقفها من السلطة المذكورة.

كما يكشف التقرير أيضاً عن أن زعامة الإنتفاضة كانت تتصل سراً بواسطة الرُّسل، بقيادة إبراهيم باشا؛ بغية تنسيق المواقف بينهما، وهذا يدل على أنه كان للزعامة المذكورة تقديرها للظروف الخارجية، ورغبة في توظيف الظروف لصالحها، وفي الواقع فإن توقيت الانتفاضة نفسه يدل على دقة هذا التنسيق، فهي قد حدثت في أواسط شهر صفر سنة 1255هـ الموافق لأوائل أيار من سنة 1839م، وفي هذا التاريخ كان إبراهيم باشا في حلب يهيئ قواته العسكرية وحلفاءه من القوى المحلية العربية للقاء العثمانيين في نزيب (في الغرب من بيرة جك) حيث دارت - بعد أقل من شهرين<sup>(1)</sup> - المعركة الشهيرة المنسوبة إلى هذا المكان (24 حزيران 1839م).



ابراهيم باشا في مقدمات معركة نزيب

وبالنظر لقرب الموصل من حلب، ووجود قوى حليفة فيها لها تجربة سابقة في الانتفاض على الحكم العثماني أيام ولاية يحيى باشا الجليلي الأخيرة - فإن من المعقول أن تكون ثمة اتصالات قد جرت بين القيادة المصرية في حلب، وزعامة

(1) انظر: عبدالرحمن الرافعي؛ عصر محمد علي (القاهرة ط3، 1951)، 310 - 323، وببير كريتيس؛ إبراهيم باشا، (ترجمة محمد بدران القاهرة 1937)، ص 229-248.

الانتفاضة في الموصل لتوقيت القيام بتلك الانتفاضة، على ما يشير إليه التقرير المذكور؛ إخراجاً للموقف العسكري العثماني بوجه عام.

وإذا كان هذا التقرير قد كشف - على سبيل الإجمال - عن حدوث الانتفاض على الحكم العثماني أيام ولاية يحيى باشا الجليلي الأخيرة، فإن كثيراً من تفاصيله بقي غير معروف، يحتاج إلى مزيد من البحث والتقصي.

وكان من حسن التقدير أننا وقفنا في أثناء بحثنا عن وثائق بعض الأسر الموصلية القديمة، على نبذة تاريخية مخطوطة، ذات سمة أسرية، بعنوان (تاريخ آل السراج في الموصل)، نقلها السيد محمد بن داود السراج، في سجل كبير يحتفظ به في داره في مدينة الموصل<sup>(1)</sup>، فإذا بها تتضمن تفاصيل مهمة لم تُعرف من قبل عن هذه الانتفاضة الشعبية، وقد عزز السيد محمد بن داود هذه النبذة بتوضيحات مهمة - مما يحفظه بقوة حفظ ملحوظة - عن أسلافه، وعند دراسة هذه النبذة والروايات المكمل لها، تأكدت لنا أهميتها بوصفها تلقي ضوءاً جديداً على تلك الانتفاضة.

تدور معطيات النبذة حول شخصية قائد الانتفاضة، أو أحد أبرز قادتها، وهو عبد الكريم بن سبتي بن محسن، وكان سبتي هذا شيخاً على فخذ البوحمّد أحد فرعي قبيلة الخزاعل في القرن الثالث عشر للهجرة (التاسع عشر للميلاد)، وتشير شجرة نسب الخزاعل إلى أنه ابن محسن بن محمد بن حمد بن عباس بن محمد بن مُهنا<sup>(2)</sup>، وأكثر أبنائه تولّى مشيخة عشيرته، جيلاً من بعد جيل، يوم كانت تسيطر على جميع الأراضي الواقعة في الجهة اليسرى من فرات الديوانية (صوب الجزيرة) أيام عمرائها، وقد تولى هو رئاسة عشيرته بصورة رسمية سنة 1212هـ (1797م)<sup>(3)</sup> في حياة عمه حمّد الحمود شيخ الخزاعل ذائع الصيت،

---

(1) إن نسبه كاملاً هو: محمد بن داود بن محمد بن أحمد بن عبد الكريم بن جاسم بن عبد الكريم بن سبتي، وتقع النبذة في صفحتين، نقلها من أوراق خطية كانت لدى أسرته.

(2) كتابنا: الأسر الحاكمة ورجال الإدارة والقضاء في العراق في القرون المتأخرة (بغداد 1992) شجرة الخزاعل ص 208.

(3) كتابنا: الأسر الحاكمة ورجال الإدارة والقضاء في العراق في القرون المتأخرة، (بغداد 1992)، شجرة الخزاعل، ص 208.

وبينما تذكر بعض المصادر الخطية أن لسبتي ولداً اسمه ظاهر<sup>(1)</sup>، تشير النبذة الخطية إلى أن له ابناً آخر هو عبدالكريم المذكور<sup>(2)</sup>.

وفي الوقت الذي يشير فيه مؤلف غير معروف إلى «أن سبتي لقي مصرعه غريباً في نهر المُسرَّهَد (الغراف) سنة 1228هـ (1813م)، عندما كان في حرب على قبيلة المنتفق<sup>(3)</sup>، تصرَّح النبذة بأنه توفي في الموصل سنة 1243هـ (1827م)، وسبب هذا الاختلاف - على ما يوضحه السيد محمد بن داود راوياً عن أبيه - أن سبتي توجه بجيشه القبلي في أثناء المعركة التي حدثت بين المنتفق والعثمانيين، إلى مساندة المنتفق، وهناك حُوصِر من قبل القوات العثمانية النظامية والقوات القبلية المساندة لها، فاضطر إلى إلقاء نفسه بفرسه إلى نهر المسرهد (الغراف)، مما أدى إلى غرق الفرس، وعند بحث الخزاغل عنه، وجدوا فرسه ميتة على شاطئ النهر، فظنوا أنه غرق، أما سبتي نفسه، فإنه نجا من الموت ليقع أسيراً بأيدي القوات العثمانية، فأبعدته السلطات العثمانية إلى الموصل؛ حيث سُجِن هناك أحد عشر عاماً، والتحق به في تلك الأثناء ولده عبدالكريم وأمه، وكانت الأخيرة من قبيلة العبيد النازلة قرب الموصل آنذاك، فأقامت وولدها في منازلهم، وصادف أنه كان في صُحبة سبتي في سجنه أحد شيوخ العبيد الثائرين، وهو حسين آل هندي من إحدى حمائل فخذ البوشاهر من أفخاذ قبيلة العبيد<sup>(4)</sup>، فتوسط الأخير - بعد أن أطلق سراحه - لدى السلطات العثمانية لكي تغفو عن سبتي، وتم ذلك بالفعل سنة 1239هـ (1823م)؛ أي: بعد أن قضى في السجن نحو أحد عشر عاماً، ولم تمض إلا أربع سنين حتى توفي، فدُفِن في جامع إمام إبراهيم أحد جوامع مدينة الموصل القديمة<sup>(5)</sup>.

عاش عبدالكريم في كنف أخواله من البوشاهر العبيديين حتى بلغ رشده، فتزوج من إحدى بنات خاله، فأنجبت له طفلاً واحداً دُعي (جاسم)، وسكن هو في

(1) حمود الساعدي؛ دراسات عن عشائر العراق، الخزاغل (النجف 1974)، ص 115.

(2) المصدر نفسه، 65، عن كتاب مخطوط غير معروف المؤلف.

(3) شجرة عبدالكريم آل سبتي من عشيرة آل حمد المعروفين بآل السراج، (مخطوطة)

(4) حمود الساعدي؛ المصدر السابق، ص 64.

(5) يذكر عباس العزاوي (عشائر العراق 143/3) أن رئيس آل هندي كان يُقيم في عهده في منطقة الحويجة.

مدينة الموصل في محلة من محالها تُعرف بالكّاوي<sup>(1)</sup>، وهناك اشتهر أمره، وذاعت بين الناس أخبار كفاءته وشجاعته، فاختره أهل المحلة شيخاً لهم، على الرغم من أنهم كانوا من عشائر مختلفة، أهمها الزهيرات والشهوان، والبوحمدان والبُدش<sup>(2)</sup>، وغيرهم .

وكانت محلة الكّاوي تُعدّ واحدة من المحلات التي اتخذت منذ القرن الثاني عشر (الثامن عشر للميلاد) موطناً لإحدى أكبر فرقتين إنكشاريتين في الموصل، وهي الفرقة السابعة والعشرون، المعروفة بالتركية باسم (يكرمي يدي)<sup>(3)</sup>، وبموجب ما أصاب نظام الإنكشارية نفسه من تغير، وانقطاع إمداده بالجند الجديد منذ زمن بعيد، فقد أصبح منتسبو هذه الفرق هم أهل المحلات التي توجد فيها حصراً، بمعنى أن الفرق لم تعد تمثل إلا مصالح السكان أنفسهم - من تجار، وحرفيين، وأصحاب المهن الأخرى - ومن هنا يفهم سبب ولائها لزعامة الجليليين المحلية طيلة قرن كامل من الزمن، ولم يؤدي الإلغاء الرسمي لنظام الإنكشارية سنة 1241هـ (1825م) إلى زوال أسماء هذه الفرق، وإنما ظلت لحين تمثل القوى المسلحة لأبناء المحال التي كانت تتشكل منها، وهكذا فقد عدّ عبدالكريم بن سبتي بموجب زعامته لأهل محلته، زعيماً للفرقة (يكرمي يدي) أيضاً، وإذ كان لكل فرقة أو محلة علمها الخاص، أصبح عبدالكريم يسمى (بيرقداراً)، فهو زعيمها وحامل رايتها في أثناء الملمات، وممثلها لدى القوى الأخرى.

وفي الواقع، فإن لهذه الفرقة تراثها العسكري الحافل في إسنادها لزعامة الجليليين، ومن المرجح أن تكون هي التي أسندت يحيى باشا الجليلي عند

---

(1) يقع هذا الجامع في محلة تنسب إليه، فيقال له: محلة الإمام إبراهيم، وإبراهيم هذا هو الأمير إبراهيم السهراني الجراحي، وكان معاصراً للشيخ عدي بن مسافر، وهو الذي أنشأه، وفي الجامع مقبرة فيها بعض قبور متأخرة لآل الصابونجي وغيرهم، ولم أعثر بينها على قبر سبتي الخزعلي، فالظاهر أنه اندرس منذ عهد سابق، انظر نيقولا سيوفي: مجموع الكتابات المحررة في أبنية مدينة الموصل؛ تحقيق سعيد الديوهجي (بغداد 1956)، 70 - 72.

(2) لمّا تزل داره موجودة حتى اليوم، إلا أنها قُسمت - بحسب الإرث - إلى عدة دُور، وقد ظل أحفاده من آل السراج يقيمون فيها حتى السنين الأخيرة، وانظر عن محلة الكّاوي: أسامة

غاندي، على موقع البيت الموصلية

(3) البدش: فخذ من عشيرة البوحمدان.

استعادته حكم الموصل، ممثلاً لإبراهيم باشا بن محمد علي سنة 1249هـ/1834م، وعرفتها الوثائق البريطانية المعاصرة - لذلك السبب - بحزب مصر، فمن الطبيعي أن تكون محلة المكاوي وجوارها من محلات الميدان ورأس الكور - حيث يستقر زعماء الفرقة المذكورة والفرق المتحالفة معها - مؤهلة للقيام بالثورة كلما سَنَحَت الفرصة، فإذا أضفنا إلى تلك الأسباب العامة، الأسباب الشخصية المتمثلة بموقف عبدالكريم، ووالده سبتي وأخواله من العبيد المناوئ للوجود العثماني - يكون من المفهوم: لَمَ كانت هذه المحلات قاعدة الانتفاضة ومقر قيادتها ومنطلقها في الوقت نفسه.

وتعد محلات المكاوي ورأس الكور والميدان، وإمام إبراهيم - الجزء الأكثر كثافة وأهمية من محلات الموصل في القرن الثالث عشر (التاسع عشر للميلاد)<sup>(1)</sup>، ويتميز موقعها بأنه يحتل معظم شاطئ دجلة، وهو ما يعني توفر طرق مواصلات جيدة لها، كما أنها تقع قرب سراي المدينة؛ حيث لا تفصل بين هذه المؤسسة والنهر سوى محلة الميدان، وتكتظ هذه المحلات بالأزقة (المسماة محلياً بالعَوَجات) الضيقة، والتي تسهل السيطرة على مداخلها عند الملمات، وإذا أضفنا إلى ذلك كله ارتفاعها النسبي عن مستوى سطح المدينة، ومن ثم إشرافها على أكثر المحلات الأخرى - تبين لنا أهمية أن تكون هذه المحلات منطلقاً للانتفاضة شعبية مسلحة عنيفة، تشارك فيها فئات عديدة من السكان.

وإذا سكت التقرير السري المنوه به آنفاً عن أسماء قادة الانتفاضة، فإن النبذة الخطية تنوّه بوجود زعامات أخرى، إضافة إلى عبدالكريم بن سبتي، منها رجال من آل نوح، وهم فرع من حمولة آل الهندي من البوشاهر العبيديين الذين كانوا يسكنون محلة رأس الكور الواقعة إلى الجنوب من المكاوي، وتربطهم بعبدالكريم

---

(1) وكان والي بغداد إسماعيل باشا قد نفاهم إلى الموصل سنة 1148هـ/ 1735م، أما الفرقة الأخرى المكافئة لها في العدد والأهمية، فهي المسماة أوطوزير؛ أي: الفرقة رقم 31، هذا بينما يقل مجموع منتسبي الفرق الثلاث المتبقية: أوننجي (الفرقة 10)، واللي أيكي (الفرقة 52)، واللي سكز (الفرقة 58) عن مجموع منتسبي الفرقتين المذكورتين؛ ينظر عبدالرحمن السويدي؛ حديقة الزوراء في سيرة الوزراء، بتحقيقنا، بغداد 2003، ص404، وياسين العمري؛ الدر المكنون في المآثر الخالية من القرون، مخطوطة المتحف البريطاني، الورقة 294.

صلة المصاهرة، ونحن نعلم أن حسين الهندي كان ثائراً في وجه العثمانيين منذ وقت سابق، وأنه كان مسجوناً في سجن الموصل يوم جيء بعبدالكريم إليه سنة 1228هـ (1813م)، ولكننا لا نعلم تاريخ ثورته وماهية أسبابها، ومن المحتمل أنه اعتُقل أثناء الاضطرابات المسلحة التي صاحبت السنين الأخيرة من حكم الجليليين، والتي كان من أسبابها محاولة السلطة العثمانية القضاء على هذا الحكم، وضرب القوى المساندة له<sup>(1)</sup>.

ولما كنا نعلم بوجود عشائر أخرى، كانت تقيم في هذه المحلات - منها الشهبان، والبو حمدان والبُدش - سبق لها أن أُيدت زعامة عبدالكريم بن سبتي، فإن من المنطقي أن زعماء هذه العشائر كانوا يُعدون زعماء لهذه الانتفاضة أيضاً، ويدل قيام السلطة العثمانية بإعدام (72) ونفي (7) من زعمائها على سعة الانتفاضة وضخامة عدد المشاركين فيها.

وليس من المحدد الأسباب التي أدت إلى فشل هذه الانتفاضة الكبيرة، غير القسوة الشديدة التي واجهتها بها السلطة العثمانية، وهي قسوة بلغت حد استخدام المدفعية والجيش النظامي نفسه، وفي ذلك يقول القس (المطران فيما بعد) سليمان الصائغ: «أنه لما ثارت أهالي الموصل وأبوا قبول القانون العسكري وتنفيذه، أرسل إليهم أحد أعوانه يدعى قاسم أفندي؛ ليدعوهم إلى الطاعة، ويقنعهم في الإذعان إلى القانون العسكري، فلما أقبل رسوله إلى الأهالي، ثاروا

---

(1) تعد محلة المكاوي من المحلات الكبيرة، يحدها من الشمال محلة عبود خوب، ومن الغرب محلة جامع جمشيد، ومن الجنوب محلة رأس الكور، ومن الشرق نهر دجلة، ومثلها مساحة محلة رأس الكور التي تقع إلى الجنوب منها، وتمتد هذه المحلة من نهر دجلة شرقاً إلى محلة جامع جمشيد غرباً، وتتمر أجزاؤها الغربية بشارع النبي جرجيس، وشارع عارف السماك، وتعد أعلى المحلات في المدينة القديمة؛ حيث يبلغ ارتفاعها 34م فوق سطح البحر، تليها محلة المكاوي، أما محلة الميدان، فتقع إلى الجنوب من محلة رأس الكور، وإلى الشرق من محلة باب النبي، وإلى الشمال من باب الطوب، وإلى الشرق من نهر دجلة، وتعد من أشهر محلات المدينة القديمة وأكثرها أهمية؛ من حيث طبيعة موقعها، والمنشآت التي كانت موجودة فيها، وبالقرب من هذه المحلات محلة إمام إبراهيم، وهي صغيرة تحيطها محلات: باب النبي، وجامع جمشيد، والمكاوي ورأس الكور؛ انظر: د. هاشم خضر الجنابي؛ التركيب الداخلي لمدينة الموصل القديمة (الموصل 1982، ص 95-96)

عليه وقتلوه، فأحضر محمد باشا (اينجه بيرقدار والي الموصل آنذاك) عشرين مدفعاً صوبها على المدينة، ثم أرسل عليها بعض الكتائب النظامية، فدخلوها ونهبوا أسواقها، وسفكوا دماء أبرياء كثيرين، ثم أمسك بعضاً من وجوهها، وأرسلهم نفيًا إلى البصرة<sup>(1)</sup>»

والذي نراه أن مسألة رفض القانون العسكري لم تكن إلا غطاءً أرادت به السلطة تغطية الأسباب الحقيقية للانتفاضة ودوافعها الكامنة في المجتمع الموصلي، وفي الظروف الدولية على حد سواء، لقد أدرك محمد باشا اينجه بيرقدار هذه الحقيقة، وهو ما يفسر قسوته وبطشه بالأبرياء، من غير المؤهلين لأداء الخدمة العسكرية أصلاً، ومن المؤسف أننا لا نملك معلومات عن الأشخاص الذين قُتلوا أو نُفوا، باستثناء واحد منهم، هو عبدالكريم بن سبتي نفسه؛ لأن النبذة الخطية تشير صراحة إلى أنه «اعتقل في تلك المعركة، وأصبح في قبضة الأتراك، ولم نعرف ما جرى له بعدها؛ لأنهم أخذوه إلى إسطنبول»، وفي هذه المدينة تضيع أخبار عبدالكريم، ويُنسى أمره، فلا نعلم ما إذا كان قد سُجن أو أُعدم، وعلى أية حال، فإنه لم يُعد إلى الموصل مرة أخرى.

على الرغم مما كان يبدو توقف الانتفاضة، والقضاء على زعمائها، فإن جمرها لبث مُتقدماً في النفوس جيلاً آخر، من ذلك أن حفيداً لعبدالكريم بن سبتي، هو أسعد بن جاسم<sup>(2)</sup>، ورث زعامة محلته وتأييد أهلها، فاختاروه بيرقداراً؛ أي: حاملاً للوائها، واتفق الأخير مع رفاق له، منهم محمد آل ياس الزهيري من عشيرة الزهيرات التي تسكن الموصل، وكان هذا (بيرقدارا) هو أيضاً لمحلته، فعرف الثوار من كُتُم بالبيرقدارية نسبة إليهما، بيد أن خبر التكتل الجديد تسرب إلى أسماع السلطة العثمانية، فأرسلت قوة عسكرية حاصرت مساكن الثوار، وتم إلقاء القبض على أسعد «وجماعة البيرقدارية»، وألقوا بهم في السجن، وكان منهم محمد آل ياس الزهيري، فتمكن الأخير من الفرار بنفسه من السجن، بينما بقي أسعد وجماعته في سجنهم، وحكم على أسعد بالاعدام، فنُفذَ شنقاً، أما رفاقه، فقد

(1) كتابنا: الموصل في العهد العثماني، فترة الحكم المحلي، 242 - 245.

(2) تاريخ الموصل، 213 - 214.

حكم عليهم بالسجن، وبهذا انتهت آخر الانتفاضات التي قام بها الموصليون إبان  
العصر العثماني.



الملحق 1: المحلات النائرة في مدينة الموصل

## ألفاظ حضارية في فلسطين

### من القرن السابع عشر

تُعد الفتاوى المصدر الأول لعلم الفقه، حيث كانت هذه الفتاوى تمر في ثلاثة مراحل في الأقل حتى تصل الى صورتها الأخيرة، وهي كتاب فقه. وأولى تلك المراحل جمع الفتاوى نفسها، والغالب أن يكون كاتبها، أي المفتي، هو من يقوم بذلك، وثانيها ترتيبها على حسب القسمة الأصلية للفقه، العبادات ثم المعاملات وهكذا، وثالثها تجريد الفتاوى نفسها من آثار زمانها ومكانها، فتُحذف تواريخها، وتسقط أسماء المستفتين، وأسماء من وردت الإشارة اليهم في ثناياها، فلا يبق إلا جسم القضية وحدها، وهو حكم المفتي فيها، وقد يتولى آخرون، من المؤلفين، أو من بعض طلبه المفتي، هاتين المهمتين الأخيرتين، فيخرج الكتاب وهو حاو للمسائل دون أولياتها، دافعاً بالعلماء وطلبتهم الى الوقوف على الأحكام الفقهية وحدها مجردة من التفاصيل التاريخية التي تحيط بها، والتي تخرج عن إهتمام الفقيه الذي تنحصر غايته في البحث عن حكم سابق يفيد منه في القضية المعروضة عليه.

على أن كتب الفقه تجد اليوم من يهتم بها غير الفقهاء، إذ يعدها المؤرخ مصدراً أساساً يتعرف من خلاله على جوانب من الحياة الاجتماعية والاقتصادية للمجتمع موضوع بحثه، ربما سكت عنها المؤرخون، وهو من ثمّ معني بتتبع تلك الأوليات التي أهملها مؤلف الكتاب الفقهي أكثر من الحكم المستخرج منها، فتلك الأوليات تمثل على نحو صادق الدواعي الواقعية التي أدّت بالمستفتي الى عرض مشكلته على الفقيه المفتي، طالباً حكمه، وتكشف عن هويته الاجتماعية، والفئة أو الطبقة التي ينتمي إليها، والمدينة والحي الذي يسكن فيه، كما أنها تصرح بأسماء خصومه في المشكلة التي تواجهه، بحسب طبيعة سؤاله، إن كانوا ذوي نفوذ ما أم إناس عاديين، وتكشف عن هوياتهم غالباً، والتاريخ الذي كتبت فيه أحياناً، وما إلى ذلك من شؤون متنوعة تمثل مصدراً حقيقياً لدراسات تاريخية مختلفة.

ومن ناحية أخرى فإن لغة الفتاوى نفسها تمثل مصدراً مهماً لدراسة تطور اللغة في عصر كاتبها، فالفقيه المفتي يضطر في أحيان كثيرة إلى اختيار ألفاظ ومصطلحات من واقع الحياة في عصره طلباً لأن تكون فتواه مفهومة تماماً لدى المستفتي، بل أنه يختار

ألفاظ الأخير ومصطلحاته نفسها في رَدِّه عليه، مبتعداً إلى حد ما عن استعمال المصطلحات الفقهية التقليدية التي ربما لا تحتفظ بالدرجة نفسها من الوضوح لغير الفقهاء.

ويمثل كتاب (الفتاوى الخيرية)<sup>(1)</sup>، أنموذجاً بيّناً للكتاب الفقهي الذي يقف في مرحلة وسطى بين مرحلة جمع الفتاوى الصادرة عن الفقيه المفتي، وتبويبها بحسب التقسيم التقليدي للفقه، وبين مرحلة تجريدها من كثير من أولياتها التاريخية التي استندت إليها، والإبقاء على الحكم دون سؤال طالبه، ومن ثم فهو يستحق وقفة من المؤرخ الدارس لبيئته وعصره.

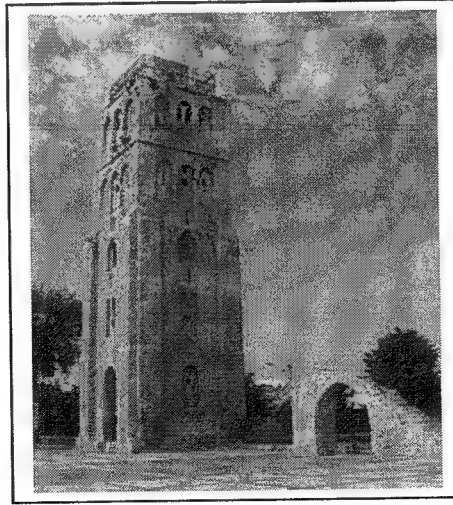
والكتاب يقدم تلخيصاً أميناً ودقيقاً للفتاوى الذي أفتى بها فقيه كبير، هو خير الدين بن أحمد بن علي بن زين الدين ابن عبد الوهّاب الأيوبي، العليمي، الفاروقي الرّملي، الحنفي<sup>(2)</sup>، وهو علامة متبحر في علوم عصره، من أهل فلسطين، ولد في مدينة الرملة في سنة 993 هـ/1585م، وتلقى معارفه الأولية في مدينته، حيث قرأ القرآن وجوّده على يد الشيخ موسى بن حسن القُبي، ثم رحل سنة 1007 إلى القاهرة، مع أخ له للدرس في جامعها الأزهر، وكان لهما أخ أكبر تقدمهما في الدرس هناك، فاستقرت إقامته في القاهرة ست سنوات، لازم فيها الجامع الأزهر ملازمة تامة، متلقياً العلم على أيدي كبار علمائه، ومالت نفسه لدراسة الفقه الحنفي، مع أنه كان قبل ذلك شافعيّاً، فأخذه عن جماعة من كبار فقهاء الحنفية، منهم الشيخ عالم الأزهر عبد الله بن محمد النحريري، وسراج الدين محمد بن محمد الحانوتي، والشيخ أحمد بن محمد أمين بن عبدالعال وغيرهم، وقرأ الأصول على محمد ابن بنت محمد، ومحمد بن بنت الشلبي، وأخذ الحديث عن أبي النجا سالم السنهوري، محدث الأزهر وجماعة، والقراءات على عبد الرحمن البهني، والنحو على الشيخ أبي بكر

---

(1) سماه البغدادي ( الفتاوى السائرة ) . وقد طبع في المطبعة الاميرية في بولاق، 1300هـ وهو في جزأين في مجلد واحد، يشغل الأول 250 ص، والثاني 244 ص، وثمة طبعه على الحجر، يظهر انها طبعت في باكستان، كتب عليها انها طبعت في القاهرة في 1376هـ الجزء الأول في 295 ص والجزء الثاني في 295 ايضاً . ومنه نسخ خطية في دار الكتب المصرية، فهرس دار الكتب ج1 ص448 وفي المكتبة الأزهرية، فهرس الأزهرية ج2 ص265

(2) ترجم له ولده صالح محيي الدين ترجمة مختصرة متضمنة في مقدمة كتاب (الفتاوى الخيرية) كما ترجم له المحيي ترجمة ضافية في خلاصة الاثر ج2 ص134-138 واسماعيل باشا البغدادي: هدية العارفين ج1 ص358 وايضاح المكنون ج2 ص499 والزركلي: الاعلام، بيروت 2002، ج2 ص227 وكحالة: معجم المؤلفين ج4 ص132

الشنواني وغيره، وقرأ الفرائض، وأكثر التردد على الشيخ فائد، وهو ولي مشهور ذاع صيته في عصره. ويسّرت له إقامته الطويلة في الأزهر فرصة نسخ عدد كبير من الكتب مما كوّن نواة مكتبته، وقد أجازته معظم من درّس على يده من العلماء، وعاد إلى وطنه الرملة حيث تولي فيها التدريس والإفتاء والزراعة، حتى أنه غرس ألوفاً من الأشجار المختلفة من الفواكه والتين والزيتون و الكروم، «وكانت خيراته عامة على أهله وأتباعه وجيرانه بل على أهل بلدته»<sup>(1)</sup>، هذا مع حسن خلق وأمر بالمعروف ونهي عن المنكر، حتى وفاته - رحمه الله - في 27 رمضان سنة 1081هـ/6 شباط 1671م تاركاً وراءه ولدين صالحين، عُرِف أحدهما بالعلامة، قضلا عن عشرات الألوف من الفتاوى الناضجة التي عالجت مشاكل بيئته وعصره، وعدداً كبيراً من الطلبة الذين تتلمذوا على يديه، ممن تولى معظمهم المناصب العلمية والشرعية في مدن الشام المختلفة، إضافة إلى مؤلفات مهمة منها (مظهر الحقائق الخفية من البحر الرائق في فروع فقه الحنفية) و(حاشية على الأشباه والنظائر) و(حاشية على جامع الفصولين) و(لوائح الأنوار على منح الغفار) و (حواش على شرح كنز الدقائق لليني) وحواش على (تبيين الحقائق شرح كنز الدقائق) لعثمان بن علي الزيلعي و(ديوان شعر) و(مطلب الأدب وغاية الأرب) ورسائل مختلفة وغير ذلك<sup>(2)</sup>.



الجامع القديم في مدينة الرملة

(1) خلاصة الأثر ج2 ص358

(2) هدية العارفين ج1 ص358

وطارت شهرته في الفقه، فصار مقصداً للمستفتين الذين يقصدونه بأسئلتهم مباشرة أو يبعثون بها إليه من المدن الأخرى، منها دمشق والقدس والخليل ونابلس ويافا وغزة واستانبول. وتتناول هذه الأسئلة قضايا فقهية بالغة التنوع تتعلق بالحياة الشخصية والأسرية والتربوية والأخلاقية والتعليمية والمالية والتجارية والزراعية وغيرها، فكان يجيب عليها جميعاً بمستوى واحد من إتقان الإجابة وجودة الصياغة، والفهم العمق وسعة الأفق والإطلاع، تُعينه على ذلك مكتبة ضخمة من مصادر الفقه، لا سيما الفقه الحنفي منه، فهو حريص على أن لا يُبين رأيه في قضية مطروحة إلا بعد أن يستوفي فيها رأي من سبقه من فقهاء مذهبه وفقهاء المذاهب الأخرى، دون تعصب لمذهب أو لرأي فقيه بذاته. وكثيراً ما نجده يستأنس بعدد كبير من المصادر الفقهية في جواب قصير على سؤال واحد، فتم ذلك عن سعة إطلاعه عليها وقدرته على استدعاء ما فيها من نصوص وأحكام. وقد أشاد المحبي بخزانة كتبه الغنية فقال «حصل من الكتب شيئاً كثيراً ينوف على الألف ومائتين مجلد، غالبها من نفائس الكتب ومشاهيرها من كل علم»<sup>(1)</sup>.

وكتابه الذي ضم مختارات من فتاواه، هو كغيره من كتب الفتاوى، يقدم أولاً عرضاً وافياً لسؤال طالب الفتوى، تحت عنوان (سُئِلَ)، ثم يليه حكمه فيها تحت عنوان (أجاب)، ومن الواضح أن مادة الكتاب، استندت في ركنيها هذين على نُسخ ثانية من فتاويه، غير التي يقدمها للسائلين، كان يحتفظ بها، في سجل خاص، كما كان يفعل المفتون عادة. على أن خير الدين لم يكن هو الذي رتبها ولخصها، وإنما من فعل ذلك هو ولده محيي الدين صالح، وكان عالماً بالفقه أيضاً، فقد قام باختيار موفق لما وجده يستحق التلخيص، متبعاً أربعة شروط وضَّحها في المقدمة القصيرة التي كتبها، وهي أن لا تتناول الفتوى أمراً عادياً تناوله المفتون من قبل، وإنما هو «ما قلَّ وجوده في الأسفار»، وبالمقابل فإنه لم يورد تلك الفتاوى التي تتناول القضايا نادرة الحدوث وإنما ما «كثر وقوعه في غالب الديار»، ومع أن هذه الفتاوى لا توجد في أبواب كتب الفقه، وإنما تفهم من «كتب الأصحاب» أي أصحاب مذهب أبي حنيفة.

واستمر في عمله حتى إذا بلغ الفتاوى الخاصة بالمهر، أي حتى ص 37 من الكتاب (بحسب المطبوع)، توفيت فجأة، فلبث العمل ناقصاً في بدايته، فقام أحد طلبة خير الدين النابهن، وهو إبراهيم بن سليمان بن محمد بن عبدالعزيز، بإستئذانه في إكمال

(1) خلاصة الاثر ج2 ص134

ما بدأ به ولده صالح، فأذن له، واستأنف العمل حتى بلغ به نهايته، وقد بلغت صفحاته نحو خمسمائة صفحة كبيرة شاملة لجميع أبواب الفقه، وهو عمل كبير مُجهد، لكنه لم يلخص جميع ما أفتى به شيخه، وإنما اقتصر على «نزر يسير من جم غفير». وحينما أتمه أطلق عليه اسماً شاملاً هو (الفتاوى الخيرية لنفع البرية)، وأثنى عليه بقوله «مولانا شيخ الإسلام والمسلمين، خاتمة الفقهاء المحققين، أوجد الزمان، في فقه أبي حنيفة النعمان، وحيد الدهر، وفريد العصر، سيدي ووالدي الخير الدين المنيف، ومن هو خير محض كإسمه الشريف».

ومما زاد من أهمية هذه الفتاوى، طبيعة المرحلة التاريخية التي عاشها صاحبها، فهو قد عاصر أول ظواهر ضعف الدولة العثمانية، وتردي أحوالها العامة، ولهذا نجده شديد الانتقاد لتلك الظواهر، مثل تفشي رشوة القضاة الذين كانت ترسلهم الدولة لتولي القضاء في بلاده، أو جهلهم، وتدهور نظام التيمار العسكري- الإقطاعي، واستيلاء من يسميهم بالمتغلبين على القرى، وكثرة الضرائب غير الشرعية المفروضة على المزارعين في القرى، واضطرارهم إلى ترك أراضيهم الزراعية وقراهم، وهيمنة القبائل البدوية على الريف وقطعها الطرق، وتدهور الزراعة، والإستيلاء على أراضي الوقف، والتعدي على الممتلكات الموقوفة، وكثرة اللصوص، وما إلى ذلك.

وفضلاً عن ذلك ففي الكتاب كثير من الألفاظ والمصطلحات الحضارية، عامية ودخيلة ومحلية، شاع استخدامها في وطن المؤلف فلسطين، أو في بلاد الشام عامة، في ذلك العصر، وهي خليط من كلمات ذات أصول فصيحة، ومولدة، ومصطلحات عثمانية وفارسية، بل وكلمات عامية لا يُعرف لها أصل.

وكنا قد عُنينا - منذ سنوات عدة- بهذا الكتاب، فاستخرجنا من تضاعيفه عدداً لا بأس به من هذه الألفاظ والمصطلحات، وحاولنا أن نفسر معانيها ونتبع أصولها، ورتبناها على حروف المعجم، مما يمكن أن يستدرك به على المعاجم العربية، وذلك على النحو الآتي:

### أرض سلطانية

أرض رقبته للسلطان، بصفته ممثلاً للدولة. قال في ج 2 ص 185 هي الأرض المباحة للزراع. على أن ذلك لم يمنع أن تجرى من هذه الأرض في تيمار. قال «أرض سلطانية لبית المال، جارية في تيمار شخص أجرها مزارعها».

## أستاذ القرية

من غير الواضح كون أستاذ القرية هو نفسه شيخ القرية. قال في ج1 ص244 » أسلمهم حمسين قرشاً أسدياً مقرضاً يستحق وفاؤها في الموسم المرقوم، وذلك بكفالة فلان أستاذ القرية مالا«.

## أسكلة

اللفظ مأخوذ في الأصل من (صقالة) العربية، وهي اللوح الصقيل الذي يتخذ واسطة صعود الملاحين وأرباب السفن وحماليها من الرصيف إلى سفنهم، ثم أطلق على الموانئ حيث مراسي السفن نفسها، وربما أطلق اسم أسكلة على البلدات الواقعة على ساحل البحر، فقال في ج2 ص106 «أسكلة يافا». والأسكلة غير الفرضة التي تعرف بأنها سلطانية، أي الميناء الذي تشرف عليه وتديره الدولة مباشرة.

## أمين بيت المال

رئيس بيت المال أو ممثله في الولايات العثمانية، فله حق الإستيلاء على عقارات المتوفين الذين لا وارث لهم، وغلل المتوفين من أصحاب التيمارت. قال في ج1 ص97 «امرأة ماتت ولها ابن مفقود، فوضع أمين بيت المال يده على عقار من تركتها فباعه» ولما سئل في ج1 ص17 «إذا مات أحد الجند بعد أن أدركت الغلة والزيت من القرى التي فيها تيماره، فهل ذلك حقه ولورثته المطالبة أم لا، أم لأمين بيت المال، أم لمن وجهه السلطان التيمار له»، فلم يوافق على أي من هذه الخيارات.

## أوقاف مصرية

هي أوقاف السلاطين المماليك في بلاد الشام، أصبحت - بعد سقوط دولتهم سنة 924هـ/1517م - تحت نظارة (ناظر عام) يُنصبه السلطان العثماني، ومثلها الأوقاف في مدينة القدس. قال في ج1 ص188 «الواقع في الديار الشامية من الأوقاف المعروفة بالأوقاف المصرية من أن السلطان ينصب ناظراً عاماً».

## بابوج

لفظة من الفارسية بابوش وهو خُف أو حذاء من دون رقية، معناه غطاء القدم . قال في ج1 ص78 ان مما تدعي به الزوجة من كسوتها بابوجان . قلنا: ولما يزل هذا اللفظ مستعملاً في عاميات أهل العراق.

## بازار باشا

كذا كتبها وهو يريد: بازار باشي، أي رئيس السوق، قال في ج 2 ص 25 «فوزنه بازار باشا فوجده عشر أواق».

## باقورة

الباقورة هي البقر بلغة أهل اليمن، كما في لسان العرب، واستعملها بمعنى القطيع من البقر، قال في ج 2 ص 141 «راع يرعى باقورة ضاع منها بقر في مرعى»، و«لم يَرِدْها رُعاة الباقورة مع قدرتهم على ردها». و«بقَّار انتشرت باقورته في القرية»

## بُندق

لفظ فصيح يعني لفظاً الثمر المعروف، واصطلاحاً مقذوف بحجمه شاع استعماله في الصيد في القرن السادس الهجري، يقذف من خلال النفخ بأنبوبة ضيقة خاصة، وحينما جرى اختراع البندقية صار هذا المقذوف، وقد أصبح يصنع من الرصاص، يُقذف بفضل إلهاب البارود من خلال أنبوبة مشابهة، بل عُرفت البندقية نفسها نسبة إليه. انتشر استعمال البندقية في القرن العاشر للهجرة، إذ ترددت الإشارة إليها في تضاعيف هذه الفتاوى، قال في ج 2 ص 69 «جماعة يضربون البندق حول مَطْهر، أصابت بندقة وجه صغير فبضعته». وسمى البندقية بندقة كما في ج 2 ص 215 حيث قال «رجل صَوَّبْ بندقة نحو رجل ليرميه بها»<sup>(1)</sup>.

## بوقات

جمع عامي لكلمة بوق كما في ج 2 ص 126، وفصيحتها: أبواق. قال «فضربوا على بابهِ طبولات وبوقات»

## بياري

لفظ عامي، مأخوذ من التركية أبيار، وتعني سقاء وملاء<sup>(2)</sup>. قال في ج 1 ص 160 «ساقية مُسَبَّلَة يتعاطى إدارتها ومصالحها رجل بإذن ناظرها يسمى بياريًا»

(1) سأل أحدهم محمد بن عبدالله التمرتاشي، وهو من أهل غزة، ومعاصر لخير الدين الرملي (ولد 939 وتوفي 1004 هـ/ 1532 - 1596 م) عن جواز تحريم الضرب بالبندق فأجاب بنعم. فتاوى التمرتاشي، مخطوط في المكتبة الأزهرية الورقة 132.

(2) أمين خوري: رفيق العثماني، بيروت 1894.

## بيورلدي

مصطلح تركي بمعنى (تفضل بكذا)، وهو أمر صادر عن الصدر الاعظم والولاية غالباً<sup>(1)</sup>، بخلاف الفرمان الذي يصدر عن السلطان، والمسمى بالأمر الشريف. قال في ج2 ص38 «واطلعوا من جانب سعادتته ما يسمى بيوؤلدي بعدم سقرهم بموجب الأمر الشريف».

## ترجمان

الترجمان من يُترجم الكلام من لغة إلى أخرى، واستعمله هو بما يفهم منه أنه كان يعمل وكياً للقاضي في استيفاء أموال غير شرعية. قال «قاض ظالم أمر ترجمانه الموكل بأخذ ما يسمونه محصولاً (أنظر هذه المادة)» ج2 ص148

## تيماري

نسبة إلى تيمار، وهي قطعة معينة من الأرض يمنحها السلطان لفارس مقابل خروجه إلى الحرب عند استدعائه إليها، وربما كلفه بمهام مدنية في أوقات السلم، وكان على هذا الفارس أن يجهز تابعاً له، أو أكثر، يخرج معه عند استدعائه إلى الحرب. ويتضح مما ذكره في ج2 ص148 أن التيماري صار يبعث بتابعه إلى الحرب بديلاً عنه. قال أن تيمارياً «أقرض مزارعاً حنطة وشعيراً وذرة فزرع ذلك في أرضه وسافر المزارع فاستأسره أهل الحرب». وعلى الرغم من أن منح التيمار هو من حق السلطان وحده فإن الناس تواضعوا في زمانه على بيعه بالمال، مما دفعه إلى الإفتاء بتقرير أن «الإستحقاق للتيمارات بإعطاء السلطان لا دخل لرضا الغير». ويفهم مما ذكره في ج1 ص221 أن أصحاب التيمارات كانوا يدفعونها للناس بالمزارة. قال في ج1 ص210 «الأراضي التي لبیت المال ويدفعها أرباب التيمارات مزارعة للناس بالثلث والرابع.. لا تورث ولا يجوز لهم بيعها»

## جُباة المحلات

هو المكلفون بجباية الضرائب المفروضة على المحلات في المدن. وعد شهادتهم غير مقبولة لعدم تورعهم عن الحرام. كما في ج2 ص25

(1) سهيل صابان: المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية التاريخية، الرياض 2000 ص70

## جاويش الكنائس

الجاويش كلمة تركية تعني العريف في قوات الانكشارية، ومن الواضح أنه كان مكلفاً بالاشراف على أمن الكنائس أو حمايتها. قال في ج 2 ص 87 «رجل إدعى على جماعة من أهل الذمة أن له بذمتهم على سبيل القرض الشرعي كذا من القروش تسلموها ودفعوها لجاويش الكنائس».

## جرة

تكررت الإشارة الى جرار زيت الزيتون، ولكنه لا يعني به الجرة التي هي الخابية، وإنما هو معيار معلوم من الزيت كما في ج 1 ص 239

## جرصن

لفظ عامي لم تقف على أصله، ويفهم مما ذكره في ج 2 ص 201 انه آلة لفتح الكوى في الجدران، قال «رجل أخرج جرصناً الى طريق العامة وفتح به كوة»

## الجملون

سقف محذب على هيئة سنام الجمل ومنه أخذ اسمه، قال في ج 1 ص 179 «وقد وقع في حوانيت الجملون بالغورية»

## جوخدار

مصطلح عثماني مركب من لفظ (جوخ) القماش الثمين المعروف، ودار بمعنى صاحب، فهو الموكل بثياب السلطان، ويعد أحد كبار رجال خدمته، وواضح مما ذكره خير الدين ان للقاضي في الولايات العثمانية جوخداره ايضاً. قال في ج 1 ص 140 «وقد أخذ القاضي الفلاني وجوخداره جميع ذلك [المال] بغير حق».

## جورجية

فئة من ضباط الينكجيرية أصلها شوربه جية، من شوربه العربية، وجي أداة النسبة إلى عمل وحرفة، فهم المسؤولون عن توزيع الشورية للجند في ثكنات الينكجيرية، وكان الجورجي واحداً ممن تعهد إليهم مهام أمنية.<sup>(1)</sup> وفي ج 2 ص 150 أن

(1) جب ويوون: المجتمع الإسلامي والغرب، ترجمة أحمد عبد الرحيم مصطفى، القاهرة 1971، ج 2 ص 185.

رجلاً ذا شوكة وتغلب تعدى على رجل «وانتسب إلى بعض الجورجية» زيادة في شوكته.

### حاكم سياسى

يظهر أنه الحاكم العُرفي، أو حاكم العُرف، نفسه، بخلاف الحاكم الشرعي الذي هو القاضي<sup>(1)</sup>. كما يلاحظ أن من معاني تيمار: السياسة. قال في ج2 ص44 «رجل متهم بقتل أخيه ففتش حاكم السياسة عليه»، وقال في ج2 ص45 «لورثة الدافع المطالبة بما دفع مورثهم للحاكم السياسي». وقال في ج2 ص197 «ويدعى على الأخ أه شكا عليه لحاكم سياسي فغرمه مالاً». وفي ج2 ص153 ذمي سعى إلى حاكم سياسة يغرم على سعايته فغرمه. ورجل مسكه حاكم سياسة يغرم بالسعاية. وفي بعض الحالات التي أفتى فيها ثمة تداخل بين صلاحيات الحاكمين، وكان لحاكم السياسة أعوان ولكن منهم من لا تقبل شهادته لأنه لم يكن «يتوقف عن الحرام، ولا يبال من أين اكتسب المال». كما في ج2 ص25. وفي ج1 ص245 أن رجلاً أراد الخروج من بلده بسبب ما أخذه منه حاكم سياسة. قال في ج1 ص88 «إذا كان حاكم العُرف ليس به عسف، والسياسة نوعان، سياسة عادلة تخرج الحق من الظالم الفاجر» وسكت عن النوع الآخر منها<sup>(2)</sup>.

### حاكورة

الحكر لغةً الحبس، واصطلاحاً حبس السلعة بانتظار الزيادة في سعرها. واستعملها هو بمعنى الأرض المحتكرة من طرف جماعة. قال في ج2 ص155 : حاكورة بين جماعة أرضاً وغراساً باع أحد الشركاء حصته فيها. وفي ج2 ص78 ان الحاكورة قسم من أقسام البيت. قال معدداً أقسام بيت «العلية الكبيرة والثلاث خلوي مع الحاكورة ليده وليدهم المطبخ» أو هي قطعة أرض ملحقة به. ففي ج1 ص201 «دار موقوفة مع حاكورة ملاصقة لها» وجمعها حواكير كما في ج1 ص234.

(1) من معاني لفظ تيمار: سياسة. رفيق العثماني ص97.

(2) تردد هذا المصطلح في فتاوى التمرتاشي، بما يفهم منه أن أحكام حاكم السياسة كانت بعيدة عن العدل والإنصاف. فقال في الورقة 119 «زيد شكا على عمرو لبعض حكام السياسة» وفي الورقة 121 «رجل مسكه حاكم سياسة فأكرهه بالضرب والحبس على الإقرار بشيء فأقر به. وفي الورقة 95 «رجل اعتدى على آخر وشكا إلى حاكم السياسة».

## حق حطب

ضريبة غير شرعية كان يتعين على أهل القرى دفعها في موعد محدد من كل عام. كما في ج1 ص247 والظاهر أنه كان يدفع مقابل ما كان يحصل عليه أهل القرية من أحطاب للوقود.

## خان

لفظ يطلق على النزل، الذي ينزل به التجار والمسافرون غالباً، وقد أطلقه على الدور السكنية عامة. قال في ج2 ص159: الخانات وهي الدور.

## خراج المقاسمة

اسم لنوع من الملكية يحوزها التيماري، يتقاسم فيها الفلاح والمالك، وهو هنا التيماري، محصولها بنسبة معينة. قال في ج1 ص67 «وأما ما هو من أرض خراج المقاسمة كما في بلادنا فهو متعلق بالخارج كالعشر لتعلقه به» فإذا قام فلاح بزراعة هذه الأرض ولا يعطي خراج المقاسمه فعليه أن يدفعها إلى التيماري ولأخير إخراجها منها. ولكن لا يجوز أن يتجاوز التيماري «الحق والشرع»، فيقسم غلتها بالربيع «حسب عاداتها»، كما لا يجوز توزيع ما فصله على قراريط أهل القرية، وإنما وفقاً للخارج، أي جملة، على وفق النسبة الثابتة المتفق عليها (تنظر مادة فصل).

## خزانة

من أجزاء البندقية، مخصص لخرن البارود فيها. قال في ج2 ص196 «رجل أخذ بيده بندقية مُجرّبة ثم وضعها وبعد استقراره وقع مشخاصها على خزانة فأورّت وقتلت شخصاً». وهذا الوصف قريب مما سماه محل البارود حيث قال في ج2 ص215 «لما ضربه أصاب النار فألقاها على محل البارود فخرجت البندقية بفعله». وفي ج2 ص208 أن رجلاً «خرجت من بُندقته .. فأصابته فرس صلحبه .. وكان قد قذح زناده فلم يُوره، ولم يعلم ما سبب خروجها، هل هو من ريج حملته من الفتيلة نار فألقته على محل الخروج».

## خَفَرِيَّة

الخَفَر لغة الكفيل والحافظ (لسان العرب)، والخفير المجير، واصطلاحاً: الحارس. واستعملها هو بمعنى الحراس الذين يرافقون القافلة. قال في ج2 ص136

«جميع ما دفعوه بإذنهم للخفّرية من مالهم أم من مال الجمّالة». أو الذين يحرسون المحلة. وقال في ج1 ص247 «الحارس للمحلة التي يسمى في ديار مصر الخفير».

### خلو

عامية، وهو مبلغ من المال يُدفع للحصول على محل تجاري. قال في ص179 أنه «الواقع في غالب الأوقاف المصرية والأوقاف الرومية في الحوانيت وغيرها». وفي عامية مصر: خلو رجل.

### خلوة

الخلوة هي المعتكف الذي يخلو فيه العابد الى ربه، واستعملها هو بمعنى الغرفة التي تقع في الطابق العلوي من البيت، فقال في ج2 ص79 «العلية الكبيرة والثلاث خلاوي»، وفي ج2 ص129 الغرفة التي يقيم فيها طالب العلم من مدرسته. وجمعها: خلاوي. وتكون عادة في الطابق العلوي من المدرسة. وفي ج1 ص167 «مدرسة لها بواب يسكن في خلوة من خلاويها».

### خمسية

ضريبة غير شرعية، لم يتوضح معنى اسمها، كان يدفعها المزارعون في القرى إلى المُقاطع مع خدم كانوا يؤدونها إليه كما في ج2 ص127، وفي ج1 ص247 أنها واحدة من عدة ضرائب ضريبة كان يتعين على أهل القرى دفعها في ثلاث دفعات بين ربيع الأول وذى القعدة من كل عام .

### درجة رملية

هي الساعة من الزمن، إشارة الى الساعة الرملية التي تأخذ من الوقت ساعة كاملة لكي ينساب الرمل من جزئها الأعلى الى جزئها الأسفل. قال في ج1 ص151 «تؤخذ أجرتها من المُقاطع دفعة واحدة، ويكتب الكاتب دفتر الوقف في أقل درجة رملية».

### دَردارية

اسم وظيفة من دَردار، المركبة من دَر الفارسية بمعنى القلعة، ودار بمعنى صاحب، فيكون معناها محافظ القلعة. ينظر ج2 ص19.

## دَسْت

لفظ فارسي له معان شتى، وبالعربية الملابس، استعمله بمعنى الصندوق الذي توضع فيه الملابس ونحوها. قال في ج 2 ص 145 «كان له دستان من ثياب».

## دفتردار

مصطلح عثماني مركب من دفتر، وهو السجل، ودار بمعنى صاحب، فيكون معناها الموكل بالتسجيل والمقصود تسجيل العقارات في الدولة، وفي نهايات القرن العاشر الهجري (السادس عشر للميلاد) صار لكل ولاية دفتردار يقوم بتنظيم الشؤون المالية في الولاية<sup>(1)</sup>. قال في ح 2 ص 79 «وكيل دفتردار خزينة الشام».

## دياس

لفظ عامي فصيح دوس، والمقصود به دوس الحاصل في الحقل. قال في ج 2 ص 148 «وصار يستعمل البقر في الحرث والدياس».

## روماني

نوع من الملكية الزراعية، غُرست زيتوناً تكون غلته لبيت المال، وهذا الزيتون مفوض للإمام أو نائبه، إن شاء عمره لبيت المال من مال بيت المال، ومرد جميع الخارج في بيت المال، وإن شاء عامل عليه بحصة من الخارج» ويدفع عنها غارسها ما عيّن عليها من الخراج، كما في ج 1 ص 67.

## زعيم

لفظ عربي، وفي الإصطلاح العثماني رتبة لضابط كبير من السباهية، يُمنح إقطاعاً متوسطاً بين إقطاعات النظام الإقطاعي العثماني المسمى (تيمار)، ويكون زعيماً لعدد من السباهية في أثناء الحرب. قال في ج 2 ص 35 «جماعة إسباهية بمدينة نابلس قيل لهم كُتبت للسفر (يعني الحرب)، فأذنوا لزعمائهم المتوجهين للسفر أنهم إذا اجتمعوا بحضرة صاحب السعادة حاكم دمشق المأمور بالسفر. الخ».

## سباهي

وهو التيماري نفسه (تنظر هذه المادة) لفظ تركي بمعنى الخيال والفارس، كانت الدولة تمنحه قطعة أرض متفاوتة في دخلها بحسب طبقته في نظامها الإقطاعي،

(1) صابان ص 114

ويسمى أَدْنَاهَا (تيمار) ومنه اكتسب النظام اسمه، فقليل له نظام التيمار، يليه (الزعامت) ف(الخاص) والأخير أعلاها دخلاً، ويُخصَّص للسلطين عادة . وهذا الإقطاع لا يُباع لأنه يُعد ملكاً للدولة، وإنما يُمنح صاحبه ضرائبه فقط، بوصفها دخلاً شخصياً له مقابل أدائه واجباته العسكرية والمدنية. قال في ج2 ص69 «الأرض ليست ملكاً حتى يدَّعي الملكية، وواضع اليد كذلك، ليس له فيها ملك، وإنما هو مأمور بتناول خراجها مقاسمة أو وظيفة». ومثل ذلك قوله في ج1 ص45 أنها «أراضي بيت المال يُسلك بها مسلك أرض الوقف.. والأراضي الآن في أيدي المزارعين ليست ملكاً لهم وإنما مزارعون فيها لانقطاع مالكيها.. وأن الأراضي التي لبيت المال والناس تزرعها على الثلث أو الربع أو الخمس ونحو ذلك»، بل «إذا لم تطق الخمس بأن كانت أرضاً قليلة الربع كثيرة المؤن، بحيث لو قرر عنها الخمس تعطلت، ولا يفضل لربها شيء بعد المؤن، كان يخسر من ماله، ينقص عن المؤن»، كما في ج1 ص97. وعرف هذه الأرض بقوله في ص61 أنها «أراضي بيت المال التي يقطعها السباهي نظير عطائه في الديوان»، بل لاحق له أن يقلع غرس زيتون بها مباح لأهل القرية سابقاً ولاحقاً.. إذ هو ليس بمالك، إنما له تناول أجزاء المعين له من جانب السلطان لا إتلاف ما فيه ضرر على بيت المال» كما في ج1 ص67. وفي ج2 ص36 ملاحظة مهمة عن دلائل فساد هذا النظام في عصره، من الناحية العسكرية في الأقل، حيث قال أن السباهية كانوا يدفعون مالاً إلى الوالي حتى يستثنيهم من الذهاب إلى الحرب عند استنفارهم، وصار منهم من يفرض لنفسه خراجاً على القرية بوصفه هو «المتكلم على القرية»، على الرغم من عدم وجود خراج عليها أصلاً. ج1 ص97.

### سلطاني

ضرب من النقد العثماني. قال في ج1 ص140 « كان للوقف تحت يدي مائة قرش بدل عن بستان له، وخمسة وسبعون سلطانياً كانت بذمة رجل».

### سُوباشي، صوباشي

مصطلح تركي قديم معناه الحرفي قائد جيش (صو تعني جيشاً، وباشي بمعنى رئيس) وعربه العرب قديماً ب(شباشي) وكان الصوباشية يُكلفون بحفظ الأمن في المدن في عهد سلاجقة الروم<sup>(1)</sup>، ثم عدوا في عصر الدولة العثمانية ضباطاً في قوات

(1) جب وبوون ج2 ص187

الينكجيرية (الانكشارية)، مسؤولون عن الأمن في المدينة. وفي الاقاليم كان السوباشي يُعد قائداً في جيش التيمار<sup>(1)</sup>. قال في ج2 ص26 أن جماعة استولوا على مدينة الخليل «وقاتلوا صوباشي المدينة»<sup>(2)</sup>. وفي ج2 ص142 «واتهمه أن سوباشي أودع عنده ثلاثة آلاف من القروش». وفي ج2 ص25 «فطلب السوباشي تسطير ذلك» يريد كتابة محضر بما وقع.

### سياسة

تكليف غير شرعي كان على أهل القرية تقديمه إلى صاحب الأرض، كما في ص98، والغالب أن له علاقة بالحاكم السياسي أو حاكم سياسة (تنظر هذه المادة).

### شنبر

لفظ من التركية جنبر، بجيم مثلثة، بمعنى الطوق والقمطة، والدائرة<sup>(3)</sup>. وواضح مما ذكره في ج1 ص78 أنه من أردية المرأة المتزوجة، فقد قال أنه مما تدعي به الزوجة كسوة لها، ولم يوضح شكل هذا الرداء ووظيفته.

### شعال

لفظ يقصد به من يتولى إشعال القناديل في مسجد ونحوه. قال في ج1 ص153 «وقف ضاق ريعه عن الصرف إلى مستحقه من خطبة وأئمة ومؤذنين وشعّالين وبوابين وتنوير».

### شوال

لفظ عامي من التركية : جوال، عُرّب قديماً بجوالق<sup>(4)</sup>، وهو الكيس الذي يُعبأ فيه الحب أو الدقيق ونحوه. جمعه شواللات . قال في ج1 ص232 «رجل اشترى من آخر ثلاث شواللات، شتان صفقة واحدة».

### صبرة

لغة الكومة من الطعام. أو الكمية بلا وزن ولا كيل، وفي الحديث أنه (صلى الله عليه وسلم) نهى عن بيع الصبرة من التمر لا يُعلم مكيلتها من الكيل المسمى للتمر.

(1) خليل اينالجي: التاريخ الاقتصادي والاجتماعي للدولة العثمانية ص605

(2) ومن ذلك ما ذكره التمرتاشي إذ قال في الورقة 86 «رجل اتهمه صوباشي المدينة بأخذ خشبه».

(3) رفيق العثماني ص113

(4) رفيق العثماني ص102.

وأطلقها هو على الكمية من الأرز كما في ج2 ص150 إذ قال «صبرة إرز»، ومن الحنطة، فقال في ج1 ص21 «باعه صبرة حنطة». وفي ج1 ص233 «رجل اشترى من آخر غراتر معلومة من صبرة كبيرة» وفي ج2 ص20 «باع لهما البائع المذكور صبرة بلا وزن».

### ضمادة

في لسان العرب هي خرقة تُلف على الرأس عند الإدهان والغسل ونحو ذلك. وقال هو في ج1 ص78 انها مما تدعى به الزوجة نفقة لها ولم يوضح شكلها ومادتها ووظيفتها.

### طبّاخة

من التكاليف غير الشرعية التي يتوجب على أهل القرى تقديمها الى اصحاب أراضيتهم، كما في ج1 ص98.

### طُبولات

جمع عامي لكلمة طبل كما في ج2 ص126 وفصيحتها: طبول

### عالول

يفهم مما ذكره في ج2 ص148 أنها الحاضرة التي تخصص لعيش الأبقار. قال «رجل له عالول بقر وضع فيه قرصية فحلّها منه رجل».

### عَريف

لفظ فصيح، معناه (العليم)، ولكنه في المصطلح العثماني ضابط في جيش الينكجارية (الإنكشارية) مهمته نقل الأخبار بسرعة دون المشاركة الفعلية في الحرب، ويسمى (عريف بروازي)<sup>(1)</sup>. وعد خير الدين العرفاء ممن لا تُقبل شهاداتهم. فقال في ج2 ص25 «شهادة مشايخ القرى وجُباة المحلات والعرفاء» لا تقبل. وأن شهادة «المعرفين في الممالك، والعرفاء في جميع الأصناف» لا تُقبل لأنهم فسقة. فالمعرف هذا غير العريف، وإذا كان المقصود بالأصناف أصناف أهل الحرف في المدن، فإن المعنى غير واضح.

### عصوبة

عامية محلية، قال في ج1 ص89 أن من عادات الفلاحين أن يخطف رجل بنتاً ويدخل بها على شيخ القرية قائلاً: بيني وبينها عصوبة<sup>1</sup>.

(1) صابان ص 152.

## عُلوقة

عامية من العُلف الذي تغلفه الدواب، وكان يمثل نوعاً من المخصصات المالية التي تعطى للفرسان في أول عهد الدولة العثمانية لإطعام دوابهم، ثم صار اسماً للرواتب التي تمنح لأفراد الينكجيرية وبعض الموظفين الرسميين<sup>(1)</sup>، ويسمون (علوفه لي) أي أصحاب الرواتب<sup>(2)</sup>. ترددت الإشارة إليها بوصفها رواتب مقررة في وقفيات الواقفين. قال في ج 1 ص 151 «صارت علوفات الفقراء على حكم التوزيع». و«شرط الواقف للمتولي وأرباب الشعائر من العلوفات»<sup>(3)</sup>، و«نص السلطان في براءتي على أن لي من العلوفة كل يوم كذا وكذا».

## عُهدة

لفظ معناه لغة اليمين والميثاق، واصطلاحاً الإتفاق بين صاحب الأرض والزراع على قسمة الحاصل المسمى خراجاً. قال في ج 1 ص 100 «إذا أخذ خراج المقاسمة من الزراع مدة سنين فاستحقت الأرض بأن ظهرت وفقاً لأرصدياً، هل يؤخذ من الزراع ثانياً أم لا، ويخرجون من العُهدة».

## عوارض سلطانية

مصطلح عثماني، يعني الطوارئ، وهي الضرائب المفروضة على الرعية عند حدوث الطوارئ<sup>(4)</sup>، وأصبحت تدفع على شكل رسوم ثابتة، أو غرامات، قال في ج 1 ص 244 «رجل اشترى بيتاً لم يدر أن عليه عوارض سلطانية وقت شرائه» وفي ج 1 ص 187 أن وقفاً «سكّنه أحد الموقوف عليهم بالغلبة فصار يدفع عنه مغارم سلطانية كالعوارض ونحوها».

## عونة

عامية، بمعنى أعوان. قال في ج 1 ص 140 «واخذ القاضي وعونته المال أخذ اللصوص»

(1) صابان ص 155

(2) محمد علي انسي: الدراري اللامعات في منتخبات اللغات، بيروت 1320، ص 377. وينظر جب وبيون ج 2 ص 248

(3) قال التمرتاشي «يكون ذلك التدريس لعلوفته لصاحب البراءة السلطانية الموافقة لشرط الواقف». الفتاوى، الورقة 64.

(4) صابان ص 127.

## عيدية

ضريبة غير شرعية، يظهر أنها كانت تُقدَّم في أحد العيدين، كان يدفعها المزارعون في القرى إلى المقاطع مع خدمات كانوا يؤدونها إليه كما في ج 2 ص 127 وعدها في ج 2 ص 119 من «العوائد الظلمية» وأفتى ببطلانها. وفي ج 1 ص 247 أنها واحدة من عدة ضرائب كان يتعين على أهل القرى دفعها في ثلاث دفعات آخرها في ذي القعدة من كل عام.

## غلة دار

مصطلح من غلة العربية، ودار الفارسية بمعنى صاحب. قال في ج 2 ص 69 «لم تجز الدعوى على أكار الوقف وغير الوقف، وكذا غلة دار الوقف وغير الوقف إذا ثبت أنه أكار أو غلة دار»، وهذان ليسا ناظرا وقف، إذ «لا تصح الدعوى في الوقف على غير ناظره».

## غربية

ضريبة غير شرعية كان يتعين على أهل القرى دفعها في موعد محدد من كل عام. كما في ج 1 ص 247 ولم نقف على وجه التسمية.

## غليون

من التركية قاليون<sup>(1)</sup>، وهو ضرب من السفن الكبيرة، وجمعها غلايين، ذكره في ج 1 ص 219.

## فاخورة

بيت شَيّ الآجر والفخار. في ج 2 ص 151 سَيَّلُ جرى من ماء المطر فدخل في فاخورة شخص فأتلف بعض فخاره. وينظر ج 1 ص 115.

## فتح المنجل

ضريبة غير شرعية، يظهر أنها كانت تؤخذ عند البدء بالحصاد، كان يدفعها المزارعون في القرى إلى المقاطع مع خدمات كانوا يؤدونها إليه كما في ج 2 ص 127

(1) رفيق العثماني ص 223.

## فردة قماش

مصطلح عامي، وهي القطعة من القماش، وتسمى في العراق (طولاً)، قال في ج2 ص46 «رجل أرسل إلى آخر فردة قماش مصري وفي داخلها أربعون غرشاً».

## فرسية

ضرب من الثياب لم نعلم إلى أي شيء نُسب. قال قي ج2 ص106 «رجل أرسل إلى بواب وكالة الرملة حملاً من ثياب فرسية».

## فريكة

لا معنى لها في اللغة والاصطلاح، ولكنه استعملها بما يظهر أنها جنس من البهائم. قال ج2 ص149 «في حرّاث أخذ بهيمة رجل .. وأخذها حرّاث آخر ودفعها لصبي يعقل معه سكين، قائلاً له هات له فريكة فأخذها الصبي وهربت منه فتحرها بسكين».

## فصل

هو شيء معلوم من المال يضره القسام على أراضي القسم التي يزرعه الناس بالحصّة، وذلك على وجه الحزر والتخمين، ولا يطابق ما يخص حصتهم بل يزيد تارة وينقص بأخرى. وقال «ما يفعله بعض القسام مع المزارعين ويسمونه فصلاً أمر خارج عن الشرع الشريف» ج1 ص97.

(تنظر مادة خراج المقاسمة)

## فلاحة

الفلاحة لغة حرفة الفلاح، وهو الذي يشق الأرض للحرث (لسان العرب)، ولكنه اصطلاحاً كما في ج1 ص100 «ما يفعل الآن من الأخذ من الفلاح، وأن يزرع، ويسمى ذلك فلاحة، وإجباره على السكن في بلدة معينة، ليعمر داره ويزرع الأرض»، وعد ذلك حراماً.

## قرش

عملة عثمانية من الفضة، أخذ اسمها من الألمانية Groschen ضُربت في الأصل بوزن 6 دراهم، ثم انخفضت قيمتها في العقود التالية<sup>(1)</sup>، وتكررت الإشارة إليها في هذه

(1) انستاس الكرمل: النقود العربية وعلم النميات، القاهرة 1938 ص181 و99، 139 وعباس العزاوي: تاريخ النقود العراقية، بغداد 1958، ص148.

الفتاوى بوصفها عملة رئيسة من الوقف والمعاملات الاخرى، وقد سجل خير الدين انخفاضها في عهده فقال في ص 198 «فاللازم عليه غرة نصف عشر الدية، قدرها خمسمائة درهم، بحساب القروش الان، ستة وخمسين قرشاً تقريباً».

### قرش أسدي

أشار في مواضع عدة منها ج 1 ص 243 و ج 2 ص 20 إلى ضرب من القروش سماها «قروش أسدية»، وسماها في ج 1 ص 242 «القطع القروش الأسدية» وهي عملة ذات أصل هولندي كانت قيمتها تساوي ثلث العملة الذهب العثمانية<sup>(1)</sup>.. ولكنها ظلت متداولة حتى النصف الثاني من القرن التاسع عشر<sup>(2)</sup>.

### قرصية

كانها دابة تربط في حضيرة كما في ج 2 ص 148 (تنظر مادة عالول).

### قطعة مصرية

نقد من النحاس، كل عشر منها كانت تساوي قرشاً صاغاً<sup>(3)</sup>. قال في ج 2 ص 124 «استأجر حماماً بإثنتين وعشرين قطعة مصرية»، وقال في ج 2 ص 106 «رجل دفع لآخر ثلاثة قروش قطعاً مصرية» وقال في ج 1 ص 77 «وقدره كل يوم ثمانية قطع مصرية».

### مَنَوَاتِي

عامية محلية، يظهر أن صاحبها كان مكلفاً بتنظيف المجاري، وعُدت «من الصناعات الدنيئة»، ولذلك كانت قرينة لمهنة الزبال. كما في ج 2 ص 26

### قَهْوَجِيَّة

تكليف غير شرعي عدّه من الظلم الذي لا أصل له، كان يؤديه الفلاحون برسم ضيافة صاحب الأرض عند مقاسمة الخراج. ج 1 ص 98

(1) صابان، ص 178

(2) د. محمد منجد الحزماوي: النقد الاجنبي في مدينة القدس وقراها في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، دراسة من خلال سجلات محكمة القدس الشرعية، مجلة الجامعة الاسلامية، المجلد 15، العدد 2، حزيران 2007 ص 376

(3) الكرمل: النقود العربية، ص 185

## قَوَاسِيَة

القواس هو الرامي بالقوس، ثم أطلق على الهدف بالسلّاح الناري، واشتق منه الفعل قَوَّصَ بمعنى أصاب الهدف، كما أطلق على الحارس الشخصي. ويفهم مما ورد في ج1 ص98 أن القَوَاسِيَة ضريبة، أو تكليف غير شرعي، كان على أهل القرية تقديمها لصاحب الأرض. وعده من الظلم الذي لا أصل له. ج1 ص98

## كَرْدَار

مركب من لفظين، كر وأصلها كار الفارسية بمعنى عمل، ودار بمعنى صاحب، ويقصد به اصطلاحاً العامل في الحقل ونحوه. ج2 ص194 وفي ج2 ص163 هو المزارع الذي ليس له حق القرار، وهو أن يُحدث في الأرض بناءً أو غرساً أو كبساً من تراب 161

## كسر الفدان

دراهم يأخذها السباهي (أنظر هذه المادة) من قوم مهاجرين مقابل إعفائهم من العُود الى وطنهم الأصلي. ج2 ص185 وقال في د2 ص151 «وفيما تأخذ الظلمة ويسمونه كسر الفدان» وأفتى أنه حرام قطعي.

## لِحَافَة

اللحاف لغة كل غطاء يتدثر به، واستعمله هو في ج2 ص149 بمعنى ما يغطي جذع الشجر من غطاء وقشر. قال «كُز غصنه في لحافته أو شقها في ركزه في نفسها في وضع القطع فأثمر».

## كِيَالَة

ضريبة، أو تكليف غير شرعي، وعده في ج1 ص98 من الظلم الذي لا أصل له، ومن المحتمل أنها رسم كان على أهل القرية تقديمه الى صاحب الأرض عند كَيْل محصول قريتهم.

## مارس

لا وجود لها في المعاجم، ويظهر انها أداة للغرس. قال في ج1 ص232 «جماعة استعاروا من آخر مارساً لزراع المقاث وأعاروه مثله لزراع القطن» وفي ج2 ص136 أن رجلاً أجر لرجل آخر مارسين من أرض بأجرة معلومة.

## مال طنطور

ضريبة غير شرعية كان يتعين على أهل القرى دفعها في موعدٍ محدد من كل عام. كما في ج 1 ص 247 ولم نقف على معناها .

## مباشرة

من التكاليف غير الشرعية التي يتوجب على أهل القرى تقديمها الى اصحاب أراضيهم، كما في ج 1 ص 98.

## مبطخة

لا ذكر لها في المعجم، وقد تكون أرضاً يزرع فيها البطيخ، قال في ج 2 ص 141 في كلامه عن البقر «في بقار انتشرت باقورته في القرية فوقعت في مبطخة إنسان فأتلفته».

## متكلم

المتكلم على القرية هو صاحب الحق في أرضها أو حاصلها . قال في ج 1 ص 67 «ضيعة موقوفة على جهات متعددة .. هل لأحد المتكلمين على أحد الجهات الموقوفة الضيعة عليها أن يختص بها» وفي ج 1 ص 97 عدّ السبّاهي هو «المتكلم على القرية»، و«الناظر متكلم على وقف». وفي ج 1 ص 146 «يطالب المتكلم على المدرسة بحصة بيت المال».

## مجدية

ضريبة غير شرعية كان يتعين على أهل القرى دفعها في موعدٍ محدد من كل عام. كما في ج 1 ص 247 ولم نقف على معناها .

## محصول

اللفظ فصيح لكنه قصد به في ج 2 ص 148 : مبلغاً من المال كان بعض القضاة الظلمة يستوفونه بواسطة وكلائهم.

## مدبسة

بيت صناعة الدبس كما في ج 1 ص 245

## مُرْتَقِق

لفظ فصيح بمعنى الملحق بشيء ما ، واستعمله هو بمعنى المرافق الصحية خاصة. قال في ج2 ص79 «ولهما بالمطبخ والمُرْتَقِق وساحة الدار تكون مشتركا».

## مِشْخَاص

أداة لإلها ب البارود في البُنْدُقِيَّة. قال في ج2 ص196 «رجل أخذ بيده بندقية مجرّبة ثم وضعها وبعد استقراره وقع مِشْخَاصها على خزانها فأورّت وقتلت شخصاً».

## مَصْبِنَة

البيت الذي يُصنع فيه الصابون . قال في ج1 ص129 «ناظر وقف أهلي جعل طاحونة الوقف مصبنة»

## معاليم

جمع معلوم، وهو الراتب المقرر بحسب الواقف. قال في ج2 ص46 «جماعة وكّلوا رجلاً في قبض معاليمهم من ناظر وقف».

## مِيقَاتِي

الموكل بضبط مواقيت الأذان في المسجد . قال في ج1 ص153 «وينبغي إلحاق المؤذنين بالإمام وكذا المِيقَاتِي لكثرة الإحتياج إليه».

## مِيمِيَّة

لفظ عامي محلي لضربٍ من البيوع يسمى بالمصطلح الفقهي بيع تلجئة، وهو بيع صُوري يلجأ إليه البائع في ظروف معينة مضطراً . قال في ج1 ص221 «رجل باع من آخر شجر زيتون بيع تلجئة ويسمونه بقرى فلسطين بيع ميمية، فتصرّف فيه المشتري والآن مُنكر كونه بيع تلجئة، ويدعي أنه يقع جد وحقيقة».

## وقف أرصادي

هي الأرض التي يقفها السلطان. قال في ج1 ص100 «أرض قرية قسمها الربع، وهي وقف أرصادي من حضرة السلطان».

### وقف أهلي

هو الوقف الذري نفسه. قال في ج 1 ص 122 «وقف أهلي وقفه أبو الوفا على نفسه ثم على أولاده الذكور والإناث».

### وكس

الوكس لغةً هو النقصان. قال في ج 2 ص 160 هل تحل القسمة ويلزم المال المجعول مع الأوكس أم لا؟ أي الأشد نقصاناً.

### ياظجية

لفظ تركي، يُلفظ يازجيه، بزاى مفخمة، جمع يازجي: وهو الكاتب، اسم لتكليف غير شرعي عده من الظلم الذي لا أصل له. ج 1 ص 98.

## وثائق وسجلات



## واقع الوثائق العثمانية في بغداد

فتح العثمانيون العراق على مرحلتين رئيسيتين، الأولى بقيادة السلطان سليم الاول، وتم خلالها السيطرة على الموصل وشمالي العراق سنة 921هـ/ 1516م. وأخرى بقيادة السلطان سليمان القانوني، وفيها تمت السيطرة على أنحاء العراق الأخرى، وبضمنها بغداد، سنة 941هـ/ 1534م وبذلك عرف العراق أولى مؤسسات الإدارة العثمانية المباشرة، وعلى الرغم من تعرض عهد السيطرة العثمانية لفترة انقطاع محدودة، (من 1032 إلى 1048هـ-1622-1638م) إلا أن أسس الإدارة وفلسفتها ظلت مستقرة بشكل عام، فلم تتعرض إلى تغيير يُذكر حتى مطلع القرن الثاني عشر (الثامن عشر للميلاد) حين أخذت بغداد تستعيد، تحت حكم واليها القويين حسن باشا وابنه احمد باشا، السيطرة المركزية على أنحاء العراق تدريجياً، حتى إذا ما انتصف القرن المذكور كان العراق كله، باستثناء ولاية الموصل، قد أمسى تحت إدارة بغداد (بدء من 1163هـ-1760م). وفي الحقبة التالية تولى المماليك في بغداد إدارة تلك الأنحاء بشكل شبه مستقل عن الإدارة العثمانية العامة، بيد أن سقوط حكمهم سنة 1247هـ-1831م أدى إلى عودة الإدارة العثمانية المباشرة من جديد إلى العراق، لتلبث فيه، وإن تعرضت إلى تغييرات بسبب محاولاتها تحديث أجهزتها بل وفلسفتها، حتى نهاية الحكم العثماني نفسه.

وكان طبيعياً أن تتخلف عن هذه الإدارة، خلال المدة الطويلة التي تولّت فيها البلاد، مجموعات ضخمة من الوثائق الرسمية تتناول مختلف الشؤون السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية، منها على سبيل المثال صور من الكتب المتبادلة بين الولاة والباب العالي، وبين الولاة وبين حكام المدن الثانوية التابعة لهم، وزعماء القبائل، وتشمل أيضاً السجلات المالية المحلية، وفيها التفاصيل الدقيقة عن واردات الولايات ومصاريفها ومراسلات الولاة مع حكام الدول والقوى المجاورة، والدول ذات التمثيل الدبلوماسي والتجاري في العراق، وغير ذلك من شؤون مهمة لدارس تاريخ العراق إبان تلك العهود.

وتزيد هذه الوثائق أهمية في العهد الذي شهد فيه العراق تأسيس الإدارة المملوكية المحلية، ففي هذا العهد كان الولاة يمارسون صلاحيات واسعة في تصريف

شؤون ولاياتهم دون الرجوع إلى الدولة المركزية إلا في أمور مهمة محددة، وهو ما يعني عدم تصور وجود صور من وثائقهم في أرشيف الباب العالي على أهميتها.

ويمكننا أن نتعرف على أهمية تلك الوثائق وفائدتها العلمية مما نقله عنها المؤرخون المعاصرون، الذين أتاحت لهم فرصة الإطلاع على نصوصها والإفادة منها في تواريخهم، أمثال عبد الرحمن السويدي في (حديقة الزوراء)<sup>(1)</sup> وعثمان بن سند في (مطالع السعود)<sup>(2)</sup> ورسول حاوي الكركوكلي في (دوحة الوزراء)<sup>(3)</sup> وسليمان فائق في (مرآة الزوراء)<sup>(4)</sup> فقد أورد هؤلاء المؤرخون نصوص ووثائق عالية القيمة أكثرها مما كان يُتبادل بين ولاية بغداد وحكام إيران حول مختلف الشؤون السياسية والعسكرية، ومنها ما تم تبادله مع زعماء الوهابيين في نجد، ومعلومات استمدت من سجلات مالية تتعلق بجوانب من الحياة الاقتصادية وغيرها، وقد صرح أكثر هؤلاء بأنهم ينقلون معلوماتهم من وثائق رسمية وسجلات، فالكركوكلي يشير إلى (السجلات العامة) و (السجلات المختصة)<sup>(5)</sup> وسليمان فائق يذكر في تقييمه للحياة الاقتصادية إبان عهد المماليك أنه يستند إلى ما عثر عليه من أدلة وسجلات<sup>(6)</sup>.

ومن المؤسف أن أدت حوادث الفوضى والاضطراب، فضلاً عن العوامل الطبيعية إلى ضياع أغلب الوثائق الرسمية وتبديدها، فتعرضت بغداد إلى احتلال إيراني في السنوات 1032هـ-1638م، وتعرضت البصرة إلى احتلال مماثل سنة 1108هـ-1696م وسنة 1190هـ-1776م، وتكررت مدهامة القوات الإيرانية لمدن العراق الشرقية، مما أدى إلى إتلاف السجلات الخاصة بشؤون الإدارة المختلفة، أما نتيجة الفوضى التي تشيع- عادة- في مقرّات الحكم إبان تلك الظروف المضطربة، وأما نتيجة الإتلاف المتعمد لها وسيلةً لطمس معالم تلك الإدارة ومظاهر السيادة العثمانية بشكل عام.

(1) بتحقيقنا، مطبوعات المجمع العلمي ببغداد 2003 ص20.

(2) بتحقيقنا، الطبعة الثانية، الدار العربية للموسوعات ببيروت 2010 ص48.

(3) انظر مثلاً ص67، 71، 79، 73، 74، 76، 78، 86، 96، 110، 111، 126، 133، 200، 208.

(4) 209 (ترجمة موسى كاظم نورس، بيروت 1963).

(5) انظر مثلاً 173 (ترجمة موسى كاظم نورس. بغداد 1962 ونشر بعنوان تاريخ بغداد).

(6) دوحة الوزراء ص131 و157 و224.

(7) مرآة الزوراء 173.

وكان للكوارث الطبيعية نصيب في ذلك أيضاً، فيذكر المؤرخ سليمان فائق أنه في سنة 1346هـ-1830م أدى انتشار الطاعون في بغداد إلى «تلف سجلات الخزينة وأوراقها مما تعذر معه معرفة الإيرادات والصرفيات التي كانت على عهد المماليك بصورة دقيقة»<sup>(1)</sup> وفي أثناء الاضطراب الذي ساد سراي بغداد في الأيام الأخيرة لحكم داود باشا آخر ولاية المماليك وتولي بعض الناس «نهب الخزينة بمن معهم وأشعلوا النار في الداخل»<sup>(2)</sup> فكانت الوثيقة بذلك من أهم ضحايا تلك الكوارث، وهدفاً لها في أكثر الأحوال.

وكانت (الدفتر خانة) من أكثر الدوائر العثمانية حرصاً على وثائقها لما تضمنه من قيود ملكيات الأراضي والعقارات العامة، وقد وفقنا على ما يفيد تعيين موقعها من بغداد، فإذا بهذا الموقع قد شغلته دوائر رسمية أخرى، في أزمنة تالية، فلم يُعلم مصير تلك الأرفف من السجلات التي حوتها تلك الدار من قبل<sup>(3)</sup>.

وفي عهد الدولة العراقية، أضيف عامل آخر إلى عوامل ضياع الوثائق العثمانية، وهو ما يمكن ملاحظته في شيوع شعور عام بأن الدولة الجديدة قد نسخت في فلسفتها وأحكامها وقوانينها الدولة العثمانية السالفة، ومن ثم لم يبق من مبرر لحفظ وثائقها وسجلاتها العديدة كلما استعيز عنها بوثائق جديدة، وهكذا تبددت وثائق المعارف والمالية والبلديات والجيش والشرطة. فمنها ما حرق عمداً، ومنها ما أصابه التلف نتيجة حفظه في سراديب دوائر (السراي) الرطبة، والقريبة من النهر<sup>(4)</sup> وبذا ضاعت ثروة تاريخية لا تقدر بثمن للباحث في تاريخ العراق إبان تلك القرون.

ولقد عُنينا- منذ زمن- بتتبع مظان ما تبقى من الوثائق العثمانية في بغداد خاصة،

---

(1) المصدر نفسه 177.

(2) سليمان فائق: تاريخ المماليك الكولة مند في بغداد (ترجمة محمد نجيب ارمنازي، بغداد 1961)، ص 69.

(3) كانت الدفتر خانة تشغل آخر مباني قشلة بغداد، وقد اشغلت موقعها بعض المدارس العسكرية العثمانية، ثم امست تابعة للمحاكم التابعة لوزارة العدل، انظر تعليقنا على: عبد الرحمن السويدي: تاريخ حوادث بغداد والبصرة (بتحقيقنا، بغداد، ص 115).

(4) ذكر لي الأستاذ ميخائيل عواد، وكان سكرتيراً لوزير المعارف (التربية فيما بعد)، أكثر من ثلاثين سنة، ان في إحدى حوادث ارتفاع منسوب مياه دجلة، نرّ الماء في سراديب وزارة المعارف حتى امتلأت به، فأدى ذلك إلى غرق اكداش كبيرة من الوثائق القديمة كانت تصل بارتفاعها إلى السقف، ومن ثم تلفها الكامل، فما كان الا أن رفعت وألقيت في دجلة.

فتبين لنا ان هذه الوثائق تنقسم بحسب طبيعتها، والأماكن التي وجدت فيها، إلى المجموعات الآتية:

#### اولا: مجموعة الأوقاف:

تحتفظ وزارة الأوقاف العراقية بمجموعة من الوثائق الخاصة بالأوقاف الخيرية والذرية، أضافت إليها، في العقود المتأخرة، ما استحصلت عليه من نسخ مصورة ومنقولة، من أصول الوقفيات التي لها تعلق بالعراق مما هو محفوظ في أرشيف الوقفيات في تركيا، فشكلت هذه الوثائق، بمجموعها ثمانية عشر سجلاً كبيراً تضم (3406) وثيقة. وبعض هذه الوثائق مكتوب أصلاً باللغة العربية، بينما ترجم البعض الآخر من اللغة التركية العثمانية، ويمكن القول بأنها تمثل أقدم مجموعة وثائقية في العراق، حيث تضم وثائق ترقى إلى القرن الثامن للهجرة، فالقرون التالية، حتى نهاية العصر العثماني فالعهد الملكي، بمعنى أنها تغطي نحو ستة قرون كاملة من تاريخ العراق. وهي مدة طويلة لا تدانيها فيها أية مجموعة أخرى، وبضمنها سجلات المحاكم الشرعية التي لا ترقى إلى أبعد من أواخر القرن الثاني عشر للهجرة.

تبرز أهمية هذه الوثائق من نواحي عدة، فمن الناحية الاقتصادية تضم معلومات ذات شأن عن طبيعة الأراضي والعقارات، من بساتين وحقول وأراض غامرة وقرى وخانات وأسواق ودكاكين، وقفها أهل الخير على ما أنشأوه من مؤسسات خيرية أو على ذرايرهم، فتوضح ما كانت تدُّره من دُخول، وأوجه أنفاقها، وأنواع العملات المستعملة في عهدها، ومقادير رواتب فئات مختلفة من العلماء والقضاة والمدرسين والمتولين وغيرهم، مما يلقي أضواءً على تطور الملكية العقارية داخل المدن وخارجها ومستويات الدخول، والنشاطات الاقتصادية في زراعة وتجارة وصناعة. وما إلى ذلك من شؤون. ومن الناحية الاجتماعية، توضح الوثائق أنواع الخدمات العامة في المدن العراقية، مثل إنشاء المساجد والمدارس والربط والملاجئ والسقايات وما أوقفه الموسرون على الفقراء والأرامل واليتامى والمحتاجين لإطعامهم وأكسائهم وهو ما يكشف عن روح التكافل الاجتماعي في المدينة العراقية ابان تلك العهود. كما توضح الوثائق أيضاً دور المرأة في مثل هذه الأعمال، من خلال الوقفيات السخية التي وقفتها على مختلف شرائح المجتمع، وهو دور كبير لا يمكن الاستهانة به في أية حال. وتكشف بعض الوقفيات الذرية الخاصة عن طبيعة العلاقات الإنسانية والقانونية، داخل الاسرة الواحدة عهد ذاك.

أما الناحية الثقافية، فتتجلى فيما تحفل به تلك الوقفيات من أسماء مدارس ودور القرآن التي أنشأها محبو الثقافة وما وقفوه عليها من أموال بهدف دوام العناية بها بعدهم، كما تشمل أيضاً معلومات متنوعة عن الفئات التي كانت تشغل بالعلم والتعليم كالمدرسين والطلبة ومناولي الكتب وخزانتها والمعيدين والمقرئين وغيرهم، وتفاصيل مهمة عن طرق إدارة تلك المؤسسات وصلاحيات المشرفين عليها بحسب شروط الواقفين، وتتضمن بعض الوقفيات تفاصيل أكثر دقة عن خزائن الكتب الموقوفة، وفهارس ما تحتويه من كتب مما يقدم مادة خصبة للباحث في تاريخ التربية والتعليم والثقافة إبان تلك العهود.

وللوثائق أهمية خططية خاصة، فإن فيها معلومات لا تقدر بثمن عن القرى الزراعية في العراق، بوصفها قد احتوت على أراض و عقارات موقوفة، وكثيراً من القرى ما كنا نعلم تاريخ وجوده لولا أن ورد اسمه في تلك الوقفيات، كما أنها ضمّت أيضاً معلومات لا تقل أهمية عن تطور خطط المدن الرئيسية، وبخاصة بغداد، ففيها تتحدد للقارئ مواقع مساجد ومدارس ومحلات وأسواق ودروب وخانات وأبواب وعقود ودور حرفية (ورش). وجسور وقناطر ومشارع (جمع مشرعة وهي الشريعة) وقلاع وثكنات وحمامات، مما يكشف عن أسمائها القديمة، وما كان يشغل أرضها من مواقع بائدة، وما آل إليه حالها في الأزمان التالية، حتى يمكن القول أن دراسة الخطط بغداد في العهود المتأخرة لا يمكن أن تجري ما لم تستند أولاً على معطيات تلك الوثائق المهمة.

وتحمل الوقفيات دائماً أسماء القضاة الذين صادقوا على مندرجاتها وأسماء الشهود الذين شهدوا عليها وعناوين وظائفهم، وبما أنهم عادة من وجهاء المدينة وعلمائها، فإن الوقفيات تدلنا على كثير من التفاصيل الخاصة بتلك الفئات، كما أنها تحتوي على معلومات مهمة تفيد في معرفة تاريخ الأسر التي تميزت بعلم وفضل ومال، وأعلامها، وأصولها، ومصادر ثرواتها وما إلى ذلك من شؤون.

### ثانياً: مجموعة الطابو:

كانت الدفترخانة هي المسؤولة قانوناً عن تنظيم شؤون الإقطاعات الزراعية-العسكرية في الريف، وقد وجدت في بغداد، منذ أول عهدها بالسيطرة العثمانية دائرة (دفترخانة) محلية تتبع (الدفترخانة العامرة) أي المركزية في العاصمة، وإثر إلغاء هذه الإقطاعات في النصف الأول من القرن التاسع عشر، أصبحت مهمة تلك الدائرة

مختصة بمتابعة رسوم الأراضي وإصدار سندات الملكية بشأنها، أما سندات ملكية العقارات داخل المدن فكانت تختص بها المحكمة الشرعية عادة<sup>(1)</sup>.

وإثر صدور قانون الأراضي العثماني سنة 1275هـ/1858م والتعليمات المتعلقة به، استحدثت دائرة جديدة تتولى شؤون الملكية العقارية باسم (دائرة الدفتر الخاقاني) وربطت بها دوائر محلية بالاسم نفسه في مراكز الولايات المهمة، ومنها بغداد.

وأصبح من واجبات (الدفتر الخاقاني) في بغداد تطبيق القوانين والأنظمة والتعليمات النافذة بشأن إدارة الأملاك والأراضي والنفوس، وما كان مختصاً منها سندات التصرف بالأملاك والأرض وتثبيت حق ملكيتها رسمياً إضافة إلى واجبات أخرى<sup>(2)</sup>. وبما أن السياسة الاقتصادية للدولة كانت تستهدف منذ عهد مدحت باشا تسجيل أكبر مساحة ممكنة من أرض العراق بأسماء المالكين الجدد، فقد كان من الطبيعي أن تتخلف عن هذه الدائرة وبسرعة كميات كبيرة من الملفات التي ضمت أوليات عمليات المسح، والتسجيل وتثبيت الحدود، وتحديد العائدية، ومتابعة انتقال الملكية وما إلى ذلك من شؤون أقرها القانون الجديد.

وبما أن أكثر تلك الملكيات قد جُدد تسجيله في عهدي الاحتلال البريطاني والدولة العراقية، فقد فقدت الملفات القديمة الخاصة بها قيمتها القانونية، ومن ثم تعرضت -تدرجياً- إلى الإهمال والتكديس في أقبية دائرة الدفتر الخاقاني، التي عُرفت باسم الطابو. ثم أنها كُدمت -على غير ترتيب معين- في أكياس كبيرة من الخيش (كواني) قدرنا عددها، يوم رأيناها سنة 1982 تحت الطابق الأوسط من عمارة الدفتردار الكائنة في مدخل شارع المستنصر، بأكثر من مائة كيس يختص بعمليات تسجيل الأراضي في الريف، وقد سَعِينَا في حينها لنقلها إلى المركز الوطني للوثائق، فلم نجد لسعينَا هذا أي صدى، بذريعة أن المركز لا يملك مساحة تكفي لحفظ هذه الكمية الكبيرة من الأكياس.

(1) انظر نجاتي اقطاش وعصمت بينارق: الأرشيف العثماني (ترجمة صالح سعداوي، عمان 1986، ص 339-335) ودائرة المعارف الإسلامية، مادة تيمار بقلم ديني.

(2) د. عماد احمد الجواهري: تاريخ مشكلة الأراضي في العراق (بغداد 1978) 45-47 وغانم محمد علي: النظام المالي العثماني في العراق، أطروحة ماجستير غير منشورة (جامعة الموصل، كلية الآداب 1989)، ص 49، 53.

أما سجلات التسجيل الخاصة بالمدن فقد كان حظها أفضل، إذ بقيت محفوظة في دوائر التسجيل العقاري (الطابو) ليرجع إليها في الحالات التي تتطلب ذلك.

ومن حسن التقدير، أن مجموعة من تلك الوثائق قد انتقلت مؤخراً إلى أمانة الوثائق في دار الكتب والوثائق فأصبحت بذلك متاحة للباحثين، وتتألف المجموعة من 114 ملفاً، تضم نحن (13842) وثيقة، جميعها باللغة التركية العثمانية، وتغطي هذه الوثائق مناطق واسعة من الولايات العراقية: بغداد والموصل والبصرة وأبرز المدن والنواحي التي تتكرر الإشارة إليها كربلاء والديوانية والدليم والكوت وخانقين وبدره وجصان ومنذلي والجزيرة وخرسان (خريسان) والعزيزية وعانة والنجف والخالص والعمارة والمحمودية والحلة والسليمانية وكركوك.

وأقدم سجلات هذه المجموعة يرقى إلى سنة 1287هـ (1870م) وهي سنة المباشرة الفعلية بتسجيل أراضي العراق في أيام ولاية مدحت باشا (1286-1289هـ/1868-1872م) ويختص هذا السجل بالمعاملات الخاصة بالأنهار الواقعة غرب الخالص، وثمة نقص واضح في السجلات التي تغطي السنين التالية حتى نهاية القرن الثالث عشر للهجرة (19م)، ومن المحتمل أن يكون سببه هو ضياع تلك السجلات أو تلفها أو عدم نقلها إلى أمانة الوثائق. وترقى السجلات المتبقية إلى ما بين سنتي 1300هـ/1882م و1333هـ/1915م.

وفي الواقع فإن التاريخ الأول يمثل البداية الفعلية لإصلاح نظام دوائر الطابو إذ أبدلت الأصول القديمة في منح سندات متعددة وتقرر إعطاء سند واحد في كل قطعة، واستخدمت دفاتر جديدة لتسجيل المعاملات عليها، فضلاً عن إجراء تغييرات أخرى مهمة<sup>(1)</sup>.

تبحث سجلات الطابو، فيما تضمه هذه المجموعة منها، في شؤون متنوعة ذات صلة بالأرض وملكيته، منها مثلاً ما يختص بمبالغ الحاصلات المرسلة من الولايات العراقية إلى وزارة الداخلية العثمانية، ومحركات صادرة من المدن العراقية حول معاملات الطابو وسجلات خاصة بالأراضي والعقارات الأميرية في المدن المذكورة، وأخرى حول نوعية ومقادير الأراضي والبرقيات الصادرة من الولايات العراقية حول معاملات التملك، ومحركات صادرة حول الموضوع نفسه، وسجلات بالسندات

(1) الجواهري، المصدر السابق، 46.

الرسمية الخاصة بالأراضي والمقاطعات المعنية، وغير ذلك من أمور. وتضم تلك السجلات، فيما تضمنه من وثائق، معلومات مهمة عن حجج الأراضي في كثير من المدن والنواحي العراقية، وأسماء المالكين، مع الإشارة إلى أسماء عشائريهم أو ألقابهم أحياناً، مما يفيد في معرفة أصولهم الاجتماعية والاقتصادية، كما أنها توضح أبعاد الأرض التي صدر بشأنها سند الملكية بقياس الدونمات وأجزائه، وتوضح حدودها من أنهار ومزارع وتلال ومعالم طبيعية وصناعية أخرى، مما يكشف عن كثير من المعالم والشواخص البائدة في تلك النواحي. وفضلاً عن ذلك فإنها تتضمن تقدير أسعار الدونم الواحد من الأرض بحسب السنين المتعاقبة، وما يتعلق بحقوق وراثية المقاطعات المختلفة، وأسماء الوارثين، ومبالغ إيجار أراضي القرى الزراعية، والمشاكل الحاصلة بين مالكيها الجدد بحسب السندات وزرّاعها من العشائر المقيمة فيها، وأسماء الأعضاء المنتخبين لمجلس إدارة الولاية، ورواتب موظفي مركز الإدارة وملحقاتها، وبراءات ذمهم، وما له صلة بشؤون نقلهم وعزلهم، ومزادات بيع العقارات، وحجز الأموال وانتقال الأراضي، وعرائض عديدة تتضمن شكاوى على موظفين في الدائرة المذكورة، وبعضها مكتوب على هيئة قصيدة، أو قطعة أدبية، ومذكرات حول معاقبة بعض الموظفين المتلاعبين تصل إلى حد الإعدام أحياناً، وغير ذلك من شؤون، تفيد الباحث في الأحوال الإدارية والتطور الاقتصادي وأثره في الحياة الاجتماعية في العراق أبان القرن الثالث عشر للهجرة (التاسع عشر للميلاد).

### ثالثاً- سجلات المحكمة الشرعية في بغداد

احتفظت المحكمة الشرعية بالرصافة بمجموعة مهمة من السجلات المرتقية إلى العصر العثماني في العراق، يبلغ عددها (680) سجلاً وهي تؤثّق الحقبة الممتدة من سنة 1198هـ/1783م وحتى نهاية العصر العثماني واحتلال بغداد سنة 1336هـ/1917م<sup>(1)</sup>.

---

(1) كنا قد سعيينا منذ سبعينات القرن الماضي إلى نقل هذه السجلات، لاسيما ما يختص منها بالعصر العثماني، من الحجرة المذكورة التي لم تتوفر فيها أيّاً من شروط الحفظ الآمن، إلى دار الكتب والوثائق، بوصفها المكان الأفضل لحفظها، والأولى بذلك قانوناً، ولكن الموافقة على ذلك النقل لم تكن تحصل بسبب ممانعة المحكمة نفسها مرة بعد مرة، بحجة حاجتها إليها في عملها اليومي، وحينما أفرغت المحكمة الحجرة من سجلاتها لتخصص لقبر عاذلة خاتون (ينظر: من تاريخ الخدمات النسوية العامة في بغداد في هذا الكتاب) على ما طالب

وتتفاوت أعداد صفحات كل من هذه السجلات، فتبلغ لصفحات القديمة منها (حتى سنة 1300هـ/1882م) ما بين 84 و 150 صفحة، في حين يستقر عدد صفحات السجلات التالية (حتى نهاية العصر) على 200 صفحة، وكلها مجلد تجليداً محكماً على النمط القديم. وبعض هذه السجلات يتضمن نحو مائة معاملة، بينما يرتفع عدد المعاملات في سجلات أخرى إلى نحو ألف معاملة، وعلى الرغم من اختلاف مقاييس السجلات، إلا أن السمة العامة لها أنها طولانية بشكل مفرط، حيث يتراوح عرضها بين 13 و 16 سم، وطولها بين 41 و 45 سم.

ولغة السجلات الغالبة هي التركية العثمانية، ولكنها تحتوي أيضاً على وثائق عديدة كتبت بالعربية، بل ثمة سجلات برمتها مكتوبة بالعربية وحدها.

وكتاب هذه السجلات هم قضاة بغداد أنفسهم، وهم - عادة - يتولون مناصبهم لمدة قصيرة (سنة أو سنتين) لذا فإنها مكتوبة بخطوط عديدة، لكنها جميلة غالباً، وتوجد في الصفحة الأولى من كل سجل بيانات باسم القاضي الذي يتولى التسجيل فيه، وأولهما فرمان توليته في منصبه، وتاريخ ذلك، وموضوع السجل، والزمن الذي يوثقه، وتوقيع القاضي نفسه، الذي هو غالباً على نمط واحد يتكرر لدى جميع القضاة.

---

به الحاج أمين المميز، المتولي على أوقافها المصفاة، لم تجد المحكمة مكاناً في مبنائها لحفظ تلك السجلات، ومن هنا سعيها لدى دار الكتب والوثائق بطلب نقلها إلى إحدى قاعاتها وحفظها فيها، وكنا يومذاك عضواً في الهيئة الاستشارية للدار، فما كان من المحكمة إلا أن وافقت على الطلب المذكور، فنقلت وصارت في متناول الباحثين. وكنا قد أعدنا دراسة وفهرسة للسجلات المذكورة تحت عنوان (سجلات المحكمة الشرعية في بغداد وأهميتها في دراسة تاريخ العراق الاجتماعي والاقتصادي)، قدمناها إلى هيئة كتابة التاريخ في العراق سنة 1982، ثم نشرناها في مجلة المورد التراثية التي تصدر في بغداد، العدد 2، السنة 12، 1983. وقد أخبرنا الدكتور بشير إسكندر مدير عام الدار سابقاً، في لقاء به في شتاء 2012 أن تلفاً كبيراً أصاب هذه السجلات في أثناء حوادث الفوضى التي رافقت، وأعقبت، الاحتلال الأمريكي لبغداد سنة 2003، وأن عملية ترميم تجري الآن لصيانة ما تبقى منها، أما المحكمة الشرعية نفسها فقد ننض مبنائها وشيدت على أرضها سوقاً مقللاً (قيصرية)، لبيع الملابس الجاهزة.

ونظراً لأن الفهرسة التي قمنا بها هي الأولى، والوحيدة التي جرت لهذه المجموعة النفيسة من الوثائق، قبل أن تمسها يدي الإتلاف والتخريب، رأينا أن من المفيد نشرها ليفيد منها الباحثون في وثائق العراق إبان هذه الحقبة المهمة من تاريخه.

تتقسم السجلات بحسب ما كان عليها وضعها في قسم الملفات في المحكمة الشرعية إلى مجموعتين رئيسيتين، هما :

### أولاً- المجموعة العامة:

وأقدم سجلات هذه المجموعة عهداً، يرقى إلى 20 رمضان سنة 1198هـ/ 1783م، وليس للمحكمة علم بالسجلات السابقة على هذا التاريخ، ويعزى تنظيم معظمها إلى والي بغداد سليمان باشا الصغير (1223-1225هـ/ 1808-1810م).

وتتميز هذه المجموعة عن سواها بأنها تحمل أرقاماً متسلسلة بحسب أزمانها، باستثناء واحد، هو أن أقدم سجلاتها، المتضمن وثائق سنة 1198هـ يحمل الرقم 6 من المجموعة، وكان الواجب أن يحمل أول أرقامها، ويحمل سجلان منها رقماً متكرراً واحداً، كما توجد عدة سجلات ضائعة يكشف عنها الترقيم الموجود على المجموعة، وهو ترقيم قديم يرقى إلى العصر العثماني.

إن عدد السجلات كما يفهم من أرقامها كان (446) سجلاً، بينما لا يوجد منها في الوقت الحاضر إلا (419) فقط، وأهمية هذه المجموعة تكمن في أن قسماً كبيراً منها يرقى إلى ما قبل عهد التنظيمات العثمانية في العراق، وهي حقبة أدت فيها المحكمة الشرعية دوراً متميزاً في الحياة الإدارية والاجتماعية والاقتصادية، باعتبارها الجهة الوحيدة المختصة بتوثيق مختلف الشؤون الرسمية والشعبية، ففيها فرامين تعيين الولاة وتجديد تعيينهم، وسائر الفرامين الموجهة اليهم بشأن أمور عامة مهمة، وأوامر الولاة أنفسهم، وأوامر الصدور العظام وشيوخ الإسلام، وأنواع المكاتبات الرسمية، كالتي تختص بتصفية أموال الموظفين الرسميين بعد عزلهم، والتدقيق في معاملات الولاة، والأوامر العسكرية والإدارية وغيرها. كما أن فيها تسجيلات دقيقة أحياناً لأسعار بعض المواد، ومقادير ما كان يجبي من الضرائب بأنواعها، وضمان (التزام) أصناف الحرفيين وسائر مرافق المدينة الاقتصادية، كالأسواق والحمائم ودور النسيج والصناعات، وتتضمن أيضاً وقفيات لعدد كبير من المساجد والمدارس، ورواتب العاملين فيها، والتدقيق في شؤون المتولين عليها من حيث الوارد والصادر، ومقدار ما كان يُنفق على تعمیرها، ويدخل في ذلك أجور العمال وأثمان المواد، وأنواع المعاملات العقارية من شراء وبيع ورهن واستبدال واستئجار، يتعلق معظمها بقصور ودور ودكاكين وخانات وأسواق، حُدثت معالمها وأبعادها. وقسم من تلك المعاملات

خاص بمدن تقع في خارج بغداد كما تشمل على وثائق تتعلق بالعلاقات الزراعية في الريف، كعقود المغارسة، والمساقاة والمزارعة، والعمل الزراعي، والضمان، ودعاوى بشأن ملكية اقطاعات متنوعة في أنحاء مختلفة من العراق، واعفاءات من رسوم مختلفة، حددت بدقة. ودعاوى قتل بين الأفراد والعشائر، وأخرى مرفوعة من طوائف مسيحية مختلفة بشأن بعض الكنائس وغيرها، ومعاملات مالية لعدد من الصيارفة اليهود، وبيانات بتخصيص رواتب لشخصيات بارزة من خزينة بغداد، وأخرى بشأن شركات تجارية ومضاريات. هذا فضلاً عن عقود النكاح والمواريث وتصفية التركات وشراء الممالك وعقدهم وما يتصل بذلك من شؤون تخص الاسرة والمجتمع العراقي في ذلك العصر.

والرقعة الجغرافية التي تتولى شؤونها محكمة شرعية بغداد واسعة نسبياً، فهي تشمل فضلاً عن مدينة بغداد ذاتها، مدن وسط العراق وقراه وريفه، كالحلة، والنجف، وكربلاء، وحديثة، وعانة، وهيت، وراوة، وكركوك، وأربيل، وبعقوبة، ومنها قرى دائرة، وأنهار مندرسة، وأرض تُسيت أسماؤها في حقب لاحقة.

وفيما يلي قطعة من أول فهرس كنا قد أعددناه للسجل الاول من سجلات هذه

المجموعة:

رقم الصفحة والقضية	الموضوع	التاريخ	ملاحظات تشمل لغة القضية والعملات المستخدمة
ص 2 ق 1	إشعار بتعيين إسماعيل قاضياً في بغداد	27 رمضان 1198	بالتركية
ص 2 ق 2	نص فرمان تعيين إسماعيل قاضياً في بغداد	4 شعبان 1198	بالتركية
ص 3 ق 1	حجة شرعية باستبدال وقف من قبل متوليه الحاج قاسم يشمل دكاكين وقهوه خانه في راس القرية	8 ذي القعدة 1198	بالتركية

ص 3 ق 2	عقد زواج حسين آغا بن الحاج حسن بياسة بنت طعان بوكالة الحاج علي الموصلي	غير مؤرخ	بالعربية، زر محبوب
ص 3 ق 3	عقد زواج محمد بن علي من سكنة بنت أحمد بوكالة ملا كاظم بن محمود	21 ذا 1198	بالعربية، تومان، رييات صفار
ص 3 ق 4	حجة بتعيين لجنة لتنفيذ وصية عائشة خاتون بنت فضلي من سكان بغداد	23 (غير واضح بسبب التصوير)	بالتركية
ص 4 ق 1	عقد زواج عبد المهدي بن الحاج قنبر من سكنة بنت عبد الواحد بوكالة ابراهيم آغا بن عبد الله	25 م 1199	بالعربية، قرش رومي
ص 4 ق 2	حكم شرعي لفض نزاع سقط فيه قتل بين عشيرتي بني سعد والدفاععة	12 م 1199	بالتركية.
ص 4 ق 3	عقد زواج الملا نعمان بن ابراهيم من خميسة بنت بيرة بوكالة حمود بن السيد علي	25 ص 1199	بالعربية، تومانات بغداد
ص 4 ق 4	دعوى ملا عبد الله بن شهيد الوصي على ابنته أمنية لرفع زينب ووكيلها السيد أيوب بن السيد أمين الأدهمي عن تركة عثمان شهيد	27 ص 1199	بالتركية، غرش رومي

ص 4 ق 5	اعلام شرعي بوفاة زوج زينب بنت محمد في اثناء الغوغاء	غير مؤرخ	بالتركية
ص 5 ق 1	قائمة بالمهمات العسكرية الموجودة في قلعة بغداد الواردة من الطوبخانة العامة باستانبول تتضمن اسماء أسلحة نارية خفيفة.	غير مؤرخة	
ص 5 ق 2	حكم برفع يد مصطفى بن ملا حسن عن بستان التوت في نهر جرف الأحمر بناء على دعوى عباس بن حمزة على مصطفى بن ملا حسن بأن البستان هي لابن عمه محمود وأن مصطفى ضبطها من غير وجه حق.	27 محرم 1199	
ص 6 ق 1	دعوى برد مبلغ في ذمة فياض بن سلمان إلى حسين بن قاسم	25 دا 1199	بالتركية، غروش رومي
ص 6 ق 2	تحرير تركة الحاج علي بن عبالله الباجه جي وبيعها في سوق السلطان لصالح بيت المال، وتتضمن قبان وصناديق وسجاد ونقود	28 ذا القعدة 1199	بالتركية، غروش رومي
ص 7 ق 1	فرمان إلى والي بغداد وقاضيهما بوجوب إظهار الزينات وإطلاق المدافع ابتهاجاً بولادة ولد للسلطان محمود	اواخر رمضان 1199	بالتركية

ص 8 ق 1	كتاب من الوالي بشأن تنفيذ فرمان المذكور	غير مؤرخ	بالتركية
ص 8 ق 2	دعوى السيد مصطفى بن السيد اسماعيل على السيد يحيى بن السيد حسين بتسليمه ماشيته	2 ذ 1199	بالتركية
ص 8 ق 9	عقد شراء خديجة خانم بنت سليمان باشا والي بغداد لعقار واقع في محلة شاه قولي دلال في بغداد في مجلس شرعي من وكيل الباليوز بوكالة مفتي الحنفية الحاج إسماعيل أفندي ونقيب الأشراف الحاج عبد الرحمن أفندي، وشهد على البيع عدد من سراة بغداد بينهم المفتي والنقيب والخطيب السيد طه ودرويش أفندي امام قصة الأعظمية وعبد الله أفندي كليدار الإمام الأعظم وحسن أفندي بن حسين أفندي الرحيبي وعبد الله أفندي بن محمود أفندي مفتي الحلة سابقاً والحاج محمد جميل أفندي بن عبد الجليل والحاج محمد سعيد أفندي بن	12 ربيع الآخر 1199	بالتركية

		عبد الجليل والحاج مصطفى سميكة والحاج حسين جليبي قصار زاده وعبد الله جليبي بن الحاج يوسف الأعظمي وملا مصطفى أفندي مدرس الوفائية وغيرهم.	
ص10 ق1	مصادقة على شراء خديجة خانم بنت سليمان باشا والي بغداد لعقار في محلة شاه قولي دلال بوكالة مفتي الحنفية الحاج اسماعيل افندي ونقيب الأشراف عبد الرحمن افندي، في آخرها اسماء الشهود من بينهم مفتي الحنفية والنقيب وسيد طه افندي الخطيب ودرويس افندي الإمام وعبد الله افندي الكليتدار ولطف الله اغا وطوبجي محمود اغا ومحمد الخطيب ينيكجيري افنديسي وعربه نجى باشي الحاج مصطفى اغا	13 ربيع الآخر 1199	بالتركية، غرش
ص10 ق1	حكم ببراءة ذمة ملا ابراهيم امام جامع النعمانية الوكيل عن فاطمة خاتون زوج عجيمي زاده	15 ر 1199	بالتركية

		بكر اغا من حق التزامه ومن كافة المعاملات لعائشة خاتون بنت شاهين اغا وفي آخره اسماء الشهود موسى بك شاوي زاده وأحمد آغا بن عثمان اغا وأحمد آغا جاوش كهيه سي وجواد بن ملا فتحي.	
ص10 ق3	حكم لسليمان آغا بن خضر بك برفع يد درويش أفندي بن حمزة جليبي عن تركة المتوفى أحمد أفندي بن مصطفى أفندي	25 ذ 1199	بالتركية، غرش
ص11 ق1	حكم لكلثوم بنت ماجد برفع يد فضلي أوغلي حسن عن تركة زوجها المتوفى هاشم بن محمد درويش وهو حجل من الذهب	6 حا 1199	بالتركية
ص11 ق2	حكم برد مبلغ	17 جا 1199	بالتركية
ص11 ق3	إعلام لحضن بنت محمد بتسليم مصاغ ذهب لفاطمة بنت محمد العكيلي. واثبات وقف عقار في محلة الشيخ بشار بشهادة عباس آغا بن هاشم اغا وياسين بن (..) ومصطفى بن سليمان وتبنيه	غير مؤرخ	بالتركية

بالتركية (كتب بخط ساذج يختلف عن خط سائر السجل)	1 جمادى ... 1199	إعلام بتسديد حسين مبلغ إلى درويش أفندي المحاسبي الوصي على تركة أحمد أفندي بن مصطفى أفندي.	ص12 ق22
بالتركية	2 ج 2 1199	إعلام بلزوم البرء والتوفيق لما تسببه فلح شاهين بن درويش من اعتداء على أراضي باعث الإعلام فارس بن درويش في قرية ينكجة من توابع الخالص	ص12 ق23
بالتركية	3 ج 1199	إعلام برفع يد عباس بن عمر من سكة بغداد عن تركة عائشة بنت علي وبيان حصص سائر الورثة	ص12 ق24
بالعربية	(غير واضح)	عقد زواج محمد آغا على الشب شفيقة خاتون بنت عبد الله بوكالة مصطفى آغا بن عبد الله على مهر معجل قدره مائة ذهب زر محبوب وجارية سوداء ومعجل قدره مائة وخمسون ذهبا زر محبوب وجارية سوداء	ص12 ق (غير مرقمة)
بالعربية	20 رمضان 1200	عقد زواج فتاح بن عبد الله والباكر صالحة بنت ابراهيم بوكالة الحاج صالح بن الحاج أحمد على مهر	ص12 ق (غير مرقمة)

		معجل قدره مائة وخمسين قرشا روميا ومؤجل قدره مائتي قرشا روميا	
--	--	--	--

## 2- المجموعات المتخصصة:

وتحتفظ المحكمة، فيما عدا السجلات المذكورة، بكُدى كبير من السجلات الرسمية لا يضمها تسلسل واحد، أو موضوع معين، وبعد دراستها تبين أنها تتكون من عدة مجموعات، تتناول كل مجموعة موضوعاً محدداً، ويحتفظ بعضها بأرقام متسلسلة أحياناً، ومتقطعة غالباً، لذا فقد قمتُ بفرز هذه السجلات إلى مجموعات متخصصة بحسب وحدة الموضوعات التي تتناولها.

إن ظاهرة تنظيم السجلات المتخصصة تعد إحدى أهم الظواهر الإصلاحية التي طرأت على عمل المحكمة الشرعية، ويمكن إرجاعها -بحسب سجلات المحكمة نفسها- إلى سنة 1265هـ/1848م حين أفرد أول سجل خاص بضبط الدعاوى عن السجل العام للمحكمة، ويقترن هذا التاريخ بفترة تولي محمد نجيب باشا الحكم في بغداد (1258-1265هـ/1842-1848) وهي الفترة التي شهدت أول تطبيق للتشريعات العثمانية القضائية في العراق.

وهذه المجموعات هي:

أ- سجلات الوكالات وتتألف من (24) سجلاً تغطي الفترة الممتدة من 17 جمادي الآخرة سنة 1332هـ/1920م ويحمل بعض هذه السجلات أرقاماً لكنها ليست متسلسلة بحسب السنين.

ب- سجلات ضبط الدعاوى: وتتألف من (118) سجلاً تشمل مختلف الدعاوى المرفوعة إلى المحكمة من 7 محرم 1265هـ/1848م إلى 24 ربيع الثاني سنة 1326هـ/1908م، ويحمل أغلبها أرقاماً متسلسلة مما يكشف عن فقدان بعضها، كما أن قسماً منها لا يحمل أرقاماً البتة.

ج- سجلات الفرامين والأوامر وتتألف من (11) سجلاً وتشمل عدداً كبيراً من الفرامين والأوامر (أمر نامات) الصادرة من السلاطين العثمانيين والصدارة العظمى وبعض الدوائر الرسمية إلى ولاية بغداد، كما تشمل أيضاً أوامر مختلفة من شيوخ الإسلام وبعض الدوائر الشرعية العثمانية كمجلس التدقيقات الشرعية

وأمناء الفتوى موجهة إلى قضاة بغداد. وأول هذه السجلات مؤرخ في 11 شعبان 1283هـ/1866م وآخرها ينتهي في 23 نيسان 1918، وهي غير مرقمة.

د- سجلات القيود الخاصة وعددها أربعة سجلات تغطي الفترة من 27 محرم 1321هـ/1903 إلى 14 شوال 1330هـ/1911م.

هـ- سجلات القسّامات الشرعية: وهي (17) سجلاً، تحمل أرقاماً متسلسلة، وتغطي الفترة من 17 ربيع الثاني 1306هـ/1888م إلى 25 شعبان 1336هـ/1918م وتتضمن بيانات مهمة عن الزوجات والاولاد مما يقدم فوائد جمة عن تكوين الاسرة العراقية الاجتماعي والاقتصادي ابان تلك الحقبة.

و- سجلات عقود الزواج: وتتألف من (65) سجلاً وهي تحمل ارقاماً متسلسلة في الاصل، ولكن فقد منها بعضها، وعلى أية حال فان أرقامها غير متفقة مع ترتيبها الزمني وهي تغطي الفترة الممتدة من 2 رجب 1269هـ/1852م وحتى رمضان 1335هـ/1917م، وفيها معلومات طريفة عن مبالغ (المهور) المُعجّلة منها والمؤجلة، وأمور أخرى تكشف عن جملة تفاصيل تخص وضع المرأة الاجتماعي في العراق، ومستويات المعيشة بشكل عام ابان ذلك العهد.

ز- السجلات الديون (ادانات): وتوجد منها خمسة سجلات لا تحمل أرقاماً، أولها مؤرخ في 12 جمادي الاولى 1306هـ/1889 وآخرها مؤرخ في 28 ذي القعدة 1318هـ/1900م وهي تتضمن مقادير ديون عدد كبير من الوجهاء والتجار وما يتصل بذلك من التفاصيل التي تفيد في دراسة الأحوال المالية والاقتصادية لتلك الفئات.

ح- سجل النفقات والمخالعات: وتوجد منها ستة سجلات لا تحمل أرقاماً، أولها مؤرخ في 18 شوال 1322هـ/1904 وآخرها في 19 شوال 1339هـ/1921م وهي خاصة بشؤون (النفقة) وما يتصل بها من أمور مالية تفيد في معرفة المستويات المعيشية للفرد والاسرة في العراق آنذاك.

ط- سجلات التبليغات:

ويوجد منها سجلات، يبدأ أولها في 11 ربيع الثاني 1315هـ/1897م وينتهي آخرها في 1 جمادي الآخرة سنة 1325هـ/1907م وهما يحتويان على التبليغات الصادرة عن المحكمة في شؤون متنوعة.

ي- سجلات المبيعات والرهنيات: ويوجد منها سجلات يبدأ أولهما في 7 شوال 1301هـ/1883م، وينتهي آخرها في 5 جمادى الأولى 1328هـ/1909م وهما يحتويان على جملة أمور تتعلق بالحياة المالية والاقتصادية في العراق آنئذ .

ك- سجلات متفرقة: وهي أربعة سجلات، تحمل تواريخ مختلفة، يبدأ أولها في 8 جمادى الأولى 1247هـ/1831م وينتهي آخرها في 23 ربيع الأول 1330هـ/1911م. وهي تتضمن وثائق متنوعة عن التزام مقاطعات، وشؤون الجنائيات، والتركات وغير ذلك، ومعظمها لا يحمل أرقاماً.

ل- سجلات محكمة شرعية الأعظمية: وهي ثلاثة سجلات، تتناول أموراً متنوعة مما كان يعرض على المحكمة الشرعية في الأعظمية في الفترة الممتدة من 3 ذي القعدة سنة 1301هـ/1883م إلى 14 ربيع الآخر 1332هـ/1913م مثل الوكالات وعقود الزواج وضبط الدعاوى.

ولما لم يكن في المحكمة الشرعية سجل أو فهرست يتضمن أرقام هذه السجلات وتواريخها وموضوعاتها، فقد قمت بدراستها وتصنيفها على النحو الآتي:

### المجموعة العامة

#### 1- المجموعة العامة

رقم التسلسل	الزمن	
1	19 محرم 1214 - 2 ربيع الثاني 1215	
2	14 جمادى الآخرة 1215 - 25 ربيع الثاني 1216	
3	19 محرم 1214 - 11 جمادى الأولى 1215 وسلخ شوال 1217	
4	12 ربيع الأول 1219 - 5 صفر 1223 ومن 24 ذي الحجة 1225 - 3 شعبان 1236	
5	25 ذي القعدة 1221 - 7 رجب 1224	
6	20 رمضان 1198 - 29 ذي الحجة 1230	يضم معاملات متفرقة تعود

للسنوات 1198-		
1230-1224-1201		
	28 شوال 1225 - 26 شوال 1229	7
	25 ذي الحجة 1229 - 6 ذي الحجة 1230	8
	1 محرم 1231 - 15 شعبان 1231	9
	6 ذي الحجة 1231 - 1 جمادى الآخر 1233	10
	7 جمادى الأولى 1233 - 12 ذي القعدة 1233	11
	20 ذي الحجة 1234 - 12 ذي القعدة 1233	12
	23 محرم 1235 - 20 ذي الحجة 1235	13
	غرة شعبان 1236 - 12 صفر 1237	14
	غرة جمادى الآخرة 1237 - 9 جمادى الآخرة 1238	15
	10 جمادى الآخرة 1238 - 16 جمادى الأولى 1239	16
	30 رجب 1239 - 1 جمادى الآخرة 1240	17
	غرة جمادى الآخرة 1240 - 20 جمادى الأولى 1241	18
	5 شوال 1241 - 28 جمادى الأولى 1242	19
	غرة جمادى الآخرة 1242 - 30 جمادى الآخرة 1242	20
	6 جمادى الآخرة 1242 - 30 جمادى الأولى 1244	21
	غرة جمادى الآخرة 1244 - 30 جمادى الأولى 1244	22
	21 جمادى الآخرة 1245 - 28 جمادى الأولى 1246	23
	28 رجب 1246 - 23 رمضان 1247	24
	28 جمادى الأولى 1247 - أول ربيع الأول 249	25
	24 ذي الحجة 1256 - 29 ذي القعدة 1257	26
	24 رجب 1256 - 29 ذي القعدة 1257	27
	غرة ذي الحجة 1257 - 11 جمادى الآخرة 1259	28
	13 ذي القعدة 1260 - 21 جمادى الأولى 1261	29
	21 جمادى الأولى 1261 - 5 محرم 1262	30
	5 محرم 1262 - 29 ربيع الأول 1262	31

32	28 ربيع الأول 1262 - 18 رجب 1263	
33	14 ذي القعدة 1262 - 3 شعبان 1263	
34	11 شوال 1262 - 4 ربيع الثاني 1264	
35	7 بيع الثاني 1264 - 8 شعبان 1265	
37	2 ربيع الثاني 1265 - 21 جمادى الآخرة 1266	
38	12 شوال 1266 - 28 ذي الحجة 1266	
39	28 ذي الحجة 1266 - 12 ربيع الثاني 1267	
40	15 ربيع الثاني 1267 - 6 شعبان 1267	
41	20 رمضان 1267 - 30 ذي الحجة 1267	
42	1 محرم 1268 - 23 ربيع الأول 1268	
43	17 صفر 1268 - 9 محرم 1268	
44	1 جمادى الآخرة 1268 - 11 رمضان 1268	
45	26 ذي الحجة 1268 - 24 محرم 1269	
46	12 ربيع الأول 1268 - 17 جمادى الآخرة 1269	
47	12 جمادى الآخرة 1268 - 28 شوال 1269	
48	23 محرم 1269 - 28 ربيع الأول 1269	
49	28 ربيع الأول 1269 - 29 جمادى الآخرة 1269	
50	28 جمادى الآخرة 1269 - 28 شوال 1269	
51	17 جمادى الآخرة 1269 - 3 ذي القعدة 1270	
52	2 ذي القعدة 1269 - 10 صفر 1270	
53	10 صفر 1270 - 24 جمادى الآخرة 1270	
54	23 جمادى الآخرة 1270 - 16 رمضان 1270	
55	4 ذي الحجة 1270 - 27 محرم 1272	
56	23 رمضان 1270 - 20 صفر 1271	
57	20 صفر 1271 - 20 جمادى الأولى 1271	
58	20 جمادى الأولى 1271 - 20 شعبان 1271	
59	21 شعبان 1271 - 22 ذي الحجة 1271	

60	24 ذي الحجة 1271 - 13 ربيع الثاني 1272	
61	16 ربيع الثاني 1272 - 25 رجب 1272	
62	26 رجب 1272 - 30 شوال 1272	
63	25 شوال 1272 - 9 محرم 1272	
64	27 محرم 1273 - 16 ذي القعدة 1273	
65	21 ربيع الأول 1272 - 17 جمادى الآخرة 1273	
66	10 محرم 1273 - 1 ربيع الأول 1273	
67	17 جمادى الآخرة 1273 - 22 شوال 1273	
68	23 شوال 1273 - 26 صفر 1274	
69	16 ذي القعدة 1273 - 14 شوال 1275	
70	27 صفر 1274 - 15 جمادى الآخرة 1274	
71	15 جمادى الآخرة 1274 - 21 رمضان 1274	
72	21 رمضان 1274 - 6 محرم 1275	
73	6 محرم 1275 - 8 ربيع الثاني 1275	
74	15 جمادى الآخرة 1275 - 5 ذي القعدة 1275	
75	11 شوال 1275 - 5 ذي الحجة 1276	
76	5 ذي القعدة 1275 - 27 صفر 1276	
77	27 صفر 1276 - 2 جمادى الآخرة 1276	
78	لا يوجد	
79	13 رمضان 1276 - غرة محرم 1277	
80	9 ربيع الآخرة 1277 - 29 ربيع الآخرة 1277	
81	18 صفر 1277 - 20 صفر 1278	
82	21 ربيع الثاني 1277 - 23 رجب 1277	
83	23 رجب 1277 - 21 شوال 1277	
84	22 شوال 1277 - 15 محرم 1278	
85	13 محرم 1278 - 16 ربيع الثاني 1278	
86	19 صفر 1278 - 19 رجب 1278	

87	12 ربيع الثاني 1278 - 25 شعبان 1280	
88	20 رجب 1278 - 20 شوال 1278	
89	19 شوال 1278 - 22 ذي الحجة 1278	
90	24 ذي الحجة 1278 - 23 صفر 1279	
91	26 صفر 1278 - 5 ربيع الثاني 1279	
92	29 ربيع الأول 1279 - 27 ربيع الثاني 1279	
93	25 رجب 1279 - 15 ذي الحجة 1279	
94	24 رجب 1279 - 12 رمضان 1279	
95	15 ذي الحجة 1279 - 28 صفر 1280	
96	1 ربيع الأول 1280 - 4 جمادى الأولى 1280	
97	4 جمادى الأولى 1280 - 20 رجب 1280	
98	24 رجب 1280 - 5 شوال 1280	
99	5 شوال 1280 - 22 ذي القعدة 1280	
100	1 رمضان 1280 - 7 شعبان 1282	
101	22 ذي القعدة 1280 - 10 صفر 1281	
102	7 صفر 1281 - 7 ربيع الثاني 1281	
103	18 ربيع الآخر 1281 - 17 جمادى الآخرة 1281	
104	13 جمادى الآخرة 1281 - 23 شعبان 1281	
105	23 شعبان 1281 - 1 ذي القعدة 1281	
106	3 ذي القعدة 1281 - 18 محرم 1282	
107	19 محرم 1282 - 12 ربيع الأول 1281	
108	14 ربيع الأول 1282 - 1 جمادى الأولى 1282	
109	14 ربيع الثاني 1282 - 17 جمادى الآخرة 1282	
110	27 جمادى الآخرة 1282 - 6 رمضان 1282	
111	18 جمادى الآخر 1282 - 16 شوال 1282	
112	17 رجب 1282 - 5 ذي الحجة 1282	
113	9 شعبان 1282 - 18 ذي القعدة 1284	

114	8 ذي الحجة 1282 - 25 صفر 1283	
115	1 ربيع الأول 1283 - 24 جمادى الآخرة 1283	
116	19 شوال 1283 - 14 محرم 1284	
117	20 محرم 1284 - 20 ربيع الآخر 1284	
118	23 ربيع الآخر 1284 - 9 رجب 1284	
119	4 رجب 1284 - 1 ذي القعدة 1284	
120	1 ذي القعدة 1284 - 15 صفر 1285	
121	13 ذي القعدة 1284 - 17 محرم 1287	
122	11 صفر 1285 - 18 جمادى الأولى 1285	
123	17 جمادى الأولى 1285 - 28 شعبان 1285	
124	25 شعبان 1285 - 3 محرم 1286	
125	3 محرم 1286 - 27 جمادى الأولى 1286	
126	2 جمادى الأولى 1286 - 28 جمادى الأولى 1287	
127	21 جمادى الأولى 1286 - 11 ذي القعدة 1286	
128	9 ذي القعدة 1286 - 3 ربيع الثاني 1287	
129	27 شوال 1287 - 4 صفر 1290	
130	9 ربيع الأول 1287 - 17 رمضان 1287	
131	18 رمضان 1287 - 3 صفر 1288	
132	3 صفر 1288 - 8 جمادى الآخرة 1288	
133	8 جمادى الآخرة 1288 - 5 ذي الحجة 1288	
134	15 جمادى الآخرة 1288 - 14 ذي القعدة 1288	
135	7 ذي الحجة 1288 - 27 صفر 1289	
136	14 صفر 1289 - 25 جمادى الآخرة 1289	
137	29 جمادى الآخرة 1289 - 19 شوال 1289	
138	10 شوال 1289 - 27 ذي الحجة 1289	
139	27 ذي الحجة 1289 - 4 ربيع الأول 1290	
140	25 محرم 1290 - 18 ربيع الثاني 1291	

141	4 ربيع الأول 1290 - 20 ربيع الثاني 1290	
142	24 ربيع الثاني 1290 - 14 جمادى الآخرة 1290	
143	18 جمادى الآخرة 1290 - 7 شعبان 1290	
144	6 رمضان 1290 - 30 شوال 1290	
145	1 ذي الحجة 1290 - 23 صفر 1291	
146	19 صفر 1291 - 8 جمادى الآخرة 1291	
147	9 ربيع الثاني 1291 - 2 شعبان 1291	
148	15 ربيع الثاني 1291 - 9 ذي القعدة 1291	
149	3 شعبان 1291 - 7 شوال 1291	
150	8 شوال 1291 - 21 ذي القعدة 1291	
151	26 ذي القعدة 1291 - 5 صفر 1292	
152	3 صفر 1292 - 27 صفر 1297	
153	3 صفر 1292 - 27 ربيع الأول 1292	
154	28 ربيع الأول 1292 - 20 رجب 1292	
155	18 رجب 1292 - 20 رجب 1292	
156	16 رجب 1292 - 21 رمضان 1292	
157	26 رمضان 1292 - 15 ذي القعدة 1292	
158	20 ذي القعدة 1292 - 19 ذي الحجة 1292	
159	26 محرم 1293 - 17 ربيع الأول 1293	
160	25 محرم 1392 - 2 ذي القعدة 1292	
161	25 محرم 1292 - 17 شوال 1292	
162	16 ربيع الأول 1293 - 5 جمادى الآخرة 1293	
163	6 جمادى الآخر 1293 - 23 رجب 1293	
164	9 رجب 1293 - 20 رمضان 1293	
165	24 شعبان 1293 - 1 ذي القعدة 1293	
166	20 ذي القعدة 1294 - 14 ربيع الأول 1295	
167	17 ذي الحجة 1293 - 18 صفر 1295	

168	20 شوال 1293 - 24 ذي القعدة 1294	
169	17 ذي القعدة 1294 - 9 محرم 1294	
170	17 محرم 1294 - 3 ربيع الآخر 1294	
171	3 ربيع الأول 1294 - 10 رجب 1294	
172	9 جمادى الأولى 1294 - 10 رجب 1294	
173	12 رجب 1294 - 4 رمضان 1294	
174	8 رمضان 1294 - 21 شوال 1294	
175	27 شوال 1294 - 21 محرم 1295	
176	29 ربيع الأول 1295 - 14 محرم 1296	
177	10 جمادى الأولى 1295 - 29 رجب 1295	
178	4 ربيع الثاني 1295 - 4 جمادى الآخرة 1295	
179	22 رجب 1295 - 9 رمضان 1295	
180	20 رمضان 1295 - 17 ذي القعدة 1295	
	(مربوط به أوامر صادرة من شيخ الإسلام إلى محكمة شرعية بغداد في خلال المدة من 13 شعبان 1303 إلى 9 ربيع الأول 1307)	
181	5 محرم 1296 - 17 صفر 1296	
182	19 محرم 1296 - 24 صفر 1296	
183	13 صفر 1296 - 17 صفر 1296	
184	9 ربيع الأول 1296 - 17 صفر 1296	
185	2 ربيع الأول 1296 - 16 ربيع الثاني 1296	
186	12 ربيع الثاني 1296 - 9 جمادى الأولى 1296	
187	19 جمادى الأولى 1296 - 23 جمادى الآخرة 1296	
188	24 جمادى الآخرة 1296 - 2 شعبان 1296	
189	30 رجب 1296 - 8 شوال 1296	
190	2 شعبان 1296 - 9 شعبان 1296	
191	10 رمضان 1296 - 21 شوال 1296	

192	24 شوال 1296 - 5 ذي القعدة 1296	
193	14 ذي القعدة 1296 - 18 ذي الحجة 1296	
194	19 ذي الحجة 1296 - 6 محرم 1297	
195	8 محرم 1297 - 13 صفر 1297	
196	4 صفر 1297 - 4 ربيع الأول 1297	
197	4 ربيع الأول 1297 - 5 ربيع الثاني 1297	
198	27 ربيع الأول 1297 - 8 ربيع الأول 1297	
199		لا يوجد
200	24 ربيع الثاني 1297 - غرة جمادى الآخرة 1297	
201	25 جمادى الأولى 1297 - 6 رجب 1297	
202	24 جمادى الآخرة 1297 - 7 شعبان 1297	
203	2 شعبان 1297 - 24 رمضان 1297	
204	4 شعبان 1297 - غرة صفر 1298	
205	26 شعبان 1297 - 6 ذي القعدة 1297	
206	7 شوال 1297 - 22 ذي القعدة 1297	
207	5 ذي القعدة 1297 - 5 محرم 1298	
208	4 صفر 1298 - غرة ربيع الأول 1298	
209	27 صفر 1298 - 24 محرم 1298	
210	5 ربيع الأول 1298 - 6 ربيع الثاني 1298	
211	5 ربيع الأول 1298 - 23 ربيع الثاني 1298	
212	6 ربيع الثاني 1298 - 21 ربيع الثاني 1298	
213	2 جمادى الآخر 1298 - 19 جمادى الآخرة 1298	
214	15 جمادى الآخرة 1298 - 4 رمضان 1298	
215	14 رجب 1298 - 7 رمضان 1298	
216	8 رمضان 1298 - 29 شوال 1298	
217	20 رمضان 1298 - 20 صفر 1298	
218	19 شوال 1298 - 15 ذي الحجة 1298	

219	5 ذي القعدة 1298 - 8 محرم 1299	
220	17 ذي الحجة 1298 - 8 ربيع الأول 1299	
221	30 ذي الحجة 1297 - 17 صفر 1298	
222	14 محرم 1299 - 26 ربيع الأول 1299	
223	14 صفر 1299 - 15 شوال 1299	
224	25 ربيع الأول 1299 - 20 جمادى الأولى 1299	
225	19 جمادى الأولى 1299 - 20 جمادى الأولى 1299	
226	29 جمادى الأولى 1299 - 9 رجب 1299	
227	25 رجب 1299 - 9 رمضان 1299	
228	9 رمضان 1299026 شوال 1299	
228	9 ذي القعدة 1301 - 24 رجب 1301	رقم السجل مكرر
229	21 شوال 1299 - 22 ربيع الثاني 1300	
230	28 شوال 1299 - 29 ذي القعدة 1299	
231	29 ذي القعدة 1299 - 10 محرم 1300	
232	5 محرم 1295 - 19 ربيع الأول 1295	
233	17 ذي القعدة 1295 - 23 ذي الحجة 1295	
234	10 محرم 1300 - 21 صفر 1300	
235	22 صفر 1300 - 4 ربيع الثاني 1300	
236	3 ربيع الثاني 1300 - 15 جمادى الأولى 1300	
237	14 جمادى الأولى 1300 - 21 جمادى الآخرة 1300	
238	16 جمادى الأولى 1300 - 22 ذي القعدة 1300	
239	21 جمادى الآخرة 1300 - 6 شعبان 1300	
240	30 رجب 1300 - سلخ شوال 1300	
241	4 شعبان 1300 - 8 شوال و 28 شعبان 1300	
242	9 شوال 1300 - 25 شعبان 1300	
243	2 ذي القعدة 1300 - 7 ذي الحجة 1300	
244	8 ذي القعدة 1300 - 112 ذي القعدة 1300	

245	7 ذي الحجة 1300 - 17 محرم 1301	
246	26 محرم 1301 - 20 ربيع الأول 1301	
247	17 محرم 1301 - 4 ذي القعدة 1301	
248	5 صفر 1301 - 2 شعبان 1301	
249	8 ربيع الأول 1301 - 17 ربيع الثاني 1301	
250	20 ربيع الثاني 1301 - 24 جمادى الأولى 1301	
251	20 جمادى الأولى 1301 - 24 جمادى الأولى 1301	
252	15 رجب 1301 - 27 رجب 1301	
253	10 شعبان 1301 - 7 شوال 1301	
254	13 شعبان 1301 - 26 شوال 1301	
255	25 شعبان 1301 - 7 شوال 1301	
256	26 شوال 1301 - 24 ذي القعدة 1301	
257	13 محرم 1302 - 18 صفر 1302	
258	14 صفر 1302 - 7 جمادى الأولى 1302	
259	15 ربيع الثاني 1302 - غرة ربيع الأول 1310	
260	9 جمادى الأولى 1302 - 19 رجب 1302	
261	22 جمادى الآخرة 1302 - 19 رجب 1302	
262	5 رجب 1303 - 9 شوال 1303	
263	21 رجب 1302 - 20 ذي الحجة 1302	
264	7 شوال 1302 - 20 ذي الحجة 1302	
265	لا يوجد	
266	5 ذي القعدة 1302 - 28 ربيع الأول 1303	
267	20 ذي القعدة 1301 - 15 محرم 1302	
268	20 ذي القعدة 1301 - 20 جمادى الأولى 1302	
269	7 ذي الحجة 1302 - 20 ربيع الأول 1303	
270	7 صفر 1303 - 8 جمادى الآخرة 1304	
271	16 ربيع الأول 1303 - 17 جمادى الآخرة 1303	

272	13 شوال 1303 - 17 ذي الحجة 1303	
273	2 جمادى الأولى 1303 - 6 صفر 1304	
274	6 ذي الحجة 1303 - 5 ربيع الأول 1304	
275	27 صفر 1304 - 13 ذي القعدة 1304	
276	29 صفر 1304 - 6 جمادى الآخرة 1304	
277	20 ربيع الأول 1304 - 14 شوال 1304	
278	3 جمادى الآخرة 1304 - 9 رمضان 1304	
279	29 رمضان 1304 - 19 ذي الحجة 1304	
280	12 ذي القعدة 1304 - 10 ربيع الأول 1305	
281	28 ذي القعدة 1304 - 19 شعبان 1305	
282	19 ذي الحجة 1304 - 5 ربيع الأول 1305	
283	7 ربيع الأول 1305 - 27 جمادى الآخرة 1305	
284	27 جمادى الآخرة 1305 - 11 شوال 1305	
285	12 رجب 1305 - 12 محرم 1306	
286	1 رمضان 1305 - 25 ذي الحجة 1305	
287	10 شوال 1305 - 26 ذي الحجة 1305	
288	29 محرم 1306 - 7 رمضان 1306	
289	8 صفر 1306 - 13 محرم 1309	
290	9 صفر 1306 - 14 شعبان 1306	
291	غرة صفر 1306 - 15 جمادى الآخرة 1307	
292	غرة صفر 1306 - 4 شعبان 1309	
293	24 جمادى الآخرة 1306 - 7 ذي القعدة 1306	
294	28 شعبان 1306 - 21 ذي الحجة 1307	
295	لا يوجد	
296	16 صفر 1307 - 28 جمادى الآخرة 1307	
297	7 ربيع الثاني 1307 - 8 شعبان 1307	
298	27 جمادى الآخرة 1307 - 18 ذي القعدة 1307	

299	4 شعبان 1307 - 26 شوال 1307	
300	6 ذي القعدة 1307 - 25 ربيع الأول 1308	
301	غرة ذي القعدة 1307 - 24 محرم 1308	
302	26 محرم 1308 - 13 جمادى الأولى 1308	
303	25 ربيع الأول 1308 - 13 جمادى الأولى 1308	
304	8 جمادى الأولى 1308 - 27 رجب 1308	
305	17 رجب 1308 - 2 رمضان 1309	
306	24 رجب 1308 - 15 ذي القعدة 1308	
307	14 شعبان 1308 - 20 ذي الحجة 1308	
308	22 ذي الحجة 1308 - 2 ربيع الأول 1309	
309	21 ذي الحجة 1308 - 8 ربيع الأول 1309	
310		لا يوجد
311	3 ربيع الأول 1309 - 10 رجب 1309	
312	14 ربيع الأول 1309 - 22 رمضان 1309	
313	28 رمضان 1309 - سلخ محرم 1310	
314	4 ذي القعدة 1309 - 11 ربيع الأول 1301	
315	4 ذي القعدة 1309 - 27 محرم 1310	
316	29 محرم 1310 - 27 ربيع الأول 1310	
317	11 صفر 1310 - 24 ربيع الأول 1310	
318	10 صفر 1310 - 7 ربيع الآخر 1311	
319	14 ربيع الآخر 1310 - غرة ربيع الأول 1311	
320	6 ربيع الأول 1311 - 9 ربيع الآخر 1312	
321		لا يوجد
322	سلخ ذي القعدة 1311 - 27 ذي الحجة 1312	
323	15 جمادى الأولى 1312 - 25 محرم 1313	
324		لا يوجد
325		لا يوجد

326	22 محرم 1313 - 19 شوال 1313
327	20 محرم 1313 - 23 رجب 1314
328	8 شوال 1313 - 12 محرم 1314
329	23 شوال 1313 - 17 ربيع الأول 1314
330	14 محرم 1314 - 13 جمادى الأولى 1314
331	19 ربيع الثاني 1314 - 7 ذي الحجة 1314
332	22 ربيع الأول 1314 - 20 محرم 1315
333	16 ذي الحجة 1314 - 18 ربيع الأول 1315
334	12 محرم 1315 - 5 جمادى الآخرة 1315
335	10 ربيع الأول 1315 - 23 جمادى الآخرة 1315
336	4 جمادى الآخرة 1315 - 5 ربيع الأول 1316
337	20 رجب 1315 - 12 محرم 1316
338	17 ذي الحجة 1315 - 7 ربيع الآخر 1316
339	21 صفر 1316 - 27 جمادى الأولى 1317
340	4 ربيع الأول 1316 - 4 ذي الحجة 1316
341	غرة ربيع الآخر 1316 - 2 رجب 1316
342	22 جمادى الآخرة 1316 - 21 ذي القعدة 1316
343	22 ذي القعدة 1316 - 13 صفر 1317
344	9 ذي الحجة 1316 - 18 ذي القعدة 1317
345	16 صفر 1317 - 25 جمادى الأولى 1317
346	26 جمادى الأولى 1317 - 11 رمضان 1317
347	غرة جمادى الآخرة 1317 - 9 ربيع الأول 1318
348	27 رمضان 1317 - 30 محرم 1319
349	23 ذي القعدة 1317 - 30 محرم 1319
350	20 محرم 1318 - 12 جمادى الأولى 1318
351	10 جمادى الأولى 1318 - غرة شعبان 1318
352	10 شعبان 1318 - 20 ذي الحجة 1318

353	16 رمضان 1318 - 17 شعبان 1321	
354	9 ذي الحجة 1318 - 17 ربيع الأول 1318	
355	15 محرم 1319 - 25 ذي القعدة 1319	
356	22 ربيع الأول 1319 - 8 جمادى الآخرة 1319	
357	20 جمادى الآخرة 1319 - 5 شعبان 1319	
358	4 شوال 1319 - 3 صفر 1320	
359	20 ذي القعدة 1319 - 20 رجب 1320	
360	29 محرم 1330 - 27 ربيع الأول 1320	
361	18 ربيع الأول 1320 - 23 جمادى الآخرة 1320	
362	8 جمادى الأولى 1320 - 24 جمادى الأولى 1321	
363	11 جمادى الآخرة 1320 - 8 شوال 1320	
364	9 شوال 1320 - 14 ذي الحجة 1320	
365	17 ذي الحجة 1320 - 8 ربيع الأول 1321	
366	12 ربيع الأول 1321 - 2 محرم 1321	
367	28 جمادى الأولى 1321 - 6 شعبان 1321	
368	23 جمادى الأولى 1321 - 6 شعبان 1321	
369	14 شعبان 1321 - 3 محرم 1322	
370	8 رمضان 1321 - 14 صفر 1326	
371	16 ذي القعدة 1321 - 12 ربيع الآخر 1322	
372	15 ربيع الآخر 1322 - 18 ذي الحجة 1322	
373	7 ذي القعدة 1321 - غرة محرم 1332	
374	7 ربيع الآخر 1322 - 17 شعبان 1322	
375	15 شعبان 1322 - 22 ذي القعدة 1322	
376	23 ذي القعدة 1322 - 17 صفر 1323	
377	سلخ ذي الحجة 1322 - 3 رمضان 1322	
378	18 صفر 1323 - 15 جمادى الأولى 1323	
379	15 جمادى الأولى 1323 - 20 رمضان 1323	

380	17 رمضان 1323 - 28 ذي القعدة 1323
381	15 رمضان 1323 - 13 شعبان 1324
382	29 محرم 1324 - 16 جمادى الآخرة 1324
383	19 جمادى الآخرة 1324 - 18 ذي القعدة 1324
384	13 رمضان 1324 - 15 جمادى الأولى 1325
385	18 ذي القعدة 1324 - 29 ربيع الأول 1325
386	29 ربيع الأول 1325 - 13 رجب 1325
387	19 جمادى الأولى 1325 - 28 محرم 1326
388	16 رجب 1325 - 17 ذي القعدة 1325
389	5 ذي القعدة 1325 - 25 محرم 1326
390	28 محرم 1326 - 10 رمضان 1326
391	غرة صفر 1326 - 14 ربيع الآخر 1326
392	19 ربيع الأول 1326 - 16 جمادى الآخر 1326
393	1 ربيع الآخر 1326 - 16 محرم 1327
394	3 ربيع الآخر 1326 - 11 ربيع الأول 1330
395	15 جمادى الآخرة 1326 - 13 رمضان 1326
396	15 رمضان 1326 - 24 شوال 1326
397	1 محرم 1327 - 9 محرم 1327
398	10 جمادى الأولى 1327 - 29 رجب 1327
399	10 جمادى الآخرة 1327 - 9 صفر 1328
400	25 رجب 1327 - 15 شوال 1327
401	13 شوال 1327 - 2 صفر 1328
402	4 محرم 1328 - 25 ربيع الأول 1328
403	16 صفر 1328 - 25 ربيع الآخر 1328
404	29 ربيع الأول 1328 - 15 ربيع الثاني 1328
405	24 ربيع الآخر 1328 - سلخ رجب 1328
406	27 ربيع الآخر 1328 - 21 ذي الحجة 1328

407	27 رجب 1328 - 21 ذي القعدة 1328	
408	22 ذي القعدة 1328 - 22 ربيع الأول 1329	
409	18 ذي الحجة 1328 - 22 جمادى الأولى 1329	
410	18 ذي الحجة 1328 - 22 جمادى الأولى 1329	
411	1 محرم 1329 - 21 رمضان 1330	
412	ربيع الأول 1329 - 21 جمادى الآخرة 1329	
412	29 جمادى الأولى 1329 - 20 محرم 1329	
413	25 جمادى الآخرة 1329 - 15 ذي القعدة 1329	
414	8 شوال 1329 - 23 ربيع الأول 1330	
415	16 ربيع الأول 1330 - 16 رجب 1330	
416	15 ربيع الثاني 1330 - 23 جمادى الآخرة 1331	
417	4 رجب 1330 - غرة جمادى الأولى 1331	
418	17 رجب 1330 - 18 ذي القعدة 1330	
419	28 شوال 1330 - 18 ذي القعدة 1330	
420	16 ربيع الأول 1331 - 10 جمادى الآخرة 1331	
421	18 ربيع الثاني 1331 - 9 شعبان 1331	
422	7 جمادى الآخرة 1331 - 16 شعبان 1331	
423	غرة شعبان 1337 - 25 شعبان 1332	
424	13 صفر 1329 - 22 ربيع الأول 1332	
425	27 ربيع الأول 1332 - 10 محرم 1333	
426	13 شعبان 1331 - 23 ذي القعدة 1332	

ب- المجموعات المتخصصة

رقم السجل	أ- الوكالات الزمن	
17	17 جمادى الآخرة 1301 - 6 شوال 1319	
-	12 جمادى الأولى 1306 - 10 شوال 1322	

3	26 شعبان 1306 - 25 جمادى الآخرة 1307	
13	28 محرم 1309 - 25 صفر 1310	
8	7 ربيع الثاني 1310 - 30 ذي الحجة 1311	
15	6 محرم 1312 - 12 ربيع الثاني 1313	
-	26 ربيع الآخر 1313 - 29 ذي الحجة 1314	
36	7 محرم 1316 - 28 صفر 1317	
-	29 صفر 1317 - 25 صفر 1318	
33	4 ربيع الأول 1318 - 4 غرة شعبان 1319	
39	5 شعبان 1319 - 20 محرم 1321	
29	12 حماد الأول 1321 - 6 رمضان 1321	
48	4 غرة جمادى الآخرة 1322 - 21 ذي القعدة 1323	
-	2 شعبان 1325 - 2 محرم 1329	
58	10 ربيع الآخر 1326 - 12 رجب 1326	
67	20 ذي الحجة 1327 - 28 ربيع الأول 1329	
-	22 ربيع الأول 1329 - 21 ربيع الثاني 1331	
71	9 جمادى الآخرة 1329 - 4 غرة ذي القعدة 1329	
77	29 ربيع الأول 1329 - 12 رجب 1330	
8	7 جمادى الأولى 1330 - 22 شعبان 1331	
8	7 ربيع الآخر 1310 - 30 ذي الحجة 1331	
-	25 ربيع الثاني 1332 - 15 رجب 1333	
-	17 ربيع الثاني 1334 - 29 رمضان 1336	
-	21 ذي الحجة 1337 - 19 محرم 1339	
	ب- ضبط الدعاوى	
-	7 محرم 1265 - 18 شوال 1265	
-	9 محرم 1270	
76	24 ربيع الأول 1291 - 14 جمادى الأولى 1291	
129	4 غرة جمادى الأولى 1291 - 22 جمادى الأولى 1298	

137	21 ربيع الثاني 1298 - 11 جمادى الآخرة 1298	
150	4 ذي القعدة 1299 - 28 ذي القعدة 1299	
155	23 جمادى الأولى 1307 - 29 رمضان 1397	(هذا السجل والذي يليه لفترة زمنية واحدة)
156	17 جمادى الأولى 1307 - 29 رمضان 1307	
162	غرة صفر 1300 - 19 ربيع الثاني 1283	غير مرتب زمنياً
174	28 ذي القعدة 1300 - 30 ذي الحجة 1300	
185	25 شوال 1301 - 16 ذي القعدة 1301	
-	غرة صفر 1303 - 20 ربيع الثاني 1308	
214	6 شوال 1307 - 2 محرم 1306	غير مرتب زمنياً
215	3 محرم 1306 - 20 ربيع الثاني 1308	
-	13 ذي القعدة 1306 - 22 صفر 1307	
217	2 جمادى الآخرة 1306 - 2 رجب 1306	
218	2 رجب 1306 - 22 شعبان 1306	
219	9 ربيع الأول 1307 - 16 رمضان 1307	
221	15 جمادى الأولى 1307 - 2 محرم 1306	
222	6 شوال 1307 - 2 محرم 1306	
222	غرة رجب 1307 - 17 شوال 1307	
227	9 صفر 1309 - 28 جمادى الأولى 1309	
229	7 شوال 1309 - 9 محرم 1310	
232	21 رجب 1310 - 18 ربيع الأول 1311	
233	10 ربيع الأول 1311 - 17 ذي الحجة 1311	
234	16 ذي الحجة 1311 - 3 شعبان 1312	
236	8 رجب 1313 - 23 محرم 1314	
238	27 ذي القعدة 1313 - 21 شعبان 1314	
239	13 محرم 1314 - 24 شعبان 1314	

240	18 ذي الحجة 1314 - 5 ربيع الثاني 1315	
241	27 ذي الحجة 1314 - سلخ صفر 1317	
242	28 محرم 1315 - 26 رجب 1315	
243	8 ربيع الثاني 1315 - 28 ذي القعدة 1315	
244	28 رجب 1315 - سلخ ربيع الآخر 1316	
245	27 ذي القعدة 1315 - 17 جمادى الأولى 1316	
246	27 ذي القعدة 1315 - 17 جمادى الأولى 1316	
247	5 جمادى الآخرة 1316 - 17 ربيع الأول 1317	
248	16 شوال 1316 - 4 ذي الحجة 1317	
249	28 ذي القعدة 1316 - 22 جمادى الآخرة 1317	
250	27 ذي القعدة 1316 - 23 محرم 1324	
251	9 جمادى الآخرة 1317 - 24 صفر 1318	
252	19 شوال 1317 - 17 شعبان 1318	
253	2 ربيع الأول 1318 - 23 محرم 1326	
-	19 رجب 1318 - 24 ربيع الأول 1319	
255	19 شعبان 1318 - 15 ربيع الآخر 1320	
256	28 ربيع الأول 1319 - 23 شوال 1319	
257	24 ربيع الآخر 1319 - 24 شوال 1319	
-	18 شوال 1319 - 28 جمادى الأولى 1322	
-	23 شوال 1319 - 28 ربيع الآخر 1320	
260	28 ربيع الآخر 1320 - 29 رجب 1321	
261	24 جمادى الأولى 1320 - 20 رجب 1321	
262	28 شعبان 1320 - 20 رجب 1321	
263	9 ذي الحجة 1320 - 17 شوال 1321	
264	28 ربيع الأول 1321 - 22 ربيع الآخر 1321	
265	14 رجب 1321 - 5 جمادى الآخرة 1323	
-	28 شوال 1321 - 21 شعبان 1322	

-	23 شعبان 1322 - 27 ذي الحجة 1322	
267	23 صفر 1322 - 27 ذي الحجة 1322	
268	29 ربيع الأول 1322 - 7 رمضان 1322	
269	18 ذي الحجة 1322 - محرم 1324	
-	9 رمضان 1322 - 7 ربيع الثاني 1323	
272	9 ربيع الثاني 1323 - 14 محرم 1325	
-	12 جمادى الآخرة 1324 - 14 محرم 1325	
273	5 جمادى الآخرة 1324 - 5 ذي الحجة 1324	
274	7 شعبان 1324 - 23 ربيع الأول 1326	
-	6 ذي الحجة 1324 - 13 جمادى الأولى 1329	
276	26 جمادى الأولى 1325 - 10 محرم 1326	
-	11 جمادى الأولى 1325 - 24 ربيع الثاني 1326	
-	17 ذي الحجة 1325 - 27 رجب 1326	
-	10 شوال 1326 - 12 ذي القعدة 1327	
-	20 محرم 1326 - 28 جمادى الأولى 1327	
-	29 جمادى الأولى 1326 - 21 محرم 1327	
-	30 جمادى الأولى 1326 - شوال 1326	
280	10 شوال 1326 - 12 ذي القعدة 1327	
281	11 ربيع الآخر 1327 - 3 ذي القعدة 1327	
282	4 ربيع الثاني 1327 - 14 ذي القعدة 1327	
-	7 جمادى الأولى 1327 - 12 جمادى الأولى 1338	
-	23 صفر 1327 - 15 رجب 1330	
-	15 ذي الحجة 1327 - 12 شعبان 1329	
-	17 ذي الحجة 1327 - 21 شعبان 1328	
-	8 شعبان 1327 - سلخ ذي القعدة 1327	
284	23 رجب 1327 - سلخ ذي القعدة 1327	
286	8 جمادى الأولى 1327 - سلخ ذي القعدة 1327	

287	27 ربيع الآخر 1328 - 29 ربيع الأول 1329	
288	9 جمادي الأولى 1328 - 14 ربيع الأول 1329	
289	9 رجب 1328 - 12 ربيع الأول 1330	
250 (1290)	8 رجب 1328 - 23 ربيع الأول 1330	
-	9 جمادي الأولى 1328 - 14 ربيع الأول 1329	
-	22 ربيع الأول 1329 - 24 شعبان 1330	
-	12 ربيع الثاني 1329 - 4 رمضان 1330	
292	25 ربيع الأول 1329 - 23 ربيع الأول 1330	
293	13 رجب 1329 - 13 ربيع الأول 1330	
294	14 محرم 1330 - 15 صفر 1331	
296	24 ربيع الأول 1330 - 24 ربيع الأول 1331	
298	21 رجب 1330 - 9 ربيع الثاني 1331	
299	4 ذي الحجة 1330 - 9 جمادي الأولى 1331	
300	10 جمادي الأولى 1331 - 27 صفر 1332	
300	28 ذي الحجة 1330 - 24 جمادي الآخرة 1331	الرقم مكرر
-	21 صفر 1331 - 3 رجب 1332.	
-	21 صفر 1332 - 9 جمادي الأولى 1334	
303	10 جمادي الأولى 1331 - 27 صفر 1332	
305	13 رجب 1331 - 15 رجب 1332	
306	25 صفر 1332 - 9 جمادي الأولى 1332	
307	10 ربيع الأول 1332 - 3 شعبان 1324	
309	4 ذي القعدة 1333 - 6 جمادي الأولى 1331	غير مرتب زمنياً
300	21 ربيع الأول 1333 - 2 ذي القعدة 1333	الرقم مكرر
320	14 جمادي الأولى 1331 - 8 جمادي الآخرة 1332	
-	21 جمادي الآخرة 1330 - 26 محرم 1331	
-	4 شعبان 1332 - 23 ربيع الثاني 1332	

-	27 ربيع الثاني 1333 - 25 شعبان 1333	
-	21 جمادى الآخرة 1330 - 26 محرم 1331	
-	4 شعبان 1332 - 23 ربيع الثاني 1332	
-	27 ربيع الثاني 1333 - 10 جمادى الأولى 1334	
112	4 ذي القعدة 1333 - 1 جمادى الأولى 1334	
-	5 شوال 1334 - 21 ذي الحجة 1337	
-	19 ذي الحجة 1334 - 4 ربيع الأول 1332	
-	12 شعبان 1334 - 28 رمضان 1335	
-	12 جمادى الآخرة 1324 - 28 جمادى الأولى 1337	نصفه الأول بالتركية والنصف الآخر بالعربية

#### ج- سجلات الضامين والأوامر

رقم السجل		
-	11 شعبان 1283 - 23 شوال 1291	
-	17 ذي الحجة 1291 - 25 رمضان 1298	
-	17 شعبان 1298 - 27 شعبان 1302	
-	22 ذي القعدة 1307 - 1316	
-	5 ذي الحجة 1318 - 13 شعبان 1322	
-	10 شعبان 1322 - 22 شوال 1326	
-	16 ذي الحجة 1326 - 11 محرم 1329	
-	غرة جمادى الأولى 1327 - 11 رمضان 1331	
-	20 رجب 1328 - 6 ذي القعدة 1332	
-	22 شوال 1332 - 23 نيسان 1918	يعاصر هذا السجل فترة احتلال بغداد
-	سجل يتضمن صور من حجج صادرة من محاكم عثمانية مختلفة لسنوات عدة	

د- سجلات القيود الخاصة

رقم السجل	
-	27 محرم 1321- 29 جمادى الأولى 1322
-	19 ذي القعدة 1329- 27 جمادى الأولى 1328
63	5 رمضان 1327- 8 جمادى الأولى 1328
67	4 ربيع الاول 1330- 14 شوال 1330

هـ- سجل القسّامات

رقم السجل	
1	17 ربيع الثاني 1306- 1 رمضان 1307
2	29 شوال 1312- 28 رمضان 1314
3	27 شوال 1311- 12 شوال 1315
4	15 شوال 1315- 8 صفر 1318
5	20 صفر 1318- 10 صفر 1320
6	11 صفر 1320- 17 ربيع الاول 1321
7	20 ربيع الاول 1321- 14 رمضان 1322
8	15 رمضان 1322- 25 رجب 1323
9	25 رجب 1323- 16 ربيع الاول 1325
10	17 ربيع الاول 1325- 25 ربيع الآخر 1326
11	26 رجب 1326- 17 جمادى الأولى 1327
12	لا يوجد
13	13 جمادى الأولى 1328- 30 رجب 1329
14	1 شعبان 1329- 24 ربيع الاول 1330
15	24 ربيع الاول 1330- 27 ربيع الثاني 1331
16	5 ربيع الثاني 1331- 5 ربيع الاول 1332
17	6 ربيع الاول 1332- 19 صفر 1334

18	19 صفر 1334 - 25 شعبان 1336 (5 حزيران 1918)	يعاصر هذا السجل احتلال بغداد سنة 1917 ولذلك فان نصفه بالتركية، والنصف الآخر بالعربية
----	---	---

و- سجلات عقود الزواج

رقم السجل		
2	1 رجب 1269 - 17 جمادى الآخرة 1271	
3	19 جمادى الأولى 1271 - 19 صفر 1272	
4	20 صفر 1272 - 14 رمضان 1274	
-	17 ربيع الآخر 1273 - 24 شوال 1273	
-	25 شوال 1273 - غرة شعبان 1275	
7	9 شوال 1275 - 2 رجب 1277	بالعربية
8	غرة شعبان 1277 - 19 ربيع الآخر 1279	
10	18 ربيع الآخر 1279 - 25 ذي القعدة 1280	بالعربية
-	18 ربيع الاول 1282 - 19 جمادى الآخرة 1283	
-	24 جمادى الأولى 1282 - 29 ذي الحجة 1284	
11	22 ذي القعدة 1286 - 15 ربيع الاول 1282	غير مرتب زمنياً. بالعربية
14	غرة محرم 1285 - 12 جمادى الأولى 1286	
15	13 جمادى الآخرة 1286 - 12 (9) 1287	
-	13 ذي القعدة 1288 - 12 محرم 1290	

16	غرة محرم 1290 - 26 ذى الحجة 1290	بالعربية
17	غرة محرم 1291 - 4 ذى القعدة 1291	بالعربية
19	19 شوال 1292 - 25 محرم 1292	
20	24 محرم 1293 - 8 محرم 1294	
21	19 جمادى الآخرة 1295 - 28 صفر 1296	
22	1 ربيع الأول 1296 - 29 رمضان 1297	
23	6 شوال 1297 - 4 ربيع الأول 1298	
24	6 ربيع الأول 1298 - 24 صفر 1299	
26	25 صفر 1299 - 26 صفر 1299	
27	27 صفر 1300 - 25 محرم 1301	بالعربية
28	25 محرم 1301 - 28 ذى القعدة 1301	
29	1 ذى الحجة 1301 - 28 محرم 1303	بالعربية
30	غرة صفر 1303 - 14 جمادى الآخرة 1304	
31	22 جمادى الآخرة 1304 - 3 جمادى الآخرة 1305	بالعربية
32	4 جمادى الآخرة 1302 - 19 محرم 1306	



## قرية القاطع المندثرة في ديالى في وثيقة وقفية

من الوثائق التاريخية التي وقفنا عليها في أثناء بحثنا في أصول عهد الدولة الصفوية في العراق، وثيقة مهمة مؤرخة<sup>(1)</sup> في غرة شهر ربيع الأول من شهور سنة 929 (18 كانون الثاني سنة 1523هـ) فهي ترقى إلى السنة الأخيرة من حكم الصفويين في العراق (في الفترة الأولى من 914 إلى 930 هـ/1508-1523م)، وكانت بغداد يومذاك تحت حكم إبراهيم خان، أمير قبيلة موصلو الكردية<sup>(2)</sup>.

والوثيقة المذكورة عبارة عن حجة شرعية مكتوبة بحسب الأسلوب التقليدي السائد آنذاك في كتابة الصكوك والحجج الشرعية، وتكشف عن ظروف نشوء إحدى القرى الزراعية في شمال مدينة بعقوبا، كانت تعرف باسم (القاطع)، وموقع هذه القرية وأراضيها - كما تحدده الوثيقة- بين نهر طريق خراسان (وهو نهر خريسان الحالي) شرقاً، ونهر ديالى غرباً، وبين القرية المعروفة بحد مكسر شمالاً، وأراضي قرية خرناباد (خرنابات الحالية) في محافظة ديالى.

وهذه المواقع التي حددتها الوثيقة بدقة شديدة، ما زالت معروفة حتى اليوم، فيما عدا قرية القاطع ذاتها التي لم يبق من آثارها غير اسمها يحمله هور أو مستقع هناك، يُعرف بركة الكاطع (بكاف فارسية) وهو يمتد من شمال قرية خرنابات حتى جنوبي قرية العبارة، متصلاً شرقه بنهر خريسان، ويحمل هذا الهور اسم القرية المذكورة مما يدل على أنها كانت قريبة منه إلى حد كبير، ونحن نرجح أن تكون ركة القاطع المذكورة في الوثيقة نفسها هذا الهور، فإن الرُكة، أو الرِقة، كل أرض إلى جنب وادٍ يسنقر عليها الماء أيام المد ثم ينضب<sup>(3)</sup>.

(1) عثرت على هذه الوثيقة بين أوراق جدي المرحوم المحامي محمد رؤوف العطار (المتوفى سنة 1965).

(2) كتابنا: الأسر الحاكمة ورجال الإدارة والقضاء في العراق في القرون المتأخرة، بغداد 1991 ص21-29

(3) القاموس المحيط ج2 ص229

ولسنا نعلم ما جرى لقرية القاطع هذه بعد إعمارها في مطلع القرن العاشر للهجرة (السادس عشر للميلاد)، ولا في أي عهد اندثرت أو انقطع ذكرها، ومن الملاحظ أن المنطقة المحدودة بنص الوثيقة خالية من المستوطنات إلا من قريتين صغيرتين، أولهما قرية (العبارة) والأخرى قرية (الدورين)، وتقع الأولى عند الطرف الأعلى لهور القاطع، بين نهر خريسان والمرقد المنسوب إلى الإمام محمد بن علي. وتقع الثانية إلى الجنوب من (حد مكسر)، فإن لم تكن القرية قد اندثرت فعلاً، فلا يبق أمامنا إلا افتراض وراثة إحدى القريتين المذكورتين لموقعها. ونحن نرى أن قرية العبارة أولى بهذا الاحتمال، وذلك لقربها الشديد من رقة الكاطع، ولأن اسمها يفيد معنى العبور، والمقصود به عبور الهور أو المستنقع نفسه، وهو الذي عرف بالقاطع لقطعه الأرض الممتدة بين حد مكسر وخرنابات، فموقع القرية إذن له علاقة وثيقة بوجود الهور (الركة) نفسه (انظر الخارطة).

وتبين الوثيقة أن «جناب الصدر المعظم، الماجد المكرم، افتخار الصواحب في العالم، ملاذ المساكين في الأمم، الغني عن الألقاب بعلو الشأن ومزيد الكرم.. الصدر رضي الدين ابن الصدر شرف الدين الشيباني، فد عمد إلى الأراضي التي حدد معالمها في وثيقته، فقام بإحيائها من بعد مواتها، وأجرى فيها الماء، وساق إليها من حرثها وزرعها وصيرها قرية غناء، بعد أن كانت خراباً مقفرة، تسكنها السباع والذئاب، فصارت بذلك ملكاً له ولذريته من بعده، بموجب الحقوق المترتبة على مبدأ إحياء الأرض الموات.

ولا تمدنا المصادر بشيء عن مؤسس القرية هذا، وإن كنا نفهم مما أحيط به من ألقاب، أنه كان من طبقة الصدور، وهم ملتزمو الأرض الذين كانوا يتولون ضمان الأرض الزراعية مع قيامهم بتولي الإدارة والحكم فيها، وهي طبقة نشأت بعد الإحتلال المغولي للعراق في القرن السابع للهجرة، وتأسيس الإدارة الإيلخانية فيه<sup>(1)</sup>. وهذا النظام يشبه في كثير من جوانبه ما عرف بنظام (التيمار) الإقطاعي العسكري<sup>(2)</sup>، والذي يشمل تطبيقه اجزاء كبيرة من الولايات العراقية فيما بعد.

(1) ينظر د. جعفر خصباك: العراق في عهد المغول الإلخانيين، بغداد 1968، ص 81-84  
(2) نظام عثماني كانت له آثار بعيدة على الحياة العسكرية والزراعية والإدارية في الدولة العثمانية، وهو يقوم على أساس إلزام صاحب الإقطاع (ويسمى سباهي أي فارس) أن يؤدي الخدمة العسكرية لقاء تمتعه برسوم إقطاعه، وأن يتولى السلطات الإدارية في هذا الإقطاع

ففي الوثيقة إذاً تأكيد على استمرار نظام الصدور الإداري في الريف الزراعي طيلة الفترة المضطربة التي استمرت من مطلع القرن الثامن للهجرة (الرابع عشر للميلاد) وحتى عهد التنظيمات العثمانية الجديدة لأراضي العراق في منتصف القرن العاشر للهجرة (السادس عشر للميلاد). ونلاحظ أيضاً أن هذا الصدر كان من أهل البلاد أنفسهم لا من الأقوام الغازية التي تولت على العراق في تلك القرون، فهو عربي، شيباني، ورث منصبه من أبيه الذي كان صدرأً أيضاً، ولا ريب في أن كثرة الألقاب التي أضفيت عليه تدل على مدى أهميته وعظم منزلته في ذلك العهد.

وفي الوثيقة ما يدل على أن الصدر المذكور كان يتولى شؤون الحكم والإدارة في المنطقة التي تقع فيها القرية المحيية، وذلك أن الوثيقة جاءت خلواً من أي إشارة إلى الحاكم الذي إذن لصاحب الأرض بإحيائها، مع أن عدم وجود هذا الإذن كافٍ لإبطال شرعية عمله في ذلك الإحياء، لا سيما في فقه الشيعة الإمامية الذي يدين به حكام العراق آنذاك من سلاطين الدولة الصفوية<sup>(1)</sup>، ولا تفسير لهذا الأمر إلا أن يكون هو نفسه حاكماً للمنطقة متولياً لشؤونها الإدارية.

وتمتد منطقة إدارته لتشمل أنحاء الخالص وطريق خراسان القديم (خريسان فيما بعد) والبندنيجين (مندلي حالياً) فهذه المناطق كانت منذ أول العهد المغولي الإلخاني مدمجة في إدارة صدر واحد، وتعرف باسم (الأعمال الشرقية)<sup>(2)</sup>.

وأما محرر الوثيقة، والشاهد على ما فيها، فهو- بحسب لقبه- من أهل كربلاء، ينتمي إلى ذرية الحسين بن علي (ع). والظاهر أنه كان يتولى إحدى الوظائف الدينية الكبيرة التي تؤهله تحرير مثل هذه الوثائق الشرعية. وكونه من أهل كربلاء ينسجم مع طبيعة العصر، حيث كان العراق خاضعاً للسلطة الصفوية على ما مر بنا. والأسلوب المنمق الذي كتبت به الوثيقة يدل على ثقافة الرجل الأدبية الرفيعة وحسن ترسله في

---

في حالة السلم، وتنقسم إقطاعات التيمار إلى ثلاثة أنواع بحسب ما يقدمه كل نوع من واردات مالية، وهي خاص وزعامت وتيمار. ينظر خليل أيناالجك: التاريخ الاقتصادي والاجتماعي للدولة العثمانية، ترجمة د. عبد اللطيف الحارس، بيروت 2007 ص 159، و 224 (1) لا يجوز الإمامية إحياء الأرض الموات إلا بإذن الإمام أو نائبه، أو المرجع الديني، أو السلطان المسلم المبسوط اليد، وفي هذا يذكر صاحب الجواهر «لا يجوز لأحد الإحياء من دون إذن الإمام وأنه إجماعي عندنا». الشيخ محمد حسن: جواهر الكلام ج 6 ص 194

(2) ابن الفوطي (منسوب إليه): كتاب الحوادث، بتحقيقنا ود. بشار معروف، بيروت ص 361

الإنشاء، ولعله كان أديباً مرموقاً في عهده، مشهوراً لدى معاصريه، إلا أن أخباره ضاعت بضياع أخبار ذلك العهد وآثاره.

### نص الوثيقة

الحمد لله الذي جرت أنهار عيون معرفته في قلوب أهل الإيمان، وأخضرت المقفرات وتشققت بسيل نعمة شقائق النعمان، واهتزت بوابل كرمه وصيب ديمه وتمايلت فنون الأفنان، واكتسى الدوح خلع السحاب الهامر وأورقت الأشجار وأثمرت الأغصان، وماست عرائس الآيات بقلائد الأزهار، وصفقت المياه في الغدران، وغنت الأطيار على أفنان الأشجار، وترافقت ذوائب العيدان، ورجعت الشحارير بأصوات المزامير وناح الحمام، وصاح كل شوان، أحيا الموات البائثات وساق إلى عمارتها بأحسن القضاء والتقدير، وتيسر كل مخلوق لما خلق له وهو اللطيف الخبير، ودبر الأمور بقدره، وأيسر به التقدير والتدبير.

فانظر إلى آثار رحمة الله كيف يحيي الأرض بعد موتها، إن ذلك لمحيي الموتى، وهو على كل شيء قدير، فبيناً ترى الأرض مقفرة البقاع، مظلمة الضياع، مستهلكة في الضياع، تسكنها الضباع، وتأوي إليها السباع، يخاف من سلوكها الإنسان، ويستقر في وهادها الجان، لا يمر بها المرء إلا وهو خائف غير متمالك، ولا يسلكها سالك إلا وهو مستغرق في المهالك، فقطاع الطريق قد اتخذوها وطناً، ومردة الشياطين قد جعلوها مسكناً، يقرأ خلالها إذا مر السالكون، ويتلوا خوفاً من شرها النازلون (ربنا أخرجنا منها، فإن عدنا فإنا ظالمون)<sup>(1)</sup>، إذ ساق الله تعالى إليها بعض الأبرار، ووفق لعماريتها خيرة من الأخيار<sup>(2)</sup>، فبذل جهده وماله في إجراء المياه إليها، ونصب رجاله للتعب والنصب عليها، فلم يكن غير قليل حتى رأيتها كأنها جنة تتمايل في غلايل الحسن والجمال، أو كمروس تتخايل بقلائد البهاء والكمال، قد تالاً وجهه لألائها وعبقت فوائح وردها الأريج، وتلا لسان حالها آمنة من كل أمر مريج (وترى الأرض هامدة فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج)<sup>(3)</sup>

(1) سورة المؤمنون آية 108

(2) الإشارة هنا إلى الصدر رضي الدين الشيباني، المحررة باسمه هذه الوثيقة.

(3) الحج آية 5

أحمده على ما غمرنا من فيض عطاياء، وأشكره على ما أولانا من جزيل نعمائه،  
والصلاة والسلام الأتمّان الأكملان على سيد أنبيائه، وخلاصة أحبائه، وعلى خيرة  
أوليائه، وصفوة خلّص أصفياؤه، والطاهرين من آله المعصومين من خلفائه.

وبعد، فإن جناب الصدر المُعظم، الماجد المكرم، افتخار الصواحب في العالم، ملاذ  
المساكين في الأمم، الواثق بعناية الله السحاب (كذا)، الصدر رضي الدين ابن الصدر  
شرف الدين الشيباني، زاد الله شأنه قدراً، وأعظم له ثواباً وأجراً، عمد إلى الأرض  
المعروفة بركة القاطع، والأرض المعروفة بالقاطع، الواقع ذلك كله بطريق خراسان، بين  
قرية حد مكسر وبين قرية خرناباد، المحدود ذلك كله بشط ديالة، وبأرضين قرية  
خرناباد المذكورة، وبشط طريق خراسان، ونهر الشواخير<sup>(1)</sup>، وبالشريعة البيضاء،  
وبأرضين قرية حد مكسر، بعد أن كانت من البairات الخراب، المعهودتان بسكنى  
السباع والذئاب، المُقفرة الجوانب، المحفوفة بالمكاره من كل جانب، فغمرها بعمارتها  
كروضة تميز حسناً، وجعلها بعد الخراب والخلو كقرية غناء، وأجرى الماء في أرجائها  
وأطرافها، وساق عوامل الحرث في حواشيها وأكنافها، فصار من رآها ينشد بلسان  
الحال، ويقول ناظرها بجارحة المقال شعراً:

جنة زاهية قد أصبحت	هذه الأرض فما أحسنها
كوكب السعد عليها طالع	وانسكاب الماء قد زينها
عمّر الله لها غامرها	والذي عزّ من استوطنها

فصارتا بذلك ملكاً له بالحق ودليله، وحقاً من حقوقه، لقول نبي الله ومصطفاه  
وخليته (مَن أحيا أرضاً مواتاً فهي له)، فضلاً من الله ورسوله، فيجب على حكام  
الإسلام، وولاة الأنام، والعلماء الأعلام، والخواص والعوام، أصلح الله شأنهم على  
مرور الأيام، أن لا يزاحموا الصدر المشار إليه في هذه الأرض، وعليهم تمكينه من

---

(1) لم نعلم موقع هذا النهر، ومن البعيد أن يكون هو نهر الشويخرات الحالي، ور بما هو امتداد  
قديم له، أو نهر آخر مستقل، وذلك لبعد نهر الشويخرات المذكور عن الأرض المحددة في  
الوثيقة، فهو يقع إلى الغرب من نهر ديالى، بينما تقع هي في غربه والمسافة بينهما غير  
بسيرة، ويتفرع نهر الشويخرات الحالي من نهر الخالص.

التصرف فيها بالطول والعرض، لتبقى في ملكه وملك ورأته إلى يوم النشور والعرض،  
ومن زاحمه فيها أو في شيء منها، فقد خالف الشرع الشريف، وخرج من سمت الدين  
المنيف.

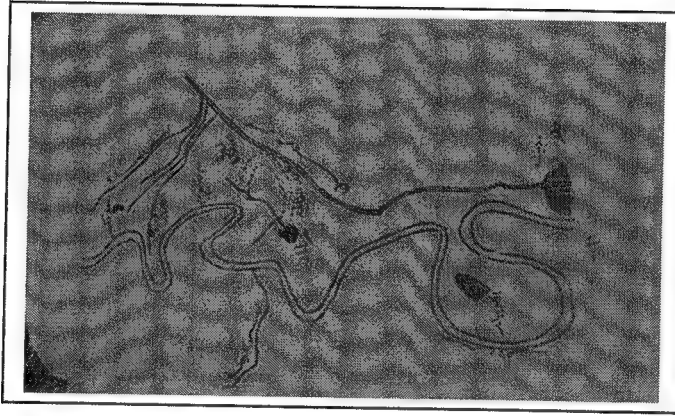
وكتب في غرة ربيع الأول من شهور سنة تسع وعشرين وتسعمائة، والحمد لله  
وحده، وصلى الله على سيدنا محمد وآله.

حرره شاهداً بما فيه:

العبد الأقل

حسن بن علي بن طوغان الحسيني الحائري

أصلح الله شأنه.



خارطة لمنطقة الارض التي جرى إحيائها

## وثيقة تكشف عن مشروع رحلة الأمير فخر الدين السرية الى مكة

حينما كنت أقوم بفهرسة المخطوطات المودعة في مكتبة دار التربية الإسلامية، الكائنة يومذاك في مبنى خاص بمدرستها في جانب الكرخ من بغداد، في شتاء سنة 1974، إطلعتُ على مخطوط قديم مجلد<sup>(1)</sup>، يضم مجموعة من الرسائل، قد تُخَنّ مجلّده غلافه الداخلي بأوراق لصقت بمادة صمغية، على هيئة طبقات، وإذا بورقة ألصقت على الغلاف الأول من داخله، كُتبت فيها بخط معتاد وثيقة في غاية الأهمية تكشف سراً مهماً سككت عنه المصادر التاريخية المعاصرة، ولم تشر إليه من قريب أو بعيد.

والوثيقة هي نسخة منقولة حرفياً من رسالة سرية مؤرخة في أواسط ذي الحجة سنة 1034هـ/ 4 أيلول 1625م، كتب في أعلاها بالخط نفسه العبارة الآتية (صورة مكتوب مولانا الشريف محسن سلطان مكة المشرفة، جواب الأمير فخر الدين ابن معن، وكان طلب منه أمان وراي أنه مراده الحج بجماعة يسيرة)

وشريف مكة هذا هو الشريف محسن بن حسين بن حسن، من آل أبي نمي، وكان أولاد عمه قد اختاروه للشرافة في يوم الخميس رابع محرم من سنة 1034هـ/ 16 تشرين الأول 1624م، ووصل الفرمان القاضي بإقراره في منصبه في 14 رمضان من العام نفسه/ 19 حزيران 1625<sup>(2)</sup>، أما الأمير فخر الدين فهو أمير لبنان الشهير، فخر الدين بن قرقماز المعني الثاني، المعروف بالكبير 980-1044هـ/ 1572-1635م أقوى أمراء الدولة العثمانية في عصره<sup>(3)</sup>. وتاريخ الرسالة تالٍ لتاريخ تعيين الشريف بنحو

(1) عماد عبد السلام رؤوف: الآثار الخطية في دار التربية الإسلامية ببغداد، مجلة المورد، بغداد، المجلد 5 العدد 2 (1977) ص 266-267. ويحمل المخطوط العدد 156 من مجموعة مفتي سامراء عباس حلمي القصاب.

(2) تقي الدين محمد الفاسي: شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام، تحقيق علي عمر، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة 2007.

(3) تنظر سيرته في مصادر عصره، وأبرزها أحمد بن محمد الخالدي الصفدي: لبنان في عهد الأمير فخر الدين المعني الثاني، ضبط وتنظيم أسد رستم وفؤاد أفرام البستاني، منشورات الجامعة اللبنانية، قسم الدراسات التاريخية، بيروت 1969، وعيسى إسكندر المعلوف: تاريخ

ثلاثة اشهر، مما يدل على أن الأمير قَصَدَ أن يخاطبه بمجرد إقراره في منصبه، والظاهر أنه كان يثق بشخصه غير ثقته بسابقه الشريف إدريس وإن كان من الأسرة نفسها .



الأمير فخر الدين المعني

ونص الرسالة هو الآتي:

الحمد لله رب العالمين

إن أشرف ما يُهدى من الحرَم، وألطف ما يُهدى من مَهبط الوحي والكرَم، هو تُحَفَ التحيات المباركة المكية، وأظرف التسليمات المتداركة المسكية، إلى حضرة الجناب العالي، عين الأماثل والآمال، فخر الأمراء المُكرمين، ذخر الكرام المُعظَّمين، ذي الشمائل الحميدة، والخصايل المجيدة، الأمير الكبير العظيم الشهير، حضرة الأمير فخر الدين ابن مَعْن، أدام الله إجلاله، وبلغه آماله، ونهيه إليه -أدام الله نِعَمه عليه- إنه قد وصل الكتاب الميمون، وفُهم منه المضمون، وما ذكرتموه من الإخلاص وحמיד الإختصاص، فعندنا لكم مثل ذلك، سَلَكَ الله بكم أحسن المسالك، وما أشرتم إليه ونَبَّهْتُم عليه، من عقدكم النِّيَّةَ على حج البيت الحرام، وزيارة المشاعر العظام، فالله تعالى يهيئ لكم اسباب ذلك، ويهديكم إلى أداء المناسك.

وأما طلبكم منا الأمان والدخول في العُهد والضمان، فما كان من جانبنا فأنتم آمنون وللسلامة غانمون، وأما من جانب السلطنة العلية، أدامها الله على كافة البرية، فما لنا طاقة أن نجير عليها، ونحمي من لم يكن يستند إليها، ودخولكم للحج لا يخفى

---

الأمير فخر الدين المعني الثاني، ط2، منشورات المطبعة الكاثوليكية، بيروت 1966. وينظر عزيز الأحذب: فخر الدين مؤسس لبنان الحديث، بيروت، دار الكتاب اللبناني

ولو جئتم بشرذمة قليلة، وطايفة غير جزیلة، فربما يقع ما لا أرضاه لكم ولا ترضونه لأنفسكم، فإن وثقتهم منهم بميثاق، وأمنتهم من نزاع وشقاق، فمرحباً بكم، وبوصولكم إلى بلد ریکم، وبدون ذلك لا يمكننا أن ندخل لكم في العهد، إذا وصلتكم إلى هذه البلدة، فإننا خُدام السلطنة الشريفة، وحكامهم في هذه البلدة المنيفة، فالعذر ظاهر، والبرهان باهر، وقد أوضحنا لكم المراد، وبيّنا لكم سبيل الرشاد، فما ترونه لايقاً بنا وبكم إغفلوه، وما ترونه غير مناسب بنا وبكم إغفلوه، والسلام على الدوام، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم، آمين.

تحريراً في أواسط ذي الحجة الحرام سنة 1034

المحب المخلص محسن بن الحسين

ونقش خاتمه [وهو]

(ومن أحسن ديناً ممن أحسن وجهه لله وهو محسن).

وواضح من العنوان التي كتب في أعلى الوثيقة أن رسالة شريف مكة جاءت جواباً على رسالة سابقة أرسلها الأمير فخر الدين اليه يطلب منه موافقته على أن يحج في تلك السنة «بجماعة يسيرة»، وبهذا المضمون لا يبدو الأمر مهماً على النحو الذي يتطلب فيه موافقة الشريف، بل كان الأولى أن يوجه الأمير رسالته الى السلطان العثماني يطلب موافقته، بوصفه مسؤوله الأعلى، فهذا هو التقليد السائد عهدذاك، ولكن قراءة محتويات الرسالة نفسها تكشف لنا سر إرسالها الى الشريف محسن دون غيره. وهو أمر لا علاقة له بأن يكون حجّ جماعة يسيرة او كبيرة مطلقاً، وإنما في رغبته بإخفاء أمر رحلة الحج، وجعلها سرية تماماً فلا يصل خبرها إلى السلطان من قريب أو بعيد. فلماذا هذه السرية إذن؟

إن الجواب على هذا السؤال أوضحته السيرة السياسية للأمير فخر الدين نفسه، إذ لم يكن هذا الأمير أميراً عادياً من أمراء لبنان الذين دانوا بالولاء للعثمانيين، وإنما كان حاكماً إستثنائياً بكل مقاييس عصره، يمتلك مشروعاً طموحاً يتجاوز حدود إمارته الى نواح واسعة من بلاد الشام، أو بلاد الشام كلها، بما فيها لبنان، واستطاع بما أوتي من دهاء سياسي أن يحصل على موافقة السلطات العثمانية على هذا التوسع غير المسبوق، بوصفه الحاكم الأقدر على حماية هذه البلاد من الأخطار

الخارجية والثورات الداخلية، والأكثر اخلاصاً للدولة من الأمراء والولاة الآخرين. وعلى الرغم من آيات الولاء التي كان يُبديها، فإنه لم يكن ليتردد في الإتفاق مع دول أوروبا على مساندته في مشروعه، وفي مقدمتها إمارة توسكانيا في إيطاليا، حيث عقد معاهدة حرية - تجارية مع أميرها فرديناند الأول دي ميديتشي، وأبدى تعاوناً مع مشاريع إسبانيا في البحر المتوسط، وكانت الأخيرة تمثل خطراً حقيقياً، نظراً لقوتها العسكرية ووفرة أساطيلها وبعدها للعالم الإسلامي، فضلاً عن احتلالها لأجزاء مهمة من المغرب العربي. وكانت محالفتها تمثل نفاذ الخطر الأوربي إلى الداخل الإسلامي، لا سيما المناطق القريبة من الأقاليم المركزية للدولة العثمانية، وكان مشروع (المعنى) يقضي أيضاً بالتوسع شمالاً نحو تخوم تلك الأقاليم، ومنها ولايتا حلب وانطاكية، المتاخمتان لحدود الأناضول الطبيعية، والمسيطرتان على منافذه المؤدية إلى داخله. وقد حقق الأمير (المعنى) توسعه هذا بهدوء، من خلال مصاهراته للأمراء في لبنان، ثم تحالفه مع والي حلب علي باشا جانبولاد، الذي كان يملك نفوذاً في تلك النواحي شجعه على التمرد على الدولة العثمانية، ثم بالتحالف مع والي دمشق وغيره من الولاة المجاورين، ومحاولته مد نفوذه حتى جنوبي فلسطين<sup>(1)</sup>.

ومن ناحية أخرى فقد سعى فخر الدين إلى إنشاء جيش قوي حديث، وتقوية حدوده بتأسيس القلاع وتزويدها بالمدفعية والجيش. وهكذا غدا انتزاع بلاد الشام من العثمانيين يمثل المحور الأساس لمشروع فخر الدين الطموح.

على أن طموحاته لم تقف عند هذا الحد، كما تكشف عن ذلك الوثيقة التي هي موضوع هذه الدراسة. حيث يظهر منها أن فخر الدين أرسل رسالته إلى شريف مكة لتتضمن طلبين في الأقل، أولهما ما تسميه الرسالة (الأمان)، وما يسميه العنوان في أولها بـ (الراي والأمان)، وهو مصطلح يُقصد به الدخول في أمان من أرسلت إليه وحمايته، وفي الواقع، فإن الأمير لم يكن بحاجة إلى هذا الطلب حقيقة، فمن كان يحكم بلاد الشام كلها لم يكن بحاجة إلى من يحميه في رحلة حجه، ولا يتوضح معنى هذا الطلب إلا من خلال طلبه الآخر، وهو (الدخول في العهدة والضمان) وهذان

---

(1) تنظر التفاصيل حول هذا التوسع في أسامة محمد أبو فضل: علاقة فخر الدين المعني الثاني بالزعامات المحلية الفلسطينية وموقف الدولة العثمانية منه 999 - 1043هـ/1590 - 1633م. غزة 2006.

المصطلحان يتجاوز معناهما محض تقديم الحماية لتحقيق الأمان لشخصه وأتباعه، وإنما يشير إلى عهد أو معاهدة، أي عهد أو معاهدة، يتضمن التزامات معينة للطرفين المتعاهدين، وتقدم ضمانات لتنفيذها، وهذا يعني أن الأمير فخر الدين كان يطلب من الشريف دخوله في معاهدة، وهو ما توضحه عبارة الشريف بالاعتذار عن دخوله في العهد، في حال وصول الأمير سرّاً إلى مكة، أي أن السبب الحقيقي وراء وصوله إليها هو أن يعرض على شريفها دخوله فيها، وهو ما يكشف السبب وراء سرية رحلته.

ونرى أن من شأن هذه المعاهدة أن تحقق أمرين، أولهما إكمال سلسلة المعاهدات والاتفاقات التي عقدها الأمير مع الأمراء والولاة المجاورين لحماية حدوده لتشمل هذه المرة حدوده الجنوبية، وثانيهما مد نفوذه إلى الحرمين الشريفين بما يمثل تهديداً خطيراً لهيبة الدولة العثمانية بوصفها الحامية لهما.

تضمنت الرسالة الجوابية لشريف مكة عبارات تقليدية فيها ترحيب ظاهر بالأمير، واعتذار في الحقيقة عن قبول مشروعه، فهو يعلم أن تعليقه الموافقة على الدخول في معاهدته، بمصالحة الدولة العثمانية والوثوق منها بميثاق أمر مستحيل عملياً، فمشروع الأمير التوسعي أصبح الآن واضحاً لدى السلطان، وهو مراد الرابع، ونوايا الأمير بدت مكشوفة أكثر من أي وقت مضى، ومن ثم فليس معقولاً أن يقبل السلطان منه ميثاقه فهو لم يعد يثق به أصلاً.

ثم أن تقديم شريف مكة نفسه على أنه مجرد حاكم من أتباع السلطان، لا يخرج عن أمره، يجعل من غير المجدي للأمير أن يجعل منه حليفاً له في مشروع يتحدى فيه الدولة العثمانية. وقول الشريف أنه لا طاقة له على أن (يجبر أحداً على الدولة، ويحمي من لم يستد إليها)، يدل بوضوح على أن رسالة الأمير كانت تحمل دعوة إليه بحماية ظهره إذا ما ثار على الدولة، ولم يعد يستد إليها، أي استقل عنها.

وتتصل الوثيقة بأمر آخر، وهو حقيقة ما يدين به الأمير فخر الدين من معتقد، فمجرد رغبته بالحج، وقبول شريف مكة بحجه، بعد أخذه بموافقة الدولة، يؤكد أنه كان مسلماً، اشتهر أمر إسلامه بين معاصريه، يسند هذا قيامه ببناء المساجد في إمارته، هذا مع أن مصادر ترجمته تؤكد أنه كان درزياً بالولادة، بل أن منها ما يشير إلى أنه كان مسيحياً مارونياً، ولا تفسير لهذه الروايات المختلفة في تقديرنا إلا بالقول

بدرزيته أولاً، فهذا دين آبائه، ثم انه اعتنق الإسلام على مذهب أهل السنة حين قلّدتَه الدولة العثمانية أمر إمارته واعترفت بسيادته، ثم أظهر تعاطفه مع المسيحيين لرغبته في كسب تأييد الدول الأوروبية له في أزمته مع الدولة العثمانية<sup>(1)</sup>.

وهكذا كشفت الوثيقة عن أول مشروع لأمير عربي في الاستقلال عن الدولة العثمانية، بالاستعانة بعون أوربي، وهو بهذا مجرد نسخة مبكرة من مشروع الشريف حسين في إعلان المملكة العربية بعون بريطاني في اثناء الحرب العالمية الأولى.

---

(1) أرسلت الدولة العثمانية إليه حملة عسكرية بقيادة أحمد باشا الكجك، يرافقها اسطول بقيادة جعفر باشا، وبعد عمليات عسكرية عدة قبض عليه وأرسل الى استانبول حيث اعدم في 13 نيسان 1635م.

## وقفيات سليمان باشا الكبير نموذجاً لوقف الكتب في بغداد

يحتل وقف الكتب مكانة متميزة بين مجالات الوقف المختلفة في الحضارة الإسلامية، ذلك أنه على خلاف تلك المجالات، يتجاوز أن يكون صدقة جارية فحسب، الى أن يكون سبيلاً للعلم الذي يُنتفع به أيضاً، فيتمثل فيه ركنان من أركان عمل الإنسان بعد موته<sup>(1)</sup>، ومن هنا كان وقف الكتب، أياً كانت أعدادها، مجالاً طيباً يؤبّد فيه أهل العلم ما لديهم منها، ومن ثم يبقى نفعها مستمراً على مرّ الأحقاب، وإذا كان وقف المساجد والمدارس والمنشآت الخدمية لا يستطيعه إلا الأغنياء والموسرون، فإن وقف كتابٍ أمر يستطيعه العالم والمتعلم بيسر، ومهما قلّت موارد أحدهما وضعفت إمكاناته المادية، فيكفي أن يقف كتبه الخاصة على مدرسة أو مسجد أو طالب علم حتى ينال من الأجر الكثير.

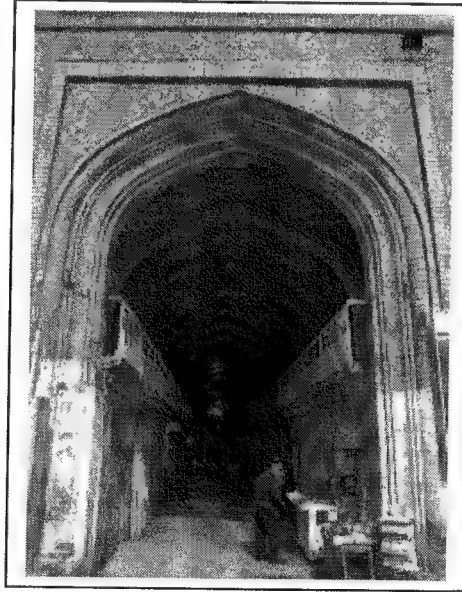
وفي عصر كان الكتاب فيه مخطوطاً عزيزاً، في كل نسخة منه آثار من عرق ناسخه أو مؤلفه، وقد أنفق فيه الوقت الكثير الذي يتجاوز الشهور الطوال بحرّها ويردها، كان وقف كتاب في خزانة ما عملاً مهماً فعلاً في مجال نشر العلم والثقافة، ففي تلك الخزائن يجد القارئ سبيلاً للإطلاع على كتب التعلم، أو ما يسمى بكتب الجادة، التي يحتاجها في درسه، وفيها يمكن له أن يتخذ من كتابٍ ما موضوعاً لشرح أو تعليق أو تدويل، فيُسَهّل بذلك سُبُل الإفادة منه بحسب مستوى طلبته وثقافته بيئته، وفيها أيضاً يمكن أن يُكثّر عدد النسخ من الكتاب الواحد بنسخه من قبل ناسخ محترف، أو طالب نبیه، فيَحُول ذلك دون إنقراض الكتاب في حالة أن يكون رهين نسخة وحيدة منه، فضلاً عن أن يكون تكثير نسخه سبباً في انتشار الكتاب في عدة أقطار، متجاوزاً حدود بلد مؤلفه، أو مالكه، فيفيد منه طلبه العلم في كل مكان، وليساهم في تعميق الثقافة المشتركة في أنحاء مختلفة من العالم الإسلامي.

وعلى الرغم من الشروط المشددة التي وضعها الواقفون على استعارة الكتاب، حفظاً له من الفقد والضياع والتلف، وتعيينهم الموظفين الذين تُوكل إليهم العناية به،

---

(1) إشارة الى الحديث الشريف الذي رواه أبو هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له.

من حَفْظَة، وفراشين، إلا أن كل ذلك لم يكن كافياً لحفظ الكتب على وفق ما أرادته واقفوها . ولعل أهم أسباب هذه الظاهرة المؤسفة هو الجهل بالوسائل التي تبقى الكتاب سليماً، في بيئة تغلب عليها الرطوبة العالية، حيث تُبنى خزائنها في مساجد قريبة من النهر، وتكثر فيها الحشرات القارضة وفي مقدمتها حشرة (الإرضة) التي لا يمنعها عن الفتك بما تجده منها شيء، هذا فضلاً عن إهمال المتولين وعَقْلَتهم، وما كانت تتعرض إليه مدينة السلام من حوادث غرقٍ داهم بين حين وآخر، وكوارث بيئية وبشرية مختلفة. وهكذا ضاعت تلك الخزائن التي وقفها الواقفون، وتبعثرت محتوياتها، فلم يصلنا من خزائن جوامع الأصفية، والمصرف، والحاج أمين الباجه جي، والحاج نعمان الباجه جي، والعدلية الكبير، و السيد سلطان علي، ومُنوّر خاتون، وعاتكة خاتون، وخضر بك، والحاجة هَيْبَت خاتون، والغرايبة، و حسين باشا، والداوودية، و نائلة خاتون، وعمر السهروردي، والأحمدية، وغيرها، إلا القليل، أو وصلتنا أسماء تلك الخزائن فحسب دون محتوياتها .



سوق للكتب في بغداد

ومن المؤكد أنه كان لجميع تلك الخزائن فهارس تقيّد فيها عناوانات كتبها، حفظاً لها من الضياع والتبدد، إلا أن يد الحَدَثان امتدت إليها هي أيضاً فأفنتها أو أخفتها هنا أو هناك، ولا شك في أن دراسة تلك الفهارس- لو وجدت- من شأنها أن تقدم فوائد جمة لدارسي تاريخ الحركة العلمية والثقافية في العراق، بما تكشف عنه من

الاهتمامات الثقافية لطلبة تلك العهود، وأنواع ما كانوا يتلقونه من مناهج، وطبيعة ما يرجعون إليه من مصادر. كما أنها، من ناحية أخرى، توضح حدود ذلك الزاد الثقافي المهم الذي اغتذت هذه المدينة منه على مرّ الأحقاب، وتوضح لنا عنوانات كتب قيمة، احتوت عليها هذه الخزنة أو تلك، ثم فقدت أو تفرقت في خزائن الخافقين، وتزيد معلوماتنا عن الكتب، عناوينها، ومؤلفيها، وشرحها، ومُحشّيها، مما يمكن أن يشكل استدراقات إضافية على البيلوغرافيات المؤلفة في هذا المجال.

### أولاً: وقفية كتب سليمان باشا على جامع جديد حسن باشا

ومن الوثائق المهمة التي تُعد أنموذجاً لوقفيات الكتب في بغداد في العصر العثماني، وقفية والي بغداد الوزير سليمان باشا الكبير<sup>(1)</sup>، المؤرخة في 7 ذي الحجة سنة 1197هـ/1782م فقد وقف بموجبها خاناً قرب السراي ودكاكين عديدة وخانين في بغداد، وحمّامين في قصبة حضرة الإمام الحسين وعلوة متصلة بالسبيل خانه مع مخازنها الخمسة المحدودة بتكية البكتاشية<sup>(2)</sup>، على مصالح جامع جديد حسن باشا،

(1) هو سليمان باشا المعروف بالكبير، (وبالتركية يُيوك) بدأ حياته متسلماً مملوكاً لمحمد أفندي المارديني متسلم ماردين، ثم رحل إلى بغداد ملتحقاً بخدمة سميّه سليمان باشا أبي ليلة أول ولاية المماليك، وبرزت مكانته في عهد عمر باشا، فعينه هذا متسلماً للبصرة غير مرة في السنوات 1177-1190هـ/1763-1778م وأثرت عنه إصلاحات مهمة فيها، كما أدى دوراً كبيراً في الدفاع عن البصرة في أثناء حصار الزنديين لها، وأشاد بذكره المؤرخون، ونال سليمان منصب ولاية بغداد بعد خروج حسن باشا منها سنة 1191هـ/1780م، حيث دام حكمه 22 سنة، استطاع خلالها القيام بأعمال عمرانية مختلفة ذات نفع عام، منها، عدا ما تناولناه في هذا البحث، إعادة بناء جامع الخلفاء (جامع القصر القديم في العصر العباسي) وتجديد عدة جوامع ببغداد، وقيامه بأعمال عمرانية واسعة في المدن والقصبات العراقية خارج بغداد، و توفي سنة 1207هـ/1802م. ينظر رسول حاوي الكركوكلي: دوحة الوزراء، ترجمة موسى كاظم نورس، بيروت بلا تاريخ، ص154 وعثمان بن سند: مطالع السعود، بتحقيقنا، بيروت 2009، ص93-100، 105-109، 182-217، 248، 275، 281، 220-240، 521-538. وعبد الرحمن السويدي: تاريخ حوادث بغداد والبصرة، بتحقيقنا، بغداد ط2/ 1987، وسليمان فائق: مرآة الزوراء، نشر بعنوان (تاريخ بغداد)، ص15 وتاريخ جودت، استانبول 1303، ج2 ص92 وياسين العمري: غاية المرام في تاريخ محاسن بغداد دار السلام، بغداد 1969 ص189، والدر المكنون، مخطوط، وزبدة الآثار الجليلة، بتحقيقنا، دمشق 2017 ص34، 104، 107، 115، 118، 120، 125، 165، وروضة الأخبار في ذكر أفراد الأخيار، بتحقيقنا، بيروت 2011، ص40-43.

(2) ورد التعريف بهذه الاماكن في وقفية المدرسة السليمانية. وينظر كتابنا: معالم بغداد في القرون المتأخرة، ط:2، بغداد 2016، ص504.

المقابل لسراي بغداد، وكان قد وقف في وقفية تالية، مؤرخة في سنة 1196هـ/1781م، مجموعة كبيرة من الكتب على هذه المدرسة، وتثير هذه الوقفية جملة من الملاحظات سنعرضها على النحو الآتي:

1- الوقفية في أصلها وثيقة رسمية من النوع المسمى (بيور أولدي) وهي الأوامر التي تصدر عن الولاة في الشؤون المختلفة، ولكنها تحمل في أول مقدمتها مُصادقة قاضي بغداد فيض الله أفندي، وفي آخرها أسماء الشهود، وهم ستة من علماء وأعيان بغداد، وتتضمن الفذلكة الفقهية التقليدية في وقفيات ذلك العصر، والمتمثلة بالخصومة الشكلية عند القاضي بين الواقف وبين المتولي الذي عينه، وهو دفتردار بغداد السابق عبد الله بك، بشأن رجوع الواقف عن وقفيته، على أساس رأي بعض الفقهاء بعدم جواز وقف المنقول، وتمسك المتولي برأي فقهاء آخرين بجوازه، وإقرار القاضي الرأي الأخير، فأصبح للبيورلدي حكم الوقفية.

2- اختار الواقف وكيلاً عنه لمراجعة المحكمة من فئة الممالك الذي قُدِّر لهم حكم بغداد في ذلك العصر، كان يتولى وظيفة (دفتردار) بغداد سابقاً، وهو منصب كبير يعنى صاحبه بحفظ سجلات الأراضي وتدقيقها. وقد وكل هذا عنه لطف الله أفندي كاتب الديوان<sup>(1)</sup>.

3- إن الشهود الذين اختارهم الواقف هم :

أ- الحاج سليمان بك الشاوي<sup>(2)</sup>

(1) هو ابن ولي أفندي كاتب الديوان الكركوكي الأصل البغدادي الموطن، ترجم له عبد القادر الشهاباني، وأثنى على علمه وأدبه، وعين تاريخ ولادته في سنة 1161هـ/ 1748م وذكر له أنموذجات من شعره بالتركية، منها قصيدة يمدح فيها والي بغداد سليمان باشا الكبير. تذكرة الشعراء، الأصل الكامل بتحقيقنا، ص 356-361، ومختصره بتحقيق أنستاس ماري الكرمللي ص 43. وقال محمد أمين السهروردي في ترجمته «له مجلس علم وأدب، كثير الكتب، ذا ولع بجمعها» نزهة الأدباء، بتحقيقنا، دمشق 2015.

(2) هو سليمان بن عبد الله بن نصيف بن شاوي، ولد ترجيحاً في العقد الرابع من القرن الثاني عشر للهجرة، ونشأ ببغداد، ودرس على كبار شيوخها، حتى صار يعد من علمائها البارزين، والشعراء المجودين، وألف تصانيف أدبية ونحوية مهمة، نال لقب بك وظهر دوره السياسي بعد أن قتل عمر باشا والي بغداد أباه عبد الله بك غدرا سنة 1187هـ/1769م، فثار عليه، واشترك معه أخوته، وليثت نتائج هذا الحادث مجهولة، والظاهر أنه لبث خارجاً على الحكومة حتى مقتل عمر باشا نفسه، وبعد ذلك أخذ باستعادة دوره في شؤون الحكم، وكثرت عليه الدسائس حتى

ب- مفتي الحنفية

ت- مفتي الشافعية

ث- نقيب الأشراف في بغداد

ج- إمام جامع الامام الاعظم ابي حنيفة

ح- خضر بك<sup>(1)</sup>

خ- حبيب الشاوي<sup>(2)</sup>

فهؤلاء هم نخبة من أعيان بغداد وعلمائها، ومما يلفت النظر أن الواقف جعل ترتيبهم على غير القاعدة البروتوكولية في ترتيب أمثالهم، حيث جعل أولهم هو الحاج سليمان بك الشاوي، وكان الأولى تقديم النقيب أولاً، أو في الأقل المفتيين، لكونهما من فئة العلماء، ولا يدل ذلك إلا على المكانة الفريدة التي كان يحتلها سليمان بك الشاوي في سراي بغداد، وقريه من سليمان باشا.

4- إن الوقفية تضمنت ملحقاتاً كبيراً بعنوانات الكتب الموقوفة، واللافت للنظر أنها تتألف من ثلاث مجموعات يبلغ عدد مجلداتها 427 مجلداً، هي:

الأولى: تتألف من 372 مجلد، كل مجلد يتضمن مخطوطاً مستقلاً، وثمة مجلدات عدة تؤلف كتاباً واحداً، بينما توجد أخرى تضم أكثر من كتاب، وهي نادرة. ولا تذكر الوقفية مصدر هذه المجموعة، على خلاف المجموعتين الأخريين.

الثانية: تتألف من 26 مجلداً، ذكر في أولها أن الواقف اشتراها من (خليفة الروزنامه جي أحمد أفندي). وتضم هذه المجموعة مجلدين، أولها صحيح البخاري،

---

أغتيل من طرف والي بغداد سليمان باشا المذكور سنة 1209هـ ينظر عبد الرحمن السويدي: تاريخ حوادث بغداد والبصرة ص 84 ومحمد سعيد السويدي: ورود حديقة الوزراء ص 98-104، 107، 126-132، 139-147، ودوحة الوزراء ص 142 و 194 و 198 ومطالع السعود ص 106 و 142 و 150 و 205 و 229-241، 244 و 277 و 279 و 284 وروضة الاخبار في ذكر أفراد الأخيار، ص 32، 44-49، وزبدة الآثار الجليلة ص 118، 123، 165 والسهورودي: لب الأبواب ص 178-181 ومجلة لغة العرب، بحث لعباس العزاوي ج 9 ص 104، 491.

(1) هو خضر بك بن عبد الله جلبي بن احمد جلبي من آل عبد الجليل أمراء الحلة في القرن الثاني عشر للهجرة، وقد تولى هو حكمها من 1162 إلى 1172هـ.

(2) هو حبيب بن عبد الله الشاوي اخو سليمان المذكور شاهدا في هذه الوقفية.

والآخر شرح المطالع، أهدهما الملا خليل الموصللي، ولم نقف على هويته بين معاصري سليمان باشا.

الثالثة: تتألف من 27 مجلداً، ذكر في أولها أن الواقف اشتراها من (الحاج إبراهيم) ولم يزد بذكر اسم أبيه ولقبه، فلم تتيسر لنا معرفته.

5- يغلب على الكتب الموقوفة علوم العقائد والمنطق والحكمة وهي ما كان يُعرف بالعلوم العقلية، ثم علوم الحديث والفقه والعربية، وهي ما عُرف بالعلوم النقلية، هذا مع كتب متفرقة في العلوم الأخرى كالفلك والطب لا سيما في المجموعتين الأخيرتين.

6- من الواضح أن فهرسة المجموعات الثلاث هي من إعداد رجل واحد، له علم بصناعة الكتاب، وبشكل عام فإن هذه الفهرسة تتضمن مجموعة من البيانات تقرب ان تكون من عناصر الفهرسة الحديثة للمخطوط، هي:

أ- عنوان الكتاب، وفي الغالب فإنه يُثبت من هذا العنوان اسمه المختصر، أو شهرته بين أيدي العلماء والطلبة، مثل (المصباح) و(الإيضاح) و(الكشاف) و(قاموس) دون أن يذكر العنوان كاملاً، فهذا هو الذي جرت عليه العادة عصر ذاك.

ب - اسم المؤلف، وقد توخى فيه الاختصار على السياق نفسه، مثل (بيضاوي) و(خيالي) و(باقلاني).

ج - حجم الكتاب، كقوله (صغير) و(كبير) و(كامل) و(الرُّبع) و(الثُّمن) أو (كامل) والراجح عندنا أنه يقصد بالورقة الكبيرة ما كان يعرف بالقطع البغدادي الكامل، وعرضها ذراع واحد، وطولها ذراع ونصف، وقطع النصف هو نصفها، والرُّبع رُبُعها، والثمن ثمنها. ولكنه نوه بنوع من المساحات هو (الوزير) وتبلغ مساحته 24×16 سم، و(الوزير الخفيف) ولعله هو ما يعرف بالوزير الصغير، وتبلغ مساحته 22×14 سم<sup>(1)</sup>، ونحو ذلك.

د - وصف الخط أحياناً كقوله (بخط حسن) و(خطه جميل)، دون تعيين نوع الخط.

هـ - نوع الغلاف ولونه، كقوله (خفيف) و(مقوى)، (من الإبري) وهو ورق رقيق ملون، و(أحمر) و(أصفر) و(أخضر) و(أبيض)، و(أحمر وأطرافه أسود) و(غلاف أسود وأحمر مع اطار) و(غلافه قطيفة)، و(غلافه من الروغن) وهو الجلد اللامع.

(1) أحمد شوقي منين ومصطفى طوبي: معجم مصطلحات المخطوط العربي، الرباط 2006

و- زينة الكتاب، كقوله (مُجَدَّوْل بالذهب) و(مُجَدَّوْل بالسرخ) وهو اللون الوردي، و(مُجَدَّوْل بالزعفران) وما إلى ذلك من أوصاف.

ز- الكتب المؤلفة من عدة مجلدات يذكر بأي باب يبتدئ المجلد وبأي باب ينتهي، ولا يذكر لغة الكتاب إلا في حالة أن يكون بغير العربية، وهي الفارسية حصراً.

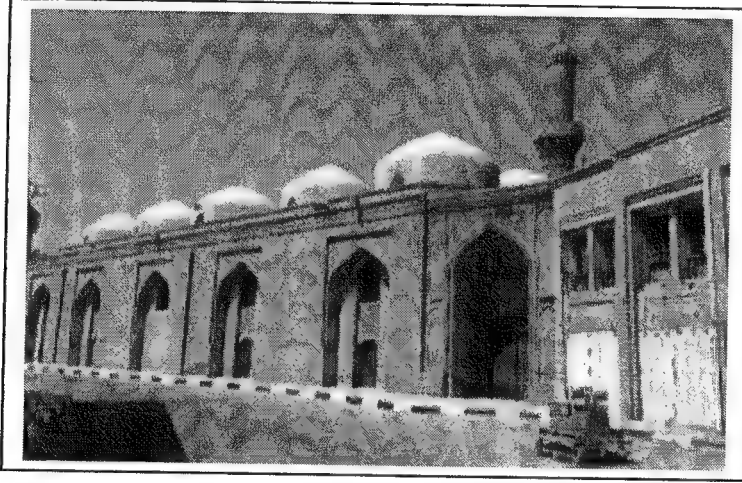
ح- عيوب الكتاب كقوله (ناقص من أوله).

ط - عدد مجلداته أو أجزائه.

7- وقف سليمان باشا هذه الخزانة على المدرسة الملحقة بجامع السراي المسمى بجديد حسن باشا بعد أن قام بتجديد الجامع وتعميره، وكان هذا الجامع في أصله مسجداً أنشأه الخليفة الناصر لدين الله في أواخر القرن السادس للهجرة، ثم قام بتجديد بنائه السلطان سليمان القانوني فعرف بالجامع السلیماني نسبة إليه، ثم أعاد بناءه على نحو شامل والي بغداد الوالي حسن باشا (1116-1136هـ/1704-1723م) فسمي بجامع جديد حسن باشا، تمييزاً عن جامع آخر أنشأه من قبل من يدعى الوزير حسن باشا بن محمد باشا الطويل سنة 1008هـ/ 1518م، وتشير الوقفية إلى أن سليمان باشا قام بإنشاء هذا الجامع وتعميره، وفي الواقع فإن عمله اقتصر على التعمير لأنه كان موجوداً قبله كما يدل اسمه، أما «المدرسة الشريفة» الواقعة داخل الجامع فيحتمل أنها المدرسة التي أنشأها السلطان سليمان القانوني ونسبت إليه في أثناء إعادة عمارة الجامع في القرن العاشر للهجرة، أو أن تكون منسوبة إلى سليمان باشا المذكور نفسه، لأننا وقفنا في مكتبة الأوقاف ببغداد على نسخة بالتركية من مخطوطة (جامع الأنوار في تراجم الأبرار) من تأليف المؤرخ البغدادي مرتضى نظامي زاده، كتب عليها أنها من أوقاف سليمان باشا على المدرسة السلیمانية في سنة 1198هـ/1783م، وإذ سبق هذا التاريخ تأسيس سليمان باشا المدرسة السلیمانية بست سنوات، فمن الراجح أن المقصود بها مدرسة أخرى حملت الاسم نفسه.

8- نص الواقف على أن الغاية من وضع كُتبه في هذه المدرسة أن «يطالها ويستفيد منها طلاب العلم»، أي طلبة المدرسة المذكورة، وأن تكون خزانة الكتب هذه «بمعرفة ونظارة فخر المدرسين أحمد أفندي بن محمد أفندي»، وهو الذي كان يتولى التدريس في المدرسة، ولا نملك ترجمة لهذا المدرس، إلا أنه من الراجح من لقبه أن يكون أحد مدرسي بغداد البارزين، أهله علمه أن يؤلّى مهمة التدريس في هذا الجامع المهم.

9- ان تاريخ الوقفية هو 22 ل (شوال) من سنة 1196هـ/ 29 ايلول 1787م، أي بعد اربع سنوات من تاريخ تولي سليمان باشا بغداد سنة 1192هـ/ 1783م، ومعنى ذلك أن تعمير الجامع ومدرسته وجمع الكتب ووقفها كان في بدايات حكمه، الذي امتد حتى سنة 1217هـ/ 1802م . ولم تكن هذه الخزانة هي الوحيدة بين مبرّاته العلمية، فقد أنشأ في سنة 1207هـ مدرسة مستقلة سميت (المدرسة السلিমانيّة) سيرد الكلام عليها فيما يأتي. وأعاد بناء جامع الخلفاء الذي يرقى إلى العصر العباسي، وجامع القبلانية، وجامع الفضل<sup>(1)</sup>.



جامع السراي في بغداد جدده سليمان باشا

وفيمَا يأتي نص هذه الوقفية:

صورة بيورولدي الوزير المكرم سليمان باشا تسجيل الكتب الشريفة المحررة في السجل مع وقفيتها في موضعها وتبقى في يده في 22 ل سنة 1196

[مصادقة القاضي]<sup>(2)</sup>

حكمتُ بصحة وقف هذه الكتب المرسومة أسمائها في هذا الطرسي، وحكمتُ بلزوم هذا الوقف في ضمن دعوى صحيحة صدرت من المتولي والواقف، وأنا الفقير اليه -جل شأنه- فيض الله القاضي بمدينة بغداد المحروسة عفى عنه .

(1) ومن اعماله العمرانية الاخرى خارج بغداد، تعميره بلدة كوت العمارة، وسورها، وتعمير أسوار البصرة، وبلدة الزبير، والحلة، وماردين، وأنشأه قلعة قرب الموصل. مطالع السعود ص339-341.

(2) هذه العنوانات المحصورة بين معقوفات من وضعنا .

## [مقدمة الوقفية]

حمدٌ موفور، وشاءٌ غير محصور، الى فاطر جميع الأمور، وباعث من في القبور، والواقف على ضمائر بني آدم، وكاشف سرائر العالم، والى أعتابه المقدسة أليق وأحرى، والذي جعل قلوب المؤمنين مزينة ومحلاة بأنوار الكتب الالهية، وجعل عيون المسلمين مكملة ومحلاة بكل الهداية الذهبية القدسية.

ومئات الألوف من الصلوات والتسليمات إلى الروح المفتوحة<sup>(1)</sup> لمصباح الوجود، ومفتاح دفائن السخاء والجلود، أعني به كزيدة<sup>(2)</sup> الأنبياء، وقدوة الأولياء، الرسول المجتبي محمد المصطفى صلى الله تعالى عليه وسلم، الذي نظام العالم وانتظام أحوال بني آدم، قائم على شرعه ودائمه. وعلى آله وأصحابه وأولاده وأحبابه، الذين كل منهم وقف وجوده لحفظ الكتب الالهية، وبذل المجهود في ضبط الأحاديث النبوية، وأصبحوا متولى جهات الدين، والناظر الشريف لسيد المرسلين في تشييد الدين، وتبيين الطريق المبين، رضوان الله تعالى عليهم أجمعين.

وبعد، فإن الباعث على تحرير وتسطير هذا الكتاب المستطاب، الصحيح النصاب، وهذا الخطاب النزيه النصاب، هو أن والي بغداد والبصرة الحالي، الدستور المكرم، المشير المفخم، نظام العالم، مدبر أمور الجمهور والأمم، رافع أعلام العدل والإنصاف، دافع ظلام الظلم والإعتساف، آصف دوران الظلام، باسط الأمن والأمان، ناموس السلطنة القاهرة، ناطور الخلافة الباهرة، حادي المعالي والمآثر، جامع أنواع المكارم والمفاخر، المحفوف بصنوف الملك العلام، حضرة سليمان باشا، يسر الله تعالى له من الخير ما يشاء، ولا زالت آيات عزه وجلاله في صفحات الأيام والشهور مسطورة، ورايات مجده وإقباله في طبقات الأعوام والدهور منشورة، قد وكل عنه الوكيل الشرعي قدوة الأمثال والأوان، شرف الصدور والأعيان، مقبول به أهل الديوان، صاحب الفهم والإذعان، صاحب النجابة، لطف الله افندي، الذي أقر، حسب وكالة موكله المذكور، في مجلس الشرع الشريف الأنور، بحضور المتولي المنسوب، والمعيّن لأجل التسجيل الشرعي للوقف الآتي بيانه، عمدة أرباب التحرير والقلم، وزيدة أصحاب التسطير والرقم، دفتردار بغداد السابق، صاحب النجابة عبد الله بك، الثابت

(1) كذا في الاصل وربما كان الصحيح (المنفوحة).

(2) كزيدة فارسية بمعنى المختار.

توليته بشهادة فخر الأماجد والأكابر، سعادة الحاج سليمان بك الشاوي، وفخر الأماثل والأكارم، صاحب النجابة خضر بك، أقرراً تاماً، منشأً الكلام قائلاً: إن من الملاحظ بعين الاعتبار، أن هذه الدنيا ظالمة ولا أمان لها ومصيرها الفناء، ولذا فإن مُوكلي صاحب الخيرات والمبررات، الوزير المشار اليه، قد وقف وحبس في حالة كون تصرفاته الشرعية نافذة، كُتِبَ التفاسير الشريفة، وكتب الأحاديث النبوية، والكتب الفقهية المعتمدة، و الكتب العربية المجلدة بجلد نفيس والبالغة .مجلدا وكذا مجلداً، المحررة في صفحات أخرى التي هي منسلكة في سلك ملكه الصحيح، واشتراها من أطيح أمواله، وهي الكتب المحررة في ذيل هذا الدفتر الموقع عليه والمختوم.

#### [شروط المكتبة]

وقد اشترط مُوكلي أن توضع الكتب المذكورة في المدرسة الشريفة الواقعة داخل جامع جديد حسن باشا مقابل السراي، والذي أنشأه وعمّره مجدداً، ليطلّعها ويستفيد منها طلاب العلم بمعرفة ونظارة فخر المدرسين هذا، فضيلة أحمد أفندي بن محمد أفندي الذي يقوم بالتدريس في المدرسة المذكورة لطلبة العلوم. وقد اشترط لزوم عدم إخراج الكتب المذكورة النفيسة من مكتبتها الى الجامع او الى الخارج قطعاً، وكذلك عدم إخراج الكتب الأخرى الميئنة أدناه من الجامع، وإذا راجع أي أحد بشأن الكتب المذكورة، وطلب مطالعتها، فأن[له] لا يُمنع من ذلك، مع عدم إدخار الوسع في انتفاع الناس بها، بشرط استعارتها ورهنها، وعدم تبديلها أو تغييرها .

#### [المصادقة على الوقفية]

ويعد التصديق المعتمد فإن مُوكلي المشار اليه، وجه كلامه الى مسمى آخر قائلاً: إن وقف الكتب التي هي من قبيل المنقولات أمر غير جائز لدى بعض الفقهاء، وغير لازم، ولذا شرعت بالرجوع عن الوقف وأطلب إعادة الموقوفات الى ملكية مُوكلي، وذلك حسب وكالتي، وأطلب تنبيه المتولي الى رفع يده عن الكتب المذكورة وتسليمها إلي حسب وكالتي. وتصدى المومى اليه الى الإجابة الصائبة عليه قائلاً: ولو أن هذا الوقف غير جائز وغير لازم لدى بعض الفقهاء الكرام، ولكنه صحيح لدى بعض المشايخ، وصحته تستلزم اللزوم، ولذا فإنني لممتنع عن التسليم. وترافع الطرفان في حضور حضرة الحاكم موقّع صدر الكتاب -طوبى له وحسن مآب- وطلب الفصل وحسم النزاع، وإن الحاكم المومى اليه - أسبغ الله نعمه عليه - حكم على قول من يراه بصحته ولزوم الوقف المذكور، حكماً صحيحاً شرعياً، فمن بدّله فإنما إثمه على

الذين يبدلون، وإن الله سميع عليم. تحريراً في الثالث والعشرين من جمادى الأولى لسنة ست وتسعين ومائة والف.

شهود الحال: فخر الأماثل والأوان سعادة الحاج سليمان بك الشاوي  
فخر العلماء الكرام مفتي الحنفية فضيلة إسماعيل افندي  
فخر العلماء الكرام مفتي الشافعية فضيلة محمود افندي  
فخر السادات فضيلة وسيادة السيد عبد الرحمن أفندي نقيب الأشراف  
إمام عتبة الأعظمية<sup>(1)</sup> درويش افندي  
كليدار عتبة الأعظمية عبد الله افندي الراوي  
فخر الأوان خضر بك  
فخر الأوان حبيب بك الشاوي.  
الكتب الموقوفة من قبل سليمان باشا<sup>(2)</sup>

- 1- قرآن عظيم الشأن، حجم صغير مُجدول، ويخط حسن جلد 1.
- 2- تفسير البيضاوي، أوائله مُحسَّن حجمه وزيري، جلد 1.
- 3- تفسير معالم التنزيل، حجمه ربع وزيري، ومحلّى بالذهب، جلده أسود، ومغلف، جلد 1.
- 4- تفسير الكشاف، مجدول، حجمه نصف كامل، ومُذهَّب، جلد 1.
- 5- صحيح البخاري الوافي، مكتوب بماء الذهب، حجمه ربع كامل، جلد 1.
- 6- صحيح مسلم، حجمه كامل، مجدول بالسرّخ، كامل، جلد 1.
- 7- صحيح مسلم، كامل آخر، حجمه ربع، جلد 1.
- 8- تفسير البيضاوي، حجمه وزيري، مجدول بالذهب، جلد 1.
- 9- مصابيح شريفه كامل حجمه وزيري. مجدول بالذهب جلد 1.
- 10- مصابيح شريف، حجمه كامل، جلد 1.

---

(1) يقصد جامع الامام الاعظم ابي حنيفة النعمان.

(2) اضفنا الارقام التسلسلية التي تتقدم عنوانات الكتب .

- 11- مشكاة المصابيح، حجمه كامل خفيف، جلد 1.
- 12- حديث اربعين، حجمه صغير، نصف ربيع، جلد 1.
- 13- شرح المصابيح السنة للقاضي البيضاوي، حجم صغير وزيري، مجدول بالذهب، جلد 1.
- 14- شرح اربعين لابن حجر، حجمه كامل خفيف، جلد 1.
- 15- شرح السنة، تأليف الإمام بغوي. جلده من المقوى، حجمه ربيع، جلد، جلد ثاني في نهاية ابن الأثير، حجمه ربيع، غلافه أحمر، جلد 1
- 16- تنبيه الانام في بيان علوم سيد الانام. حجمه ربيع، جلده أسود، مجدول بالذهب، جلد 1.
- 17- أذكار نووي، جلده اسود، حجمه ربيع، جلد 1.
- 18- زبدة البيان في تفسير القرآن، حجمه وزيري، مجدول بالذهب، خط جميل، الى سورة النجم، غلافه احمر، جلد 1.
- 19- تفسير بالتركية، غراييزاده، حجم وزيري كامل، مجدول بالسرخ، غلافه أسود، جلد 1.
- 20- حاشية الطيبي على الكشف، من سورة آل عمران الى سورة مريم، بالفارسية، حجمه ربيع، كامل، غلافه أصفر، جلد 1.
- 21- حاشية الكشف على الكشف، حجمه ربيع كامل، غلافه أحمر، جلد 1.
- 22- حاشية عصام الدين علي البيضاوي، حجم وزيري، فلدي حباري، جلد 1.
- 23- أسباب نزول القرآن، حجم خفيف، غلاف احمر، جلد 1.
- 24- حاشية سيد شريف على الكشف، حجم صغير وزيري، غلافه احمر، جلد 1.
- 25- الجزء الاول من تفسير حسين الكاشفي، حاشية سيد شريف على الكشف حجم صغير وزيري غلافه احمر جلد 1.
- 26- الجزء الاول من تفسير حسين الكاشفي لسورة الفاتحة، مجدول، حجمه ربيع كامل بدون غلاف مجلد 1، الفارسية.
- 27- حاشية بهاء الدين عاملي على البيضاوي، بالفارسية، مجدول، حجمه ربيع كامل بدون غلاف، مجلد 1.

- 28- حاشية بهاء الدين عاملي على البيضاوي، بالفارسية، حجمه صغير، غلافه احمر جلد 1.
- 29- أيضاً حاشية بهاء الدين علي البيضاوي، حجمه وزيري، غلافه أسود، جلد 1.
- 30- تفسير مشكل القرآن، مجدول بالزعفران، حجمه ربع، غلافه أحمر، جلد 1.
- 31- دُرر العزيز، حجمه ربع كامل، وزيري، غلافه أحمر، جلد 1.
- 32- ابراهيم حلبى، كبير الحجم وزيري، غلاف احمر مُذهَّب، مجدول بالسرخ، جلد 1.
- 33- فتوى البزازي، حجمه كبير، كامل. غلافه احمر جلد 1.
- 34- الملا مسكين، شرح كنز الدقائق، حجمه وزيري صغير، غلافه أسود، جلد 1.
- 35- ملتقى الأبحر، حجمه صغير وزيري، غلافه أسود، جلد 1.
- 36- باقلاني، شرح الملتقى، مجدول بالذهب، غلافه من الروغن، حجمه وزيري. جلد 1.
- 37- ابراهيم قره ماني، مجدول بالذهب، حجمه وزيري، غلافه أسود. جلد 1.
- 38- الأشباه والنظائر، مجدول بالسرخ، ربع، غلافه مقوى. جلد 1.
- 39- الجزء الاول من جوهرة شرح القدوري، من كتاب الطهارة الى كتاب المساقاة، بالفارسية، حجمه ربع، كامل، مجدول بالسرخ، غلافه أحمر، جلد 1.
- 40- الجزء الثاني من الجوهرة من كتاب النكاح الى كتاب الفرائض، حجمه ربع، كامل، وزيري، غلافه احمر، جلد 1.
- 41- شرح مجمع البحرين لابن ملك، حجمه كامل، غلافه أحمر، جلد 1.
- 42- فتوى أبو السعود الاسكوي، حجمه كامل، غلافه احمر، بالفارسية، جلد 1.
- 43- الجزء الاول من فتاوى الهندية من كتاب الطهارة الى كتاب القضاء، بالفارسية، مجدول بالذهب، حجمه كامل، غلافه أحمر، جلد 1.
- 44- الجزء الثاني من فتاوى الهندية من كتاب الشهادات الى الفرائض، بالفارسية، مجدول بالذهب، حجمه كامل، غلافه أحمر وأطرافه أسود، جلد 1.
- 45- مقدمة ابي الليث، غلافه أسود، حجمه ربع كامل، جلد 1.
- 46- الجزء الأول من كشف الرمز في شرح منظومة الكنز، حجمه كامل، وزيري، مجدول بالسرخ، من كتاب الطهارة الى اخر كتاب الحج غلافه أحمر، جلد 1.

- 47- الجزء الثاني من كشف الرمز في شرح منظومة الكنز، حجمه كامل، وزيرى، مجدول بالسرخ، من كتاب النكاح الى اخر كتاب، .... غلافه احمر جلد 1.
- 48- الجزء الثالث من كشف الرمز في شرح منظومة الكنز، حجمه كامل، وزيرى، من كتاب الدعوى، مجدول بالسرخ، غلافه أحمر، جلد 1.
- 49- الجزء الرابع من كشف الرمز في شرح منظومة الكنز، حجمه كامل، وزيرى، غلافه احمر، من كتاب الاقرار الى كتاب الفرائض، مجدول بالسرخ جلد 1.
- 50- فتاوى قاضىخان، حجمه ربع، غلافه احمر جلد 1.
- 51- فتاوى قاضىخان، حجمه كامل، وزيرى، مجدول بالسرخ، غلافه احمر جلد 1.
- 52- شرح العيني على كنز الدقائق، حجمه ربع كامل، غلافه احمر، جلد 1.
- 53- الجزء الاول من منح غفار، حجمه كامل، غلافه احمر، مجدول بالسرخ، من كتاب الطهارة الى آخر كتاب الوقف، 1.
- 54- كتاب هداية وفقه، حجمه ربع، غلافه أحمر، جلد 1.
- 55- فتاوى اسكوبي افندي، حجمه ربع، غلافه احمر، جلد 1.
- 56- شرح شرعة الاسلام، حجمه كامل، أسود، خفيف، جلد 1.
- صدر الشريعة، حجمه ربع كامل، غلافه أحمر، محشى، جلد 1.
- 57- كنز الدقائق، حجمه كامل، وزيرى، غلافه احمر، جلد 1.
- 58- الدقائق ايضاً، حجمه ربع كامل، وزيرى، غلافه أسود، جلد 1.
- 59- البرذوي في اصول الفقه حجمه ربع غلافه مقوى جلد 1.
- 60- البرذوي في اصول الفقه ايضاً حجمه دون الربع غلافه اسود جلد 1.
- 61- صدر الشريعة ايضاً حجمه دون الربع غلافه احمر جلد 1،
- 62- فتاوى علي افندي شيخ زاده حجمه ربع غلافه احمر جلد 1.
- 63- مبرة الفتاوى حجمه ربع وزيرى غلافه اسود جلد 1.
- 64- تحفة المبتديء حجمه صغير مجدول بالذهب غلافه احمر جلد 1.
- 65- درر المختار في شرح تنوير الابصار، مجدول بالذهب، حجمه ربع، وزيرى، غلافه احمر، ومغلف بالأسود، جلد 1.

- 66- فتاوى انقروى، حجمه كامل وزيرى، مجدول بالسرخ، غلافه احمر، جلد 1.
- 67- الجزء الاول من الخلاصة، حجمه ربع كامل، غلافه احمر، جلد 1.
- 68- المختار حجمه ربع خفيف، غلافه مقوى، جلد 1.
- 69- فتاوى على افندي، حجم كامل وزيرى، غلافه اسود، جلد 1.
- 70- شرح الوقاية برجندي، حجمه دون الربع، جلده اخضر، مجدول بالسرخ، جلد 1.
- 71- الجزء الاول من الملتقط، حجمه ربع وزيرى خفيف، مجدول بالسرخ، جلد 1.
- 72- قاموس، حجمه كامل، غلافه احمر، جلد 1.
- 73- صحاح الجوهري، حجمه وزيرى، غلافه اسود، جلد 1.
- 74- اختري، حجمه دون الكامل، غلافه احمر، مجدول بالسرخ، جلد 1.
- 75- كنز اللغة، حجمه ربع كامل، غلافه احمر، جلد 1.
- 76- مغرب اللغة، حجمه دون الربع، ثخين، غلافه احمر، جلد 1.
- 77- حياة الحيوان، حجمه دون الكامل، غلافه احمر، جلد 1.
- 78- ديوان الادب في فنون العرب، حجمه ربع كامل، غلافه اسود، جلد 1.
- 79- المسنطرف، حجمه وزيرى، مجدول بالذهب، غلافه اسود، جلد 1.
- 80- سير التي برؤماق (بالتركية معناه: سيرة ذو الاصابع الستة) حجمه وزيرى، غلافه اسود، مجدول بالذهب، جلد 1.
- 81- الجزء الاول من الفتوحات المكية، مجدول بالسرخ، غلافه احمر، جلد 1.
- 82- الكبريت الاحمر في التصوف، حجمه كامل، غلافه احمر، جلد 1.
- 83- ترجمة قانون الطب، حجمه كامل وزيرى، غلافه احمر، جلد 1.
- 84- شرح المواقف حجمه ربع كامل غلافه احمر جلد 1.
- 85- أربعين حديث نووي، مع شرح، حجمه صغير، غلافه احمر، جلد 1.
- 86- شرح المنادى على الجامع الصغير، حجمه كامل وزيرى، غلافه احمر، جلد 1.
- 87- الصواعق المحرقة، حجمه دون الربع، غلافه صغير وردي، جلد 1.
- 88- درر العز، حجمه ربع وزيرى، غلافه احمر، جلد 1.

- 89- شرح المواقف، حجمه ربع كامل، غلافه احمر، جلد 1.
- 90- صِباح الجوهري، ربع كامل، غلافه اسود، جلد 1.
- 91- الربع الاول من ربع العبادات، الفتاوى لابن حجر، غلافه احمر، جلد 1.
- 92- الربع الثاني من ربع المعاملات، فتاوى ابن حجر، احمر، جلد 1.
- 93- الربع الثالث من النكاح وباب آخر في الفتاوى لابن حجر، غلافه احمر، جلد 1.
- 94- عيون الاثر، حجمه كامل، غلاف احمر، جلد 1.
- 95- شرح جامع الصغير، مجدول بالذهب، حجمه ربع وزيري، غلافه اسود، جلد 1.
- 96- النصف الاول الى النهاية من ابن الاثير، مجدول بالذهب، غلافه احمر، حجمه كامل وزيري، جلد 1.
- 97- أنس الجليل في تاريخ القدس والخليل، مجدول بالسرخ، حجمه كامل، غلافه احمر. جلد 1.
- 98- محلّي شرح المنهاج، فقه الشافعية، مجدول بالذهب، غلافه احمر.
- 99- منح الغفار، حجمه وزيري مجدول بالسرخ، غلافه احمر، جلد 1.
- 100- الجزء الثاني من منح الغفار، حجمه وزيري، مجدول بالسرخ، غلافه احمر، جلد 1.
- 101- الربع الاول من تحفة ابن حجر غلافه اسود حجمه ربع جلد 1.
- 102- الربع الثاني من تحفة ابن حجر غلافه اسود حجمه ربع جلد 1.
- 103- الربع الثالث من تحفة ابن حجر غلافه اسود قطيفة جلد 1.
- 104- جامع الرموز شرح الوقاية، حجمه كامل، غلافه احمر، جلد 1.
- 105- فتاوى النقشبندية، غلافه اسود، جلد 1.
- 106- تفسير حسين الكاشفي، حجمه ربع كامل، بالفارسية، جلد 1.
- 107- جلد ثاني ازنجاي، حجمه ربع كامل، غلافه مقوى، جلد 1.
- 108- الجزء الثاني من حاشية شيخ زاده على البيضاوي، غلافه قطيفة، وزيري، جلد 1.

- 109- الجلد الثالث من حاشية شيخ زاده على البيضاوي، حجم دون الربع وزيري، غلافه حطاني جلد 1.
- 110- الجلد الرابع من حاشية شيخ زاده على البيضاوي، حجم دون الربع وزيري، غلافه حطاني، جلد 1.
- 111- الجزء الخامس من حاشية شيخ زاده علي البيضاوي، غلافه وزيري، جلد 1.
- 112- الجزء الاول من شرح شهاب في الشفاء للقاضي عياض، حجم ربع وزيري، غلافه ابيض جلد 1.
- 113- الجزء الثاني من شرح شهاب في الشهاب، حجم ربع وزيري، غلافه احمر، جلد 1.
- 114- الجزء الاول من البدائع، حجم ربع، غلافه اخضر، جلد 1.
- 115- الجزء الثاني من البدائع، حجم ربع، غلافه اخضر، جلد 1.
- 116- الجزء الثالث من البدائع، حجم ربع، غلافه اخضر، جلد 1.
- 117- الجلد الاول من فتح القدير، حجم ربع وزيري، غلافه اسود، جلد 1.
- 118- الجزء الثاني من فتح القدير حجم ربع وزيري غلافه اسود جلد 1.
- 119- حاشية عبد الجبار زاده على الهداية، حجمه ربع وزيري، مجدول بالذهب، غلافه اسود، جلد 1.
- 120- بداية متن الهداية، حجمه دون الربع، غلافه ارغواني، مجدول بالذهب، جلد 1.
- 121- عناية الهداية، ربع كامل، مجدول بالسرخ، غلافه اخضر غامق، جلد 1.
- 122- شرح الخراج لابي يوسف عليه الرحمة، حجم ربع، غلافه اسود، جلد 2.
- 123- القدوري، حجمه ربع، غلافه اسود سادة، جلد 1.
- 124- الجزء الاول من الجوهرة، حجم وزيري، غلافه احمر، جلد 1.
- 125- شرح النخبة لابن حجر.
- 126- شرح مجمع البحرين لابن ملك، حجم وزيري كامل، غلافه اسود، جلد 2.
- 127- سلامي في علم الفرائض، حجم ربع، غلاف احمر، جلد 1.

- 128- كنز الدقائق، حجم وزيري كامل، غلاف اسود، جلد 1
- 129- حلي صغير، حجم وزيري، غلاف مقوى، جلد 1.
- 130- ملتقى الابر، حجم ربع مقوى، جلد 1.
- 131- الاشباه والنظائر، حجم ربع، غلاف اسود، جلد 1.
- 132- شرح الجزوية في علم القراءة، حجم ثمن، غلاف مقوى، جلد 1.
- 133- الطريقة المحمدية، حجم ربع، غلاف مقوى، جلد 1.
- 134- الفردوس في علم الحديث، حجم ربع، غلاف أصفر، مقوى، جلد 1.
- 135- صدر الشريعة، حجم ربع، غلاف اسود، جلد 1.
- 136- جامع الفتاوى، حجم وزيري، غلاف اسود، جلد 1.
- 137- الشجرة النعمانية، حجم ثمن، غلاف اصفر مقوى، جلد 1.
- 138- النصف الاول من الدرر، حجم ربع، غلاف اصفر، جلد 1.
- 139- تنوير الابصار، حجم ربع، غلاف اسود، جلد 1.
- 140- تلويح شرح التتقيح في علم الاصول، حجم وزيري كامل، غلاف اسود، جلد 1.
- 141- الربع الأول من جامع الاصول، حجم وزيري، غلاف احمر، جلد 1.
- 142- الربع الثامن من جامع الاصول، حجم وزيري، غلافه احمر، جلد 1.
- 143- درة التاج، حجم ربع كامل، غلاف اسود، جلد 1.
- 144- شرح الشاطبية لابي شامة، حجم وزيري كامل، غلاف احمر، جلد 1.
- 145- ترتيب زيبا، حجم وزيري، غلاف احمر، جلد 1.
- 146- تذكرة الأولياء، حجم ربع، مقوى، جلد 1.
- 147- نهاية ابن الاثير في علم غريب الحديث، حجم وزيري، غلاف اسود، جلد 1.
- 148- الشمائل الشريفة، حجم ثمن مربع، غلافه اسود، جلد 1.
- 149- كنز الدقائق، حجم ثمن، غلاف اسود، جلد 1.
- 150- حجري على الاشباه والنظائر، حجم ربع، غلاف سرخ، جلد 1.
- 151- نصف مبسوط الرحبي، حجم كامل، غلاف اسود، جلد 1.

- 152- النصف الأول من المستخلص في شرح الكنز، حجم كامل، غلاف اسود، جلد 1.
- 153- شرح الرضي على الكافية، حجم كامل، غلاف اسود، جلد 1.
- 154- حاشية الكشف عن الكشاف، حجم كامل، غلاف احمر، جلد 1.
- 155- شرح القهستاني، حجم ربع، غلاف اسود، مجلد جلد 1.
- 156- صحيح البخاري، حجم كامل، غلاف احمر، جلد 1.
- 157- حاشية عبد الحكيم علي البيضاوي، حجم ربع كامل، وزيري، غلافه اسود، جلد 1.
- 158- شرح الهياكل في علم الحكمة، حجم ربع كامل مربع، غلافه احمر، جلد 1.
- 159- شرح العقائد للملا جلال ومعه حاشية، حجم صغير، وزيري، غلاف احمر، جلد 1.
- 160- شرح النسفية للملا سعد الدين، معه قباني حجم صغير مربع، غلاف مقوى ابيض، جلد 1.
- 161- شرح الهداية في فن الحكمة، حجم صغير، غلاف مقوى ابري، جلد 1.
- 162- كتاب الدعاء الحسيني في فن الحكمة، حجم كبير كامل، غلاف مقوى ابيض، جلد 1.
- 163- حاشية فخر الدين سماكي على الهداية، حجم صغير، غلاف مقوى ابيض، جلد 1.
- 164- شرح حكمة العين، حجم وزيري، غلاف اسود جلد 1.
- 165- حاشية ميرزا جان على حكمة العين، حجم صغير، وزيري، غلاف مقوى جلد 1.
- 166- حاشية خفري على شرح التجويد، حجم صغير، غلاف احمر، جلد 1.
- 167- شرح اشارات الحكمة، حجم ربع كامل، تأليف الطوسي، غلافه اصفر، جلد 1.
- 168- تهافت الفلاسفة، حجم وزيري، غلاف احمر، جلد 1.
- 169- مفتاح العلوم للسكاكي، حجم وزيري، غلاف اسود، جلد 1.

- 170- اطباق الذهب، حجم ربع، غلاف احمر، جلد 1.
- 171- شرح الهداية آخر، حجم صغير، غلاف اسود، جلد 1.
- 172- شرح الضوء، حجم صغير، غلاف مقوى ابيض، جلد 1.
- 173- ابن النازم شرح الفقيه، حجم وزيرى، احمر، جلد 1.
- 174- خبيصى، حجم دون الربع، غلاف اخضر، جلد 1.
- 175- لب الالباب، حجم ربع، غلاف احمر، جلد 1.
- 176- عبد الغفور حاشية شرح جامى، حجم صغير وزيرى، غلاف اسود، مجلد 1.
- 177- حاشية زيارى في الاستعارة، حجم ربع خفيف، غلاف ابيض مقوى، جلد 1.
- 178- حاشية عصام جامى، حجم ربع، غلاف احمر، جلد 1.
- 179- الهندي شرح الكافية، حجم دون الربع، غلاف مقوى اخضر، جلد 1.
- 180- عبد الله يزدي، التذهيب، حجم صغير، غلاف احمر، جلد 1.
- 181- الحسام الكاتى معه حاشية محى الدين، حجم ربع، غلاف احمر، جلد 1.
- 182- جامى، شرح كافية، حجم ربع، غلاف اصفر، مقوى جلد 1.
- 183- المفصل، حجم دون الربع، غلاف مقوى، جلد 1.
- 184- شرح خالد ازهرى، حجم ربع خفيف، غلاف احمر، جلد 1.
- 185- عبد الله يزدي في الخطاب، حجم صغير، غلاف احمر، جلد 1.
- 186- شرح شمسية، حجم دون الربع، غلاف اسود، جلد 1.
- 187- آخر شرح شمسية، حجم صغير، غلاف احمر، جلد 1.
- 188- حاشية سيد علي شرح شمسية، حجم صغير، غلاف احمر، جلد 1.
- 189- محى الدين علي حسام كاتى، حجم ربع، غلاف مقوى اصفر، جلد 1.
- 190- الخطاب في المطول، حجم صغير، وزيرى، غلاف مقوى، جلد 1.
- 191- سيد المطول، حجم دون الربع، غلاف مقوى، جلد 1.
- 192- المطول، حجم ربع وزيرى، غلاف احمر، جلد 1.
- 193- شرح مختصر التلخيص معه شرح الاجرومية، حجم ربع، غلاف احمر، جلد 1.

- 194- شافية، حجم ربع، غلاف مقوى اخضر خفيف، جلد 1.
- 195- سعد الدين تفتزاني الروض، حجم دون الربع، غلاف مقوى اصفر، جلد 1.
- 196- شرح ابنية في علم الصرف، حجم صغير، غلاف احمر، جلد 1.
- 197- سيد شرح شمسية، حجم وزيري، غلاف احمر، جلد 1.
- 198- جاربردي شرح شافية، حجم وزيري، غلاف احمر، جلد 1.
- 199- آخر جاربردي في شرح شافية، حجم دون الربع، غلاف احمر، جلد 1.
- 200- سيد حاشية المطالع، حجم ربع كامل، غلاف احمر، جلد 1.
- 201- عصام وضع، مع شرانشي، حجم ربع، غلاف اسود، جلد 1.
- 202- مقولات في الحكمة، حجم دون الربع، غلاف احمر، جلد 1.
- 203- تذكرة في علم الهيئة، حجم صغير، اخضر، جلد 1.
- 204- شرح حكمة العين، حجم ربع، غلاف مقوى اصفر، جلد 1.
- 205- فتاوى مع برهان، حجم دون الربع، غلاف مقوى ابيض، جلد 1.
- 206- آخر فتاوى مع برهان، حجم صغير وزيري، غلاف مقوى، جلد 1.
- 207- عصام استعارة، حجم ربع، غلاف مقوى اصفر، جلد 1.
- 208- سير في المطول، حجم وزيري، غلاف اخضر، جلد 1.
- 209- مغنى الاكراد، حجم ربع، غلاف مقوى، جلد 1.
- 210- شرح المفتاح ملا سعد الدين، حجم ربع كامل وزيري، جلد 1.
- 211- مغنى اللبيب، حجم كامل وزيري، غلاف احمر، جلد 1.
- 212- حاشية مغنى اللبيب، حجم دون الربع، غلاف مقوى سرخ، جلد 1.
- 213- آخر مفصل، حجم كامل وزيري، غلاف احمر، جلد 1.
- 214- عبد الله يزدي علي الخطابي، حجم صغير، غلاف اصفر، جلد 1.
- 215- اثبات الواجب، حجم صغير، غلاف اسود، جلد 1.
- 216- شرح مختصر المنتهى في علم الاصول، حجم وزيري، غلاف احمر، جلد 1.
- 217- شرح مختصر المنتهى، اوله ناقص، وكذا آخره، حجمه صغير، غلاف اصفر، جلد 1.

- 218- شرح المختصر في المنتهى في علم الاصول، حجم صغير، غلاف اسود،  
جلد 1.
- 219- حاشية ابهري على شرح المختصر في علم الاصول، حجم دون الربع،  
غلاف مقوى ابيض، جلد 1
- 220- آخر فتاوى مع برهان، حجم صغير وزيري، غلاف مقوى، جلد 1.
- 221- عصام استعارة، حجم ربع، غلاف مقوى اصفر، جلد 1.
- 222- سيد في المطول، حجم وزيري، غلاف اخضر، جلد 1.
- 223- مغنى الأكراد، حجم ربع، مقوى ابيض، جلد 1.
- 224- شرح المفتاح ملا سعد الدين، حجم ربع كامل، وزيري، جلد 1.
- 225- مغنى اللبيب، حجم كامل وزيري، غلاف احمر، جلد 1.
- 226- حاشية مغنى اللبيب، حجم دون الربع، غلاف مقوى سرخ، جلد 1.
- 227- آخر مفصل، حجم كامل وزيري، احمر، جلد 1.
- 228- عبد الله يزدي علي الخطابي، حجم صغير، غلاف اصفر، جلد 1.
- 229- إثبات الواجب، حجم صغير، غلاف اسود، جلد 1.
- 230- شرح مختصر المنتهى في علم الاصول، حجم وزيري احمر، جلد 1.
- 231- شرح مختصر المنتهى، اوله ناقص وكذا آخره، حجمه صغير، غلاف  
اصفر، جلد 1.
- 232- شرح المختصر في المنتهى في علم الاصول، حجم صغير، غلاف اسود،  
جلد 1.
- 233- حاشية أبهري على شرح المختصر في علم الاصول، حجم دون الربع،  
غلاف مقوى ابيض، جلد 1.
- 234- كتاب التبيين في فقه الشافعية، حجم ربع كامل، غلاف مقوى ابيض،  
جلد 1.
- 235- الجزء الثالث من انوار الفقه، فقه شافعي، كامل، غلاف احمر، جلد 1.
- 236- جزء أول من شرح المنهاج للسبكي، حجم ربع كامل، غلاف مقوى اصفر،  
جلد 1.

- 237- عمالة شرح المنهاج، فقه شافعي، حجم ربع كامل، غلاف اسود، جلد 1.
- 238- مجموعة كتاب في علم الفرائض، مع شرح تعليم المتعلم، وخلاصة الحاجة، جلد 1.
- 239- كتاب الأبواب في علم الصرف، حجم ربع خفيف، غلاف احمر، جلد 1.
- 240- قره بادى شفاء بالفارسية، في علم الطب، حجم دون الربع، غلاف اصفر، جلد 1.
- 241- متن وضعية مع نموذج، حجم صغير، غلاف احمر، جلد 1.
- 242- كتاب التقويم في معرفة التنجيم، حجم صغير، اصفر، جلد 1.
- 243- مجموعة رسائل عربي وأدب، حجم ربع كامل، غلاف احمر، جلد 1.
- 244- كتاب فارسي في علم الطب كفاية المنصوري، حجم صغير، غلاف اسود، جلد 1.
- 245- سعد الدين مع خيالي، حجم ربع، غلاف احمر، جلد 1.
- 246- شرح منار ابن مالك في علم الأصول، حجم ربع، غلاف اسود، جلد 1.
- 247- شرح الفقه الاكبر علي الفارسي، حجم ربع صغير، غلاف احمر، جلد 1.
- 248- حاشية خطائي على المختصر، حجم صغير، غلاف احمر، جلد 1.
- 249- غريب القرآن، حجم ربع وزيري، جلد احمر، جلد 1.
- 250- سر الصناعة، حجم ربع كامل، غلاف اسود، مجلد 1.
- 251- الفوائد الغياثية، في علم المعاني والبيان، حجم صغير، غلاف احمر، جلد 1.
- 252- المفصل، حجم ربع، غلاف اسود واحمر مع اطار، مجلد 1.
- 253- هداية الاعتقاد، حجم كامل، غلاف مقوى ابري، جلد 1.
- 254- التحصيل، ربع وزيري، غلاف احمر، جلد 1.
- 255- شرح السراجية، حجم ربع، غلاف اسود، مجلد 1.
- 256- مجموعة كتب ورسائل عديدة، حجم دون الربع، غلاف اصفر، جلد 1.
- 257- الدرة الشنوانة على شرح الاجرومية، غلاف احمر، جلد 1.
- 258- حاشية حلب ازاز، حجم ربع غلاف، مقوى ذهبي، جلد 1.

- 259- درة الفواص، حجم وزيري، غلاف مقوى ذهبي، جلد 1.
- 260- شرح جفميني، حجم ربيع، غلاف مقوى مذهب، جلد 1.
- 261- حاشية مصري علي سعد الدين، حجم ثمن، غلاف احمر، جلد 1.
- 262- شرح الآداب للحنفي مع شرح الفتاوى، حجم ثمن، غلاف مقوى ومذهب، جلد 1.
- 263- شرح قطر الندى، حجم ثمن، احمر، جلد 1.
- 264- متن تجريد العقائد، حجم ثمن، غلاف مقوى، جلدا
- 265- شرح التهذيب، حجم ربيع، غلاف مذهب مقوى، جلد 1.
- 266- إيساغوجي مع حاشية سعد الله حجم، ربيع، غلاف مذهب ومقوى، جلد 1.
- 267- شرح مختصر التلخيص، حجم ربيع، غلاف احمر، جلد 1.
- 268- صحاح الجوهري في اللغة، حجم كامل، غلاف احمر، جلد 1.
- 269- نصف تفسير الجلالين، حجم ربيع، غلاف احمر، جلد 1.
- 270- بيان الناسخ والمنسوخ، حجم ربيع، غلاف احمر، جلد 1.
- 271- تنوير الأذهان والضمائر شرح الاشباه والنظائر، غلاف وزيري أحمر، جلد 1.
- 272- ظواهر الجواهري في الأشباه والنظائر، حجم وزيري، غلاف اسود، جلد 1.
- 273- توضيح أصول الحنفية حجم ربيع غلاف مقوى جلد 1.
- 274- شرح المواقف حجم وزيري غلاف احمر جلد 1.
- 275- الجزء الخامس من فتح الباري شرح البخاري حجم وزيري غلاف احمر جلد 1.
- 276- الجزء السابع من فتح الباري، حجم وزيري، احمر جلد 1.
- 277- حاشية حامد، غلاف مقوى، مجلد 1.
- 278- الكشف، حجم كبير، غلاف احمر، مجلد 1.
- 279- صراع مختصر الصحاح حجم وزيري غلاف احمر جلدا-
- 280- الشفاء في حقوق المصطفى صلى الله عليه وسلم، حجم ثمن، غلاف اسود، مجلد 1.

- 281- شرح الشمائل لابن حجر، ربع، غلاف احمر، جلد 1.
- 282- شرح الوقاية لابن ملك، حجم كامل، غلاف اصفر، مجلد 1. (290)
- 283- المطول، حجم وزيرى، غلاف احمر، جلد 1.
- 284- حسن جلبي على المطول، حجم ربع، غلاف احمر، مجلد 1.
- 285- كُستانتان، غلاف احمر، مجلد 1.
- 286- ذخيرة الملوك بالفارسية، غلاف احمر، مجلد 1.
- 287- حاشية عصام على البيضاوي، حجم ربع وزيرى، غلاف احمر، مجلد 1.
- 288- شرح المفتاح للعلامة محمود الشيرازي، حجم نصف كامل، غلاف احمر،  
جلد 1.
- 289- فتاوى خير الدين، حجم وزيرى، غلاف اسود مجلد 1.
- 290- تحفة المؤمنين في علم الطب، حجم ربع، غلاف احمر، جلد 1.
- 291- مقامات الحريري، حجم ربع كامل، غلاف اسود، مجلد 1.
- 292- شرح المقامات للمطرزي، حجم ربع كامل، غلاف اصفر، جلد 1. (300\*)
- 293- مغنى اللبيب، حجم ربع، غلاف احمر، جلد 1.
- 294- إيضاح الاصلاح، حجم ربع، احمر جلد 1.
- 295- حاشية اللاري، حجم وزيرى، غلاف اسود، مجلد 1.
- 296- حاشية مير ابو الفتح على التهذيب، ثمن، غلاف اصفر، مجلد 1.
- 297- حاشية عصام الدين على صدر الشريعة، حجم ربع، غلاف احمر، جلد 1.
- 298- حاشية يوسف القره باغي شرح الملا جلال، حجم ربع، غلاف احمر، مجلد 1.
- 299- حاشية المصري علي سعد الدين، حجم ربع وزيرى، غلاف احمر، مجلد 1.
- 300- الوضعية الكبرى، حجم ثمن، اسود، مجلد 1.
- 301- حاشية محي الدين مع القره باغي علي حسام كاتي، مجلد 1.
- 302- كتاب الايضاح على تلخيص المفتاح، حجم ربع، غلاف صديدي اللون،  
مجلد 1.

- 303- حاشية محمد امين جهة الوحدة مع حاشية ابراهيم خير، غلاف احمر، حجم ربع، مجلد 1.
- 304- حاشية عبد الله حيدر علي قول احمد، حجم وزيرى، غلاف خفيف احمر، جلد 1.
- 305- شرح المطالع، حجم كامل، غلاف مقوى، جلد 1.
- 306- حاشية السيد على شرح المطالع، حجم كامل، غلاف مقوى، جلد 1.
- 307- حاشية نملية علي الخيالي، حجم ربع، غلاف احمر، جلد 1.
- 308- المطول، حجم وزيرى، غلاف احمر، مجلد 1.
- 309- شرح ابن النجم على المنار، حجم ربع، غلاف احمر، جلد 1.
- 310- حاشية عبد الغفور، حجم وزيرى، غلاف اسود، مجلد 1.
- 311- إيساغوجي، مربع، غلاف اصفر، مقوى جلد 1.
- 312- شرح المختصر، حجم وزيرى، غلاف اسود، جلد 1.
- 313- جامي، حجم وزيرى، غلاف احمر، جلد 1.
- 314- تركيب خالد، نصف ربع، غلاف اسود، مجلد 1.
- 315- شرح التهذيب، حجم وزيرى، غلاف احمر، مجلد 1.
- 316- إثبات الواجب، مربع، غلاف مقوى، مجلد 1.
- 317- إيساغوجي، مربع، غلاف اصفر مقوى، مجلد 1.
- 318- حسن جلبي على المطول، حجم ربع، غلاف احمر، مجلد 1.
- 319- ابن عقيل شرح الألفية، حجم ربع، غلاف احمر، مجلد 1.
- 320- نسخة بست باب في علم الاسطرلاب، ونسخة فتحية علي قوشجلر في علم الهيئة، حجم نصف الربع، غلاف احمر، مجلد 1.
- 321- شرح گلشن راز، حجم وزيرى، غلاف احمر، مجلد 1.
- 322- جزء منظومة نهاية، حجم كامل، غلاف اسود، مجلد 1.
- 323- سعدي جلبي علي البيضاوي، حجم وزيرى، غلاف اصفر مقوى، جلد 1.
- 324- شرح التجريد في علم الحكمة، غلاف احمر، حجم ربع، جلد 1.

- 325- شرح الكافية في علم الصرف، ربع، غلاف اصفر مقوى، جلد 1.
- 326- الجزء الأول من البخارى قسطلاني، حجم وزيرى، غلاف احمر، جلد 1.
- 327- الجزء الثانى من البخارى قسطلاني، حجم وزيرى، غلاف احمر، جلد 1.
- 328- الجزء الثالث من البخارى قسطلاني، حجم وزيرى، مجلد 1.
- 329- الجزء الرابع من البخارى قسطلاني، حجم وزيرى، غلاف احمر، جلد 1.
- 330- الجزء الخامس قسطلاني علي البخارى، حجم وزيرى، غلاف احمر، جلد 1.
- 331- الجزء الخامس قسطلاني علي البخارى، حجم وزيرى، غلاف احمر، جلد 1.
- 332- شرح المراح، حجم ربع، غلاف اصفر مقوى، جلد 1.
- 333- تفسير كبير آخر، حجم كامل، غلاف اسود، جلد 1.
- 334- شرح الصدور في احوال اهل القبور للسيوطي، حجم غلاف احمر، جلد 1.
- 335- شرح امالي لعلي القاري، غلاف اسود، حجم ربع، مجلد 1.
- 336- نخبة الفكر، حديث شريف، حجم وزيرى، غلاف اسود، جلد 1.
- 337- النسفية في العقائد حجم وزيرى غلاف مقوى جلد 1.
- 338- مثير العزم في العقائد، غلاف اسود، جلد 1.
- 339- شرح الألفية للسيوطي، نحو، حجم وزيرى، غلاف اسود، جلد 1.
- 340- الوايف في متن الكافي، فقه، حجم وزيرى، غلاف اسود، جلد 1.
- 341- منبه المصلى، حجم وزيرى، غلاف اسود، جلد 1.
- 342- شرح متن التلخيص للخلخالي، معان وبيان، حجم ربع، غلاف اسود، جلد 1.
- 343- الإظهار في النحو، حجم ربع، غلاف مقوى، جلد 1.
- 344- حل الرموز ومفاتيح الكنوز، حجم وزيرى، غلاف مقوى، مجلد 1.
- 345- شرح خالد، حجم ربع، غلاف مقوى، جلد 1.
- 346- عيون الاخبار، حديث شريف، حجم وزيرى، غلاف اسود، جلد 1.
- 347- شرح الكنز، الجزء الاول، حجم وزيرى غلاف مقوى جلد 1.
- 348- نزهة القلوب مع رسالة شيخ شهاب الدين، حجم كامل، غلاف احمر، جلد 1.

- 349- شرح غزنوي، حجم وزيرى، غلاف اسود، جلد 1.
- 350- شرح برئية ومعه تفسير متشابهان، حجم وزيرى، غلاف احمر، جلد 1.
- 351- كتاب السبعيات، مواعظ، حجم ربع، غلاف اسود
- 352- منهاج القاصدين، مواعظ، حجم وزيرى، غلاف احمر، جلد 1.
- 353- شفاء شريف، حجم كامل، غلاف مقوى، جلد 1.
- 354- مقدمة ابو الليث، حجم ربع، غلاف احمر، جلد 1.
- 355- على القاري شرح حديث الاربعة، حجم وزيرى، غلاف احمر، مجلد 1.
- 356- حاشية على الشمسية في المنطق، حجم ربع، غلاف اسود، مجلد 1.
- 357- لسان الحكام فتوى، حجم ربع، غلاف احمر، جلد 1.
- 358- نقض المحصل في علم الكلام، حجمه ربع، غلاف اسود، جلد 1.
- 359- اختلاف المذاهب، حجم وزيرى، غلاف احمر، جلد 1.
- 360- شرح السراجيه فرائض، حجم وزيرى، غلاف اسود، جلد 1.
- 361- الكفاية- فقه- حجم كامل، غلاف مقوى، جلد 1.
- 362- تاريخ البلدان، حجم وزيرى، غلاف اسود، جلد 1.
- 363- جواهر الحكم، ربع، غلاف اسود، جلد 1.
- 364- شرح حصن الحصين، حجم ربع، غلاف مقوى، جلد 1.
- 365- المختار، فقه، حجم وزيرى، غلاف اسود، جلد 1.
- 366- جزء من شرح المقاصد، كلام، حجم وزيرى، غلاف احمر، جلد 1.
- 367- شواهد النبوة بالفارسية، حجم ربع، غلاف اسود، جلد 1.
- 368- شرح اللمع، حجم وزيرى، غلاف احمر، جلد 1.
- 369- جزرية، حجم نصف ربع، غلاف احمر، جلد 1.
- 370- نسخة مجهولة المؤلف في علم التوحيد، حجم ربع، غلاف اسود، جلد 1.
- 371- نسخة في علم الحكمة لداود الحسن، حجم ربع، غلاف مقوى ابيض، جلد 1.
- 372- حاشية الفخر على الهداية، حجم نصف ربع، غلاف ابيض، جلد 1. 381

الكتب التي اشتراها صاحب الدولة والي بغداد سليمان باشا من خليفة الروزنامه  
جي احمد افندي ووضعها في المدرسة:

- 373- شمائل شريف، حجم ثمن، مربع، غلاف اسود، جلد 1.
- 374- كنز الدقائق، حجم ثمن، غلاف اسود، جلد 1.
- 375- حموي على الاشباه والنظائر، حجم ربع، غلاف سرخ، جلد 1.
- 376- نصف مبسوط سرخسي، حجم كامل، غلاف اسود، جلد 1.
- 377- النصف الاول من المستخلص شرح الكنز، حجم كامل، غلاف اسود، جلد 1.
- 378- شرح رضا على الكافية، حجم كامل، غلاف اسود، جلد 1.
- 379- حاشية الكشف على الكشف حجم كامل غلاف احمر جلد 1.
- 380- شرح فهرست، حجم ربع، غلاف اسود، جلد 1.
- 381- صحيح البخاري، اهداء خليل الموصللي، حجم كامل، غلاف احمر، جلد 1.
- 382- حاشية عبد الحكيم، حجم كامل، غلاف اسود
- 383- حاشية عصام على صدر الشريعة، حجم ربع، غلاف احمر، جلد 1.
- 384- مقامات الحريري حجم ربع كامل غلاف اسود جلد 1.
- 385- شرح مقامات الحريري للمطرزي، حجم ربع كامل، غلاف اصفر، جلد 1.
- 386- حاشية لاري، حجم وزير، غلاف اسود، جلد 1.
- 387- مغنى اللبيب، حجم ربع، غلاف احمر، جلد 1.
- 388- ايضاح الاصلاح، حجم ربع، غلاف احمر، جلد 1.
- 389- حاشية مير ابو الفتح، حجم ثمن، غلاف اصفر، جلد 1.
- 390- حاشية يوسف قره باغي شرح الملا جلال، حجم ربع، غلاف احمر، جلد 1.
- 391- حاشية مصري علي سعد الدين، حجم ربع وزير، غلاف وزير، جلد 1.
- 392- الوضعية الكبرى، حجم ثمن، غلاف اسود، جلد 1.
- 393- حاشية محي الدين مع قره باغي علي حسام كاتي، جلد 1.
- 394- كتاب الايضاح على تلخيص المفتاح، حجم ربع، غلاف صديدي اللون، جلد 1.

- 395- حاشية محمد امين على جهة الوحدة مع حاشية ابراهيم حيدر، غلاف احمر، بحجم ربع جلد 1.
- 396- حاشية عبد الله حيدر على قول احمد، حجم وزيرى خفيف، اصفر، جلد 1.
- 397- شرح المطالع، اهداء الملا خليل الموصلى، حجم كامل، غلاف مقوى، جلد 1.
- 398- حاشية السيد على شرح المطالع، حجم كامل، غلاف مقوى، جلد 1.
- 399- حاشية نمليه على خيالى، حجم ربع، غلاف احمر، جلد 1.
- الكتب التي اشتراها صاحب الدولة والى بغداد سليمان باشا من الحاج ابراهيم ووضعتها في المدرسة:
- 400- المطوّل، حجم وزيرى، غلاف احمر، جلد 1.
- 401- شرح ابن نجيم على المنار حجم مربع غلاف احمر جلد 1.
- 402- حاشية عبد الغفور حجم وزيرى غلاف اسود جلد 1.
- 403- ايساغوجي حجم مربع غلاف اصفر مقوى جلد 1.
- 404- شرح مختصر التلخيص حجم وزيرى غلاف اسود جلد 1.
- 405- جامي حجم وزيرى غلاف احمد جلد 1.
- 406- تركيب خالد نصف حجم مربع غلاف اسود جلد 1.
- 407- شرح التذهيب حجم وزيرى غلاف احمر جلد 1.
- 408- اثبات الواجب حجم مربع غلاف مقوى جلد 1.
- 409- دفعه ايساغوجي، حجم مربع غلاف اصفر مقوى جلد 1.
- 410- حسن جلبي على المطوّل حجم ربع احمر جلد 1.
- 411- ابن عقيل شرح الالفية حجم ربع غلاف احمر جلد 1.
- 412- نسخة بست باب في علم الاسطرلاب، ونسخة فتحية على قوشجي في علم الهيئة، حجم ربع، غلاف احمر جلد 1.
- 413- شرح كلشن راز، حجم وزيرى، جلد 1.
- 414- النصف الاول من منظوم النهاية، حجم كامل، غلاف اسود، جلد 1.
- 415- سعدي جلبي علي البيضاوي، حجم وزيرى، غلاف اصفر، مقوى جلد 1.

416- شرح التجريد في علم الحكمة، غلاف احمر، حجم ربع، جلد 1.

417- شرح الكافية في علم الصرف، حجم ربع، غلاف اصفر، جلد 1.

427- شرح البخاري للقسطلاني، حجم وزيري، غلاف احمر، جلد 1. 19

نقلت هذه الوقفية من السجل الرابع عشر القديم للوقيات ص 157 وترجمت الى اللغة العربية من قبل السيد حبيب الهرمزي.

### ثانياً: وقفية سليمان باشا الكبير على مدرسته

في سنة 1207هـ/1792م أنشأ سليمان باشا الكبير مدرسة متكاملة، غير ملحقة بمسجد، سميت بالمدرسة السليمانية، وكانت هذه المدرسة تقع في مكان قريب من سراي الحكم في بغداد، بين مسجدين، الأول جامع الشيخ أبي النجيب السهروردي، حيث يوجد قبره ومدرسته، وجامع النعمانية الذي شيده سيدة محسنة، هي فاطمة بنت بكتاش بن ولي قبل نحو عقدين من ذلك التاريخ، وتحديدًا سنة 1185هـ/1771م، وقريباً منها كانت المدرسة العلية التي أنشأها والي بغداد علي باشا، سنة 1176هـ/1762م أي قبل نحو ثلاثة عقود، على أرض شغلتها من قبل المدرسة العلانية التي شيدها علاء الدين علي بن عبد المؤمن السكرجي سنة 694هـ/1294م<sup>(1)</sup>، على أن العناية الفائقة التي بذلها سليمان باشا بإنشاء مدرسته ميزتها على أكثر مدارس بغداد فضلاً عن المدارس المحيطة أو القريبة منها.

وفيهما ورد في نص وقفيتها أنها كانت تتألف من فناء مفتوح، في صدره إيوان، وتحيط بالفناء ثماني حُجرات، ولها طابق علوي فيه غرفتان في الأقل، وبما أن المدرسة كانت تضم جناحاً لمبيت الطلبة، فلنا أن نتصور أن هذا الجناح هو الذي كان يشغل هاتين الغرفتين، فقد جرت العادة في المدارس الإسلامية أن تخصص غرف الطابق العلوي لسكناهم، وإيوان آخر، وحجرة تستغل كمكتبة، وبحسب التقاليد نفسها فإن الإيوان كان يستخدم مكاناً للتدريس صيفاً، بينما تستخدم حجرة خاصة للتدريس في الطابق الأرضي. وثمة ثلاث حجرات تحتها لا يمكن التكهّن بوظيفتها، ويمكن أنها كانت تستغل لغرض التدريس، أو لإقامة المدرس، وثمة مرافق أخرى، منها حجرة خاصة بالأباريقي، عند بابها، وهو الموكل بملء الأباريق المخصصة لمياه الشرب، وربما (الحبوب) الفخارية أيضاً حيث يحفظ الماء لغرض تبريده صيفاً، وسرداب كبير،

(1) كتابنا: المدرسة العلية في بغداد، بغداد 1986، ص 32.

وسلم يؤدي إلى الطابق العلوي، ومزملة ذات حوض حجري، يحفظ فيه الماء، ويصب منه من خلال فتحات فيه. وقد وصف عبادة حال المدرسة في أوائل القرن العشرين بقوله «إن هذه المدرسة اليوم على بنائها القديم، غير أنه قد أصلح بعض ما تهدم منها، وإدارة شؤونها اليوم بيد الأوقاف»، وقال عباس بن رجب، وهو يصفها في أوائل ذلك القرن أيضاً «المدرسة الشهيرة بالسليمانية من آثار المرحوم سليمان أبي سعيد باشا، وهي معمورة»<sup>(1)</sup>. وتعاقَبَ على التدريس فيها أربعة من كبار علماء بغداد، هم عبد القادر السليمانى، ومحمد فيضي الزهاوي، وابنه محمد سعيد الزهاوي، ثم أجد الزهاوي، وقد تولى الثلاثة الأواخر منهم إفتاء بغداد على التعاقب. اتخذت في خمسينات القرن الماضي مقراً لرابطة العلماء، وكان لهذه الرابطة الفضل في تأسيس العدد الكبير من الجوامع في بغداد<sup>(2)</sup>.

ويمكن أن نعد باب المدرسة أنموذجاً على فخامة بناء المدرسة الزائلة، فهو عال، تعلوه سبعة أبيات بالتركية، مكتوبة بخط الثلث على قطع من الآجر المزجج بلون أزرق، وتصف الأبيات المدرسة بأنها قصر، وتشيد بحسن وضعها، ويخزانة كتبها التي تضم كتباً نفيسة لتدريس العلوم العقلية والنقلية، وفي آخرها بيت التاريخ، وهو (حبذا مدرسة علم هي زهى جاي هدا) 1206، ويعلو هذه الأبيات زخرفة تتمثل بصفوف من المشكاوات الأجرية البارزة. وللباب مدخل على هيئة إيوان عريض مدبب، تزينه حلية بنائية تتألف من ضفيرة محززة، ومن المؤسف أن معظم مباني هذه المدرسة أزيل قبل نحو نصف قرن، فلم يتبق منها إلا بقايا إيوانها الداخلي، وهذه البوابة الأثرية الجميلة، ثم تهدم أولهما في ثمانينات القرن الماضي، بينما هُدم الباب في 2006، وأزيل في الوقت نفسه مبنى جامع النعمانية المجاور، وبقيت منه مؤذنته الجميلة، ثم أدمجت أرضه بأرض المدرسة السليمانية الزائلة، وشيد عليهما مسجد حديث احتل المساحة كلها، باسم (مسجد السليمانية) ولما يزل عامراً والحمد لله.

وتكشف الأوقاف التي خصصها سليمان باشا على مدرسته عن جسامه العقارات التي كان قد اشتراها أو أنشأها ووقفها عليها، وتشمل مجموعة من المنشآت التجارية في بغداد وفي النجف، تتمثل بخانات كبيرة، وأسواق (قيصريات)، ودكاكين، ومقام،

(1) كتابنا: مساجد بغداد في كتابات الإجداد، بغداد 2006، ص 46.

(2) كتابنا: محمد سعيد الزهاوي، مفتي بغداد، أبريل 2009، ص 8.

وأراض زراعية خارج أسوار بغداد الشمالية، وأخرى في الجانب الغربي منها. وعيّن أوجه الانفاق، ومقادير رواتب الموظفين، والترميم، وجعل راتب المدرس 125 آقجة.

### المكتبة

وقف سليمان باشا على مدرسته مجموعة كبيرة من الكتب بلغ عددها 445 كتاباً، وهو عدد قريب من عدد الكتب التي وقفها على مدرسة جامع جديد حسن باشا، وعيّن لها موظفاً خاصاً باسم حافظ الكتب وعيّن له راتباً يومياً قدره 45 آقجة. وشرط أن «توضع في المدرسة، وبالأخص في المكتبة، وتكون بيد حافظ الكتب، يتصرف بها مستقلاً، فيحفظها ويحرسها، ويهتم بذلك، ولا يسوغ له أن يخرجها من المدرسة البتّة، وإذا احتاج المدرس، أو الطلاب، أن يطالعوا في المدرسة فلهم ذلك. وبعد إتمام مهمتهم يعيدونها إلى محلها، ويضعونها بمكانها، وأن تُضمّن الكتب التي تفقد من حافظ الكتب». وقد ذكر إبراهيم الدروبي أن الواقف «ألحق بالمدرسة مكتبة عظيمة فيها نواذر المخطوطات القديمة»<sup>(1)</sup>.

وتتألف الكتب من 24 مجموعة، يختص كل مجموعة منها بعلم محدد، وذلك على النحو الآتي:

نوع العلم	العدد
المصاحف	2
القراءة والتجويد	11
التفسير الشريف	41
الأحاديث الشريفة	43
لغة الأحاديث الشريفة (غريب الحديث)	3
في أصول الأحاديث الشريفة (مصطلح الحديث)	6
متون الفقه	25
شروح الفقه	46

(1) البغداديون أخبارهم ومجالسهم، بغداد 1958، ص 300.

7	الفرائض
11	أصول الفقه
18	العقائد
22	التصوف
7	الفقه الشافعي
1	الفقه الحنبلي
26	الكلام والعقائد وأصول الدين
10	اللغات
21	التاريخ
9	الأدب
15	الصرف
46	النحو
5	الوضع والإستعارة وآداب البحث
21	المعاني والبيان والبديع
21	المنطق والحكمة
17	الحكمة الطبيعية
57	الحكمة الرياضية والحساب والاسطرلاب والهيئة والهندسة
5	الطب
445	المجموع

ومثلما فعل في وقفيته السابقة، فإنه صنع لهذه الكتب فهرساً مفصلاً شمل «أسماءها ورسومها وحجومها وقطع جلودها ومخطوطاتها وتعريفها» جعله ذيلاً ملحقاً بالوقفية، إلا أننا لم نقف على هذا الذيل، فلم يبق لنا إلا الإحصاءات العامة التي احتوتها الوقفية ذاتها.

ومما يلفت النظر هذا التنوع الكبير في أنواع العلوم التي تتوزع عليها الكتب، وشمولها جميع أنواع المعرفة المتاحة في ذلك العصر، ففضلاً عن العلوم المتصلة بالشريعة، مما كان يدرس في المدارس وحلقات العلماء، فإن الأعداد الكبيرة من كتب الحكمة الطبيعية، والحكمة الرياضية، والحساب والاسطرلاب والهندسة، والطب، يجعل من هذه الخزانة دار كتب متكاملة فعلاً، تتجاوز ما كان يُدرّس عادة في مدارس ذلك العصر، وإذ كان للمدرسة مُدرّس واحد، يتقاضى مُرتبه من وارداتها، فإن علينا أن نتساءل: على من كان الطلبة يتلقون هذه العلوم، ولفائدة من وقفت أصلاً، لا سيما وأن الواقف منع إخراج أي كتاب إلى خارج مدرسته، ولا يبيح لنا إلا أن نفترض أن علماء آخرين لهم تخصص بهذه العلوم كانوا يترددون إلى المدرسة لإلقاء محاضرات فيها، إذ لا يعقل أن يتولى مُدرّس واحد تدريس كل هذه العلوم، وفي هذه الحال، سيكون من المعقول أن ترتب لمحاضرات العلماء الآخرين مواعيد، على وفق جدول معين، وسينتهي كل عدد من المحاضرات بمنح المدرس طلابه النابهين إجازات، على وفق تقاليد الإجازة العلمية عصر ذاك، أو ما يسمى في يومنا هذا بالشهادات، وهذا ما يجعل المدرسة أقرب إلى المدارس الحديثة إلى حد ما، ولا شك في أن هذه الأمور تحتاج إلى بحث في ضوء الإطلاع على وقفيات علمية وثقافية أخرى.

وعلى الرغم من سخاء هذه الوقفية<sup>(1)</sup>، والشروط الصارمة التي وضعها الواقف فيما يتعلق بخزانة الكتب الغنية التي ضمتها، إلا أن شيئاً من الإهمال أخذ يسري إليها، فتناقص عدد تلك الكتب، حتى لم يبق منها في أواخر القرن الثالث عشر شيئاً يعتد به، فعند السيد محمد آل جميل (المتوفى سنة 1318هـ/1900م) مكتبة المدرسة السليمانية، ومكتبة جامع جديد حسن باشا، مما أنشأه هذا الوالي، من بين المكتبات التي «لا يوجد منها ولا كتاب واحد»<sup>(2)</sup>.

(1) لم يمض على تأسيس المدرسة ثلاث سنوات حتى وقف سليمان باشا وقفية أخرى في 23 ذي القعدة 1210هـ/1795م على المدرسة السليمانية اشتملت على سوق ملاصق لسوق القزازين، والمحاد لسوق القبوقجية، والمتضمن 33 دكاناً ومخزناً وخاناً، ثم وقف أحد المحسنين وهو أحمد أفندي بن زين الدين بن علي على المدرسة السليمانية في 28 جمادى الأولى سنة 1213هـ/1798م، وقفية أخرى، اشتملت على عقارات في بغداد والخالص والأعظمية.

(2) جريدة الزوراء، 12 شباط 1287 رومي. وذكر السيد محمد سعيد الراوي أن «في هذه المدرسة أنواع الكتب العلمية المخطوطة والمطبوعة محفوظة معتنى بها» خير الزاد ص154. والذي نراه أن هذه الكتب هي ما وقفه العلماء من آل الزهاوي، الذين تولوا التدريس في المدرسة لثلاثة أجيال، لا سيما مكتبة العلامة محمد سعيد الزهاوي، وقد نقلها الشيخ أمجد الزهاوي إلى مكتبة دار

وأصل الوقفية باللغة التركية، وقد نقلها إلى اللغة العربية المرحوم المحامي عباس العزاوي<sup>(1)</sup>.

### [مصادقة القاضي في أعلا الوقفية]

حكمت بصحة هذا الوقف ولزومه، بخصوصه وعمومه، عالماً بالخلاف بين الأئمة الأسلاف، السيد محمد هاشم، القاضي ببغداد المحروسة

### [نص الوقفية]

بسم الله الرحمن الرحيم

### [مقدمة الوقفية]

حمداً غير محدود، وثناء غير معدود، لواجب الوجود، ومُفيض الخير والجدود، الواهب لخاص عبادته زينة العقل الراسخ، وحلية الشرع الناسخ، فجعلهم مُزَيَّنِينَ بها ومُحَلِّين فيها، وكَحَلَّ عيون بصائرهم بكُحل الهداية جَلَّالَهَا، متى سلكوا مسالك رشاده، وجعل التوفيق رفيقهم، وهداهم لتمهيد أساس المعاش وتحقيقه، والورود العميم الورود، على روح صاحب المقام المحمود، ومصباح سرمد الوجود، ومفتاح خزانة السخاء والجدود، أعني المختار بين الأنبياء والرسل، وهادي السُّبُل، الرسول المجتبي محمد المصطفى عليه أفضل الصلوة وأكمل التحيات، المرجو شفاعته ولطفه وكرمه، والمأمول لأصحاب المعاصي والآثام، يوم يُؤخذ المجرمون بالنواصي والأقدام. والتحيات الوافرة، والتسليمات العميمة لأرواح آله وأصحابه الطيبين، وذريته وأحبابه الطاهرين، الذين كل منهم واقف على الحديث الشريف، المرء يستظل تحت ظل صدقة<sup>(2)</sup>، فيختار أن ينفق أمواله وأرزاقه، وينثرها في سبيل الله، فيرجحها على سائر الأفعال، عليهم رضوان الله الملك الأكبر.

---

التربية الإسلامية، حيث لبثت محط عناية القائمين على هذه الدار حتى اليوم، وقد قمنا بفهرستها هناك، ونشرنا الفهرس في مجلة المورد التراثية، بغداد 1977، وأعدنا نشره في كتابنا محمد سعيد الزهاوي، حياته ومخطوطاته، أربيل 2009. ومما يؤكد أن هذه الكتب لا علاقة لها بما وقفه الواقف سليمان باشا الإشارة إلى ضمها كتباً مطبوعة.

(1) تقع هذه الترجمة في 13 ورقة، وقد أهداها إلى جدي المحامي محمد رؤوف العطار، وكان صديقاً له.

(2) الحديث (وَأَنَّمَا يَسْتَظِلُّ الْمُؤْمِنُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِي ظِلِّ صَدَقَتِهِ) مسند عقبة بن عامر حديث 195.

وبعد، فلا يخفى على أرباب الألباب، وأصحاب الآراء، أن هذه الدنيا الغدارة، دار بوار لا تبقي ولا تدّر من بناء، وأن مقيمها مشرف على الإرتحال، ونعيمها مترقب الزوال، وهي مسكن للمصائب، ومغنى النوائب، فليست محل إقامة وسرور، ولا محل راحة الوجود، ظاهرها باهر مبین، ولباس الحياة عارية، والإنسان الكامل من أخلص العبادة لخالقه بمقتضى (وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ)<sup>(1)</sup> فلا يغفل، وفي حال العافية يتفكر برأي رشيد، وتدبير سديد، فيزرع بذور الخيرات في مزرعة الدنيا بمقتضى (الدنيا مزرعة الآخرة)، فيحترث بذور الحسنات، ويحصل الملكات القدسية، ويرى تكميل المعارف الأنسية، فيبذل جهده وطاقته في هذا الباب، ويتحلى بمحاسن الأفعال، ويتزكى بالأعمال الحسنة، ليكون في المحشر محشوراً بهيئة بهية، وفي دار النعيم مسروراً بنعيم مقيم.

وعلى ذلك، لاحظ بكمال المرتبة، صاحب الخيرات والحسنات، وطالب المبرات والصدقات، حلال مشكلات الخطوب، ودفاع معضلات الكروب، موفق خبايا الأمور، المدبر بعميق الشعور، مفتاح كنوز التوفيق، مريد الخير للبلاد والعباد، ذو الحمية على فقراء بغداد خاصة، الداعي لحدود الله، المانع رسوم الملاهي، الوالي ذو الشأن لبغداد والبصرة، الوزير المتيقظ الباهر النصرة، ولي النعم، عليّ الهمم، جزيل الأيادي، عميم الكرم، صاحب الدولة والعناية سليمان باشا، أعلى الله شأنه، وصانه مما شأنه، لا زالت أقطار العراق في الآفاق مشرقة بأتوار معدّته، ومناشير الأمن منشورة على صفحات الأيام بدولته، ما أحسن الله رب الأملاك، حلّت عظمته، وعلت قدرته، عليه من نعم جميلة، ومنّ جزيلة، لم يعفل الأمر الشريف (أحسن كما أحسن الله إليك) وراعى بإدراكه السريع، وقلبه السليم (ما عندكم ينفد وما عند الله باق)<sup>(2)</sup>، ومشى بمقتضى مضمون الحديث الشريف (إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث، علمٌ يُنتفع به، أو صدقة جارية، أو ولدٌ صالح يدعو له)، فرغب أن يسلك في سلك أرباب الحينات الجارية، وأصحاب الصدقات الباقية، فقد وكل وهو في حال نفاذ تصرفاته الشرعية، بالإقرار بالوقف الآتي البيان، الصادر من طرفه الباهر للشرف، بالوكالة الثابتة بالثبوت الشرعي، بشهادة قدوة العلماء الكرام، مفتي بغداد حالاً، ذي الفضيلة الحاج إسماعيل أفندي، ومفتي الشافعية حالاً ذي السماحة محمد أمين أفندي، وقدوة

(1) الذاريات 56.

(2) النحل 95.

السادة النجباء الكرام، نقيب الأشراف حالاً، ذي السيادة السيد الحاج عبد الرحمن أفندي، وخطيب الإمام الأعظم حالاً، والهامم الأكرم رحمه الله، ذي السيادة السيد طه أفندي، وسادن الإمام الأعظم حالاً عبد الله أفندي الراوي، ونائب الحلة حالاً الحاج محمد صالح أفندي. وعهد الوزير المشار إليه بالوكالة إلى خازنه، فخر الأماثل والأقران، عبد الله آغا ابن سليمان، وأن الواقف المشار إليه، نصب في مجلس الشرع الشريف الأنور، ومحفل الدين البين المطهر، لأجل التسجيل، وإجراء لوازم وتكميلها، دفتري بغداد حالاً، عمدة أصحاب التحرير والقلم، وزيدة أرباب التسطير والرقم، ذا النجابة السيد عبد الغفور أفندي، فأقر بمحضرة إقراراً صحيحاً شرعياً، واعترف اعترافاً صحيحاً مرعياً، قال:

### [وصف المدرسة]

إن موكلي الوزير المشار إليه قد وقف ما هو تحت تصرفه الآن العَرَصَة التي بناها وأنشأها مدرسة، وهي الكائنة بمدينة بغداد دار السلام، في محلة الشيخ نجيب الدين قدس سره المعين، المحدودة من جهة بالمسجد الشريف العزيز المشار إليه، ومن جهة بجامع النعمانية المنيف، ومن أخرى بالعريضة التي هي ملك موكلي<sup>(1)</sup>، وبالطريق العام، وتحتوي على حُجْرَتَيْن تحتانيتين في يسار بابها من جانب القبلة، وحُجْرَتَيْن فوقانيتين، وإيوان، وفي يمينها خزانة الكتب، وفي يسارها غرفة التدريس، وتحتها ثلاث حجرات، وسرداب كبير، وياتصالها حجرة، وفي شمالها إيوان كبير، وياتصاله حجرة صغيرة طولانية، وفوقها سلّم، وفي وسطه حجرة منيرة طولانية، وعن يمين الباب سلم وتحت حجرة للأباريقي، ومزملة حجرية، وفي الناحية الشمالية طاقان صغيران يقال لهما (نيمكار)<sup>(2)</sup>، وساحة تبلغ عشرين ذراعاً ونصف الذراع، وعشرين ذراعاً عرضاً، ذلك ما تشتمله المدرسة، فوقها الوزير المشار إليه خالصة لوجه الله رب العالمين، ومخلصة لمن لا يضيع أجر المحسنين، وحبسها حبساً صريحاً مرعياً.

(1) انتقلت ملكية هذه العريضة إلى حسين خيوكه، المعروف بحسين كهية، وحينما توفي باعها وصيه السيد أحمد أفندي خطيب الإمام الأعظم، إلى الحاجة نازدة خاتون، وشيد عليها والي بغداد عبد الرحمن باشا المدرسة الرشدية العسكرية سنة 1296هـ/1879م، وبعد الاحتلال البريطاني جعلت مدرسة للمعلمين، ثم معملاً عسكرياً بريطانياً، لكنه احترق، فأنشأت وزارة المعارف في أرضه المدرسة الإعدادية سنة 1340هـ/1927م، ولما تزل هذه الإعدادية عامرة حتى اليوم. العقد اللامع ص144.

(2) مصطلح فارسي من نيم بمعنى نصف، وكار بمعنى عمل.

## [العقارات الموقوفة]

ثم أخرج من سلك ملكه خان السراجين الواقع بقرب السراي في مدينة بغداد، بما يشتمل عليه من الحد الفوقاني والتحتاني، بحجره المعلومة وتوابعه ولواحقه، وكذا ما يتصل به في سوق السراجين من الدكاكين التي هي بصفين، في صف منها خمسة عشر دكاناً وقهوة، وياتصالها دكة ونصف دكان، المحدودات بالحدود الأربعة، أحدها دار مصطفى آغا طويق زاده، وثانيها دكاكين المزبور، ومن جهة أخرى العرضحالانية<sup>(1)</sup>، ومن جانب آخر الطريق العام، وتجاهاها في الصف الآخر ثمانية عشر دكاناً متصلة بدكة القهوة المذكورة، المحدودات من جهة بالسراي، ومن أخرى بدكان وقف الإمام عبد الله عليه الرحمة، ومن جهة ثالثة بباب السراي، وأخرى بالطريق العام. وأيضاً خان المدرسة<sup>(2)</sup> المعروف بهذا الاسم، وهو الخانان الواقعان ببغداد في رأس الجسر، المحدودان بسوق الخياطين<sup>(3)</sup> والخردة فروشية<sup>(4)</sup>، وبالكُمرك<sup>(5)</sup>، وبدجلة العظمى، وبسوق التحميس. وأيضاً خان التتن الذي باتصاله مع مخزنه الذي اتخذ قيصرية، وقرب باب الكُمرك<sup>(6)</sup>، المحدود من جهة بالخان المذكور، ومن أخرى قسماً بقهوة السيد أحمد الأورفه لي، ومن جهة بسوق وقف الشيخ شهاب الدين عليه الرحمة<sup>(7)</sup>، وبشارع السوق، وبدكان درويش قاسم، وبالقهوة التي هي وقف جامع الصاغة<sup>(8)</sup>، ومن جهة أخرى بالطريق العام، وهذه القيصرية المتخذة جعلت بها بابان أحدهما بقرب الكُمرك،

(1) مصطلح من العربية (عرض حال)، وهم كاتبو العرائض التي يرفعها الناس إلى السلطات، وهذه هي المرة الوحيدة التي يرد ذكر هذه المهنة في العصر العثماني، كونهم لهم مكان محدد في سوق قريب من السراي.

(2) هي المدرسة المستنصرية التي أنشأها الخليفة المستنصر بالله، وحينما أهمل أمر التدريس منها، تحول فناءها المتسع إلى خانين، هما اللذين وقفهما الواقف هنا.

(3) هو السوق الذي عرف بسوق البزازين.

(4) مصطلح فارسي بمعنى باعة الخردوات.

(5) شغل كُمرك بغداد في العصر العثماني جانباً من مبنى المدرسة المستنصرية.

(6) هو باب المدرسة المستنصرية نفسه.

(7) أنشأ هذا السوق والي بغداد حسين باشا السلاحدار سنة 1086هـ/ 1657م وجعله وقفاً على مشروع كبير لايصال مياه الشرب من شاطئ دجلة، عند شريعة الميدان، إلى السقاية التي أنشأها عند جامع الشيخ عمر السهروردي عند سور بغداد الشرقية.

(8) وقد سمي في وقت تال بجامع الخفافين، وما زال يعرف بهذا الاسم، وهو أقدم مسجد عامر في بغداد، وكان يعرف في العصر العباسي بمسجد حظائر الشوك، شيدته السيدة زمرد خاتون المتوفاة سنة 599هـ/ 1202م، زوجة الخليفة المستضيء بالله العباسي، وقد جدد مرات عديدة.

والأخرى برأس السوق الموقوف على ساقية الشيخ شهاب الدين عليه الرحمة، ويتصل بهذه القيصرية الدكان الذي نصفه محدود من جهة بدكان ملا أحمد، ومن أخرى بالقيصرية المذكورة، ومن جهتيه بالسوق السلطاني<sup>(1)</sup> والمنتهي به، والمتخذ داخله قهوة، وبابه من رأس السوق وقف لساقية الشيخ المشار إليه، وبباب القيصرية المذكورة وقد فتح عند اتصالها، ويقع تجاه حان جفال زاده<sup>(2)</sup>، والتي النصف الآخر الدكان على حاله، فصار دكاناً، وأضيف ذراع ونصف سلطاني من دكان ملا أحمد الواقع باتصاله إلى القيصرية، وكذا حديقة السيد أحمد آغا المحتوية على دارين، وأشجار مثمرة وغير مثمرة، ونخيل وفسيل، المحدودة من جهة بهور الفرق<sup>(3)</sup>، وبحديقة العيوانية<sup>(4)</sup>، وبدجلة العظمى، وبحديقة جامع العادلية الشریف<sup>(5)</sup>، وتقع خارج باب الإمام الأعظم<sup>(1)</sup> الذي

(1) لم تتوضح هوية هذا السوق، ولكن وردت الإشارة إليه في وقفية الحاج حسين أفندي بن عبد الله المؤرخة في 26 محرم 1098هـ/1686م.

(2) خان كبير أنشأه والي بغداد سنان يوسف باشا جفال زاده (998-999هـ/1586-1597م) (999-1001هـ/1093م)، في مطلع ولايته الثانية، وقد عرف باسم خان جفال، وخان جفان، وعرف أيضاً بخان الصاغة بسبب إشغال أهل هذه المهنة بعض دكاكينه، ثم كان أن اشتراه اليهودي مناحيم صالح دانيال وشركاؤه فنقصوه وشيدوا مكانه سوقين جديدين، عرفا بسوق دانيال، ولم يبق من الخان المذكور سوى لوحة من القاشاني المزجج بالأزرق كتبت عليه عبارة تفيد إنشائه سنة 999هـ. العقد اللامع ص331. وكان هذا الخان يعد من حدود السوق الذي أنشأه حسين باشا السلاحدار وفقاً على ساقية الشيخ عمر السهروردي.

(3) هور الفرق: هور كبير وردت إشارة إليه في وقفية ارسلان باشا بن علي الديوه جي المؤرخة في 3 رجب 1169هـ بوصفه الحد الذي ينتهي إليه البستان البرانية التي وقفت على مسجد الشيخ محمد الطيار، كما أشير إليه في وقفية بشير آغا معق والي بغداد الوزير أحمد باشا على جامع العادلية المؤرخة في 8 جمادى الأولى سنة 1175هـ حيث جاء فيها أنه «وقف مقاطعة الوقف القديمة الواقعة خارج باب الإمام الأعظم في الجهة الشمالية من قسبة الإمام المشار إليه بجوار نهر دجلة العظمى.. والمحدود شرقاً بالطريق العام المعروف باسم طريق ينيجه المكون الحد الفاصل بين هور عرق وأراضي الدواليب الأخرى». قلنا وقد لبثت بقية من قصب هذا الهور موجودة في ساحة المجمع العلمي العراقي حتى سنة 1970 حيث أزيلت عند الشروع بتشديد مبنى المجمع الحالي.

(4) بستان كبيرة أشير إليها في وقفية صادق بك بن سليمان باشا على ذريته في غرة جمادى الآخرة سنة 1233هـ. وهي تقابل بستان له، وتعرف أيضاً باسم العيوانية والعلوانية، وهي من محلات بغداد اليوم.

(5) كانت السيدة عادلة خاتون بنت والي بغداد الوزير أحمد باشا، وزوجة واليها سليمان باشا الأول الملقب بأبي ليلة، قد أنشأت جامعين في بغداد، أولهما جامع العادلية الصغير وكان يقع

هو أبواب حصن المدينة، وكذا النصف الآخر من الحديقة المتصلة بها، وهي حديقة العيوازية المحدودة بالحديقة المذكورة<sup>(2)</sup>، وبدجلة العظمى، وبالطريق العام، وبهور الغرق، وتحتوي أشجاراً مثمرة، وبئراً مطوية، وكذا الحديقة التي بقرب جامع القمرية<sup>(3)</sup>، ودار الحرم بجميع ما تشتمل عليه من توابع ولواحق المحدودة بالحدود الأربعة، وهي من بعض الجهات الطريق العام الوارد إلى دجلة العظمى من جهة جامع قمرية، ومن البعض الآخر قهوة حبيب بك بن عبد الله بك الشاوي، وبعضاً دار ملك الحاج داود، وبعضاً المنزل المملوك للحاج عبد الكريم بك، وبعضاً دار طعمة، والطريق العام المار من جهة خضر الياس، وينتهي بدجلة العظمى.

وكذا الخانان الكبير والصغير المتصل بعضهما ببعض، مع القهوة والبزارخانه والسوق الكائنات كلها في قصبة الحسين رضي الله عنه، من مضافات بغداد، المحدودات قبلة بحديقة السيد محمد غياث، ودار عباس التي أرضها تعود لآل دراج، وملك محمد صالح الكاتب، وأيضاً خرائب وقف آل دراج، وجبلاً بأمالك الكاتب محمد صالح، ومحمد ذنولي، ومريم بنت ابن عرب، وغرباً بملك السيد مرتضى النقيب، وبالطريق العام. وإن الخان الكبير فيها المشتمل على ساحة بعرض 40 ذراعاً من جهة الغرب، و35 ذراعاً قبلة وجبلاً، وفيه 33 حجرة فوقانية، و13 تحتانية، وفيه اصطبل مستدير من أطرافه الثلاثة، وفيه بئر ماء، وأما الخان الآخر الصغير فيحتوي على ساحة طولها من جهة القبلة والجبل 45 ذراعاً، وعرضها من جهة الشرق والغرب

---

في أرض مرآب الرصافي، مقابل مبنى المتحف البغدادي، وجامع العادلية الكبير، ويقع في رأس القرية على شارع النهر (المستنصر) مقابل مبنى المحكمة الشرعية القديمة (أزيلت سنة 2012)، وبينما ظل الجامع الأخير ماثلاً حتى اليوم، أزيل الجامع الأول بسبب توسعة شارع المأمون المؤدي إلى الجسر، فسعى متولوا وقفيتها إلى إنشاء جامع حديث باسم جامع عادلة خاتون في الطرف العلوي للأرض الواسعة التي وقفها على جامع العادلية الصغير النازل، والمعروفة باسم أرض أو بستان الصرافية.

(1) وقد عرف فيما بعد بباب المعظم وهو الباب الشمالي لبغداد وكان يعرف، منذ تشييده في أواخر العصر العباسي ولمدة بعده، بباب السلطان بسبب مقابلته دار السلطنة السلجوقية وموقعها في أسفل محلة العلوازية الخالية، هدم هذا الباب سنة 1923م.

(2) يريد بستان الصرافية التي كانت موقوفة على جامع العادلية الكبير، وفي طرفها الأعلى شيد جامع عادلة خاتون الحديث.

(3) هذه الحديقة هي يقوم على أرضها اليوم مستشفى الولادة في الكرخ في الجانب الغربي من بغداد.

33 ذراعاً، وفيه 25 غرفة فوقانية، و8 تحتانية، ومن ثلاثة أطرافه آخور<sup>(1)</sup> مستدير مع بئر ماء، وأما البزارخانه فإنها تحوي غرفتين فوقانيتين، ومخزناً تحتانياً، وساحة مع بئر، وكذا بين الخان الكبير والبزارة مخزن بطول 19 ذراعاً، ويعرض 6 أذرع. وأما السوق فهو بطول 21 ذراعاً، ويعرض 14 ذراعاً، وداخله قهوة ملاصقة للخان، ويشتمل على 7 دكاكين. وكذا العقارات الكائنة بمقابل المحال المذكورة، المحدودة بملك الدده، والحاج علي، وبمطبخ تكية البكتاشية<sup>(2)</sup>، وبتكية البكتاشية المذكورة، وبملك السيد دخيل، وبالطريق العام. والبزارة الأخرى داخلها مخزن وحوش، ونصف بئر ماء المشترك مع السيد دخيل، وثلاثة دكاكين وقهوة.

### [وقف الكتب]

وأيضاً الكتب التي داخل المكتبة تحت تملك مؤكلي الوزير المشار إليه، المبين أوصافها وأسمائها ورسومها وحجومها وقطع جلودها ومخطوطاتها وتعريفها بموجب المرفق المبين في ذيل الكتاب، وهي: جلدان من القرآن العظيم، مجلدان ومجدولان و11 جلدأ في علم القراءة والتجويد و41 جلدأ في التفسير الشريف و43 مجلدأ في الأحاديث الشريفة و3 مجلدات في لغة الأحاديث الشريفة و6 مجلدات في أصول الأحاديث الشريفة و25 جلدأ في المتون الفقهية الشريفة و46 جلدأ في شروح الفقه الشريفة. و7 مجلدات في علم الفرائض و11 جلدأ في أصول الفقه الشريف و18 جلدأ في الفقه الحنبلي و24 جلدأ في التصوف و7 مجلدات في فقه الشافعي. و1 جلد في فقه الحنبلي. و26 مجلدأ في علم الكلام والعقائد وأصول الدين. و10 مجلدات في اللغات. و20 مجلدأ في التاريخ. و9 مجلدات في الأدب. و15 جلدأ في علم الصرف. و46 جلدأ في النحو. و5 مجلدات في علم الوضع والإستعارة وآداب الحديث. و21 جلدأ في علم المعاني والبيان والبديع. و21 جلدأ في الحكمة والمنطق. و17 جلدأ في الحكمة الطبيعية. و57 في الحكمة الرياضية والحساب والأسطرلاب والهيئة والهندسة. و5 مجلدات في علم الطب. فيكون من حيث المجموع 445 مجلدأ من الكتب.

(1) الآخور: تركية بمعنى اصطبل.

(2) تكية كانت تقع عند باب القبة على يمين الداخل الى الصحن الحسيني وعرفت ايضاً بتكية الدده نسبة للقب مؤسسها ودفينها، عبد المؤمن دده، ومن أهم من دفن فيها الشاعر التركي الكبير فضولي.

## [رواتب موظفي المدرسة]

والحاصل أن المدرسة المذكورة، والعقارات المحدودة المرقومة، والكتب المرسومة، كل هذه أطرحها الوزير المشار إليه من ملكيته، ووقفها حسبة لله تعالى، وفقاً صحيحاً مؤيداً، وحبسها حبساً صريحاً مخلداً، وشرط وحين ذلك بأن العقارات المرسومة تؤجر بأجر مثلها، فيؤخذ من غلتها

للمدرس يومياً 125 آقجة<sup>(1)</sup>.

ولحافظ الكتب 45 آقجة.

وللفراش 15 آقجة.

وللبواب 15 آقجة.

وللأباريقي 10 آقجة.

و40 آقجة للشمع والزيت، وللشراب والأقداح والأباريق تصرف بنظارة المدرس.

ولسيد الشهداء... 30 غرشاً رومياً<sup>(2)</sup>.

وبمرور الأيام إذا احتاجت المدرسة المرسومة تعميراً، فإنه تُعمر من فضلة غلات الوقف ما يلزم للتعمير والترميم، وبقية غلات الوقف تقسم بين أولاد حضرة الوزير المشار إليه، وأولاد أولاده طبقة بعد طبقة، ونسلاً بعد نسل، للذكر مثل حظ الأنثيين، وبعد الإنقراض - حاشا ثم حاشا! - تُصرف غلة الوقف المرسوم على فقراء المدينة المنورة، على ساكنها أفضل الصلاة وأشرف التسليمات، وأن يكون الواقف المشار إليه متصرفاً مستقلاً، وبمقابل التولية يأخذ مائتي آقجة وما دام مكتسباً بكسوة الحياة أبقاه الله إلى مديد الزمان، تبقى التولية بيده، ويتولاها بنفسه مدة بقائه في هذه الدار الفانية، وله حق أن يرى عامة أمور الوقف المزبور، فيتعهد مصالحه المذكورة، ويعزل

---

(1) آقجة نقد عثماني يعزى ضربه إلى السلطان أورخان سنة 729هـ/1335م، ومعنى آقجة (المبيضة) أي البيضاء لغلبة الفضة على معدنها، ثم انخفضت قيمتها بانخفاض نسبة الفضة في عيارها، في عهد الواقف، إلى دون النصف. ينظر كتابنا، الموصل في العهد العثماني، النجف 1975، ص524.

(2) الغرش الرومي، ويسمى أيضاً القرش الشامي، ضرب من الفروش، مرتفع القيمة، كان يساوي في عهد الواقف قرشاً (عين) ثم انخفضت قيمته في عهد داود باشا حتى بلغ ثلاث فروش عين، واستمر بالانخفاض بعد ذلك. ينظر الموصل في العهد العثماني، ص555-560.

وينيب أرباب الوظائف، وأن يزيد في المصارف، ويبدل ويغير ويستبدل، ويحول ويكثر سائر الأمور منفرداً ومستقلاً ما دام لا بساً ثوب الحياة، فيقوم بالتولية المشار إليه، وبعد أن يفارق حياته، ويجيب داعي لقائه بربه، يتولى أرشد أولاده التولية، وأن يأخذ من غلة الوقف مائتي آقجة على ما هو مشروط.

### [شروط المكتبة]

والكتب الموصوفة، والمرسومة، والمعدودة، توضع في المدرسة، وبالأخص في المكتبة، وتكون بيد حافظ الكتب، يتصرف بها مستقلاً، فيحفظها ويحرسها، ويهتم بذلك، ولا يسوغ له أن يخرجها من المدرسة البتة، وإذا احتاج المدرس، أو الطلاب، أن يطالعوا في المدرسة فلهم ذلك. وبعد إتمام مهمتهم يعيدونها إلى محلها، ويضعونها بمكانها، وأن تُضمّن الكتب التي تُقصد من حافظ الكتب.

### [المصادقة على الوقفية]

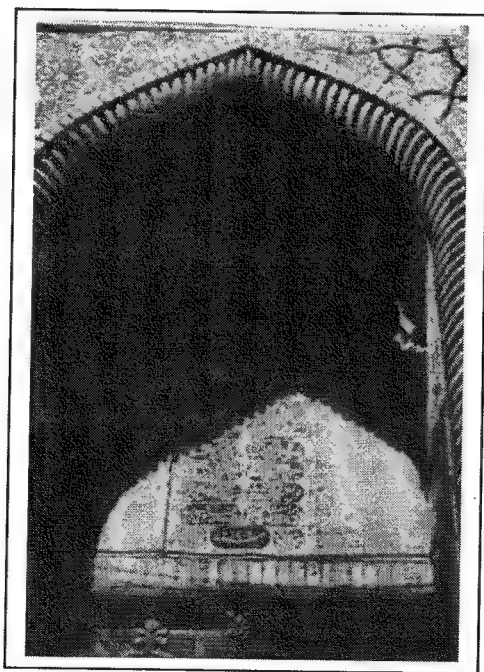
وبعد أن بين هذه القيود والشروط، سلّم المدرسة المذكورة، والعقارات المحدودة المرقومة، والكتب الأنفة الذكر، إلى المتولي الموما إليه السيد عبد الغفور أفندي، فتسلمها وقبضها، وعند التصديق الشرعي، وتحققه شفاهاً، وتأيد المتولي الموما إليه ذلك، فإن وكيل الواقف المشار إليه عبدالله آغا، أعاد الكلام، مبيناً أن موكلي الواقف الوزير المشار إليه أسبغ - الله نعمه عليه - رأى إن وقف العقار والمنقولات لا يلزم، وأن القضية خلافية، فتصدى للنزاع - وهو عارف به، كما هو قول الإمام الأعظم والهمام الأكرم، النعمان بن ثابت الكوفي، جُوزي خير الجزاء، وهو من المجتهدين الذين أسسوا أركان الإجتهد، واستنبط الأحكام على بنیان قويم، من أن الوقف صحيح وغير لازم، وأما الإمام الثالث محمد بن الحسن الشيباني، فإنه يرى وقف المنفعة على نفسه ما يجعل الوقف غير صحيح، فدعا أن يرجع موكلي عن الوقف فرجع، ومن ثم أدخل المدرسة المذكورة والعقارات والكتب المذكورات إلى ملكيته، وطلب استردادها، وقال ذلك وتوجه نحو المتولي، وأدى إلى المحاجة والمشادة، فعارضه المتولي مُتّبِعاً آداب البحث، والأسلوب الحكيم الموعول عليه، فوجه خطابه إليه، وامتنع من قبول ما أبداه، وبين له أن قول الإمام الأول أبي حنيفة ما ذكر بالوجه المبسوط، ولكن الإمام الثاني أبا يوسف فإنه يرى صحة الوقف بمجرد القول بوقف فيكون معتبراً، والإمام الثالث محمد بن الحسن الشيباني يرى لزوم الوقف بالتسليم إلى المتولي يصبح صحيحاً لازماً، وعلى رأي الإمامين الهمامين لا يصح الرجوع عن الوقف، ولا يسوغ شرعاً رجوع الوزير

المشار إليه، مما أدى إلى النزاع بينهما، فترافعا وطلبا من حاكم الشرع الموقع في صدر الكتاب، طوبى له وحسن مآب، أن يفصل النزاع ويحسمه، إن حاكم الشرع المشار إليه رأى أن تمهيد قواعد الخير أولى، وتشديد مباني الوقف أخرى، عالماً بالخلاف، ومُراعياً لما يجب رعايته في الحكم بالأوقاف، فحكم أولاً بصحة الوقف، وثانياً حكم حكماً شرعياً، وقضى قضاء صريحاً مرعياً بلزومه، وأن يكون حبساً صريحاً محتماً، فمن بدله بعدما سمعه، فإثمه على الذين يبدلونه، إن الله سميع عليم، وأجر الواقف على الحي الجواد الكريم، تحريراً في اليوم الثاني من شهر شوال المكرم سنة ست ومائتين وألف هجرية.

الشهود:

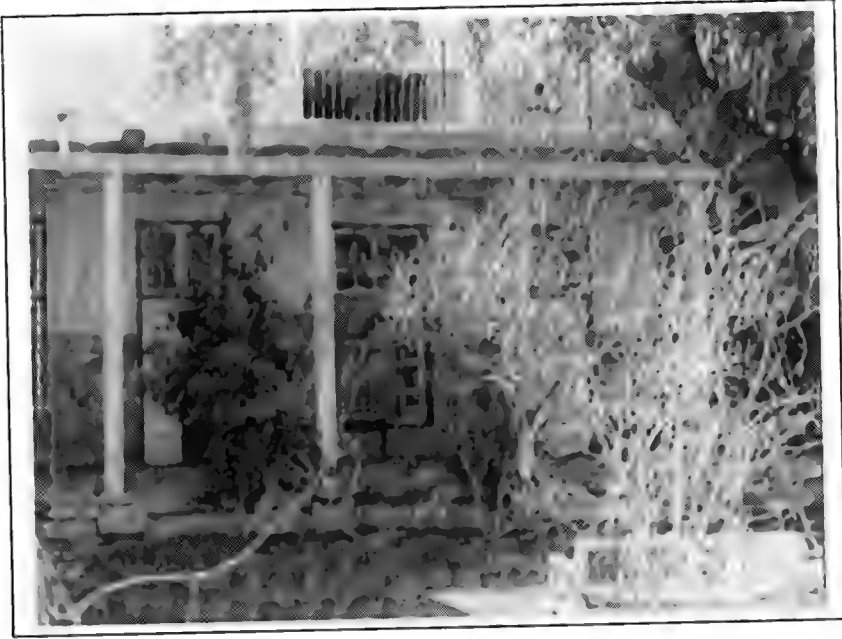
- 1- نقيب الأشراف حالاً صاحب السيادة السيد الحاج عبد الرحمن أفندي بن المرحوم السيد فيض الله أفندي
- 2- مفتي الشافعية حالاً صاحب السماحة محمد أمين أفندي بن المرحوم عبد السلام أفندي
- 3- مفتي الحنفية حالاً صاحب الفضيلة الحاج إسماعيل أفندي بن المرحوم الحاج محمد أفندي
- 4- نائب الحلة حالاً صاحب الفضيلة الحاج محمد صالح أفندي بن المرحوم عبد اللطيف أفندي
- 5- سادن الإمام الأعظم حالاً صاحب الفضيلة عبد الله أفندي بن الحاج محمد أفندي الراوي
- 6- خطيب الإمام الأعظم صاحب السيادة السيد طه أفندي
- 7- محمد أمين أفندي ابن محمود أفندي مفتي الشافعية
- 8- السيد سلمان أفندي بن المرحوم السيد عبد الله أفندي
- 9- صاحب الفضيلة محمد أسعد أفندي بن عبد الله أفندي آل صبغة الله أفندي
- 10- صاحب النجابة أحمد بك بن صالح بك
- 11- حسن بك بن صالح بك

- 12- صاحب النجاة الحاج صالح آغا بن عبيد الله آغا آل عبد الجليل
- 13- الحاج أبو بكر بن رمضان الموصللي
- 14- ملا عبد الرزاق بن محمد أفندي
- 15- السيد أبو بكر ابن السيد إسماعيل أفندي القادري
- 16- الحاج عبد الله الأعظمي بن حسين
- 17- السيد أيوب بن السيد أمين الأدهمي
- 18- حموش آغا بن الحاج يوسف
- 19- السيد أحمد بن السيد حسين الموصللي
- 20- إبراهيم آغا المحضر باشي بن عبد الله آغا
- 21- ملا عبد الرحمن بن ملا مصطفى
- 22- إسماعيل النائب ببغداد

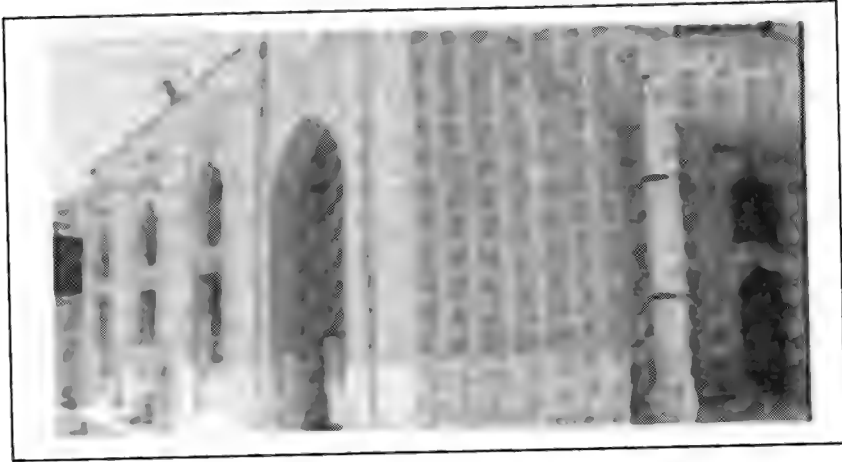


الكتابة التذكارية على بوابة المدرسة السليمانية المنشرة

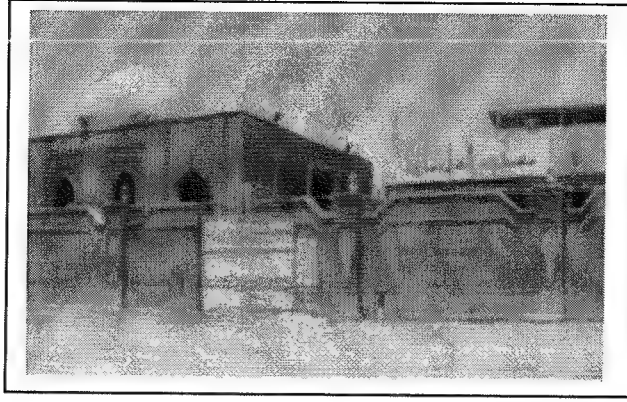
بعدها كاتب البحث 1989



بعدسة كاتب البحث 1989



مسجد السليمانية الحديث (حيث كانت تقع المدرسة السليمانية)  
بعدسة السيد زين النقشبندي



مسجد السليمانية الحديث

## وقفية داود باشا نص وتحقيق

ولد داود باشا في مدينة تفليس عاصمة جيورجيا سنة 1188هـ/1774م، وقيل سنة 1190هـ/1776م، وسرقه النخاسون من أهله ولم يتجاوز الثانية عشرة من عمره، وجيء به إلى بغداد، حيث اشتراه مصطفى بك الربيعي أحد وجهاء بغداد عهدذاك. ثم وهبه هذا إلى خزنदार بغداد سليمان بك، حيث شرع داود بتلقي العلم على كبار علماء المدينة حتى نال الإجازة العلمية من أكثرهم، كما نبغ في الأدب، ونظم الشعر البليغ بالعربية<sup>(1)</sup> والتركية. يقول إبراهيم فصيح الحيدري «وقد درّس هذا المشير قبل وزارته وفي أثنائها العلوم النقلية والعقلية ثلاثين سنة، وأخذ عنه عدة أعلام». ولما صار سليمان بك (باشا) والياً 1193-1217هـ/1779-1802م عين داود في منصب (الدفتردار) وهو المسؤول عن سجلات الولاية ووارداتها من الضرائب الزراعية خاصة، فلبث فيه إلى نهاية ولاية سعيد باشا بن سليمان باشا (1228-1231هـ/1813-1815م)، ولما بلغه سعي هذا الوالي إلى عزله، سارع هو بالخروج من بغداد ثائراً، حيث التمس العون من أمراء البابانيين في شهرزور، وكتب إلى الدولة يُعلمها بضعف سعيد وسياسته الطائشة، ملتمساً توجيه الحكم إليه، فنجح في إقناع الدولة بوجاهة مطلبه، وحصل بالفعل على فرمان يقضي بعزل سعيد باشا ويتعيينه هو والياً على بغداد وتوابعها، ودخل بغداد والياً في 2 محرم 1232هـ/21 كانون الأول 1811م، وقد تميز عهده باهتمام واسع بالحركة العلمية والأدبية، تجلّى بظهور عدد كبير من العلماء والأدباء والشعراء، وبنشاط حركة التأليف في معظم علوم العصر، وكانت هذه الحركة تحظى بتشجيع داود باشا نفسه.

ومما تميّز به أيضاً عنايته بالحركة العمرانية، فكان أن جدّد، ووسع، معظم مساجد بغداد، وألحق ببعضها المدارس وخزائن الكتب، كما أنشأ عدداً من المنشآت العامة ذات النفع العام، ووقف عليها العقارات العديدة لينفق من ريعها على تلك المنشآت<sup>(2)</sup>. وتُعد

(1) تنظر نماذج عديدة من شعره بالتركية في عبد القادر الشهرباني: تذكرة الشعراء، بتحقيقنا، بغداد 2002، ص 39-56.

(2) ألف في سيرته كتابان مستقلان، هما (مطالع السعود بطيب أخبار الوالي داود) لعثمان بن سند البصري الوائلي، و(دوحة الوزراء في سيرة الوزراء) لرسول حاوي الكركوكلي، وترجم له ولعاصريه من الأدباء عبد القادر الشهرباني: تذكرة الشعراء، وقد تقدم، وتناثرت أخباره في

وثائق الوقفيات الخاصة به خصوصاً بالغة الأهمية ليس في تاريخ ما أنشأه أو جده منها، وإنما في الكشف عن تفاصيل ثروته من العقارات المتنوعة المتمثلة بما سجلته تلك الوثائق.

وعلى الرغم من أن أعمال داود العمرانية شملت معظم مساجد بغداد القائمة في عهده، إلا أنه تبقى إعادة بنائه لجامع الحيدرخانه أكبر أعماله العمرانية وأهمها على الإطلاق.

يرقى أصل هذا الجامع الى عهد الخليفة الناصر لدين الله العباسي، وكان يتوسط بحسب خطط ذلك العهد محلة واسعة وكثيفة السكن من محلات بغداد هي محلة سوق الثلاثاء وكان هذا السوق يمتد من سوق السلطان، حيث برز سوق الميدان في القرون التالية، حتى يصل الى باب دار الخلافة العباسية، وهو باب النوبي، الواقع قرب جامع مرجان العالي، وقد عُرف في عهد تأسيسه بمسجد درب الخبازين لوقوعه في مدخل درب كبير اشتهر بكثرة الخبازين فيه، ثم عرف الدرب في العهد العثماني بمحلة العاقولية نسبة الى جامع وقفه ودفن فيه العلامة جمال الدين عبدالله العاقولي المتوفى سنة 728هـ/1328م. ومن الواضح أن خراباً عم هذا المسجد حتى صار أرضاً خالية، فطمع بالاستيلاء عليها بعضهم، فما كان من أحدهم ويدعى (حسن) إلا أن أسس فيها مسجداً جديداً، سنة 1207هـ/1792م أطلق عليه اسم محله فعرف بمسجد الحيدرخانة<sup>(1)</sup>

التفت داود باشا الى هذا المسجد، فأنشأ فيه مدرسة، ووقف عليه عقارات كثيرة في وقفيات عدة مؤرخات بتواريخ مختلفة.

---

كتب المعاصرين، في مقدمتهم محمد الامين السهروردي في (نزهة الادباء)، بتحقيقنا، ص62- 97 وسليمان فائق: مرآة الزراء في سيرة الوزراء، وألف في سيرته من المحدثين الدكتور عبد العزيز سليمان نوار كتاباً بعنوان (داود باشا والي بغداد) القاهرة 1968، والدكتور يوسف عز الدين رسالة بعنوان (داود باشا ونهاية عهد المماليك)، بغداد 1967.

(1) ينظر محمود شكري الألوسي: مساجد بغداد وآثارها، تهذيب محمد بهجت الآتري، بغداد 1924، والألوسي نفسه: مقتطفات جمعها أنستاس الكرمل في كتابه (اللمع التاريخية) حققه طارق الحمداني وحكمت رحمان، بغداد 2015، ص98- 105 وعبد الحميد عبادة: العقد اللامع بآثار بغداد والمساجد والجوامع، بتحقيقنا، ص242 ومحمد سعيد الراوي: خير الزاد في تاريخ مساجد وجوامع بغداد، بتحقيقنا، ص242 وإبراهيم الدروبي: البغداديون، بغداد 1958 ص304 وكتابنا معالم بغداد في القرون المتأخرة، ط2، بغداد 2016 ص178-182.

ففي وقفه المؤرخة في غرة محرم 1234 هـ/30 تشرين الأول 1818م نقرأ أنه «أما بعد فإن الوالي على أمور ولاية بغداد والبصرة وشهرزور الحالي الوزير المكرم.. داود باشا.. وكل عنه.. المسجل الشرعي محسن أفندي بن صالح أفندي.. وأقام بمواجهة المتولي المسجل الشرعي عن الوزير المشار إليه.. نجيب آغا بن عبد الله.. قائلًا: إن موكلي قد وقف الأملاك التالية المنسلكة في سلك ملكه، وهي: الدار المشتملة على غرفتين وإيوان وبستان أشجار نخيل، المحدودة من جهة بالأرض البسيطة الداخلة في بستان يوسف بك- أطلال الله عمره- ومن جهة بطريق الإمام الأعظم، ومن جهة بدريونة بستان القصر.

وكذلك المقهى والدكان الملاصقان مع الدار المذكورة، قرب الإمام الأعظم رضي الله عنه، وعلى الطريق. وأخرجها من ملكه - حسبة لله تعالى- ووقفها على السبيلخانة التي أنشأها ملاصقة للعقارات المذكورة، وقفاً مؤبداً وحسباً مخلداً. وإنه اشترط أن تؤجر المقهى والدكان المذكوران إلى ساقى السبيلخانة المذكورة أبداً، وأن يواظب على سقي عباد الله، وأن تكون فضلة غلة الوقف، بعد التعمير والترميم مع المتولية عليه إلى مدبرته فخر المخدرات أمة الله خاتون، ومن بعدها تصرف الفضلة المذكورة لصالح المدرسة التي أنشأها ووقفها الواقف الوزير المشار إليه في سوق الحيدرخانة، وتكون التولية على الوقف إلى متولي المدرسة المذكورة...».



جامع الحيدرخانة

وقد نقض ما حوله من أسواق بسبب فتح الشارع العام سنة 1916 (صورة قديمة)

وفي وقفيته المؤرخة في 4 صفر من السنة نفسها /29 تشرين الثاني 1818م نقرأ أنه وقف عقارات متنوعة فضلاً عن مواد منقولة، وكتب، هي «.. الدكاكين الأربعة الواقعة في سوق الحيدرخانة، من أسواق بغداد، المحدودة من جهة بملك الملا أحمد، ومن جهة بملك أمين آغا الجادرجي، ومن جهة بملك الحاج حسين، ومن جهة بشارع السوق، والملاصقة والمتصلة بعضها ببعض. وكذا المحل الملاصق لتلك الدكاكين والخانات الموجودة فيه، وهي: جدر<sup>(1)</sup> كبير من النحاس، وسطل كبير، وجدر زند لعمل الحلاوة، وجدر زند آخر، وجدر بابير، وجدر أبو كردان، ورحاتي واحد، وأربعة زناجير، وبشت، وجدة مع زنجير، وميزان كبير، وتسعة حباب، وخوان كبير، ومسحاة واحدة، وتكة واحدة، وبكرة، وشب جدعة، ومعال واحد، وكبنك.

وكذلك المقهى الواقع في سوق الحيدرخانة، والمحدود من جهة بملك أيتام عساف، ومن جهتين بملك أمين آغا فندق زاده، ومن جهة بشارع السوق، وكذلك الدكان الواقع في سوق الحيدرخانة، المحدود من جهة بدكان وقف مدرسة ولي النعم، ومن جهة بملك قره محمد، ومن جهتين بالطريق العام.

وكذلك الدكان الواقع في سوق دنكجيلر<sup>(2)</sup>، والمحدود من جهة بملك فيض الله بن عبدالله آغا، ومن جهة بملك الحاج محمد، ومن جهة بملك عمر بن عبدالله، ومن جهة بشارع السوق.

وكذلك الدكاكين الثلاثة الملاصقة، والمتصلة بعضها ببعض، الواقعة في سوق الزنجير، والمحدودة من جهة بشارع السوق.

وكذلك الكتب المعتبرة من الفقه ستة عشر مجلداً، والحديث الشريف عشر مجلدات، ومن المعاني والكلام ثلاثة مجلدات.

وان.. الوزير المشار إليه قد أخرج هذه الأملاك من ملكه حشبة لله تعالى، ووقفها على المدرسة الشريفة التي وفق إلى إنشائها وبنائها في سوق الحيدرخانة..»

وفي وقفيته المؤرخة في 15 شوال 1234هـ /16 آب 1819م «وقف ما هو تحت تصرفه التام، ومنسلك في ملكه، وهو الحصة البالغة تسعة أسهم من مجموع إثنا عشر

(1) عامية، يريد: القدر

(2) تقدم التعريف بأكثر هذه المواضع في دراستنا عن وقفية سليمان باشا الكبير، كما سيرد التعريف بها في تعليقنا على الوقفية الجامعة لداود موضوعة الدراسة

سهماً من البستان المعروفة بإسم بستان الفصر الواقع في قصبة الأعظمية، والمحدود من جهة بدجلة العظمى، ومن جهة ببستان سليمان بك آل فخري، ويساقية الشيخ شهاب الدين - قدس سره المتين- الموقوفة على بستان الوقف، ومن جهة ببستان الملا رجب، ومن جهة بالطريق العام.

وكذلك البئر الواقع في دولاب بستان القصر، والمشارك مع الملا رجب وإسماعيل.

وكذلك خمسة أسهم وربع السهم من أصل تسعة أسهم من الجماعة. وكذا تمام قطعة الأرض المحتوية على دولاب نبعية وشجرتي نخل، الواقعة في القصبة المذكورة، والمحدودة من جهتين بأملاك ولي النعم، والملا رجب بن سليمان، ومن جهة بملك مصطفى بن أحمد، ومن جهة بطريق العام. وقد تفضل موكلي فحدد شروط وقيود الوقف، فاشتراط أن يؤجر الوقف المذكور من قبل المتولي سنة فسنة، وأن يُصرف من الغلة المتحصلة للتعميرات المقتضية في الوقف، وتعطى فضلة الغلة إلى أم ولد موكلي فخر المخدرات .. ماه جين خاتون بنت عبدالله، ومن بعدها إلى أولاد مآه جين خاتون.. وبعد انقراض الجميع.. يرجع الوقف المذكور ويلحق ويضم إلى أوقاف المدرسة الشريفة التي وفق الوزير.. إلى إنشائها وبنائها..».

وفي وقفه المؤرخة في 10 جمادى الآخرة من السنة 1234هـ/نيسان 1819م نقرأ أن «الوكيل نجم آغا بن عبدالله.. أقر .. قائلاً: إن موكلي الوزير المشار إليه قد وقف.. المقهى المعروف بإسم مقهى عباس أفندي الواقع في محلة عباس أفندي، من محلات مدينة بغداد، المحدود من جهتين لملك الملا حسين، ومن جهتين بالطريق العام.

وكذلك طاقم الحاجات الموجودة في المقهى المذكورة، وهي: ستة تخوت، وخمسة حصران جديدة، وأخرى قديمة مستعملة، وخمسة .. وأربع سجاجيد وإحرام واحد، وكركم كبير، وثلاثة أباريق وطاسة كبيرة، وصينيتان، ومقطع.

وكذلك دكان البقال الواقع في المحلة المذكورة المحدود من جهتين بملك الملا حسن كراوي، ومن جهة بملك المي حسن توتونجي، ومن جهة بالمقهى المذكورة، وكذلك دكان القصاب، ودكان الحلاق الملاصقين لدكان البقال المذكور، وكذلك طاقم الحاجات الموجودة في دكان البقال، وهي: خوان و.. وأن موكلي الوزير المشار إليه قد أخرج هذه الأملاك من ملكه ووقفها - حسبة لله تعالى- على مدبرته فخر المخدرات أمة الله خاتون، واشتراط التولية إليها بيدها ما دامت حية. ومن بعدها يعود هذا الوقف

ويلحق ويضم بوقف المدرسة الشريفة التي وفق الوزير الواقف المشار إليه إلى إنشائها وبنائها في سوق الحيدرخانة..».

وفي الوقفية المؤرخة في 2 ربيع الأول سنة 1235هـ/ 18 كانون الأول 1819م أنه «وقف الأملاك المنسلكة في سلك ملكه، وهي الدكان الواقع في سوق جبوقجيلر من أسواق مدينة بغداد، والمحدود من جهة بدكان جامع الوزير، ومن جهة بوقف بملك فاطمة خان، ومن جهة بدار خجة، ومن جهة بشارع السوق. وكذلك الدكان الواقع في خان الكمر، المحدود من جهة بخان المدرسة الآتية الذكر، ومن جهتين بملك اليهودي المسمى الخواجة عبدالله، ومن جهة بشارع السوق، وكذلك الدكان الواقع في سوق القزازين، والمحدود من جهة بدكان القزاز الشيخ مهدي، ومن جهة بملك محمد أمين آغا الأعرج، ومن جهة لخان الدوكمة، ومن جهة بشارع السوق. وكذلك الدكان الواقع في سوق قطني، المحدود من جهة بملك الحاج مرزبان، ومن جهة بملك الحاج محمد جلال، ومن جهة بخان الإبريسم، ومن جهة بشارع السوق. وكذلك الدكان الواقع في سوق خان بكر المحدود من جهة بدكان وقف الرسول الأكرم والجناب المحترم صلى الله عليه وسلم، ومن جهة بدكان عبدالله بن الحاج علي بن قره، ومن جهتين بشارع السوق.

وكذلك الدكان الواقع في سوق بكر المذكور، المحدود من جهة بدكان وقف حضرة قطب العارفين الشيخ عبدالقادر الكيلاني - قدس سره العزيز-، ومن جهة بجامع المرجانية، ومن جهة بدكاكين الحاجة فاطمة والحاجة زينب بنتي الحاج إبراهيم، ومن جهة بشارع السوق. وكذلك الدكان الواقع في سوق العطارين، المحدود من جهة بدكان سيد عيسى، ومن جهة بدكان إسحاق، ومن جهة بخان اليهود، ومن جهة بشارع السوق.. ووقفها وقفاً مؤبداً وحبساً مخلداً، واشترط أن تؤجر دكاكين الوقف المذكور من قبل المتولي سنة فسنة، وأن يصرف من الغلة المتحصلة للتعميرات المقتضية في الوقف المذكور.. واشترط الفضلة الباقية من الغلة إلى نجله المحترم النقيب يوسف بك- أطال الله عمره- وبعد انقراض الجميع والعياذ بالله فيرجع الوقف ويلحق ويضم إلى أوقاف المدرسة الشريفة التي وفق الموكل.. إلى بنائها وإنشائها في سوق الحيدرخانة..».

وفضلاً عما تقدم، فإنه وقف في 4 رجب الفرد سنة 1234هـ/ 28 نيسان 1819م عقارات أخرى هي «النصف الشائع من قطعة البستان المنخرطة في سلك ملك موكلي عن طريق الشراء الشرعي من أحمد آغا بن عبدالله الأندروني بموجب حجة شرعية، والواقعة في قرية خشخشية الواقعة بناحية الحلة، من مضافات مدينة بغداد،

والمحدودة من جهة لبستان الإمام محمد عليه الرحمة، ومن جهة ببستان عمران بن حسن، ومن جهة ببستان ميتافيش، ومن جهة بالفرات العظمى، وكذلك وقف الربع الشائع في قطعة البستان الواقعة في القرية المذكورة، والمحدودة من جهة بالفرات العظمى، مع جميع شروب ودروب وسواقي ومساقى وعامر وغامر القطعتين.. وقد اشترط أن يُؤجر الوقف المذكور إلى الغير سنة فسنة من قبل المتولي بما يعادل أجر مثله، وأن يصرف الثلثان من الغلة المتحصلة إلى فقراء مدينة بغداد، ويهدى ثوابه إلى الروح الطاهرة للشيخ شهاب الدين قدس سره المبين، ويصرف الثلث الآخر من الغلة إلى عزيز آغا بن عبدالله، ومن بعده يكون الثلث مشروطاً إلى أولاد عزيز آغا وأولاد أولاده.. وبعد انقراض الجميع والعياذ بالله من ذلك، يرجع ثلث الغلة المذكورة ويلحق بوقف المدرسة الشريفة التي وقف موكلي.. إلى بنائها وإنشائها في الحيدرخانة».

وفي الوقفية المؤرخة في 3 رمضان سنة 1235هـ/ 13 حزيران 1820م «وقف الأملاك المنسلكة والمنخرطة في سلك ملكه لحين صدور الوقف منه، وهي: الحديقة المسماة حديقة جديد الواقعة في قرية إمام جيزاني من قرى الخالص، والمحدودة من جهة ببستان الجديد، ومن جهة ببستان التُّكي، ومن جهة بقرية جيزاني، ومن جهة بساقية قصب، ومن جهة بالطريق العام، مع جملة توابعها ولواحقها وأخرجها من سلك ملكه.. وقفاً مؤبداً وحسباً مخلداً.. وأن الموكل الوزير.. قد اشترط ضم والحق ورجوع هذا الوقف إلى أوقاف المدرسة التي وفق إلى بنائها وإنشائها في سوق الحيدرخانة».

وفي وقفيته المؤرخة في 18 ذي الحجة سنة 1235هـ/ 25 أيلول 1820م أضاف إلى وقفياته السابقة «الدكان والمخزن المتلاصقين الواقعين باتصال خان التمر، والمحدودين من جهة بالخان المذكور، ومن جهة بباب الخان، ومن جهة بدكان حسين آغا، ومن جهة بشارع السوق. وكذلك الدكان الواقع في سوق الأطرجية المحدود من جهة بملك محمد آغا بن حسين خورماتي، ومن جهة بدكان وقف جامع القبلانية، ومن جهة بالجامع المذكور، ومن جهة بشارع السوق، وقد اشترط موكلي جعل هذه الأملاك راجعة وتلحق وتضم إلى وقف المدرسة التي وفق موكلي الوزير، الإفلاطوني التدبير، إلى بنائها وإنشائها في سوق الحيدرخانة، بموجب الشروط والقيود المصرح بها في وقفيته الكبيرة للمدرسة المذكورة».

وزاد في وقفيته المؤرخة في 7 رجب سنة 1236 هـ «دكان الخباز الواقع في السوق الواقع قرب المصبغة، من أسواق بغداد، المحدود بالمصبغة المذكورة، ومن جهة بشارع

السوق النافذ، إلى دجلة العظمى، ومن جهة بالقشلة الخامسة والثلاثين، ومن جهة بشارع السوق، وهو الدكان المشتمل على إيوان وثلاث غرف ومحل صنع الخبز، وكذلك وقف دكان الكبابجي الواقع بإتصال الدكان المذكور، والمحدود من جهة بدكان سيد حمود سريرجي، ومن جهتين بدكان الخبز المذكور.. واشترط أن تؤجر الأوقاف المذكورة من قبل المتولي سنة فسنه، وأن تصرف الغلة إلى مصالح المرقد الشريف للشيخ حبيب العجمي، قدس سره العزيز، واشترط أن تكون التولية على هذا الوقف بيد متولي المدرسة الشريفة التي وفق الواقف المشار إليه إلى بنائها وإنشائها في سوق الحيدرخانة».

أما في وقفه المؤرخة في 2 صفر سنة 1236 / 8 تشرين الثاني 1820م فقد «وقف وحبس خان الزوار الذي كان في الأصل إسكلة، والذي هو منسلك في سلكه وملكه، والواقع بدار محمد بن قره باق، ومن جهة بملك معروف بن رجب، ومن جهة بملك عزيزة بنت كاظم، ومن جهة بالطريف العام، مع توابعه ولواحقه، وأخرجه من ملكه ووقفه حسبة لله تعالى وقفاً مؤبداً وحبساً مخلداً. وقد أمر واشترط أن تعود غلة هذا الخان المذكور إلى غلة المحترم صاحب النجابة يوسف بك.. وبعده إلى أولاده.. وبعد انقراض الجميع.. يعود الوقف المذكور ويضم ويلحق بوثق المدرسة التي وفق الوزير إلى إنشائها وبنائها في سوق الحيدرخانة..»

ثم أنه وقف في وقفه المؤرخة في 7 شعبان من السنة نفسها 9 نيسان 1821م «الدكان الواقع في سوق البزازين من أسواق المدينة المذكورة، والمحدود من جهة بخان الدوكمة، ومن جهتين بدكان ورثة الحاج خليل عرموش زاده، ومن جهة بشارع السوق. وكذا الدكان الواقع في سوق الأطرقيجية، المحدود من جهة بدكان رئيس كتاب الكمرک الحاج صالح آغا، ومن جهة بدكان محبوبة خاتون، ومن جهة بدكان الخياطين، ومن جهة بشارع السوق، مع جملة توابع الدكانين.. وقد تفضل واشترط أن تؤجر الأوقاف المذكورة سنة فسنه من قبل المتولي. وبعد الصرف للتعميرات المقتضية للوقف من الغلة المتحصلة يعود الباقي من الغلة إلى .. نجله يوسف بك.. وبعده لأولاده.. وبعد إنقراض الجميع يرجع الوقف ويلحق بأوقاف المدرسة التي وقفها الواقف.. التي أنشأها وبنائها في سوق الحيدرخانة»

وفي كل وقفية كان داود يزيد في العقارات شيئاً يقفه عليه، ولم ينفك مهتماً به حتى أنه اشترى بعد نحو تسع سنين ما كان يحيط به من دور سكنية، ثم أنه نقض الجميع، وأنشأ على أرضه جامعاً جديداً كبيراً، سمي باسم سابقه، ولكنه أضاف إليه

مدرستين عرفتا بالمدرسة الداودية نسبة الى اسمه. ومن الواضح أن داود وقع عليه اختياره ليكون جامعته الرئيس الذي يقترن باسمه، مقتدياً في ذلك بما فعله الولاة الكبار السابقون، الذين أنشأوا جوامع خلدت أسماءهم، مثل المرادية، الذي أنشأه مراد باشا (978هـ/1570م)، والقبلانية، الذي أنشأه قبلان مصطفى باشا (1087هـ/1676م) والوزير، من إنشاء الوزير حسن باشا الاول (1008هـ/1100م)، وجديد حسن باشا الذي أنشأه حسن باشا (1133هـ/1720م) مؤسس نظام المماليك، وآخرها المدرسة السلیمانیة التي أنشأها الوزير سليمان باشا الكبير.

يُعد جامع الحيدرخانه أنموذجاً بارزاً لما بلغه فن العمارة في بغداد في عهد المماليك من تطور، وقد تأثر في عمارته بجامع الأحمديّة، الكائن في صدر محلة الميدان والمقابل للقلعة الداخلية، وهو الجامع الذي أنشأه أحمد باشا كتحدا والي بغداد سليمان باشا الكبير، سنة 1210هـ/1795م والأخير هو سيد داود ومولاه، ومُقتداه في حكمه وسياسته. فجاء جامعته شبيهاً بجامع الأحمديّة حتى يمكن القول أنهما من عمل معمار واحد. وهما يتميزان بوجود قبة عالية بصليّة الشكل تغطى معظم مُصلّاه، وتقوم على رقبة مرتفعة، ذات نوافذ طولية، وقبتين ثانويتين شبيهتين بها لكنهما أصغر حجماً، وذلك بديلاً عن صفوف القباب المنخفضة التي التزم بها مهندسو الجوامع السابقة، إضافة الى طارمة عالية تقوم على أووين عالية متناظرة، ومئذنة رشيقة سامقة ذات حوض واحد ترتفع من يمين المصلّى مباشرة. ولا اختلاف بين الجامعين إلا في القبة الرئيسيّة، فإنها في جامع الحيدرخانة أكثر سعة. ولكل من الجامعين فناء متسع، تحيط به من جوانبه صفوف من حجرات كانت تستغل لأغراض متنوعة، ففي جامع الحيدرخانة كانت هناك مدرستان على ما ذكرنا، وقد ألحقت بهما خزانة كبيرة للكتب وعين لها حافظ مسؤول عنها بحسب وقفيتها. ويتميز الجامع بالزينة الفائقة التي تكسو قبابه ومئذنته وأواوينه من قطع الاجر الملون والذي يمثل زخارف نباتية مورقة وموردة، وهي تشبه الى حد بعيد تلك الزينة التي تكسو جامع الأحمديّة، مما يبعث على الظن أن مصدر الزينتين واحد.

ضم داود باشا وقفياته السابقة على مسجد الحيدرخانة القديم إلى وقفيته الجديدة، المؤرخة في سنة 1243هـ/1828م. على جامعته الذي أحدثه، فصارت وقفية واحدة، شاملة لكل ما وقفه من وقفيات وبالشروط السابقة نفسها، لاغياً بذلك العمل بتلك الوقفيات بصفة مطلقة.

وتشمل تلك الوقفيات مجموعة كبيرة من العقارات التجارية والزراعية في بغداد واطرافها وفي مدن أخرى، على النحو الآتي:

نوع العقار	العدد	المكان
دكان	1	سوق الحيدرخانة
دكان	19	مقابلة لجامع الحيدرخانة
دكان	11	متصلة بجامع الحيدرخانة
قهوة	1	مقابلة لجامع الحيدرخانة
بزارة (مخزن حبوب)	1	سوق الحيدرخانة
دكان	2	سوق الحيدرخانة
دكان	2	مقابلين للدكاتين السابفين
دكان	1	سوق الحيدرخانة
دكان	1	قرب خان جفان
دكان	7	سوق قاضى الحاجات
دكان	1	سوق الأترقجية
دكان	1	سوق الأترقجية
دكان	1	سوق الأترقجية
دكان	1	سوق الدنكجية
دكان	1	سوق الدنكجية
دكان	1	سوق الزنجير
دكان	1	سوق الشورجة
دكان	1	سوق المرجانية
دكان	1	سوق الدنكجية
دكان	3	سوق الدنكجية

سوق الشورجة	1	دكان
سوق المرجانية	1	دكان
سوق العطارين	1	دكان
سوق العطارين	1	دكان
سوق رأس القرية	1	دكان
سوق الدفتردار	1	دكان
سوق الخفافين	1	دكان
سوق الجبوقحية	2	دكان
سوق الصاغة	1	دكان
سوق البزازين	1	دكان
سوق الشعريافية	1	دكان
سوق بكر	1	دكان
سوق بكر	1	دكان
سوق التمر	1	دكان
قرب المصبغة	1	دكان
قرب المصبغة	1	دكان
سوق البزازين	1	دكان
سوق القبلاية	1	دكان
سوق القبلاية	1	دكان
سوق السراجين	4	دكان
سوق البزازين	1	دكان
سوق الوفائية	1	خان
سوق الوفائية	1	خان
سوق الشورجة	1	علوة

علوة	2/1	سوق الشورحة
علوة	1	رأس الجسر الغربى
قهوة	1	سوق الحيدرخانة
قهوة	1	سوق الحيدرخانة
قهوة	1	سوق الحيدرخانة
قهوة	1	سوق الميدان
قهوة	2/1	رأس الجسر الغربى
علوة	2/1	رأس الجسر الغربى
خان	2/1	رأس الجسر الغربى
دكان	1	قرب المصبغة
دكة	2	سوق الوفاية
دكة	1	سوق المرجانية
دكة	1	سوق البازين
دكة	1	سوق القبلانية
بستان الفريجات	1	غربى قصبة الإمام الأعظم
كرد الفريجات	2	غربى قصبة الإمام الأعظم
بستان الجديدة	1	الخالص
بستان التوث	1	الخالص
نهر قصب	1	الخالص
بستان القصر	1	شرقى قصبة الإمام الأعظم
مزرع	1	طريق أبو صيدا
أرض بسيطة	1	طريق أبو صيدا
بستان الحاج صالح	1	طريق أبو صيدا

بستان الحاج نور	1	طريق أبو صيدا
ساقية	1	طريق أبو صيدا
بستان الياس بن خضر	1	طريق المحمودية
عقر هور الجيبه جى	1	طريق المحمودية
عقر هور الزعفرانية	ثلث	الزعفرانية
مزرع	1	طريق أبو صيدا
أرض نهر قرية اللحمة	1	الدجيل
أرض نهر العواضر	1	الدجيل
أرض الموح	1	الدجيل
خان	1	أربيل
بستان	1	قرية الهاشمية
بستان	4 أسهم	الخالص
رحى	1	قرية قره تبة
عقر أبو دبس	1	المحمودية
بساتين	9	يظهر أنها في طريق المحمودية

ويظهر وفقاً لما تقدم، أن أكثر الموقوفات هي عقارات ذات طابع تجاري، تقع في أسواق المدينة، فثمة 3 خانات تجارية، واحد منها في أربيل، و84 دكاناً، و4 علوات، و6 مقاه، و4 دكات، و1 بزارة كلها في بغداد، فيكون مجموعها 92 عقاراً، وتتوزع أغلب هذه العقارات في الجانب الشرقي، وهو الأكثر كثافة بينما لا تزيد هذه العقارات في الجانب الغربي عن أربعة فحسب.

أما العقارات الزراعية فهي 31 عقاراً، تتنوع بين هور، ومزرع، وكرد، ونهر، وساقية، ورحى، وأرض فضاء، وهي تتوزع على جانبي دجلة، ولا يبعد أقصاها عن مركز بغداد بأكثر من أربعين كيلومتراً<sup>(1)</sup>.

(1) جرت العادة على تعيين رواتب الموظفين في عهد المماليك بالقرش الزائج، وهو يعدل ربع قيمة القرش الصاغ، وبما أن القرش الأخير كان يساوي 40 بارة، فالزائج كان يساوي 10 بارات، وهذه

يمثل ميل الاستثمار الى القطاع التجاري على حساب القطاع الزراعي والرعي، في هذه الوقفية، ظاهرة عامة من أهم الطواهر الاقتصادية في عهد المماليك، ولا سيما في عهد داود باشا، وهي ظاهرة طبعت آثارها على مجمل الحياة الاجتماعية في البلاد، حيث أصبح التجار، لا الاقطاعيون، هم الطبقة الأقوى والاكثر ثقلًا وتأثيراً. وبعد أن كانت الثروة والنبالة تتمثل بتملك القرى والأراضي الزراعية، أصبحت - كما تكشف هذه الوقفيات- تتمثل بالدكاكين والخانات بل وحتى المقاهي. وبحسب الوقفية يجري توزيع الاموال المستحصلة من هذه العقارات على عدد كبير من العاملين في الجامع، وذلك على النحو الآتي:

اسم الوظيفة	مبلغ الراتب بالقرش البغدادي الرائج
المدرس	300
الخطيب	200
الواعظ	100
إمام عدد 2	400 (لكل إمام 200)
قرأء عدد 4	40 (لكل قارئ 10)
مؤذنون عدد 4	250 (لكل مؤذن 72 و 2/1)
معيد درس الواعظ	30
حافظ الكتب	100
مُشعل القناديل	50
من بيده المفاتيح	145
مُناول السيف للخطيب في أيام الجمعة	30
كنّاس	100

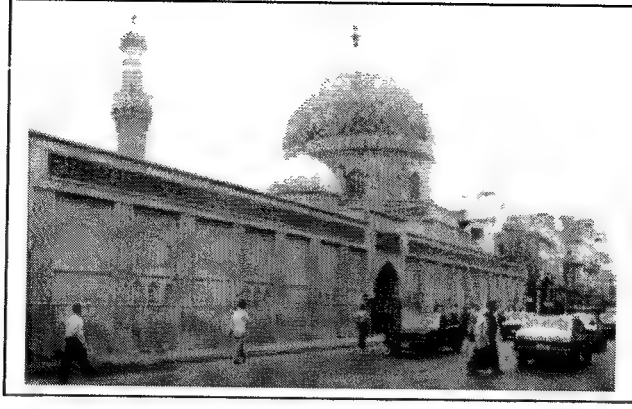
كلها من الفضة، بينما تساوي كل بارة اربعة فلوس نحاس. ومن الصعب تحديد القوة الشرائية لهذه العملات في ذلك العهد، بسبب الانخفاض المستمر لعيار الفضة فيها من حين إلى آخر، ولأسباب أخرى. ينظر كتابنا: الموصل في العهد العثماني، فترة الحكم المحلي، الملحق 15.

الإبريقي	80
مناول الماء للشاربين	50
من يرش أرض الجامع بالماء	50
سقاء	360
من يأتي بالقناديل للجامع	30
من يأتي بالأباريق للجامع	25
المعمار	50
مدرس جامع حبيب العجمي	100
مؤذن جامع حبيب العجمي	50
خادم جامع حبيب العجمي	35
أباريقي جامع حبيب العجمي	35
المتولي على الوقف	1000
مجموع الرواتب	2755 <sup>(1)</sup>

وعلى الرغم من أن جامع الحيدرخانه يبدو هو المقصود بهذه الوقفية، إلا أنها تشمل في نصها جامع آخر قي الجانب الغربي، هو جامع حبيب العجمي، الذي كان داود قد أعاد بناءه في ذلك التاريخ.

كما أن نص الوقفية مَنَح المتولي للوقف حق الإنفاق على كل ما يراه نافعا «في سائر وجوه الإنتفاعات»، بعد إخراج مبلغ الرواتب على الجامعين المذكورين، ويعني هذا أن له أن يُنفق على جميع ما أنشأه من الجوامع والمساجد التي لم يخصصها بوقفية بذاتها. ويعني أيضاً ان المبلغ المستخلص من العقارات الموقوفة يزيد على ما هو مخصص للإنفاق على الجامعين بشيء كثير .

(1) في الوقفية 2820 قرشاً.



جامع الحيدرخانة بعد تجديد واجهته وإزالة صف الدكاكين الموقوفة في هذه الواجهة

بسم الله الرحمن الرحيم

### [مقدمة الوقفية]

الحمد لله الذي جعل جنته وقفاً على عبادته المؤمنين، ووزع رحمته رفقا بالطائعين والعاصين، وأبرز ما أجرته الإرادة بأيدي قدرته، وأحكم ما أظهرته على وفق حكمته، فخلق الإنسان أشرف الموجودات، وميزه بمزايا على البريات، ومكّنه من الدنيا ما هو الأنفع له والأحرى، ووعدته إن زهد فيها يُتحفه خيراً منها في الأخرى، واستخلصه لعبادته واصطفاه، وكلفه بما اختار له وارتضاه، فبذلك أرسل فيه من نوعه الرسل مبشرين ومنذرين، وهادين إلى معالم الحق الواضح المستديم، وكان منهم واسطة العقد وبيت الحمد، إمامهم الأفضل ومقتداهم الأكمل، الآخر بعثاً وإرسالاً، والأول مجداً وأفضلاً، خاتم خزنة الإرسال، فاتح أبواب الكمال، أعمهم إرسالاً، وأتمهم أقوالاً، وأفضلهم بلاغاً، وأسرعهم إبلاغاً، وأقواهم برهاناً، وأفصحهم بياناً. فقام بأعباء الرسالة حتى أودي قبساً لقابس، وحبس نفسه على تمهيد طرق العدالة، فلله درّه من حابس، فعمّت رسالته الأسود والأحمر، وبلغت دعوته الأصفر والأكبر. اللهم فصلّ عليه وعليهم صلاة موقوفة على أرواحهم، مُزينة لأشباحهم، وعلى آله وآلهم وأصحابهم، الذين وقفوا نفوسهم على اتباع الحق ونصرتهم، وتشبيد ركن الدين ورفعته، وعلى التابعين وتابعيهم إلى يوم الدين.

أما بعد، فيقول العبد المفتقر إلى عفو رب العباد إبراهيم بن محمد أقندي القاضي في مدينة السلام بغداد<sup>(1)</sup>:

(1) عين هذا القاضي ببغداد سنة 1242هـ/1826م بموجب فرمان المؤرخ شوال من العام نفسه (إبراهيم الدروي: قضاة بغداد ص224 مخطوط).

إن حضرة ولي النعم، ومُبيد الزور والنقم، الوزير الكبير، والبدر المنير، أبو الفتوحات الناصر لدين الله داود باشا، والي بغداد، لما علم أن الوقف من أشرف الطاعات، وأجل القربات، حتى قصّر الله تعالى نيل البر عليه، كما نص عليه المفسرون، فقال عز وجل (لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ). ولذلك لما سمع هذا الخطاب، المُعَنَوَن بالصواب، أبو طلحة رضي الله عنه، دبّت فيه أريحية الطاعة، فانخرط من بين الجماعة، وبادر إلى وقف أحب أمواله إليه، أعنى (ببرحاء) حديقة له مشهورة، وجنة له معمورة<sup>(1)</sup>. ووقف سيدنا عمر بن الخطاب رض الله تعالى أرضاً بخيبر أصابها بأمره صلى الله عليه وسلم، وهو أول وقف في الإسلام<sup>(2)</sup>، ثم جرى على سُنَّته الخاص والعام، ووقف صلى الله عليه وسلم أموال (مخيريق) التي أصابها في السنة الثالثة<sup>(3)</sup>. وقال صلى الله عليه فيما رواه مسلم في صحيحه: (إذا مات مسلم انتقطع عمله إلا من ثلاث صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له)، والمراد بالصدقة الجارية الوقف باتفاق أكثر العلماء الأعلام والأئمة هداة الإسلام. وجاء عن جابر رض الله عنه: انه ما بقى من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم أحد له مَعْدِرَةٌ حتى وَقَفَ.

### [شروط الوقفية]

أَحَبُّ أَنْ يَقْتَضَى سُنَّةُ الْمُرْسَلِينَ، وَيَنْخَرِطُ فِي أَوْلَئِكَ الْوَاقِفِينَ الصَّالِحِينَ، فَبْنَى جَامِعاً وَمَدْرَسَةً وَاقَعِينَ فِي الْجَانِبِ الشَّرْقِيِّ مِنْ مَدِينَةِ بَغْدَاد، فِي مَحَلَّةِ الْحَيْدَرِخَانَةِ وَوَقَفَهُمَا، وَوَقَفَ عَلَيْهِمَا أَوْقَافاً يَأْتِي ذِكْرُهَا، وَذَلِكَ فِي سَنَةِ 1234، وَكَتَبَ وَقْفِيَّةَ ذَلِكَ مَخْتُومَةً بِخَوَاتِيمِ قِضَاةِ بَغْدَاد<sup>(4)</sup>، وَقَدْ دُوِّنَتْ بِحُرُوفِهَا وَأَلْفَاظِهَا فِي الدَفْتَرِخَانَةِ. وَقَدْ

(1) قال الإمام أحمد: حدثنا مالك، عن إسحاق بن عبد الله بن أبي طلحة، سمع أنس من مالك يقول: كان أبو طلحة أكثر أنصاري بالمدينة مالاً، وكان أحب أمواله إليه ببرحاء - وكانت مستقبلية المسجد، وكان النبي صلى الله عليه وسلم يدخلها ويشرب من ماء فيها طيب. قال أنس: فلما نزلت (لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ) قال طلحة: يا رسول الله، إن الله يقول (لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ) وإن أحب أموالي إليّ ببرحاء وأنها صدقة لله أرجو برها وذخرها عند الله تعالى، فضّعها يا رسول الله حيث أراد الله. فقال النبي صلى الله عليه وسلم: بخ ذاك مال رابع. ينظر ابن كثير في تفسير الآية.

(2) في الصحيحين أن عمر رضي الله عنه قال: يا رسول الله لم أصب مالاً قط هو أنفس عندي من سهمي الذي هو بخير، فما تأمرني به؟ قال حبس الأصل وسبل الثمرة. ينظر تفسير ابن كثير

(3) ينظر سيرة ابن هشام ج 2 ص 89 طبعة مؤسسة علوم القرآن

(4) وكان داود باشا قد وقف على جامع ومدرسته عدداً من الوقفيات في تواريخ مختلفة، ثم وحدها وأضاف عليها في وقفيته الأخيرة هذه.

شرط فيها شروطاً متعددة، من جملتها أن شرط لنفسه الإدخال والإخراج، والزيادة والنقصان، والتغيير والتبديل. ولما كان هذا الشرط جائزاً قد صرح بجوازه جماعة من فقهاء السادة الحنفية، القائلين بأن شرط الواقف كتص الشارع، منهم صاحب الواقعات<sup>(1)</sup>، فإنه نقل عن قاضيخان<sup>(2)</sup> أنه قال: أجمعوا على أن الواقف إذا شرط الاستبدال لنفسه في أصل الوقف يصح الوقف ويملك الاستبدال، ومنهم صاحب در المختار<sup>(3)</sup> في شرح تنوير الأبصار<sup>(4)</sup>، حيث قال: وجاز جعل غلة الوقف والولاية لنفسه عند الثاني وعليه الفتوى، وجاز شرط الاستبدال به أرضاً أخرى انتهى. ومنهم خير الدين في فتاواه<sup>(5)</sup> فإنه قال فيها: سئل فيما إذا وقف رجل وقفاً على نفسه أيام حياته، ثم من بعده على أولاده الموجودين يومئذ وسمائهم، وعلى من يحدث له من الأولاد الذكور والإناث بينهم على الفريضة الشرعية، ثم من بعدهم على أولادهم ما تناسوا، وبعد الانقراض إلى جهة بر متصلة. وشرط شروطاً من جملتها أنه شرط لنفسه الإدخال والإخراج والزيادة والنقصان والتغيير والتبديل كما بدا له، وإن تناهى له ذلك أو تسلسل شرط الصحيح معتبر فله الإدخال والإخراج إلى آخر ما قال، وقال الطرسوسي في أنفع الوسائل<sup>(6)</sup>: أما استثنائه في أن يزيد متى رأى زيادة، وأن يخرج من صدقته متى شاء إخراجاً منها، وأن يدخل فيها من شاء فيه إدخاله فيها، وينقص من شاء أن ينقصه منها، مما كان جعله له، فقد جوز هذا من أجاز الوقف من أصحابنا ومن غيرهم إن شاء الله تعالى إلى غير ذلك من النصوص.

(1) يريد كتاب (واقعات المفتين) تأليف عبد القادر بن يوسف، المعروف بقدرى، المتوفى سنة 1083هـ، وهو في الفقه الحنفي. الزركلي الاعلام ج4 ص172.

(2) يريد كتاب (فتاوى قاضيخان) تأليف فخر الدين حسين بن منصور الاورجندي الفرغاني الحنفي المتوفى سنة 592هـ

(3) الصحيح (الدر المختار)، وهو من تأليف محمد بن علي بن محمد الحصكفي، المتوفى سنة 1088هـ، في فقه الحنفية، ص369 من طبعة دار الكتب العلمية في بيروت 2002، بتحقيق عبد المنعم خليل.

(4) تنوير الأبصار وجامع البحار، تأليف محمد بن عبد الله بن أحمد الفزي، المتوفى سنة 939هـ، في فقه الحنفية

(5) هو الكتاب المسمى (الفتاوى الخيرية) في الفقه الحنفي، نسبة لصاحب الفتاوى خير الدين الرملي بدأ بجمعها ابنه محيي الدين من أهل القرن الحادي عشر للهجرة. وأتمها تلميذه إبراهيم بن إسماعيل الرملي سنة 1081 والنص في الورقة 124 من طبعة حجر القاهرة 1376

(6) هو كتاب أنفع الوسائل في تحرير المسائل، ويعرف بالفتاوى الطرسوسية، تأليف نجم الدين إبراهيم بن علي بن أحمد الطرسوسي المتوفى سنة 758هـ، القاهرة

أراد حضرة الواقف الوزير، حفظه العلي الكبير، في سنة 1243 الألف ومائتين وثلاثة وأربعين من هجرة سيد المرسلين، زيادة في الوقف وتغييره، فاشترى دوراً ملاصقة للجامع المذكور والمدرسة، فأدخله فيها، وخلط الجميع وعمرها جامعاً كبيراً، وعمر فيه مدرستين، وحجراً لطلبة العلم، فعند ذلك أبقي حضرة الوزير المشار إليه -أسبغ الله تعالى نعمه عليه- ما وقفه سابقاً على وقفيته، ووقف ما ألحقه أخرى من العقارات، وجعل العمل على هذه الوقفية الأخيرة، فان رأي الناظر في هذه الوقفتين شيئاً مغايراً لما في الوقفية الأولى، فيجب عليه أن يتبع ما في هذه الوقفية، ولا يعبأ بما في الوقفية الأولى، وكذلك الكلام في جميع الوقفيات الآتية، والعقارات الموقوفة أولاً وأخراً:

### [العقارات الموقوفة]

هي القهوة الواقعة في سوق الحيدرخانه<sup>(1)</sup> في الجانب الشرقي من مدينة السلام بغداد مقابل الجامع المذكور<sup>(2)</sup>، المحدودة بالطريقين العامين<sup>(3)</sup>، وبيدار الملا عثمان، إمام جامع الوزير<sup>(4)</sup>، بن عبد الرحمن الجوهرى، وبالعرف ملك ولي أغا بن عبد الله. والتسعة عشر دكاناً المتصلة بالجامع المذكور<sup>(5)</sup>، المحدودة به وبيابه وبطريقين العامين.

والأحد عشر دكان والقهوة والبزارة<sup>(1)</sup>، المقابلات للدكاكين الملاصقات للجامع

(1) سوق الحيدرخانه، في عهد الواقف، هو السوق الملاصق لواجهة جامع الحيدرخانه نفسه، وفيه بابه الرئيس، في أرض شارع الرشيد اليوم، وكان سوقاً مقبياً مبنيًا بالاجر على عقود يستند كتفها الايسر على جدار الجامع المذكور، وقد نقض هذا السوق عند فتح شارع الرشيد سنة 1916، ولم يتبق من آثاره إلا أكتاف عقود، ثم أزيلت هذه أيضاً وشيد صف من الدكاكين الصغيرة المستندة الى واجهة الجامع الأمامية، ثم سدت هذه الدكاكين ايضاً بجدار من الاجر المزين بأشكال هندسية عند تعميره في اواخر الستينات.

(2) يريد جامع الحيدرخانه، ويشغل ارض هذه القهوة اليوم صف المحلات التجارية على الجانب الايمن من شارع الرشيد.

(3) يقصد بهذين الطريقين سوق الحيدرخانه نفسه، وطريق مواز له، مستند اليه، يقع من جهته الغربية، وموقعه اليوم في ارض شارع الرشيد ايضاً.

(4) هو الجامع الكائن على شاطئ دجلة، بينه وبين سوق القتدرجية، أنشأه الوزير حسن باشا والي بغداد سنة 1008 هـ، ولم يتبق من مبناه السابق غير الكتابة التذكارية التي تقع على بابه النافذ إلى سوق السراجين، وهي تحمل تاريخ بنائه واسم مؤسسه حسن باشا.

(5) هي الدكاكين المستندة الى واجهة جامع الحيدرخانه المطلة قديماً على سوقه.

المذكور<sup>(2)</sup>، والمحدودات بالطريقين العامين، وبدكان مصطفى بك الربيعي<sup>(3)</sup>، وبدار أمين آغا الجادرجي، وبدار معروف آغا السلاحدار سابقاً، ابن عبد الله.

والدكانان الواقعان في سوق الحيدر خانة، الملاصقان المحدودان بالطريقين العامين، وبدكان الحاج محمد بن أوسته ابراهيم، وبدار أحمد آغا بن محمد آغا، وبدار كتحدا بغداد.

والدكانان المقابلان للدكانين المذكورين<sup>(4)</sup>، المحدودين بالطريق العام، وبالطريق الخاص، الشهير بدربونة<sup>(5)</sup>، ويقهوة محمود أفندي بن ملا محمد ينكجري أفندي سابقاً، وبدار أبناء أستاذ معروف.

والدكان الواقع في سوق الحيدر خانة أيضاً، المحدود بالطريق العام وبالطريق الخاص، وبدكان أيتام الحاج مصطفى وبدار يوسف النصراني.

والقهوة الواقعة قرب الدكان المذكور، المحدودة بالطريق العام، وبالطريق الخاص، وبدكان حسين بن علي، وبدار محمد بن خلف. وقطعة الأرض المقابلة للقهوة، التابعة لها، المحدودة بالطريقين العامين، وبدار حبيب آغا بن عبد الله من الطرفين.

والدكان الواقع قرب خان جفان<sup>(6)</sup>، مقابل سوق الصياغين، المحدود بملك نابي خاتون<sup>(7)</sup>، والدة المرحوم سعيد باشا والي بغداد سابقاً، وببابه، وبالطريق العام.

---

(1) موضع خزن البذور.

(2) يريد المتصلات به من جنوبه، حيث تقع قهوة حسن العجمي اليوم، فالدكاكين الاحد عشر التي تقابلها هي التي تمتد من الجهة المقابلة حتى مدخل شارع المتنبى اليوم تقريبا، ولم يكن هذا الشارع يتصل بشارع الرشيد عهد ذاك.

(3) مصطفى بك بن علي الربيعي، من أعيان بغداد في عهده، وهو الذي اشترى داود باشا حينما جلب هذا إلى بغداد رقيقاً، وباعه أو وهبه إلى سليمان باشا الكبير والي بغداد. وهو الجد الأعلى للواء نجيب الربيعي رئيس مجلس السيادة بعد ثورة 1958. وتقع دور آل الربيعي في مدخل محلة العاقولية، في أدنى جامع الحيدر خانة.

(4) اي في الجانب الايمن من شارع الرشيد اليوم.

(5) الدربونة: تصغير كلمة درب، وهي شائعة في عامية بغداد، والظاهر انه ثمة سقط بعدها أضاع اسم هذه الدربونة.

(6) خان جفان: هو الخان الشهير الذي شيده والي بغداد جفاله زاده سنان باشا والي بغداد من 995 إلى 998هـ/ 1586 إلى 1001هـ/ 1590-1593م) وقد تقدم التعريف به.

(7) سيدة جركسية من المماليك، صارت زوجة والي بغداد سليمان باشا الكبير، وتدخلت بعد وفاته في شؤون الحكم، على عهد ولاية ولدها سعيد باشا، حتى صارت تولي هذا وتغزل ذاك، وكانت

والخان، والعلوة<sup>(1)</sup>، والسبعة دكاكين الواقعة في سوق قاضي الحاجات<sup>(2)</sup>، التي هي من محلات الجانب الشرقي من مدينة السلام بغداد. أما الخان فمحدود بملك سيمون الذمي ولد شمعون، وملك شهاب بن حسين، ويملك اروني الذمي، وبالطريق العام. وقد اشتمل على سبعة وعشرين حجرة، منها تحتانية ومنها فوقانية، وعلى أواخر<sup>(3)</sup>، وطارمات<sup>(4)</sup>، وبئر معينة مائي. وأما العلوة فمحدودة بقهوة سارة خانم بنت المرحوم سليمان باشا<sup>(5)</sup>، والطريق العام، وبالخان المذكور من الطرفين، ومشملة على سرداب ومخزن وطارمة وبئر معين.

أما السبعة دكاكين فمتلاصقات، ومحدودات بالخان المذكور، بالعلوة، وبباب الخان، والطريق العام.

ودكان ودكة الواقعات في سوق الوفائية<sup>(6)</sup>، الذي هو من جملة أسواق الجانب الشرقي من مدينة السلام بغداد، المحدودات بالدكان الموقوف على جامع علي أفندي<sup>(1)</sup>، وبدكان وقف حضرة الوزير الواقف، وبالطريقين العامين.

---

السبب في تحريض ولدها على عزل الدفتردار داود أفندي، مما دفع الاخير الى الثورة ثم تولي حكم الولاية، بتأييد عثماني، وقتل سعيد باشا المذكور سنة 1230هـ. وتفرغت بعد نكبتها هذه لأعمال الخير، فأنشأت مدرسة وسقاية في بغداد سنة 1237هـ وتوفيت في الطاعون الذي داهم بغداد سنة 1246هـ امرأة الزوراء ص 50 والبغداديون ص 346.

(1) العلوة: هي موضع بيع المنتجات الزراعية بالجملة.

(2) ينسب هذا السوق إلى مسجد قديم يضم قبراً لأحد الصالحين، ويرى عبد الحميد عبادة أنه قبر أبي محمد بن أبي القاسم بن المظفر الشهرزوري، المعروف بقاضي الخافقين، ومنه عرف بقاضي الحاجات، وكان قد توفى ببغداد سنة 538هـ ودفن بمقبرة باب أبرز، وصار موضعه يعرف في نهاية العصر العباسي بعقد المصطنع، العقد اللانع بآثار بغداد والمساجد والجوامع، بتحقيقنا، ص 297.

(3) أواخر: جمع آخر وهي كلمة تركية معناها اسطبل.

(4) الطارمة: هي السقيفة.

(5) هو والي بغداد سليمان باشا الكبير، وأمها نابي خاتون، تزوجها والي بغداد سليمان باشا الصغير سنة 1223هـ، وبعد مصرعه، تزوجت من محمد آغا بن عبد الله آغا مهردار داود باشا سنة 1239هـ، وتوفيت سنة 1252هـ.

(6) هذا السوق هو جزء من سوق البزازين عرف بسوق الوفائية نسبة الى المدرسة الوفائية (التي أنشأها وفا خاتون الجلآثرية) الكائنة هناك، وكان يعرف حتى اوائل القرن العشرين بسوق الكبابجية لتكاثر دكاكين الشوائين في ذلك الطرف من السوق.

والدكان الواقع في سوق الأطرقيجية<sup>(2)</sup>، من أسواق الجانب الشرقي من مدينة بغداد، المحدودة بدكان مصطفى بن محمود، وبدكان محمود بن عبد الكريم، وسوق الخياطين<sup>(3)</sup> وبالطريق العام.

والدكان الواقع في سوق الاطرقيجية أيضاً، المحدود بدكان محمد آغا بن حسين آغا الخرمتلي، وبدكان وقف القبلانية، والجامع المذكور<sup>(4)</sup>، وبالطريق العام.

والدكان في سوق الاطرقيجية أيضاً، المحدود بدكان صالح آغا باش كاتب الجُمرك، وبدكان محبوبة خاتون بنت عبد الله، ويسوق الخياطين، وبالطريق العام.

والدكان الواقع في سوق الدنكجية<sup>(5)</sup>، من أسواق الجانب الشرقي من مدينة بغداد، المحدود بدكان ... الله بن عبد الله، وبدكان درويش آغا القائم مقام<sup>(6)</sup>، ويملك عمر بن عبد الله، وبالطريق العام.

---

(1) أنشاء الحاج علي أفندي بن مراد أفندي في محلة البارودية في بغداد، وأوقف عليه أوقافاً عديدة، من المقارات، بحسب وقفيته المؤرخة في 8 جمادى الأولى 1133. وقد نقض هذا الجامع عند شق شارع الملكة عالية (شارع الخلفاء حالياً) وشيد بدله جامع حديث باسمه على يمين هذا الشارع بالنسبة للمتوجه الى باب المعظم.

(2) الاطرقيجية هم باعة المواد المستعملة، ويظهر من وقفية داود باشا والي بغداد المؤرخة في 18 ذي الحجة 1235 ان هذا السوق كان محادداً لجامع القبلانية الزائل وكان يفاصل واجهة المدرسة المستنصرية. كما يظهر من وقفية فطومة بنت قاسم المؤرخة في 10 جمادى الآخر 1270 ان السوق كان قريباً من خان جفان

(3) يفهم من وقفية الحاج حسين أفندي بن عبد الله (الغرابي) المؤرخة 26 محرم 1098، ان سوق الخياطين كان قريباً من سوق البزازين. بينما اشير اليه في وقفية آمنة بنت الحاج ابراهيم التكريتي المؤرخة في 20 ربيع الأول 1223 بوصفه من حدود دكان موقوف في سوق الهرج، (وهو سوق الهرج القديم) مما دل على كون السوقين في منطقة واحدة.

(4) هو جامع القبلانية أنشاء والي بغداد الوزير قبلان مصطفى باشا سنة 1087هـ، وكان يشغل أرض دار الطب وابوان الساعات التابع للمدرسة المستنصرية، ينظر الجزء الاول من هذا الكتاب ص87

(5) هو السوق الرئيس لمحلة الدنكجية، وفيه كان يجري تهيش التمن بواسطة آلة تعرف بالدنك، واليها نسب السوق، فالمحلة حوله ويقع السوق اليوم في ارض مرآب الرصا في السيارات.

(6) القائم مقام هو من ينصبه الأعيان غالباً في مقام الوالي بعد عزله من الولاية وحتى مجيء وال جديد. وذكر سليمان فائق أن درويش آغا هذا كان من ابناء المماليك، وأن الولاة يعهدون اليه بوظيفة (الكتخدا) من وقت لآخر، وعندما يغيبون عن البلد يجعلونه قائماً بمقامهم في تصريف الأمور. مرآة الزوراء ص95.

والدكان الواقع في سوق الدنكجية أيضاً، المحدود بدكان أحمد أبْن الحاج أسبر، وبدكان درويش بدر بن أحمد بدر، وبدكة ناحوم اليهودي، وبالطريق العام.

والثلاث دكاكين المتلاصقات، الواقعات في سوق الزنجير<sup>(1)</sup> من أسواق الجانب الشرقي من مدينة بغداد، المحدودة بباب خان جفان، وبالطريق العام.

والدكان الواقع في سوق الشورجة، من أسواق الجانب الشرقي من مدينة بغداد، المحدودة بدكان محمد أمين أفندي مدلج زاده<sup>(2)</sup>، وبدكان عبد النبي اليهودي، وبدار الياهو اليهودي، وبالطريق العام.

والدكان الواقع في سوق المرجانية<sup>(3)</sup>، من أسواق الجانب الشرقي من بغداد، المحدود بدكان عبد اللطيف آغا بن أحمد آغا إسماعيل كهيه زاده<sup>(4)</sup>، وبجامع مرجان وببابه، وبالطريق العام.

والدكة التي تحتها مخزن، المقابلة للدكان المذكورة بدكان الحاج عبد الله بن الحاج مصطفى أفندي، وبدكان مصطفى بن صالح، وملا سليمان، وبالطريق العام.

والدكان الواقع في سوق العطارين<sup>(5)</sup>، من أسواق الجانب الشرقي من بغداد، المحدود بالطريق الخاص أولاً وثانياً، وثالثاً بدكان محمد أمين آغا الطوبال، ورابعاً بالطريق العام.

---

(1) هو السوق الذي عرف في أواخر العصر العباسي بدرب السلسلة، ويقع متعامداً مع سوق البزازين<sup>(1)</sup>. ومقابلاً لسوق الصاغة في عهد الواقف.

(2) آل مدلج أسرة قديمة نزحت من أطراف الشام إلى بغداد، وتولى جدها الشيخ مدلج الصغير بن ظاهر بن أحمد الرحبي (المتوفى سنة 1081هـ/1670م الافتاء في بغداد، وكان لأحفاده مآثر علمية وخيرية كثيرة، منها انشاؤهم مسجداً سنة 1184هـ/1770م. ينظر البغداديون ص 80.

(3) نسب هذا السوق الى المدرسة المرجانية، لوقوعه عند بابها، وتنسب المدرسة الى مؤسسها الخواجة مرجان، حاكم بغداد من طرف الدولة الجلائرية.

(4) كان إسماعيل آغا من قادة المماليك البارزين، تقلد منصب (كتخدا) في عهد والي بغداد عمر باشا وعبد الله باشا، وصار مرشح المماليك لمنصب الوالي في أثناء ثورة البغداديين سنة 1190هـ/1776م على عبد الله باشا المذكور، المعروفة بفتنة عجم محمد، وكان مهاباً عرف بدمائة خلقة ومجلسه الحافل، وورث عنه ابنه أحمد آغا مكانته، أما عبد اللطيف بن أحمد آغا فقد تولى منصب قائم مقام مندلي، وتوفي سنة 1311هـ/1893م. ينظر عبد الرحمن السويدي: تاريخ حوادث بغداد والبصرة، بتحقيقنا، ص 69، 73-91 والدروبي: البغداديون ص 123.

(5) هو جانب من سوق الريحانيين القديم المعروف في العصر العباسي، وتتداخل حدوده، بحسب العهود المتتالية، بسوق الشورجة، وسوق البقالخانة.

والدكان الواقع في سوق العطارين أيضاً، المحدود بدكان السيد عيسى<sup>(1)</sup>، وبدكان إسحاق اليهودي، وبالطريق العام.

والدكان الواقع في سوق رأس القرية<sup>(2)</sup>، من أسواق الجانب الشرقي من بغداد، المحدود بدكان حسين بن الافغاني، وبمخزن ياسين آغا محضر آغا بن عبدالرحمن، وبدكان وقف المسجد، وبالطريق العام.

والدكان الواقع في سوق الخفافين، من أسواق الجانب الشرقي من مدينة بغداد، المحدود بدكان نعمان بك الشاوي، وبدكان عثمان آغا بن الحاج خضير الأعظمي، ويسوق الزنجير، والطريق العام.

والدكانان اللذان تحتهما مخزنان واقعان في رأس الجسر الشرقي، المحدودان بباب الجسر القديمة<sup>(3)</sup>، وبدكان محمد جلال، وبجامع الآصفية<sup>(4)</sup>، وبالطريق العام.

والدكان الواقع في سوق الجوبقية<sup>(5)</sup>، من أسواق الجانب الشرقي من مدينة بغداد، المحدود بدكان وقف جامع الوزير، وبدكان عمر آغا مير آخور زاده، ویدار أیتام يعقوب آغا اللاوند سابقاً<sup>(1)</sup>، وبالطريق العام.

---

(1) هو السيد عيسى بن مصطفى بن محمد الشهير بالعطار، وآل السيد عيسى أسرة حسنية اتخذت هذا الموضع من الشورجة متجراً ومسكناً لها، وترتبط بنسبها بعدد من الأسر الحسنية في بغداد

(2) رأس القرية جزء من محلة القرية (بالتصغير) إحدى محلات دار الخلافة العباسية، وعرف السوق فيما بعد بشارع النهر، لموازاته نهر دجلة، ثم سمي رسمياً بشارع المستنصر.

(3) هو درب يؤدي إلى الجسر الوحيد في بغداد في العصر العثماني، يقع بين جامع الآصفية والمدرسة المستنصرية، وله عند النهر باب خشبية كبيرة، حيث كان ثمة سور عال يحيط ببغداد من جهة النهر، وقد عرفت هذه الباب في مصادر العصر بصوقابي، أي باب الماء.

(4) نسب هذا الجامع إلى لقب كان داود باشا يعرف به هو (آصف الزمان)، وكان داود قد شيده سنة 1241هـ أي قبل عام واحد من انشائه جامع الحيدرخانة موضوع هذه الوقفية، في أرض كانت تشغلها قبل ذلك تكية لأتباع الطريقة المولوية تعرف بالمولايخانه، أو الموليخانة، وقد أنشئت هذه التكية في مطلع عهد الدولة العثمانية في العراق على أرض دار القرآن التي أنشأها الخليفة المستنصر بالله باتصال المدرسة المستنصرية. وكان الجامع مشمولاً بوقفية داود باشا هذه.

(5) جُبوق كلمة تركية تعني اصطلاحاً الغليون الذي يحشى بالتبغ، وذكر الشيخلي أن هذا السوق هو نفسه سوق القندرجية أي سوق السراجين المحادد لجامع الوزير. ينظر: المعجم التاريخي لبغداد القديمة، البصرة 1970، ص153.

والدكان الواقع عند باب الخان، المقابل لسوق الصياغين<sup>(2)</sup>، المحدود بخان عبد الله اليهودي، وبدكان ...، وبالطريق العام.

والدكان الواقع في سوق البزازين، المحدود بدكان الحاج مهدي قزاز باشي<sup>(3)</sup> سابقاً، وبدكان محمد أمين آغا الطوبال، وبخان الزرور، وبالطريق العام.

والدكان الواقع في سوق الشعرباقيّة، المحدود بدكان الحاج ميرزا خان التبريزي، وبدكان الحاج محمد جلال، وبخان الإبريسم<sup>(4)</sup>، وبالطريق العام.

والدكان الواقع في سوق بكر<sup>(5)</sup>، المحدود بدكان وقف الرسول صلى الله عليه وسلم، وبدكان على بن الحاج عبد الله القره غولي<sup>(6)</sup>، وبالطريق العام من الطرفين.

والدكان الواقع في السوق المذكور، المحدود بدكان الشيخ عبد القادر الكيلاني، وجامع مرجان، وبدكان الحاجة فاطمة، والحاجة زينب بنتي الحاج إبراهيم، وبالطريق العام.

والدكان الواقع في سوق التمر، والمخزن اللاحق به، المحدودان بخان التمر<sup>(7)</sup> وببابه، وبدكان حسين آغا ابن الحاج يوسف آغا إيتمكجي باشي<sup>(1)</sup> سابقاً، وبالطريق العام.

---

(1) اللاوند: اسم فرقة عسكرية تجند محلياً.

(2) كان الصاغة يشغلون في هذا العهد معظم دكاكين خان جفان حتى عرف ايضاً بخان الصاغة، وذلك بعد أن زاحمهم الخفافون (صانعو الخفاف الأحمر) في سوقهم السابق غتد جامع الصاغة الذي عرف فيما بعد بسوق الخفافين.

(3) كبير تجار الحرير.

(4) كان هذا الخان واقعاً في سوق البزازين، وتعود ملكيته الى أحد مفتي بغداد وهو الحاج محمد أمين أفندي الزند بحسب الإعلام الشرعي المؤرخ في 21 شوال 1277 الصادر باسم نازلي بنت عد الغني.

(5) كان هذا السوق متصلاً بخان الاورثمة (أي الخان المغطى وهو خان مرجان) ولا يعرف لمن نسب. جاء في وقفية الحاج محمد بن عثمان الحرباوي المؤرخة في 1337هـ/1919م، أنه وقف دكاناً في سوق بكر يحده من طرف خان مرجان، ومن طرف شارع السوق.

(6) هو الجد الأعلى لعبد المجيد محمود، الوزير في العهد الملكي، 1909-1992. ينظر مذكرات عبد المجيد محمود، بتحقيقنا، لندن 2006، ص25.

(7) خان قديم للتمر يقع قرب مشرعة تنسب إليه فتعرف بشريعة خان التمر، وقد عرف هذا الموضوع في اواخر العصر العباسي بباب التمر، وباب سوق التمر ايضاً. كتاب الحوادث المنسوبة لابن الفوطي، بتحقيقنا مشاركة مع د. بشار معروف ص41 وفي عهد قريب من زمن الواقف تتردد اشارات الى محلة صغيرة باسم محلة خان التمر. منها وقفية الحاج جواد بن دلي فتحى المؤرخة في 28 صفر 1235.

والدكان الواقع في سوق البزازين، المحدود بخان الزرور<sup>(2)</sup>، وبدكان الحاج خليل عَرْمُوش<sup>(3)</sup> بالطريق العام.

والقهوة الواقعة في سوق الميدان<sup>(4)</sup>، المحدودة بملك إبراهيم آغا ابن النُقْطَجي، وبملك الحاج عمر آغا طويق زاده، ويخندق قلعة المدينة، وبالطريق العام.

ونصف علوة المُخَضَّر، ونصف القهوة ونصف الخان الصغير، المشتركات مع ورثة مصطفى الخليل، الواقعات في الجانب الغربي من مدينة السلام بغداد، قرب رأس الجسر المحدودات بالطريق العام، وبعلوة محمد الطاهر الجبوري، وبخان اسماعيل آغا ابن وهيب، وبسوق البلطجية<sup>(5)</sup>، وبملك ورثة مصطفى الخليل<sup>(6)</sup>.

والدكان الواقع قرب المصبغة<sup>(7)</sup> في الجانب الشرقي من بغداد، المحدود بالطريق العام، النافذ إلى الدجلة العظمى، وبالطريق العام الخير<sup>(1)</sup> ودار المصبغة، وبقشلة اوتوزيش<sup>(2)</sup>، المشتمل على إيوان وثلاث حجر، وكُرخانة خبز<sup>(3)</sup>.

---

(1) مصطلح تركي من (ايتمك) بمعنى طعام و(جي) أداة نسبة الى حرفه، فهو معناه رئيس موردي الطعام لأفواج الانكشارية.

(2) ويعرف بخان الدكمة، أنشئ في عهد السلطان سليم الثاني (974-982) كما دلت الكتابة على الأجر المزجج التي على بابه.

(3) هو الجد الأعلى لآل حمادي، من أسر بغداد القديمة، عرف بوقفيته المؤرخة في 1112هـ/1767م وبمجلسه الحافل، وتوفي سنة 1214هـ/1799م. البغداديون ص72.

(4) هو جانب من السوق الذي عرف في العصر العباسي بسوق السلطان، وقد وردت الإشارة الى شارع سوق الميدان في وقفية محمد بك دفتردار بغداد على جامع بابا كركر في غرة محرم 1081، وأنشأ احمد باشا الكمية (المتوفى سنة 1210)، فيه جامعاً كبيراً، ووقف عليه الحاج عبد الله بك بن الحاج احمد آغا منشآت عديدة، منها علوة في خندق القلعة الداخلية، وثلاثة مقاه في الميدان قرب الجامع المذكور. فلعل الوقفية تشير الى احدها.

(5) من صنوف القوات الانكشارية. ينظر (قراءة في تعليم البلطجية) من هذا الكتاب.

(6) أسرة تحدر أسلافها من مدينة حماة، إلى حديثة، ثم استقرت في بغداد، في النصف الأول من القرن الحادي عشر للهجرة، وأول اجدادها فيها السيد إسماعيل الحموي، الذي تولى الإفتاء ببغداد، ومصطفى بن خليل هذا هو حفيده. وورثة الأخير هما علي آغا والحاج محمد آغا. وقال عبد الرحمن السهروردي عن هذا البيت «هو من بيوت الأغوات في بغداد»، تاريخ بيوتات بغداد في القرن الثالث عشر للهجرة، بتحقيقنا، ص49.

(7) هي المصبغة التي كانت تصبغ فيها الاقمشة والملابس (وقد شغلت أرض دار الشفاء التي أنشأها الخواجة امين الدين مرجان وتحولت فيما بعد الى المقهى المعروفة بقهوة المصبغة) وقد عرفت هذه المشرعة في العصر العباسي الاخير بمشرعة الصباغين، مما دل على توارث

والدكان المتصل بالدكان المذكور، المحدود بالدكان المزبور، وبدكان سيد حميد السريرجي<sup>(4)</sup>، وبشارع السوق، المشروط من إيجارها خمسمائة قرش إلى مصارف جامع حبيب العجمي<sup>(5)</sup>، وذلك بأن يُعطي منها مائة قرش إلى مُدرّسه، وخمسين قرش إلى إمامه، وخمس وثلاثين قرشاً إلى مؤذنه، وخمس وثلاثين قرشاً إلى خادمه، وخمس وثلاثين قرشاً إلى الذي يملأ الأباريق، والباقي من الخمسمائة قرش المذكورة يصرف إلى القناديل والشيرج والأباريق والحبال والحصران والدلو وغير ذلك من المصاريف.

والذي بقى من الإيجار بعد الخمسمائة يضم إلى أوقاف جامع الحيدرخانة.

والدكان الواقع في سوق البزازين، المحدود بدكة الوقف الراجعة الى الحاج صالح بك نجل المرحوم سليمان باشا<sup>(6)</sup>، وبدكان السيد أحمد بن السيد علي وبالطريق العام.

والدكان الواقع في سوق القبلائية، المحدود بدكان الوقف، الراجع إلى الحاج صالح بك ودكّة ودكان المذكور بالطريق العام.

والقهوة والعلوة الواقعتان قرب سوق الشورجة، المشتركة مع أحمد آغا بغداد آغاسي<sup>(1)</sup> مناصفة، المحدودتان بجامع الخلفاء وبالطريق العام من أطرافها الثلاثة.

---

المكان وظيفته عبر الازمان المتطاولة. ويسمى أيضا سوق الصباغين، وكان ينسب الى هذه المصبغة سوق ينتهي عند شاطئ دجلة بمشرعة (شريعة) تسمى شريعة المصبغة أيضاً.

(1) كذا في الاصل، ولعلها: الاخر أو الأخير.

(2) أوتوزيش: اي الخامسة والثلاثون بالتركية، وهو اسم فرقة إنكشارية كانت تتخذ من ثكّة هناك مقراً لها.

(3) الكرّخانة: مصطلح فارسي عثماني من (كار= عمل) و(خانة= دار) فيكون معناه دار الصناعة وهي هنا بمعنى الفرن.

(4) كان جانب من هذا السوق، وهو المسمى بسوق الوفائية، ويسوق الكبابجية، يعرف أيضاً بسوق السروجية، وهم صانعو الأسرة.

(5) هو الشيخ الزاهد حبيب العجمي، المتوفى في البصرة حدود سنة 140، وقبره عند مشهد طلحة بن عبيد الله هناك، زاره ابن بطوطة سنة 727، فهذا القبر منسوب إليه. وقد جدد والي بغداد الوزير داود باشا آثاره وعمر الجامع عنده سنة 1235 ثم انه وقف «على مصالح مرقد الشيخ حبيب العجمي» دكان خباز في السوق الواقع قرب المصبغة ودكان بإتصاله، في شارع السوق المذكور». كما في وقفيته المؤرخة في 7 رجب 1236.

(6) هو سليمان باشا الكبير والي بغداد، وصالح هذا هو أصغرأبنائه، وقد ولاه قادة المماليك منصب قائم مقام بغداد في أثناء حصار بغداد وعزل داود باشا سنة 1247، ثم لقي مصرعه في ميدان بغداد على أيدي جند علي رضا باشا الذي اقتحم المدينة .

ونصف العلوة المشتركة مع المفتى، الواقعة في سوق الشورجة، المحدودة بعلوة عمر آغا، ویدار یوسف عاشور، وبالطريقين العامین.

والدكان الواقع في سوق الدفتدار، المحدود بدكان الحاج مظهر بن عبد الله، وبدكان دروش بك بن الحاج أحمد بك، ویدار المرحوم عبد الله باشا<sup>(2)</sup>، وبالطريق العام.

والأربع دكاكين المتلاصقة، الواقعة في سوق السراجين، المحدودات بدكان محمد آغا بن أفندي خزينة كاتب سابقاً، ویدار درویش بك بن الحاج أحمد بك، وبالسراي الخارج المنسوب إلى حضرة والي بغداد<sup>(3)</sup>، وبالطريق العام.

والدكان الواقع في سوق باب الآغا<sup>(4)</sup>، المحدود بقهوة البروازي، ملك الحاج مصطفى القزائجي، وبدكان وقف الإمام الأعظم، ویدار رستم آغا بن عبد الله<sup>(5)</sup>، وبالطريق العام. والدكانان الواقعان في سوق صبايغ الآل، المحدودان بدكان الحاج جواد أفندي، وبالطريقين العامین.

والدكان الواقع في سوق البزازين، قرب سوق العجمي<sup>(6)</sup>، من أسواق الجانب الغربي من بغداد، المحدود بأسكلة<sup>(7)</sup> السيد حسين بن الملا محمد، وبالطريقين العامین. والدكة الواقعة في سوق الخفافين المحدود أولاً بالدقاقخانة<sup>(8)</sup>، وثانياً وثالثاً ورابعاً بالطريق العام.

---

(1) بغداد آغاسي، أي آغا بغداد، هو رئيس أفواج الانكشارية فيها، وإلى تكتته نسبت محلة باب الآغا الشهيرة من محلات الجانب الشرقي من بغداد.

(2) هو والي بغداد 1226-1228هـ/1810-1813م

(3) لم يتعين لنا موقع هذا السراي، وفي الغالب فإنه يشغل دائرة المحاكم السابقة (وكانت داراً لدفتدار بغداد، وقد سكنها داود باشا حينما تولى هذا المنصب).

(4) كان ثمة سوقان باسم باب الآغا، الأول باب الآغا العتيق، ويقع في مدخل محلة العاقولية حيث سوق الامانة اليوم، وهو الذي اشتهر بخبزه الفاخر، وباب الآغا الجديد، وهو الذي ما زال يعرف باسمه حتى اليوم.

(5) من قادة المماليك، تولى منصب (كتخدا) في عهد داود باشا. ينظر مرآة الزوراء ص 92، 104، 115.

(6) سوق ومحلة يقعان قرب رأس جسر بغداد العتيق، ولا يعرف إلى أي عجمي نسب هذا السوق.

(7) الاسكلة هنا هي موضوع بيع الخشب وخزنه.

(8) في وقفية داود باشا المؤرخة في غرة محرم 1234 على مدرسة جامع الحيدرخانة ان مما وقفه هذا الوالي «الدكان والدكة الواقعين في سوق الدقاقين المحدودين من جهة بدكان علي

والبستان والكردان<sup>(1)</sup> الشهيران بالفريجات<sup>(2)</sup>، الواقعان غربي قسبة الامام الأعظم، المحدودان بكرد الثعالبية المنسوب إلى السيد أحمد مفتي الشافعية سابقاً، وبالدجلة العظمى، وبكرد إبراهيم آغا النفطجي، وبمزرع أحمد أفندي الطبقةجلي مفتي الحنفية سابقاً<sup>(3)</sup>، وبالطريق العام.

والبستان الشهيرة ببستان الجديدة<sup>(4)</sup>، الواقعة في قرية الجيزان، من قرى نهر الخالص.

وبستان التوت بالقرية المذكورة. ونهر قصب، وبالطريق العام.

والبستان الشهيرة ببستان القصر<sup>(5)</sup>، الواقع شرقي قسبة الإمام الأعظم، المحدودة بالدجلة العظمى، وبستان سليمان بك فخري زاده<sup>(6)</sup>، وبوقف ساقية الشيخ شهاب الدين السهروردي، وبستان الملا رجب بن سليمان، والطرق العام.

وأرض المزرع المحدودة بالبستان المذكورة، المشتملة على نختين.

وأرض البسيطة.

ونصف البستانين<sup>(1)</sup> المشتركين مع الملا سليمان، الواقعتين في طريق أبي صيدة الكبيرة، المحدودة أولهما، وهي المشهورة ببستان الحاج صالح. ونهر الحمر، وبستان

---

أفندي ومن جهة بدران ايتام الكتخدا خالد آغا". وورد في وقفية ياسين بن خلف بن عبد الله المؤرخة في 22 ربيع الآخر 1211 إنه وقف منزلاً في محلة الصباغين والدقاقين الخام في بغداد، مما يفهم منه ان سوق الدقاقين كان من مشتملات محلة الصباغين، ويتصل سوق الصباغين بجامع الوفاية في نهاية سوق البزازين.

(1) الكردان: مشى كرد وهو آلة رفع المياه من النهر.

(2) أرض منسوبة الى فخذ الفريجات من عشيرة الزبيد، وتقع مقابل التاجيات (جزيرة بغداد السياحية حالياً). شاد فيها والي بغداد الوزير داود باشا قصره.

(3) جد آل الطبقةجلي الأسرة المعروفة في بغداد، ترجم له ياسين العمري فقال أنه «مفتي بغداد وعالمها وحبرها، كان أول كاتب للدفترخانة، ثم ولي الفتوى، وتوفي سنة 1213 غاية المرام ص263.

(4) بالتركية (ينكيجه).

(5) وقف داود باشا بستان القصر الواقعة في جوار قسبة الاعظمية وذلك في وقفيته المؤرخة 11 شعبان 1236.

(6) هو سليمان أفندي بن حامد أفندي آل الفخري، من أسرة نقباء الموصل العلويين، سافر إلى بغداد حيث صار من رجال حكومة واليها سليمان باشا الكبير، فولاه هذا أوقاف الحرمين في الموصل. غاية المرام ص36.

الحاج علي بن عبد الله، وبستان الحاج صالح بك. وبستان الحاج حسن بن فهد،  
وثانيهما المشهورة ببستان الحاج نور بن الرشيدية وبالطريق العام.

والساقية، وبستان الياس بن خضر، والخيط، وعقر هور الجيبة جي، المحدود  
بأرض العليمية، وتل جماش أبي رأسين، وبخان آزاد<sup>(2)</sup> وبالدرجة العظمى.

وثلاث عقر هور الزعفرانية<sup>(3)</sup>، المحدود بأرض قرارة<sup>(4)</sup> المتصلة بالدرجة إلى  
شاطئ جمال الدين، ومن اسكلة المخلط إلى أرض الناصرية وما بينهما دياالى، وبأرض  
الغرابية<sup>(5)</sup>، وتل محمد، إلى دوب النخالة<sup>(6)</sup>، وإلى تلول بخش.

وأربعة أسهم وربيع سهم من أصل أثني عشر سهماً من جميع أراضي نهر قرية  
اللجمة الواقعة في مقاطعة الدجيل، المحدودة أولاً بطريق القرية الذي بين توث الحاج  
يعقوب والشطيطة، ويقرب معها إلى المهد الذي بين الثلاث سدرات الكائنات في  
الأرض البسيطة، وهي أرض عبارة ديوان، والحد الثاني ينتهي إلى شطيطة سيد  
مصطفى وسلطان، وثالثاً من الحدود وبياري الشطيطة من الجهة الشرقية التي تمتد  
على نهر الصخرية، إلى بزايز نهر جرجيس عند طريق الإمام، والرابع منه إلى نهر  
المسمى بالعلي.

(1) في الاصل: البستان.

(2) خان واسع حصين بين بغداد وبلدة اليوسفية، يظهر انه نسب الى رجل يعرف بهذا الاسم،  
كانت القوافل تتخذة محطة واستراحة لها، وأزيلت معالمه في تسعينات القرن الماضي تعدياً -  
على الرغم من اثريته- فلم يبق له من أثر سوى بثره. وكانت القرية التي نشأت عنده قد  
سميت، منذ سبعينات ذلك القرن، بقرية الحرية.

(3) الزعفرانية قرية قديمة ورد اسمها في العصر العباسي، ووصفت بأنها تحت كلواذي (الكرادة  
الشرقية) وقد اندثرت القرية، ووردت الاشارة إلى هذا الهور في وقفية السيد زين الدين  
القادري المؤرخة في سنة 978هـ/1570م وكانت مياه درجة تفيض إليه، ثم أطلق اسمها رسمياً  
على مزرعة تجريبية هناك، ثم شملت التسمية الأحياء السكنية التي أنشئت حولها. كتابنا:  
الأصول التاريخية لمحلات بغداد، ط2، بغداد 2013 ص96

(4) هي المنطقة المعروفة بجسر دياالى، بين بغداد والمدائن، وكانت تعرف في العصر العباسي ببند قريش.

(5) الغرابية مزرعة واقعة في جوار بغداد على نهر درجة، محدودة من جهة بأرض كريات، ومن  
جهة بهور زعفرانية، ومن جهة بتل محمد، ومن الجهة الرابعة بنهر دياالى، كما في الإعلام  
الشرعي المؤرخ 16 جمادى الأولى 1282.

(6) أشير في وقفية زمزم خاتون بنت علي أفندي نقيب الأشراف المؤرخة في 21 جمادى الأولى  
1320 إلى «عقر دوب النخالة خارج باب الشرقي».

وثلاثة أسهم وثمان السهم من أصل أثني عشر سهماً من جميع أرض نهر قرية الغواضر الواقع في مقاطعة الدجيل، المحدودة بنهر جمالية بلد. ونهر بني سعد، وبأرض الزاوية، وبالدجلة العظمى.

وسهم واحد من أصل عشرة أسهم من جميع الأرض الواقعة في ناحية الدجيل المتصلة بأرض غواضر الشهيرة بأرض الموح، المحدودة بالجرف الذي ينتهي إليه مزرع نهر غواضر غرباً، وبأرض العبار جنوباً، وبأرض بني سعد شرقاً وبالجرف أيضاً قبلة. والخان الواقع في بلد أربيل، المحدود بدكاكين صالح النجار، وبدكاكين الحاج عبد الله بك، وبدكاكين الكبابجي.

والبستانان الواقعتان في قرية الهاشمية<sup>(1)</sup>، وناحية الخالص، المحدودة إحداهما بملك ناصر وبالطريق العام، وبملك إبراهيم بن حسين، وبملك محسن بن سليمان، وثانيهما بالطريق العام، وبملك عبد القادر بن حسين آغا.

والرحي الواقعة في قرية تبة<sup>(2)</sup> بطريق زنكباد، وينهر صارجق رحي عمر آغا وبأرض المزرع الراجعة للميري. ونهر الرحي المذكورة من الطرفين.

وعقر النهر المعروف بأبي دبس، الواقع في مقاطعة المحمودية، المحدود أولاً بنهر أبي عوسج، وثانياً أرض مقاطعة المحمودية، وثالثاً الأرض الشهيرة بأرض الحميرة، ورابعاً التلول في أراضي الإسكندرية.

والتسع بساتين: الأولى بستان كوت وشبيب، والبستان الثانية بستان إبراهيم وظاهر وثامر، والبستان الثالثة الشهيرة ببستان كاظم وحمادي، والبستان الرابعة بستان خضر ومحمد وخلف أولاد عابد، والبستان الخامسة بستان زرور وناهض وطارش، والبستان السادسة المسماة بستان جايد وأبيه حسين حمد الله، والبستان السابعة بستان مظلوم وحاجم، والبستان الثامنة بستان جاسم الدجيلوي وعكرش، والبستان التاسعة بستان غالي ومحمد.

(1) لعلها بلدة الهاشمية في محافظة بابل، وتقع في الفرات الاوسط، على نهر الفرات، على بعد 130 كم من بغداد.

(2) بلدة تقع في قضاء كفري في شمال مدينة المقدادية وتبعد عن مركز محافظة ديالى حوالي 40 كم ويعني اسمها التل الاسود.

وقف الجميع وقفاً صحيحاً شرعياً خالصاً لوجه الله تعالى على الجامع المذكور المسمى بداودية.

وجعل الوزير الواقف التولية على الوقف والنظارة، فبدأ بنفسه أيام حياته، وشرط أن تؤجر هذه العقارات بأجر مثلاً سنة واحدة، ويبدأ من غلتها بعمارتها وعمارة الجامع المذكور، ثم بمصارف الجامع والمدرسين الذين فيه، ثم يعطى من الغلة في كل سنة ألفان وثمانمائة وعشرون قرشاً من القروش الرائجة البغدادية وظائف للمدرس والخطيب وللواعظ وللإمام ولخدام الجامع والمدرسين منها، للمدرس ثلثمائة قرش، وللخطيب مائتا قرش، وللواعظ مائة قرش، وللإمامين أربعمائة قرش، لكل إمام مائتا قرش، وللقراء الأربعة الذين يقرؤون القرآن فوق المحفل يوم الجمعة أربعون قرشاً، لكل واحد منهم عشرة قروش، وللمؤذن الذي يؤذن ويبلغ فوق المحفل يوم الجمعة ثلاثون قرشاً، وللمؤذنين الأربعة يؤذنون في أوقات الصلوات الخمس مائتان وخمسون قرشاً، لكل مؤذن إثنا وسبعون قرشاً ونصف قرش، ولمعيد درس الواعظ ثلاثون قرشاً، ولمن يحافظ كتب المدرسة مائة قرش، ولمن يشعل القناديل ويصلح حالها خمسون قرشاً، ولمن بيده مفاتيح أبواب الجامع ويكس داخل الجامع مائة وخمسة وأربعون قرشاً، ولمن يناول السيف للخطيب يوم الجمعة، ويأخذه منه بعد انتهاء الخطبة ثلاثون قرشاً، ولكناس الجامع الخارجي مائة قروش، وللأبريقي الذي يملأ الأباريق ماء للمتوضئين ثمانون قرشاً، ولمن يناول الماء للشاربين من الماء المسبل للشرب خمسون قرشاً، ولمن يرش أرض الجامع بالماء خمسون قرشاً، وللسقاء الذي يأتي بماء الجامع في كل يوم عشرة قرب ثلثمائة وستون قرشاً، ولمن يأتي بقناديل الجامع ويُنورها ثلاثون قرشاً، ولمن يأتي بالأباريق للجامع خمسة وعشرون قرشاً، وللمعمار الذي يتعهد الجامع، ويعمل فيه ما يحتاج إليه من الترميم خمسون قرشاً. ثم إذا فضل شيء من الغلة بعد العمارة والمصارفات فالفضلة له -أدامه الله تعالى- ينتفع بها في سائر وجوه الإنقاعات، من غير مشارك له في ذلك ولا منازع له فيما هنالك.

#### [شروط التولية]

ثم جعل التولية والنظارة من بعده إلى الأرشد فالأرشد من أولاده، وأولاد أولاده، وهكذا ما تناسلوا وتعاقبوا، وشرط -حفظه الله تعالى- أن يأخذ المتولي الذي شرطت له التولية من فضلة الوقف وظيفة تولية، ألف قرش، ويكون في الباقي كأحدهم في

الإستحقاق، وشرطاً أن تكون فضلة الغلة من بعده بعد التعمير والمصارفات لأولاده الذكور والإناث، للذكور مثل حظ الأنثيين، ما داموا موجودين في قيد الحياة، لا يستحق أحدٌ من أولادهم منهم في فضلة الوقف شيئاً. فإن انتقل أحد منهم من دار الفناء إلى دار البقاء، وخلف أولاداً ذكوراً فقط، أو أنثاً فقط، أو مختلفين واحداً أو أكثر، وخلف أولاد ابنٍ كان قد توفي قبله، وأولاد بنت كانت قد توفيت قبله، فيرجع نصيبه فقط إلى أولاده، وأولاد ابنه وبنته، الموجودين حينئذ للذكور مثل حظ الأنثيين، وإن انتقل أحد منهم ولم يخلف ولداً، ولا ولد ولد، ولا أسفل من ذلك، فيرجع نصيبه إلى أخوته وأخواته المشاركين له في الاستحقاق، بالذكر مثل حظ الأنثيين. وإذا انتقلت ولم تخلف أولاداً، سواء كان لها زوج أم لا، فيرجع نصيبها إلى إختها وأخواتها المشاركين لها في الإستحقاق، للذكر مثل حظ الأنثيين، ثم إذا انتقل أولاد حضرة الواقف الصليبيون بأجمعهم -والعياذ بالله تعالى- فترجع فضلة غلة الوقف إلى أولاد أولاد الذكور والإناث، للذكر مثل حظ الأنثيين، وأولاد أولاد أولاده، الذين توفي أبائهم قبل استحقاقهم، فيشاركون مع أعمامهم وإخوانهم، للذكر مثل حظ الأنثيين. وشرط أن يكون أولاد البنات داخلين في الورد مشاركين لأولاد الأبناء في الإستحقاق حتى أنه لو خلف الابن بنتاً وخلفت البنت ابناً يكون لابن البنت سهمان ولبنت الابن سهم واحد. وشرط أن يكون الحكم في هذه الطبقة الثانية كالحكم في الطبقة الأولى على الوجه المشروح. وإن انقرضت الطبقة الثانية جميعها -والعياذ بالله تعالى- يكون الحكم في الطبقة الثالثة كالحكم المشروح في الطبقة الأولى، وهكذا ما تناسلوا وتعاقبوا على الوجه المشروح. وشرط حضرة الوزير الواقف أن يدخل في جملة أولاده الموقوف عليهم أمهات أولاده أن يكن كالبناات في الإستحقاق، ويكون حكمهن في جميع الطبقات كحكم البنات ما دمن هن موجودات في قيد الحياة. وشرط أن من تزوجت من أمهات أولاده فليس لها نصيب في الوقف المذكور. ثم إن انقرضت الذرية بأجمعهم -والعياذ بالله تعالى- وبقي من أمهات الأولاد واحدة أو أكثر، فيعطى من الغلة للباقي من أمهات الأولاد ما كُن يأخذن مع الذرية، والباقي يعطى للمعتقين والمعتقات والمُدبرين والمدبرات، وأولادهم وأولاد أولادهم، وهكذا ما تناسلوا وتعاقبوا، للذكر مثل حظ الأنثيين، الذين هم من مماليك حضرة الواقف المشار إليه، ومماليك أولاده أولاد أولاده وهكذا. وشرط أن يكون المتولي من هؤلاء الأرشد فالأرشد، وأن المتولي بعد أن يأخذ

الوظيفة المشروطة يكون كأحدهم في الاستحقاق في فضلا الوقف، ثم إذا انقضت  
المعتقون والمعتقات، والمديرون والمديرات، ولم يبق منهم أحد، ولا من نسلهم أحد،  
يكون الوقف راجعاً إلى العلماء وطلبة العلم والصلحاء، الذين يسكنون في الجوامع  
والمدارس. ويكون أمر التولية راجعاً إلى حاكم الشرع الشريف، يختار واحداً من العلماء  
الأمناء وينصبه متولياً على الوقف المذكور.

ثم أن حضرة الوزير الواقف المشار إليه، وكُل محمد آغا بن محمود أفندي، خزينة  
كاتبي سابقاً، وجعله متولياً للمخاصمة، وسكّله العقارات الموقوفة، فقبضها قبضاً أمثالها.

ثم وكُل حضرة الوزير الملا محمد نجيب، بأن موكله حضرة الوزير رجع عن الوقف  
المذكور، مدعياً بأنه غير لازم عند الإمام أبي حنيفة، إذ الوقف عنده كالعارية جائزة غير  
لازمة فيرجع عنه، لأن الوقف عنده حبس العين على ملك المالك، فلا يلزم إذا كان غير  
محكوم به، فطلب إرجاع العقارات إلى ملك موكله، فتنازعه محمد آغا الوكيل الآخر،  
مدعياً لزومه، محتجاً بقول الإمامين أن الوقف لازم، وإن لم يحكم القاضي بلزومه، لأن  
الوقف عندهما حبس على ملك الله تعالى، وصرف منفعة الوقف على من أحبه  
الواقف، والفتوى على قولهما كما صرح بذلك فقهاء الحنفية. فحكمت بصحة الوقف  
ولزومه وعدم جواز الرجوع، مع علمي بالخلاف الجاري بين الأئمة الأشراف، فصار  
وفقاً مؤبداً وحسباً مخلداً بحيث لا يباع ولا يوهب ولا يُعار ولا يُقسَّم ولا يُملَّك، فمن  
بدله من بعد ما سمعه فإنما إثمه على الذين يبدلونه إن الله سميع عليم.

وكان ذلك في غرة شهر رجب الأصب الواقع في السنة الثالثة والاربعين في الألف  
والمائتين للهجرة النبوية<sup>(1)</sup>.

نمّقه الفقير إليه عز شأنه

إبراهيم بن محمد القاضي بمدينة بغداد

---

(1) الموافق 17 كانون الثاني سنة 1828م.

## أسماء ومعالم غير اسلامية في وثائق وقفية بغدادية

تحفظ وزارة الأوقاف في بغداد سابقاً (ديوان الوقف السني اليوم) بمجموعة من السجلات التي تضم كمية كبيرة من الوثائق الوقفية التي ترقى إلى عصر الدولة العثمانية في العراق، الممتد من دخول السلطان العثماني سليمان القانوني بغداد سنة 1538 وحتى خروج العراق من يد العثمانيين في أعقاب الحرب العالمية الأولى سنة 1917.

ومن المهم القول أن أكثر هذه الوثائق هو نُسخ منقولة من سجلات المحكمة الشرعية في بغداد، ويرقى أقدم تلك السجلات الى سنة 1188هـ/1774م، أما الوثائق المرتقية الى العهود السابقة على ذلك التاريخ فهي نسخ منقولة عن أرشيف الأوقاف الإسلامية في استنبول، أو من مصادر أخرى مختلفة.

وتشمل هذه الوثائق الوقفيات التي وقفها أصحابها على أنواع من المؤسسات الدينية والخيرية والخدمية، كما تشمل الحجج الشرعية التي تمنح لبعض من يطلبها إثباتاً لوقف وقفه أحد أسلافه، إضافة إلى الإعلانات الشرعية التي هي بيانات تصدر عن المحكمة بخصوص وقف عقار ما ومتولييه وحقوق المستفيدين من الوقف وما إلى ذلك.

وتقدم هذه الوثائق للباحث فوائد تاريخية شتى، لا يمكن الحصول عليها من المصادر الأخرى، ففيها نقرأ أسماء معالم المدينة: حصونها، ومؤسساتها العسكرية والمدنية، ومحلاتها السكنية، وأسواقها، وخاناتها، ومقاهيها، وحماماتها، ومشاريع مياه الشرب فيها، وبساتينها وما آلت إليه في العصور اللاحقة. وعلى الرغم من أن هذه الوثائق تختص بالأوقاف الإسلامية حصراً، فقد لاحظنا أنها لا تخلو من اشارات عَرَضِيَّة إلى أسماء ومعالم لأشخاص يتبعون الديانتين المسيحية واليهودية، بحكم التجاور الشديد بين عقارات أتباع الديانات الثلاث في المدينة الواحدة. وتفصيل هذا الأمر، أن المحاكم الاسلامية لم تكن تعتمد أصلاً الخرائط في تسجيل حدود العقارات، كما تحددها اليوم خرائط (الكادسترو) التي تثبت من خلالها حدود اي

عقار بأرقام ثابتة، وإنما هي تعتمد، بديلاً عن ذلك، تحديدها من خلال تعيين أسماء المالكين المجاورين، فيُسجَل مثلاً أن فلاناً وقف داراً محدودة من الجهة الأولى بـدكان عمرو، ومن الجهة الأخرى بـدكان زيد، ومن الجهة الثالثة بدار آخر، ومن الجهة الرابعة الشارع العام أو الطريق الخاص أو السوق، وهكذا تفيدنا الوقفيات، ليس في معرفة الحدود الجغرافية لعقار ما فحسب، وإنما في معرفة طبيعة النسيج الاجتماعي للمحلة ومن ثم للمدينة كلها، من خلال تتبع أسماء مالكي العقارات المتجاورة في المكان الواحد، على أنها بالمقابل تقتصر غالباً إلى توثيق مساحة العقار الموقوف، وإلى الأسماء الكاملة للمالكين، ومن ثم فإن الوجود القانوني لهذه العقارات معرض دوماً إلى الضياع، بحكم وفاة أصحابها، أو وفاة وارثيها، أو تعرض المحلة إلى كوارث عامة من غرق وأوبئة وهو ما حدث مثلاً عقب غرق بغداد وطاعونها سنة 1188هـ/1774م وسنة 1247هـ/1832 حين ضاعت حدود المحلات فضلاً عن حدود العقارات فيها. ولا يمكن توثيق أي عقار مرة أخرى إلا من خلال الإستعانة بالشهود من وجوه المحلة أو السوق التي يقع فيها، واستحصال (الحجج الشرعية) القائمة على توثيق تلك الشهادات، وحتى هذه الحجج فإنها مُعرضة إلى ما تعرضت إليه أصول الوقفيات نفسها ما دامت توثق ببياناتها وما يترتب عليها من حقوق المالكين بالأسلوب السابق نفسه.

وكنا قد تفحصنا جميع هذه الوثائق منذ عقدين من السنين، ويبلغ عددها نحو ثلاثة آلاف وخمسمائة وثيقة، في أثناء اعدادنا بعض الدراسات الخططية عن مدينة بغداد في العصر العثماني، واستخرجنا من مندرجاتها مادة ثمينة كانت موضوعاً لكتاب أصدرناه في سنة 2000 بعنوان (معالم بغداد في القرون المتأخرة)<sup>(1)</sup>.

### المسيحيون

توزع المسيحيون في محلات مختلفة من بغداد، ربما كانت محلة الميدان أقدمها، إذ برز وجودهم في هذه المحلة في أوائل القرن السابع عشر حتى نُسبت إلى أحدهم محلة قائمة بذاتها، وسبب ذلك يعود إلى أن السلطان العثماني مراد الرابع أراد مكافأة رجل من الأرمن الأرثوذكس يدعى كيورك نزارتيان، أي جورج الناصري، يشغل وظيفة

---

(1) كان هذا الكتاب يشغل 450 صفحة، وقد أصدرنا طبعة جديدة مزيّدة ومنقحة منه، تشغل نحو

860 صفحة، وصدرت عن دائرة البحوث والدراسات في ديوان الوقف السني سنة 2016.

مهمة في جيشه، هي (طوبجي باشي) أي كبير المدفعيين، وذلك لما أبداه من اخلاص في عمله، في أثناء حصار السلطان بغداد وفتحها إيها في 19 شعبان 1048هـ/25 كانون الأول 1638م، بعد أن كانت بيد الصفويين، فما كان منه إلا أن منحه رخصة بناء كنيسة في محلة الميدان القريبة من القلعة، فأصبحت هذه الكنيسة تعرف، ومحلتها، باسمه<sup>(1)</sup>. وقيل أيضاً أنه رجل من أرمن ديار بكر، انحدر الى بغداد، وتمكن بما حازه من نفوذ في عهد أحمد باشا والي بغداد (1136-1147هـ/1723-1734م) أن يضع يده على كنيسة قديمة، في محلة الميدان، شادها النساطرة في عهد الاحتلال الصفوي (1032-1048هـ/1632-1638م) وتحويلها إلى بني جلدته ومعتقده من الأرمن الأرثوذكس، فعرفت الكنيسة وجوارها به<sup>(2)</sup>. هذا مع أن الرحالة التركي أوليا جلبي أشار إلى وجود كنيسة للأرمن قرب الميدان، في سنة 1061هـ/1650م<sup>(3)</sup> أي قبل ولاية أحمد باشا المذكور بنحو قرن في أقل تقدير. وعلى الرغم من الاختلاف بين الروايتين فإن مضمونهما يبقى واحداً كما ترى.

وكان من معالم محلة الميدان عقد يسمى (رأس الكنيسة)، أشير إليه في وقفية رقوشة خاتون بنت محمد بن الحاج سلمان، المؤرخة في 8 ربيع الأول 1329هـ/1911م. فقد نصت الوقفية على أن الزقاق المنسوب الى محمد جلبي يقع «في عقد رأس الكنيسة في الجهة الخلفية لوقف آل القلعة لي»، وهذه الأسرة كانت من الأسر القديمة في بغداد وتتولى أوقاف جامع القلعة فنسبت إليها.

وكان ثمة عقار باسم (وقف الكنيسة) ولا ندري إلى أي كنيسة يعود، فإن الواقفين لم يكونوا يميزون بين هُويّات الكنائس، وقد وردت الإشارة إليه في وقفية علي بن كاظم الملا حسن على أعمال البر، حيث جاء فيها أنه وقف «جميع الدكان الواقع في سوق الجَوْخِجِيَّة المحدود بوقف الكنيسة، وبدكان محمد سعيد الشبخلي وأخوته أولاد مصطفى جلبي، ويخان الذهب، وبالطريق العام» وذلك في وقفيته المؤرخة في 29 شعبان 1314هـ/1896م.

(1) بطرس حداد: كنائس بغداد. الأعمال الكاملة، بغداد 2017، ص338.

(2) روفائيل بابو اسحاق: كنائس بغداد في العهد العثماني، مجلة سومر 1964، ص285

(3) أوليا جلبي سياحتنامه سي ج 4 ص419

وفي القرن الثامن عشر أخذ المسيحيون في بغداد يختارون تجمعاتهم في محلات متفرقة، خارج مستقرهم الأول في محلة الميدان، وتوزعت كنائسهم في أطراف الميدان، وفي سوق الغزل، وفي الشورجة، وفي أحد عقود محلة رأس القرية عرف (بعقد النصاري)، و(عقد الكنائس). وعلى الرغم من تسمية العقد هذه، فإن من الواضح أنه كان أصغر من أن يستوعب جميع المسيحيين في المدينة، ولذلك فقد وجد المسيحيون انتشارهم في محلاتها الأخرى، مما ذكرنا.

من ذلك ما جاء في وقفية صفية خاتون بنت يوسف المؤرخة في 16 ذي القعدة سنة 1281هـ/1863م من أنها وقفت دارها في محلة رأس القرية، وعيّنت جيرانها فكان منهم (من جهة اليمين والخلف بدار فتوحي بن يوسف الميداني، ومن اليسار بشورا بن استيفان)، وهذا مسيحيان أولهما من مدينة (ميادين) السورية الواقعة على نهر الفرات<sup>(1)</sup>.

وبشكل عام فإن الوقفيات تكتفي عند ذكر غير المسلمين بالإشارة إلى إسمائهم الأولى فقط، وفي أحيان قليلة كان يُنص على أنهم من أهل الذمة، وهو مصطلح يطلق على غير المسلمين عامة. من ذلك مثلاً أن وقفية الوزير داود باشا والي بغداد على مدرسة جامع الحيدرخانة المؤرخة في غرة رجب 1243هـ/1827م أشارت إلى سوق الحيدرخانة بوصفه من حدود تلك المدرسة، حيث أنه وقف سبعة دكاكين في السوق المذكور باتصال المسجد الواقع في غرب المدرسة، المحدودة من جهة بديكان كاتب العربية عبد الباقي جلبي، ومن جهة بديكان عُرِف صاحبه بـ(الذمي جرجو)، ومن جهة بالمسجد ومن جهة أخرى بشارع السوق. فجرجو هذا مسيحي، واسمه مخفف من جرجي، أو جورج.

وأشارت وقفية الوزير داود باشا والي بغداد على مدرسة جامع الحيدرخانة المؤرخة في غرة محرم 1234 إلى أن من حدود سوق الحيدرخانة من جهة الغرب ملك محمد آغا، ومن جهة أخرى شارع سوق الحيدرخانة، وبعضاً ملك كاظم، ومن جهة ملك (ياسف الذمي القوندقجي)، ومن جهة بملك الملا محمد قنچق، كما في وقفيته

---

(1) عرفت ميادين في العصور الإسلامية باسم (الرحبة) وتقع على بعد 45 كيلومترا من مدينة دير الزور، في الجهة الجنوبية الشرقية منها.

المؤرخة في غرة محرم 1234. فهنا ذكر اسم هذا الذمي ولكنه لم يذكر دينه، والغالب انه مسيحي، أما القونداقجي، فمصطلح تركي يعني مُسلح الأسلحة النارية.

وفي وقفيتها المؤرخة في غرة رجب 1243هـ/1827م أشير الى سوق الحيدرخانة بوصفه من حدود تلك المدرسة، حيث ورد انه وقف «الدكان الواقع في السوق المذكور المحدود من جهة بملك الذمي ياسف، ومن جهة بملك علي بك زاده، ومن جهة بالطريق الخاص، ومن جهة بشارع السوق».

ومن ذلك أيضاً أن خاناً تجارياً يسمى خان (جون) أشير اليه في وقفية الحاج محمد جواد بن الحاج علي كافل حسين المؤرخة في 28 جمادي الآخر 1294هـ/1877م بوصفه من حدود دكان وقفه الواقف المذكور في سوق الجوخه حية في بغداد، والاسم لمسيحي ولا ريب، لكنه لم يكن محلياً، وإلا لكان اسمه حنا، او يوحنا، كما هو معلوم.

ونجد في أحيان أخرى أن الواقف ينص على الهوية الدينية لمن يرد اسمه في وقفيته، من ذلك أننا نقرأ في وقفية حليلة خاتون بنت عبد الله أفندي أنها وقفت «الدار الحرم والديوانخانة في محلة رأس القرية المحدودة بدار الحاج عبيد وبار ورثة السيد عبد القادر وبار ورثة الحاج خليل وبار يوسف النصراني وبالطريق العام» فنصت بذلك على هوية جاراها يوسف هذا ولكنها بالمقابل لم تتوه باسم أبيه. وذلك في وقفيتها المؤرخة 9 شوال 1281هـ/1863م.

وفي وقفية الحاجة نجو بنت الحاج عبد القادر الحاج عبد الهادي أنها وقفت «خان صغير، والمقهى المتصلة به، والملاصقين أحدهما بالآخر، المحدودين بدار وقف جامع العدلية، ومن جهة بدار الواقفة، وايضا بدار المسيحي أغاكيم، واستيفان ولدي خضر، ومن الجهة الرابعة بالطريق العام» وذلك في وقفيتها المؤرخة في 12 رمضان 1295هـ/1878م، فهنا نصت الوقفية على اسمي مالكي الدار واسم أبيهما وهويتها الدينية.

ومثل ذلك ما ورد في وقفية الحاج سلمان بن صالح بن شبلي من أنه وقف عقارات كثيرة منها «ودار خربة في محلة الميدان، محدودة بالطريق العام، وتتم بالدكاكين الثلاثة العائدة الى الوقف الهمايوني، وبالطريق العام، وبار (عبد الجبار

أفندي الأوقات<sup>(1)</sup> بن عيسى المسيحي)، وبخان صالح آغا اليوزباشي، وذلك في وقفته المؤرخة في 23 محرم 1324 (1906م)، «فهذه الوقفية نصت على اسم الواقف واسم أبيه وهويته الدينية واسم مهنته، وهي المحاماة.

ومن المؤكد أن ابرز المعالم المسيحية هي الكنائس، وكان لهذه الكنائس أوقاف من عقارات تجارية ينفق من غلتها على شؤونها المختلفة، وتدلنا الوقفيات عن تقارب، بل تداخل عجيب بين هذه العقارات الموقوفة وبين عقارات موقوفة خيرية وذرية إسلامية، ففي وقفية الحاجة فاطمة خاتون بنت سعد الله آغا بن حسن على ذريتها أنها وقفت دكاناً في سوق الهرج العتيق محدوداً من جهة بر (دكان الوقف المشروط لفقراء كنيسة الأرمن)، ومن جهة بدكان اليهوديين مناحيم سلمان دانييل ومناحيم صالح دانيال، ومن جهة بدكان ورثة اليهودي اسحق سكمّن، ومن الجهة الرابعة بالطريق العام، في وقفيتها المؤرخة 23 شوال 1304 هـ/1886م، فهذه البقعة الصغيرة من سوق الهرج ضمت في وقت واحد ملكيات متجاورة مختلفة المالكين من الديانات الثلاث، فهؤلاء المالكون هم جيران، ولا شك انهم كانت تحكمهم علاقات الجيرة المألوفة بين الجيران.

ومثل هذه الجيرة نجدها في وقفية الحاج أحمد چليبي بن حمادي بن رغله آل المدلل المؤرخة في 20 ربيع الآخر 1321 هـ/1903م حيث أشير فيها الى مقهى وقف الكنيسة، بوصفه من حدود دكان يمتلكه يهودي اسمه عبد الله، في سوق باب الآغا محدوداً بدكان آل الرحبي، وهذه الأسرة من أسر بغداد القديمة وقد خرج منها عدد من القضاة والعلماء.

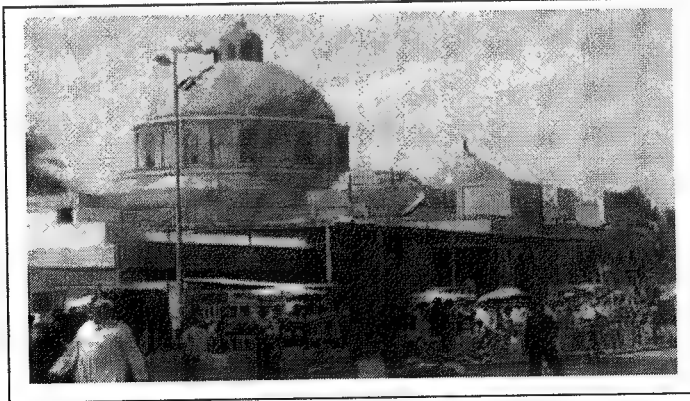
ومثل ذلك ما نقرأه في وقفية فطومة بنت مصطفى المقيمة في محلة سبع أبارك، فإنها وقفت داراً في المحلة نفسها برقم 185/24 تسلسل 242، محدودةً جبهةً بالطريق العام، ويميناً بدار صفية بنت يوسف، ويساراً بدار ورثة خضير بن سعودي، وخلفاً بدار الوقف العائدة الى الكنيسة، على وجوه البر، في وقفيتها المؤرخة في 20 جمادى الآخرة 1342 هـ/6 شباط 1924، فدار الوقف على الكنيسة إذاً، كانت تجاوز، حائطاً بحائط، دار الجارتين فطومة وصفية، فضلاً عن جيرانهم ورثة خضير، مما يؤكد أنهم كانوا قد قبلوا هذه الجيرة بما يترتب عليها من علاقات اجتماعية.

(1) كلمة مأخوذة من الايطالية (أفوكاتو) وتعني: المحامي.

وفي وقفية الحاجة زهوة بنت الحاج عبد الرزاق المزرقحي المؤرخة في ربيع الأول 1339هـ/ 15 تشرين الثاني 1920، أنها وقفت نصف دكان في الجادة السابعة من محلة باب الآغا، محدود من أحد جوانبه «بوقف كنيسة السريان».

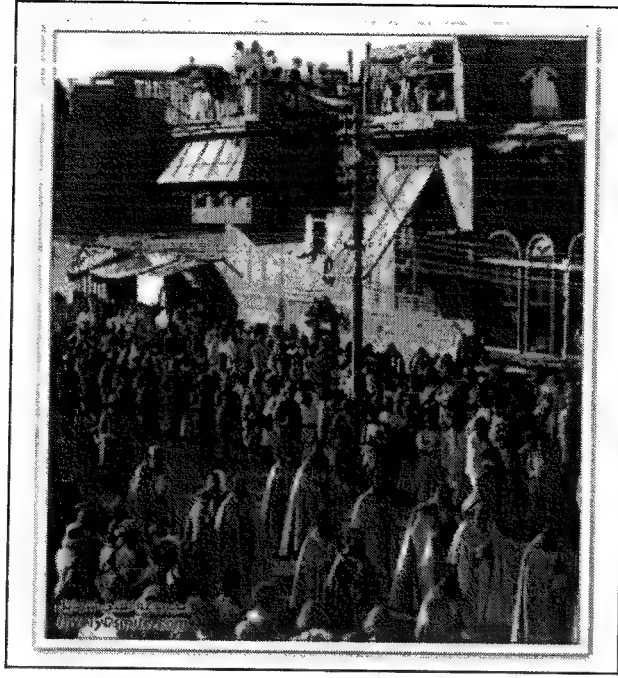
وفي وقفية فطوممة بنت قاسم المؤرخة في 10 جمادى الآخر 1270 أنها وقفت «دكانا عائداً الى كنيسة النصارى» يقع سوق الأطرقيجية المحاذي لخان جفان (وهو المعروف اليوم بسوق دانيال).

ولم يكن ثمة ما يمنع أن يبيع بعض المسلمين داراً أو أكثر لمسيحي ليشيد عليها كنيسة، ففي محلة (جامع الخلفاء) أي محلة سوق الغزل، باع رجل يدعى محمود بن أحمد الرهاوي دارين متجاورين إلى أحد الأرمن الكاثوليك يدعى (لوقا الأضرومي)، وكان هذا يرغب في جعلهما كنيسة، وقد سُجِّلَت واقعة البيع هذه في سجلات المحكمة الشرعية بتاريخ 1215هـ/ 1800م فما كان من الأخير إلا أن نقض الدارين ودمجهما معاً في أرض واحدة شيد عليها كنيسة لبثت تؤدي خدماتها إلى أبناء طائفته مدة ست وثلاثين سنة، وورد اسم (محلة جامع الخلفاء) في وثائق هذه الكنيسة، وكان ذلك باسم بطريرك الأرمن غريغوريوس بطرس كوبيان. ومن الملفت للنظر حقاً أن تسجيل البيع في سجل المحكمة الشرعية كان يعني مصادقة قاضي بغداد على الشراء في ذلك الوقت، على الرغم من القرب الشديد بين موقع هذين العقارين وبين أكبر جوامع بغداد في ذلك العصر، وهو جامع الخلفاء المسمى في العصر العباسي بجامع القصر كونه كان المصلى الرسمي للخلفاء العباسيين عدة قرون<sup>(1)</sup>.



كنيسة الكرمليين المقابلة لجامع الخلفاء

(1) كتابنا: مؤرخون سريان محدثون، بيروت 2015، ص 127.



موكب احتفالي مسيحي في بغداد

### اليهود

كان لليهود، كما تكشف الوثائق الوقفية، حضور أقوى في المحلات التي شهدت وجود أسواق وخانات ونشاطات تجارية، ففي وقفية الحاج عبد الرسول بن مهدي، المؤرخة في 15 ذي القعدة 1314هـ/ 1896م، أن الواقف المذكور وقف على أعمال البر، مصبغة الوقف، وعرف حدودها بأنها «محدودة من بعض جهاتها بدار منشي شعشوع وبدكان عبد القادر وشريكه، وبالطريق العام». فهذه هي أول إشارة إلى آل شعشوع الأسرة اليهودية المهمة في عالم التجارة، والتي ستزداد شهرتها في السنين التالية.

ومن المعالم التجارية اليهودية في سوق الشورجة خان روبيل، فقد أشير في الإعلام الشرعي المؤرخ في 9 جمادى الآخرة 1317هـ/ 1899م إلى أن هذه السوق كانت تضم من المعالم: خان روبيل، وخان الباجه جي، وخان آخر وقفه الحاج عباس بن الحاج مهدي بن محمد شكرجي.

وتكشف وقفية جميلة بنت سليم أغا عن وجود دور سكنية لليهود في محلات أخرى من بغداد، منها محلة القراغول، حيث ورد فيها أنها وقفت سهامها الواقعة في

الدار الكائنة في محلة القراغول المرقمة 74/33، «المحدودة من الشمال الشرقي بالطريق العام، ومن الشمال الغربي بدار عزيزة ساسون، ودار سعيد علي، ومن الجنوب الغربي دار نعيمة وحسيبة بنتي حسين، ودار نعيمة بنت سمعون، ومن الجنوب الشرقي دار يوسف عزرا، ويتم بدار بهية عبد الرحمن». على وجوه البر كما في وقفيتها المؤرخة في 20 ربيع الآخر 17/1360 مايس 1941. فهاتان السيدتان اليهوديتان، نعيمة بنت سمعون، وعزيزة بنت سمعون، ويوسف بن عزرا، كانوا جيراناً لعدد من دور المسلمين من سكنة محلة واحدة، هي محلة القراغول.

وفي الوثيقة المؤرخة 15 رجب 1233هـ/1827م إشارة إلى بيع الحاج إسماعيل بن الحاج مصطفى، الأصيل عن نفسه، والوكيل عن ورثة المتوفى مصطفى أعا بن الحاج مرتضى، داراً حدد مواصفاتها بدقة، في محلة اسمها خواجه سلمان، في بغداد، إلى الياهو ولد الياهو ولد هارون اليهودي، وان الأخير قبل البيع واشترى لزوجته نُوعم بنت عبد النبي بنت خاتون اليهودي هذا الدار المبلغ المذكور وبذلك «صار جميع هذه الدار كلها بتوابعها ومرافقها وكافة حقوقها لهذه المرأة اليهودية المذكورة تتصرف في جميع هذه الدار كلها كما تشاء بلا منازع»<sup>(1)</sup>.

وفي محلة قنبر علي وقفت عايشة خاتون بنت السيد محمود داراً، محدودة من ثلاث جهات بدار محمد صالح آغا، ومن الرابعة بدار (ابراهيم ولد حردون) وبالطريق الخاص، على وجوه البر، في وقفيتها المؤرخة 14 جمادى الآخرة 1277هـ/1859م. فابراهيم بن حردون كان من سكنة المحلة، يجاوره فيها دار الواقعة ودار محمد صالح آغا المذكور.

ومن خانات اليهود البارزة خان كان يملكه ورثة (دينوس)، وهي أسرة يهودية برزت في مجالات التجارة والمال، وكان هذا الخان يقع بحسب وقفية الحاج محمد أمين چلبی بن الحاج محمد سعيد چلبی بن الحاج مصطفى الشیخلی المؤرخة في 6 جمادى الاولى 1296 هـ / 1878م في سوق خان بكر من أسواق بغداد<sup>(2)</sup>.

(1) سجلات المحكمة الشرعية، السجل 30، الورقة 12

(2) ذكر عباس بغدادی أن سوق الصفاير ينتهي بخان كرجي او خان شلش كما يسميه البعض، أما اسمه الآن فهو الحريري، فقد اشتراه السيد تقي الحريري من مالكيه اليهود بيت دنوس أصحاب سينما الزوراء، وقد هدمه الحريري وشيده سوقاً. (بغداد في العشرينات، بيروت 1998، ص158).

ومن خانات اليهود أيضاً خان عبد الله اليهودي، وقد وردت الإشارة إليه في وقفية داود باشا المؤرخة في غرة رجب 1243هـ/ 1827م بوصفه من حدود خان آخر واقع في سوق الصياغين.

ووقفت آمنة بنت ولي بن علي الساكنة في محلة قنبر علي، الدار الواقعة في المحلة المذكورة، المحدودة أولاً بدار الحاج طه القهوة جي، وثانياً بدار عبد الله اليهودي، وثالثاً بدار مريم بنت الطرف، ورابعاً بالطريق العام، في وقفيتها المؤرخة في 13 شوال 1307هـ/ 1889م.

ولا ندري ما إذا كان صاحب هذا الدار، عبد الله اليهودي، هو صاحب خان عبد الله اليهودي المتقدم في وقفية داود باشا أم غيره.

وأشير إلى خان باسم (خان اليهود) في وقفية رحمة بنت الحاج أمين الملا خضر على مسجد الخضير (المعروف بمسجد التسايل) المؤرخة في 10 صفر 1234هـ/ 1818م بوصفه من حدود دكان وقفته في سوق العطارين في بغداد، وهذا السوق كان امتداداً لسوق الشورجة نفسه.

وفي وقفية الحاج محمد جواد بن الحاج علي كافل حسين المؤرخة في 28 جمادى الآخرة 1294هـ/ 1872م أن هذا الخان من حدود الدكان الواقع في سوق العطارين.

وادعى عبد الهادي بن سيد علي بن سيد حسين بن السيد يحيى أن الخان المرقم 46 الواقع في محلة الصفاير، المحدود بأمالك الحاجة نومة بنت الحاج أسعد، والحاج محمد العسافي وبجدار الجامع (أي جامع؟)، ودار إلياهو حسقيل، وبالطريق العام، كان ملكاً لسيد علي، ثم وقفه على أعمال الخير، فحكمت المحكمة بصحة الوقف، وذلك بموجب الإعلام الشرعي المؤرخ في 6 شعبان 1315هـ/ 1897م.

فهذا الاعلام يكشف أن الياهو بن حسقيل كان من سكة محلة الصفاير، وليس مالكاً لمرفق تجاري فيها فحسب. كما أن داره كانت مجاورة لجدار جامع هناك، ومع ذلك لم يثر ذلك التجاور حفيظة المحكمة فضلاً عن جيران الجامع نفسه.

وثمة خان آخر لليهود في سوق العطارين، جاء في وقفية رحمة بنت الحاج أمين الملا خضر على مسجد الخضير المؤرخة في 10 صفر 1234هـ/ 1818م أنها وقفت «جميع الدكان الواقع في سوق العطارين ببغداد، المحدود بملك أحمد أغا بن اسماعيل كهية، وبملك مهدي بن مصطفى، وبخان اليهود، وسقفه الخان المزبور».

ووقف الوزير داود باشا والي بغداد دكاناً في هذا السوق، ففي وقفيته المؤرخة في 10 ربيع الأول 1234هـ/ 1818م أنه وقف الدكان محدود بـدكان محمد أمين أفندي مدلج، وبدكان عبد النبي اليهودي، ودار الياهو اليهودي، وبالطريق العام.

ومن معالم سوق السريرجية خان الدفتردار (الذين شيدت على أرضه عمارة الدفتردار الحديثة) خان مناحيم دانيال، فقد ورد في وقفية الحاجة نائلة خاتون بنت عبد الرحيم على مدرستها المؤرخة في 9 ربيع الآخر 1291هـ/ 1874م، أن مما وقفته هذه السيدة «خان الكبير والصغير، المعروف باسم خان الدفتردار في سوق سريرجيلر، المحدود من جهة بخان مناحيم ولد سلمان دانيال، ومن جهة بالدجلة العظمى، ومن جهة بالطريق النافذ الى الدجلة، وبعضاً بأسكلة ورثة ولي الحاج فتحي المعلومين، ومن جهة بالطريق العام».

وكنا قد أشرنا الى أن في وقفية الحاج أحمد چلبي بن حمادي بن رغله آل المدلل المؤرخة في 20 ربيع الآخر 1321هـ/ 1903م اشارة الى دكان يمتلكه يهودي اسمه عبد الله، اذ جاء فيها انه وقف «دكاناً في سوق باب الآغا محدوداً بدكان آل الرحبي، وبدكان يهودا بن عبد الله، ويوسف، وبمقهى وقف الكنيسة، وبالطريق العام.

وكان في مدخل سوق الشورجة ثكنة عسكرية عرفت باسم سراي اليكجيرية (وهم الانكشارية) اتخذها آغا هذه القوات مقراً لدائرته، فعرفت الثكنة باسم باب الآغا، وغلب هذا الاسم على المحلة المجاورة (وكانت تسمى بمحلة فراشة) فسميت بمحلة باب الآغا، وهذه القشلة هي التي تحولت، بعد انقضاء عهد الانكشارية، إلى دار تملكها الأرمني كريكور كيورك إسكندر وإخوانه، وظلت تعرف حتى سبعينات القرن التاسع عشر بدار القشلة، وكانت مقابلة لمحلة الرواق القديمة المرتقية الى العصر العباسي، اي المكان الذي يشغله اليوم مبنى بنك الرافدين المقابل لمدخل الشورجة<sup>(1)</sup>.

ويمكننا ان نخرج من هذه النصوص الى جملة من النتائج هي

1- إن غير المسلمين، من المسيحيين واليهود، كانوا يشكلون جزءاً من النسيج العام لمجتمع المدينة، لهم وجودهم في محلاتها المختلفة، وليس في محلة معينة خاصة بطوائفهم فحسب، وصحيح أنه كان للمسيحيين محلة تنسب اليهم هي عقد النصاري

---

(1) كتابنا: معالم بغداد في القرون المتأخرة، الطبعة الثانية، ص453.

او عقد الكنائس، إلا أن وجودهم لم يكن منحصراً بهذه المحلة دون غيرها، فقد كشفت الوثائق عن وجودهم في محلات أخرى أيضاً، منها الميدان والقراغول وقنبر علي والشورجة وسبع أبارك وغيرها. وينطبق هذا الحال على اليهود أيضاً، حيث لم تكن (محلة التوراة) تمثل حياً مغلقاً عليهم، مثل محلات (الكيتو) التي عرفت في المدن الأوروبية<sup>(1)</sup>، وإنما كانت حياً تجارياً يزوره الناس يومياً لأغراض التجارة من مختلف الديانات، ومن جهة أخرى، كان لليهود انتشارهم في محلات بغداد المختلفة، لا سيما في المحلات التي كانت تضم أسواقاً، مثل الشورجة، والبزازين، وباب الآغا، والصفافير، وكان منهم من يقيم في تلك المحلات بعيداً عن محلة التوراة التي تمثل أكبر تجمع لهم في بغداد، ولكن ليس التجمع الوحيد فيها. ومن الواضح تماماً انه لا المجتمع الاسلامي ولا السلطة كان وراء نشوء ذلك التجمع أصلاً.

2- أقام المسيحيون، واليهود أيضاً، في دور تجاوز دور مواطنيهم من المسلمين، إلى حد أن عدت دورهم حدوداً تُعرّف من خلالها دور أولئك الجيران. ومن الطبيعي أن تنشأ، في ظل ذلك التجاور، علاقات جيدة من التعاون والتعايش والمشاركة. ونرى أن هذه الملاحظة ترد على نظرية برنارد لويس في فهمه لنظام الملل العثماني، حين تصور أن المدينة الشرق- أوسطية كانت تتألف من مجتمعات منفصلة يختص كل منها بملة معينة لا يصلها بالملل الأخرى شيء يذكر<sup>(2)</sup>. وهي النظرية التي تبناها وروج لها كُتاب

---

(1) منطقة يعيش فيها، طوعاً أو كرهاً، مجموعة من السكان يعدهم أغلب الناس خلفية لعرقية معينة أو لثقافة معينة أو لدين، وقد أنشئت هذه الكيوتات في روما أولاً، ثم انتشرت في مدن أوروبية أخرى. وكان الكيتو هو الحصن الذي يعيشون داخله؛ كي يحافظوا على هُويّتهم، ويدافعوا عن أنفسهم من خطر الاضطهاد المحتمل في أي وقت.

(2) في 1980، بدأ برنارد لويس بتكليف من وزارة الدفاع الأمريكية بوضع مشروعه الشهير الخاص بتفكيك الوحدة الدستورية لمجموعة دول الشرق الأوسط جميعاً، أو كلا على حدة، (ومنها العراق وسوريا ولبنان ومصر والسودان وإيران وتركيا وأفغانستان وباكستان والسعودية ودول الخليج ودول الشمال الإفريقي.. إلخ)، ثم تفتت كل منها إلى مجموعة من الكانتونات والدويلات العرقية والدينية والمذهبية والطائفية. وفي مقابلة أجرتها وكالات الإعلام مع برنارد لويس في 20/5/2005 صرّح بأنه من الضروري إعادة تقسيم الأقطار العربية والإسلامية إلى وحدات عشائرية وطائفية، ولا داعي لمراعاة خواطهم أو التأثير بانفعالاتهم وردود الأفعال عندهم. ينظر فيوليت داغر: عوامل حرق نهضة الشعوب المستضعفة، على موقع (اللجنة العربية لحقوق الإنسان) نشر في 31 آذار 2013 .

ومؤرخون، في عقد الثمانينات من القرن العشرين، وهم (يُروَّجون) لنظام سياسي - اجتماعي مقبل، مشابه لما تصوره أنه (نظام ملل)، تدور كل ملة، أو طائفة، في عالم خاص لا يجد ما يصله بالعالم الأكبر، وهو الوطن، من الوشائج إلا القليل أو لا يجد.

3- لم يكن سكنى غير المسلمين في أماكن قريبة من جوامع المسلمين مدعاة اعتراض أحد عليهم، أو اعتراض السلطة، فقد وجدنا القاضي في المحكمة الشرعية يصادق على عقود شراء مسيحيين ويهود لعقارات تجاوز جوامع رئيسة، الى حد التماس أحياناً، دونما ييدي اعتراضاً يذكر.

4- لم تكن السلطة مهتمة بذكر الهوية الدينية لمالكي العقارات، ولذلك لم يكن ثمة تقليد محدد بشأن هذا الأمر، والظاهر أنه ترك لاختيار الواقفين، فمرة تستخدم الوقفية مصطلح (الذمي) ومرة (النصراني) وثالثة (المسيحي) وفي أكثر الحالات لا يذكر اي مصطلح مميز، ويكتفى بذكر الاسم فحسب، أو الحرفة في أحيان نادرة.

5- وتأسيساً على هذا فإن السلطة لم تكن مَعْنِيَّة بالتدخل في شأن هويات المالكين في حالات إنتقال الملكية او عند استئجار العقارات لمدد طويلة، حتى لو كانت تلك العقارات أوقافاً إسلامية بحتة، دليلنا على ذلك أنه سمح لإمرأة يهودية، تدعى (رفقة نورائيل) أن تستأجر سنة 1261هـ / 1845م بالإجارة الطويلة، دار الشفاء التي أنشأها حاكم العراق الجلائري الخواجة أمين الدين مرجان سنة 760هـ / 1358م، ووقف عليها العقارات الكثيرة، ومنها خان مرجان الشهير، لتحولها إلى مقهى يُنفق من رِيعه على مدرسة يهودية أنشأتها باسم (تلمود نوره)<sup>(1)</sup>، فعرفت هذه الدار، منذ ذلك الحين، باسم قهوة المصبغة نسبة إلى سوق الصباغين القريب، أو باسم قهوة الشط لإطلالها على النهر، وهكذا الأمر في عقارات موقوفة أخرى.

والخلاصة أنه لا بد للباحث من اعتماد الوثائق بصفة رئيسة في تقرير نتائج قد تبني عليها فتاعات خطيرة، بدل أن يطلق القول جُزَافاً من أجل تمرير أفكار يُراد بها تشويه حاضرتنا فضلاً عن مستقبل أجيالنا.

---

(1) عبد الحميد عبادة: العقد اللامع بآثار بغداد والمساجد والجوامع، بتحقيقنا، ص345-346. ومحمد رؤوف الشيخلي: المعجم الجغرافي لمدينة بغداد القديمة، ص206.

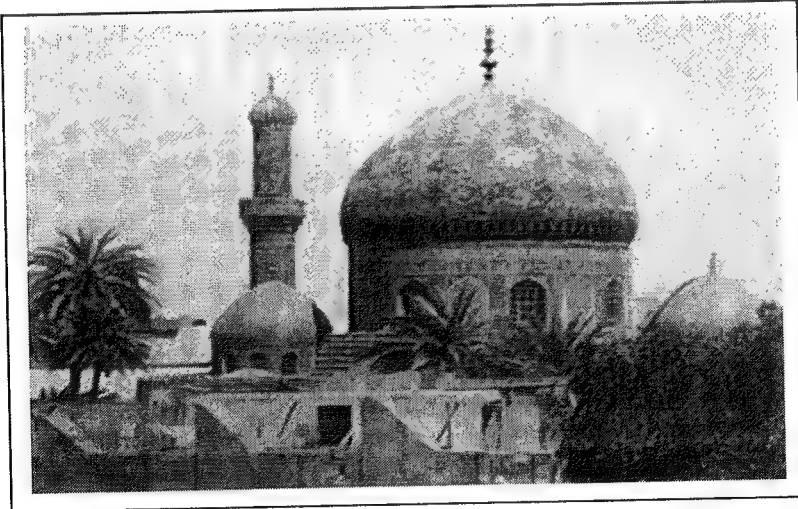


## من داود باشا إلى نقيب كربلاء

لعهد ولاية المماليك في العراق (1162-1247هـ/1749-1831م) أهمية خاصة في تاريخ العراق ابان القرون الأخيرة، وذلك لما اتسم به هذا العهد من تغيرات مختلفة شملت معظم مناحيه، وعلاقات سياسية واجتماعية معقدة نشأت بين مختلف القوى فيه، وبخاصة ما اضطلعت به بغداد من دور متميز في إدارة شؤون المدن العراقية الأخرى، بعد أن كان هذا الدور غير واضح، أو فاتراً، في العهد السابق من الحكم العثماني.

وقد أبدت بغداد نفوذاً متفاوتاً على جميع الأسر الحاكمة آنذاك، مثل الجليليين في الموصل، والبابانيين في قلا جولان ثم في السلیمانية، والبهدينانين في العمادية، وآل عبد الجليل في الحلة، وآل الملالي في النجف، والنقباء والسدنة في كربلاء، وغيرهم.

ولكن هذا النفوذ أخذ بالتعاضم السريع كلما اقترب عهد المماليك من نهايته، لا سيما في عهد آخر ولاتهم داود باشا (1232-1247هـ/1816-1831م)، فتم إزاحة جميع تلك الأسر الحاكمة بعد صراعات ونزاعات عديدة، وبذل كل مسعى لاستبدال تلك السلطات المحلية بسلطة بغداد المركزية.



جامع الحیدرخانة في بغداد الذي اعاد بناءه داود باشا

ومن المدن التي سعى داود باشا لفرض سيطرته المباشرة عليها، مدينة كربلاء، التي كانت تتمتع تلك الحقبة، بحكومة محلية، ثلاثية المظهر، يترأسها نقيب الأشراف، وسادن الحضرة الحسينية، وحاكم يُعيّنه والي بغداد، وكانت الحياة السياسية في المدينة تتشكل على وفق توازن هذه القوى، حيث يتنقل مركز الثقل السياسي بين النقيب والسادن، بينما يمنح ممثل الوالي العثماني، شكل الحكم العثماني للمدينة فحسب.



كربلاء صورة قديمة

ولما كانت خطة داود باشا تتلخص بالإخلال بهذا التوازن عن طريق نقل السلطة الحقيقية في المدينة إلى ممثله فيها، فقد عُيّن حاكماً جديداً هو (فتح الله خان) وزوده بحامية ألبانية (ارناؤوطية) قُدِّرَ عدد أفرادها بنحو (500) جندي. وكان طبعياً أن تشكل هذه القوة الجديدة خطراً كبيراً على الزعامة التقليدية في المدينة. وساعدت الأعمال غير المسؤولة للحامية الألبانية على تأليب الرأي العام ضد الحاكم الجديد، مما أدى إلى اغتيال الأخير في أوائل محرم سنة 1237هـ/تشرين الاول 1821م.

وطالب نقيب الاشراف بإحداث تغيير إداري يكفل للزعامة المحلية نفوذها السابق أو بعضه في الأقل، وذلك بتعيين سادن الحضرة الحسينية السيد محمد علي آل طعمة<sup>(1)</sup> معاوناً لحاكم البلدة الذي سيتولى منصبه مستقبلاً.

وما أن وافق داود باشا على هذا الطلب، حتى قدم النقيب<sup>(2)</sup> طلباً آخر لإسناد سدانة الحضرة الحسينية (وكانت قد شغرت بعد نقل سادنها إلى منصبه الجديد) إلى زوج ابنته السيد محمد علي بن محمد موسى شرف الدين الشهير بأبي ردين، وأيد كل من السيد محمد حسين آغا بزرگ الشهرستاني، ونقيب أشراف بغداد السيد علي بن محمود القادري الكيلاني<sup>(3)</sup> هذا الطلب، فاستجاب داود باشا اليه، مشروطاً على السادن الجديد والنقيب التعاون مع الحاكم الذي عينه حديثاً، ويدعى علي أفندي، على تسليم قتلة الحاكم السابق فتح الله خان، إلا أن بوارد النزاع بين السادن والنقيب من جهة، والحاكم من جهة أخرى، لم تنته بعد، إذ سرعان ما اغتيل علي أفندي نفسه، مما جعل داود باشا يصمم على فتح المدينة واخضاعها بالقوة<sup>(4)</sup>.

ويبدو أن الزعامة المحلية، ممثلة بالنقيب والسادن، شعرت بخطورة نوايا داود باشا، ففضلت تجنب الصدام المسلح بالطرق الدبلوماسية وياتباع سبل تهدئة الخواطر، وكتب نقيب الاشراف رسالة، أرفقها بهدايا، إلى سليمان آغا أحد مقرّبي داود باشا يهنؤه فيها بمنصب (كتخدا البوابين) الذي ناله. واذ كان قد مضى على هذا التعيين خمسة أشهر، فمن الواضح أن رسالته وهداياه كانت تهدف إلى إزالة ما يكون قد وقع في النفوس من تكرار بسبب اغتيال علي أفندي من ناحية، وجس نبض داود باشا نفسه من ناحية أخرى.

وعلى الرغم من أهمية هذه الرسالة بالنسبة إلى ما جرى بعدها من أحداث، إلا

---

(1) هو السيد محمد علي بن عباس آل طعمة، تولى السدانة من 1218 إلى 1240هـ. وقد شغل منصبه نائباً للمتولي في سنة 1237-1238هـ. كتابنا: الأسر الحاكمة ورجال الإدارة في العراق في القرون المتأخرة، بغداد 1991، ص366.

(2) هو السيد حسين بن مرتضى آل دراج، وكان قد نال منصبه في 23 شوال 1234هـ/1810م.

(3) هو السيد علي بن محمود بن علي بن فرج الله، ولي النقابة سنة 1225هـ/1810م.

(4) تفاصيل هذه الاحداث في: محمد ابراهيم الهمذاني: كاشف الاعجاز (بالفارسية) وعباس العزاوي: تاريخ العراق بين احتلالين ج6 ص287-288 ومحمد حسن الكليدار: مدينة الحسين ص119-206.

أن أحداً من المؤرخين لم ينقل لنا شيئاً من محتوياتها، ولكننا وقفنا، في أثناء إطلاعنا على بعض المجاميع الخطية<sup>(1)</sup>، على نص الرسالة التي أجاب بها سليمان أغا<sup>(2)</sup> كتحداً لبوابي داود باشا على رسالة نقيب الأشراف المذكورة، ومنها يفهم فحوى هذه الرسالة ومرماها.

ويلاحظ أن رسالة سليمان أغا جاءت مبهمة في مطالبها، لا تخرج عن التأكيد على نقيب الأشراف بإخراج مُسببي الفتن من (أرياب الزينغ والعناد) من البلدة، ونحن نعلم أن المقصود بهؤلاء هم قتلة علي أفندي، وربما فتح الله أيضاً، من حكام المدينة السابقين. وعلى أية حال فإن رسالة سليمان أغا، بعدم إشارتهما إلى أسماء أشخاص بعينهم، أو مطالبتهما بتحديد نوع العقاب المطلوب، قد تركت مجال العمل مفتوحاً للنقيب وأولي الأمر ليتدبروا أمرهم في هذه المسألة.

وتحتوي الرسالة أيضاً جملة من عبارات التهديد والوعيد، في حالة عدم تنفيذ الطلب المذكور، مما يؤكد أنها لاتمثل رأي سليمان أغا باعثها، وإنما رأي داود باشا نفسه.

وفهم من الرسالة أن وفداً كريلائياً قدم إلى داود باشا في فترة سابقة، وأن عفواً صدر من الأخير عن أحداث جرت قبلها، ولكنها لا تشير إلى تاريخ صدور هذا العفو، وماهية الأحداث التي أدت إليه، بيد أننا نرجح أن صدره كان بعد حادثة اغتيال (فتح الله خان) مباشرة، فلقد سبق أن ذكرنا أن داود استجاب لمطلبين رفعهما نقيب كريلاء، بعد تلك الحادثة، هما تعيين أحد أعوانه معاوناً للحاكم، وتعيين زوج إبنته سادناً للحضرة الحسينية، فلا يُعقل أن تكون استجابته قبل اصدار عفو شامل عما سبق من أحداث مهمة. وعلى هذا يكون وصول الوعد وصدر العفو في أحد أيام الفترة الممتدة من أول سنة 1237هـ/ 1821م وهو تاريخ مقتل فتح الله خان، إلى أوائل سنة 1238هـ/ 1822م وهو تاريخ مقتل علي أفندي، فبعد الحادث الأخير كانت نية داود باشا قد تبدلت على ما يفهم من رسالة سليمان أغا بوضوح.

---

(1) مجموعة السيد عبد الفتاح الادهمي واعظ جامع الشيخ عبد القادر الكيلاني (مخطوط منه نسخة في مكتبة المرحوم عباس العزاوي، اطلعنا عليها ولده المرحوم فاضل سنة 1971).

(2) تولى منصبه وكالة سنة 1239هـ، كتابنا: الأسر الحاكمة، ص 83.

وتاريخ الوثيقة، كما جاء في المجموعة الخطية التي تحتويها، هو 10 لـ (شوال) سنة 1239هـ/1824م، فهي اذن اول وثيقة تفصح عن نوايا داود باشا وخططه، وهي الخطط التي بدأ تنفيذها عسكرياً منذ سنة 1241هـ/1825م واستمرت حتى نهاية حكمه، وعرفت باسم (وقعة المناخور) ثم استؤنفت في عهد نجيب باشا (1258هـ-1265هـ/1842-1848م).

والوثيقة من إنشاء الشيخ عبد الفتاح الادهمي<sup>(1)</sup> (توفي سنة 1246هـ/1830م) ولعلها بخط يده، كتبها بأمر سليمان آغا المذكور. ثم انه نقل صورتها في مجموعته الخطية ضمن ما نقله اليها من نماذج منشآته الادبية.

وفيما يأتي نص هذه الوثيقة، عدا ديباجتها فانه أضرب عن نقلها:

(وثانياً: وصلنا كتابكم وأسرنا خطابكم، حيث كان مشتملاً على صدق ووداد مُعِينٍ، وتهنئة لو لم تستعجل بها لكان ذلك أحسن<sup>(2)</sup>، وأما هديتكم فقد وصلت، وبخير القبول قد اتصلت

ثم انكم قبل هذا قد وفدتكم نحو الحضرة العلية، ووردتم من مناهل حياض رياض الرخاء أعذب الموارد السنية، وفزتم بحسن النظر، وحزتم من الإكرام ما لم يكن يخطر في قلب بشر، ونشرت رايات القبول بحسن الشمول لمن أساء واقترف، وبرز التوقيع الغالي من الباب الرفيع العالي: عفا الله عما سلف، على أن تسلكوا أنهج المسالك، وتتركوا الأمور المؤدية إلى الوقوع في المهالك، وأن تصفوا تلك البقعة الشريفة من كدورات الأراذل، وتلقوا عن محاسنها المنفية مساويهم التي ليس تحتها من طائل ونراكم بعد الإقرار أنكرتم، وبعد الإقبال أدبرتم، وصرتكم من

---

(1) هو عبد الفتاح بن محمد أمين بن محمد صالح الأدهمي، ولد ببغداد من أسرة حسينية نزحت من هيت على الفرات، وأخذ العلم عن علماء بغداد، ومنهم أبيه، وسافر إلى دمشق حيث أخذ عن بعض علمائها، وتولى التدريس في مدرسة السيد الشيخ عبد القادر الكيلاني، والوعظ في جامع، وكان أديباً، وله ميل إلى التصوف، وله مؤلفات منها (البهجة الجليلة في المشايخ النقشبندية) وغيره. مصطفى الواعظ: الروض الأزهر ص15-70 ومحمود شكري الألوسي: المسك الأذفر ص260 وكتابنا: التاريخ والمؤرخون العراقيون في العصر العثماني، ط2، لندن 2009، ص232.

(2) يشير متهمكاً إلى ان التهنئة جاءت بعد خمسة أشهر من تسنمه منصبه.

الخصال الذميمة في مرح وفير، وعدتم إلى أقبح ما كنتم عليه، (أَقَامِنَ الَّذِينَ  
مَكَّرُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ يَخْسِفَ اللَّهُ بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا  
يَشْعُرُونَ)<sup>(1)</sup>.

أما والذي لا مؤثر في الوجود سواه، ولا معبود في الحقيقة إلا، لئن لم تنتهوا  
عن خلفكم ومينكم، ولم تُخرجوا هؤلاء الأراذل من بينكم، لنَعْقِدَنَّ عليكم رايات  
العزم، مُطَرَّزة بطراز العز والبها، ولنأتينكم بجنود لا قبل لكم بها، ولنسلنَّ تلك  
الحضرة المنورة، ونصوننَّ تلك الأستانة المطهرة، كما تُسَلُّ الشعرة من العجين،  
وكما يُصان عن المؤذيات الجنين، ثم نخرب الديار، ونقطع من الأصول فروع  
النخيل والأشجار، ونسفك دماء الكبار والصغار، ولان بقي منكم إبدأ ديار. وها نحن  
قد أندرناكم، وبعد الإنذار خيرناكم، وهذا جزاء كل مجرم، ومن يهن الله فما له  
من مكرم ولأجل إفادتكم بالحال، وإطلاعكم على حقيقة الأحوال، حررنا قائمة  
النصيحة والتذكير، لدى وصولها بعون الملك القدير، أن تُشَمِّرُوا عن ساعد الجد  
والإجتهاد، وتخرجوا عنكم أرباب الزيغ والعناد، وتجلبوا رضا حضرة أفندينا ولي  
النعم، وتمتثلوا أمرنا فإنه لكم أسلم، والسلام

سليمان كتخداي بوابين

---

(1) النحل 45.

## من كتحذا بغداد إلى أمير المنتفق حول تداعيات الحروب الوهابية في شرقي الجزيرة

تُعد حملات الوهابيين على مدن العراق وبواديهِ في أواخر القرن الثامن عشر (أوائل الثالث عشر للهجرة) من الأحداث المهمة التي تركت آثارها على مجمل الحياة السياسية والاجتماعية والعسكرية في العراق في خلال القرون الأخيرة، فلقد أدت العمليات العسكرية المفاجئة التي تعرضت إليها مدن العراق الجنوبية والفراتية، وبخاصة تلك التي تقع على حافة البادية مثل النجف وكربلاء والزيبر وعانة<sup>(1)</sup>، إلى تداعيات مختلفة في بنيان المجتمعات العراقية هنالك، وبخاصة ما يتعلق منها بعلاقة حكومة المماليك بشيوخ القبائل العربية، وموقف المماليك من المسألة القبليّة بشكل عام.

فبعد أن كانت سياسة المماليك تحوم، منذ عهد حسن باشا مؤسس نظامهم<sup>(2)</sup>، حول هدف واحد، هو تفكيك وحدة القبيلة، وخلق المناسبات لإضعاف ارتباطها بغيرها من القبائل وتقليل أهميتها العسكرية، فإن ظهور الخطر الوهابي غير هذه السياسة إلى الضد تماماً، حيث سعت حكومة المماليك إلى محاولة تجميع القوى القبليّة من جديد، وإسنادها بدعم رسمي كبير، بهدف اتخاذها سداً بوجه قوة الوهابيين، وكان نصيب إتحاد قبائل المنتفق<sup>(3)</sup> من آثار هذه السياسة الجديدة كبيراً،

(1) رسول حاوي الكركوكلي: دوحة الوزراء (ترجمة موسى نورس) وابن بشر: عنوان المجد ص 122. ولعل الشهاب في سيرة محمد بن عبد الوهاب ص 90 وياسين العمري: غرائب الأثر ص 57.

(2) حكم من 1116 إلى 1136هـ / 1704-1723م.

(3) بنو المنتفق قبيلة عربية قديمة كان لها شأن سياسي في منطقة البصرة في القرن العاشر للميلاد (الرابع للهجرة) واستطاع شيوخها أن يحكموا البصرة فترات متقطعة في العهدين الجلائري والتركمانى ثم لف الغموض تاريخهم القبلي بعد ذلك، حتى عاد اسمهم ليطلق في القرن السادس عشر للميلاد (العاشر للهجرة)، على اتحاد قبلي قوي تكوّن في منطقة الفرات الأوسط، فتقبل بدء العصر العثماني تمكن الشريف حسن، وهو رجل من أشراف الحجاز أن يوحد بين ثلاث قبائل عراقية، هي آل الأجدود، وآل مالك، وآل سعيد، ويتولى هو زعامة (إمارة) الاتحاد الجديد، الذي عرف بإمارة المنتفق، وقد شكلت أسرة الشريف المذكور، بزعامتها الاتحاد، قوة مرهوبة الجانب، سيطرت على القسم الجنوبي من حوض الفرات وشط العرب سيطرة تامة في ظل السيادة العثمانية، وعرفت الأسرة بآل شبيب، ثم بآل السعدون.

انظر: سليمان فائق: مرآة الزوراء ص 145 وتأريخ المنتفق حاشية لعلّي الشرقي ص 72-73 ويعقوب سرّكيس: مباحث عراقية 8/1 و 72 و 202.

يتناسب مع ضخامة حجمها، وموقع (ديرتها) المهم، المسيطر على بوادي العراق الجنوبية، وما ينضوي تحت لوائها من قبائل وعشائر عديدة. ويذكر سليمان فائق أنه حينما استولى الوهابيون على الحرّمين الشريفيين «انجبرت ولاية بغداد آتخذ على التغامض عن أعمال رؤساء عشائر المنتفق، لكي يوسعوا ويزيدوا قواهم، فيتمكنوا من إخماد فتنة الوهابية»<sup>(1)</sup>.

وكان من نتائج هذه السياسة، أن زادت سطوة المنتفق على منطقة البصرة وقراها، وملكوا جميع ما يحيط بها من أماكن فيما عدا مدينة البصرة ذاتها، وقرية أو اثنتين<sup>(2)</sup>، واضطرت حكومة المماليك إلى إغضاء الطرف عن أعمال المنتفق السابقة، فأقرت شيخهم، ثويني بن عبد الله علي إمارته، فكان ذلك اعترافاً منها أيضاً بأعماله التالية<sup>(3)</sup>. وفي عام 1213هـ/1798م جهّز ثويني، إثر حملة وهابية على الأحساء<sup>(4)</sup>، جيشاً كثيفاً من قبائل المنتفق وأهل الزبير والبصرة ونواحيها، وجميع بوادي الضفير وبني خالد، وسار معه أسطول من البصرة، لاستخلاص الأحساء، إلا أن اغتيال ثويني نفسه كسر الحملة، ففترق جيشه، واستولى الوهابيون على مدافعه ومعداته<sup>(5)</sup>، فكانت تلك الحادثة سبباً في إضعاف هيبة المنتفق في العراق نفسه، واضطرت حكومة المماليك ببغداد، إزاء تلك التطورات، إلى توجيه مشيخة المنتفق إلى رجل مُحَنِّك عُرِفَ بحذره وطول أناته، هو حمود<sup>(6)</sup> بن ثامر بن سعدون بن محمد بن مانع الشيبيني، ابن أخي ثويني لأمه<sup>(7)</sup>، فكانت مدة تولّي هذا الشيخ منصبه، على ما تذكر المصادر، من أحفل عهود العلاقات

(1) سليمان فائق: تاريخ المنتفق ص14.

(2) تاريخ المنتفق ص15.

(3) دوحة الوزراء ص204-215 وعثمان بن سند: مطالع السعود ص 82 و89-93، 175-179، 182، و202، 203، 210، 212، 216، 218، 221، 23 وابن بشر: عنوان المجد في تاريخ نجد

112/1 وياسين العمري: الدر المكنون، ورقة 652.

(4) ابن بشر: عنوان المجد ص107 وفليبي، جون: تاريخ نجد (ترجمة عمر الديراوي) ي65، 83.

(5) دوحة الوزراء ص204 وابن بشر: عنوان المجد 112/1، وفليبي ص94.

(6) ويعرف بحمود الثامر، وقد استمرت إمارته إلى سنة 1242هـ/1826م، وخاض خلالها عدداً من المعارك، ومنها معركته المشهورة التي انتصر فيها على عبد الله باشا والي بغداد وقتله، ممهداً لسعيد باشا بن سليمان الكبير الوصول إلى منصب الولاية. وقد عمي في أواخر أيامه وتوفي في بغداد ودفن في غربتها، أنظر مباحث عراقية 6/1-7.

(7) مطالع السعود ص 221 ومختصره ص61.

الملوكية- المنتفكية بالتعاون والتسيق بين قوى الطرفين، كما أنها- في الوقت نفسه- من أشد العهود ارتباكاً وقلقاً، نظراً لما كان سببه الوهابيون من خطر على وجودهما معاً، فإذا أضفنا إلى ذلك كله اختلاف مصالح الطرفين، وتباعد مواقفها السابقة، لاحظت لنا صعوبة دراسة هذه الفترة التاريخية، وحاجة الباحث فيها إلى مزيد من الضوء للكشف عن ظروفها ومخفياتها.

وكنا قد عثرنا، أثناء بحثنا في ذلك العهد، على وثيقة مهمة<sup>(1)</sup>، هي رسالة رسمية موجهة من علي باشا كتحدا (مساعد ونائب) والي بغداد سليمان باشا الكبير<sup>(2)</sup> وقائد جيش المماليك، إلى الشيخ حمود الثامر أمير قبائل المنتفق، تكشف عن جوانب خفية من طبيعة العلاقات بين الطرفين في فترة الغزوات الوهابية.

وتأريخ الوثيقة، كما ورد في آخرها، هو 23 ربيع الأول سنة 1216هـ/ 1801م، أي قبل نحو تسعة شهور من حادثة هجوم الوهابيين بقيادة سعود بن عبد العزيز على مدينة كربلاء في يوم عيد غدير خم 18 ذي الحجة من العام نفسه<sup>(3)</sup>. وليس في المصادر أية إشارة إلى مثل هذه الرسالة، وإنما يورد رسول حاوي الكركوكلي، في أخبار السنة المذكورة<sup>(4)</sup>، خبراً عن رسالة أرسلها حمود الثامر نفسه إلى سليمان باشا الكبير والي بغداد «يخبره أن سعود بن عبد العزيز وجموعاً غفيرة من الوهابيين انحذروا نحو العراق»<sup>(5)</sup>، غير أن الكركوكلي لا يزيدنا تفصيلاً عن محتويات هذه الرسالة، أو تأريخها، لذا فنحن لا نعلم- على وجه الدقة- ما إذا كانت سابقة على رسالة الكتحدا التي بأيدينا أم لاحقة لها، وأن كان الاحتمال الأول هو الأرجح، نظراً لخلو رسالة الكتحدا من أية إشارة إلى رسالة سابقة لحمود، فضلاً عن أن فيها ما يشير إلى أنها كُتبت، وعلي الكتحدا وجنده معسكرون في مكان ما خارج بغداد، منذ شهرين من

(1) ضمن مجموعة خطية في المكتبة القادرية ببغداد.

(2) من الشخصيات السياسية العسكرية البارزة في تأريخ العراق في عهد المماليك، نال منصب (كتحدا) المهم، مع رتبة (ميرميران) سنة 1211هـ/ 1796م، ثم تولى الحكم بعد وفاة سليمان باشا الكبير سنة 1217هـ/ 1802م واستمر والياً حتى مقتله سنة 1222هـ/ 1807م.

(3) ميرزا محمد تقي الكاشاني: ناسخ التواريخ، مجلد القاجارية ص 63 والخونساري: روضات الجنات ص 353 و 516 ورحلة أبي طالب خان (ترجمة مصطفى جواد) ص 385.

(4) دوحة الوزراء ص 216.

(5) دوحة الوزراء ص 216.

تأريخ كتابتها، فإذا ما علمنا، إستناداً إلى الكركوكلي أيضاً، أن الكتخدا أضطر، في مفتتح سنة 1216هـ (أواسط سنة 1801م)، إلى قضاء ثلاثة أشهر تقريباً في بلدة (شفاثا) جنوب كربلاء، تحسباً لغارة الوهابيين المتوقعة<sup>(1)</sup>، فيكون قد كتبها في أثناء مكوثه في هذا المكان، أي قبل أن يرسل إليه حمود برسالة التحذير المذكورة ببضعه أشهر.

وتكشف رسالة علي باشا الكتخدا عن جملة معلومات مهمة بصدد موقف المماليك من حركة الوهابيين من جهة، ومن حمود الثامر أمير المنتفق من جهة أخرى، حيث يفهم مما أورده المذكور أن من اسمه عبد المحسن<sup>(2)</sup> أرسل يطلب لجنده رصاصاً وباروداً من متسلم<sup>(3)</sup> البصرة بهدف الدفاع عن بلدة (الزبير)، والظاهر أنه كان نازلاً بالقرب منها، إلا أن متسلم البصرة حوّل طلبه هذا إلى والي بغداد، الذي استغرب من الطلب، على اعتبار أن منطقة البصرة داخلة في نطاق دفاع حمود نفسه، كما أنها قريبة من مواقع المماليك، ولعله يشير هنا إلى معسكر الكتخدا في شفاثا.

ويبدو أن سكان الزبير<sup>(4)</sup> كانوا يطالبون، نظراً لاضطرارهم عدم ترك بلدتهم، إلى زيادة في الأرزاق المخصصة لهم، وأن حموداً أبلغ متسلم البصرة بذلك، بيد أن رد علي باشا جاء مُوضّحاً ضعف موقف المماليك العسكري والمالي، حيث تضمنت رسالته جملة من الاعتذارات والتبريرات، هي:

(1) المصدر نفسه ص214.

(2) ليس في الرسالة ما يوضح علاقة عبد المحسن هذا بحمود، وحقيقة دوره، وعليه فليس واضحاً تماماً لماذا أختار علي باشا حموداً ليخاطبه بشأنه، ويعيد أن يكون عبد المحسن بن سرداج شيخ بني خالد وحليف المنتفق، لأن وفاته كانت قبل هذا التاريخ، في حدود 1201 و قبل 1204هـ.

أنظر: مجهول: لمع الشهاب في سيرة محمد بن عبد الوهاب ص67-71.

(3) متسلم البصرة في هذه الأثناء هو سليم بك، وقد تولى منصبه من 1216 إلى 1217هـ. مطالع السعود ص242، 243، 272-276، 280، 245، 379 ومختصره للحلواني 70، وكتابنا: الأسر الحاكمة ورجال الإدارة والقضاء في العراق، ص405.

(4) وكان يتولى حكم بلدة (الزبير) في هذه الأثناء إبراهيم بن ثاقب آل وطبان وقد عينه حمود الثامر سنة 1213هـ واستمر في منصبه إلى سنة 1237هـ. عبد الرزاق الصانع وعبد العزيز العلي: إمارة الزبير بين هجرتين، الكويت 1985، ج1 ص68 وحسين خلف الشيخ خزعل: تأريخ الكويت السياسي 93/1.

1- أن حكومة المماليك لا تجد من المال ما يكفي لتغطية نفقات حمود وطلباته بسبب إرسالها الحصة المالية المفروضة عليها إلى الدولة العثمانية.

2- أن حكومة المماليك محتاجة إلى مبالغ ضخمة لإنفاقها على جيشها الذي يقوده علي باشا الكتخدا والمتجمع في (شفائثا) منذر شهرين، خاصة وأن إيرادات البصرة لا تكفي لتغطيتها.

3- أن التعبئة المعلنة في البصرة تكلف حكومة المماليك مالا أيضاً.

4- أن مبالغ وفيرة أرسلت إلى حمود الثامر نفسه، من قبل، بصفة رواتب لجنده. وأسلوب الرسالة يكشف عن ضعف موقف المماليك بوجه عام، فهو مزيج من التودد والاعتذار، وهذا مظهر واضح من مظاهر اعتماد المماليك على القبائل العربية، وبخاصة اتحاد قبائل المنتفق، في درء الأخطار التي كانت تهدد العراق إبان فترة الغزوات الوهابية في أوائل القرن التاسع عشر، على ما أشرنا إليه من قبل.

ويلاحظ أن الرسالة مكتوبة بلغة عربية ركيكة، وفيها من الألفاظ والتعابير العامية غير قليل، وهي بذلك أنموذج على لغة الموظفين العثمانيين في العراق في عهد المماليك.

### نص الوثيقة

(أزكى السلام التام بمزيد المودة والإكرام، ومديد التوقير والاحترام، إلى جناب قدوة القبائل والعشائر، عمدة البطون والعمائر، شيخ مشايخ المنتفق، الأخ سلّمه الله تعالى وأعانه، وأكرمه ولا أهانه.

أما بعد، فالباعث لتعبير كتاب المودة، هو أنه في هذه الدفعة وردّتنا معروضات من أخينا الأكرم متسلم البصرة، ومن الجملة مُرسل لنا قائمة أخيك عبد المحسن التي مُرسلها إليه على خصوص الرصاص والبارود لأجل سقمانية<sup>(1)</sup> النجادة<sup>(2)</sup>، ومححر عن حال أهل قصبه سيدنا الزبير رضي الله تعالى عنه، بأن قبل هذا كان

(1) السقمانية تقدم توضيح هذا المصطلح في هذا الكتاب، والمقصود به هنا الهدافون أو القناصة بالبنادق مطلقاً.

(2) يريد القوات النجدية الملتحقة بقيادة حمود الثامر.

سبب جلب معاشهم من الخارج، وأن الان انقطعت أسباب معيشتهم، ومقصوده توجيه معيشتهم<sup>(1)</sup>، ومُكثِر في التمر بمثل هذا التقريب، وحيث أن المسلم المومى إليه ما هو ممارس حال ذلك الطرف، بناء على ذلك مُرسِل القائمة المذكورة لطرفنا، ولما عُرِضت على الحضرة العلية<sup>(2)</sup> استغرب هذا التحرير من أخيك، حيث أولاً: مثل جنابك مُعْتَمِد حضرة أفندينا ولي النعم- أيده الله تعالى- وسلاحه بذلك الطرف، ولا قاعد يُقَصِّر بأمر المحافظة المطلوبة. وثانياً: أهل القصبَة المرقومين إلى الآن ما بيّن عليهم أحد ولا قصدهم عدو، فهذا حالهم والعياذ بالله تعالى إذا قصدهم العدو كانت يصير حالهم (كذا)، وقد تيقنا أنهم بوقت اللازم ما ينفعون، لأنهم لو قد ظهر العدو عليهم وقصد السوء معهم فإن البصرة قريبة منهم وجنابك غير بعيد عنهم، واحنا أيضاً<sup>(3)</sup>- بعونه تعالى- ما نغفل من طرفهم، ولكن هل مال<sup>(4)</sup> الذي ذكره أخيك فإنه المعلوم جنابك كيفية ترادف المصارف الذي اتفقت على الحضرة السنية، أولاً: شيء كُلِّي راح إلى جانب الدولة العلية. والثاني: صار لنا مدة شهرين بهل<sup>(5)</sup> مكان، وبمعيّتنا هل أكثر عساكر وفيرة، ويومية يقتضي لأجل مصارفهم مبالغ خطيرة، ومدة أقامتنا متمادية، ومصارفنا لم تزل متزايدة، ومع هذا بالبصرة أيضاً تعينوا أهل كثير سقمان ويريد لهم شيء كلي مصارف، ولجنابك كذلك توجه مبلغ وافز لأجل مشاهرة<sup>(6)</sup> السقمان. غير هذا فأن مقتضيات سائر اللوازم ما يحيط بها الحَصْر، وليس الخبر كالعيان. وإن كان أهل قصبَة سيدما الزبير-رضي الله تعالى عنه- يريدون إدارتهم فوق هذه الأشياء ليست بمقدور أحد فهذا تكليف ما لا يُطاق. ومجزومنا أن جنابك ما يوافق على زيادة كلوفة الحضرة العلية ولكن إنكان<sup>(7)</sup> يقتضي لهم إعانة بشيء يسير وما فيه صعوبة علينا ولا زيادة كلوفة، فقد تحرر من طرفنا إلى المومى إليه المسلم بك عليه، وإنكان<sup>(8)</sup>

(1) يريد: رواتبهم وعلوفاتهم.

(2) يريد والى بغداد سليمان باشا الملقب بالكبير.

(3) يريد: ونحن أيضاً.

(4) يريد: هذا المال.

(5) يريد: بهذا المكان.

(6) المشاهرة: الرواتب الشهرية.

(7) يريد: إن كان.

(8) إن كان

قصدهم إدارة حالهم ما دامت الحرب<sup>(1)</sup> قائمة، فهذا حال غير ممكن التيسير ولم نرى له وجه تدبير<sup>(2)</sup>. فعاد جنابك تتأمل، فإن عرفتَ اكتفاء المرقومين بشيء من غير كلوفة كُليّة، فكما ذكرنا أنه تحرر إلى المومى إليه على تدبيره، لأن يا أخي إيراد البصرة معلوم جنابك ولا هو خُفي عليك، وتعرف مصارف الدونمة<sup>(3)</sup> وغيرها ما يقوم بها الإيراد، وإذا بقي منه بعض زيادة فهو أيضا يصير لازم لأجل مصارفنا بهذا الطرف، والألمجوزم جنابك إن المال ما يعز على النفس، ولو تيسر الإمكان منه ما كما نشح فيه بمثل ردع هل باغي<sup>(4)</sup> الباغي المردود المخدول، فإذا صار معلوم جنابك يقتضي أن ترسل (صالح السحاب) لطرفنا حتى نتذاكر معه على تمشية مثل هذه الأحوال وغيرها بما يناسب مصلحة الأمور. ولأجل ذلك حررنا كتاب المودة وأرسلناه بمنّه تعالى، عند الوصول والاطلاع على المضمون بعد هذا، فلا تقطع الإعلام والأخبار الحادثة منطرفنا<sup>(5)</sup> على الدوام، وخُص جنابك منا بالسلام.

المحب

علي باشا كتخدای بغداد

23 (ربيع الأول) 1216

---

(1) الحرباء: يريد الحرب.

(2) هذه الفقرة غير واضحة لنا، حيث لم نفهم حقيقة طلب أهل الزبير (إدارة حالهم) ما دامت الحرب قائمة.

(3) الدونمة: السفن البحرية أو الأسطول.

(4) يريد: هذا الباغي.

(5) يريد: من طرفنا.



## آراء بشارة تقلا السياسية في تقاريره السرية

كان تأسيس جريدة الأهرام حدثاً مهماً في تاريخ الصحافة المصرية بل العربية عامة، فعلى الرغم من كثرة الجرائد اليومية والعربية المعاصرة لها، فإنها استطاعت، بنشاط مؤسسيها، أن تبرز أكثر تلك الصحف في رصد ما يحدث ومتابعته من ناحية، وفي حيدتها الفكرية ونضجها السياسي من ناحية أخرى، وفي عصر كانت الحياة الصحفية تشكو الكثير من المراهقة بل الفوضى، أثبتت الأهرام أنها الأكثر رسوخاً بين غيرها من الصحف، ربما أنها لم تكن الأعلى صوتاً، لكنها الأقوى على إقناع القارئ وكسب ثقته. ولا شك في أن لشخصية المؤسسين وثقافتهم دوراً بارزاً في أن تبدأ الصحيفة مسيرتها على هذا النحو، ومن هنا لابد صار لزاماً على الباحث أن يتوقف عند سيرة مؤسسي الجريدة الأخوين بشارة وسليم تقلا، الشابين اللبنانيين اللذين ولدا في (كفر شيعا) في لبنان، ثم انتقلا إلى مصر وعاشا في الإسكندرية، لكن أفقهما كان، منذ اللحظة الأولى لصدور الصحيفة في 1876، أكثر سعة وامتداداً ليشمل أقطارا عربية أخرى، وأكثر رغبة في التطور، إذ ما لبثت الجريدة الأسبوعية أن تحولت بعد شهرين فقط إلى جريدة تصدر كل يوم<sup>(1)</sup>.



بشارة تقلا

(1) ينظر يونان لبيب رزق: الأهرام ديوان الحياة المعاصرة، مركز تاريخ الأهرام، القاهرة، 1993. و أنور الجندي : الصحافة السياسية في مصر منذ نشأتها إلى الحرب العالمية الثانية، مطبعة الرسالة، القاهرة 1962 وأديب مروة: الصحافة العربية منذ نشأتها وتطورها، دار مكتبة الحياة، بيروت 1961.

وكان من حسن طالعنا، في هذا المجال، أن وقفنا على ثلاثة تقارير كتبها بشارة تقلا إلى صديقين له، نظن أنها لم تنشر من قبل، وهي

## التقرير الأول

### مقدمة

محفوظ في الارشيف العثماني باستانبول، أوراق يلدز، رقم القسم 18، رقم الاوراق 553/509، رقم الظرف 93، رقم الكارتون 38.

كتب بشارة هذا التقرير في القاهرة في 12 نوفمبر سنة 1886م. وأرسله إلى رجل يدعى يوسف افندي، لم تتوضح لنا هويته، وقد وصفه بأنه صديقه.

ويتضمن التقرير معلومات وتحليلات عن مجمل الأوضاع في مصر والسودان ويمكن تلخيصه على النحو الآتي:

1- افتتاح التقرير بإبداء الولاء المطلق للدولة العثمانية وللسلطان، وهو عبد الحميد الثاني .

2- إن تدهور الأحوال الاقتصادية في مصر جاء نتيجة الاحتلال البريطاني

3- تقدم الثورة المهدية في السودان واستقطابها ولاء عدد من سكان الصعيد .

4- تفاؤل بريطاني عن هذه الأوضاع لتكون حجة لها في السيطرة على مصر، لا سيما بعد اضطراب المصريين إلى طلب مساعدة بريطانية ضد التقدم السوداني «وهو ما يغير شكل المسألة المصرية» .

5- ضرورة الوقوف بحزم ضد هذا التدهور وتوضيح مخاطر هذه السياسة للدوائر البريطانية .

6- نتيجة لضعف سياسة الصدر الأعظم (رئيس الوزراء) كامل باشا وميوله البريطانية فهو يدعو أن يتولى السلطان بنفسه، وهو هنا عبد الحميد الثاني، هذه المهمة.

6- يحذر من قدوم رجل فارسي اسمه سليم افندي يدعي انه انكليزي التبعة، ليصدر جريدة في مصر، ويرى ان الغاية من قدومه الى مصر هي التجسس على الحركة الوطنية وتقديم المعلومات الى سلطات الاحتلال البريطاني.

7 - تكليفه بالحصول على كتاب في التاريخ من لبنان.

وفيما يأتي نص هذا التقرير

القاهرة في 12 نوفمبر أفرنجي سنة 86 [1886م]

صديقي وعزيزي يوسف أفندي.

ورد كتابكم الكريم، وكان لوروده شأن في فؤاد من لايفتر عن ذكركم، وما أفدتموه من الأمور تطالع بكمال الدقة والاهتمام، وإننا متفقون معكم رأياً ومبدأً بوجوب دوام تقديم الأدعية الخيرية بطول عمر وبقاء إقبال الحضرة العلية المقدسة السلطانية، ووجوب بذل ما عزَّ وهان لأجل خدمة صوالح البلاد بصدقة<sup>(1)</sup>، وإن من يتحلى بحل الصداقة والاستقامة خدمة سيدنا ومولانا الخليفة الأعظم الشريف، وخدمة سلطنته السنية، فلا يكون خاسراً. أي نعم!، إن ما أتى في كتابكم المذكور هو عين الحق وكل الصدق وليس عليه مَرَدٌ، وهو شأننا وعليه نسير والله الموفق. فهذا هو طريقنا سرنا عليه منذ بداية المسألة المصرية وسنداوم السير ولا يصدنا بحول الله أمر، كيف لا ونار بلادنا المصرية منذ حلول الجنود الانكليزية في تأخر واضمحلال، وكلما طال زمن الحلول زادت المسألة صعوبة والبلاد أضراراً، فإن مصر التي كانت قبل دخول الانكليز اليها زاهية بساية<sup>(2)</sup> ظل الله في الأرض، لم تعد كما كانت، فرواج تجارتها أمس أصبح كساداً، ووفور الدراهم أصبح قليلاً، والمضايقة كل يوم في ازدياد، ولا نعلم كيف تكون العاقبة. وترونا في كل عدد من الأهرام نبسط حقيقة الحالة دون مبالاة بغيظ الإنكليز وكدرهم منا، فما نُبدي إلا ما فرض علينا من واجبات الذب عن الوطن.

أما مركز الإحتلال فينيبيء بالوَبال<sup>(3)</sup>، فالسودانيون يداومون التقدم دون من يصدُّهم وقوتهم ذات شأن، وكثيرون من أهالي الصعيد ينضمُّون اليهم، وذلك كرهماً

(1) يريد: بصدق.

(2) ساية فارسية، تعني ظل.

(3) على الرغم مما أبداه بشارة تقلا من كره شديد للإنكليز وتأييده الثورة العرابية في بدئها إلا أنه انقلب على هذه الثورة بعد فشلها في تحقيق أهدافها. ينظر محمود محمد شاكر) وأقول نعم، موقع طريق الاسلام)، إذ نقل عن أحمد عرابي حديثه عما لقي في سجنه بعد هزيمته: «وبعد ساعة جاء ليزورني بشارة تقلا، مُحَرَّر جريدة الأهرام، وظننت أنه قدَّم ليعزيني، ويُبدي عواطفه نحوي، وقد كان ممن يدينون بمبديتنا قبل الحرب، وقد أقسم بدينه وشرفه أنه واحدٌ منا، وأنه يعمل لحرية وطننا، وقد عددناه في الحق من الوطنيين، ولكنه لما دخل عليّ توقَّع أشدَّ التوقُّع، ثم قال: أي عرابي، ماذا صنعت؟ وماذا حلَّ بك؟ ورأيت أن الرجل خائنٌ ولا شرف له». ونرى ان بشارة كان هنا متطابقاً مع موقف السلطان العثماني غير المؤيد للثورة، وموقف الذين كانوا يرون ان عرابي، او فشله في الدفاع عن مصر، كان سبباً في احتلال البريطانيين إياها. يقول الإمام محمد عبده «لم تكن الثورة من رأبي.. نصحت عرابي بالاعتدال، وقتلت له: إني أرى أن بلاداً

بالإنكليز الذين يتظاهرون بعدم الإعياء، وإن ذلك عن سياسة، فيقال لهم أن دوام القلاقل والحالة الحاضرة تُحوِّلهم سبباً لدوام الحلول<sup>(1)</sup>، فيدَّعون أن مصر لا تزال محتاجة لوجودهم لأجل المحافظة على الأمانة والراحة العمومية، وقد برح من أفكارهم أن نجاح السودانيين ودوام تقدمهم، لا سيما إذا احتلوا مصر العليا، يجعل الاهالي المسلمين دون استثناء أن ينضموا اليهم، فيتغير وجه المسألة وشكلها، وتصبح البلاد في مركز حرج يصعب بعدئذ إصلاح شؤونها، ومن يعلم إذا تم ذلك كيف تجري التقادير، وهل تقدر مصر أن تلم شملها بزمان قريب. وإني أرى أنه قبل الوصول الى هذه الدرجة من الخراب فيسعي قليل وسياسة حازمة يمكن الوصول الى حل موافق، فإن مركز إنكلترا، والمعلوم من مأمورياتها حق المعرفة، كل ذلك أسباب قاطعة تجبر الإنكليز لأن يُسلِّموا بوجوب تركهم البلاد المصرية، إذا كانت الأيدي التي تمتد لمخابرتهم فعالة ومستتدة على عضد وسياسة حازمة مخلصه، وذلك مما لا نؤمله من وزارة كامل باشا<sup>(2)</sup> الإنكليزي المبدأ والمشرّب، ويا حبذا لو كان صاحب البلاد بها<sup>(3)</sup> الذي يهيمه أكثر من سواه رغد رعاياه واستقلال بلاده، يطلع بذاته على حقيقة الحالة، وسر فرح عبيده المصريين بما اشتهر عن عظمتهم من قوة الفكر وشدة الذكاء مع حسن التدبير، وهيهات من أين لنا ذلك، ودون الوصول مراحل، فعلياً أن نداوم سيرنا ولا نعود عن صرحه، والله الموفق الى خير السبيل.

أخبركم أن صديقنا سليم افندي فارسي، قد حضر مع والده الى قطرنا المصري، وبوصوله قدّم بواسطة قونسلاتو انكلترا دعوى بخصوص جريدة مُدَّعى كونه إنكليزياً، وقد عجبنا من هذه الدعوى وكيف مع مظاهرتة<sup>(4)</sup> بالتابعة العثمانية يقدم على مثل ذلك، وأمسينا في شك من حقيقة إخلاصه للدولة والوطن، ونخشى من أنه يُخبر سراً ما يقف عليه من المعلومات الى مأموري الإنكليز، فقُبِّحَ الله من كان ظاهر غيره. هذا ما أكتبه الآن فهل لك أن تفيدني على ما يهمني من الحوادث لديكم؟ وأجيب عني بلثم أذيال من يحق لكل عثمانى صادق أن ينتمي اليه ويفتخر بوجوده،

أجنبية ستحتل أرضنا، وأن لعنة الله ستقع على رأس من يكون السبب في ذلك. محمد عمارة:  
الأعمال الكاملة للشيخ الإمام محمد عبده، دار الشروق، القاهرة 1993، ص 614.

(1) الحلول هنا: التدخل والاحتلال.

(2) هو الصدر الأعظم في الدولة العثمانية 1885-1891م.

(3) يعني السلطان عبد الحميد الثاني 1876-1909م.

(4) يريد: تظاهره.

اسهم الدولة والوطن الوزير الخطير دولتو جودت باشا الافخم، وأن تعرض لديه ان سير الأمر في لبنان بوجود كويليان افندي يدعو [إلى] دقة النظر، وأن ترسل اليينا بالمجلد الأخير من تاريخه الشهير<sup>(1)</sup>، وأن تعرفني متى يكون خروجكم من الآستانة العلية، وهل لا يزال يقترح المرور بمصر فنشاهدكم وتروى غليل الأشواق والسلام.

أخوك بشارة تقلا.

## التقرير الثاني

### مقدمة

محفوظ في الأرشيف العثماني بإستانبول، أوراق يلدن، نوع البحث: 3955  
رقم القسم: 18، رقم الاوراق: 553/515، رقم الطرف: 93، رقم الكارتون 38.  
كتب بشارة هذا التقرير بالعربية إلى صديقه أحمد جودت باشا<sup>(2)</sup> ليرفعه إلى الجهات العليا في الدولة العثمانية، مرفقا إياه برسالة قصيرة ذات طابع شخصي .  
وهذا التقرير مؤرخ في 3 ابريل (نيسان) 1894م. ويظهر من سياقه أنه كتبه في أثناء زيارة له الى برلين. وواضح انه يتضمن معلومات وآراء يمكن ان توصف بأنها خطيرة، وربما كانت خطورتها وراء إرساله من برلين وليس من مصر.

وخلاصة ما أورده في هذا التقرير الاتي

1- شراء الإنكليز ذمم أفراد من المصريين الذين عملوا في مجال الصحافة فروجوا إلى سياسة الاحتلال، لا سيما في السودان حيث وجدوا لهم مؤيدين بين زعمائهم.

(1) يريد من تاريخ جودت المسمى (تاريخ وقائع الدولة العثمانية).

(2) ولد سنة 1822م في إحدى مدن بلغاريا، وانتقل الى استانبول حيث درس العلوم العصرية، واجاد اللغتين العربية والفارسية الى حد أنه كان ينظم بهما، فضلا عن نظمه بالتركية، أظهر نبوغا في مجال الفكر التاريخي والقانوني فعين مساعداً للصدر الأعظم، مصطفى رشيد باشا، في أثناء إعداده للقوانين، كما بذل جهوداً جمة في مجالات الثقافة والتعليم، ثم أنه وضع تاريخاً موثقاً كبيراً باسم (تاريخ وقائع الدولة العثمانية) وشارك في لجان وضع القوانين العثمانية الجديدة، ومنح رتبة وزير، ولقب باشا، واختير لمنصب ناظر الحقائق ( وزير العدل) خمس مرات (1870, 1875, 1876, 1879, 1886) ولمنصب ناظر المعارف (وزير التربية) ثلاث مرات (1873, 1875, 1876) ولمنصب ناظر الداخلية مرة واحدة (1876)، وللأوقاف (1877) وللتجارة (1878) مثلاً. كما عمل صداراً أعظم مدة عشرة أيام عام 1879، كما تولى عدداً من الولايات هي: حلب، وبروصة، ومرعش، ويانية، والشام مرتين. وتوفي سنة 1895.

2- أن «الجميع» كان يثهم رياض باشا رئيس وزراء مصر بالإتفاق مع الانكليز كرهاً منه بالأتراك والأسرة الخديوية.

3- اذا استمر الأمر هكذا مما يؤدي إلى الإضرار «بالوطن والإسلام»، فإن من المحتمل أن يؤدي ذلك إلى تدخل الدولة العثمانية.

4- يتناول التقرير قضايا لا علاقة لها بمصر، ولكن تتعلق بلبنان وسوريا بوصفهما أقطاراً عثمانية، منها قضية استغلال ملتزمي ميناء بيروت العاملين فيه وجُلهم من المسلمين. وما كانت تنشره الصحف الانكليزية عن قضايا الفساد في الادارة العثمانية، وعلى الرغم من أنه مسيحي فإنه أظهر غيرة على حقوق المسلمين كونها أصبحت «مهانة ضائعة».

5- التحذير من سليم فارسي الذي أصدر جريدة في مصر مدعياً التبعية لبريطانيا، ويخشى أن يتكرر ذلك في الأقطار العربية الأخرى.  
ونص الرسالة هو:

«مولاي صاحب الدولة والإقبال أحمد جودت باشا حضرتلري.

شرفني أمر سيدي العظيم فشكرته ودعوت، ولا أعجب من إلتفات دولتكم وقد تعودنا أن لا يكون لنا رعاية إلا بوساطتكم، لأنكم من أخلص الجميع وطنية، وأصدق الرجال في خدمة المولى سلطاننا الأعظم، فتقدرون الإخلاص والصدق ضالة عبدكم وعائلته قدرهما، ولهذا لا أعجب إذا نال أخي حبيب ترفيع رتبته الى الأولى من الصنف الثاني، واني سلفاً أقدم إمتثاني أفندم. اعتقدوا مولاي اخلاصي، وحفظكم المولى وأبقاكم. قرينتي أحسن تقدم احتراماتها الى الفاضلة العالمة كريمتكم المصونة، شرفوني بأوامركم سيدي.

بشارة تقلا

(التوقيع). 3 ابريل 1894.

اما التقرير فهذا نصه:

«تقرير

رأى الإنكليز أن الاستبداد وحده لا يكفي لبث مبادئهم، فاستخدموا أصفرهم وأصفر مصر في تعميم مبادئهم، ولهذا أمالوا إليهم أفراداً من المصريين يكتبون في

جرائد الإحتلال الكتابات المُعلّية من شأن الانكليز، وأن لا مناص من حماية انكلترة، وهم يبيثون هذه الآراء في أكثر الأقسام العربية، وقد أفلحوا في السودان وأي فلاح، حتى أنهم يؤكدون أن زعماء السودان طُوع أيدي الانكليز، وأن وقوف عباس باشا<sup>(1)</sup> على ذلك أغاظهم، وكان ما كان من مسألة الحدود. عباس باشا غير راض عن وزارته، وهذه قد ماتت أدبياً لا سيما عن المصريين. والجميع يقولون أن رياض<sup>(2)</sup> متفق مع كرومر<sup>(3)</sup> على ضياع مصر، لأنه يكره الأتراك والعائلة الخديوية، وأنا أخاف أن تكون تلك هي النتيجة ضد الوطن والاسلام، مما يضطر السلطنة الى عمل عظيم يحول دون أغراض الأعداء، وإلا كانت العاقبة وخيمة والله الواقعي.

وَرَدَنِي من بيروت، ولا سيما من المسلمين، رسائل مهولة ضد مُلتزمي مرقاً بيروت والوالي وكثيرين من الرجال في الآستانة، مضمونها إتفاق هؤلاء على إلزام تجار بيروت والمتعيشين بمشروع جديد يكتسب منه الملتزمون مائة ألف جنيه ويقتلون بها حياة البيروتيين ولا سيما المسلمين، وقد وقفتُ على رسائل فرنسية هنا لجرائد انكلترة بمصر وهي شديدة جداً تطعن برجال الحكومة البائعين حقوق الخزينة والأمة بدُريهمات أشبه بالجاري قبل وقوع دولة اليونان وغيرها، وأن حقوق المسلمين مهانة ضائعة في أيدي أمثال هؤلاء الحكام، أما أنا فتمكنت من تأخير نشر هذه الرسائل مؤقتاً، ولكن إذا لم تصدر الأوامر المتعلقة بمنع ضياع أمثال هذه الحقوق الإسلامية والوطنية.

أرَنتُ جرائد مصر هنا أضعاف ما يخافه رجال الآستانة من جريدة سليم فارسي،

(1) هو الخديوي عباس حلمي.

(2) هو مصطفى رياض باشا، ولد سنة 1834 بدأ حياته الإدارية في خدمة الحكومة المصرية سنة 1864 بوظيفة (مبيض) أي كاتب، في وزارة المالية، ثم تدرج في المناصب حتى عُيّن قائممقاماً في دائرة (المعية السنية) بمعية عباس الاول سنة 1869، ثم مديراً للجيزة سنة 1270، فمأموراً لإدارة الفيوم فقنا، ثم وكيلاً للمرور والسكة الحديد، فمأموراً لإدارة المنوفية، ثم عضواً في مجلس الأحكام، ثم أسند إليه منصب وزير الخارجية والزراعة سنة 1292، ثم الحقانية (العدل) وتولى رئاسة الوزراء ثلاث مرات، الأولى من 21 سبتمبر 1878 إلى 10 سبتمبر 1881، والثانية من 9 يونيو 1888 إلى 12 مايو 1891، والثالثة من 19 يناير 1893 إلى 15 إبريل 1894، وأثرت عنه اصلاحات جمة واستصدار قوانين مهمة، وتوفي سنة 1911م. ينظر أحمد زكي: كلمة على رياض باشا وصفحة من تاريخ مصر الحديث تتضمن خلاصة حياته، مؤسسة هنداوي، القاهرة 2014، ص22-28.

(3) المعتمد البريطاني في مصر من 1882 الى 1906.

وخفنا أن تمتد هذه السياسة إلى الأقطار العربية امتداداً يعز على الجماعة تداركه وملافاة أضراره. وما دعاني إلى عرض هذه الحقيقة إلا إخلاصي لسلطاني وصدقي في خدمة وطني العزيز. والله الموفق».



احمد جودت باشا

### التقرير الثالث

#### مقدمة

محفوظ في الأرشيف العثماني بإستانبول، أوراق يلدز، رقم القسم 18، رقم الأوراق 553/569، رقم الظرف 93، رقم الكارتون 38.

كتب بشارة تقلا هذا التقرير بالعربية إلى صديقه احمد جودت باشا بتاريخ 12 آذار (مارس) سنة 1894.

ويتضمن التقرير الأمور الآتية:

1- أدت حادثة الحدود<sup>(1)</sup> الى إضعاف ثقة المصريين، بل العرب في الشام والحجاز، بحكومة الخديوي وبالدولة العثمانية معاً. وهنا يدعو بشارة الى ان تعمل

---

(1) كان الخديوي عباس حلمي قد زار أسوان في 15 يناير 1894 حيث أبدى للقائد العسكري الانكليزي كتشنر ملاحظات انتقد فيها كفاءة الجيش البريطاني، فما كان من الأخير إلا أن عدّها إهانة لهذا الجيش، وأبلغ اللورد كرومر، المندوب السامي البريطاني في مصر بالأمر، الذي ابلغه بدوره إلى الدوائر السياسية البريطانية في لندن مما أثار ثائرة الصحف البريطانية على الخديوي، وكانت النتيجة أن طلب اللورد كرومر منه أن يتراجع عما أبداه من

الدولة العثمانية على حسم ما يسميه (النازلة المصرية) أي قضية هيمنة بريطانية على مقدرات مصر خشية من أن يؤدي ذلك الى تداعيات غير محمودة في استقرار الحكم العثماني في (الأماكن العربية) اي أنحاء الوطن العربي الأخرى، لاسيما سوريا والحجاز وبين النهرين (اي العراق).

2- ينقل حديثاً للسفير البريطاني في إستانبول، وقد اجتمع به في برلين، مفاده أن بريطانيا تهدد الخديوي بأنه اذا لم يسير مع السياسة البريطانية فإنها ستعمل على إقناع الدولة العثمانية بعزله وتنصيب حاكم آخر بدله، لتظهر للمصريين أنها هي الأمرة الناهية في مصر، دون أن تحتاج الى فرض الحماية على البلاد.

3- يظهر التقرير أن بريطانيا كانت تسعى في هذه السنة إلى عقد إتفاق مع فرنسا لتسوية المسألة المصرية، وقد جرى ذلك فعلاً بعد عقْد واحد من السنين، حينما عقد (الإتفاق الودي) بين الدولتين سنة 1904، فصار بمقتضاه أن تطلق بريطانيا يد فرنسا في مراكش، مقابل أن تطلق فرنسا يد بريطانيا في مصر.

4- أوضح التقرير عمق الأزمة التي نشبت بين الخديوي وبين مجلس النظار (مجلس الوزراء)، وهي أزمة معقدة فالخديوي لا يعزلهم خشية من معارضة المندوب السامي البريطاني كرومر لهذا العزل، ومع ذلك فالانكليز يكرهون المجلس، أما الشعب فيحتقرونه. ويتوقع بشارة انه سيجري عزل الوزراء خلال وقت قريب. وقد جرى ذلك فعلاً في 15 ابريل من سنة 1894 اي بعد ثلاثة اشهر من (حادثة الحدود) المشار اليها، ويظهر من التقرير أن طلب كرومر عزل الوزراء جاء موافقاً لرغبة الخديوي أصلاً.

4- متابعة لموقف الزعامات السودانية الموافق للسياسة البريطانية في حلف وسواكن، والمناوئ لها في كسلا، حيث يسيطر عليها الايطاليون.

5 - طلب شخصي بترقية حبيب بك تقلا، اخي بشارة، «مكافأة لصدقه وتشجيعاً له في خطته هذه الوطنية».

---

ملاحظات بأن يصدر أمراً عسكرياً يثي فيه على الجيش البريطاني، فما كان من الخديوي عباس حلمي إلا أن انصاع إلى التهديد، ولم يكتف كرومر بهذا بل طلب منه أن يعزل النظارة (مجلس الوزراء) التي كان يرأسه رياض باشا، ويأتي بنوبار باشا بدلا منه. فكتشفت هذه الحادثة وتداعياتها عن مدى ضعف الحكومة المصرية إزاء قوة بريطانيا واستبدادها. والذي يفهم من تقرير بشارة تقلا ان تداعيات هذه الحادثة كان لها امتداداتها في الاقطار العربية ولم تقتصر على مصر وحدها.

6- عزمه على اصدار جريدة بالفرنسية.

7- يكشف التقرير عن ولاء بشارة تقلا المطلق للدولة العثمانية وأمله في تؤدي دوراً محموداً في عرقلة مشاريع بريطانيا في الهيمنة على مصر، كما يوضح تعاطفه مع القضية الوطنية، مع عدم فقدانه الأمل في الخديوي في أن يؤدي دوراً مؤثراً في صالح هذه القضية. كتب تقلا آراءه هذه في تقارير سرية أرسلها الى السلطان العثماني من خلال صلاته الايجابية بصديقه جودت باشا .

والتقرير مرفق برسالة بالعربية، إلى جودت باشا، مؤرخة في 12 مارس 1894، ولم يتعين مكان كتابتها، ويفهم منها أن علاقة شخصية وعائلية كانت تربط بينه وبين من أرسلت إليه، وأن ثمة زيارات متبادلة بين العائلتين، وهذا نصها

«مولاي صاحب الدولة جودت باشا حضرتلري. الى مقام المولى أرفع عريضتي هذه ورجائي أن تحوز رعاية المولى ولا سيما لما تضمنته من الأحوال المصرية وارتباطها بالأحوال العربية أجمع، لاعتقادي أن دولتكم من أصدق العثمانيين وأخلصهم في خدمة الوطن والسلطان، رفعت مواجبي لدولتكم مراراً بواسطة عطوفتو عزت بك أفندي، وهذا أيها المولى لنذكركم بإخلاص الداعي الذي لايقدر عن ترديد الدعاء بحفظ ذاتكم المحبوبة. قرينتي تسأل خاطر دولتكم وتهدي كريمتكم الفاضلة مواجبتها ولم يمنعها عن مكاتبة حضرتها إلا شدة الأمراض مدة سنتين كما يعلم عزت بك، أما الآن فقد شفيت، وهي إذا لم تتمكن من الاعتذار وهذا الصيف شفاهاً قدمت مواجبتها كتاباً. شرفوني بأوامركم كعهدي، والأمر لوليه أفندم. بشارة تقلا (التوقيع) 12 آذار (مارس) 1894»

ونص التقرير هو:

«تقرير: إن حادثة الحدود الأخيرة أثرت تأثيراً سيئاً في جميع مصر لأنها برهنت أن الأمر الى الانكليز، وأن الخديوي ورجاله لاسلطة لهم ولا نفوذ، وأن لا أمل من مساعدة السلطنة السنية، حتى أن هذه الأفكار انتشرت في القطر المصري انتشاراً كانت نتيجته أن العباس<sup>(1)</sup> بسنتين خدم الانكليز أكثر من والده<sup>(2)</sup> هذا بضعفه، والأول

(1) هو الخديوي عباس خلمي.

(2) هو الخديوي محمد توفيق بن إسماعيل.

باندفاعه. وقد ساعد الانكليز سكوت أوربا، وعدم اهتمام الدولة العلية. وأؤكد لدولتكم أن هذا التأثير كان لازمة وطنية في جميع الأماكن العربية سواء في الحجاز أو في سورية وما بين النهرين، لأن بريطانيا لا تعدد الدرهم والرجال في خدمة مصلحتها وأغراضها، ويساعدها على ذلك إستبداد بعض الحكام وظلم البعض، ولهذا أرى أن تتدارك حكمة جلالتة إصلاح الحالة، ولا سيما في الحجاز، حتى لا تؤثر أعمال مصر على أولئك الشعوب لقاء عدالة ولايتها واهتمامهم بإنفاذ إرادة ولي النعم.

ومن أهم الأمور أن تستخدم السلطنة ما لديها من الوسائط لحسم النازلة المصرية حسماً يضمن مصالح الجميع، ويصون حقوق السلطنة، ولا أحسن من استخدام سفير انكلتره الحالي بالأستانة لأنه مسموع الكلمة في بلاده. وقد اجتمعت اليوم على مكاتب التيمس في برلين حضر لهُنا وقال لي بالحرف الواحد: اننا أرسلنا سفيرنا للأستانة للاتفاق مع السلطنة على أعمال مصر، بأن يكون قاعدة اتفاقنا ما يقرب من مذكرة السير وولف، فإذا رأينا استحالة السير مع خديوي مصر سألنا السلطنة تعيين والٍ لمصر كما كان في الروملي الشرقية قبل انضمامها الى بلغاريا، فإذا رفض السلطان الأعظم الاتفاق معنا استعملنا الاستبداد في أعمالنا المصرية، وأجربنا إرادتنا ليعرف المصريون أننا وحدنا الأمرون، وهذه الطريقة لا نعملها إلا بعد يأسنا من الإتفاق مع الدولة العلية وفرنسا، أما نحن فلا نضم مصر إلينا ولا ننادي بوضع الحماية، ولكن نقضي بإنفاذ أوامرنا وهي الحماية المطلوبة بدون تحمل أثقالها، وفتح مسألة أوربية أو شرقية، ولا يسع مصر إلا الخضوع لأوامر رجالنا كما حدث في حادثة الحدود. وقد وقفت من المذكور على أفكاره في سياسة أوربا وانكلتره، وخلاصتها ما لا يخرج عن معرفة دولتكم تقريباً. تلك هي ملحوظات عبدكم أرفعها لأهميتها وقد قدمتها دائماً في خطتي هذه الصادقة في خدمة الوطن العزيز والجناب السلطاني الأعظم.

عبدكم أخي حبيب تقلاً بك الذي أسأل له بواسطة دولتكم ترفيع رتبته الى رتبة أولى صنف ثاني مكافأة لصدقه وتشجيعاً له في خطته هذه الوطنية.

الخديوي ناظم على النظار، والإنكليز يكرهونهم والأهلون يحتقرونهم والأجانب يمقتونهم، ولكن كرومر لا يريد أن يسأل عزلهم حتى لا يعارضه الخديوي الذي لا يريد أن يعزلهم حتى لا يعارضه كرومر، ولكن يستحيل إطراد هذه الحالة طويلاً ولا بد من سقوط النظار الى آخر رمضان.

أكثر حركات السودان في جهات كسلا حيث رجال المعكرونة<sup>(1)</sup>، وأما في حلف وسواكن فلا خوف منهم لأنهم في المحليين عمال الانكليز.

صممت اصدار جريدة فرنسوية في أواخر السنة الجارية إذا ساعدتني الأحوال<sup>(2)</sup> وإذا زرت دار السعادة. عرضت الأمر على مسامعكم أقدم. (التوقيع)



(1) إشارة الى الايطاليين، الذين احتلوا كسلا سنة 1894. بعد دحرهم قوات المهديين في معركة كسلا، ثم انهم انسحبوا منها في سنة 1897 ليدخلها الجيش البريطاني بالاتفاق مع اللورد كننغستر الحاكم البريطاني العام للسودان.

(2) في 1900 أصدر جريدة بالفرنسية Pyramides.

## جمعية الدفاع المقدس السرية في بغداد

للجمعيات والأحزاب السياسية العراقية تاريخ حافل ابتدأت فصوله باحتلال القوات البريطانية الغازية العراق إبان الحرب العالمية الأولى، فقد شهدت المدن العراقية تكوين عددٍ من المنظمات، استهدفت مقاومة الوجود البريطاني الدخيل في العراق، وإنشاء السلطة الوطنية العربية على أراضيه. فتأسست في النجف سنة 1918 جمعية (النهضة الاسلامية) السرية، التي مهدت لثورة المدينة على الحكم البريطاني سنة 1919، ثم أعقبها تأسيس الفرع العراقي لجمعية (العهد) الشهيرة، في كانون الثاني من سنة 1919، و(جمعية حرس الاستقلال) في نهاية شباط من السنة نفسها. وكان لكل من هذه الجمعيات دوره المعروف في النضال الوطني التحرري في العراق آنذاك، ولا نستبعد أن تكون هناك جمعيات أخرى، عملت في هذا المجال، إبان تلك السنوات، ضاعت أخبارها بسبب سرّيتها الشديدة، أو بسبب الشكوك التي أحاطت بعملها، ولقصر عمرها الزمني<sup>(1)</sup>.

ولقد وقفنا عند بحثنا في وثائق تلك الحقبة، على وثيقتين فريدتين<sup>(2)</sup>، باسم جمعية سرية عرفت بـ (جمعية الدفاع المقدس) يبدو أنها كانت تعمل في بغداد منذ أواخر العهد العثماني، واستمرت في عملها حتى بداية عهد الاحتلال.

---

(1) جاء في تقرير من تقارير الشرطة مؤرخ في 7 تموز سنة 1919 ان «كل عربي مسلم في بغداد لديه شيء من الثقافة كان ينتمي إلى جمعية لها فروع في جميع البلدان المهمة في العراق، وهذه جمعيات تسعى لاتحاد العرب ومناوئة للاجانب وغرضها طرد الانكليز وتأسيس حكم عربي» انظر: ايرلند، فيليب ويلارد: العراق دراسة في تطوره السياسي، ترجمة جعفر خياط - بيروت 1949، ص 147-148.

(2) كانت هاتان الوثيقتان من مقتنيات خزانة الاب انستاس ماري الكرمللي (توفي 1947) في دير الاباء الكرمايين ببغداد، وقد وهبها إلى الاستاذ ميخائيل عواد (المتوفى سنة 1995) على ما أخبرني الأخير في مكتبة المجمع العلمي العراقي سنة 1974، فلبثت في خزانته أمداً من الدهر، حتى آلت ضمن مجموعته من المخطوطات والوثائق، إلى مكتبة الدراسات العليا بكلية الآداب - جامعة بغداد، (نقلت مخطوطات هذه المكتبة إلى مكتبة المتحف العراقي، قسم المخطوطات، وهي اليوم دار المخطوطات العراقية) وفي أعلى الوثيقة الاولى تعليقة بخط الاب الكرمللي تقيد بأن هذا النص هو بعينه الذي علق على الحائط، وفي آخرها تعليقة له أيضاً نصها «علق في 29 آذار 1917»، والوثيقة مكسرة الاطراف، وبخاصة من طرفها الاعلى الايمن، من أثر انتزاعها - فيما يبدو- من الحائط

والوثيقة الأولى عبارة عن مُلصَق جداري، مكتوب بخط اليد بعناية ظاهرة، وتاريخه هو 29 آذار سنة 1917، أي بعد 18 يوماً فقط من احتلال البريطانيين بغداد، الذين دخلوها في 11 آذار سنة 1917. أما الوثيقة الثانية فهي نسخة بخط اليد أيضاً منقولة عن مُلصَق جداري آخر، وتاريخه اليوم السادس من حزيران سنة 1917، وبهذا تكون هذه الجمعية هي أول جمعية سرية لها نشاط في العراق بعد الحرب العالمية الأولى، واحتلال بغداد مباشرة.

ويفهم من الوثيقة المذكورة، في أسطرها الأولى، انه قد مضت على تأسيس الجمعية آنذاك خمس سنين، فيكون تاريخ إنشائها إذاً هو سنة 1912، أي في مدة حكم والي بغداد جمال بك (26 آب 1911 - 17 آب 1912م) أو خلفه محمد زكي باشا (13 تشرين الثاني 1912 - 22 آيار 1913م)<sup>(1)</sup>، وكان هدفها آنذاك - على حد تعبيرها - هو «تقليص ظل الحكومة التركية عدوة التمدن والإخاء من هذه الأصقاع العربية، والاستعانة عنها بحكومة راقية تخلص البلاد من ذلك الإستبداد الأسود».

وتشير الجمعية إلى أنها مارست العمل المسلح في العهد العثماني، حيث كان لديها مخزن عامر بالقنابل، وتتسبب إلى نفسها مسؤولية إحراق مخزن الذخيرة (الجبة خانه) في تلك الايام، وكان هذا المخزن يقع في قلعة بغداد<sup>(2)</sup>، واذ لم نثر على ما يفيد حدوث مثل ذلك الاحراق في السنين المذكورة، فليس من سبيل للتأكد من صحة هذا الادعاء، وإن كنا قد عثرنا على ما يدل على حدوث عدة حرائق خطيرة ببغداد سنة 1912، أحدهما في معمل عسكري، إلا أن هذه الحرائق لم يكن أي منها في القلعة، وليست لها صلة ما بمخزون الذخيرة فيها. وأهم تلك الأحداث هو الحريق الهائل الذي نشب في خان النفط الواقع في محلة العوينة، ودام أسبوعاً كاملاً، بلغ ما التهمته فيه النار ما يزيد على (13000) صندوق من النفط، و (250) صندوقاً من مادة (السبرتو) و (200) صندوق من البانزين، وكان هذا أعظم حريق عرفته بغداد، على ما

---

الذي الصقت عليه، أما الوثيقة الثانية فهي منقولة «من الأصل الذي علق على الحائط»، على ما جاء في تعليقه للكرمي أيضاً في أعلاها. ومن الملاحظ أن كلا من الوثيقتين خال من البسمة التقليدية.

(1) يعقوب سركيس: ولاية بغداد من سنة 1422هـ (1907م) إلى الاحتلال البريطاني (1917)

مجلة المجمع العلمي العراقي، المجلد 4 الجزء 1 (1956) ص 160-161.

(2) هي التي شيدت في مكانها مباني وزارة الدفاع في عهد الدولة العراقية.

ذكر المعاصرون في عهد الدولة العثمانية<sup>(1)</sup>. ولم تكد تمضي مدة قليلة، حتى نشب حريق هائل آخر في معمل (العبيّانة) العسكري<sup>(2)</sup>، المخصص لإنتاج الاقمشة والألبسة العسكرية فاحتترقت جميع الاقمشة المخزونة فيه، وقدرت الأضرار التي نجمت من جراء هذا الحادث بنحو (5000) ليرة عثمانية .

وفي الوقت الذي تسكت فيه المصادر عن بيان سبب هذه الحرائق المتلاحقة فإننا نلاحظ بأنها حدثت كلها في وقت واحد، وهو التاريخ الذي زعمت الوثيقتان بأنه تاريخ تأسيس الجمعية المذكورة، وإن الحرائق أضرت بمواد ذات صفة عسكرية مهمة .

وفضلاً عن أسلوب العنف الذي تُذكر به (جمعية الدفاع المقدس) فإنها تشير إلى سلوكها أسلوباً آخر في العمل السياسي، هو نشر المبادئ القومية والسياسية العربية، على حد تعبيرها، الذي تعتبره واجب كل جمعية في العالم. ولهذا فإننا نجد أنها توصي، في بعض مطالبها (بيان 29 آذار 1917) بضرورة مشاركة العرب من أبناء العراق بمصالح الحكومة الأهلية، وبوجوب جعل اللغة العربية لغة رسمية في العراق<sup>(3)</sup>، واعتبار الأمة العربية «كأمة راقية ذات مقام كما هو حقيقتها».

وعلى الرغم من أن هذه المطالب وطنية المظهر، فإن في الوثيقتين جُملة أمور من شأنها إثارة الريب حول نشأة الجمعية، وأهدافها، فالجمعية لا تخفي في أول بيان لها رأيها بأن «حكومة بريطانيا هي البديل المرغوب لحكومة الترك الدابرة»، وإن أعضائها كانوا ينشرون الأفكار المؤيدة لبريطانيا حتى قبل الإحتلال. وجميع مطالب الجمعية لا يصل إلى طلب استقلال البلاد، وإنما هي تقوم على اعتبار الإحتلال أمراً واقعاً لا مناص منه، ولهذا فهي تدعو إلى أمور من قبيل «معاملة الأهلين بالحسنى» و «إعطاء

---

(1) مجلة لغة العرب 12 (1912) ص 494 وعباس العزاوي: تاريخ العراق بين احتلالين ج 8 ص 230 وثمة حريق آخر في بغداد في التاريخ نفسه. انظر: عبد الكريم العلاف: بغداد القديمة ص 189.

(2) كان معمل (العباخانه) هذا يقع في محلة نسبت إليه، قريبة من محلة المربعة، أنشأه والي بغداد نامق باشا 1861، ووسعه واليها مدحت باشا 1869م، ثم أنشئ في أرضه أول محطة لتوليد الكهرباء سنة 1917. ينظر كتابنا: الأصول التاريخية لمحلات بغداد، ط2، بغداد 2013، ص 57.

(3) لما أتم الإنكليز احتلال العراق، كانت اللغة الإنكليزية هي اللغة المتداولة في الدواوين الرسمية، وقد بقيت هذه اللغة، لغة رسمية مدة حكم وزارة النقيب الأولى، وطرفاً من أيام وزارة النقيب الثانية، ولم تلغ إلا يوم 27 كانون الاول 1921 بقرار من مجلس الوزراء . عبد الرزاق الحسني: تاريخ الوزارات العراقية، صيدا 1965، ج 1 ص 56.

بعض الحرية للمطبوعات» و «حفظ الأمن العام» و «ملاحظة الأسعار الغذائية» ومشاركة بعض الاهالي في شؤون الحكومة.

وهذه المطالب، رغم طابعها العملي، فإنها لا تخرج في إطارها العام عما وعد به البريطانيون في البيان الذي أذاعه الجنرال مود قائد جيش الاحتلال بتاريخ 19 آذار سنة 1917<sup>(1)</sup>، وسنجد أن بيان وليم مارشال، الذي خلفه في قيادة الجيش، في 11 تشرين الثاني سنة 1918<sup>(2)</sup> يشابه في بعض بنوده، المطالب التي دعت اليها الجمعية قبله في بيانها المذكور بنحو ثمانية شهور، فمطالبة الجمعية باعتبار الأمة العربية «أمة راقية ذات مقام»، للرد على ما يبثه رجال جمعية الاتحاد والترقي من «أن الانكليز سوف يعاملون العرب في بغداد معاملتهم للطبقة المنحطة من الهنود» تكرر- في الواقع- ما زعمه مود في بيانه من أن مأمول بريطانيا والامم المتحالفة معها «أن تسمو الأمة العربية مرة أخرى عظمة وصيتاً، وأن تسعى كتلة واحدة وراء هذه الغاية بالاتحاد والوثام».

أما مطالبة الجمعية «بمشاركة العرب من أبناء العراق الناهضين بمصالح الحكومة الاهلية»، فهي لا تخرج عما دعا اليه مود، حين أراد مشاركة عدد من العراقيين في الحكم، لاكسابه مظهراً شرعياً وطنياً زائفاً، فقال: «اني مأمور بدعوتكم بواسطة أشرافكم، والمتقدمين فيكم سنأ، وممثليكم إلى الاشتراك في ادارة مصالحكم الملكية (اي: المدنية) لمعاوضة ممثلي بريطانيا السياسيين المرافقين للجيش، كي تتاضلوا مع ذوي قرياكم شمالاً وجنوباً وشرقاً وغرباً في تحقيق أطماحكم المترامية!».

وتطالب الجمعية في بيانها الأول بعد الاحتلال، إعفاء الجنود العرب الذين انسحبوا مع القوات العثمانية الاخرى من وسط العراق، من حصر اسمائهم في سجلات السلطة المحتلة «لما فيه من الخطر في المستقبل اذ عدوا كأسرى حرب». وقد نص بيان مارشال على تحقيق ذلك حين «سمح لأسرى الحرب المعتقلين في الهند بالرجوع إلى أوطانهم، ما عدا الذين من الجيش التركي (أي العرب فقط) أما المطالبة «بملاحظة الأسعار الغذائية المتوقف عليها حالة الفقير والضعيف» فهي ما أشار اليه بيان مارشال المذكور ايضاً بقوله: «يوزع طعام وألبسة على فقراء بغداد والمدن

(1) نص البيان في: عبد الرزاق الحسني: العراق في دوري الاحتلال والانتداب، صيدا 1935، ج1 ص57-59.

(2) المصدر نفسه والصفحة.

الأخرى، وتخفف القوانين الحالية بعض التخفيف». ولو وازنا بين كل الفقرات الواردة في بيان الجمعية الأول، وبين بيانات الاحتلال الصادرة قبله وبعده، لوجدنا أنهما كُتبا بروح واحدة تقريباً، هذا رغم زعم الجمعية بأنها ستلجأ إلى العنف «إذا لم يُلتفت إلى مطالبتها الإصلاحية».

ويؤكد بيان الجمعية الثاني (6 حزيران 1917) على أن الجمعية لا تحمل عداءاً لبريطانيا، وأنها «أول صديقة صادقة لدولة بريطانيا بشرط أن لا يكون لها غير النوايا الحسنة نحو العراقيين»، وأنها تؤيد السياسة البريطانية طالما وافقت هذه السياسة حقوق الشعب الأساسية، دون أن تبين ما تعنيه بهذه الحقوق. وعلى الرغم من تصريح الجمعية، مجدداً بأن لجوءها إلى سبيل العنف غير بعيد، وأن أعضائها مستعدون للتضحية بأنفسهم في سبيل «تأييد حقوق الأمة وواجباتها»، فإن البيان الثاني يسكت هو أيضاً عن أي تلميح إلى الاستقلال، هذا مع أن بيانات الاحتلال نفسها لم تر حرجاً من التلويح به في بعض الأحيان.

ويهتم البيان المذكور إهتماماً خاصاً بمسألة مشاركة بعض الشخصيات الكبيرة من أهل البلاد في «تمشية أمور الحكومة المحلية بصورة موافقة للعدل والاستقامة»، وهو يرشح عشرة من تلك الشخصيات بأسمائها مؤكداً على عدم وجود أدنى صلة للجمعية بهم، سوى ما تعرفه عن كفاحهم ضد السلطة العثمانية.

والناظر إلى الأسماء المرشحة يلاحظ أنها تضم خليطاً عجيباً من شخصيات بعضها معروف تماماً وله تراثه الوطني والثقافي، والبعض الآخر مغمور ليس له ماضٍ يُعرف به أصلاً، ولا يجمع بينهم سوى أن أكثرهم كانت له مواقف مناوئة للسلطة العثمانية في أواخر عهدها في العراق، وأن بعضهم لقي عنتاً شديداً من تلك السلطة، بلغ حد أمرها بنفيه وإبعاده. وإذا تتبعنا تراجم المرشحين نجد أن بعضاً منهم عُرضت عليه مناصب مهمة فعلاً في السلطة المحلية التي أقامتها قوات الاحتلال وقبلها، والبعض الآخر أبى المشاركة فيما دُعي إليه بأية صورة من الصور، مما يؤكد عدم وجود صلة ما بينه وبين ترشيح الجمعية له في بيانها المذكور، وواضح أن أولئك المرشحين كانوا ينتمون إلى الديانات الثلاث جميعاً: الإسلامية، والمسيحية، واليهودية، على النسب الآتية:

(6) مسلمون، ينتمون جميعاً إلى أسر مهمة أدت أدواراً مؤثرة في تاريخ العراق الحديث، ثلاثة منهم من العلماء الذين تولوا مناصب شرعية وإدارية وتجارية بارزة،

هم: 1- محمود شكري الألوسي (عالم ومدرس)<sup>(1)</sup> 2- عبد المجيد بك الشاوي (أديب وإداري) 3- عبد الرحمن أفندي بن مصطفى جميل (عالم ومدرس) 4- السيد موسى الكيلاني (عالم ومن الملاكين) 5- حمدي أفندي الباجه جي (تاجر ووجيه)، وعبد اللطيف شيان (صحفي).

(2) مسيحيان. وأولهما مطران الطائفة السريانية، ولم يُسمَّه، ولم يعين ما إذا كان مطران السريان الكاثوليك أم السريان الأرثوذكس، والراجح أنه قصد الأول منهما، وثانيهما تاجر أرمني عرف بنشاطه المناوئ للعثمانيين .

ولنا أن نلاحظ أن الوثيقة تلقب السيد محمد شكري الألوسي باسم (سيادة) وهو اسم لم يكن يعرف به العلماء المسلمون، وإنما كانوا يعرفون باسم (شيخ) مطلقاً، بينما كان اسم (سيادة) يختص به المطارنة دون غيرهم فيعرف أحدهم باسم (سيدنا) تمييزاً له عن سائر الدرجات الكهنوتية.

(2) يهود . هم حاخام الطائفة اليهودية في بغداد، ومناحيم دانيال (تاجر معروف)

يمكننا القول اذن، بناء على ما تقدم، بأن الجمعية كانت:

1- لاتميل إلى أي استقلال سريع عن بريطانيا .

2- تريد تشكيل حكومة محلية من الأهالي (أو يشارك فيها الأهالي) تتولى تنفيذ الاصلاحات التي تراها ضرورية، وربما كان ذلك تحت اشراف بريطانيا نفسها .

واذا طرحنا جانباً أن تكون الوثيقتان من إصدار سلطة الإحتلال، أرادت بهما اظهار سياستها وكأنها استجابة لمطالب شعبية عامة، وافترضنا وجود الجمعية على ما أعلنت هي عنه، وأنها المسؤولة فعلاً عن إحداث الحرائق في المنشآت الحيوية ببغداد ابان العهد العثماني، فإن الجمعية -كما نستنتج من كل ما عرضناه- كانت تضم بعض الفئات التي شعرت بأن مصالحها مرتبطة (بعد انقضاء الحكم العثماني في الاقل)، باستمرار وجود نوع من الإشراف البريطاني على الحكم في العراق، ولو إلى حين. ومن ناحية أخرى فإن اسم الجمعية نفسه لا يقع في ضمن سياق أسماء

---

(1) لا نستبعد أن تكون للأب أنستاس الكرمل، المالك الأول لهاتين الوثيقتين، يدٌ ما في هذا الترشيح، فقد جعلته الوثيقة في مقدمة المرشحين، وميزته باسم (سيادة) ومن المعروف تماماً مدى الصداقة التي ربطت الكرمل بالألوسي، وهو ما توضحه الرسائل العديدة المتبادلة بينهما .

الجمعيات الوطنية التي أسسها العرب المسلمون عهد ذاك، لا سيما بإضافة صفة (المقدس) بعد اسمها الأول (الدفاع)، ولعل الايام تكشف لنا عن حقيقة هذه الجمعية، مما يلقي ضوءاً جديداً على تاريخ الجمعيات السرية في العراق.

الوثيقة الاولى علقت على الحائط ببغداد في 29 آذار 1917

(هذا بلاغ للناس)

لقد مرّ على تأسيس جمعيتنا، جمعية الدفاع المقدس، ما يقارب الخمس سنين، ونحن نحارب في خلالها حكومة الأتراك بما ننشره بين الشعب من المبادئ القومية، والسياسية العربية. وما هو الواجب الذي تشكل من أجله كل جمعية في العالم.

وكانت أكثر مقاصدنا السياسية هي تقليص ظل الحكومة التركية عدوة التمدن والإخاء من هذه الاصقاع العربية، والإستعاضة عنها بحكومة راقية تخلص البلاد من ذلك<sup>(1)</sup> الاستبداد الأسود.

والذي نعرفه حقيقياً ان حكومة بريطانيا هي الجديرة بهذه الثقة. لذلك كنا ننشر بكل قوانا المبادئ الانكليزية بين أبناء العراق بصورة رشيدة حذراً من البوليس السري المعروف أمره من أبناء بغداد في تلك الايام.

وبما أن جمعيتنا من مبادئها أن تبقى سرية حتى ولو أصبحت بغداد أمريكا الثانية. لذلك<sup>(2)</sup> نحن ننشر هذا البلاغ باسم جمعيتنا طالبين من حكومة الاحتلال إجراء مقرراته.

أولاً- جعل اللغة العربية لغة رسمية في العراق كما اللغة الانكليزية في ممالك بريطانيا الفخيمة.

ثانياً- مشاركة العرب من أبناء العراق الناهضين بمصالح الحكومة الاهلية بدون فرق بين الملل المختلفة في العقائد والنحل.

ثالثاً- ملاحظة الأسعار الغذائية المتوقف عليها حال الفقير والضعيف.

رابعاً- توصية جيوش المحتلة بمعاملة الأهلين بالحسنى.

---

(1) في الاصل: ذلك.

(2) في الاصل: ذلك.

خامساً حفظ الأمانة<sup>(1)</sup> العمومية، نظراً لفقدانها في كل أيام الاحتلال.

سادساً- إعفاء الجنود العربية من التحرير الذي تعمله الحكومة الآن، لما فيه من الخطر في المستقبل إذا عدوا كأسرى حرب.

سابعاً- ملاحظة الوشايات التي يتذرع بها أرباب الأغراض للإيقاع بالغير.

ثامناً- اعطاء بعض الحرية للمطبوعات رغبة بالوقوف الزائد على أفكار الأحرار في العراق.

تاسعاً- اعتبار الأمة العربية كأمة راقية ذات مقام، كما هو حقيقتها، لا كما يدسّه جمعية الاتحاد<sup>(2)</sup> من ان الانكليز سوف يعاملون العرب معاملتهم للطبقة المنحطة من الهنود.

عاشراً- تقديم الشكر الزائد لدولة الجنرال سرفس مود<sup>(3)</sup>. قائد الجيوش المحتلة على منشوره الأخير في خطاب البغداديين<sup>(4)</sup>، وتعريفه بالوقت نفسه أن جمعيتنا عربية عمرانية وطنية فوضوية سرية، بمعنى انها اذا لم يلتفت إلى مطالبيها الإصلاحية ترجع إلى الفوضى سرياً، والسلام.

باسم اعضاء جمعية الدفاع المقدس السرية في بغداد

الوثيقة الثانية علقت على الحائط ببغداد في 6 حزيران 1917

(الحق فوق القوة)

إن جمعية (الدفاع المقدس) ليست بعدوة لدولة بريطانيا حتى أخذت الحكومة أسباب التفتيش عنها بواسطة الجواسيس والمراقبين، لا بل العكس إن جمعيتنا من أول واجباتها تمشية السياسة الانكليزية بين العراقيين بصورة موافقة لحفظ حقوقهم الأساسية، وما دامت الحكومة لها نية حسنة نحو أبناء هذه البلاد فلا يجب أن تلاحظ

(1) يريد: الامن.

(2) أي جمعية الاتحاد والترقي التي قاد رجالها الدولة العثمانية في اثناء الحرب العالمية الاولى.

(3) تولى قيادة الجيش البريطاني في العراق عقب وفاة سلفه الجنرال طاوزند في مايس سنة 1916، وتم له احتلال بغداد والمدن العراقية الأخرى، وتوفي متأثراً باصابته بالكوليرا في

مساء 18 تشرين الثاني سنة 1917.

(4) هو المنشور او البيان، المنوه به سابقاً، وقد أذيع بتاريخ 19/3/1917م.

من أعمال جمعيتنا التي مهدت إلى الجيش الانكليزي اقبال البغداديين يوم الاستيلاء، بما كانت تبثه في الخمس سنين الماضية في السياسة الحُبِّية لحكومة الانكليز.

فجمعية الدفاع المقدس هي أول صديقة صادقة لدولة بريطانيا بشرط أن لا يكون لها غير النوايا الحسنة نحو العراقيين حذراً من ايجاد الأسباب التي كرهت الاتراك إلى جمعيتنا، وجعلت لنا طريقاً واسعاً لتمشية سياسة الجمعية ضد سياسة الاتراك الإجبارية.

على أن جمعيتنا لها خطة رشيدة في ترويج سياستها الوطنية، لا يخشى عليها من جلب أنظار الجواسيس والمراقبين، وبالوقت نفسه لا تبالي بالتهديد والوعيد لأن اعضاؤها<sup>(1)</sup> يفضلون الموت على الحياة في تأييد حقوق الامة وواجباتها، ولكن بالصورة السرية حسب نظام الجمعية الذي يجب العمل بموجبه.

ومتى حان وقت الضحية فالقنابل كثيرة في مستودع جمعيتنا السري، ولم ينقص منها سوى واحدة يوم احراق الجَبَخانة<sup>(2)</sup> في القلعة أيام الأتراك.

وقرار جمعيتنا الأخير الذي أوجب نشر هذا البيان، هو تأييد المطالب الإصلاحية التي أعلنتها جمعيتنا أولاً، والتي عملت الحكومة ببعض منها وتركت البعض الآخر بدون أن يكون لها عذر في ذلك الترك. وتكرار الطلب تمشية الاصلاحات الضرورية للبلاد، وتشريك أفراد العرب الناهضين بتمشية أمور الحكومة المحلية بصورة موافقة للعدل والاستقامة، وبعد كل هذا تحرُّص<sup>(3)</sup> جمعيتنا حكومة الإحتلال من الإعتماد على بعض المفسدين الذين يقفون عثرة سبيل الاصلاحات العمومية لأن هذا الاعتماد أوجب الإستياء العمومي الذي<sup>(4)</sup> بدأت علائمه تظهر في الوجوه.

وإذا كانت الحكومة حتى الآن لا تعرف من تعتمد عليهم في مثل هذه الشؤون التي تحتاج إلى الكفاءة والاختيار، فيمكنها أن تعتمد على إناس ترشحهم جمعيتنا بدون أن يكون لجمعيتنا أقل علاقة بواحد منهم. ولكن الجمعية تعتمد في هذا الترشيح على الاختيار والتجربة والشهرة، وفيما نعرفه أن هذا الترشيح سوف يوافق الجميع لأن

(1) الصواب: أعضاؤنا .

(2) كلمة تركية مركبة من جبه: وتعني سلاح، وخانة: أي موضع ومكان.

(3) الصواب: تحذر.

(4) في الاصل الفت.

الذوات الآتية أسماؤهم ممن تهمهم مصلحة الحكومة الحاضرة، بالنظر لما صادفه أكثرهم من الإمتهان أيام الاتراك، وإلى الحكومة اسماؤهم:

1- سيادة محمود شكري الآلوسي<sup>(1)</sup>.

2- سيادة مطران الامة السريانية المسيحية.

3- سيادة خاخام الامة الاسرائيلية.

4- عبد المجيد بك الشاوي<sup>(2)</sup>.

5- عبد الرحمن افندي جميل.

6- سيد موسى افندي الكيلاني<sup>(3)</sup>.

---

(1) هو العلامة الشهير الشيخ محمود شكري بن عبد الله بن شهاب الدين محمود الآلوسي الحسيني، ابو المعالي، من أعلام النهضة الادبية والفكرية في العراق في العصر الحديث، وله مؤلفات جليلة شتى. ولد ببغداد سنة 1857 وتوفي فيها سنة 1924م. كان بطبعه بعيداً عن الاشتغال بالسياسة، وانتدبته الدولة العثمانية، في أول نشوب الحرب العالمية الاولى، للسعي لدى الامير عبد العزيز آل سعود للقيام بمناصرتها ضد الانكليز، لكنه أخفق في مسعاه، وعاد إلى بغداد ليعمل -كمكاتب- في التأليف والتدريس، حتى احتلال بغداد سنة 1917 على يد الانكليز، فعرضوا عليه قضاء بغداد، فزهده فيه، وانقبض من مخالطتهم، ثم عرض عليه في أوائل تشكيل الحكومة المحلية المؤقتة الافتاء فرياسة مجلس التمييز الشرعي فالقضاء أيضاً، فالمشيخة الاسلامية، فرفض كل ذلك، وانصرف إلى اعماله العلمية البحتة حتى وفاته. وواضح ان ذكر الجمعية لاسمه جاء لما كان يتمتع به من احترام ومكانة كبيرة لدى العراقيين بوجه عام. انظر محمد بهجة الاثري: اعلام العراق ص 103-107.

(2) هو عبد المجيد بك بن حسن بك بن مسعود الشاوي العبيدي. أديب من أعيان العراق. ولد في بغداد سنة 1862، وارتقى في سلم المناصب حتى انتخب نائباً عن لواء العمارة في مجلس المبعوثان العثماني، وجدد انتخابه سنة 1912-13 و 1914-18 ولما ألغيت حكومة النقيب المؤقتة اختير وزيراً بلا وزارة (27 تشرين الأول 1920) وكانت قد عهدت اليه رئاسة بلدية بغداد منذ سنة 1919 فشغلها إلى كانون الثاني 1922، وهو أول رئيس لبلدية بغداد. ثم عين متصرفاً للواء الدليم (سنة 1922-1923) ثم نائباً عن الكوت في المجلس التأسيسي (1924) ثم نائباً عن الدليم في مجلس النواب العراقي الاول (تموز 1925) وعين عضواً بمجلس الاعيان (اول آب 1927)، وتوفي ببغروت في أيلول من العام نفسه. محمد صالح السهروردي: لب الابواب ج2 ص 170 و 175 ومير بصري: اعلام اليقظة الفكرية في العراق الحديث ج1.

(3) هو السيد موسى شرف الدين ابن نقيب الأشراف ببغداد السيد سلمان القادري الكيلاني، ولد سنة 1875 فيكون عمره عند سقوط بغداد 42 عاماً، وهو ابن أخي السيد عبد الرحمن الكيلاني، نقيب الاشراف، ورئيس أول حكومة عراقية في عهد الانتداب. وقد وصف بأنه «كان

7- ميخائيل افندي ياغجي<sup>(1)</sup>.

8- مناحيم افندي صالح<sup>(2)</sup>.

9- حمدي افندي الباجه جي<sup>(3)</sup>.

10- عبد اللطيف افندي ثنيان<sup>(4)</sup>.

وبعد الوقوف على هذا البيان، يجب مراجعة عنوانه.

باسم اعضاء جمعية الدفاع المقدس السرية في بغداد

---

رجلاً فاضلاً معروفاً بالوداعة ولين الجانب... وقد توفي سنة 1931، ابراهيم الدروبي:  
البغداديون، بغداد 1958، ص 17 - 18.

(1) هو ميخائيل بن روفائيل ياغجي (أو ياغجي) الأرمني البغدادي، ولد في 2 كانون الاول 1870 فيكون عمره عند احتلال بغداد 47 عاماً، اشتغل في بداية حياته بالتجارة، ثم سكن مدينة البصرة، وعند سقوط الدستور العثماني امرت السلطات العثمانية بنفيه، في سنة 1914 إلى (درسم) من أعمال معمورة العزيز، فأبعد إلى الموصل أولاً، وفيها صدر العفو عنه، فعاد إلى بغداد، وكانت وفاته فيها في 11 تموز 1930. عباس العزاوي: تاريخ العراق بين احتلالين ج 8 ص 286 نقلاً عن مجموعة محمد درويش الخطية، وحكمت رحمانى: نبذة نقلها لنا مشكوراً سنة 1977 عن كتابه غير المطبوع: أنساب نصارى بغداد.

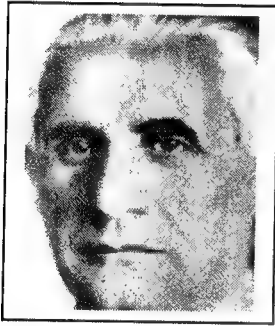
(2) هو مناحيم بن صالح آل دانيال، كان من كبار وجوه الطائفة اليهودية في بغداد، وممن له شهرة في عالم المال والتجارة، وقد اختير عضواً في مجلس المبعوثان العثماني سنة 1877 وبعد تأسيس المملكة العراقية اختير عضواً في مجلس الاعيان غير مرة حتى وفاته سنة 1940.

(3) من أعيان بغداد، كان له نشاط معاد للعثمانيين في العراق، حيث ألف مع بعض العراقيين (النادي العلمي الوطني) سنة 1912، واستمر في نشاطه حتى نشوب الحرب العالمية الاولى، فاضطرته الظروف إلى ترك البلاد، وحل النادي، ثم عاد إلى العراق بعد انتهاء الحرب، وعين وزيراً للأوقاف في 26 حزيران سنة 1925 وتوفي سنة 1948 مير بصري: أعلام اليقظة الفكرية من 145 وعبد الرزاق الحسني: تاريخ الوزارات العراقية ج 1 ص 5.

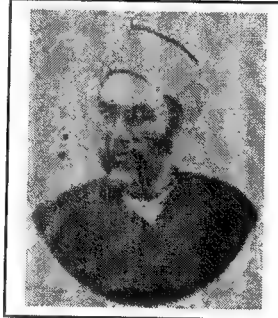
(4) صحفي أديب، ولد ببغداد سنة 1867، واشتغل بالصحافة، ثم أصدر على إثر اعلان الدستور العثماني جريدة الرقيب (28 كانون الثاني 1909) دعا فيها إلى مبادئ الحرية والدستور والاصلاح، واضطر إلى تعطيل جريدته في 1910 خوفاً من السلطات العثمانية، وخرج من العراق إلى الهند، ثم إلى الحجاز، وعاد إلى بغداد بعد زيارة مصر واسانبول، ويبدو أنه كان له نشاط معاد للعثمانيين، فقد اعتقل بعد نشوب الحرب العالمية الاولى في 10 تشرين الاول 1915، وأبعد إلى الموصل منفيّاً إلى درسم، ثم عفي عنه وأعيد إلى بغداد، ولم نعلم مصيره اثناء احتلال بغداد، ولكن سلطات الاحتلال أبعدته إلى الفاو في اواخر سنة 1918 ثم عاد إلى بغداد، حيث عين مديراً للأوقاف من 1923 إلى 1924 ومن 1928 إلى 1929، وانتخب نائباً عن ديارى، فبغداد، وتوفي ببغداد سنة 1944. مير بصري: أعلام اليقظة الفكرية 78/1 وابراهيم الدروبي: البغداديون 105.



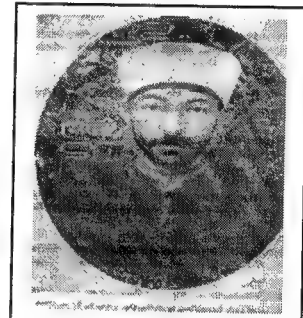
القوات الهندية البريطانية تسير في شارع الرشيد عند جامع الحيدرخانة



حمدي الباجه جي

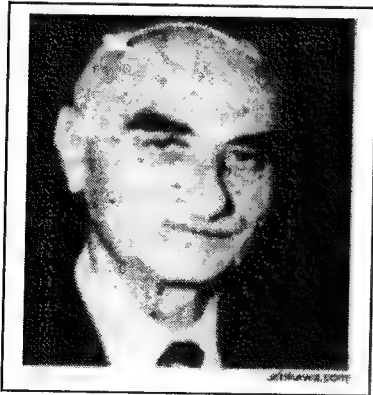


محمود شكري الآلوسي

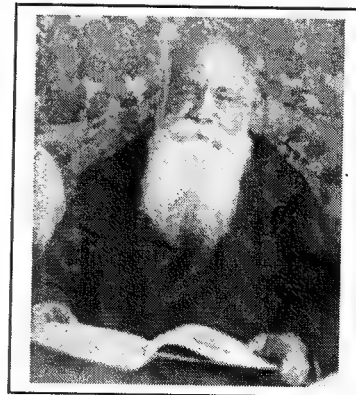


عبد الرحمن ال جميل

من مرشحي الجمعية



ميخائيل عواد الذي آل إليه البيانان



أنستاس الكرمللي المالك الأول لبياني الجمعية

## من مفكرة ضابط عراقي في الحرب العالمية الأولى

كثيرون هم العراقيون الذين ذهبوا إلى الجبهات الأوربية والروسية، في أثناء الحرب العالمية الأولى، فلم يعودوا إلى وطنهم، لا أحياء ولا أمواتاً، بل فقدت آثارهم في ثلوج القفقاس، وفي مضائق الدردنيل، وفي البحر الأسود، فلم يصل إلى أهلهم حتى خبر موتهم، حتى بات مصطلح السَّوق إلى (السَّفر بَر) أي الحرب، كابوساً يؤرق الشبان العراقيين، ويبعث فيهم مشاعر الخوف من المستقبل المجهول والموت شبه المؤكد.

كم من الذكريات المريرة لهؤلاء الشبان الذين ذهبوا، ضاعت بضائعهم هم، وكم من التفاصيل التاريخية كان يمكن أن تصلنا لو أنهم سجلوا ما رأوا، أو أن أحداً سجل ذكرياتهم عند عودتهم إلى وطنهم. ولذا فقد كانت سعادتنا كبيرة حينما عثرنا في دفتر أسود كبير، كان يحتفظ به الفنان محمد بن المثلث المعروف خالد الرحال، على صفحات كتبت بخط كبير الحرف، لرجل يبدو أنه كان في شيخوخته، كتب بعضها بقلم الحبر، والبعض الآخر بقلم الرصاص. وتضم هذه الصفحات بعض من ذكريات كتبها الضابط مهدي بن صالح بن سليم الرحال، وهو والد الفنان النحات المعروف خالد الرحال، في أثناء أداء واجبه العسكري ضابطاً عراقياً في الجيش العثماني، في خلال الحرب العالمية الأولى.

وتبرز أهمية هذه الصفحات، على قلة ما فيها، شجاعة هذا الضابط العراقي بين غيره من الضباط الذين ينتمون إلى شعوب أخرى، فهو قد حصل على تكريم من الجيش العثماني، ومن الجيش العراقي، ونُشر اسمه في جريدة الحرب العثمانية بوصفه من الضباط الذين تحلَّوا بصفة الشجاعة.

كما تُبين هذه الصفحات أيضاً سعة جبهات القتال، وتنوعها، التي قُدر لهذا الضابط العراقي أن يحارب فيها، فهو قد شارك في أول عهده في بعض الحركات العسكرية في منطقة الفرات الأوسط، ثم نقل للالتحاق بالجيش العثماني الرابع، وكان مقره في فلسطين، وهناك شارك في الهجوم على القطعات البريطانية المتمركزة في جبهة قناة السويس، ثم جرى نقله إلى أدرنه، ثم أعيد بعدها إلى غزة، وبعدها نقل إلى

أوريا، حيث حارب مع فرقتين عثمانيتين، هما الفرقتان 19 و20، من الجيش العثماني في منطقة جَنَاق قلعة، للدفاع عن كليُولي. ثم نقل مع الفرقتين إلى مدينة بلغراد، عاصمة صربيا آنذاك، ومنها انتقلت الفرقتان، بالقطار، عبر جبال التيرول، والمجر، حيث شارك في الجبهة الأوربية هناك. وقد عمل مدة من الوقت تحت إمرة ياسين باشا الهاشمي، الذي عاد برفقته إلى استانبول، ثم إلى حلب.



جنود عثمانيون في معركة جناق قلعة

وبعد إعلان الهدنة، انضم إلى جيش الثورة العربية في سوريا، وهو المسمى (الجيش العربي السوري)، وفي دمشق شارك في النشاط السياسي للضباط العراقيين الداعمين إلى تحرير العراق، وضمه إلى الدولة العربية الوليدة بقيادة أبناء الشريف حسين، وقد حضر بعض الاجتماعات التي كان ضباط الجيش يعقدونها في بيت جعفر باشا العسكري، وأقام في سوريا، ملتحقاً بالجيش العربي هناك حتى سقوط حكومة الملك فيصل الأول إثر معركة ميسلون سنة 1920. وقام بمهمة سياسية خاصة، حيث كلفته قيادة الجيش بالذهاب إلى بغداد لاستمالة الضباط العراقيين إلى حكومة فيصل، ويظهر أنه أدى المهمة بنجاح، فقد تشكلت بعدها نواة ما سُمى بالجيش العراقي، وعُين هو أمراً للواء المدفعية، فتشكل هذه النواة، كما تكشف المذكرات، جرى في دمشق، قبل أن يتأسس هذا الجيش رسمياً في بغداد في 6 كانون الثاني سنة 1921.

وفضلاً عن ذلك فإن المذكرات تكشف عن وقائع وأسرار لم يكشف عنها النقاب بعد، منها أن اجتماع الضباط العراقيين في دار جعفر العسكري، كان مخترقاً من ضابط بريطاني، يظهر أنه كان من المخابرات البريطانية، كان يأخذ موضعه في إحدى حجرات الدار، كما أن اثنين من حراس جعفر باشا كانا يتجسسان على المؤتمرين. ومعلوماتنا عن حياة مهدي الرحال، قليلة، باستثناء ما تمدنا به مذكراته، وغاية ما نعلم عنه أنه يتحدر من أسرة عربية أصلها من راوة، على الفرات، وأن أمه تركية من مدينة كوتاهية، وأنه أب لأربعة أبناء، هم 1- خالد، وأمّه أرمنية تزوجها في أثناء وجوده في الأناضول في أثناء الحرب العالمية الأولى، ثم طلقها فيما بعد، ولخالد ولد واحد هو محمد. و2- سرحان، وأمّه سورية، ولذا فهو ضابط شرطة برتبة لواء في سوريا، وله ولدان. و3- مشى وخلدون، وأمهما عراقية، وللأول ولد اسمه محمد، وثلاث بنات، أما الثاني فهم محام، ولم يتزوج. وللرحال بنات، منهن زوجة الفنان النحات الراحل محمد غني حكمت.

ويلقى إبراهيم الدروبي ضوءاً على أسلاف الرحال إذ قال «آل الرحال بيتٌ عربي كريم من بيوت بغداد المعروفة وأسرّها، أصل هذه الأسرة من بلدة راوة، من عشيرة ألبو عبدالله، ويسمى بيت يحيى»، ويوضح سبب تسميتهم بالرحال بأنه «لكثرة ترددهم في تجارتهم بين نجد والعراق والهند والحجاز وسوريا ومصر» فهي إذاً أسرة تجارية كبيرة أنجبت عدداً من التجار، وقد تطرّق الدروبي الى أحد أبرزهم، وأثنى عليه فقال «وقد اشتهرت هذه الأسرة بتاجر كبير من تجارها هو عبد الرحمن الرحال، عُرف بنزاهته وصدافته وأمانته، فكان بحق التاجر الأمين، وتوفي سنة 1255هـ/1839م». وأشار إلى ولد له اشتهر بالثراء والتجارة فقال «وأعقبه ولده سليم الرحال، وقد تملك هذا ثروة كبيرة ونال شهرة عظيمة، فكانت له سفن تمخر البحار والمحيطات لنقل البضائع والأموال بين العراق والهند وأطراف العالم، ولكن الزمن جفله بين عشية وضحاها من فقر الحال بمكان يرثى له، حيث أن سُفنه الكثيرة تعرضت لزوينة هوجاء في عرض البحر فكانت شذر مذر.. توفي سليم الرحال سنة 1296هـ، 1878م، ودفن في مقبرة الشيخ معروف الكرخي. ثم أعقبه صالح الرحال وعلى الرحال، أما صالح فقد ترك مهدي بك الرحال، كان هذا زعيماً في الجيش العراقي، وقد أحيل للتقاعد، وهو الآن يمتنّ الزراعة»<sup>(1)</sup>. وبحسب أسرته فقد إحيل

(1) إبراهيم الدروبي: البغداديون أخبارهم ومجالسهم، بغداد 1958، ص 159-160.

على التقاعد في الثلاثينات من القرن العشرين، وكانت إحالته هذه بسبب رفضه الانصياع لأمر عسكري يقضي بقمع حركة شعبية في بلده راوة، وتوفي في سنة 1975.

يبدأ الضابط العراقي مذكراته معلناً عن اسمه كاملاً، وولادته بالتاريخ الرومي المتخذ آنذاك في الوثائق الرسمية العثمانية، وموطن أبيه وأمه، فيقول:

«إنني مهدي بن محمد صالح بن سليم الرحال، قد تولدت في بغداد سنة 1306 رومي، (1891م) من عائلة عربية الأصل، ومن قرية راوة، عشيرة البو عبید، وبيت والدتي من عائلة معروف آغا أمماً، ومن كوتاهية أباً. وكنت أول ولد من نسل الرحال».

ولا نعلم معنى قوله أنه أول من ولد من نسل الرحال، إلاّ فإن أباه وجدته سبقاه في هذا النسل بالطبع.

ثم يتطرق إلى دراسته في مدرسة أبي النجيب السهروردي ببغداد، ومنها في المدرسة الرشدية العسكرية، فالإعدادية العسكرية، وكلتاهما في بغداد، ثم سفره إلى استانبول لدراسة الهندسة العسكرية في مدرسة (المهندسخانة) فيقول: «وقرأت في مدرسة الحاج حسن مقابل نادي العسكري، جامع نجم الدين السهروردي».

ولا نعرف مدرسة باسم الحاج حسن هذا، ولكن تحديدها بأنها تقابل النادي العسكري (وهو الذي سمي فيما بعد بنادي الضباط، فنادي الضباط الأعوان، وقد أزيل أخيراً وألحقت أرضه بمؤسسة بيت الحكمة) يوضح أنها كانت مكتباً أو كُتّاباً في الجامع الذي سماه بجامع نجم الدين السهروردي، والصحيح أنه جامع أبي النجيب السهروردي ومدرسته، وكان هذا الجامع، في أصله، المدرسة التي أنشأها الشيخ الصالح أبي النجيب عبد القاهر بن عبد الله السهروردي البكري (المتوفى سنة 563هـ) على شاطئ دجلة، ثم شغل النادي العسكري المندثر جزءاً من أرضه الشاطئية، وفصل الدرب النافذ من ساحة السراي، والمؤدي إلى مدرسة الصنائع (بيت الحكمة اليوم) بينه وبين هذا النادي.

ثم يقول: «وأدخلوني رشدية عسكرية ثم الإعدادية، ثم مدرسة المهندسخانة». والرشدية العسكرية، هي المدرسة التي أنشأها مدحت باشا سنة 1288هـ/1871م، وكانت تشغل آنذاك بناية الإعدادية المركزية حالياً، وتلاصق، من جهتها الشرقية

مدرسة أبي النجيب مارة الذكر، أما المدرسة الإعدادية، فهي الإعدادية العسكرية، وكانت تشغل المبنى الواقع في جنوب القشلة، والذي شغلته المحاكم المدنية حيناً من الدهر، حتى أخلته، فرمته الهيئة العامة للآثار والتراث في الثمانينات من القرن الماضي. وعلى الرغم من عدم إشارته إلى سفره إلى استانبول، فإن دراسته في (المهندسخانة) تصرح بذلك، فقد كانت هذه المدرسة، وهي بمستوى كلية، تقع في العاصمة العثمانية، دون غيرها من مدن الدولة.

وتشير المذكرات إلى أنه تخرج من المهندسخانة سنة 1908، برتبة ملازم ثان، وعين في صنف مدفعية الصحراء، في الأوردو (الفيلق) الثاني ومقره مدينة أدرنة، في القسم الأوربي من الدولة العثمانية. يقول «وفي 1908 أكملتُ التدريس، وصرت ملازماً ثان في مدفعية الصحراء (صحرا طوبجي) تحت رقم السجل 324-15 أي 1908، وقد جرى تعييني في فيلق الثاني بأدرنة».

ولكنه لم يلبث أن عاد إلى بغداد، متمتعاً بإجازة نظامية، وهو لا يذكر سبب عودته، والظاهر أنه أراد أن ينقل إلى مدينته بغداد، حيث يكون قريباً من أسرته، فيقول:

«وبعده أخذت إجازة لأزور أهلي في بغداد وجئت إلى بغداد، والتحقّت في لواء 35 صحراء، في بطارية جبلية سريع آتسلى. وتعينت في بغداد لواء 25 المدفعي، و27 هجرية (1910) ترفعت إلى ملازم أول». ومن المقرر إدارياً أن النقل من فيلق إلى آخر، لا يكون إلا بموافقات أصولية تصدر من القيادة العامة للجيش العثماني، وليس من قيادة الفيلق الذي يريد النقل إليه، فيبدو أنه استحصل على مثل تلك الموافقات بطريقة ما، أما في أثناء وجوده في أدرنة، أو بعد وصوله إلى بغداد. ولنا أن نلاحظ أن نقله هذا جاء في نفس التاريخ الذي تولى فيه محمد شوكت باشا ولاية بغداد في رجب سنة 1327هـ/ تموز 1909م، وكان هذا قائداً عسكرياً سبق أن تخرّج في المهندسخانة، وكان يشغل منصب (فريق المدفعية للفيلق الثالث)، فليس ببعيد أن يكون سبباً في نقل حسين الرجال، وهو المتخرج في صنفه نفسه، وفي مدرسته نفسها، إلى صنف المدفعية في المدينة التي تولاه.

وكانت أولى الحركات العسكرية التي قُدر للضابط الشاب أن يشارك بها، تلك التي قامت لقمع حركة عشائر الأيزج، في جنوب العراق، في سنة 1914، أي في مفتتح

الحرب العالمية الأولى، ثم نقل بعدها إلى الشام، حيث التحق بالجيش الرابع العثماني، وشارك في الهجوم العثماني على قناة السويس، وبعدها نقل إلى أدرنة، حيث الجيش الثاني الذي سبق أن التحق به، ومنها عاد إلى غزة، حيث ترقّع إلى رتبة عسكرية أعلى. يقول «وبعد مصادمة الأزيج بالناصرية 1914 جرى نقلي إلى لواء 25 بالشام، واستخدمت في سنة الأولى بالجيش أردو دردنجي وثم 1914 نقلت إلى لواء المدفعي العشرين، واشتركت في أول هجوم [على] قتال السويس، ثم صار انسحاب الجيش بعد هجومه في كانون الثاني، رجعت والتحقت في لواء أدرنة، ... في غزة .. (هذه الفراغات في الأصل) . وفي 1916 ترفعت إلى رتبة رئيس (يوزباشي)، ثم تعينت آمر جفيل الصغير المدفعي (كوجك عروب قومانداني) وقد أعلنت في 26 أيلول 1916 في جريدة الجيش العثماني تحت اسم بر تمثال شجاعت. واشتركت في حروب عاليحيا ثم فلسطين، ثم الهدنة الأولى» حروب أوروبا 1916-1918 تحت هذا العنوان، تحدث حسين الرحال عن مشاركاته في الحروب ضمن الجيش العثماني ضد نزول الجيش البريطاني في كليبولي، عند مدخل الدردنيل، وكان هجوم القوات البريطانية قد جرى في 19 شباط من سنة 1914، وكان من بين قادة القوات العثمانية، ياسين باشا الهاشمي، الذي يسميه ياسين البغدادي، وكان هذا قد تولى أمر إدارة وتدريب وحدات الفيلق العثماني العسكرية في غاليبولي، هذا فضلاً عن مصطفى كمال باشا، الذي تسلم قيادة القوات العثمانية آنذاك. فيقول: «نحن معسكرون في كليبولي، ميناؤنا بولابر أسكله سي .... كمال (هنا كلمة غير واضحة، ويناسب أن تكون (وقائدنا مصطفى كمال)، وكان هذا القائد الأعلى للقوات العثمانية في كليبولي) المشهور ورجع الجيش فرقة 20، وقائد فرقة ياسين البغدادي، وفرقة 19 سداد بك. فرقة العشرين قائدها ايمهوف باشا، ومقره طومبه تبة في راس مضيق جناق قلعة».

وتذكر المصادر أن ياسين الهاشمي، ترقى بعد تراجع الحلفاء عن مضيق الدردنيل في كانون الثاني سنة 1916، إلى رتبة (عقيد ركن) وأن القيادة العثمانية أرسلته بعدها إلى غاليسيا، في الأراضي النمساوية، للحرب هناك، إلى جانب القوات الألمانية، ضد الجيش الروسي، فكان الرحال واحداً من الضباط الذين ألحقوا بإمرة ياسين الهاشمي في تلك الجبهة، مُبلياً البلاء الحسن فيها .

وينتقل الرحال للحديث عن الحرب بين العثمانيين والروس في أوروبا الشرقية، فيقول: «تحركت القوة العثمانية فرقة 20 و19 بالقطار في أوزون كوبري، ووصلنا إلى بلغراد، واسترحنا مقدار 10 أيام في عاصمة صربستان (صربيا) وبعده ركبنا القطار قاطعين جبال تيروول ومجارستان (يريد: بلاد المجر، وهي هنكاريّا) إلى زلوتاليا مبيججوف قوة مداخلة وتلقينا قطعاً ان المستحية في الجبهة.

في 26 أغسطس صدمنا قطعات الروسية وأوقفنا تقدمها، [وكانت] قوة العثمانيين 4 فرق لواء 56 وفرقة العشرين لواء 61 (62) وقوة قوامها مجموعاً 42 ألف حربة، و8 بطاريات، 75 مع قوة سائدة بطرية 5 10 طويلة، 4 بطاريات صحرا 75 مجارية . (المجارية، بجيم مثلثة، فصيحها: المكارون، وهم سائقو الدواب والمعنيون بهم)

وفي..... (بياض في الأصل) جاء الروس بأربعة فرق كاملة، وهاجمنا ولكن قواته تركزت بمكانها بعد أن أعطت ضابط ..... مهمة، وانجرح عثمان بك أمر لواء 55 في بطنه.

أصول حرب الروس في الهجوم كنا جميعاً تقريباً نحس بهجوم الروس من استحضاراتهم، فكانوا يُسكّنوا حركاتهم قبل الهجوم. ويوم الهجوم يستحضرون بالرمي ترومبل بومبانج دمان مقدار نصف ساعة وأكثر، ووزن القطعة أكثر من ثلاثة ساعات على الأكثر، ثم تتقدم قطعات الهجوم على خطوط متعددة . ثم يتقدم المشاة الهاجمة بكل سلون متكية بنادقها وكما نقابلها برمي سريع وكثيف، وعلى الأكثر هجومهم لا ينجح، وبعده يسكن الجبهة لهجوم آخر، ويسمون هذا الهجوم هجوم كرنسكي.

كان الروس استعملوا المدفعية بكثافة على جبهتنا، وكان مدفعيتهم دقيقة الرمي وقوية وتفوق على مدافع قروب (كروب، مصانع ألمانية شهيرة عرفت بصناعة الأسلحة الثقيلة) وقريبة إلى أحوال الفرانساوي (يريد الأسلحة الفرنسية الصنع).

هكذا دامت حروب الموضوعية (يريد حرب الخنادق) مدة الشتاء ويُستثنى منها بعض أيام هجوم. في هذه الأيام أو في أول أيلول 1916 هجم الروس علينا مباغتاً ودخل في خنادقنا بعد حرب الحراب، وكنت في نصف المعمة ولا أدري بنفسى إلا أنى هربت من هذا الهجوم حيث كنت غير مسلح أبداً. (سبق أن أشرنا إلى أنه كان مهندساً في الجيش. العثمانيون كانوا يعتقدون أن أسلحة الصغير هي الذي تسوق حاملها

للقتل. (كذا ولعله يقصد: الأسلحة الصغيرة، غير الكفوءة) وفي هذه الأثناء مررت بمخاطر كُثر حتى سكنت الجبهة. كان الروس يسموننا عثمانلي (الإسلام) أو تورسكى. وبعد مدة غير .... (كلمة غير واضحة، ويمكن أن تكون: مثبتة). رأينا من جميع جهة روسية النار تركزت على تمركر واستدامت النار مقدار ساعتين وحوادثها أن جيش الروس أعلن الشيوعية وياقى القوات .... (قرفته) (مبيجوق) ثم أعطوا جرائد ومطبوعات من جبهة الغرب لتوزعها على قطعات الروس، وقالوا أن لنين مرق في القطار إلى الشرق.

بهذه الأثناء زارنا فردريك ويلهم وتقرّب إلى خطوط النار. وأرسل بعض الوسامات.

في 1916 أيلول أعلنوا في الأمر اليومي للفيلق وبه كثير من المدح لعملي وشجاعتي، وقد ترفعتُ إلى رتبة يوزباشي، وصرت من الضباط الشجعان (ممتاز) وقدتُ جحفاً صغيراً للمدفعية (كوجك محاريه سي طوبجي). أرسلوني لأثبت مواضع الدفاع للفيلق إحتياطاً (مداخله موضعلري) وبعد معارك شرسة، استقر الحال مؤقتاً في فينا، التي يكتبها (ويانه) على عادة الترك، وشاء القدر أن يمرض ضابط ركن الفرق العشرين التي كانت بقيادة ياسين باشا الهاشمي، فحل هو محله، وحينما انتقلت الفرقة إلى استانبول، كان الرحال من بينها، فلبثت الفرقة في العاصمة العثمانية مدة، وبعدها انتقلت إلى حلب. يقول: «في صيف 1917 وأنا في ويانه صدر أمر الرجوع إلى استانبول. وكان ياسين باشا موجوداً في ويانه أخذني بمعيته ضابط ركن الفرقة. حيث ضابط ركن الفرقة إسماعيل تمرّض وأعطاني واجباته، وكنت أمضي ضابط ركن الفرقة. ونقلت الفرقة كاملاً إلى استانبول (ارن كوي) ثم إلى حلب. أيام الحرب كانت غريبة في كل ساعة يتبدل الوضع، لا يمكن .... (كلمتان غير واضحتين)

إن جنود الروس ما قتلوا أسيراً عكس جنود الأتراك، حيث يوجد أمر فوج أعطى أوامر قال ما أريد أسير، أريد رؤوس (كُلّه)

وجاء إعلان الهدنة بين دول الائتلاف، ودول الوسط، وبضمنها الدولة العثمانية، بمثابة نقطة تحول خطيرة في الوعي السياسي للضباط العراقيين خاصة، ففيها أدرك

هؤلاء الضباط أن لا سبيل لإحياء الدولة العثمانية، وإن جيوش الدول الأوروبية أخذت باحتلال أجزاء منها فعلاً، ومن ثم لا أمل في مواصلة الحرب في جيوشها، وكانت الدعاية للثورة العربية بقيادة الشريف حسين قد بلغت أشدها، ولذا أعلن أولئك الضباط الالتحاق بالجيش العربي السوري، بقيادة فيصل بن الحسين. وبينما تذكر موسوعة القوات العراقية المسلحة أن مهدي الرحال كان ضمن الضباط العراقيين الذين تركوا الخدمة في الجيش العثماني، بعد دخول الجيش العربي دمشق، في 1 تشرين الأول سنة 1918، أي قبل إعلان الهدنة في 31 تشرين الأول من تلك السنة، يذكر هو في مذكراته أنه التحق بالضباط العراقيين الذين كانوا في السويس، بعد إعلان الهدنة لا قبلها، يقول «وبعد الهدنة التحقت مع العراقيين في السويس، والتحقت بجيش العربي السوري برتبة مقدم، وبراتب عشرين ليرة ذهب إنكليزية، وبقيت سنتين في سورية إلى سقوط فيصل. وجاءني مع الضباط العراقيين وفد العراقيين [كذا، ولعل تمام العبارة: الداعين إلى] استقلال العراق، ولذلك تجمعوا في دار المرحوم جعفر باشا في دمشق، مع الأسف ظهر اثنين من الضباط للتجسس علينا». وهذا الاجتماع الذي يشير إليه مهدي الرحال، هو نفسه الذي حضره علي جودت الأيوبي، وتحدث عنه في ذكرياته، إذ قال «اجتمعنا في دار المرحوم جعفر العسكري بمعظم الضباط العراقيين وبعض المدنيين، الذين كانوا يومئذ في دمشق، وفاتحناهم في الأمر، وشرحنا لهم ما آلت إليه حالتنا في سورية، وما هي عليه اليوم حالة العراق، وقررنا الذهاب إلى (دير الزور) لمحاربة الإنكليز» (علي جودت، ذكريات، بيروت 1967، ص 93) فيفهم مما يأتي، أن بريطانياً كان مختفياً في دار جعفر العسكري للإطلاع، فيما يبدو، على مجريات المؤتمر، وأن اثنين من حراس جعفر نفسه، كانا موضع شبهة لدى المؤتمرين. ومن الواضح أن سبب وجود أولئك الجواسيس هو رغبة البريطانيين في معرفة نوايا القادة العرب، والحكومة الفيصلية في سوريا، تجاه الوجود البريطاني في العراق، وقد تجلت هذه النوايا في قرار المجتمعين باتخاذ (دير الزور) ميداناً للصدام بالبريطانيين، يقول علي جودت «ولهذه الأسباب قررنا أن نذهب ونحارب حتى الموت لاسترجاع حقوقنا». وذلك على الرغم من تحالف قيادة الشريف حسين مع حكومة بريطانيا آنذاك في الحرب على الدولة العثمانية.

وعلى أية حال، فهذا الجزء من المذكرات يكشف عن ظهور أول بوادر شكوك العراقيين بموقف بريطانيا الحقيقي من الثورة العربية، وقضية استقلال العرب تحت زعامة الشريف حسين، خاصة وإن أنباء ثورة العشرين أخذت تتوارد على أسماعهم تباعاً. بل بلغ الشك منهم أنهم طالبوا جعفر باشا بفتح تحقيق مع هؤلاء المتسللين، الذين يسميهم في موضع آخر بالجواسيس. يقول «تجمع العراقيون بدمشق بعد إعلان سورية استقلالها، وذلك لأجل إعلان استقلال العراق تحت تاج آل الهاشمي عبد الله بن الحسين. وقد تجمّعنا في دار جعفر باشا وكان البريطاني مخفى في بيت جعفر في غرفة قال عنها جيداً لخفائها (كذا)، نسأله جعفر التحقيق كان اثنين من حراسه معنا مع اشتباهنا بهم ما تعرض عليهم أحد منا». وفي أثناء إقامته بدمشق، كلف بمهمة سرية، جرى التنسيق بشأنها بين قيادة الجيش العربي السوري، وضباط بريطانيين، بهدف السفر إلى العراق. وكانت ثورة العشرين قد اشتعل أوارها آنذاك، لاقتناع الضباط العراقيين الذين لم يلتحقوا بالجيش العثماني عند انسحابه من البلاد، بالالتحاق بالجيش العراقي الجديد. يقول: «في هذه الأيام جاءني أمر من وزارة الحربية السورية أن أروح إلى السلط وأقابل کرنل ديقنبورت وثايلبة وأدفيست، وكلفني کرنل أن أروح أخدم في العراق، وجئت [إلى] ياسين باشا وأفادني : لا ترجع وحدك إلا مع العراقيين، وهكذا أجبته المومي إليه. ونلت وسام M.C مع إعلان اسمي في جريدة الوقائع اللندنية وذلك لالتحاق العراقيين جميعاً بجيش سمي الجيش العراقي، وقد تعيّنُ أمراً للبطارية الثانية الجبلية». لم يذكر الرحال المدة التي قضّاها في العراق، ومدى نجاحه في مهمته العسيرة، ومن هم الضباط الذين وفق في إقناعهم بالالتحاق بالجيش العربي السوري في دمشق. بيد أن من المؤكد أنه عاد إلى دمشق سنة 1920، فإنه يذكر أنه حضر المؤتمر العراقي الأول الذي انعقد فيها في آذار من تلك السنة، وهو المؤتمر الذي طالب فيه الضباط العراقيون، وعراقيون آخرون، باستقلال العراق والاتحاد مع سوريا. ومن الملفت للنظر أنه يصرح بالتحاق الضباط العراقيين بجيش «سمى الجيش العراقي»، ويعني هذا أن إطلاق هذه التسمية قد جرى قبل التأسيس الفعلي للجيش العراقي، في بغداد في السادس من كانون الثاني من تلك السنة. وتنفيذاً لمقررات الاجتماع الذي عقد في دار العسكري، التحق الرحال بالقيادة العربية في دير الزور، مقدماً إشارات مهمة عن دور بعض الزعامات القبلية هناك في

التصدي للبريطانيين فيقول: «ثم التحقت في دير الزور بالثورة، كان محمد الفتيان مع الدليم، وأنا مع مشرف الدندل، كان هذا رجلاً شريفاً بكل معنى الكلمة ورجل قتال». ولا يذكر لنا ما جرى بعد ذلك حتى وصوله إلى البصرة عن طريق السويس، والذي نرجحه أنه كان من بين الضباط الذين وقعوا، بعد فشل الثورة، أسرى بيد القوات الفرنسية التي أتمت احتلال سوريا، مسقطاً حكومة فيصل، فقامت هذه بنفيهم إلى جزيرة (أرواد) قرب الساحل السوري، وبعد ثلاثة أشهر، نقلوا إلى بيروت، ثم سَفَرُوا بالقطار إلى دمشق، ثم جرى نقله، ضمن مجموعة من الضباط ونواب الضباط والموظفين المدنيين، يبلغ عددهم 111 رجلاً، إلى السويس، ومنها استقلوا مركباً يونانياً يدعى (ملتيادس) أبحر بهم إلى البصرة، حيث استقلوا القطار، حتى وصلوا إلى بغداد، عاكدين العزم على الانخراط بالجيش العراقي الذي كان يجري تأسيسه آنذاك . يقول: «رجعت بعد اليأس إلى بغداد عن طريق السويس- بصرة، في مركب قديم جداً، وكنا نناhez المائة، وكلنا عراقيين، وصلنا البصرة ثم ركبنا القطار إلى بغداد».

وبوصول الضباط إلى بغداد، سجلوا أسماءهم في مديرية السجل العام (المعاملات الذاتية)، وبينما تذكر موسوعة القوات المسلحة العراقية أن هذه المديرية كانت تشغل بعض حجرات مبنى الباب الشرقي، يذكر الرجال أنه سجل اسمه في غرفة والي بغداد (السابق بالطبع)، بمعنى أن التسجيل جرى في بعض مباني السراي حصراً. يقول «سجلنا اسمنا في غرفة والي بغداد، وسجلونا في قائمة تُسمى جيش العراق».

وسرعان ما دبَّ الخلاف حول مراتب الضباط، واحتساب أقدميتهم، ومن ثم مقدار راتب كل منهم، يقول «وقد بدأ أول قال وقيل بين الجماعة، وظهر الخلاف على الترتيب أولاً، وكان رئيس المخالفين عارف عانة وسعيد حقي، وتساوت المسألة واختفت الفروقات» ويذكر الرجال أنه سجل في صنف المدفعية، برتبة مقدم، يقول «وأدخلت برتبة مقدم في قائمة المدفعية في جيش العراق». لكن موسوعة القوات المسلحة العراقية تشير إلى أن أمراً قد صدر عن وزارة الدفاع بتأليف سرية النقلة الأولى في 24 تموز 1921، وأسندت آمريتها إلى وكيل القائد (الرائد) مهدي صالح الرجال، فشرع من فوره في تأليف هذه السرية في الكتلة الشمالية، وأنه استمر في

عمله إلى أن نقل إلى البطرية الجبلية الثانية. وكان نقله إلى هذه البطرية، قد جرى بعد أن انخرط في دورة خاصة بالمدفعية. فيقول «وأدخلونا وأنا معهم في دورة للمدفعية، وكان عددنا 14 ضابط مدفعي» وفي أثناء التحاقه بالدورة، حدث أن تُوج الأمير فيصل بن الحسين ملكاً على العراق، ويعبر الرجال عن مشاعره إزاء هذا الحدث بقوله: «وقالوا أن فيصل جاء إلى بغداد، وقد تلقيناه بكل احترام وسرور، ثم صار تتويجه».

تمثل مذكرات المقدم مهدي الرجال نموذجاً لضابط عراقي شجاع، تمكن بفضل صبره، وحسن تدريبه، أن يحارب في جبهات شتى، وفي ظروف بيئية مختلفة، بعيدة كل البعد عن بيئته في وطنه، كما تكشف - على الرغم من صغرها - عن جملة من الأسرار التاريخية غير المعروفة، فليس لنا بعد هذا إلا أن نتساءل: كم من المعلومات ضاعت، وكم من الأسرار اختفت بموت أصحابها، وكم من البطولات الشخصية والوطنية نُسيَت بطي الدهر لسجل من قام بها، فلعل الزمن يسعد الباحثين بلقى ثمينة من هذا النوع، من أوراق وذكريات ومفكرات ووثائق، من شأنها إذا ما دُرست ونُشرت، أن تقيد الباحثين، وتكشف الطريق أمام المؤرخين.

## قراءات في تراث مخطوط



## الايضاح والتبيان في المكيال والميزان

المؤلف :

هو ابو العباس أحمد بن محمد بن علي بن مرتقع بن حازم<sup>(1)</sup> بن إبراهيم بن العباس الأنصاري المصري الشافعي، نجم الدين، المعروف بابن الرفعة. وأضاف صاحب الشذرات<sup>(2)</sup> الى ألقابه: البخاري، نسبة الى بخارى، في حين لم نجد في مصادر ترجمته الأخرى ما يؤيد هذه النسبة، بل يفهم منها أنه لم يغادر مصر في حياته إلا لأداء فريضة الحج.

ولد ابن الرفعة في القاهرة سنة 645 هـ، أي في السنين الأخيرة من حكم الأيوبيين، وكان في نشأته فقيراً الى الحد الذي اضطره للعمل كمُباشر<sup>(3)</sup> في بعض جهات مصر. وعندما لامه أحد صلحاء عصره، هو الشيخ تقي الدين الصائغ، على عمله هذا - والظاهر انه توسم فيه خيراً - اعتذر بالضرورة<sup>(4)</sup>. ويفهم من هذا أن ابن الرفعة لم يشتغل بالعلم حتى بلوغه مبلغ الرجال، ويؤيد هذا الرأي أن عدداً ممن أخذ عنهم الفقه والحديث وسائر العلوم كانوا ممن توفى في أواخر حياته أو نحو ذلك، مما دلّ على أنه تلقى العلم عنهم وهو كبير على خلاف المعتاد في تعليم الناشئة في ذلك العصر، وكل عصر.

أخذ ابن الرفعة بالتعلم بتشجيع من الشيخ تقي الدين الصائغ، فحضر مجلس قاضي مصر آنذاك، وأظهر فيه نبوغاً فريداً في البحث والتتبع، ثم مضى في اتمام علومه، فأخذ الفقه من كبار علماء عصره، منهم:

- 1- الشيخ جعفر بن عبد الرحيم بن احمد الحسني القنائي.
- 2- الشيخ جعفر بن يحيى المخزومي، ظهير الدين التزمّنتي<sup>(5)</sup>.
- 3- الشيخ سديد الدين عثمان بن عبدالكريم التزمّنتي المتوفى سنة 664.
- 4- القاضي عبد الوهاب بن خلف، ابن بنت الأعز، المتوفى سنة 665

---

(1) في طبقات الشافعية الكبرى للسبكي، ط عيسى البابي، 1964، ج 5 ص 1776 صارم بالصاد.

(2) شذرات الذهب، القاهرة 1350 ج 6 ص 22/6.

(3) المباشر هنا: الموظف. انظر القلقشندي: صبح الاعشى 3/ 452.

(4) ابن حجر العسقلاني: الدرر الكامنة، بتحقيق محمد سيد جاد الحق القاهرة 1962. ج 1 ص 205

(5) نسبة الى تزمّنت من اعمال بني سويّف في مصر

5- القاضي محمد بن الحسين الحموي، ابن رزين. المتوفى سنة 656

7- محمد بن علي ابن دقيق العيد المتوفى سنة 702.

وسمع الحديث النبوي من جماعة، منهم:

8- عبد الرحيم الدميري، محيي الدين.

9- علي بن محمد الصواف.

تولى ابن الرفعة عدة مناصب شرعية مهمة بعد اتمامه تعليمه، وظهور نبوغه في الفقه بخاصة، فصار قاضياً في الواحات بمصر، ثم ولي أمانة الحكم ثم حسبة مصر (القاهرة) والوجه القبلي من عملها رداً من الزمن حتى وفاته<sup>(1)</sup>.

ولم ينقطع - أثناء توليه أعماله تلك - عن التدريس والإفادة في المدارس المهمة المشهورة في مدينة القاهرة، فدرس في (المدرسة المعزية) وفي (المدرسة الطبرسية)، وكان في تدريسه مثلاً للعالم المتواضع، والأب الحاتي، فكان «كثير الاحسان الى الطلبة بماله وجاهه، مساعداً لهم بما تصل اليه قدرته»<sup>(2)</sup>.

ويبدو أن وظائفه كانت تدرّ عليه دخلاً طيباً، مكنه من توظيفه في بعض المشروعات الاقتصادية، فكان له (مطبخ سكر)، وقد وقف شيئاً من امواله على (سبيل ماء) في السويس وهي احدى منازل الحاج<sup>(3)</sup>.

صنف ابن الرفعة جملة من الكتب المفيدة في مجال اختصاصه، وصلنا من أسمائها ما يأتي:

1- الكفاية (او كفاية النبيه) في شرح التبيه و (التبيه) أحد الكتب الخمسة المشهورة المتداولة لدى الشافعية. قال صاحب كشف الظنون في وصفه «هو شرح كبير نحو عشرين مجلداً لم يعلق على التبيه مثله، مشتمل على غرائب وفوائد كثيرة»<sup>(4)</sup> وقال الأسنوي «جمع فيه فأوعى»<sup>(5)</sup>.

(1) الاسنوي: طبقات الشافعية، بغداد 1970، ج 1 ص 601

(3) الدرر الكامنة 204/1.

(4) المصدر نفسه.

(1) كشف الظنون 91

(2) الاستوي: طبقات 601/1.

2- المطلب في شرح الوسيط، و (الوسيط) في فروع الفقه الشافعي للإمام أبي حامد الغزالي (ت 505 هـ). قيل انه بلغ ستين مجلدا ولم يكمل<sup>(1)</sup> فأكملة غيره<sup>(2)</sup> والمباحث<sup>(3)</sup>.

3- النفائس في هدم الكنائس. وهو مختصر علقه في رمضان سنة 707 هـ<sup>(4)</sup>.

4- الايضاح والتبيان في المكيال والميزان. وهي الرسالة التي تقوم بنشرها.

توفي ابن الرفعة في ثامن عشر شهر رجب سنة 710 هـ (10 كانون الاول 1310م)<sup>(5)</sup>. وقد أشى عليه معاصروه ومؤرخو سيرته الثناء الجميل. فقال السبكي «شافعي الزمان، ومن ألفت إليه الأئمة مقاليد السلم والامان... ولقد كان عصره محشواً بالأئمة إلا إنها سلمت وأذعنت.. سار اسمه في مشارق الأرض ومغاربها وطار ذكره ملء حواضرها وبواديها وقفارها وسباسبها، ذو ذهن لا يدرك في سرعة الإدراك»<sup>(6)</sup>. ووصفه بمثل ذلك الأسنوي، وقال «كان أعجوبة في استحضار كلام الاصحاب لاسيما من غير مظانه، وأعجوبة في معرفة نصوص الشافعي، وأعجوبة في قوة التخريج، ديناً خيراً محسناً الى الطلبة»<sup>(7)</sup>. وقال الياضي «حامل لواء الشافعية في عصره.. أحد الأئمة الأجلة علماً وفقهاً وديانة»<sup>(8)</sup>.

#### الرسالة:

ألف ابن الرفعة رسالته جملة واحدة في اليوم الخامس والعشرين من شهر صفر سنة ثلاث وسبع مائة، (7 تشرين الاول 1303م) وعنونها ب (الايضاح والتبيان في المكيال والميزان)<sup>(9)</sup> وربما كان للسجعة أثر في هذا العنوان، وإلا فإنه قدّم الكلام في الميزان على كلامه في المكيال، وألحق به فصلاً في الأطوال، لم يشير اليه في العنوان

(3) كشف الظنون 2008 وفي شذرات الذهب انه في نحو اربعين مجلدا.

(4) الدرر الكامنة 1/ 204.

(5) شذرات الذهب 6/ 22.

(6) كشف الظنون 1966.

(7) الدرر الكامنة ج 1 ص 204

(8) طبقات الشافعية الكبرى ج 5 ص 177

(9) الاسنوي: طبقات ج 1 ص 601

(10) الياضي: مرآة الجنان، بيروت 1970، ج 4 ص 249

(1) هذا العنوان هو الذي تحمله مخطوطته المحفوظة في دار الكتب المصرية بالقاهرة. وفي

ايضاح المكنون 1/ 185 وهدية العارفين 1/ 102.

أيضاً. وقد وردت الإشارة الى هذه الرسالة بعنوانات شتى، فسمّاها صاحب الدرر الكامنة (حُكم المكيال والميزان)<sup>(1)</sup> ودعاها الذهبي (التيان) فحسب<sup>(2)</sup> ونوّه بها الأسنوي بقوله (وله تصنيف لطيف في الموازين والمكاييل والأطوال)<sup>(3)</sup>. وإن قيامه بالجمع بين هذه المسائل، في رسالة واحدة، يدل على ريادته في هذا المجال، إذ لم نعر على من سبقه في ذلك. ولا شك في أن رسالته هذه هي من أوائل الرسائل المعروفة في علم الأوزان والمكاييل والأطوال، ولا أدل على ذلك من أنه لم يعتمد في مصادره رسائل و كتب مُفردة في هذا العلم، وإنما رجع الى كتب الحديث الشريف والفقه رأساً، وهي المصادر الأصلية للمعلومات من هذه الامور. وقد حاول التماس معلومات من كتب غيرهم، فصرّح بنقله من كتب الهندسة لأنه لم يرَ في كتب أصحابه من الفقهاء ما يشفي غليله. واعترف أيضاً بشحة المعلومات عن مسائل الأطوال، ولذلك فإن ما كتبه عنها جاء مبتسراً الى حد كبير.

وللرسالة جانب مهم آخر، فإن مؤلفها عُنَى بالبحث في الأوزان والمكاييل التي كانت معروفة في عصره، فحدّد العلاقة بين هذه المقاييس وما آلت اليه لدى معاصريه. ولا نشك في أن هذا التحديد هو هدف رسالته وغايتها، نظراً للتغيرات الكثيرة التي طرأت على هذه المقاييس في القرون الاخيرة، وبخاصة في عهد الأيوبيين والمماليك، مما استدعي البحث في شرعية ما أحدثته هذه التغيرات في أمور تتعلق بالمسائل الشرعية من زكاة وصدقة وإجارة وبيع وغيرها. ويظهر أن ابن الرفعة استفاد من منصبه كمُحتسب في تحديد تلك العلاقة، مستنداً الى ما وجده من مقاييس قديمة، كانت محفوظة في دار الحسبة بالقاهرة.

اعتمد ابن الرفعة على الكتب المؤلفة في فروع الفقه الشافعي غالباً، وقد صرح بعنوانات بعض مصادره، وأغفل ذكر معظمها، مكتفياً بأسانيده مُرسلة كقوله (نقل بعض مشايخي) و (قالوا) و (قال بعضهم) و (ذكر الأصحاب) و (بعض الناس.. قال). فمن المؤلفين الذين صرّح بأسمائهم، أو نوّه بذكر عناوانات كتبهم، نذكر:

1- الإمام الشافعي (ت 204 هـ) في (الأم).

(2) 204/1.

(3) النقود العربية (حرره: انستاس الكرمل، القاهرة 1929) ص 76

(4) طبقات الشافعية 601/1.

- 2- إسماعيل بن يحيى المزني (ت 264هـ) في (مختصر الام).
  - 3- علي بن محمد الماوردي (ت 450 هـ) في (الاحكام السلطانية).
  - 4- ابراهيم بن علي الشيرازي (ت 476 هـ) في (المهذب في الفروع).
  - 5- محمد بن هبة الله البندنجي (ت 495 هـ) في بعض كتبه.
  - 6- صاحب البحر (ولعله عبد الواحد الروياني المتوفى سنة 502 هـ).
  - 7- عبد الحق بن عطية المحاربي (ت 542 هـ).
  - 8- عبد الكريم الرافعي (ت 623 هـ) في (المحرر).
  - 9- عماد الدين عبد الرحمن ابن السكري (ت 624 هـ).
  - 10- يحيى بن شرف النووي (ت 677 هـ) في (المجموع شرح المهذب).
- ونظراً لأهمية رسالة ابن الرفعة وريادتها في موضوعها، فانها أصبحت مصدراً لغير واحد من المؤلفين في علم النقود والاوزان والمكاييل، فنقل عنها المقرئزي (ت 845 هـ) نصاً طويلاً عن نسبة الحبة الى المثقال، والدرهم، وهذه النسبة مما انفرد به ابن الرفعة وإن كان قد ذكر أنه نقلها عن «بعض الناس»، وهي تمثل الأساس النظري الذي تستند اليه الأوزان الإسلامية الشرعية. كما نقلها عنه، او عن المقرئزي، مصطفى الذهبي الشافعي من أهل المائة الثالثة عشرة.
- من الرسالة نسخة خطية، محفوظة في دار الكتب المصرية برقم (1140) فقه الشافعي)، وهي تقع في سبع اوراق. ومكتوبة بخط حسن معتاد، ولعلها مما يرقى الى القرن العاشر للهجرة.

وقد عمدنا عند تحقيق هذه الرسالة، الى التزام الامور التالية:

- 1- رجعنا الى ما أشار اليه المؤلف من كتب ورسائل فقابلناه على المخطوطة للثبوت من صحة النقل، وأشرنا الى أوجه الاختلاف في الهامش.
- 2- عرفنا -بإيجاز- بأعلام المؤلفين وغيرهم ممن أستند اليهم المؤلف في بحثه.
- 3- أعدنا حساب المسائل التي أشار اليها المؤلف وقابلنا ذلك على النتائج المتحصلة لديه، واثبتناه في مواضعه.

## بسم الله الرحمن الرحيم

قال الشيخ الإمام العالم نجم الدين أبو العباس أحمد بن محمد بن علي بن  
الرفعة الانصاري الشافعي رحمه الله:

الحمد لله على نعمه المتوالية على مر الزمان، الأمر عباده - خصوصاً أولي الأمر  
منهم - بالعدل والإحسان، والمفضل الأمة الحنيفة المحمدية على سائر الأديان، والمانح  
أهلها بما فيه قوام الدين من حفظ الأموال التي جعلها في الحرمة ما للأبدان، إذ  
نأهم عن التطفيف في المكيال لأنفسهم وأمرهم بالقسط في الميزان، أمراً خاصاً بعد  
إذ هو من جملة الأمر بالعدل والإحسان، ليعلم تأكده في نظره تأكيداً يقتضي تقريره  
في الأذهان. فقال عز من قال في محكم القرآن مقروناً برفع السماء المذكورة في  
معرض الاستان<sup>(1)</sup>: ﴿وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ (7) أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ (8)  
وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ (9)﴾<sup>(2)</sup> [الرحمن]. وتوعد المطففين في  
الكيل لأنفسهم والمخسرين عند استبقاء الغير بالويل وهو من أودية النيران<sup>(3)</sup>. والصلاة  
والسلام الأتمان الأكملان على سيدنا محمد ولد عدنان الذي جاء بالبينات والهدى  
والبرهان، وعلى آله وصحبه المثابرين إمتثال أوامر القرآن، المتجنبين من نواهيها وما  
قاربها حذراً من الوقوع في الخسران، رضي الله عنهم أجمعين وعن التابعين لهم  
باحسان الى يوم الدين.

أما بعد، فإنه وقع في هذا الزمان، وهو عام ثلاث وسبعمئة للهجرة النبوية<sup>(4)</sup>،  
إختلاف بين أهله المتولين لبعض أمره ونهيه في شيء وقع فيه التماس الفتوى طلباً  
للتزود بزد التقوى، وهو بيان الذراع والكيل والوزن بياناً يبلغ فيه الغاية القصوى.  
فأحببت أن اجمع في ذلك ما حضر لي من ما وقعت من كلام أصحابنا<sup>(5)</sup> فيه، مع  
نبذة من كلام غيرهم مستمسكا فيه - انشاء الله - بحبله الاقوى، مبتدئاً بأصل يبنى،

(1) كذا في الاصل.

(2) الرحمن، آية 7-9.

(3) يشير الى قوله تعالى: ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ (1) الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ (2) وَإِذَا  
كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ (3) أَلَّا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ (4)﴾ [المطففين]

(4) تقابل سنة 1303 ميلادية.

(5) يريد اتباع مذهب الشافعي.

هو: أنه لا يجوز تغيير ما قرره الشرع من الكيل والوزن بنقص ولا بزيادة كما دلّ على ذلك قول من أوجب علينا العبادة وأرشدنا<sup>(1)</sup> (و 12) بلطفه للفادة، وحضّ على اتباع أوامره الظاهرة، وما دلت على أنه أراد.

قال الله تعالى في كتابه المبين حكاية عن شعيب المأمور بالأبرار والبنين: ﴿وَيَا قَوْمِ أَوْفُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾<sup>(2)</sup> [هود]، قال ابن القشيري في تفسيره<sup>(3)</sup>: وليس يريد الله -سبحانه وتعالى- بذلك إيفاء ما يُكال ويؤزن لأنه لم يقل: أوفوا بالمكيال والميزان: بل أراد: لا تنقصوا حجم المكيال والميزان عن المعهود. وكذلك الصنجات<sup>(4)</sup>. وهذا وإن كان شرع من قبلنا فأصول شرعنا تقتضيه، فإن الله تعالى علّق بكل من الكيل والوزن أحكاماً في الزكاة وغيرها. وفي تجويز تغييرها تعطيل لما ورد به الشرع من ذلك، ويصير مجهولاً لا يهتدي إليه من يعرف صورة الحال. وإذا بقي ذلك لحاله، على الوضع الذي تقرر في صدر الاسلام، بقيت نصب الشرع معلومة، وأحكامه محررة، يعرفها من عرف الاصطلاح الأول ومن لم يعرفه. وإذا دلّ على ذلك أصول شرعنا كان موافقاً لما وردت به الآية حاكية عن شرع من قبلنا، فإقتضى الاحتجاج به إتفاقاً. على إنا نقول [لو]<sup>(5)</sup> لم نجد في أصول شرعنا ما يؤيد ذلك لكان أظهر الوجهين في الحاوي أنه شرع لنا، بل هو الذي نص عليه الشافعي -رحمه الله- في (الأم) في كتاب الإجارة<sup>(6)</sup>.

(1) في الاصل: لارشدنا.

(2) هود: آية 85.

(3) لم نتأكد من هذا التفسير ومؤلفه. ولعله (التيسير في التفسير) لعبد الكريم بن هوزان القشيري (ت 465هـ) أو (تفسير القرآن) لابنه عبد الرحيم بن عبد الكريم القشيري (ت 514هـ) أو لعله لغيرهما من القشيريين.

(4) الصنّج، والصنجة من الفارسية: سنكة، وتعني الحجز والوزن، ويراد بها العيار، واتخذت من الزجاج، وعرف استعمال الصنّج اول الامر من المعادن، كالبرونز والحديد، ثم لتقدير اوزان السكة على وجه التحديد. ويحمل الصنّج عادة رسوم وكتابات تتضمن اسم الامير الذي صنعت برسمه، وثقلها، وآيات والفاظ دينية.

انظر عبد الرحمن فهمي محمد: صنّج السكة في فجر الاسلام (القاهرة 1957).

(5) الزيادة يقتضيها السياق.

(6) (الاجارات) باب من كتاب (البيوع) وليس كتاباً مستقلاً، ولم نقف فيه على هذا النص (كتاب الام، بولاق 1221هـ، ص 520).

وإذا عرفت ذلك، إنتقلنا بعده الى <sup>(1)</sup> المكيال والميزان، وبدأنا <sup>(2)</sup> بالميزان لأن منه، إذا عُرِف، يُعرف حال المكيال. فنقول: المتفق عليه من أصحابنا - فيما وقفت عليه من كلامهم- ان المِثقال من حين وضع لم يختلف في جاهلية ولا إسلام. وعبارة ابن داود انه لم يختلف في الاسلام. وكذلك قال الشافعي فيه مع الدرهم ما قال، كما ستعرفه. قال الشيخ محي الدين النووي <sup>(3)</sup> رحمه الله: وزنته ثنتان وسبعون شعيرة من حب الشعير الممتليء غير خارج عن مقادير الشعير غالباً، (و) ان يكون مقطوع منه ما دق وطال من طرفي كل شعيرة كما قيده غيره -كما ستعرفه-.

وإذا كان كذلك <sup>(4)</sup> كان صنجه سبع مثاقيل تعدل من الشعير الموصوف خمس مائة حبة (و2ب) وأربع حبات. وبعض الناس لم يضبط المِثقال بذلك بل بحب الخردل البري إذ قال ما معناه: (ان) <sup>(5)</sup> الذي اخترع الوزن في الجاهلية <sup>(6)</sup> بدأ بوضع المِثقال فجعله ستين حبة، زنة كل حبة منها مائة حبة من حب الخردل البري المعتدل. وكان صفة وضعه لذلك ان جعل يوزن المائة حبة من الخردل صنجة، ثم جعل يوزنها مع الخردل

(1) لعل (في) زائدة.

(2) في الاصل: وبدأ.

(3) هو الشيخ يحيى بن شرف بن سري النووي الدمشقي الشافعي، محي الدين (ت 677 هـ) ولم يشر المؤلف الى عنوان كتابه الذي نقل منه، ولكن يفهم مما اورده النووي في كتابه الكبير المسمى (شرح المذهب) (مطبعة الامام بمصر) ان له رأياً مخالفاً لما نقله ابن الرفعة، فقد نقل، اي النووي، (ج 6 ص 16) من كتاب الاحكام للحافظ ابي محمد عبد الحق بن عبد الرحمن بن عبد الله الازدي راي ابن حزم وخلاصته أن دينار الذهب بمكة وزنه ثنتان وثمانون حبة وثلاثة اعشار حبة من حب الشعير وعشر عشر حبة، وقد أيد النووي هذا الراي، وشك فيما عداه. والظاهر أنه أيد في كتاب آخر له القول بأنه يزن ثنتين وسبعين شعيرة، وهو ما وقف عليه ابن الرفعة ونقله هنا.

(4) في الاصل : خمس.

(5) ما بين القوسين يشبه لفظ المقريري في شذور العقود في ذكر النقود (النجف 1967) ص 5 ولم يذكر كلاهما مصدره.

(6) في المقريري (ان الذي اخترع الوزن في الدهر الاول) ونسب مصطفى الذهبي (كان حياً 1256 هـ) الى ابن الرفعة قوله ان مخترع الوزن من اليونان (تحرير الدرهم والمِثقال والرتل والمكيال، نشره انستاس الكرملي، في كتابه (النقود العربية وعلم النبات) القاهرة 1939، ص 77، وليس في رسالة ابن الرفعة هذه، ما يؤيد انه قال ذلك.

صنجة أخرى ثم أخرى، فبلغ مجموع الصنج خمسة<sup>(1)</sup> حبات<sup>(2)</sup> فعمل بوزنها صنجة نصف سدس مثقال، ثم جمع كل ذلك<sup>(3)</sup> وجعل يوزنه صنجة ثلث مثقال مُترَكَّب من ذلك نصف مثقال، ثم مثقالاً ثم مثقالين، ثم خمسة<sup>(4)</sup> مثاقيل، ثم عشرة ثم هكذا الى الألف، فاذا المثقال عنده بحبات الخردل الموصوف ستة الاف حبة. وسبعة مثاقيل تكون إثنين وأربعين ألف حبة، وعددها<sup>(5)</sup> يعسر، فكذلك لم تعد منها الا مائة، ثم عد بها الى الوزن ما عاد لها).

واتفق جميع النقلة على أن السبعة مثاقيل تعدل وزن عشرة دراهم من دراهم الاسلام التي استقر عليها الحال حين اتفق على ضربها، ولفظ الشافعي في ذلك في الأم، في الجزء الثالث في باب صدقة الورق<sup>(6)</sup> وكذلك في المختصر<sup>(7)</sup>، فاذا بلغ الورق خمسة أواق<sup>(8)</sup>، وذلك مائة درهم بدراهم الاسلام، وكل عشرة دراهم من دراهم الاسلام، وزن سبعة مثاقيل ذهباً، مثقال الاسلام. فيكون زنة كل درهم من الشعير الذي وصفناه<sup>(9)</sup> - بحسب<sup>(10)</sup> ما سلف - خمسين حبة وخُمسي حبة. وقد صرح به الإمام الرافعي<sup>(11)</sup> في كتاب الطهارة<sup>(1)</sup> حيث قال: اشتهر عن ابي عبيد القاسم بن

(1) في الاصل: خمس.

(2) في المقرئ: خمس صنجات.

(3) في المقرئ: ثم اضعف وزنها، وهو الصحيح والاصح من ذلك لو انه قال: اضعف وزنها مرتين.

(4) في الاصل: خمس.

(5) في الاصل: وعددها.

(6) الام ج2 ص23 (بولاقي 1321) ولفظه (وكل عشرة دراهم من دراهم الاسلام سبعة مثاقيل من ذهب بمثقال الاسلام).

(7) يريد مختصر كتاب الام تأليف اسماعيل بن يحيى المزني الشافعي (ت 264 هـ) وقد طبع على هامش الام من الطبعة البولاقية المشار اليها، وورد هذا النص في ج1 ص 234.

(8) يريد الأواق الشرعية الموجودة في مكة في صدر الاسلام، لا الموجودة في مصر في عهده، وتبلغ الاوقية الشرعية المذكورة وزناً يساوي 40 درهماً.

(9) في الاصل: وضعناه.

(10) في الاصل: بحب.

(11) هو عبد الكريم بن محمد بن عبد الكريم الرافعي القزويني الشافعي (ت 623 هـ) وهو من كبار فقهاء الشافعية، وله تأليف في التاريخ والتراجم والحديث فضلاً عن الفقه. السبكي: طبقات الشافعية الكبرى 119/5.

سلام<sup>(2)</sup> عن ابن شريح ان درهم الشريعة خمسون حبة وخُمسا حبة، ويسمى ذلك درهم الكيل لأن الرطل الشرعي منه يتركب، ويتركب من الرطل المد، ومن المد الصاع. قال: وقال الفقيه عبد الحق بن اسماعيل بن عطية<sup>(3)</sup>: إن الحبة التي يتركب منها الدرهم هي حبة الشعير المتوسط التي لم تُقشَّر وتقطع من طرفها ما امتد. قال صاحب البحر<sup>(4)</sup> ( وانما<sup>(5)</sup> جعل كل عشرة بوزن سبعة مثاقيل من الذهب لأن الذهب أوزن من الفضة<sup>(6)</sup>، فكأنهم أخذوا حبة من الفضة ومثلها من الذهب بالمساحة ووزنوهما فكان وزن الذهب زائداً على وزن الفضة مثل ثلاثة أسباع) فلذلك جعلوا كل عشرة دراهم يعدل سبعة مثاقيل لأن ثلاثة أسباع الدرهم إذا أضيفت عليه بلغت مثقالاً، فالمثقال إذا نقصت منه ثلاثة أعشاره بقي درهماً<sup>(7)</sup>. قال ابن داود: والعشرة مثاقيل تكون أربعة عشر درهماً وسُبعاً درهماً<sup>(8)</sup>.

(1) لم يشر الى عنوان الكتاب الاصل، وكتاب الطهارة الذي ينقل منه قسم من ذلك الكتاب، وهو (المحرر) في الفقه من اشهر كتبه.

(2) ليس لهذا القول اصل في كتاب الاموال لابن عبيد القاسم بن سلام (ت 224هـ) ولعله نقله من غير هذا الكتاب.

(3) كذا سماه المؤلف، وورد اسمه في مراجع ترجمته: عبد الحق بن غالب بن عطية المحاربي (ت 542 هـ) وهو لقبه، اندلسي، من اهل غرناطة عارف بالاحكام والحديث، وله كتاب في التفسير وآخر في ذكر مروياته، ولا ندري من أيهما نقل المؤلف الرافعي. انظر الزركلي: الاعلام 53/4.

(4) لم يشر الى هذا المؤلف باسمه، ويوجد غير كتاب عنوانه بلفظ (بحر...) واغلب الظن انه من كتب الفقه الشافعي، واشهر كتاب منها تنطبق عليه هذه الصفة (بحر الذهب) في الفروع للشيخ عبد الواحد بن اسماعيل الروياني الشافعي المتوفى سنة 502 هـ، وقد وصفه صاحب كشف الظنون (ص 226) بأنه (بحر كاسمه).

(5) ما بين القوسين منقول من كلام المسعودي (نقله الشيخ ابراهيم سليمان ابراهيم سليمان العاملي: الاوزان والمقادير (صور 1963) ص 28)

(6) يبلغ الوزن النوعي للذهب 19,3 والوزن النوعي للفضة 10,5 أي أن نسبة الوزن بينهما يمكن أن تقوم بـ (1:2) بينما تعتبر النسبة الشرعية العرفية هي (7:10) كما في النص، و (2:3) كما في اصول اخرى، والفرق بينهما يسير، فدرهم الفضة على اساس النسبة الاولى 2,97 غراماً، وهو على اساس النسبة الثانية 2,82 غراماً (فالترهننس: الاوزان والمكايل الاسلامية من 10) وكلا النسبتين عريفي، لاينطبق على وزنيهما الحقيقيين.

(7) في الاصل : درهم.

(8) وتساوي على وجه الدقة 14,285714 من الدرهم.

وبعض الناس قال: إنما قيل أن كل سبعة مثاقيل تعدل عشرة دراهم، لأن الواضع للاوزان جعل الدرهم ستين حبة. لكنه قال: إن كل عشرة دراهم تعدل زنة سبعة مثاقيل، فلزم من ذلك أن يكون جعل كل حبة من حبات الخردل سبعين حبة. ومنها ركَّب الدرهم فما فوقه الى الالف كما تقدم قبله في المثلقال<sup>(1)</sup>، وقد رأيت في بعض كتب الهندسة ولم أره في كتب أصحابنا .

والضبط بحب الخردل أحسن من ضبطه بحب الشعير لقلة التفاوت فيه. وعلى الجملة فقد قالوا: إنه كان في الجاهلية دراهم مختلفة، طَبْرِيَّة، وهي منسوبة الى بلد طبرية<sup>(2)</sup> كما يشير اليه كلام صاحب التهذيب في كتابه الاقرار - وبَغْلِيَّة، وهي منسوبة الى بلد يقال له رأس البغل<sup>(3)</sup> وخوارزمية، وغير ذلك.

(1) انفرد المؤلف بنقله هذا النص، ولذلك فانه صرح بنقله إياه من غير كتب الفقه، وهي المعتمدة في مثل هذه المباحث. وتذهب نصوص فقهية عديدة الى أن زنة الدرهم الشرعي هي 48 حبة، باعتبار انه يتألف من 6 دوانيق زنة كل منها 8 حبات (انظر مثلاً العاملي: الاوزان والمقادير ص 32). وبما ان حاصل ضرب  $60 \times 100$  (وهو عدد حبات القمح المساوية لوزن حبة خردل واحدة) يساوي 6000 فان هذا العدد يمثل عدد حبات القمح في المثلقال نفسه، على ما تقدم. وقد حل المؤلف الاختلاف بين الروايتين بأن اعتبر أجزاء حبة الخردل  $70 \times 100$  ليصبح حاصل ضربيهما 4200 وهو عدد حبات القمح في الدرهم الشرعي. ومن هذا نرى ان الحبة تمثل شيئاً يختلف اختلافاً كبيراً باعتبار وحدة الوزن، فهناك حبة بمعيار الفضة وأخرى بمعيار الذهب، وحبة من المثلقال وغيرها من الدرهم الخ. وانظر دائرة المعارف الاسلامية، مادة (حبة) بقلم E.V. Zambaur .

(2) طبرية: بلدية مطلة على البحيرة المعروفة ببخيرة طبرية.. من اعمال الاردن في طرف الغور. والنسبة اليها طبراني، لا طبري، والاخير منسوب الى طبرستان في ايران (ياقوت: معجم البلدان 4/ 18) وعلى هذا استند الاب انسناس ماري الكرمل في نفيه ان تكون الدراهم مما ضرب في طبرية، مؤكداً ضربها في طبرستان (النقود العربية وعلم النميات ص 24) ويؤيد هذا الرأي ان الدراهم كانت مما يضره الفرس لا الروم، وكانت الاردن جزءاً من املاك الدولة الرومانية، التي يجري التعامل فيها بالدنانير لا الدراهم.

(3) اختلف المؤرخون في سبب هذه النسبة الغربية، فذهب بعضهم الى ما ذكره المؤلف، وزاد عليه ان البلدة اسمها بغلى، وهي قريبة من الحلة (الكرملي: النقود العربية ص 22 عن مجمع البحرين) واضاف آخرون انها (مدينة قديمة من بابل يقال لها بغل متصلة ببلد الجامعين، وجد فيها حفرة فيها دراهم واسعة) المقريزي: شذوذ العقود تعلية السيد علي بحر العلوم ص 50 عن السرائر لابن ادريس) ولم اقف على خبر هذه المدينة، ومن الثابت أن البابليين لم يتعاملوا بالنقود اصلاً وانما بأوزان الفضة، فالظاهر اذن أنها نوع من الدراهم الفارسية القديمة المستعملة في العراق آنذاك، يؤيد هذا قول المقريزي (هي من دراهم فارس) وذهب آخرون (شذوذ العقود، تعلية

وكانت زنة الطبرية - فيما قاله بعضهم - ثمانية دوانيق، وفيما قاله الجمهور أربعة. وزنة البغلية، فيما قاله الأول: أربعة دوانق، وفيما قاله الجمهور في كتاب الإقرار<sup>(1)</sup> وغيره: ثمانية دوانق، وزنة الدرهم الخوارزمي أربعة دوانق ونصف.

قال أصحابنا<sup>(2)</sup>: وكان غالب ما يُعامل به من أنواع الدراهم في عصر النبي (صلى الله عليه وسلم) والصدر الأول بعده، نوعان من أنواع الدراهم، الطبري والبغلي. قال البندنجي<sup>(3)</sup> وصاحب البحر حكاية عن رواية أبي عبيد القاسم بن سلام<sup>(4)</sup>: وكانت الزكوة تجب في صدر الاسلام في هاتين منها، فلما كان في زمن بني أمية أرادوا ضرب الدراهم فنظروا في التعقب<sup>(5)</sup>، فان هم ضربوا احدهما بمفرده أضر ذلك بأرباب الأموال أو أهل السهمين من الزكوة، فجمعوا الدرهمين (و3ب) وقسموهما درهمين فخرج من ذلك كل درهم ستة دوانق.

والدائق على المشهور من حبات الشعير الموصوف ثمان وخمسا حبة<sup>(6)</sup>. وقد زعم

---

السيد بحر العلوم عن برهان قاطع والمصباح ص49) الى انها منسوبة الى رجل اسمه رأس البغل، قيل انه ملك (أو رأس) اليهود، وانه ضربها بعد ان بنى بيتاً للنار في بعض مدن فارس (كذا مع انه كان يهودياً لا مجوسياً) وهذا يدل على ان ضربه لها كان في عصر قبل الاسلام، ولكن تشير رواية اخرى (شذور 48) الى ان رأس البغل هذا كان ضرباً مشهوراً ضربها لعمر بن الخطاب على سكة كسروية في الاسلام. ولم نقف على خبر لرأس البغل هذا، على اهمية منصبه وعمله، في غير هذه الإشارة. مما يرجح كونها موضوعة تماماً، ونص الرواية على أنها سكة كسروية يشير الى انها منسوبة الى كسرى الاول الساساني (521- 579 للميلاد) فتكون قد ضربت في ذلك العهد اصلاً، ويجوز ان عمر ضرب النقود على شكلها، فعرفت باسمها، ولكن ليست ثمة نماذج من هذه الدراهم في متاحف العالم اليوم (عبد الرحمن فهمي محمد: فجر السكة العربية 31).

(1) يريد بكتاب الاقرار احد الكتب التي تنقسم اليها المؤلفات الفقهية الباحثة في الفروع، ويحتوي عادة - على فصول ومباحث، وليس مؤلفاً بعينه.

(2) يريد الشافعية.

(3) هو محمد بن هبة الله بن ثابت البندنجي الشافعي، المعروف بفتاويه الحرم. ولد في البندنجين (مندلي الحالية قرب بغداد) وصحب ابا اسحاق الشيرازي، وجاور بمكة نحواً من اربعين سنة، وتوفي باليمن سنة 495 هـ، ومن آثاره (الجامع) و (المعتمد) وكلاهما في فروع الفقه الشافعي، ولا نعرف من ايهما نقل المؤلف. الزركلي: الاعلام 355/7 وكحالة: معجم المؤلفين 89/12.

(4) الأموال ص 524.

(5) في الأموال: في العواقب.

(1) اشار الى هذا المقرضي (شذور العقود ص5) وقد ذكر المؤلف قبل سطور ان الدرهم الشرعي يساوي ستة دوانق، وكان قد ذكر سابقاً ان هذا الدرهم يساوي خمسون حبة شعير وخمسان،

بعضهم ان الدائق كالدينار لم يختلف في جاهلية ولا اسلام، ونسب مثل ذلك الى ابن شريح في الدراهم لكن المذهب فيه خلافة.

وقد اختلف في الجامع بين الدرهمين وقسمهما درهمين، فذكر الماوردي: انه عمر (رضي الله عنه)<sup>(1)</sup>، وقال غيره: انه زياد ابن أبيه، وقيل الحجاج في زمان عبد الملك بن مروان<sup>(2)</sup>. وإذا عُرِف ذلك خلص منه أن المراد عند الاختلاف في زيادة المثقال والدرهم، وبعضها الى ما ذكر من العيار فيه يقع الاعتبار، وسنذكر من قصة الرشيد مع الامام مالك (رضي الله عنه) ما يؤيد بعض ذلك ان شاء الله تعالى.

واما القول في المكيال، فالمألوف منه في عصر النبي (صلى الله عليه وسلم) محل إقامته كما جاءت به الأخبار، الى المد، والفرق والعرق، فالمد على ما ذكره أصحابنا زنته رطل وثلاث بالرطل البغدادي. وقد ذكر أصحابنا أن الخليفة الرشيد حج ومعه أبو سيف -رحمهما الله تعالى- فلما دخل المدينة -على ساكنها افضل الصلاة والسلام والرحم- جمع بينه وبين الإمام مالك فسأل أبو سيف مالكا عن الصاع، فقال: خمسة أرطال وثلاث. فانكر أبو يوسف ذلك لأن أبا حنيفة رحمه الله يرى أنه ثمانية أرطال بحديث ورد فيه ضعف أصحابنا، وأولوه على تقدير صحته<sup>(3)</sup>، فاستدعى مالك رحمه الله اهل المدينة وسأل كل واحد منهم أن يحضر صاعه معه، فاجتمعوا ومع كل واحد منهم صاعه، يقول: هذا ورثته عن أبي، وحدثني أنه ورثه عن جدي، وأنه كان يخرج به

---

فاذا قسمنا هذا الرقم على ستة كان الناتج ما ذكره هنا وهو ثمان حبات وخمسان، وفي مصادر أخرى ان الدائق يساوي ثماني حبات حسب (العالمي: الأوزان والمقادير ص 33) فيكون الدرهم اذن 48 حبة.

(1) الماوردي: الاحكام السلطانية (مصر 1960) ص 153.

(2) ذكر ذلك الماوردي ايضاً ص 154.

(3) نقل ابن سلام عن أبي عبيد سبب رأي أهل العراق من أن الصاع ثمانية أرطال ((نهم سمعوا أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يفتسل بصاع، وسمعوا في حديث آخر أنه كان يفتسل بثمانية أرطال) الأموال ص 519 لذا حاول هنتس التوفيق بين رأي أهل العراق (وهو رأي أبي حنيفة) ورأي أهل الحجاز (ومنه رأي مالك والشافعي) معتبراً أن الـ خمسة أرطال وثلاث رطل مدني (نسبة إلى المدينة) تساوي ثمانية أرطال بغدادية (المكاييل والأوزان الإسلامية ص 63) وبهذا فلا عبرة في تأكيده على أن الرطل البغدادي كان يساوي الرطل الشرعي (ص 35) لأنه ذكر في موضع آخر أن الرطل كان يزن في المدينة رطلاً بغداديًا ونصفاً، وإذا ضربنا خمسة أرطال وثلاثاً في واحد ونصف ظهر أن الناتج هو سبعة وخمسة وستون (ثمانية تقريباً) وهذا يعني أن سبب الإختلاف بين الروایتين هو عدم تحديد وزن الرطل نفسه.

زكاة الفطر الى النبي (صلى الله عليه وسلم) فوزنه الرشيد فاذا هو خمسة ارطال وثلث، فرجع ابو يوسف الى هذا لظهوره واشتহারه في المدينة فعم.

واختلف النقلة في الرطل البغدادي، قيل: انه مائة وثمانية وعشرون درهماً، وقيل مائة وثمانية وعشرون واربعة اسباع درهم، وهذا الذي صححه النووي<sup>(1)</sup>، وقيل مائة وثلاثون درهماً وهو الذي تقتضيه امداد الشيخ الامام ابي اسحاق صاحب المذهب<sup>(2)</sup> والمصحح عند غيره، وهو الذي تقوى في النفس صحته بحسب التجربة، لأنه أحضر الى من يوثق به من الفقهاء العدول الورعين مُدّاً من خشب مخروط لم يتشقق ولم يسقط منه شيء، وأخبرني أنه عاينه على مد الشيخ الامام العلامة محب الدين الطبري<sup>(3)</sup> شيخ الحرم الشريف بمكة -حرسها الله تعالى- في وقته، وان الشيخ محب الدين المذكور ذكر انه عاينه على مُد صحيح عنده بالسندانة معايير على ما عُوير به النبي (صلى الله عليه وسلم)، فامتحنه بما قال بعض أصحابنا وغيرهم ان به يقع المعيار وهو الماش والعدس، فوجدت كيله بهما<sup>(4)</sup> يزيد عن الماش زيادة كثيرة يغلب على الظن أن القول فيه شيء، اللهم إلا أن يكون الماش والعدس بالبلاد المصرية أثقل من ذلك في غيرها، فيكون الخلل حصل في ذلك، ويبعدُ كل البعد أن يكون الرشيد قد عاير الصيعان المُحضرة اليه بذلك، لفقدان الجنسين<sup>(5)</sup> في المدينة في الصدر الاول، كما دلت عليه الأخبار، ولأجل ذلك اعتبر من المُد<sup>(6)</sup> المذكور بالشعير الصعيدي المُفْرِك المنقى من الطين، وان كان فيه حبات من القمح يسيرة فصح الوزن المذكور به لكن من غير فرك الشعير ولا إسقاط شيء من جرمه، فكيل المُد المذكور ثم وُزن فجاء زنته

- 
- (1) النووي، يحيى بن شرف الدمشقي الشافعي في كتابه (المجموع شرح المذهب) ج 6 ص 16.  
(2) يريد الشيخ ابي اسحاق ابراهيم بن علي بن يوسف الفيروزآبادي الشافعي المتوفى سنة 476هـ، وهو من اشهر فقهاء الشافعية في عصره، وولي تدريس النظامية ببغداد، وله كتب مهمة، منها (المذهب في الفروع) وقد طبع. السبكي: طبقات الشافعية الكبرى 2/ 88.  
(3) احمد بن عبد الله بن محمد الطبري المكي الشافعي، محب الدين، ابو العباس. فقيه له تأليف عديدة في علوم القرآن والحديث والفقه والسيرة، ولد بمكة سنة 615 هـ وتوفي بها سنة 694 هـ.  
ابن تقي بريدي: المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي (القاهرة 1956) ج 1 ص 320.  
(4) ربما كان من الصواب قوله: فوجدت كيله بهما يزيد على الشعير.  
(5) يريد العدس والماش.  
(6) كذا في الأصل، ولا وجه ل(من) هنا. (55) اي بالدرهم المصري.

ماية وثلاثة وسبعون درهماً وثلاث درهم بالمصري<sup>(1)</sup>، ثم وزن من الشعير المقدار المذكور ووضع في المِدة المذكور فكان تقديره عن غير زيادة عليه، وكان ذلك بحضرة جماعة من أهل العلم الاخيار، فقرحت بذلك وفرحوا فرحاً شديداً. ومنه يظهر صحة قول من ادعى ان الرطل البغدادي مائة وثلاثون درهماً<sup>(2)</sup>، وبه يظهر أيضاً صحة صنع الدرهم الموجودة حينئذ بمصر المحروسة<sup>(3)</sup>. وان الذي يقع به العيار الشعير الصعيدي وما هو مثله في الحبة لا ما قيل من العدس والماش وغيرهما، والله اعلم.

واما الفرق -بالفاء- وتحريك الراء واسكانها- فهو ستة عشر رطلاً (و 4 ب) كما قاله العيني<sup>(4)</sup> في كتاب الأشربة<sup>(5)</sup>، وأراد بالرطل الرطل البغدادي لانه جاء في رواية ابي داود في حديث كعب بن عجرة أن النبي (صلى الله عليه وسلم) قال له : أو أطمع<sup>(6)</sup> ستة مساكين فرقاً من زبيب<sup>(7)</sup> . وجاء في رواية البخاري ومسلم: أو أطمع<sup>(8)</sup> ثلاثة

(1) اعتمد المؤلف في تجربته هذه على قاعدة ان المِدة يساوي رطلاً وثلاثاً، (من الشعير) ربما ان وزن المِدة  $\frac{1}{21}$  173 درهماً شرعياً على ما تأكد لديه عملياً، فانه طرح منه ثلثه، فكان الناتج هو 120 درهماً بالضبط. وقد اثبتت الدراسات الحديثة لصنع الدراهم المكتشفة (هنتس ص 11) ان وزن درهم الكيل الشرعي الواحد 125/غراما، فيكون وزن الرطل الشرعي هو 4,6,25 غراماً.

(2) تصريح المؤلف بتطابق وزني الدرهمين الشرعي والمصري في ايامه على ما اثبتته التجربة، يدل على استمرار العمل بالدرهم الشرعي حتى القرن الثامن للهجرة (16 م) في الاقل، على الرغم من تحديد الدرهم المصري في العهد الفاطمي ب 3,123 غراما ولا ندري الى عهد استمر الاخذ بالوزن الشرعي المذكور، الا ان الوزن الفاطمي هو الذي استمر في النهاية حيث يزن الدرهم في الوقت الحاضر حسب تقويم الحكومة المصرية الرسمي 2/12 غراما. (انظر المصدر المذكور ص12).

(3) هو محمود بن احمد بن موسى العيني الحنفي، بدر الدين (ولد سنة 762هـ، وتوفي سنة 855هـ) من كبار مؤرخي عصره ومحدثيه وفقهائه، وله مؤلفات شتى. انظر الزركلي: الاعلام 28/8 وكحالة: معجم المؤلفين 150/12.

(4) كتاب الاشربة احد اقسام كتابه الكبير الذي عنوانه (عمدة القاري في شرح البخاري) وهو مرتب بحسب كتاب صحيح البخاري وأبوابه.

(5) في الاصل: أو أطمع.

(6) الاموال ص 520 وفيه: فرقاً من طعام.

(7) في الاصل: فدل على ذلك.

(8) صحيح مسلم، كتاب الحيض 41 والحج 83,82 وصحيح البخاري 6 واحمد بن حنبل 116/2.

أصح. فدل ذلك<sup>(1)</sup> على أن الفرق ثلاثة أصح<sup>(2)</sup> إذ القصة واحدة، والثلاثة أصح<sup>(3)</sup> أو ستة عشر رطلاً بالبغدي<sup>(4)</sup> كما ذكرناه والله اعلم.

واما العرق -بالعين- فانه ستون مدأ<sup>(5)</sup> (او) خمسة عشر صاعاً، كما دل عليه حديث الأعرابي الذي جامع أهله في رمضان<sup>(6)</sup>.

واما الأردب فلم يكن - فيما نعلمه - في محل اقامة النبي (صلى الله عليه وسلم)، بل هو من مكابيل مصر. قال صلى الله عليه فيما خرجه مسلم عن ابي هريرة<sup>(7)</sup>، منعت العراق درهمها وقفيها، ومنعت الشام مدها ودينارها -وهو بضم الميم واسكان الدال- ومنعت مصر أردبها ودينارها: وعدتم من حيث بدأتم، شهد على ذلك لحم أبي هريرة ودمه، وبهذا الخبر قال الامام في باب الشرط الذي يفسد البيع<sup>(8)</sup>: انه مكيل من مكابيل مصر، واللفظ من لغة أهله. وقيل: انه يسع<sup>(9)</sup> اربعة وعشرين صاعاً،

(1) زيادة يقتضيها السياق.

(2) في سنن ابي داود، كتاب الطهارة 96: الفرق ستة عشر رطلاً.

(3) زيادة يقتضيها السياق.

(4) البخاري: صوم 30 نفقات 13 أدب 68، 95، الكفارات 2، 4 مسلم: صيام 91 ابو داود: صوم 27، طلاق 17 الدارمي: صوم 19 الموطأ 28، 29 ابن حنبل 208/2، وفي تحديد وزن العرق اختلافات اجملها القسطلاني في شرحه لصحيح البخاري بقوله (زاد ابن ابي حفصة فيه خمسة عشر صاعاً وفي حديث عائشة عنه ابن خزيمة فأثنى بعرق فيه عشرون صاعاً، وفي مرسَل عطاء عند مسند: فأمر له ببعضه وهو يجمع بين الروايات، فمن قال: عشرين، اراد اصل ما كان فيه. ومن قال خمسة عشر اراد قدر ماتع به الكفارة. قال ابو هريرة او الزهري او غيره (والعراق المكتأ) بكسر الميم وفتح القوفية: الزنبيل الكبير يسع خمسة عشر صاعاً). ارشاد الساري الى صحيح البخاري 306/2.

(5) مسلم: الفتن 32، ابو داود: الامارة 29.

(6) لم نتأكد من اسم الامام الذي اراد، واطلاق لفظ الامام الشافعي صاحب المذهب، والكتاب هو كتابه (الام)، ورغم ذلك فليس في هذا الكتاب (كتاب البيوع) مثل هذا النص، أو باب يحمل هذا العنوان.

(7) في الاصل: بيع.

(8) يريد في القاهرة دون غيرها من مدن مصر في عهده، فان القلقشندي اشار الى وجود عدد من الأرداب في المدن المصرية، تتفاوت في سعتها تفاوتاً بينا. قال (وينواحيها بالوجهين القبلى والبحري أرداب متفاوتة يبلغ مقدار الاردب في بعضها احدى عشرة وية بالمصري فاكثر) (صبح الاعشى في صناعة الانشا) 441/34.

(2) اي ارباع الويه.

والنووي اطلق حكاية ذلك، والتجربة تقتضي خلاف ذلك، فالاردب عندنا<sup>(1)</sup> ست وبيات، وكل وبية أربعة ارباع<sup>(2)</sup>، فجملته أربعة وعشرين رُبعاً، والربع أكثر من الصاع بأكثر من الثلث ثلثين<sup>(3)</sup>. بل نقل بعض مشايخي<sup>(4)</sup> رحمه الله عن قاضي القضاة سيد المتورعين عماد الدين بن السكري<sup>(5)</sup> رحمه الله، حين كان يخطب بمصر خطبة الفطر، انه يقول في ضمنها: والصاع قد حان بأقداحكم هذه سالماً من الطين والعيب والفلت<sup>(6)</sup>، ولا يجري في بلدكم هذا الا القمح. لكن لما حضرنا من المد المتقدم ذكره الابيان<sup>(7)</sup> منه أكبر كيلاً من القمح.

بل أحضر إلى أمداد آخر يذكر أهلها (انها)<sup>(8)</sup> معايرة على ما عير على مد رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، فوجدت زيادة على المذكور، ومع ذلك لا تبلغ أربعة منها ربع وبيه بل تنقص بعضها كثيراً.

ووجدت في دار الحسبة بمصر حين وليتها<sup>(9)</sup> كيلاً من نحاس مُفرغ واحدة<sup>(10)</sup> (و 5آ) منقوش على دائره في ضمن سطرين : بسم الله الرحمن الرحيم، عمل في ايام

(1) يريد الصاع الشرعي كما سيأتي.

(2) في الاصل : مشايخ

(3) هو عبد الرحمن بن عبد العلي المصري الشافعي المعروف بابن السكري، ولد بمصر سنة 503 وولي القضاء بالقاهرة وخطابتها، وحدث وافتي ودرس، وتوفي في سنة 624هـ ومن اثاره شرح صحيح مسلم، وغيره. كحالة: معجم المؤلفين 144/5.

(4) الفلت: لغة في غلط، وهو في الحساب خاصة (تاج العروس).

(5) الابيان: جمع وبية.

(6) في الاصل: ان.

(7) الاصل: وليها.

(8) لعله يريد داخله.

(9) يريد الملك العزيز عماد الدين عثمان بن صلاح الدين يوسف الايوبي بدأ حكمه نائباً عن ابيه في مصر، وعند وفاة ابيه بدمشق، استقل بملك مصر سنة 589 ودام في الحكم حتى وفاته سنة 595 هـ. ابن خلكان: وفيات الاعيان 214/1 وابن تغري بردي: النجوم الزاهرة 120/6.

(3) كذا في الاصل، وهو لا يتفق مع تاريخ ملك العزيز المذكور، لانه تولى الحكم بمصر سنة 589 كما ذكرنا، ويبعد ان يكون هذا في اثناء نيابته عن ابيه لانه ولد سنة 567 هـ، فيكون عمره في سنة عمل الكيل اربع سنين، ولم يكن قد عهد اليه بشيء آنذاك، ومن المحتمل ان يكون التاريخ الصحيح هو: سنة احدى وتسعين وخمس مائة.

الملك العزيز<sup>(1)</sup> خلد الله ملكه برسم الفقيه الامام العالم الزاهد شهاب الدين متولي حسبة المسلمين أعز الله احكامه. عُرِّ هذا المد على صاع رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى آله، حرر على الاصل المُحَقَّق اعتبر بالماء الصافي فوافق وزنه بالماء ثلاثمائة وسبعة وثلاثين درهماً، وذلك بتاريخ الثامن من ربيع الاول سنة احد وسبعين وخمس مائة<sup>(2)</sup>.

والأردب المصري منه<sup>(3)</sup> ويبة بالمصري والأردب منه يكون مائة واربعة وأربعين كيلاً<sup>(4)</sup>.

ووقع في نفسي أنه انما جعل<sup>(5)</sup> (كذلك)<sup>(6)</sup> لتكون نسبته من الأردب نسبة الدرهم من الرطل المصري اذ هو مائة واربعة درهما [او] اثنا عشر اوقية، كل اوقية اثنا عشر درهما، قال بعضهم: واتفق الناس على ان الرطل اثنا عشر اوقية وانما اختلفوا في قدر الأوقية ماهو، والله اعلم.

#### [الأطوال]<sup>(7)</sup>

وأما الذراع فلما أظفر به مُبيناً في كلام أصحابنا إلا في مسألة القصر<sup>(1)</sup>، اذ قالوا: هي اربع بُرد، كل برید - على المشهور- اربع<sup>(2)</sup> فراسخ، والفرسخ ثلاثة أميال بالهاشمي، ومجموع ذلك ثمانية وأربعون.

(1) الضمير عائد الى المد.

(2) الضمير عائد الى المد ايضاً، وهذا يعني ان الويبة = 16 قدماً، وهو ما تجمع عليه المصادر: انظر هنتس.

(3) ايضاح ذلك: ان المد =  $\frac{2}{3}$  قدح، فكان المد الشرعي المذكور يملئ بالحبوب، ويزاد عليه ثلثه فيحصل القدح، وبما ان الويبة = 16 قدحا، فان مضروب هذا العدد في عدد وبيات الاردب الواحد وهو 6 = 16 قدحا في الاردب (وهو ما تؤكد المصادر ايضاً) وبما ان الاردب = 144 كيله يكون القدح =  $\frac{1}{5}$  كيله، وتكون الويبة الواحدة = 24 كيله. وربع الويبة = 6 كيلات. وقد تقدم قول المؤلف ان ربع الويبة يزيد على الصاع = 4 امداد، والمد  $\frac{2}{3}$  قدح - كما تقدم - يكون الصاع الواحد = 2,6 قدحاً، بينما الربع = 4 افداح، وهو يتفق مع نسبة الصاع من الربع التي ذكرها المؤلف تماماً.

(4) في الاصل: يجمل.

(5) زيادة يقتضيها السياق.

(6) اي مسألة السفر الذي يجوز فيه قصر الصلاة، وهي من المسائل التي تكلم عنها الفقهاء لتعلقها بامور العبادات.

(7) خذا العنوان من عندنا، ولم يشر إليه في عنوان الرسالة.

والميل الهاشمي منسوب الى هاشم بن عبد مناف بن قصي جد رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فانه الذي قدر أميال البادية وبردها، وهو بالخطى أربعة الاف خطوة<sup>(3)</sup>، كل خطوة ثلاثة اقدام، فالميل إذاً اثنتا عشر الف قدم، وهو بالأذرع ستة الاف ذراع<sup>(4)</sup>، كل ذراع أربعة وعشرين اصبعاً معترضات، والاصبع ست شعرات، او ست شعرات من شعر البغل لأنها مناسبة. ولم يذكر الاصحاب مثل ذلك حيث تكلموا في ضبط الدرهم والمثقال بالشعير لأن العمدة تتم على الوزن، والعمدة هنا على المساحة، وهي تتضبط بشعر البغل، ومن ذلك يؤخذ الذراع عند النزاع في قدره. وقد ذكر الأصحاب الذراع في المسابقة لانه جاء ذكره في الخبر فيها. وذكره أيضاً في ضبط القلتين من الماء اذا اريد معرفتها في الارض من غير وزن. وتعرض له بعضهم في باب خراج السواد في ضبط الأجرية، وغير ذلك، لكنهم لم يتعرضوا لضبطه الا في الموضع الذي ذكرته والله اعلم بالصواب فيما ذكرناه وغيره. واليه المرجع والمآب.

قال المصنف رحمه الله: وكان تعليق هذه بجملتها في ليلة يسفر صباحها عن سادس عشرين شهر صفر سنة ثلاث وسبع مائة. وقد علقه لسيدنا ومولانا القاضي منصور بن سيد القبانى غفر الله له ولوالديه ولجميع المسلمين.

(1) كذا والصواب : اربعة.

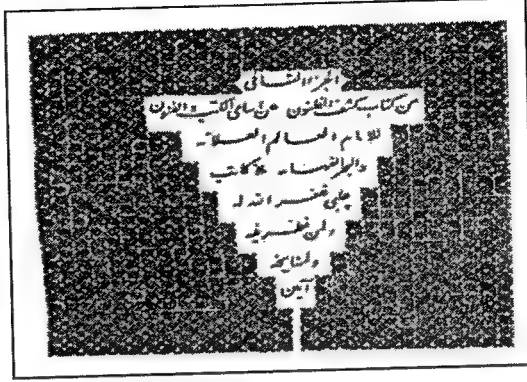
(2) اختلف الاقدمون بشأن تحديد الميل واجزائه، ونقل ياقوت في معجم البلدان (36/1) دار صادر بيروت (1965) شيئاً من اختلافهم، وخلصته ان بعضهم رأى ان الميل = 400 ذراع (الذراع 24 اصبعاً) ورأى اخرون 2333 خطوة باعتبار ان الفرسخ 7000 خطوة.

(7) لم يتعرض القدماء الى تحديد الخطوة بخلاف الذراع، وقد حدد المؤلف هنا نسبتها الى الذراع، فالميل = 4000 خطوة في تقديره، وهو = 6000 ذراع، او 12000 قدم، وهذا يعني ان الخطوة = 1/5 ذراع والذراع الواحد = 2 قدم.

(4) في الاصل : القضاي



## نسخة غير معروفة من كشف الظنون يختصرها بغدادى من القرن الثالث عشر



لم يَنل كتاب ببلوغرافى عربي من الشهرة والثقة، منذ أن ألف ابن النديم (فهرسته) في القرن الثالث عشر للهجرة، ما ناله كتاب (كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون) لمصطفى بن عبد الله المعروف بالحاج خليفة وبكاتب جلبي (المتوفى في القسطنطينية سنة 1067هـ/1656م). وعلى الرغم من أن محاولات مختلفة سبقت تأليف الحاج خليفة كتابه هذا، فإن الكتاب جاء نقلة كبيرة وواضحة في مجالات علم البليوغرافيا. وذلك لما حشد به مؤلفه من عناوانات جمهرة ضخمة من الكتب والرسائل، وبما ألزم به نفسه من وصفها، وذكر مؤلفيها، وشرأحها، ومُحشِّيها، وما عليها من علامات فارقة، كالعبارات التي تبتدئ بها أوائلها، وبعض من خطبها، وتحديد فنونها، وتقويم لبعضها، حتى غدا لا يستغني عنه محقق أو مفهرس، أو أي باحث في مجال تصنيف الكتب والمكتبات، ويمكن القول بأنه أول وليد لهذا العلم الحيوي يحمل سمات العصر الحديث، دقة وضبطاً وإحاطة.

وكان من آثار اهتمام الباحثين بهذا الكتاب، تعدد تذييلاتهم عليه، واستدراكاتهم ما فاته من عناوانات الكتب والرسائل المختلفة، أمثال حسن العباسي النبهاني الحلبي (1096هـ/1685م) ومحمد عزتي الإسلامبولي زاده (ت 1092هـ/1681م)، ونوعي أفندي (ت 1201هـ/1786م)، وأحمد طاهر حنفي زاده (ت 1217هـ/1802م)، ومحمد الأضروملي، وعارف حكمت (ت 1275هـ/1858م)، وإسماعيل باشا البغدادي (ت 1339هـ/1920م)<sup>(1)</sup>.

(1) شهاب الدين النجفي المرعشي: مقدمة كشف الظنون (ط3 المط الإسلامية 1947).

ومن الباحثين الذين أولوا الكتاب عنايتهم، عالم بغدادى من أهل القرن الثالث عشر للهجرة (القرن التاسع عشر للميلاد)، دعا نفسه بـ (الحاج لطف الله بن عبد الله الخزندار)، وليست لدينا معلومات كافية عن حياة هذا العالم، إلا أننا نعلم أنه كان من فئة المماليك ببغداد، الذين استجلبوا إليها من جورجيا ليعملوا في الجيش والإدارة، وتوصلوا إلى حكم بغداد وتوابعها منذ سنة 1162هـ/1748م إلى سنة 1247هـ/1831م، ومنهم من نال حظاً جيداً من التعليم، ذلك إنه وصف نفسه بالكوله عند تملكه أحد المخطوطات<sup>(1)</sup>، وهي كلمة تركية بمعنى المملوك، كما أننا نعلم أنه زار استانبول في بعض شؤون سنة 1230هـ/1814م بدلالة شرائه مخطوطة منها في ذلك العام<sup>(2)</sup>، ثم قصد مكة حاجاً لتلقيه نفسه بعد ذلك التاريخ بالحاج، وأنه تولى منصب (خزندار) في حكومة المماليك على عهد والي بغداد محمد سعيد باشا (1228-1232هـ/1812-1816م) لإشارته إلى ذلك على ظهر بعض مخطوطاته<sup>(3)</sup>، ومنصب كهذا كان كفيلاً بتيسير سبل معيشة مريحة، لذا فقد كان لا ييخل في الاتفاق على شراء الكتب، من ذلك أنه سجل على مخطوط اشتراه من استانبول قيمته<sup>(4)</sup>، وتبلغ 160 قرشاً رومياً، وهي قيمة عالية جداً قياساً إلى مستوى أسعار ذلك العصر. ولا نعلم تاريخ وفاته، إلا أنه كان حياً سنة 1245هـ/1829م، فإنه فرغ من تأليف بعض كتبه في هذا العام<sup>(5)</sup>.

(1) كتابنا: الآثار الخطية في المكتبة القادرية ج5 (بغداد 1980) ص116.

(2) الآثار الخطية ج2 (بغداد 1977) ص87.

(3) المصدر نفسه.

(4) المصدر نفسه. وعنوان المخطوط (رمز الحقائق في شرح كنز الدقائق) لمحمود بن أحمد بدر الدين العيني الحنفي.

(5) عبد الله الجبوري: فهرس المخطوطات العربية في مكتبة الأوقاف ببغداد، بغداد 1974، ج5 ص297 ويختلف مفهرسو كتبه في تحديد تاريخ وفاته، فهي تارة بعد سنة 1239هـ/1823م (أسامة النقشبندی: مخطوطات الطب والصيدلة والبيطرة في مكتبة المتحف العراقي، بغداد 1981، ص171) وأخرى سنة 1243 (عبد الله الجبوري: المصدر نفسه ج1 ص427)، وفي تذكرة الشعراء تأليف عبد القادر الشهبازي، بنحقيقنا، بغداد 2002، ترجمة لرجل اسمه لطف الله أفندي المكتوبي، ولد سنة 1241هـ/1797م وأخذ العلم عن داود (باشا فيما بعد) فظهر نبوغه، فلما تولى داود ولاية بغداد عينه بمنصب مكتوبي (كاتباً للديوان) فاستمر كذلك حتى وفاته في الطاعون سنة 1241هـ/1825م. وفي مختصر لهذا الكتاب تحقيق الأب أنستاس ماري الكرملی، بغداد 1936 ص37 ترجمة للرجل نفسه، لا تخرج عما أورده صاحب الأصل، إلا أنه ذكر أنه توفي في الطاعون الذي داهم بغداد سنة 1246هـ/1830م وعلى الرغم من تعاصر صاحبي الترحمتين واشتغالهما في خدمة رجل وال واحد، فإننا نستبعد كونهما رجلاً واحداً، وذلك لأن مؤلف تذكرة

واهتمامات الخزندار العلمية متنوعة، تشهد له بذلك مؤلفاته الباقية، فمما وصلنا من آثاره كتابه (زبدة الطب) وهو في الأمراض والعلاجات، ويقع في 210 ورقة، فرغ منه في بغداد سنة 1239هـ/1823م<sup>(1)</sup>، وكتاباه (خزانات الروايات) في الفقه الحنفي، وهو في مجلدين كبيرين عدد أوراقهما 785 ورقة، فرغ من تصنيفه في شعبان 1243هـ/1827م، ويظهر منه أنه كان من أتباع مذهب الإمام أبي حنيفة، ويدل هذان الكتابان على طول باعه في البحث ودقته في ضبط الروايات وحسن اطلاعه عليها باللغتين العربية والتركية.

وقد تجلّى اهتمامه بعلم الببليوغرافيا بتأليفه مختصراً دقيقاً لكتاب كشف الظنون للحاج خليفة، وهذا المختصر هو موضوع دراستنا هذه<sup>(2)</sup>، ومن الملاحظ أن الكتاب، كسابقه، لم ينل اهتمام أحد من الباحثين، مع أنه خليق بالعناية نظراً لما يحتويه من فوائد جمة.

ويفهم مما أورده في مقدمة كتابه أنه ألفه تلبية لرغبة أحد كبار رجال عصره، ولا يستبعد أنه عنى والي بغداد آنذاك داود باشا (1232-1247هـ/1816-1831م)، فإنه كان موظفاً عنده، قال «قد سألتني بعض من لا يسعني مخالفته ولا يمكنني مدافعتي أن استخرج من كتاب كشف الظنون في أسماء الكتب والفنون لكتاب جلبي الرومي الإسلامبولي نبذة يسيرة فيما بكتب الفقه والنحو والصرف والتفسير والتواريخ وغيرها على ترتيب حروف الهجاء، فأجبتة إلى ذلك». وليس ببعيد أن يكون قد اقتنى نسخة من الكشف في أثناء إقامته باستانبول سنة 1230هـ/1814م، لكننا لم نقف على هذه النسخة في خزائن المخطوطات في بغداد، وكان تاريخ إنجازه لهذا العمل سنة 1244هـ/1828م على ما صرح بذلك في آخر النسخة الوحيدة من الكتاب، المحفوظة في مكتبة الأوقاف المركزية في بغداد، وهي مُسَوَّدة بخطه، حيث قال «وفرغت من تسويده سنة ألف ومايتين وأربع وأربعين من الهجرة النبوية عليه أفضل الصلوة وأكمل التحية».

وعلى الرغم من تصريح المؤلف بأن عمله لم يكن يتجاوز استخراج نبذة من الأصل، أي تلخيصه، نافياً بذلك أي إضافة من نفسه، فإن مقابلتنا المختصر الذي

---

الشعراء نص على اسم أبي لطفي وهو أبو بكر المفتي الكركوكي، وأبو الخزندار كان مملوكاً على ما مر بنا ولا نستبعد أن يكون الرجلان قد توفيا في أثناء طاعون 1246هـ المذكور.

(1) مكتبة المتحف العراقي برقم 12385.

(2) يوجد تحت العدد 1778.

وضعه على الأصل المطبوع، أظهرت لنا جملة من اختلافات مهمة بينهما، مما يبعث على الظن أحد الاحتمالين الآتيين:

الأول: أن تكون هذه الاختلافات، وضمنها إضافات، من عمل المختصر البغدادي، أصلح بها الأصل، وأضاف عليه، بما اتصل به من معلومات في هذا المجال.

الثاني: أن تكون النسخة التي اعتمدها الخزندار تختلف بعض الاختلاف عن النسخ الخطية التي اعتمدها طابعو كشف الظنون.

والاحتمال الأخير أدنى إلى الصواب، وذلك لأن مؤلف المختصر لم يُشر -مطلقاً- إلى نيته وضع أية إضافة أو تعليق، بل أن هذه الإضافات وغيرها من تغييرات جاءت ضمن متن الكتاب ووفقاً لسياقه، وليس فيها ما يشعر بأنها مُدخلة على نصه.

ومن ناحية أخرى، فإن إشارة مؤلف المختصر إلى خطته في استخراج ما كتب في الفنون المختلفة «على ترتيب حروف الهجاء» قد يفهم منها أن النسخة التي اعتمدها من كشف الظنون لم تكن كذلك، أي غير مرتبة على الحروف أصلاً، وبما أن النسخة المطبوعة مرتبة على هذا الأساس فعلاً، فينبغي إذن أن تكون النسخة التي اعتمدها المؤلف البغدادي هي غير النسخ التي اعتمدها طابعو الكتاب فيما بعد<sup>(1)</sup>.

وسوف نورد فيما يأتي نماذج مما تحفل به النسخة الخطية التي اعتمدها لطف الله الخزندار ببغداد، من زيادات وتعليقات وتغييرات، لا وجود لها في النسخة المطبوعة من هذا الكتاب البيلوغرافي المهم.

رأس مال النديم	رأس مال النديم للفاضل العريق أبي العباس أحمد بن علي بن بانه، وهو كتاب لطيف صغير الحجم كثير الفوائد، جمعت فيه أحسن الأخبار وعيون الأحاديث والأشياء المتشاكلة والمضادة والاتفاقات العجيبة والأمور الغريبة بما لا يستغني العالم المبرز عن معرفته ويتجمل به الأديب الفاضل في صناعته ويتزين بمعرفته النديم ويحاضر بذكره السميع
----------------	---

(1) طبع كشف الظنون في بولاق سنة 1274هـ/1857م، ثم في لايبزيك ولندن باعتناء فلوكل سنة 1300هـ/1882م وفي استانبول سنة 1313هـ/1895م وسنة 1320هـ/1902م وسنة 1360هـ/1941م، وأعيد طبعه بالأوفسيت سنة 1387هـ/1967م.

المتوفى سنة 285	طبقات النحاة.. أول من صنف فيه أبو العباس محمد بن يزيد المبرد النحو المتوفى سنة ست وثمانين ومائتين
لا وجود لهذه المادة	الكلمات الشريفة في تنزيه أبي حنيفة عن الترهات السخيفة للعالم نوح بن مصطفى الحنفي، أوله: الحمد لله الذي يقول الحق، ذكر فيه أنه سأل بعض إحيائه القونوي عما ذكر في وفيات الأعيان في حق مذهبه. فأجاب بأنه مكذب علي القفال نقلاً عن المغيث لإمام الحرمين فصنف في رده وبيان كذبه
المتوفى سنة 923 ثلاث وعشرين وتسعمائة	لطائف الإشارات.. للشيخ أحمد بن محمد بن أبي بكر القسطلاني المتوفى سنة اثني وعشرين وتسعمائة
.. المتوفى سنة تسع وخمسين وثمانمائة	المرقاة الوفية في طبقات الحنفية للشيخ مجد الدين أبي طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادي الشيرازي المتوفى سنة 817 سبع عشرة وثمانمائة
المتوفى سنة تسع وتسعين وأربعمائة	المستتير في القراءات العشر البواهر لأبي طاهر ابن سوار أحمد بن علي البغدادي المتوفى سنة ست وتسعين وأربعمائة
وتوفي سنة 875 خمس وسبعين وثمانمائة	المصباح في النحو. وتوفي [علاء الدين علي بن محمد البسطامي] سنة إحدى وسبعين وثمانمائة
المتوفى سنة 338 ثمان وثلاثين وثلثمائة	معاني القرآن.. وأبو جعفر أحمد بن محمد النحاس المتوفى سنة 328 ثمان وعشرين وثلثمائة
وشرحه أحمد بن محمد الحلبي المعروف بابن الملا المتوفى في حدود سنة 99 تسعين وتسعمائة 1003	مغني اللبيب.. ومن شروحه شرح العالم أحمد بن الملا محمد الحلبي المتوفى سنة تسع وسبعين وتسعمائة
شرحه المولى شمعي ألفه	منطق الطير.. شرحه مولانا شمعي ألفه لاستدعاء

حسن آغا المعريطويقي آغا في سنة خمس وألف، أوله: غرامي صحيح والرجاء فيه معضل	لاستدعاء حسن آغا المعروف بطرنقجي آغا المتوفى سنة 1005 خمس وألف وكان متقاعداً عن المدرسة بثمانين
نزهة الأنام في تاريخ الإسلام المرتب على السنين لإبراهيم بن محمد بن دقماق توفي سنة تسعين وسبعمائة	نزهة الأنام في تاريخ الإسلام (وهو مرتب على السنين) لابن دقماق (لإبراهيم بن محمد بن دقماق المتوفى سنة 809 تسع وثمانمائة
مرآة العجائب في الكيمياء، مختصر لابن سينا أوله: الحمد لله رب العالمين	مرآة العجائب

ولا يخل المختصر من تعليقات مفيدة استدرك فيها مؤلفه على أصل الكتاب في بعض مواضعه، كقوله عند الكلام على مادة (الأشباه والنظائر) في الفروع للفيحي زين الدين ابن نجيم «قلت: ومن حواشيها المدونة عليها الحاشية المتأخرة عن حواشيتها، وهي أحسنها وأنفعها وأفيدها جداً للسيد أحمد بن محمد الحنفي الحموي، أولها: لك الحمد يا من تنزهت ذاته عن الأشباه والنظائر».

وقوله عند الكلام على شروح القدوري «قلت: وشرح مختصر القدوري الشيخ قاسم بن قطلوبغا. وذكر فيه من أين أخذوا علمهم كذا في تاج التراجم للشيخ المذكور». وقوله عند الكلام على المقدمة الأزهرية في علم العربية «قلت: وشرحه أيضاً الشيخ العلامة علي بن إبراهيم الحلبي الشافعي شرحاً وسطاً ممزوجاً في مجلد سماه فرايد العقود العلوية لحل ألفاظ شرح الأزهرية، أوله: حمداً لمن رفع من انتصب لخدمة الفنون العربية».

وهكذا فإن الكتاب، بعد ما سقناه من نماذج، جدير باهتمام المشتغلين في مجالات البليوغرافيا، فهو من ناحية يقدم إضافات جديدة على كتاب موسوعي قديم، ومن ناحية أخرى يبرز جهد مؤلفه، ذلك الباحث البغدادي غير المعروف الذي غمطه عصره حقه من المعرفة والاشتهار.

## أول محاولة لفهرسة المخطوطات في العراق

إن أول محاولة معروفة لفهرسة خزائن الكتب ببغداد، بل في العراق بعامة، هي ما قام به عالم بغداد وأديبها السيد نعمان خير الدين ابن المفسر الشهير العلامة محمود أبي الشتاء الألوسي البغدادي (ولد سنة 1252هـ وتوفي سنة 1217هـ/ 1846-1899م)<sup>(1)</sup> بعنوان (فهرست مكاتب بغداد الموقوفة)، وذلك بعد عودته من الحج سنة 1295هـ/ 1878م، على ما أشار هو في تعليقاته على بعض مخطوطات خزائنه، وخطه نستعليق جميل، وأتم فهرسة سائر الخزائن الأخرى العلامة السيد محمود شكري بن عبدالله الألوسي، وهو ابن أخي المؤلف (ولد سنة 1273هـ وتوفي سنة 1343هـ/ 1856-1924م)، وخطه معتاد، لكنه واضح.

يقع الفهرس في 147 ورقة، في كل منها 20 أو 21 سطراً، وبعمودين أحياناً. وكان السيد محمود شكري قد أهدى هذا الفهرس إلى صديقه الدمشقي جميل العظم (المتوفى سنة 1452هـ/ 1933م)<sup>(2)</sup> سنة 1330هـ/ 1912م، ومن الأخير انتقل إلى

---

(1) ولد ببغداد، وأخذ العلم على والده المفسر الشهير أبي الشتاء شهاب الدين محمود الألوسي، وتأثر به، تولى في شبابه القضاء في بلاده، ثم قصد مكة للحج، ماراً بالقاهرة حيث طبع تفسير والده (روح المعاني) وقام برحلة أخرى إلى اسلامبول، اجتمع في أثناءها بعلماء الشام والأناضول، وعين بأمر السلطان عبدالحميد الثاني رئيساً لمدرسي بغداد، واعيد إليه منصب التدريس في المدرسة المرجانية، بعد أن كان قد أخذ منه، فوفر له منصبه هذا فرصة للبحث والتدريس والقراءة، وألف كتباً عديدة في العقائد والردود والمواظع واللغة والأدب والسير. تنظر ترجمته في كتابه: حديقة الورود في أخبار أبي الشتاء شهاب الدين محمود، مخطوط ج 2 ص 33، ومحمود شكري الألوسي: المسك الأذفر، بغداد 1930، ص 110-116، ومحمد سعيد الراوي: تاريخ الأسر العلمية، بتحقيقنا، بغداد 1997، وإسماعيل باشا البغدادي: هدية العارفين ج 2 ص 499، ومحمد بهجة الأثري: أعلام العراق ص 57-67، ومجلة لغة العرب ج 4 ص 343-346، 399-402، وإبراهيم الدروبي: البغداديون، أخبارهم ومجالسهم، بغداد 1958 ص 263 وغير ذلك.

(2) هو جميل بن مصطفى بن محمد حافظ بن عبدالله باشا العظم، أديب دمشقي، عني بالصحافة والتاريخ، ولد في استانبول ونشأ في دمشق وتعلم في مدارسها، وتعلم التركية والفارسية، وكتب الخط الجميل على اختلاف أنواعه، وولي أعمالاً حكومية في المعارف بدمشق وبيروت، واختير عضواً في المجمع العلمي العربي بدمشق، وأصدر مجلة (البصائر) الشهرية، واقتنى كثيراً من نفائس المخطوطات، وله مؤلفات مهمة من أبرزها (ذيل على كشف الظنون) في نحو ألف صفحة (وقدود الجواهر في تراجم من لهم خمسون مصنفاً فمئة فأكثر) خير الدين الزركلي: الأعلام.

العلامة القاهري أحمد تيمور باشا (المتوفى سنة 1348هـ/1930م)، ثم آل مع سائر خزانة تيمور إلى دار الكتب المصرية في القاهرة.

يتناول الفهرس مكنونات عشر خزانات حافلة بالكتب، كانت ملحقة ببعض مساجد بغداد ومدارسها العلمية، هي:

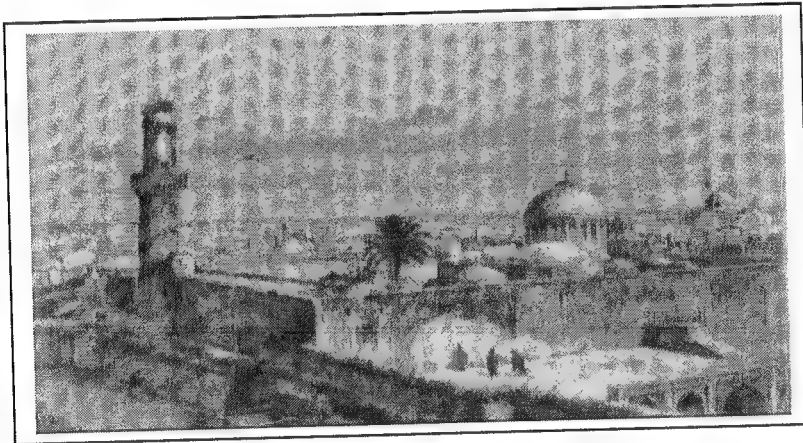
1- خزانة كتب المدرسة المرجانية. أفخم مدارس بغداد وأكبرها بعد المدرسة المستنصرية، أسسها الخواجة أمين الدين بن عبدالرحمن مولى الشيخ أويس خان الأيلكاني الجلائري (حاكم بغداد من سنة 758 إلى سنة 765هـ ومن 769-774هـ) وذلك في أول سنوات حكمه، ووقف عليها أوقافاً كثيرة، كما أثبت ذلك في الكتابة المحررة على باب الخان الذي أنشأه بقربها، ومنها 24 دكاناً في سوق الريحانيين (سوق الشورجة الحالي) و12 عصارة في السوق الجديد المجاور للمدرسة (وهو سوق الصرافين الذي سُمي بشارع السُموعل) و19 دكاناً أخرى (كانت ملاصقة للمدرسة) وثلاثة خانات ونصف (أحدها خان مرجان) و«مواضع بالبدرية، وبالأمشاطيين ثلاثة دكاكين، وبالمشرعة (مشرعة الإبريين في العصر العباسي وشريعة المصبغة فيما بعد) أربعة عشر دكاناً وخاناً كبيراً من إنشاء الواقف، وبالحلبة (ساحة النهضة اليوم) 12 دكاناً وعصارة وخاناً فيه 52 حجرة، وداراً ومداراً في محلة القصر بالجانب الغربي (محلة قصر عيسى التي سُميت خضر إلياس) وخان الزاوية، ومداراً في الخليلات، وبالحريم دكان الكاغد، وبساتين كثيرة بنهر عيسى ناحية عقرقوف، والقاطون، وبعقوبا، وبوهريز (بهرز) وخانقين، وبسماية، ودولتآباد (دلتاوه المسماة الخالص) وبندنجين (مندلي)، ومنطقة بين جبل حميرين وخانقين وغيرها». وفي هذه الوقفية أنه شرط المدرسة لتدريس فقه الإمامين أبي حنيفة النعمان ومحمد بن إدريس الشافعي<sup>(1)</sup>.

وقد تعاقب على التدريس فيها كبار علماء بغداد، منهم عبدالله السويدي (توفي سنة 1174هـ/1760م)، وعبدالرحمن الراوي (توفي سنة 1220هـ/1805م)، والمفسر أبو الثناء محمود الآلوسي (توفي سنة 1270هـ/1854م) والسيد نعمان خير الدين الآلوسي، مؤلف هذا الفهرس، والسيد محمود شكري الآلوسي، وإبراهيم بن ثابت بن

---

(1) ينظر نص الوقفية في محمود شكري الآلوسي: مساجد بغداد وآثارها، ص 67 والسيد محمد سعيد الراوي: خير الزاد في تاريخ مساجد وجوامع بغداد، بتحقيقنا، ص 207-215 وأحمد سوسة ومصطفى جواد: دليل خارطة بغداد المفصل، بغداد 1958، ص 220

نعمان الألوسي وغيرهم، وكلهم كان مؤلفاً مشهوداً له بالعلم الوافر، ممن ذاع صيته في العالم الإسلامي. وفي سنة 1200هـ/1785م عمّر والي بغداد سليمان باشا الكبير (1193-1207م/1779-1802م) بعض ما سقط من جدرانها ووسّع مصلاها، فعُرفت منذ ذلك الحين بجامع مرجان<sup>(1)</sup>. وقد وصف السيد محمد سعيد الراوي الجامع بقوله «هو جامع مُحكم البناء، فسيح الأرجاء، راسخ الأساس متينه، مشيد الفناء قيمه، له باب تتاطح السماء في العلو والإرتفاع، مزينة أركانها وجدرانها بالنقوش المحفورة في أحجارها.. الخ»<sup>(2)</sup>. ووصف عباس بن رجب البغدادي المدرسة بأنها «كثيرة الأوقاف، وافرة الواردات، متينة البناء، رَحبة الأرجاء، رُوعي في طرزها المدرسة المستنصرية»<sup>(3)</sup>. على أن أكثر مباني المدرسة قد أزيل في أثناء بعض توسيعات شارع الرشيد، ولم يبق منها إلا بابها الأثري ومئذنتها اللذان يَرقيان إلى عهد تأسيسها، وبعد أن كان الجامع يُدار من قبل مفتي بغداد أصبح تحت إدارة الأوقاف.



المدرسة المرجانية شيدت سنة 758

أما خزانة كتب المدرسة، فتتألف - بحسب الفهرس الذي أعده السيد نعمان الألوسي من ثلاث مجموعات، هي:

أ- مجموعة السيد نعمان خير الدين الألوسي. جمعها هو ووالده الإمام أبي الشاء محمود شهاب الدين الألوسي، المتوفى سنة 1270هـ، وقد عرفت بالخزانة

(1) عبد الحميد عبادة: العقد اللامع بآثار بغداد والمساجد والجوامع، بتحقيقنا، ص318

(2) خير الزاد ص306

(3) مساجد بغداد في كتابات الأجداد، بتحقيقنا، ص34

العثمانية نسبة إليه، وبلغ عددها كما في فهرس خاص أعده لها 1400 كتاباً مطبوعاً ومخطوطاً<sup>(1)</sup>، بينما بلغ عدد كتبها، كما في هذا الفهرس، موضوع بحثاً، 1337 كتاباً معظمها من المخطوطات، والباقي من المطبوعات النادرة. وكان عبدالحميد عبادة قد أشار إلى هذه المجموعة بقوله أن الألويسي «وقف جميع كتبه على هذه المدرسة، وهي تتوف على ألفي كتاب متنوعة في سائر العلوم، وأغلبها خط، وأوقف المومي إليه المرحوم على لوازمها أربعة دكاكين واقعات قرب المدرسة متصلة بظهر خان الأورثمة (خان مرجان)، وداراً في محلة سوق الجديد في الجانب الغربي، وأرضاً واقعة في هور عقرقوف تسمى الزبيدية. وشَرَطَ أن يُصرف من غلَّتْها على التعمير، وما يبقى من الفضلة تعطى ليرة واحدة إلى محافظ هذه المكتبة، وأن يكون المحافظ من ذريته، وإذا انقرضوا فإلى متولي الأوقاف من قبل الدولة العثمانية<sup>(2)</sup>».



نفض جانب من المدرسة المرجانية سنة 1946

وزاد عدد الكتب بما أضافه إليها بعض العلماء التالين، ففي سنة 1346هـ/ 1927م وقف رشيد حلمي بن معروف آل الأنكرلي داراً في محلة جامع عطا، من محلات الكرخ، على ذريته، «ثم على لوازم مكتبة جامع مرجان في بغداد، وتشمل تجليد الكتب الموجودة فيها، وشراء كتب جديدة، وضمها إليها لإستفادة المطالعين،

(1) ويقع هذا الفهرس في 33 ورقة، عبد الله الجبوري: مكتبة الأوقاف تاريخها ونوادير مخطوطاتها، بغداد 1969، ص53 وقد أشار إلى تسرب بعض المخطوطات النادرة من المكتبة قبل نقلها إلى مكتبة الأوقاف.

(2) عبادة ص371 وكتابتنا: معالم بغداد في القرون المتأخرة، ط2 بغداد 2016 ص590

على أن يعمل بموجب شروط وقف المكتبة..» وذلك في وقفته المؤرخة في 7 ربيع الآخر من تلك السنة<sup>(1)</sup>. ووصف السيد عباس بن رجب هذه المكتبة بقوله «وفيها مكتبة جليلة»<sup>(2)</sup>.

ب- مجموعة ثانية تبلغ عدتها 892 كتاباً.

ج- مجموعة ثالثة تبلغ عدتها 842 كتاباً.

2- خزانة كتب جامع الصاغة. يقع هذا الجامع على شاطئ دجلة الشرقي، إلى الجنوب من المدرسة المستنصرية، وكان قديماً يعرف بمسجد الحظائر، نسبة إلى حظائر الشوك التي أنشأته في أرضها السيدة زمرد خاتون زوجة الخليفة المستضيء بالله، وأم الخليفة الناصر لدين الله، المتوفاة سنة 599هـ/1202<sup>(3)</sup>.

وفي وقفية الحاج أبو بكر الباجه جي أنه ألحق بالجامع المذكور مدرسة احتوت على خزانة كتب تشتمل على مخطوطات قديمة العهد.

ثم عُيّنت أربع سيدات بغداديات محسنات بالوقف عليه، فمما وقفنه، منشآت عديدة، منها خان متصل بالجامع (وهو الخان المعروف بخان الباجه جي)، ودكاكين متفرقة في بغداد وكريلاء والبصرة، وذلك في وقفيتهم المؤرخة في سنة 1212هـ<sup>(4)</sup>.

وفي سنة 1261هـ/1845م وقف عليه الحاج عبدالرحمن الباجه جي وعائشة خان ومريم بنت الحاج محمد جلبي الباجه جي أوقافاً أخرى في البصرة وكريلاء، وتولى أبناء هذه الأسرة التولية عليه والإشراف على شؤونه<sup>(5)</sup>. ومن أشهر مدرسي هذه المدرسة العلامة الشيخ إسماعيل أفندي الموصللي المتوفى سنة 1312هـ/1894م<sup>(6)</sup>.

وقد وصفه السيد محمد سعيد الراوي بقوله «هو جامع وسط في السعة والكبر، له مصلى كبير مظل على نهر دجلة.. وعلى يمين هذا المصلى مصلى صغير بباب

(1) معالم بغداد ص 227

(2) مساجد بغداد في كتابات الأجداد ص 34

(3) تنتظر الدراسة المعنونة (من تاريخ الخدمات النسوية العامة في بغداد) في هذا الكتاب

(4) معالم بغداد ص 195

(5) عبادة ص 243

(6) عبادة ص 344

منفرد، وفيه باب يؤدي إلى المصلى الكبير، وهو معد للشافعية، وفيه مئذنة واقعة غربي المصلى، وعلى يسار الداخل إلى صحن الجامع غرف تحتية إحداها مدرسة، وفيه مدرس وخطيب وإمام ومؤذن وخادم<sup>(1)</sup>.

ويبلغ عدد الكتب المفهرسة في خزانة هذا الجامع 60 كتاباً، سوى الكتب المطبوعة. والظاهر أن هذه الكتب لم تكن إلا جزءاً يسيراً مما تضمه خزانة الجامع في العهود الماضية، فقد ذكر السيد محمود شكري الألوسي في كتابه عن مساجد بغداد «أن فيه خزانة كتب تشمل على مخطوطات قديمة العهد، وكثير منها تلف بتداول الأيدي عليها»<sup>(2)</sup>، ومثل هذا ما ذكره السيد محمد سعيد الراوي<sup>(3)</sup>. وقال إبراهيم الدروبي «وفي هذه المدرسة كانت مكتبة قيمة تضم نواذر المخطوطات، ومن بقاياها مخطوط لدى المتولي جواد جلبي كتاب شرح صحيح مسلم للنووي بخط بديع محلّي بالذهب، مخطوط سنة 900هـ وبظهره وقفية المخطوط»<sup>(4)</sup>.

3- خزانة كتب المدرسة الطبّجَلية. كانت هذه المدرسة تقع في محلة العاقولية (درب الخبازين في العصر العباسي)، وهي في الأصل دار للعلامة محمد بن السيد أحمد أفندي بن إسماعيل بن خليل بن إسماعيل الحموي الحديثي الأصل، ثم البغدادى، الطبّجَلِي (المتوفى سنة 1265هـ/1848م)<sup>(5)</sup>. تولى التدريس فيها وتتلّمذ على يديه عدة من علماء بغداد، ثم أنه وقف وداره وجعلها مدرسة، ووقف كتبه عليها<sup>(6)</sup>. ووصف السيد محمد سعيد الراوي تلك الكتب بأنها «عديمة المثال، الحاوية لما لم تحوِّها مكتبة أحد من الأمثال»<sup>(7)</sup>، وتابع مصيرها فقال «أما كتبه فقد نُعِبَت فيها

(1) خير الزاد ص100

(2) مساجد بغداد وآثارها ص24

(3) خير الزاد ص98

(4) البغداديون أخبارهم ومجالسهم ص321

(5) عرف أبوه بالطبقجة لي لشكل عمامته، فطبق عربية معروفة، وجه أداة تصغير بالتركية، واليها نسب

(6) عبادة ص233 وينظر في ترجمته محمود شكري الألوسي: المسك الأذفر ص106-109 وإبراهيم فصيح الحيدري: عنوان المجد في أحوال بغداد والبصرة ونجد، بغداد بلا تاريخ ص149 وإبراهيم الدروبي: البغداديون أخبارهم ومجالسهم، ص310 ومساجد بغداد وآثارها ص103.

(7) خير الزاد ص243

الأيدي حتى أصبحت المدرسة منها بلاقع». وقال إبراهيم الدروبي «فجعلها مدرسة عظيمة، وألحق بها مكتبة من نوادر المخطوطات»<sup>(1)</sup>.

بلغ عدد ما وقفه من الكتب (285) كتاباً بحسب وقفيته التي سجلت في 16 رمضان 1269هـ/1852م، ولكن عدد الكتب التي ذكرها الفهرس موضوع البحث لم يزد على (242) كتاباً، وحينما قابلنا محتويات المكتبة على مكتبة الأوقاف العامة في بغداد، تبين أنه لم يكن قد بقي من الكتب غير 77 كتاباً فقط، ولا تخلو من نوادر. ولا أثر للمدرسة الآن، ولكن شيدت من أوقافها عمارة من طابقين باسم (عمارة وقف الطبجلي)، وهي مشرفة على شارع الرشيد.

4- خزانة جامع الإمام الأعظم أبي حنيفة النعمان. ضمت مدرسة هذا الجامع، منذ تأسيسها سنة 459هـ/1067م خزانة حافلة بالكتب، وردت أخبارها في تراجم العلماء الذين وقفوا عليها، أو أفادوا منها<sup>(2)</sup>. وقد تشعت الجامع ومدرسته في العهود التالية، وتعرض في أوائل القرن العاشر للهجرة (السادس عشر للميلاد) إلى تخريب شامل، فتولى السلطان العثماني مراد الرابع حين فتح بغداد بناءً وزاد في أوقافه، ثم تولى الولاة العثمانيون المتعاقبون عمارة الجامع بعد ذلك، كلما احتيج إلى عناية وتعمير، وذلك في السنوات 1085هـ/1614م، و1092هـ/1681م، و1171هـ/1757م. وفي سنة 1217هـ/1802م قام والي بغداد سليمان باشا الكبير بترميمه وأكسأ رأس منارته بالذهب. وفي سنة 1288هـ/1870م أمر السلطان عبد العزيز بتوسيع فناءه، وتجديد ما تهدم منه، وأضاف إليه رواقاً، وعمر أبوابه. وتولى التدريس في مدرسته كبار علماء بغداد<sup>(3)</sup>، وقد ذكر عبادة عن أوقافه أنها «كثيرة ولا حاجة إلى ذكرها لأنها معلومة مضبوطة»<sup>(4)</sup>.

(1) البغداديون ص310

(2) كتابنا: مدارس بغداد في العصر العباسي، بغداد 1966، ص42

(3) ترجم لهم المرحوم الحاج وليد الأعظمي في كتابه: مدرسة الإمام أبي حنيفة. بغداد 1985، ومصطفى جواد: أول مدرسة في العراق، مدرسة الإمام أبي حنيفة، مجلة المعلم الجديد، العدد 6، بغداد 1940، ص33044.

(4) عبادة ص46 وينظر مساجد بغداد وآثارها ص20-25 وهاشم الأعظمي: جامع الإمام الأعظم ومساجد الأعظمية ج1 بغداد 1964،

بلغ عدد كتب خزانته التي ورد ذكرها في هذا الفهرس 406 كتاباً، ولا يشمل هذا العدد جميع ما كانت تحويه الخزانة، لأن المؤلف أشار إلى أنه لم يذكر غير نبذة من كتبها، مما دلّ على وفرة الكتب فيها ونفاسة محتوياتها. هذا بينما لم يتجاوز عدد ما نقل من هذه المخطوطات إلى مكتبة الأوقاف 140 مخطوطاً فحسب.

5- خزانة كتب المدرسة العلية. أسس هذه المدرسة والي بغداد علي باشا الشهيد سنة 1176هـ/1762م، وفيها دفن، وكنا قد توصلنا بأدلة أثرية، ومعمارية، وخطية، إلى أن هذه المدرسة، ورثت من حيث الوظيفة والتخطيط مدرسة سابقة على أرضها، أنشأها الأمير علاء الدين علي بن عبد المؤمن المعروف بالسكرجي، أخي الأمير شمس الدين السكرجي، والي العراق من سنة 693 إلى 694هـ/1293-1294م، ووصفت بأنها «جميلة البناء، شاهقة الأرجاء»، ونسبت إلى اسم مؤسسها فعرفت بالمدرسة العلائية. وكان الشروع في بنائها سنة 693هـ<sup>(1)</sup>. ونظراً لإنشاء سور بغداد المطل على دجلة في العهود التالية، فقد أزيل الجناح الشاطئي منها، كما أزيلت معه المنشآت الشاطئية في بغداد، واستعمل آجرها في بناء سور بغداد المذكور، فالأجنحة الثلاثة المتبقية هي التي حولها علي باشا إلى المدرسة العلية بعد تغييرات أحدثها في عمارتها<sup>(2)</sup>. ووقف عليها داود باشا (1232-1247هـ/1816-1834م) بعض العقارات في الحلة. وممن تولى التدريس فيها العلامة مفتي بغداد محمد أمين بن محمد صالح الطبقجلي (توفي سنة 1299هـ/1881م)، والعلامة المفتي محمد فيضي الزهاوي (توفي سنة 1308هـ/1890م)، وكل منهم كان مفتياً شهيراً، ومدرساً قديراً. وقد استمر التدريس في المدرسة العلية على النحو الذي أراده لها مؤسسها مدة مائة وأحد عشر عاماً تقريباً (109 عاماً شمسياً)، خرجت فيها أجيالاً من العلماء الذين تولوا مناصب علمية وشرعية مختلفة<sup>(3)</sup>.

(1) عبد الرزاق ابن الفوطي: تلخيص مجمع الآداب، تحقيق مصطفى جواد، دمشق 1962، مجلد 4 ق 1 ص 1051.

(2) أفردنا كتاباً عن هذه المدرسة بعنوان (المدرسة العلية في بغداد) طبع ببغداد سنة 1988،

(3) في سنة 1287هـ/ 1871م اختار والي بغداد مدحت باشا أن يحول مبنة المدرسة ووظيفتها لتتحول إلى مدرسة للصنائع عي الأولى من نوعها في العراق آنذاك، وفي أوائل عهد الحكومة العراقية تحولت المدرسة إلى قصر أقيم فيه الملك فيصل الأول فالملك غازي، واتخذت سنة 1938 لتكون مقراً للمجلس النيابي، حتى سقوط النظام الملكي، فمحكمة عسكرية خاصة،

بلغ عدد (النبذة) المفهرسة من كتب خزانة المدرسة العلية (69) كتاباً، ويظهر أن هذه النبذة لم تحط إلا بجزء يسير مما احتوته الخزانة المذكورة، وآخر من أشار إليها هو السيد محمود شكري الألوسي، إذ قال واصفاً ما قام به مدحت باشا عند تحويله المدرسة إلى أخرى للصنائع، «ونقل ما كان فيها من الكتب إلى محل آخر»<sup>(1)</sup>، ولكنه سكت عن تسمية هذا المحل، ومن ثم تبدد آخر أمل بمعرفة مصير الكتب وما آلت إليه. وقد ذكر الشيخ محمد صالح السهروردي أن مدحت باشا فرّق مكتبة المدرسة المذكورة على مكتبة مدرسة سليمان باشا (يريد المدرسة السليمانية القريبة منها) وغيرها<sup>(2)</sup>، ولكننا لم نعثر، في أثناء اشتغالنا بفهرسة المخطوطات وتتبع فهارس خزائن بغداد الخطية، على مخطوط واحد يحمل اسم المدرسة العلية، بل أننا تصفحنا معظم مخطوطات المدرسة السليمانية التي انتقلت إلى مكتبة الأوقاف المركزية ببغداد علنا نجد بينها ما يحمل اسمها، فلم نعثر على بغيتنا، فترجح عندنا أن أياً من محتويات خزانة العلية لم يصل إلى زماننا هذا، وأنها فقدت في زمان مضى<sup>(3)</sup>.

6- خزانة كتب المدرسة القبلانية الملحقة بجامع القبلانية. كان هذا الجامع يقع في سوق الهرج، مقابل مدخل المدرسة المستنصرية. أسسه والي بغداد قبلان مصطفى باشا سنة 1088هـ/1687م في أرض كان يشغلها إيوان الطب التابع للمستنصرية<sup>(4)</sup>. وقد تحدثنا عن هذا الجامع ومدرسته في دراسة مستقلة في هذا الكتاب .

7- خزانة كتب جامع الوزير. يقع هذا الجامع على شاطئ دجلة الشرقي، يحده شمالاً مبنى المحاكم سابقاً، وشرقاً سوق السراجين المحاذي لسوق السراي، شغلت أرضه في العصر العباسي المدرسة التنشئية التي أنشأها الأمير خمارتيكين بن عبد الله من مماليك السلطان تتش السلجوقي في بغداد سنة 500هـ/1206م، كما أنشأ

---

ثم متحفاً عسكرياً سنة 1967، وأعيد تجديده سنة 1980 واتخذ قصراً كبيراً للثقافة والفنون، ثم أصبح مقراً لمؤسسة بيت الحكمة وما زال.

(1) مساجد بغداد وآثارها ص85

(2) جريدة العراق 5 تموز 1930

(3) المدرسة العلية ص50

(4) ذهبنا إلى هذا الرأي في بحثنا: جامع القبلانية، مجلة الرسالة الإسلامية، العدد 38-39، السنة 1971.

السوق المجاور والذي سمي بالعقار التتشي نسبة إليه<sup>(1)</sup>. وينسب جامع الوزير إلى مؤسسه الوزير حسين باشا بن الوزير محمد باشا صوقلي، أنشأه سنة 1008هـ/1599م، ووصفه عبادة بأنه «جامع كبير ذو فناء واسع، ومصلى شامخ البناء، معقود بالحجارة والجص، متصلة عقادته على جداريه القبلي والخلفي، لا يستند وسطها على بناء<sup>(2)</sup>». ومثله ما ذكره السيد محمد سعيد الراوي إذ أشار إلى أنه كان في الأصل ذا قبة واحدة كبيرة، قدر قبة جامع الشيخ عبدالقادر الكيلاني». وذكر الرحالة أوليا جلبي الذي زار بغداد في أواسط القرن الحادي عشر للهجرة أن له قبة ومنارتين لا واحدة<sup>(3)</sup>، إلا أن إحدى المنارتين سقطت في وقت تال. وقد أزيل هذا الجامع بسبب إنشاء مقتربات جسر المأمون (وهو جسر الشهداء)، وبني على قسم من أرضه جامع حديث، ولم يتبق من بنائه القديم غير بابه الأثري وعليه تاريخ تأسيسه واسم مؤسسه. وفي الجامع مدرسة أسسها المشير أحمد توفيق باشا سنة 1277هـ/1860م وعين له العلامة طه السنوي مدرساً، ووصفت بأنها «مدرسة معتبرة»<sup>(4)</sup>.

ويظهر أن هذه المدرسة ضمت خزانة للكتب فقد نوه مؤلف الفهرس بعنوانات (126) كتاباً منها، ولكننا لا نعلم ما آلت إليه، كما لم يصل منها شيء إلى مكتبة الأوقاف.

8- خزانة كتب المدرسة المرادية. يقع جامع المرادية، أو جامع مراد باشا، في محلة الميدان قبالة قلعة بغداد الداخلية (إيج قلعة) وهي التي شغلت أرضها في عهد الدولة العراقية وزارة الدفاع. أسسه والي بغداد مراد باشا سنة 978هـ/1570م، وشيد فيه مئذنة مكسوة البدن- على نحو فريد- بقطع الآجر المزجج بالالوان، وقد أزيلت هذه الكسوة الجميلة في أواخر ثمانينات القرن الماضي، وأبدلت بزينة أخرى بالآجر وبعض قطع الآجر المزجج. ووقف والي بغداد أحمد باشا البوشناق خاناً على أرض هي من موقوفات مراد باشا، ومنشآت أخرى على الجامع المذكور بموجب وقفه المؤرخة في سنة 1099هـ/1687م<sup>(5)</sup>.

(1) كتابنا: مدارس بغداد في العصر العباسي ص 48-54

(2) عبادة ص 368

(3) أوليا جلبي سياحته سي ج 4 ص 419

(4) مساجد بغداد في كتابات الأجداد ص 45

(5) عبادة ص 121-126 وخير الزاد ص 45-52 ومعالم بغداد ص 148.

وكانت في مدرسة الجامع خزانة للكتب أحصى منها صاحب الفهرس (185) كتاباً، ولا نعلم ما آل إليه مصيرها، ولم يصل منها شيء إلى مكتبة الأوقاف في بغداد.

9- خزانة كتب المدرسة العُمرية. أنشأ هذه المدرسة والي بغداد عمر باشا سنة 1090هـ/1679م، وكانت تقع على شاطئ دجلة الغربي، بلصق جامع قمرية المرتقي بناؤه إلى سنة 626هـ<sup>(1)</sup>. وأول من تولى التدريس فيها الملا نوح الحديثي، وتخرج فيها عدد من العلماء الكبار، منهم عبدالله السويدي، وأبو الثناء محمود الآلوسي. ووصفها الآلوسي بقوله أنها «مدرسة لطيفة الوضع على شاطئ دجلة، ومتصلة بجامع القمرية، وكانت هذه المدرسة مجمع الفضلاء، ومثابة الأعلام»<sup>(2)</sup>. ووصفت خزانة كتبها بأنها «خزانة كتب يعجز عن وصفها اللسان»<sup>(3)</sup>. ثم أن إهمالاً أصاب المدرسة، فأعاد تجديدها الحاج عبدالقادر آغا أمر البحرية سنة 1320هـ/1901م، وأنشأ في مدخلها عقداً كبيراً من الآجر والجص، واتخذ فوقه دائرة رسمية له، ثم استعادتها الأوقاف مجدداً، واتخذت من مبناها سنة 1930-1931 مدرسة ابتدائية، وانتهى بها الحال أخيراً إلى أن تلحق أرضها بإعدادية الكرخ للبنين<sup>(4)</sup>. وكان الأب أنستاس ماري الكرملّي قد لاحظ ما آل إليه مصير كتب هذه المدرسة، فظن أنها مدرسة جامع قمرية لقربها منه، فقال «مكتبة جامع القمرية، أغلب كتبها سرقت، وما تبقى منها لا يؤبه له»<sup>(5)</sup>.

وأحصى صاحب الفهرس من كتب هذه الخزانة (52) كتاباً. ولا يعلم مصير أي من كتبها.

---

(1) عبادة ص 484 ومساجد بغداد ص 114 ويحثنا: مسجد قمرية في العهد العباسية، مجلة التربية الإسلامية، العدد 3، السنة 8، شباط 1966 وكاظم الجنابي: مسجد قمرية تخطيطه وعمرانه، مجلة سومر، العدد 1 و2، المجلد 38 السنة 1972 وأنور الناصري: سوق الجديد ج 1 ق 2 ص 206-238،

(2) مساجد بغداد ص 34

(3) البغداديون ص 317

(4) عبادة ص 487 ومرتضى نظمي زاده: كلشن خلفا ص 282 وخير الزاد ص 487 والبغداديون ص 392، وأنور الناصري: سوق الجديد ج 1 ق 3 ص 175-186.

(5) كتب ذلك في تقرير عن مكتبات بغداد نشره جرجي زيدان في كتابه: تاريخ آداب اللغة العربية، بيروت 1967، ص 492.

10- خزانة كتب جامع الفضل. وموقع هذا الجامع في المحلة المنسوبة إليه من شرقي بغداد، وهي قسم من مقبرة باب أبرز في العصر العباسي، وكان أولاً مسجداً صغيراً بالقرب من قبر من يدعى الإمام محمد الفضل، فنقضه والي بغداد الوزير سليمان باشا الكبير سنة 1210هـ/1795م، ووسعه بشراء بعض الدور المجاورة له، وضم أرضها إليه، حتى أنجز سنة 1219هـ/1804م، وقد ألحق به مدرسة، ومن أشهر من تولى التدريس فيها الشيخ رسول بن أحمد الشوكي، والشيخ سعدي بن أمين الموصللي، وابنه داود السعدي، والشيخ سعيد بن عبد القادر، والعلامة عبد الوهاب النائب، وسماه عبد الحميد عبادة بأزهر بغداد، تشبيهاً له بالجامع الأزهر في مصر، «لما اجتمع فيه كثير من الطلاب لتحصيل العلوم مما لا تجده في سائر المدارس والجوامع، ترى اليوم في هذا الجامع ست عشر حجرة، فإنها كانت مملوءة بالطلبة المحصلين المجدين.. وقد تخرج من هذه المدرسة الكثيرون من طلاب العلم في بغداد ما لا يحصى عددهم، فكنت ترى فيهم الحافظ والمكرر والمحرر والشارح والمحشي والشاعر والأديب...»<sup>(1)</sup>.

ومن أوقافه خمس أراضي خرنابات، وقفها عليه مصطفى جاش بن إبراهيم سنة 1123هـ/1711م. ووقفت عطية خانم بنت درويش الحيدري أسهماً في أحد بساتين هبهب، ومثلها أسماء خانم بنت عبد الرحمن الروزيهاني، إذ وقفت بستاناً لها في هبهب أيضاً سنة 1309هـ/1891م.

ضم الجامع منذ إنشائه خزانة كتب كبيرة، فيها أنواع الكتب، وعُيِّن لها (محافظ) يتولى شؤونها<sup>(2)</sup>.

ونوه مؤلف الفهرس بعنوانات (185) كتاباً في هذه الخزانة، إلا أن الكتب تبددت، «حتى لم يتبق من المكتبة ولا ورقة والله أعلم بمصيرها»<sup>(3)</sup>.. وذكر الدروبي أن في هذه المدرسة مكتبة العلامة الشيخ عبد الوهاب النائب وهي تضم نوادر الكتب المخطوطة والمطبوعة، وتضم أيضاً مكتبة [أخيه] العلامة الشيخ سعيد افندي [النقشبندي]، وقد نظمت لهاتين المكتبتين فهرساً عاماً<sup>(4)</sup>.

(1) عبادة ص 190 - 200

(2) عبادة ث 199

(3) عبادة ص 199

(4) البغداديون ص 320

يبلغ عدد كتب الخزائن بأجمعها، مما شمله الفهرس (4553) كتاباً، معظمها من المخطوطات، ومنها ما هو نادر الوجود، وتتفاوت طريقة الفهرسة بين أجزاء الكتاب تفصيلاً واقتضاباً، ففهرس كتب المؤلف في المدرسة المرجانية مرتب على عدة فنون على النحو الآتي:

- 1- الكتب الإلهية (وهي القرآن الكريم حصراً)
- 2- التفسير وما يتعلق به
- 3- القراءات
- 4- الحديث ونحوه
- 5- العقائد
- 6- أصول الفقه على المذاهب الأربعة
- 7- فقه الحنفية
- 8- فقه المالكية
- 9- فقه الحنبلية
- 10- فقه الشافعية
- 11- فقه الشيعة وغيرهم
- 12- المعاني والبيان والبديع
- 13- التصوف
- 14- آداب البحث
- 15- الوضع والإشتقاق
- 16- النحو والصرف
- 17- الأدب والعروض
- 18- التاريخ ونحوه
- 19- اللغة وما يتعلق بها
- 20- الفلسفة والطب والحساب والنجوم وما يتعلق بها

## 21- الآلات المجسمة

أما المجموعة الثانية من كتب المرجانية فتتألف من 976 كتاباً، وهي بخط السيد محمود شكري الألوسي، وقد فرغ منها في ربيع الأول من سنة 1327هـ، كما علق في نهاية الورقة الأخيرة منها، ورتبها على الموضوعات، على النحو الآتي:

- 1- التفسير
- 2- الحديث
- 3- أصول الفقه
- 4- فقه الحنفية
- 5- فقه الشافعية
- 6- الفتاوى
- 7- الفرائض
- 8- العقائد
- 9- التصوف
- 10- النحو
- 11- الصرف
- 12- المعاني والبيان
- 13- اللغة
- 14- المنطق
- 15- المناظرة والوضع
- 16- التاريخ
- 17- الأدب
- 18- الحكمة والهيئة
- 19- الوضع
- 20- الطب

أما المجموعة الثالثة فهي غير مرتبة على الموضوعات، وقد وضعت أرقام إزاء  
عنوانات كتبها، إلا أن الموجود يبدأ من الرقم 33 مما يدل على سقوط ورقة من أوله.  
ومعلومات هذه المجموعة على جانب من الاختصار، وهي تضم عناوانات 88 كتاباً.  
وليس في كتب المدارس الأخرى ترتيب للكتب على الموضوعات، إلا قليلاً. وأحسن هذه  
الفهارس من حيث دقة الوصف ووفرة المعلومات فهرس خزانة المؤلف، وهي الأولى من  
خزائن المدرسة المرجانية، فقد ميّز بين ما هو مخطوط وما هو مطبوع، وذكر -غالباً-  
نوع الخط، وما إذا كان بخط مؤلفه، وتاريخ النسخ، واسم الناسخ إن وجد، وما يتميز  
به المخطوط من شروح وتصحيحات وزينة، بيد أن المؤلف لم يلتزم بذكر كل هذه  
المعلومات عند حديثه عن خزائن المخطوطات المفهرسة الأخرى، وإنما أشار إلى بعض  
منها كلما وجد ضرورة - في رأيه - إلى ذلك، وذكر في أحيان نادرة عدد أوراق  
المخطوط أو عدة كراريسه، أما الكتب المطبوعة فقد ذكر في أغلب الأحيان مكان  
طببعها وتاريخه.

ومن المؤسف حقاً أن عدداً كبيراً من الكتب، لا سيما المخطوطات منها، ضاع أثره  
ولم يتبق منه سوى عنوانه في هذا الفهرس، وإذا ما استثنينا خزانة المدرسة المرجانية  
التي ضم أغلبها إلى مكتبة الأوقاف المركزية في بغداد<sup>(1)</sup>، فإن معظم محتويات الخزائن  
الأخرى قد تفرّق وفُقد خبره، إلا كتباً قليلة منها وجدت طريقها إلى مكتبة الأوقاف أو  
بعض المكتبات الأخرى، فمن الكتب المفقودة من خزانة جامع الوزير مثلاً كتاب (نسيم  
الصبا) لأبي الفرج عبدالرحمن ابن الجوزي، وهو كتاب لم تذكره قوائم مؤلفات هذا  
العالم قط، ولعله (نسيم السحر)، وديوان صالح التميمي، وديوان أبي فراس  
الحمداني، وديوان أبي العلاء المعري، كتب عليه أنه «بخط قديم»، وديوان ملا كاظم  
الأزري، وديوان ابن النحاس، وديوان صادق الفحام، وديوان قاسم البكرجي، وديوان  
عثمان الخطيب الموصلي، وديوان البحراني، وشرح ديوان ابن أبي الحديد لابن  
عصفور، وحديقة الورود في مدح أبي الشتاء محمود، والكمال في شرح الشافعية لابن  
مؤلفه، وجدول تاريخي لمحمد أمين بن خيرالله الخطيب العمري، وكشكول للعمري،  
وتاريخ نخبة بهجة الزمان، في تاريخ مكة، وعنوان الشرف، وهو كتاب مهم في التاريخ،

(1) ومع ذلك فقد ضاعت منها كتب نوادر، حصرها د. عبدالله الجبوري في كتابه : مكتبة  
الأوقاف ص57-60.

لياسين بن خير الله العمري، والعقد الثمين في مسائل الدين لمحمد أمين السويدي، وحديقة الورود في مدح أبي الشتاء محمود، غير ذلك.

ومن كتب جامع القبلانية شرح لديوان المتنبّي، وتعليقات عليه، وديوان أبي فراس الحمداني، وديوان أبي تمام، والذب عن الشيخ خالد النقشبندی لمحمد أمين السويدي، وتاريخ العالم، وتراجم علماء العراق للرحبي، وهو نزهة المشتاق في تاريخ علماء العراق لمحمد بن عبدالغفور الرحبي، وكتب في السير والتراجم والتصوف، وغير ذلك.

ومن كتب جامع الإمام الأعظم عشرون ديوان شعر لشعراء لم تذكر أسماءهم، والآثار الباقية للبيروني، ومجموعة نفيسة من الكتب والرسائل في علم الفلك والحساب وغير ذلك.

ومن خزانة المدرسة العلية كتاب (عمدة البيان في تصارييف الزمان) لياسين بن خيرالله الخطيب العمري، والدرة المضية في أخبار مصر والقاهرة المعزية، وزهرة البساتين فيمن دفن بمصر من المحدثين، وبهجة الزمن فيمن عمّر مكة من آل عثمان، وديوان ابن بكتاش في مدح والي بغداد سعيد باشا، وديوان ابن الأزري، وديوان السيد عبدالله الحلبي، وديوان ابن النحاس، وديوان الحويزي، وديوان علي بن حسن الأعرج، وديوان جعفر البحراني، وشرح نقاية السيوطي لمحمود البغدادي كاتب الينكجيرية، وعجالة الراكب في مراجعة القاموس، وبيان فرق المعتزلة للعراقي، ونسخة من حديقة الورود في مدائح أبي الشتاء محمود، ولعل من أنفس الكتب المفقودة تاريخ بغداد لابن النجار، وكانت منه نسخة في خزانة جامع الفضل، ومختصر له بخط قديم في خزانة المرجانية.

ومن كتب مدرسة جامع الفضل تراجم أدباء العراق، ولم ندر هوية مؤلفه، واختلاف المذاهب لابن هبيرة، والإعلام بفضائل الشام، وديوان أبي فراس، ومنازل الحاج، ومسالك الأبصار في محاسن الأمصار.

وغير ذلك من الكتب القيمة والنسخ المفيدة في البحث والتحقيق.

إن (فهرست مكاتب بغداد الموقوفة) يفيدنا في التعرف على مصادر الثقافة والمعرفة في المؤسسات العلمية ببغداد في العصر العثماني، وهو يكشف عما كانت تزخر به تلك المؤسسات من كتب ورسائل مهمة ضاع أكثرها اليوم على الرغم من

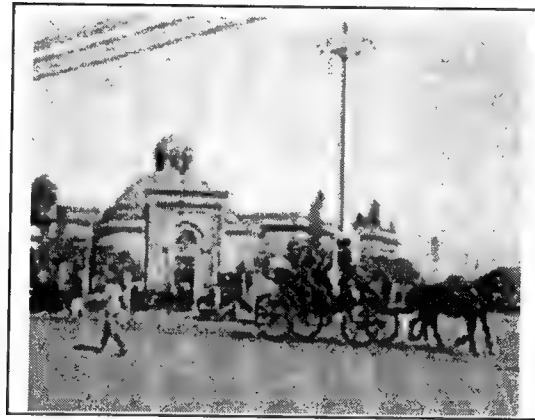
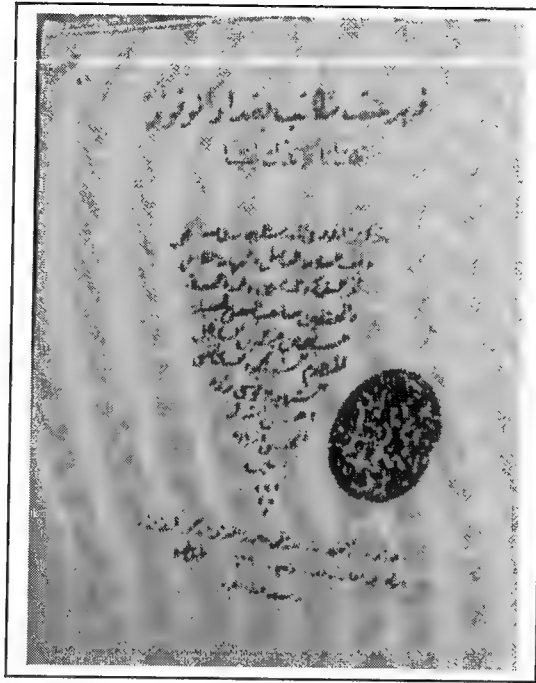
قرب عهدنا بها. ومن المؤكد أن ما ضمّه الكتاب من فهارس ليس هو إلا لقسم قليل مما كانت تحتويه المدينة من خزائن كتب، فقد وصلت إلينا أسماء عددٍ آخر من الخزائن الضائعة لم يُحِط بها هذا الفهرس. وكان السيد محمد آل جميل قد لاحظ ظاهرة فقد الكتب، وسجل أسماء بعض خزائنها المهمة في مقالة نشرتها جريدة الزوراء في 13 شباط من سنة 1287 رومية، حيث قال «ولا زال يتصاعد هذا الحال إلى أن غدت تلك المدارس التي كانت في الزمن القديم مملوءة من الكتب المتنوعة خالية من مجلد واحد، وعادت فارغة مثل فؤاد أم موسى... فمن جملة ما يقتضي أن يصير معلوماً لديكم أن إحدى هذه المدارس المعتبرة في بلدتنا، لا بل الأولى منها، مشهورة بالمدرسة العلية. وإن المدرسة كانت قديماً تحت إدارة رئيس العلماء، ويوجد في كتبها آلاف من الكتب الخزنية القيمة، وبينما كان هذا الحال مشاهداً ينظر تحقيق كل واحد، وإذا من عشر سنين فقدت تلك الكتب النفيسة، ولا يُعلم بيد من دخلت. ومع ذلك فأمثال مدرسة الأحمدية، والسليمانية، والقبلائية، والعدلية، والحيدرخانة، والأصفية، ومدرسة حسن باشا، من المدارس والجوامع، مع أن وظيفتها (يريد مخصصاتها المالية) تؤخذ، إلا أن الكتب القيمة المودعة فيها والخارجة عنها لا يوجد منها ولا كتاب واحد».

ولنا أن نلاحظ أن المؤلف إختصر عنوانات أكثر الكتب التي نوّه بها في فهرسته، وسبب ذلك يعود إلى رغبته في الإسراع بالعمل من جهة، ولأن هذه العنوانات - من جهة أخرى- كانت معروفة تماماً لدى علماء عصره، لكثرة نسخها، وكونها من كتب الجادة، أي الكتب المتخذة لأغراض الدرس فحسب.

وعلى أية حال، فإن (فهرست مكاتب بغداد الموقوفة) هو أول محاولة جادة لحصر تراث هذه المدينة العريقة من الكتب، وهذه المحاولة، وإن أعوزتها بعض قواعد الفن، وتخللها شيء من التقصير، فإن لها قَصَبَ السَّبْقِ في حقلٍ هو دون ريب من أهم حقول الدراسات التراثية وأكثرها جدة وحداثة<sup>(1)</sup>.

---

(1) ثم أننا نشرنا هذا الفهرس، وصدر عن دائرة البحوث والدراسات في ديوان الوقف السني، بغداد 2014، في 254 ص.



المكتبة العامة في بغداد (صورة قديمة)

## مخطوطة (تعليم البلطجية)

البلطجية، أو البالطه جية، كلمة تركية مكونة من مقطعين، (بالطه) وهي أداة قتال أو قتل أو قطع، تُصنع من الحديد عادة، أو من الحديد والخشب، وتتكون من قطعة من الحديد، حُد جانبها العريض، فأصبحت قادرة على قطع ما تُضرب به، وذراع صلبة من حديد أو خشب، تثبت فيها القطعة المذكورة، و(جي) وهي أداة نسبة إلى الحرفة، فيكون معناها حامل البلطة والمختص باستعمالها، ويقابل هذا المصطلح في الفارسية (الطبردار) الذي شاع في جيش المماليك في مصر بالدلالة نفسها<sup>(1)</sup>.

نشأت جماعة البلطجية في الدولة العثمانية في القرن الخامس عشر؛ أي: منذ أول عهد الدولة، وكان يجري تجنيدهم من بين شبان (الدوشرمة)، وهم الذين كانوا يُختارون من بين سكان البلقان للخدمة العسكرية في قوات (الينكجيرية) أو الإنكشارية، وتُعد مدة خدمتهم جزءاً من حياتهم العسكرية في هذه القوات، وأدخل بعضهم، في عهد تال، ضمن تشكيلات (السباهية)؛ أي: الفرسان، و(السلحادارية) وهم المختصون بمخازن السلاح، وأوكلت إليهم مهام متنوعة، فكانوا (خبراء متفجرات) و(طلائع) للجيش، ثم أوكلت إليهم مهام متنوعة، لا سيما في حراسة قصور السلاطين في أدرنه، ثم في إستانبول، كما كانت تُعهد إليهم مهام أخرى، منها قطع الأشجار التي تعترض حملات السلاطين، وإطفاء الحرائق، وتزويد القصور بالحطب، ومنهم من كانت توكل إليهم بعض الواجبات الاحتفالية، فضلاً عن واجبات الحراسة<sup>(2)</sup>.

وكانت هذه التشكيلات تُتيح فرص إرتقاء بعض البارزين فيها إلى مناصب عالية ورئيسة في الدولة، حيث عُرف أصحابها بلقب (بالطه جي)، منهم سليمان بك بالطه

---

(1) يظهر أن البلطة كانت أحد الأسلحة التي يحملها الجنود العثمانيون إلى جانب أسلحتهم الأخرى، وهي تشبه من حيث الشكل والاستعمال (الساطور) و(الطبر).

(2) New editon, PP. 1003-1004 Boween, Harold, Baltadji. Encyclopia of Islam  
وسهيل صابان: المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية التاريخية، الرياض 2000،  
ص 65، ومع ذلك فليس فيما كتبه يالماز أورتونا عن تشكيلات الجيش العثماني إشارة إلى  
صنف بهذا الاسم، ينظر أورتونا: تاريخ الدولة العثمانية، إستانبول، مؤسسة فيصل، 1985.

أوغلي، الذي عاصر السلطان محمد الفاتح، وشغل منصب (قبودان)؛ أي: قائد الأسطول، وأدى دوراً مهماً في أثناء فتح القسطنطينية<sup>(1)</sup>، ومنهم محمد باشا بالطة جي، وقد تولى بغداد سنة 956هـ/ 1549م وسنة 959هـ/ 1551م<sup>(2)</sup>، ومنهم سميّه محمد باشا بالطة جي، وهو من مشاهير القادة، تولى منصب الصدر الأعظم في سنة 1116هـ/ 1704م، وشارك قائداً في معظم الحروب المهمة في عهده<sup>(3)</sup>، وغيرهم.

وعلى الرغم مما أصاب معنى هذا المصطلح من تطور في الحقب التالية أبعدته عن دلالاته الأولى، فإن المخطوطة التي سنتناولها الآن بالدراسة واضحة في تعيين معناه الأصلي، وهو أنهم صنف من صنوف الهندسة العسكرية<sup>(4)</sup>، وفي عهد السلطان محمود الثاني (1808 - 1839) ألغي هذا الصنف بصفة نهائية ضمن عملية إلغاء الجيش الإنكشاري كله<sup>(5)</sup>.

ويسمى المعجم العثماني<sup>(6)</sup> البالطة فأساً، وهذا معقول، على أساس أن مهمتهم في حفر الخنادق تستدعي الفأس أكثر من البلطة، التي اشتقت منها أسماء وأفعال مختلفة، فـ(البالطة صايي) هو (المعاون)، و(البالطة لامق) تعني القطع بالفأس، كما تعني الهدم والتخريب، ويظهر أن المعنى الأخير مأخوذ مما كان يكلف به البلطة جية أو البالطة جية من هدم جدران القلاع وتخريبها، أما (البالطة لق) فهي الغابة التي يحتطب منها، ومن معاني القوة والبأس التي تجمع بين هذه الألفاظ، اشتقت كلمة (البالطة آصمق) التي تعني التسلط.

(1) شمس الدين سامي: قاموس الأعلام، بالتركية، إستانبول ج2 ص1208.

(2) مرتضى نظمي زاده: كلشن خُلفا، ترجمة موسى كاظم نورس، النجف 1971، ص203 و204، وعباس العزاوي: تاريخ العراق بين احتلالين ج4 ص54 - 55.

(3) قاموس الأعلام ج2 ص129.

(4) من الواضح أن لا صلة مطلقاً بين البلطجية وبين ما تطور إليه معنى هذا اللفظ في العقدين الأخيرين في مصر وبعض البلاد العربية إلى مفهوم يتصل بالإرهاب والعنف؛ حيث عرف أحدهم البلطجية في موسوعة ويكيبيديا الحرة على النحو الآتي: «هي نوع من النشاط الإجرامي، يقوم من يمارسه بفرض السيطرة على فرد أو مجموعة، وإرهابهم وتخويفهم بالقوة عن طريق الاعتداء عليهم أو على آخرين، والتكيل بهم، وأحياناً قتلهم لغرض السرقة أو قمع الرأي».

(5) Boween Op.Cit P.1004

(6) محمد علي الأنسي: الدراوي اللامعات في منتخبات اللغات، بيروت 1320، ص105 - 106.



جندي عثماني مدجج بالسلاح

وقد ذكر الأمير عمر طوسون في كتابه عن الجيش المصري في عهد محمد علي أن رجال الهندسة يُكوّنون أربع أورطة<sup>(1)</sup>، وكل أورطة منها ثمانية بلوكات<sup>(2)</sup>، واحد لوضع الألغام، والثاني لعمل الكباري والجسور، والستة الباقية يحملون البلط (بلطجية)، وفضلاً عن أن هذه الأورط تقوم بإنشاء الحصون والاستحكامات والمعسكرات في أثناء الحروب، وفي حالة السلم، فإنهم كانوا يتولّون قطع الأشجار للإفادة منها فيما يحتاجه الجيش أيضاً، وربما الدولة بوجه عام، ومعنى هذا أن البلطجية كانوا يمثلون أغلبية المقاتلين في كل أورطة، وهذا يدل على أهميتهم في ذلك العصر. ونقل عن كلوت بك Antoine Barthelemy Clot في كتابه (نظرة عامة حول مصر) أن الجيش المصري كان في سنة 1831 يضم (آلاي) من (حملة البلط) يتخذ من مدينة عكا مقراً له، ويبلغ عددهم (813) فرداً، و(أورطة) كاملة من حاملها تستقر في مدينة الإسكندرية، يبلغ عدد أفرادها (808) فرداً، بينما ينقل عن جول بلانات أن هذا الجيش كان يضم اثني عشر بلوكاً من البلطجية، وكل بلوك مع (آلاي) للمشاة، وكان البلوك يتألف عند تأسيسه من 1200، لكن عدده انخفض، فيما بعد، ليصبح 700 فرداً.

(1) الأورطة هي الفرقة من الجيش.

(2) البلوك هو الفوج.



كلوت بك

وهذه المخطوطة، التي بين أيدينا، المعنونة (تعليم البلطجية) هي من نوع الكراريس العسكرية التي يصدرها أحد الصنوف في الجيش لهدف عملي محدد، هو تعليم الجنود في الصنف المذكور كيفية تنفيذ المهام العسكرية التي تعهد إليهم، ومن ثم يجب ألا نتوقع أن تحمل المخطوطة اسم مؤلفها؛ لأن من يتحمل مسؤولية تأليفها أو ترجمتها هو قيادة الصنف كلهم، لا مؤلف بذاته، ومما يتصل بهذا أن أسلوب الكراسية يأتي - عادة - بسيطاً مباشراً؛ لأن الغاية منه هي توصيل المعلومة العسكرية بأسير سبيل، ومن المؤكد أنها كانت خاصة بالجيش المصري في عهد مؤسسه محمد علي باشا، وأنها أعدت من أجله أصلاً، فأسلوبها يشبه إلى حد كبير أسلوب الكتب العسكرية التي كانت تعد لخدمة صنوف هذا الجيش، وهي تبدأ بلفظ (تعليم) على نحو ما نجده في تلك الكتب.

والكتاب مُترجم؛ حيث ذكر مُترجمه إسمه صراحة بعد انتهاء آخر عبارة فيه، وهو أحمد صفي الدين العلمي<sup>(1)</sup>، كما توجد عبارات وألفاظ في بعض المواضع تصحح لفظاً أو عبارة، كتبت بخط مختلف عادي، بينما شطب بالحبر على العبارات التي جرى تبديلها، مما دل على أن المترجم سَلَّم نص مُسوَّدة ترجمته إلى ناسخ حسن الخط فنسخها، ثم عاد إلى هذه النسخة فقابلها على مسودته، وأثبت أحياناً تعليقات

(1) الورقة 34 أ.

تصويبية عليها، ولم يذكر المترجم اللغة التي ترجم منها، والراجح أنه مُترجم من الفرنسية تحديداً؛ وذلك لاستعمال مؤلف الأصل وحدات المقياس المترية دون غيره من المقاييس، وهي المتر، والسنتو (يريد السنتيمتر) بوصفهما وحدتا قياس الأطوال، ومن المعلوم مقدار تأثير التقاليد والعلوم العسكرية الفرنسية على جيش محمد علي منذ أول العهد بتأسيسه، وكون كبار قادته كانوا فرنسيين، ومن غير المستبعد أن يكون الكتاب مترجماً عن التركية، بوصفها لغة بسيطة؛ وذلك لكثرة المصطلحات والنداءات التركية فيه<sup>(1)</sup>، وثمة إشارة مهمة وردت فيه يفهم منها أن مؤلف الكتاب الأصلي كان فرنسياً عاش في أوائل القرن التاسع عشر؛ حيث جاء في المخطوطة: «وانما ينتج من التجارب التي أجريت في آلاي مدينة منتلبيران أن الوسطة الآتية التي أجراها رئيس أورطة المهندسين سنة 1232 يمكنه العمل بموجبها مع النجاح»<sup>(2)</sup>، فالمدينة كما يظهر من اسمها فرنسية، وتاريخ الحادثة هو سنة 1816م الموافقة للتاريخ الهجري المذكور.

وتتألف المخطوطة من 54 ورقة، ذات لونٍ داكنٍ يميل إلى الرمادي، مصري الصنع، رديء النوعية، بمقياس (25، 18×3، 5سم) في كل منها 21 سطراً، وهي بخط نسخ معتاد، بمداد أسود، عدا عنوانات الدروس والأرقام فهي بمداد أحمر، مجلدة بالورق المقوى الخفيف، والمغلف بورق تغليف أخضر اللون، مُموّه باللونين الأبيض والأسود، ويكعب من جلد أحمر.

وليس للمخطوطة ورقة عنوان، ولكننا نجد في الورقة الأولى منها بسملة كتبت بخط الثلث الجميل، يليها عنوان بخط عريض واضح، هو (تعليم البطه جية)، والكلمة بالطبع

---

(1) رأى مفهرس المخطوطة أن المخطوطة مترجمة من اللغة التركية؛ وذلك «لشيوع الألفاظ التركية العثمانية الحربية فيها، فلعل مؤلفها كان أحد المهندسين العسكريين العثمانيين الذين اشتركوا في حصار الحصون في جهات أوربا الغربية (يقصد: الشرقية)، مثل بلغاريا ورومانيا والمجر ويوغسلافيا»، قاسم السامرائي: الفهرس الوصفي لبعض المخطوطات المحفوظة في مكتبة الإمام محمد بن سعود الإسلامية في الرياض، 1418هـ/1997م، ص 500 - 501، ونحن نعتقد أن شيوع الألفاظ التركية لا يقف دليلاً على أنه مترجم عن هذه اللغة تحديداً؛ لأن التركية كان في الوقت نفسه لغة التعليم العسكري في مصر؛ فشيوخ مصطلحاتها في كتاب يُترجم عن الفرنسية إلى العربية كان أمراً ممكناً دائماً، ويكشف تتبع الألفاظ والمصطلحات الواردة في هذه المخطوطة عن أن كثيراً منها بغير التركية، عربية وعامية مصرية وغيرها، أما القول بأن المؤلف هو أحد المهندسين العسكريين العثمانيين الذين اشتركوا في حصار الحصون... إلخ فلم نجد دليلاً عليه.

(2) الورقة 31ب.

محرفة من كلمة (البطله جية)، ويليه نص الكتاب نفسه. كما تتقدم المخطوطة ورقة بيضاء كتب في ركنها الأيمن الأعلى عبارة، هي: (هذه مجموعة البطله جيه بالتمام والكمال)، وتحتها وعن يمينها ختم مدور باسم (مصطفى درويش)، وينتهي نص الكتاب في الورقة 34<sup>أ</sup> بعبارة تقول: (معرفة خصوصية تصوير تنظيم فدائها بواسطة خوابير خشب كبيرة، والله أعلم بالصواب)، ويعلوها ترد عبارة تشير إلى اسم المترجم تقول: «صار مقابلة على يد مترجمه أحمد صفي الدين العلمي»<sup>(1)</sup>، وتشغل الأوراق التالية، وهي المرقمات من 34<sup>ب</sup> إلى 45<sup>أ</sup> نص طويل كتب في أعلى الورقة الأولى منه: (في الشروع في المحاصرة)، وتحت (تابع الدرس السادس عشر من تعليم البطله جية)، وهو يتألف من العناوانات الآتية:

1- في المخازن.

2- بيان الإحاطة على القلاع والمدن.

3- بيان معرفة كشف الحصون والقلاع.

4- بيان فتح الخنادق.

5- في التحصين.

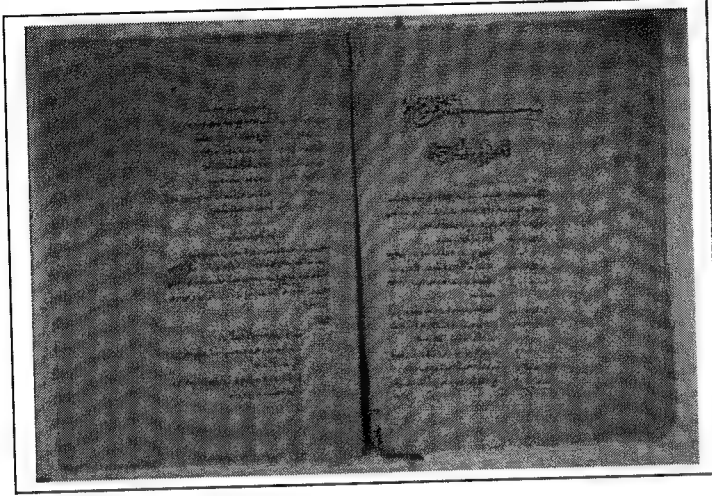
وينتهي نص هذا المبحث (التابع) بعبارة بخط الناسخ نفسه تقول: (تمت الشروع بعون الله تعالى)، وقد حَمَلَت هذه العبارة مفهرس المخطوطة إلى القول: «لعلها جزءاً من رسالة كبيرة تسمى الشروع، بيد أننا لم نجد بعد أية رسالة في فنون الحرب تحمل هذا العنوان أو جزءاً منه»، والذي نذهب إليه أن (تعليم البطلجيه) كتاب مستقل تام، إلا أن الناسخ تصور عبارة (في الشروع في المحاصرة) الواردة في أول التابع عنواناً لرسالة مستقلة أخرى، فختمها على ذلك النحو الذي يوحي بأنها عنوان عام للمخطوطة كلها.

وتلي ذلك، في الأوراق العشر الأخيرة من المخطوط (55 - 54)، رسوم توضيحية سنتناولها فيما يلي من هذه الدراسة، وعند مقابلة عنوان المخطوطة على قائمة الكتب العسكرية المترجمة في عهد محمد علي باشا<sup>(2)</sup> لم نجد له ذكراً، مما يغلب على الظن أنها لم تجد طريقها إلى الطبع، كسائر الكتب العسكرية الأخرى، لسبب لم نعرفه.

(1) الورقة 34<sup>أ</sup>.

(2) ينظر جمال الدين الشيال: تاريخ الترجمة والحركة الثقافية في عصر محمد علي، القاهرة 1951، الملحق الثاني.

كانت المخطوطة من مقتنيات مكتبة أحمد خيرى الخاصة بمصر، المسماة (روضة خيرى)، تحت العدد 328، ومنها آلت إلى مكتبة جامعة الإمام محمد بن سعود في الرياض، حيث حُفظت تحت العدد 1129، وصنفت على أنها من (الفنون الحربية)، وقد حصلنا على نسخة مصورة منها من خلال عونٍ مشكور قام به الإخوة في شبكة الألوكة الغراء بناءً على طلبنا، فجزاهم الله كل خير.



الصفحتان الأوليان من مخطوطة (تعليم البلطجية)

والكتاب عملي تعليمي بحث؛ إذ يبدأ الكاتب مباشرة في تعيين نطاقه وهدفه قائلاً: «القصْد من هذا التعليم إجراء أشغال الهجوم على القلاع، وتلك الأشغال هي تحت إدارة طائفة من المهندسين، والبلطه جيه هم المَنوطون دون غيرهم بإجرائها».

ويحدد الكتاب صفة البلطه جيه بدقة، فهم فئة محددة من منتسبي المجموعة التي يسميها (طائفة) أو (فرقة)، وليس جميعهم، وكل منهم يحمل رقماً تسلسلياً، حيث نقرأ: «يجري الفَتح (يريد: الحفر) البسيط بواسطة طائفة أو فرقة من البلطه جيه مركبة من ثمانية أنفار تحت إدارة واحد (صف ضابطان) رئيس الفرقة المذكورة، ومن ضابط ناظر الفَتح، والأربعة أنفار الذين يشتغلون في الفَتح يسمون بلطه جيه، والأربعة الآخرون يسمون خدامين أو يماغية؛ لأن يماغيتهم منحصرة في المساعدة في المناورات وتحضير المهمات، والبلطه جيه مُنمَّرون (أي مُرقَّمون) من واحد إلى أربعة، بالابتداء من النفر الذي في الأول، والخدامين مُنمَّرون أيضاً، ولكن من شغل الطائفة كل واحد من الثمانية بالمناوبة».



محمد علي يستعرض جيشه

والباطجي لا يقتصر في معداته على البلطة فحسب، كما يتصور البعض، وإنما هو - بحسب المخطوطة - مسلح بالبندقية ذات الحربة، وهو يحمي رأسه بلبس (الخوذة)، أما صدره فيغطيه بواقٍ يسميه (الزرد)، وهو لباس مكون من حلق الحديد تمنع عنه الإصابة بالرصاص أو نحوه، ويظهر، بحسب المخطوطة، أن حملَه للبلطة هو لغرض شق الأنفاق وتغطيتها بفروع الشجر، توصلًا لجدران الأسوار بغرض نسفها فحسب، وليس لأغراض قتالية بالضرورة، لا سيما بعد أن حمل معظم منتسبي الصنوف العسكرية السلاح الناري الخفيف ما داموا في ساحة المعركة، أما الزرد فهو فيما يبدو بقية من لباس المقاتلين في العصور السابقة، حينما كان يقي لابسَه من ضرر طعنات الرماح والسيوف، أما في عهد الكاتب، وهو عهد التوسع في استعمال الأسلحة النارية، فلم يعد ارتداؤه مُجدياً في أكثر الأحيان، ولكن يظهر أن ارتداؤها من قبل الباطجية بالذات كان لوجودهم في أماكن قريبة من أسوار القلاع، حيث يمكن أن يستعمل السلاح الأبيض في أي وقت.

إن أساس تعليم الباطجية هو في حفر (فحت كما تسميه المخطوطة) خندق باتجاه الهدف المراد نسفه، وتغطيته بأغصان الأشجار بعد تعديلها بالبلطات، وصَفَّها بانتظام لتكون كالسقف له<sup>(1)</sup>، ويجري وضع تخطيط كامل للنفق على الأرض، ثم يبدأ بإزاحة الأتربة من أرضه بواسطة أدوات حفر تشبه الجرافات يسميها (كريكات)، وفؤوس ذوات رأسين مدببين تسمى (قزمات)<sup>(2)</sup> حتى يكون بعمق كاف لسير

(1) الورقة 6 ب.

(2) يوجد رسم للقرزمة تحت الرقم 21 من الورقة 46 (تتظر هذه الصور في آخر هذه الدراسة).

البلطجية، بينما تُنقل الأتربة ومخلفات الحفر في سُبوت (جمع سَبْت، وهي السلة الكبيرة) حيث تنقل إلى خارج الخندق لتكون سِتراً يحمي حركة العاملين فيه من قذائف الأعداء الذين في أعلى القلعة المراد نسف جدارها<sup>(1)</sup>، وتفتح عن يمين الخندق وشماله فتحات يسميها (تفريجات)، تتيح للعاملين فرصة الخروج منه في أي وقت. وفي حالات معينة يحفر خندق آخر على نحو متصل بالأول، فيكونان ما يشبه الأنفاق التي تحفرها الفئران؛ ولذلك فهو يسميها (سكة الفأر)، ويتوخى البلطجية من هذه الأنفاق تحقيق اقتراب شديد من سور القلعة التي يجري اقتحامها حتى يتمكن (اللُغمجية) من وضع الألغام في أقرب نقطة منها لنسف جدارها، وليست هذه الألغام إلا عبوات من البارود تُرَص في نهاية النفق عند تلك النقطة، ولا يشترط أن يبدأ حفر الخندق من أبعد الأماكن عن القلعة، فهذا ما يضيع من الوقت والجهد الكثير، وإنما يمكن أن يبتدئ البلطجية بما يسميه المؤلف (الحفر البسيط)؛ أي: حفر خندق مكشوف غير عميق في الأماكن البعيدة عن مرمى الأعداء «على بُعد كافٍ من القلعة، بحيث إن النار لا يكون لها تأثير عظيم في المحاصرين، أو عندما يكونوا محفوفين بواسطة التراب، ولا يجرون هذا الشغل إلا في أثناء الليل فقط»<sup>(2)</sup>، ويصف المؤلف دور من يسميهم (الأنفار الشغالين) في هذا الحفر، فيذكر أن على الضباط المهندسين ترتيبهم، «وبيان ذلك أن الأنفار الشغالين من كل فرقة يكونون مُصطفين على خط واحد، ومع كل واحد منهم فأس موضوع على مقدم الذراع الأيسر المنتشي، وفي اليد اليسرى كريك، بحيث يكون الحديد إلى أعلى، وفي اليد اليمين (دمت رسم)، وتكون البندقية في علاقتها، والسنجة في بيتها، والضباط المهندسون يوصلونهم في هذا الترتيب من محل التجمع إلى أحد نهايتي التخطيط»<sup>(3)</sup>، ويكون عمق الخندق متراً ونصف المتر.

وثمة نوع من الحفر السريع للخنادق يسميه (الفحت الطائر)، ويجري بأنهم «يضعون صفّاً من السبّات ملتصقة بعضها ببعض، بحيث إنه إذا امتلأت تلك السبّات بسرعة، فإن الشغالة تكون معطية ومحمية من الصيلقوم ورمصاص الثؤبانات»<sup>(4)</sup>، وهذا الشغل يصير تخطيطه في مبدأ الأمر بحبل يجرونه في أثناء الليل، وشغالة

(1) الورقة 24 ب.

(2) الورقة 16 أ.

(3) الورقة 20 أ.

كل فرقة تكون مرتبة في محل التجمع على صف واحد، ومع كل نفر كريك وفاس وسبت، والبندقية في علاقتها، ولأجل حمل السبت يوضعونه على العنق»<sup>(1)</sup>.

ويتناول المؤلف جانباً مهماً في حصار الحصون والمدن، وهو الجانب الاستخباري، مؤلفاً إياه اهتماماً خاصاً، فيقول: «ولأجل كشف الحصون يساعدون بمعرفتها بواسطة الرسومات والخريطات التي يمكن وجودها بواسطة الاستقهاامات (ويقصد بها الاستخبارات) التي يمكن تداركها من الناس المتحصنين بالحصن بواسطة الاستقهاامات والأشخاص من النبلاء والعقلاء والمقوين على الوصول في الحصون، وبالجملة فإن كافة هذه المفروضات فإنها كافية لأجل معرفة الحصن التي يجرونها بتفهم ليلاً ونهاراً، أما في النهار يلزم أن (سر عسكر) يتقدم نفسه نحو الحصن ويكون مُصطحباً بجملة قليلة من الضباط بحيث يكونون فداء (وراءه؟) غفير صغير مستور بالزرابي، أو في بعض الخنادق، وهذا النفر يكون محمياً بواسطة غفر آخر أكثر عدداً من الغفر المذكور، ومتأخر عنه بشيء قليل، وأما في الليل فإنهم يذهبون في جملة عظيمة ويطوفون حول الحصن ويتصورون وضعه ثم يرجعون مع طلوع النهار ويخفون كافة ما كشفوه، وربما تكون الظلمة منعتهم عن معرفة شيء في الحصن المذكور، وهذه الوسائط الغرض منها تعيين خط القلعة التي يراد الهجوم عليها»<sup>(2)</sup>.

### نطاق الكتاب ومحتواه:

حدد المؤلف نطاق الكتاب بالآتي: «القصـد من هذا التعليم إجراء أشغال الهجوم على القلاع، وتلك الأشغال هي تحت إدارة طائفة من المهندسين، والبلطه جية هم المنوطون دون غيرهم بإجرائها».

وهو لا يسمى محتويات كتابه فصولاً، كما جرت عادة المؤلفين، وإنما (دروساً)، إشارة إلى أن هدفه هو تعليم الضباط ومنتسبي الصنف طرق القتال في ساحة المعركة، وبلغ عدد (الدروس) ستة عشر درساً، هي:

الدرس الأول في تشغيل مهمات الحصار.

الدرس الثاني القطع البسيط وهو فُتحت سكة الفار العادية.

الدرس الثالث الفحت الطائر السريع، وهو فُتحت سكة الفار بموجبه.

(1) الورقة 8 أ.

(2) الورقة 36 ب.

الدرس الرابع الفتح المألن أو الحافظ، وهو فحت سكة الفار بموجبه أيضاً .  
الدرس الخامس الفتح المركب، وهو فحت السكة المذكورة أيضاً .  
الدرس السادس بيان المناورات التي يمكن إجراؤها في سكك الفار وقت التمشية العارضية.

الدرس السابع اتصال الفحتين؛ أي: اجتماع سكك الفار بعضها ببعض .  
الدرس الثامن تفريجات الفحوت؛ أي: المشي جهة اليمين واليسار .  
الدرس التاسع فتح الفحوت (أي فتح الحفر)، وهو استخراج سكة الفار القريبة من السكة العادية.

الدرس العاشر فرسان المحاصرة .  
الدرس الحادي عشر تتويج السكة المغطية .  
الدرس الثاني عشر النزول في الخندق السماوي (وهو الخندق المسقف) .  
الدرس الثالث عشر النزول في الخندق الأرضي .  
الدرس الرابع عشر النزول في السكة المغطية .  
الدرس الخامس عشر المرور من الخندق الناشف أو المألن بالماء .  
الدرس السادس عشر تصور الحصار وتشكيله .

ولا بد هنا أن نأتي بنماذج مما تضمنته هذه الدروس، ففي درس (الشروع في المحاصرة) نراه يذكر أن هذا الشروع «يتوقف على جملة أحوال، ولكن في بعض الأحيان يجرونه كالمقصود المطلوب لأجل نجارة (٩) جيشين أحدهما محاصرة، والآخر محافظ وتحت الطلب، فالأول يكون مشتغلاً بأعمال، والآخر يكشف محلات المرور، ويقيم في المركز ويتحصن فيه، وبالجمله فإنه يقيم دائماً بين عساكر الأعداء والجيش المحاصر، وإن هذا الجيش لا يتحول من محل إقامته المخصوص له وينفر الذخيرة (٩) ويشغل بتقديمها ويناط بالخدمات الأخر، وبعد الشغل في الخندق بستة أو سبعة أيام يمكن عند الاحتياج أن الجيش المحاصر يقوي عزم الجيش المحاصر وعند الطلب» .

ويوضح المؤلف كميات وأعداد مستلزمات فتح القلاع بدقة ملحوظة، فيقول في بحث عنوانه (في المخازن): «لأجل محاصرة حصن متوسط يلزم له من المهمات والأدوات ثمانمائة أو تسعمائة ألف كيلو من البارود، وستون ألف كلة كبيرة، وعشرون

ألف وستمئة عيارها من 8 إلى 12، وثمانين مدفع كبير من ضمنهم الأبوسات، وثلاثون أو خمسة وثلاثون عيارهم من 8 إلى 12، وعشرة أو عشرون عيارهم 8 لزوم المتاريس، وخمسة عشر، أو ستة عشر بمبة، وأربعون ألف قمبرة، وعشرة آلاف فتيل، ومائة وثمانون ألف رصاص، ومائة ألف شطفة، وخمسون ألف شوال، ومائة دوشمة مدافع كاملة، وستون دوشمة وهوان وأربعة وعشرون هواناً، وأربعة وعشرون مدفعاً صغيراً، وستون غنداقاً لزوم تصليح المدافع، وثلاثون غنداقاً لزوم تصليح الهوانات، وجملة عفاريت وسبا، وعربانات منقلات، وزخافات أي عربانات من غير عجل، وأنات من صفيح وأخشاب لزوم الأبانات وألواره زيادة ومايتان عربانات يد وجملة أقفاص وأربعون ألف من المهمات غير مهمات البلطجية والمأنوره، وكذلك الحدادين والنقلة بالعربانات والصنایعية يكونوا حاضرين، (الورقة 34ب).

وفي الدرس المعنون (بيان الإحاطة على المدن والقلاع) يوضح المؤلف مهام البلطه جيه في اختيار ميدان العمليات العسكرية التي يتطلبها الهدف المحدد، وهو فتح الحصن أو المدينة، ويلاحظ هنا ضخامة عدد الجيوش التي يجري تحريكها لمثل هذا الهدف فيقول: «يبحثون في بعد الأعداء من القلعة التي يريد الهجوم عليها، سواء كان بقوة شديدة أو بالحية (٩)، وذلك أن أربعمئة ألف فارس أو خمسمئة تحت إدارة سر عسكر يمشون ليلاً ونهاراً فرسخاً أو فرسخين قبل الوصول إلى الحصن، وهناك يقيمون ويأخذون قياسه لأجل الوصول بشيء قليل إلى مرمى نار مدفع القلعة، ويمسكون الدريندان، ويقسمون الفرسان إلى رباطات ويوزعونهم إلى أبواب الحصن والمدينة لأجل ضبط كافة من يقابلهم، ويأخذون مركز دائرها، وذلك بالإحاطة على جميع دائرها على قدر الإمكان، ففي ذلك الوقت ينتخب المهندسون الأراضي التي تصلح لإقامة الأوردي وأعمال المتاريس، وفي هذه العملية فإن الجيش المحاصر يمشي بحيث إنه يصل بسرعة إلى أمام الحصن أو المدينة، وفي هذا المحل يبينون لكل جيش محل إقامته، ثم يرسمون المتاريس، مع الاهتمام بوضع خط الطابور موازياً للمتاريس، أو في مسافة 20 متر إلى 200 متر»<sup>(١)</sup>.

وفي الدرس المعنون (العبور من الخندق) يقول: «حينما يكون الخندق ناشفاً لا يمرون منه إلا بواسطة فحت عادي متجه من سكة النزول إلى أسفل شو الشرم، وإنما

لأجل أن يكون الشغل جيد التغطية يهتمون بدون تراخٍ في جعل الفحت عميقاً كما ينبغي في أول الشغل، وإن كان الخندق ملآن ماء تعمل قنطرة، إما بدمنات أو غيرها، وهو أصعب من عملية الحصار الصعبة جداً، وكذلك يجب أن يعمل تقريج طوله من أربعة أمتار إلى خمسة من كل من جهتي النزول، وخلف كسوة الشو الخارجي لأجل حماية الشغالة، والتراب الخارج من فحت هذه التفاريج يرمى في الخندق المقابل لسكة النزول يضعون فيه قاعدة القنطرة<sup>(1)</sup>، ومن الواضح أن العبارة فيها من المصطلح ما يعسر فهمها إلا بفهم معناه أولاً، كما أن صياغتها وإن كانت عربية فإن ركة تغلب عليها.

### مصطلحاته:

واجهت مترجم الكتاب الحاجة إلى مصطلحات مفهومة مقابلة للأصل الفرنسي، ولما كان المستفيدون من الكتاب ذوي خلفيات ثقافية مختلفة، عربية وتركية وعامية، فإن المصطلحات جاءت من أصول مختلفة هي أيضاً، ويخلو الكتاب من بيان أو جدول بمعاني المصطلحات، ولكن قسماً منها يمكن فهم معناه من خلال السياق نفسه، وقسم آخر يقرن بمعناه مباشرة، بينما تبقى ثمة مصطلحات غامضة المعنى، ويبدو أن شرحها كان منوطاً بالضباط والمعلمين الذين كانوا يعرفون تلك المعاني بالتأكيد، وفيما يأتي قائمة بعدد منها مع الإشارة إلى معانيها وأصولها:

<p>قال: «يعملون التريزيب بطريفة تريزيب السبت العادي» فهي إذاً الحياكة، وربما تأتي بمعنى التثقيب، قال: «بعد غرس القوازيق يصير توضيبها بغرس رؤوسها في تريزيب وفتحها (فتحات؟)» الورقة 15</p>		
ابوسات	ضرب من المدافع	
شروم	قال: «إن تصور الشروم والأقماع يحدث فيه بعض صعوبات»، ولم يتوضح معناها، الورقة 9ب	
سر يول	رأس الطريق، الورقة 26	تركية
عربانات	جمع عربانة، وهي العربية، الورقة 35.	تركية

(1) الورقة 30 أ.

عربية يد	عربة تدفع باليد، الورقة 26ب.	تركية- عربية
دريند	قال: «ويمسكون الدريندان ويقسمون الفرسان»، قلنا: وهو المضيق، والقلعة الصغيرة، الورقة 35ب	تركية من أصل فارسي
زحافات	قال: «عربات من غير عجل»، الورقة 135أ.	عربية
التتويج	قال: «أن تستعمل جميع الأتربة.. بدون أن يصير فقدها بالبشولات وتتويج الشروح وأقماع اللغم»، الورقة 9ب	عربية
الجرافة	أداة يجرف فيها التراب الناجم عن الحفر، الورقة 21ب	عربية
سرّ عسكر	قائد الجيش	فارسية - عربية
أوردي	الجيش، الورقة 35ب	فارسية - تركية
الخروق	الفراغات	عربية
كمرات	وسائط يدحرج عليها السبب المحشى تراباً، قال: «لأجل صعوده على الكمرات إلى أعلى» الورقة 16أ، و«توضع بالطله جية.. الكمرات من المنزلقان» الورقة 22أ	
شعبة فحت	أداة تشبه البلطة، الورقة 110أ	مصرية عامية
يدكجية	جنود من السياس	تركية
أقماع اللغم	الورقة 110أ	عربية
مشوثة	مدقة، الورقة 15أ	مصرية عامية
قزّمة	أداة حفر كالنفّاس، لكنها ذات رأسين، رسمها في الشكل 18، ولكنه سماها «جنكلين فحت»، الورقة 11أ	

عامية مصرية قديمة	حفرة، وردت في مواضع عديدة	فَحَت
	«هو الذي يشرعون في عملياته حالة كون اللغمجية مكشوفين كلية» الورقة 16أ	الفحت البسيط
عامية مصرية قديمة	فحتين (خندقين) أحدهما في جوار الآخر	الفحت المركب
مصرية عامية	ضرب من الحفر السريع، الورقة 7ب	الفحت الطائر
	هي حافة الخندق المقابلة للقلعة، الورقة 16أ	الشو الداخلي للخندق
	يظهر أنه عتبة صغيرة أمام السلم «الشو الصغير الذي مقداره 16 سنتو الموجود أمام السلم» الورقة 7ب	الشو الصغير
	قال: «إن مما يحتاجه فتح قلعة مائة ألف شطفة» ولم يتوضح معناها، الورقة 125	شطفة
عربية	إطلاقة مدفع، الورقة 135	قُنْبُرَة
فارسية	كرة صماء مما كانت تطلقه المدافع	كُلّه
عربية، من درأ؛ أي: ستر	سواتر، الورقة 29 ب	دروات
عربية	ساتر متحرك، الورقة 130	دروه متحركة
تركية وعربيتها (لقم)	الجنود المختصون بتعبئة الخنادق بالألغام، الورقة 16أ	اللغمجية
عربية أصلها	أداة لكسح الأتربة تصنع من الحديد، مثبتة على	كريك

كرك	عمود من خشب، «في اليد اليسرى كريك بحيث يكون الحديد إلى أعلى» الورقة 16	
	قال: «بحيث تكون الديجك من جهتهم» ولم يتوضح معناه.	الديجك
مصرية عامية	حفر، خندق مفحور؛ أى: محفور، الورقة 5ب	فحر
تركية	السلسلة، وردت «حبل واحد أو جنزير» الورقة 23ب	جنزير
	قوائم متباعدة عن بعضها البعض، الورقة 3ب	جمالان
عربية	الفرقة، وحدة عسكرية صغيرة	الطائفة
إنجليزية	مجموعة البلطه جية في الطائفة، تتركب من أربعة أنفار، الورقة 3ب	الورشه
عربية	الجنود من المقاتلين والشغالين	الأنفار
عربية	يبلغ عدد الأنفار الشغالة من 100 إلى 200	الأنفار الشغالة
عربية	الرباط من الجلد تعلق فيه البندقية على كتف الجندي	علاقة البندقية
تركية من أصل عربي	اللوح من الخشب	سقالة
	يظهر أنه السونكى، وهى حرية البندقية، قال: «والسنجة في بيتها»	سُنْجِه، رِيْمَا سِيخِه
	السلمة أو الدرجة، قال: «سلمتين من الدمث لأجل الصعود على قفا سطحى.. ويكون كل سلم مكون من دميتين» الورقة 7ب، لكنه ذكر في موضع آخر الورقة 31 ما يفهم أنه نوع من الملاط فقال: «فرش من الدمث»، و«كل نوع من فروشات الدمث»	دمت

عربية بتركيب تركي	يمكن أن يكون جوانب الخندق، الورقة 6ب و7ب	قفا سطحي
عربية	بنادق	بُنْدُقَات
فارسية	ضرب من الإطلاقات النارية، قال: «إن الشغالة تكون مغطية ومحمية من الصلقوم ورصاص القربانات»، الورقة 18أ	الصلقوم
عربية	ضرب من الإطلاقات النارية، الورقة 18أ	رصاص القربانات
عربية	الورقة 9ب	أقماع الغم
	سياج السلم	الدرابزين
عربي بتركيب تركي	مساعدو الضباط، الورقة 8ب	صف ضابطان
	قال: «أن تستعمل جميع الأتربة.. بدون أن يصير فقدها بالبشولات» الورقة 9ب، وقال: «يثبتها بواسطة حزم صغير أو بشولات تراب وحشيش»، الورقة 16أ	البشولات
عامية مصرية	مقلوب يحفر	يفحر
تركية	مساعدون، معاونون، قال: «يشغل في خدمات البلطجية واليماغية بالمناوبة» الورقة 10أ، و«كل بلطجي من الأنفار اليماغية»، الورقة 14أ	يماغية
تركية	ما يقابل كلمة خطاف الذي يعلق فيه الحبل ونحوه	شَنكل
فارسية	قال: «يقبض على الجنكل الموضوع على قفا سطحي»، وقال: «فإن البلطجي بدوره بواسطة جنكل التي تكون فيه الشعبة»، الورقة 12أ، و«تسهل هذه	جنكل

	العملية بدفع السبب المحشى قليلاً إلى الأمام بواسطة جناكل» الورقة 17أ	
عربية	هي حافة الفأس التي يقطع بها، الورقة 12 أ	الشعبة
تركية	القطعة من الفحت (الخندق)، قال: «يخرج الشغالة من القطع الذي كانوا فيه جزءاً بعد جزء»، الورقة 18.	القطع
	نوع من السواتر، قال: «أنات من صفيح وخشب لزوم الإبانات»، ولم يتوضح المعنى بأكثر من هذا	أنات
من التركية جوال، وهو الزكية من الخيش	كيس من صوف، الورقة 17ب و22ب	شُوال
	يحتمل أنه حبل ثخين في كل من طرفيه عقدة	قابستان
عربية	فرجات عن يمين الخندق ويساره، الورقة 15ب	تفريجات
عربية	وتد	خابور
	فتحات بين الشوالات لأجل الرمي، الورقة 24ب	مزاغل
تركية	مصلح الاسلحة النارية، قال: إن مما يستلزمه فتح قلعة «ثلاثون غنداقاً لزوم تصليح المدافع»، الورقة 35	غنداق
تركية	الحارس، الناطور، المحافظ	الديدبان
	يظهر أنها أسطوانات؛ لأنه يذكر أنها بطول 4 - 6متر، ويقطر 30.0سنتو، الورقة 3ب	سجقات
تركية من (دوكوج)	مدقة	دوقماق
تركية	ربايا، الورقة 29ب	طوابي
عربية	مدفع هاون، الورقة 35أ	هوان

مناولات	أداة في طقم البلطحية لم يتضح معناها، الورقة 11أ	عربية
كمرات	قال: إن من طقم البلطحية «ثلاثة كمرات»، ولم يتضح معناها، الورقة 11أ والورقة 16أ	
جُرْنال	البيان اليومي للحوادث، قال: «وهذه الرسومات ترفق بجرنال يذكر فيه كافة رسومات العملية اللازمة»، الورقة 134	فرنسية
مَزْلِقان	ممشى أو ممر منحدر، الورقة 22أ	عربية

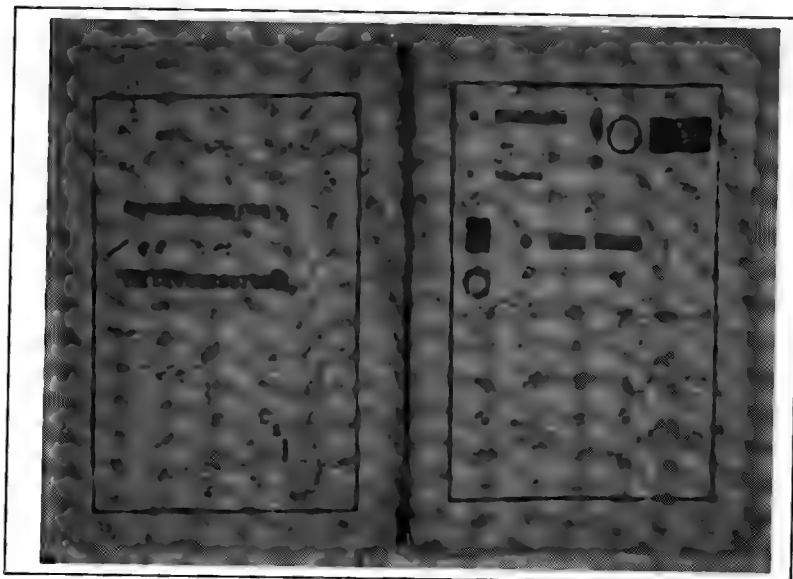
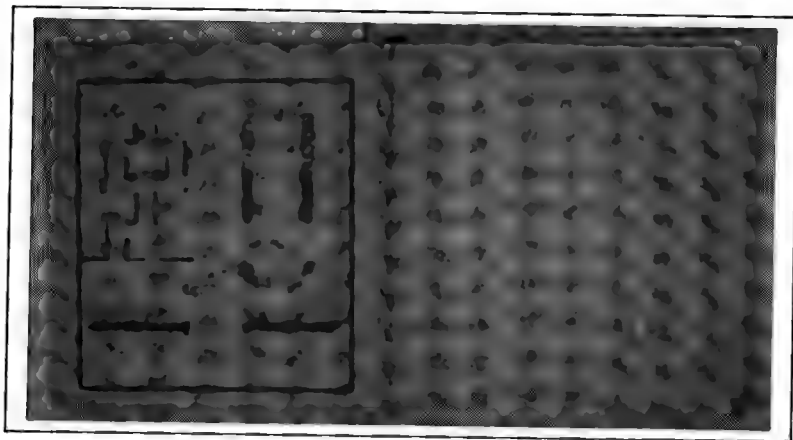
### أسلوبه:

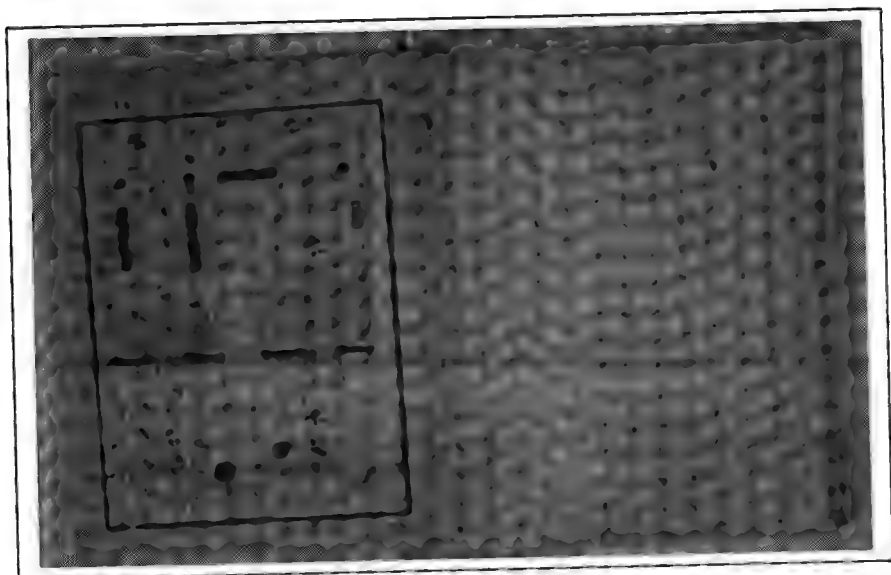
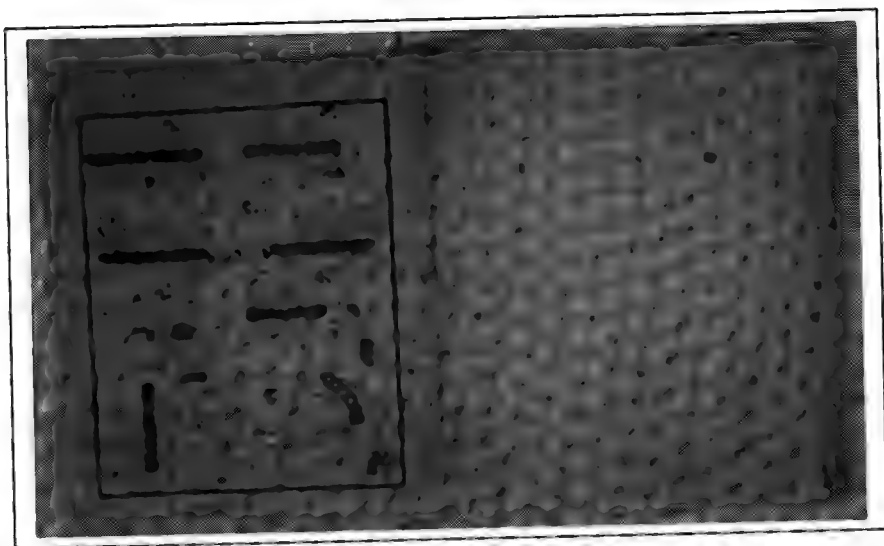
كتب المترجم هذا الكتاب بأسلوب مباشر واضح، أراد به إفهام قارئه بأيسر سبيل، لا سيما وهم عسكريون غير معنيين بفنون اللغة أصلاً، ومع ذلك فإن صياغة الكتاب جاءت عربية، وإن اعتورتها بعض الركة، فلا يكاد يلحظ القارئ أنه مترجم عن لغة أجنبية، ولولا عشرات المصطلحات والعبارات والنداءات التركية التي وردت في ثيابه لكان الكتاب يبدو عربياً من هذا الجانب أيضاً، ويظهر أن مراجعاً للكتاب، نرى أنه المترجم نفسه، قد عاد إلى الكتاب بعد أن نسخه ناسخ آخر، فصحح فيه عبارات وألفاظاً على نحو أكثر سلامة، من ذلك مثلاً أنه أبدل عبارة (عمليات الكشفوفات) بـ: (عمليات الاستكشافات)، وهذه الاصطلاح هو الذي استمر استعماله فيما بعد وحتى اليوم، وأبدل عبارة: (إذ كان لا يوجد في الفحت نار يخشى منها إلا في اتجاه على الخط الذي يقتضي أن يصير عليه) بالعبارة: (إذ كان لا يخشى إلا من نار اتجاهها عمودي على اتجاه الفحت)، بل إنه غيرَ جملاً كاملة بجملة أخرى لا صلة لها بما كانت عليه، مثال ذلك أنه أبدل عبارة (الهجوم للتحصينات التي لها من قبل ذلك) بعبارة مختلفة هي (الهجوم على القلاع، ويلزم أيضاً أعمال الأشغال والمناورات اللازمة للتحصين التي لها من قبل ذلك).. وهكذا.

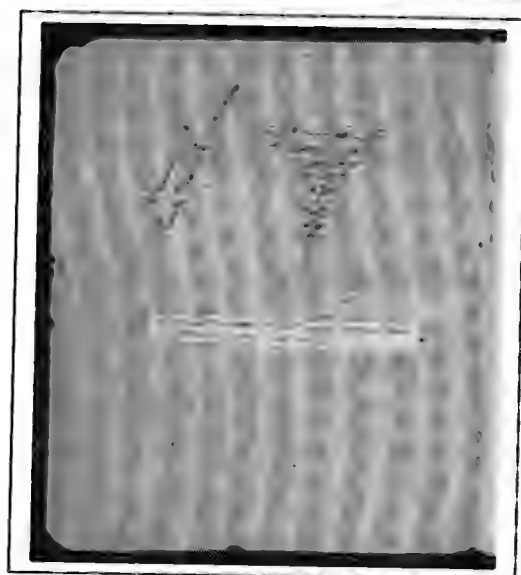
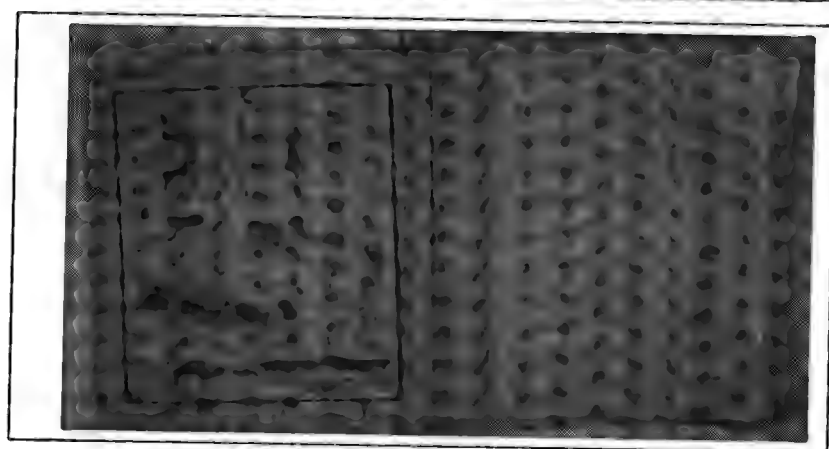
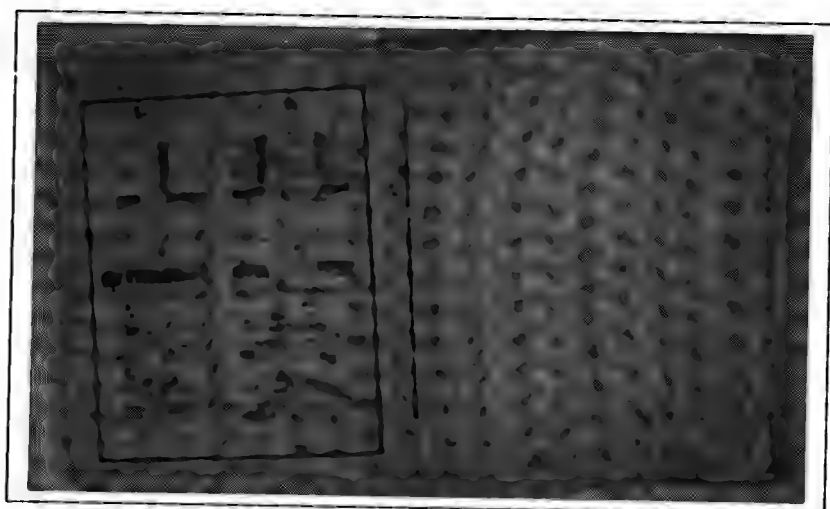
### الرسوم التوضيحية:

أشرنا إلى أن المخطوطة احتوت على عددٍ من الرسوم التوضيحية، شغلت الأوراق العشر الأخيرة منها، وقد تميزت هذه الرسوم بالدقة البالغة، ففي كل ورقة توزع عددٌ منها يتراوح بين 5 و10 رسوم، أحيطت بإطار موحد الشكل، ورتبت على وفق ما أريد

توضيحه في متن الكتاب، فبلغ عددها 65 رسماً، ووضع عند كل رسم رقمٌ يدل على موضع الإحالة إليه في ذلك المتن، والرسوم جميعها مخططة بالحبر الأسود، استعمل في تنفيذها التخطيط والتظليل والتقييط، وخطت الخطوط المستقيمة باستخدام المسطرة، والدوائر والأقواس من خلال بركار أو منقلة، وتدل دقتها على أن راسمها محترف له خبرة في إعداد مثل هذه الرسوم، وأنه استخدم في رسمها ريشة من نوع خاص يستجيب إلى هذا النوع من العمل، وتمثل الرسوم المذكورة مخططات لأدوات البلطجية من الفؤوس والبلطات والقزمات ومقاطع لخنادق مسقفة، وأخرى مكشوفة كلها أو جزءاً، وكثبان من الأتربة التي كانت تستخدم كسواتر من القذائف، ومواد تسقيف، وحبال، وما إلى ذلك من لوازم مختلفة، وفيما يأتي هذه الرسوم.







## ذيل في تاريخ مصر لمرتضى بك الدمشقي الكردي

مؤرخ سكت عن ذكره المؤرخون، بل لم يُشر إلى اسمه أحد، مع أنه ترك أثراً مهماً في تاريخ مصر، لا سيما القاهرة منها، في مرحلة حرجة من العصر العثماني. فلا نملك عنه إلا ما كتبه هو عن نفسه، فهو - كما سمي نفسه - مرتضى بيك بن مصطفى بيك بن حسن بيك الكردي الدمشقي، فهذا الاسم وحده يصرح بأنه كان كردياً انحدر جده إلى دمشق في زمن لم يحدده، وولد هو فيها حيث عاش - فيما يظهر - مرفقاً في بحبوحة من العيش، وورث عن أسرته لقب (بك) الذي يكتبه بشكل (بيك) كما يلفظ في البلاد العربية. وهذا اللقب اختص به بحسب نظام التيمار الاقطاعي العسكري بمن تولى إقطاعاً من الفرسان المعروفين باسم (السيابية)، إلا أنه صار يُطلق على متولي المناصب العسكرية المهمة من غير الاقطاعيين. ثم أنه تعرض شاباً إلى أزمة عنيفة، لا نعرف تفاصيلها وأسبابها، ولكنها كانت بحسب ما قال سبباً في شيء كثير من الضيق والاحباط أصابه، فانفض من حوله أصدقاؤه وأحبائه، وهجروا مجلسه، وخلا بيته، ونضبت موارده المالية فكثرت ديونه، وأحرجه دائنوه، وزادت أعبائه، فلم يبق له من خيار إلا أن يترك وطنه، ويقصد وطناً آخر عسى أن يجد فيه من الفرص ما يدفع عنه ضيقه. يقول «لما قدر الله عليّ بهجر الوطن، وتزايدت عليّ المصائب والمحن، والكرب بي اشتد، وباب السرور دوني انسد، وضاق بيّ الحال، حتى قلاني الدون والعال، وأقفر المنزل، وأصبحت عن الأحباب في معزل، وعدت عند القريب كأني إمراً غريب، وقد غاض مجلس أنسي، حتى صار بيّتي حبسي، وخلا ما في الكيس، وتباين عني الجليس.. اجتمع عليّ ديون أعجزني قضاءؤها، وعسر عليّ أدائها، فأحتشد بباب داري أرباب الديون، وتزاحم المطالبون، ولا زمني الغرماء، وأنكفوا عني الندماً.. فضاقت حيلتي، وزادت فكرتي، فانكروني الأصحاب والخلان، والأحباب والإخوان، والأهل والعشيرة والأوطان»<sup>(1)</sup>. وجاءت حادثة قتل عم له غلى يد بعض الاعراب لتزيد من أزمته.

وأخيراً انعقدت نيته على السفر إلى مصر، فغادر دمشق في سنة 1127 وقصد مصر في رحلة طويلة استغرقت عدة أشهر، مع أن المسافة لم تكن تستحق تلك المدة،

(1) تهذيب الاطوار في عجائب الامصار، مخطوطة برلين، الورقة 3

فواضح أنه كان يقضي في بعض ما مر به من مدن وقتاً مديداً، لأسباب لم يشأ أن يفصح عن أكثرها، فكان مما مر به أو أقام: بلدات: داريا، وبيت سابر، والقُنيطرة، جسر بنات يعقوب، نين في مرج بني عامر، جنين، عربة، جلعولية، الرملة، المجدل، غزة، العريش، بركة الحاج، ثم أنه دخل القاهرة، فسجّل إنبهاره بها، وبفضائل أهلها، وبهاء معالمها وفخامتها، ومنها السماجد والمدارس والمارستانات والرُبط والمقابر والقباب، فضلاً عن الآثار القديمة، وفي مقدمتها أهرام الجيزة. ولما كان في كل ذلك مفلساً «صفر اليدين» - على حد قوله- فإنه قصد الجامع الأزهر، حيث وجد فيه مجالاً للإقامة بما رُصد عليه من الأوقاف الجسيمة، ولطلب العلم بما وَجَدَه في من العلماء الكبار في كل مجال. فقال «ولم أزل أتردد الجامع الأزهر في المساء والصباح، وأحاول فيه كل درس أنور، وأوضح من المصباح لأكتسب وأستزيد علماً نافعاً وفهماً»<sup>(1)</sup>، وبعد أن قضى فيه مدة مجاوراً متعلماً، يفتخر العلم من شيوخه، تاقَت نفسه لطلب الوظائف، فتوسط لدى إبراهيم بك الدفتردار، أحد كبار أرباب المناصب، ليعمل في خدمة والي مصر عبيد باشا، وقد وصف مرتضى بك لقاءه بهذا الوالي وأثنى عليه، لا سيما بعد أن أحسن هذا استقباله ورضي باشتغاله في ديوانه، فكلفه بالسفر إلى بلاد الصعيد ليجبي ما كان نفروضاً على أمراء تلك البلاد من كميات كبيرة من الغلال، وقد وُفق مرتضى في مهمته أيما توفيق، وتمكن من جلب تلك الغلال الوفيرة إلى القاهرة، مسجلاً وفائع لقاءاته بأمراء تلك المناطق، ومنهم حسن بيك حاكم ولاية دجرجا، وأباز محمد بيك حاكم ولاية منفلوط، ومشايخ عرب الهوارة في الصعيد، ومنهم الأمير حسن الاخميمي، والشيخ حمد بن ريان، والشيخ أحمد بن همام<sup>(2)</sup>، فقدّمت شهادته تلك صورة حية لما كانت عليه بلادهم في عصره.

ثم أنه تقلب في المهام والوظائف، حتى صار في سلك الأغوات، كما ذكر هو نفسه في تضايع كتابه (الذيل) وهو الذي موضوع هذه الدراسة، والآغا مصطلح تركي كان يعني الضابط في قوات الانكشارية (الينكجارية) خاصة، فيكون قد تطوَّع في هذه القوات طلباً لما يتمتع به منتسبوها من إمتيازات كما فعل كثير من شبان المدن والقصبات في عصره<sup>(3)</sup>، ومع ذلك فإنه لم يُبد تعاطفاً من أي نوع مع مُنتسبي هذه

(1) تهذيب الاطوار/ الورقة 70

(2) تهذيب الاطوار، الورقة 102

(3) ينظر د. سهيل صابان: المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية التاريخية، الرياض 2000.

القوات التي يسميها طائفة الينكجرية. وقد ضُمَّ، أو إنضم، الى جملة أغوات والي مصر محمد باشا، وهو آخر الولاة الذين أرَّخ لهم . قال «ثم بعد ذلك حضرة الوزير خرج إلى ديوان قايتباي وجلس لمصالح العباد، وجميع أغواته وأتباعه واقفون بين يديه على أقدامهم، وأنا الفقير من جُملة أعوانه (كذا والراجع: أغواته)»<sup>(1)</sup>.

ويفهم مما ساقه من أخبار الوالي المذكور أنه كان مقرباً منه، وربما كلفه من المهام ما لم يكلف أحداً به غيره. قال «حضر الوزير أرسل من طرفه ثلاث أعوات من أتباعه الذي يعتمد عليهم إلى منازل الأمراء المذكورين، ومن جملتهم الفقير، قد أرسلني إلى بيت أمير الحاج عبدالله بيك، وقال: بلغني أنه في منازلهم عسكرياً، إذهبوا واكشفوا المنازل واجلسوا هناك، ثم اعلُموني ولا تأتوا إلى أن يأتيكم مني جواب. مهما أمرتكم به افعلوا، فذهب كل منا إلى ما أمروا به، فذهب الفقير إلى منزل عبدالله بيك، وكشف عليه، لم أر في المنزل غير أتباعه وبعض أنفار من خدم الخاصة»<sup>(2)</sup>. ودفع عن نفسه ما كان معتاداً لمثله أن يفعله، وهو المشاركة في نهب منزل أحد الأمراء المصادرين، فقال «لما أتوا هؤلاء الجماعة وتفتحت الأبواب قد أُنْتهب شيء كثير لأن الناس قد هجموا في المنزل من كل طرف، أما الفقير - ولله الحمد - ما أخذت من المنزل شيئاً يساوي درهماً واحداً، وتعففت عن ذلك لعلمي أن هذا المال ما دام لصاحبه، فكيف يدوم لي، وعاقبته في الدارين وخيمة»<sup>(3)</sup>.

ويظهر أنه كان موضع ثقة معاصريه، لأننا وجدنا أحد العلماء يقصده ليفسر له رؤيا رآها في المنام<sup>(4)</sup>، ولو كان متهماً في ذمته لما قصده ولا اطمأن إليه.

على أن مرتضى بك هذا لم يكن ضابطاً فحسب، وإنما كان متعلماً متابعاً لما كان يجري في زمانه من وقائع، شديد الاعتناء بتسجيل حوادثه أولاً بأول، ولا شك أن مصدر عنايته هذه كان تأثره الشديد بأحد مؤرخي عصره، وهو الشيخ يوسف افندي بن محمد أبي الحجاج، الملوي الشهير بابن الوكيل، وكان هذا عالماً أديباً من اهل القاهرة، له تصانيف عدة في الأدب، منها (تغريد العندليب على غصن الأندلس الرطيب) وقد اختصر فيه كتاب (نفح الطيب) و(أحسن المسالك لأخبار البرامك)،

(1) تحفة الاحباب، الذيل ص 265

(2) نفسه ص 269

(3) نفسه ص 270

(4) نفسه ص 269

و(بغية المسامر وغنية المسافر)، على أن أهم مؤلفاته هو كتاب (تحفة الاحباب بمن ملك مصر من الملوك والنواب) الذي أرخ فيه لمصر من العصور القديمة حتى وفاته سنة 1131، وهو الكتاب الذي أعجب به مرتضى بك الكردي أيما إعجاب وتابع ما سجله فيه من حوادث أولاً بأول، حتى انه انبري لإكمال نفسه بأسلوبه ومنهجه على نحو لا يكاد يختلف عنه إلا في أدنى الحدود<sup>(1)</sup>.

وقد جمعت الصداقة الوطيدة بين الرجلين، حتى وصف مرتضى بك صديقه الملوي بـ«صديقنا وخليتنا»، وترجم له بقوله «وممن تشرفنا بمجالسته، واكتسبنا من معاشرته، أكمل من في مصر، وقرّة هذا العصر، الأديب الأريب، والخليل الحبيب، مولانا يوسف أفندي الملوي، الواثق بجناب الإله القوي، الشهير بابن الوكيل، لا زال في حفظ المولى الجليل، وهو راضع ثدي الآداب وضمه، وحفظه في فكره السليم ولمه، واقتطف من كل فن أفضله، وترك كل شيء ما تدعه الناس وتبجله، مديد الباع، بسيط اليدّين في معرفة الخلاف والإجماع، خبيراً بمباحث الجدل، واستخراج مسالك العلل، متبحراً في علوم اللغة والإعراب، مطالعاً علوم البلاغة والخطاب، محيطاً بقنون البديع، حافظاً للشواهد الشعرية، التي هي أبهى من زهر الربيع، شديد الرميّة سديد الإصابة...»<sup>(2)</sup>. ولا أدل على وفائه لصديقه من أنه نسخ كتاب صديقه المذكور، وهو (حفة الاحباب) على ضخامته حيث بلغ عدد أوراقه 241 ورقة كبيرة. وختمه بنص من عنده سجل فيه تاريخ وفاة صديقه بآخر خبر ساقه في كتابه، وهو «يوم الثلاثاء عشري شوال» من سنة 1131هـ، فقال «هذا آخر ما وجد بخط مؤلف هذا الكتاب وهو صديقنا وخليتنا المرحوم يوسف أفندي الملوي الشهير بابن الوكيل، تغمد الله برحمته ورضوانه وأسكنه أعلى فراديس جناته بجاء سيدنا محمد وآله آمين».

ثم أنه استأنف كلامه بعد ذلك مباشرة معلناً عن قيامه بكتابة ذيل يكمل فيه كتاب صديقه فقال: «الحمد لله رب العالمين، والعاقبة للمتقين، ولا عدوان إلا على الظالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين. أما بعد فيقول العبد

(1) نشر كتاب (تحفة الاحباب) بتحقيق محمد الششتاوي، وصدر عن دار الافاق العربية في القاهرة سنة 1419هـ / 1999م، ويقع في 242 ص، ويحتل الذيل الذي كتبه مرتضى بك الكردي الصفحات التالية من 242 إلى 271 (الأوراق 358-403 من المخطوطة)، وثمة تعلية تليه في اسطر قليلة فيها تنمة ولاية محمد باشا كتبها احمد فهمي رفاعة سنة 1142هـ / 1739م.

(2) مرتضى بك : تهذيب الاطوار في عجائب الأمصار، مخطوطة برلين، الورقة 91

الفقير، والعاجز الحقيير، مرتضى بيك بن مصطفى بيك بن حسن بيك الكردي الدمشقي، غفر الله له ولوالديه، وأحسن إليهما وإليه ولسائر المسلمين أجمعين، آمين يارب العالمين: لما انتقل من دار الفناء إلى دار البقاء مؤلف هذا الكتاب صديقنا وخيلنا يوسف افندي الملوحي الشهير بابن الوكيل، تغمد الله برحمته الواسعة، وسقى تربته شآبيب رحمته الهامعة: أردت أن أكتب ما حدث بعده من الحوادث والوقائع في مصر القاهرة ليكون ذيلًا لكتابه وتحفة لأحبابه، ولو كان هو في قياد الحياة، ما مات<sup>(1)</sup>، لألف منها مؤلفات، وسنذكر إن شاء الله تعالى بعض الحوادث والوقائع ونوردها بحسب الطاقة، أقول وبالله التوفيق، وهو حسبنا ونعم الوكيل»، والعبارات التي ساقها في هذا النص الافتتاحي تدلُّ على شدة وفائه ومحبة له. كما أن من الواضح أن إكماله كتابه المذكور بهذا الذيل كان بمبادرة تطوعية منه، لا تلبية لوصية مؤلف الاصل.

بدأ مرتضى الكردي تاريخه للقاهرة متمماً أخبار شوال من سنة 1131 إلا أنه عاد بعد أن تمت تلك الأخبار فساق خبر وفاة أحد المشايخ في 27 رمضان من السنة نفسها، يظهر أن مؤلف الأصل الملوحي فاته أن يسجلها، لكنه استأنف بعدها الكتابة متمماً أخبار شوال، مبتدئاً من 27 منه، وحتى شهر ربيع الأول من سنة 1136هـ، أي أنه تناول حوادث نحو خمس سنين، بتفصيل غطى خمساً وأربعين ورقة من الأصل المخطوط.

### مصادره

بالنظر لقصر المدة التي أرخ لها، وكونه قد عاصرها جميعاً بل شارك - بحكم وظيفته العسكرية - في مجرياتها، فإنه اعتمد فيما سجله على شهادته الشخصية، وعلى شهادات بعض من كان قريباً منها، مثال ذلك أنه حينما تكلم على رجل سراج<sup>(2)</sup> كان قد استطاع الهرب من منفاه في قبرص ليصل منها إلى دمياط، قال «وكان أهل الغليون (وهو ضرب من السفن) مرادهم يأتون إلى ثغر دمياط فحملوه في صحبته إلى دمياط، فمدة فراقه من دمياط وعوده نحواً من عشرة أيام أو أقل، ثم خرج من الغليون متكرراً، وكنت الفقير يومئذ في بلدة فارسكور<sup>(3)</sup> قريباً من ثغر دمياط أحصل إرز الميري من طرف حضرة الوزير المشار إليه، فأتى إلى عندنا هذا السراج، وأخبرنا بما حصل له، ثم بعد ذلك ذهب إلى مصر متكرراً<sup>(4)</sup>».

(1) يريد: لم يموت

(2) السراج هنا التابع والمولى.

(3) بلدة قديمة من أعمال دمياط

(4) ص 266

واعتمد ايضا على ما كان يطلع عليه، إطلاعا مباشراً او سماعاً، من الأوامر السلطانية المسماة (خط شريف) مما كان يرد إلى الولاة في مختلف الشؤون، فضلاً عن الأوامر التي كان يُصدرها الولاة أنفسهم، وفي الغالب فإنه كان يكتفي بتلخيص مضامين تلك الأوامر، ألا أنه نقل شيئاً من نصوصها أحياناً. من ذلك مثلاً قوله «وفي يوم السبت 16 محرم أبرز الباشا أمراً شريفاً قرئ بالديوان بقتل اسماعيل بيك امير الحاج، واسماعيل كتحدا جاويشان تابع ابواز بيك، وأظهر خطأ آخر بإمارة الحاج لمحمد بيك بن اسماعيل بيك الكبير دفتردار مصر سابقاً».

ومنها تلخيصه (خطاً شريفاً) وصل الى والي مصر، مُوجّه الى أمراء الصناجق المؤثرين فيها، وهم قادة الممالك الكبار، في قوله «وفي 12 شعبان ورد جوخدار الوزير وصحبته خط شريف خطاباً الى أربع صناجق يقول فيه يوسف بيك قائم مقام، محمد بيك أمير الحاج، احمد بيك دفتردارية الحزنة، احمد بيك الاعسر، إنكم تكونوا على أهبة، وتحفظوا البلد وتفرقوا للفقراء جوامكهم<sup>(1)</sup>، وكذلك غلال الحرّمين فإن مدة رجب باشا صارت تعلقكم تخرجوا من عهدتها وبواقي علي باشا عهدتكم الى أن يأتيكم رد جواب عرضكم صحبة محمد باشا مالك الختام سابقاً فإنه والي عليكم وإننا كما مُعَيّن قبطان السابق إبراهيم باشا حين جاء عرض رجب باشا، فلما جاء عرضكم عيّننا محمد باشا صدر أعظم النشنجي من قلعة قنديا وأن يعطي محمد بيك أمير الحاج ثلاثين كيساً يستعين بها على الحج بحسب إنها رجب».

وقوله «في يوم الخميس 22 رمضان أبرز الباشا ثلاثة خطوط قرئت بالديوان على رأس الخاص والعام، أحدها مضمونه غلال الحرّمين، والثاني مضمونه على أنكم تحاسبوا رجب باشا على وجه الحق إن طلع له شيء تعطوه له، وإن طلع عليه شيء تحاسبوا به محمد باشا يحاسبنا من الخزنة العامرة وترسلوه لنا على العجلة الى اعتابنا، والثالث مضمونه الذي نعلم به اهل مصر وصناجقها وأشرافها وعلمائها على انه سابقا ورد من رجب باشا عرض بمعرفتكم وخطوطكم وختومكم في حق اسماعيل بيك بأنه عاصي الله والسلطان وأنه مستحق الإزالة فأرسلنا لكم جواب عرضكم بالخروج من حقه لشهادتكم فيه بالفساد في الارض... الخ»<sup>(2)</sup>.

(1) الجوامك هي الرواتب

(2) ذكر هذا الخبر معاصره أحمد شلبي في كتابه أوضح الإشارات فيمن تولى مصر القاهرة من الوزراء والباشات، تحقيق عبد الرحيم عبدالرحمن عبد الرحيم، القاهرة 1987، ص 322 باختلافات يسيرة.

وقوله «وفي ثاني شوال اجتمعت الصناجق والأغوات عند الباشا في قرا ميدان<sup>(1)</sup>، وقالوا له: أخبرنا أنه جاء صحبتك خط شريف بالعمفو لأهل مصر، فأخبرنا بذلك لأنه يوم عيد ويوم جبر<sup>(2)</sup> مبارك، فاقراه علينا لأجل ما تطمئن نحن والرعايا وأهل البلد يطمئنوا بالعمفو<sup>(3)</sup>» وقد لخص الوالي لهم ذلك الأمر ومنه أخذ مؤرخنا مضمونه<sup>(4)</sup>

واقطف قطعة من أمر سلطاني يتعلق بمصادرة إثنين من كبار الزعماء وهي «الذي نُعلم به محمد باشا وأعيان مصر، أنه باقى جهة أعيان مصر ألف وستون كيساً من بيع موجودات اسماعيل بيك الدفتردار واسماعيل كتحدا الجاويشية فلا بد من تحصيلهم وإرسالهم صحبة الخزينة العامة<sup>(5)</sup>». فهذه النصوص تدل على تقديره للوثائق بوصفها المصدر الأساس للتاريخ، نصاً كانت أو تلخيصاً أو إشارة.

رتب مؤرخنا مادته التاريخية على وفق تعاقب الولاة، فهو يحرص على ذكر اسم الوالي، وتاريخ توليه الحكم، ومراسم استقباله، ثم يدرج بعدها ما حدث في عهده من حوادث، مرتباً إياها حسب السنين، والشهور، وأيام الشهر، ثم أيام الأسبوع، من ذلك قوله «وفي ثاني يوم الخميس 20 محرم»، و«في يوم الأحد 23 محرم» و«ليلة الأربعاء رابع صفر سنة 1133» وهكذا. وبعض ما أدرجه من حوادث استغرق فقرة أو فقرتين، بينما قد تطول روايته أحياناً، لا سيما فيما شهد عليه بنفسه، حتى يزيد على الصفحة أو الصفحتين. وكان يدرك أن في ما ساقه من حوادث من التفاصيل ما يزيد على ذلك بكثير، إذ صرح في مقدمته «ولو كان هو، يريد صديقه الميلوي، في قيد الحياة ما مات، لألف منها مؤلفات<sup>(6)</sup>».

### الصياغة التاريخية

تشبه الصياغة التاريخية للكردى ما كانت عليه مدرسة التاريخ المصري في العصر العثماني، التي يمكن ملاحظتها فيما كتبه الشلبي في أوضح الإشارات، والمنو في

---

(1) من معالم القاهرة البارزة في العهدين المملوكي والعثماني، عرف بميدان صلاح الدين، ويقع بين قلعة الجبل ومدرسة السلطان حسن ومسجد الرفاعي، وعرف في العهد العثماني بقره ميدان أي الميدان الأسود. عبدالرحمن زكي: موسوعة مدينة القاهرة، القاهرة، 1987، ص 387

(2) في أحمد شلبي: يوم خير.

(3) ذكر هذا الخبر أحمد شلبي ص 325 باختلاف يسير.

(4) ص 259

(5) ص 262

(6) ص 242

ومن ناحية أخرى فإننا وجدناه يُزَيَّن النص أحياناً بأبيات من الشعر تناسب المقام. بل أنه عمد مرة الى اختيار أبيات لشاعر مصري سماه «الأديب اللبيب» واللوزعي الأريب، الشيخ محمد القليطي الأزهري «تُورخ لتولي أحد القضاة منصبه»<sup>(1)</sup>.

### اهمية الكتاب

#### الإطار السياسي

تناول الذيل الذي كتبه بقية من حوادث القاهرة في عهد الوالي علي باشا (تولاها من محرم 1130هـ/ 1717م، وأتم هو الحوادث التي جرت في أواخر ولايته من شوال 1131 وحتى 6 ذي القعدة من سنة 1132هـ)، ثم أتم حوادث عهدي الواليين التاليين، وهما رجب باشا (تولاها من 15 ذي القعدة من السنة المذكورة حتى 12 رمضان 1133هـ/ 1721م) ومحمد باشا (تولاها من 17 رمضان وحتى 1141هـ/ 1728م) وأرخ الكردي منها حتى شهر ربيع الأول سنة 1136هـ/ 1723م)، وتوقف بعد هذا التاريخ لسبب لا نعرفه.

أظهر مؤرخنا إحترامه للسلطة العثمانية في مصر، لا سيما وأنه كان نفسه أحد أدواتها، فامتدح السلطان العثماني، ملحقاً اسمه بالدعاء له، كقوله عن السلطان أحمد الثالث «حضرة مولانا السلطان، احمد خان، حفظه المنان»، و«حضرة السلطان نصره الرحمن»، وقوله عن والي مصر علي باشا «رزقه الله من الخير ما يشاء» والإشارة الى واليها محمد باشا بلفظ (حضرة) وأمثال ذلك من الألفاظ والعبارات التي قصد بها الاعلان عن إحترامه لأولئك الحكام.

اهتم - على نحو خاص- بتتبع علاقة مصر بالدولة العثمانية، من الناحيتين المالية والعسكرية، ولاحظ تدهور هذه العلاقة نتيجة ضعف أوجاقات (صنوف) الإنكشارية السبعة، وهي القوات الممثلة للدولة والحامية لسيادتها في البلاد، وأثر ذلك الضعف على موقف الولاة العثمانيين الذين كانوا يُعيَّنون فيها، من قوات المماليك المتجذِّر سلطاتها في مصر منذ أواخر عهد الأيوبيين وحتى تأسيس دولتهم بعد زال ذلك العهد، وهو يسميها بالصناجق، مقابل تسميته لزعامات الإنكشارية بالأغوات. وكان موفقاً في رصد الأزمة المتفاقمة بين المماليك وبين الوالي العثماني، وصعود شأن المماليك الى حد أن لم يبق للوالي العثماني إلا الرمز لا أكثر، ثم نشوب الصراعات بين زعامات المماليك نفسها.

وعُني بذكر مناصب الولاية السابقة قبل شغلهم مناصبهم في مصر، فقال عن رجب باشا أنه «كان محافظاً لقلعة حلب الشهباء»، وعن محمد باشا بأنه «صدر أعظم سابقاً».

كما أورد في أحيان عدة أسماء حكام البلاد المصرية، مسمى إياها (ولايات)، أو (نواحي)، منها حكام المنصورة، والشرقية، والغربية، والمنوفية، وجرجا، والبهنساوية وغير ذلك، مما يبقى ضوءاً على الإدارة في مصر عهد ذاك.

### التاريخ الاجتماعي

تناول بعض مظاهر الحياة الاجتماعية في القاهرة، ومنها سفر الحاج إلى مكة، وما كان يواجهه من مصاعب الطريق، وأهمها حوادث قطع الطريق من قبل الأعراب، ومظاهر الإحتفال باستقبال الحاج. وباستقبال الولاة المعينين وسائر المسؤولين، وما يلبسون، وما يخلعون على الأمراء من نفيس الخلع، من ذلك قوله «ألبس الوزير علي باشا حمزة آغا المزبور قفطان الصنجدية»<sup>(1)</sup>، وقوله واصفاً قدوم الوزير محمد باشا أنه «لبس جميع الأمراء أكراماً في قصر الحلي، ولبس إسماعيل بيك كركاً من السمرور من جوخ أصفر»، والسمرور ضرب غال من الفراء، وقوله «ولبسوا الضلما لمصطفى باشا أوضا باشا»، و(الضلما) هنا ضرب من الجوخ. وتطرق إلى ما يحيط بمواكب الولاة وممثلي السلطة من أبهة وتقاليد<sup>(2)</sup>، ومنها الإحتفال بالمناسبات الخاصة والعامة، والإعلان عن وفيات العلماء، وما إلى ذلك من المظاهر الاحتفالية التي كانت معروفة عهد ذاك.

وتناول بعض شؤون نقباء الأشراف، فأشار إلى أنه كان في وسع أشراف البلاد عزل نقيبهم، وترشيح غيره لتولي هذا المنصب الرفيع، فذكر أنه «في يوم الخميس غرة رمضان عزلوا السيد ياسين نقيب الأشراف، وولوا السيد مصطفى الرفاعي»<sup>(3)</sup>

وقال «وفي يوم الاثنين 17 شوال أرسل الأشراف العرض الذي كتبوه من جهة عزل نقيب الأشراف السيد ياسين، وطلب نقيب آخر، وأرسلوه صحبة السيد بركات والسيد محمد الجاويشان في باب نقيب الأشراف في مصر»<sup>(1)</sup>.

(1) ص 244

(2) ص 257

(3) ص 256

وتطرق إلى شؤون القضاة الذين كانت الدولة ترسلهم إلى مصر، ولاحظ أن بقاء القاضي في منصبه رهين- عملياً- بإرادة قادة فرق الانكشارية، فقال «وأرادوا عزل القاضي فلم ترض طائفة الينكجيرية، وقالوا: يكون ذلك علامة العصيان»<sup>(2)</sup>. ويظهر أن الصناجق، وهم قادة المماليك، كانوا لا يرون في القاضي إلا ممثلاً للسلطة العثمانية، حتى أنهم اجتمعوا «في بيت أمير الحاج على تنزيل الباشا هو والقاضي»<sup>(3)</sup>، وأظهر ضيقه من أحد القضاة المعينين لأنه انتقد على نحو حاد أهل بلاده فقال «وكذلك القاضي محمد كتخدا زاده بقول: أنا ما جئت إلى مصر إلا لأجدد لأهلها دينهم، فإنهم كفروا وارتدوا، ونعوذ بالله من قوله وما قال!»<sup>(4)</sup>

وفضلاً عن ذلك، فإنه أشار إلى فئات عليا في المجتمع القاهري، يأتي في مقدمتهم الأشراف، والعلماء، والسادات البكرية، والسادات الوفائية.

ويحكم منصبه العسكري فقد أظهر معرفة واسعة بالتنظيمات العسكرية في مصر، سواء ما كان للينكجيرية أو للمماليك، ولذا فقد حفل كتابه بأسماء المناصب العسكرية المختلفة، مثل الصناجق، وهم قادة المماليك، والصناجق المحمودية، نسبة إلى أحد قادتهم، وطائفة السباهية، وهم الفرسان الإقطاعيون، والتفنكجية، والدلاة، وهم رجال المهام الصعبة، وطائفة كوكليان، وبلوك الكومالية، وكتخدا الداودية، وهم من الينكجيرية، وكتخدا الكدك، وهو رئيس اصحاب الوظائف العسكرية، والمهترخانة، وهي فرقة موسيقى الجيش، والقابجية وهم البوابون، ووظائف مثل: مالك الاختام، وكتخدا الوزير، ومقدم الطوائف، واغا المتفرقة، وأوجاق الجاويشية، وجاويشية الأبواب، واغاة المستحفظان، واميراخور كبير، وهو مدير الاسطبل، والعزب، وهم مشاة عساكر الآيالات، والخاصكية، وهم خدم القصور، وكتخدا الجاويشية، والمطرجية، وهم سقاة الجيش، ومثل هذه المناصب والوظائف يلقي ضوءاً على التشكيلات العسكرية القائمة في مصر في ذلك العصر، وطبيعة علاقاتها بإدارة البلاد.

(1) ص 261

(2) ص 256

(3) ص 250

(4) بلدة قديمة من اعمال دمياط

ولم يفت مؤرخنا أن يذكر بعض وفيات أعلام القاهرة على وفق تواريخها، محددًا إياها - غالباً - باليوم والشهر والسنة، من ذلك مثلاً قوله «وقبل هذا التاريخ توفى عالم الحنفية ورئيسهم الشيخ أحمد الدقوسي في يوم الأحد 16 محرم سنة 1133، والشيخ العمدة الحنفي السيد علي اسكندر مفتي الحنفية بالديار المصرية توفى 5 صفر سنة 1133

وقوله «وفي هذا التاريخ المذكور توفى الشريف عبدالكريم شريف مكة، ودفن في قبة قايتباي. والشيخ عبدالوهاب الشنواني الشافعي يوم الخميس السابع والعشرين من رمضان»<sup>(1)</sup>.

وفي 25 رمضان يوم الاحد، توفى عالم الإسلام مفتي المالكية الشيخ عبدالوهاب الصعيدي، وطلعوا له على المنارات، وكان له مشهد عجيب»<sup>(2)</sup>.

ولم يقتصر في وفياته على العلماء فحسب، وإنما تناول بعض كبار قادة العسكر، من ذلك مثلاً قوله أنه «في 20 جمادى الآخر توفى علي كتخدا الداودية باشب اختيار طائفة مستحفظان، والشيخ العمدة الشيخ محمد البرماوي الشافعي ساكن الشيخونتين»<sup>(3)</sup>.

وأثنى على قاضي مصر أحمد أفندي الشهير بعثمان زاده، فقال انه «رفع عن أهلها بقدمه العناء والعنصر، وسلك مع أهلها غاية السلوك حتى كان يحكم بالعدل بين الغني والصعلوك»<sup>(4)</sup>.

### التاريخ الاقتصادي

وفي الكتاب إشارات إلى الادارة المالية في مصر، تتناول طريقة جباية الضرائب عن البلاد المصرية، حيث كان أمراء الممالك يتولون هذه المهمة منذ أول الادارة العثمانية عن طريق موظفين يعرفون بالكُشَاف، وقد أشار مؤرخنا الى بعض اولئك الكُشَاف في عهده، والأعمال المناطة بهم، والتزامهم تحصيل الضرائب من البلاد،

(1) ص244

(2) ص258

(3) ص254

(4) ص264

ومقادير بعضها . وكان لبسهم القفطان يمثل تقليداً يشير الى توليهم هذه الوظيفة . فقال مثلاً « وفي عاشر شوال لبس محمد بيك ابن المرحوم ابراهيم بيك قفطاناً على دجرجا<sup>(1)</sup>، وأرسلوا الى أباطا بمنصب المنية<sup>(2)</sup> ومنفلوط<sup>(3)</sup> فأبى، وقال: أن كان من تضع عني من كشفها عشرة أكياس وسبعة آلاف أردب أخذهما، فأبى الوزير، وأرسل الى غيطاس بيك الاعور وألبسه قفطاناً على المنية ودجرجا ومنفلوط<sup>(4)</sup> .

وأشار إلى عدد من ملتزمي القرى والبلدات في الريف، ومنها ملتزم بلدة فارسكور، وملتزم بلدة السنيلوين، وغير ذلك .

وعني مؤرخنا بذكر أسعار المواد الغذائية في سوق القاهرة، لا سيما الحنطة والفلول بوصفهما المحصولان الأساسيان في البلاد، فذكر انه لما « قدم رجب باشا على مصر واستبشرت الرعية من أهل مصر لأن القمح كان بثمانين فضة الأردب، والفلول كذلك، فصارت الغلال تنزل في سعرها الى أن بيع القمح الطيب الجيد بخمسة وثلاثين نصفاً او ستة وثلاثين أعلى السعر وما بعد بخمسة وعشرين، والفلول بثمانية وثلاثين فضة الى قدوم محمد باشا<sup>(5)</sup> .

وشغلت الكميات الكبيرة من الغلال التي كان يتوجب على مصر إرسالها الى الحرمين الشريفين لاعانة فقرائها جانباً من اهتمامه، فقد تعيّن على بعض الملاك من قادة الممالك تصدير كميات محددة منها في كل عام لإرسالها الى هناك، فتناول أخبار إرسالها، وتأخرها، وكمياتها، وأسماء مصدريها . من ذلك قوله في بعض أخبار سنة 1133 « في يوم الخميس سادس شوال قرئ بالديوان ثلاثة خطوط، واحد بغلال مكة، والثاني بغلال المدينة التي هي الدشائش، وأن أهل المدينة أرسلوا عرضاً بهذا السبب من جهة الغلال التي هي مكسورة جهة فيطاس بيك المتوفى سنة 1127، ومن إبراهيم بيك أبو شنب، ومن جهة ابنه إبراهيم بيك، ومن جهة يوسف بيك الجزار،

(1) هي جرجا وكانت مركز ولاية باسمها تمتد حتى بلاد النوبة وهي اليوم من محافظة سوهاج .

(2) مركز محافظة المنيا حالياً .

(3) من أعمال اسيوط .

(4) ص 363

(5) ص 260

وقدراها اثنان وعشرون ألف أردب لابد من تحصيلهم وأرسالهم صُحبة الخشب في هذا العام، والثالث بالتوصية على أهل مكة والمدينة، وتشهيل غلاتهم ومرورهم على المعتاد»<sup>(1)</sup>.

وتطرق الى العلاقة المالية مع الخزينة المركزية في الدولة، فمما ذكره في هذا الشأن ان الوالي حينما أراد سداد مبلغاً قدره ألف وستون كيساً الى الدولة العثمانية أمر الدفتردار ويوسف بيك بتدبير المبلغ، فاضطر هذان الى الاجتماع بالأمرء والإختيارية «فاجتمع رأيهم على أن يجعلوا الالف وستين كيساً بلوصاً»<sup>(2)</sup> (اي بوليصات) الى التجار الكائنين في القسطنطينية»<sup>(3)</sup> مما دل على أن دفع المال كان يجري من خلال تحويلات مالية او صكوك يدفعها التجار المصريون في القسطنطينية، لا أن تدفع نقداً، كما دل أيضاً عن حجم التعاملات المالية بين التجار في مصر والعاصمة العثمانية .

وتناثرت في الكتاب أسماء العملات التي كانت متداولة في مصر في عهده، ومنها (نصف فضة ديواني)<sup>(4)</sup>، و(العثماني) وهو الدرهم العثماني المعروف رسمياً باسم (آقجة) اي المبيضة بسبب غلبة الفضة عليها، وجمعها (عثامنة)<sup>(5)</sup> وهو جمع غريب لم نجد مثله في المصادر المعاصرة، و(الزلاطات) جمع لكلمة (زلولطة) و(الإخشاوات) وهي من العملات الفضية، و(الكيس)<sup>(6)</sup> و(الكيس الديواني)<sup>(7)</sup> و(الجنزلي) وهي عملة ذهبية قال « 6 آلاف ذهب جنزلي»<sup>(8)</sup>.

ونظراً لتعلق أمر منسوب مياه النيل بالحياة الاقتصادية عامة، فإنه عني - كأكثر المؤرخين المصريين- بمقياس النيل، ويسميه بحراً، فقال «وفي رمضان كان البحر

(1) ص259

(2) ذكر معاصره أحمد شلبي ص337 هذا الخبر في رواية مشابهة، إلا أن المبلغ فيها هو «السبعماية كيس».

(3) ص262

(4) ص246

(5) ص251

(6) ص252

(7) ص250

(8) ص251

زائداً، فتوقف 15 يوماً ولم يزد في تلك المدة قيراطاً واحداً ثم بعد ذلك صار يزيد قيراطين او ثلاثة»<sup>(1)</sup>.

وأرخ وفاء النيل<sup>(2)</sup>، بحسب التقويمين الهجري والقبطي، والآخر هو المستعمل لدى زراع مصر، فقال «وفي يوم الخميس 6 شوال الموافق لعاشر مسرى [يقابل كانون الاول] وفا النيل المبارك وجبروه ثاني يوم الجمعة بعد أن اخذ الناس من الخوف ما أخذهم وتوقف عن الزيادة ثلاث مرات، في اول مرى 15 يوماً، والثاني 5، والثالث 3، وكانت ايام الزيادة الاخيرة فيها الوفاء والحمد لله»<sup>(3)</sup>.

وقال «وفي رابع شوال الموافق لرابع مسرى وفا النيل، وجبر ثاني يوم الوفاء». وفي الكتاب اشارات إلى وقفيات رئيسة كان ينفق منها على جملة من أوجه الخير، منها (وقف الدشيثة)<sup>(4)</sup> و(وقف الخاصكية) و(وقف المحمدية). وكان تولي إدارة هذه الأوقاف يجري بخط شريف من الدولة، وليس من ولاية مصر، قال «وأبقوا الدشيثة باسم مصطفى بيك لكونه معه بها خط شريف، وذلك في غرة ربيع الأول سنة 1133»<sup>(5)</sup>، ومثل ذلك قوله «منعت طائفة العزب علي بيك من التصرف في وقف الخاصكية لما تحققوا أنه لم يكن معه خط شريف وإن الذي معه فرمان الوزير»<sup>(6)</sup>.

### معالم القاهرة

للمؤرخ مرتضى الكردي، كصديقه الملوي، خبرة واسعة بخطط القاهرة، فهو حريص على وصف المسرح الجغرافي الذي يدور فيه ما يصفه من حوادث، بما يتضمنه من حارات ومساجد وتكايا وقلاع وبرك وقصور وسائر المعالم الاخرى، فترددت في كتابه أسماء قصر الحلي، حيث يُستقبل الولاة عادة، وباب النصر، والبركة، والجنبلاطية، وقصر يوسف، وباب الينكجيرية، وقره ميدان، والمولى خانه،

(1) ص 260

(2) يعني وفاء النيل أنه وفى بالمياه الكافية وقت فيضانه .

(3) ص 261

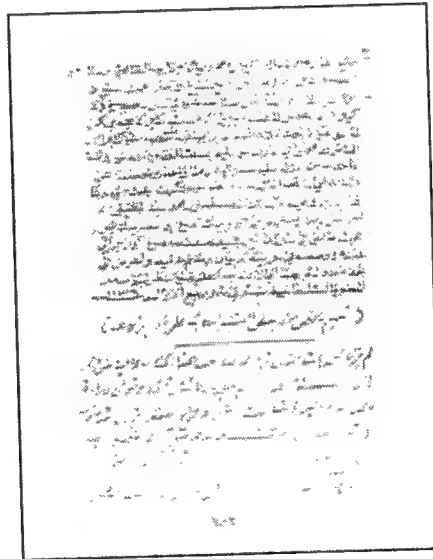
(4) هذه الاوقاف كانت تختص بالحبوب المطحونة التي يجري ارسالها إلى الحرمين منذ العصر المملوكي.

(5) ص 256

(6) ص 261

والرميلة، والمحمودية، ودرب الجماميز، وباب الجبل، والأزبكية، وقلعة الكلاب، وكوم الشيخ سلامة، ومعمل البارود في الأزبكية، وبيت أبو الشوارب، والعدلية، والصليبية، ودار الضرب، وجامع السلطان حسن، وغير ذلك. وتوقف عند خبر عمارة الجامع الأزهر فذكر أنه «في يوم الخميس آخر يوم من رمضان سنة 1133هـ تم بناء الجامع الأزهر، وغسلوه وفرشوه بالحُصُر الجديدة ليلة العيد، وكانت مدة عمارته 151 يوماً، لأن ابتداء العمارة من 2 ربيع الآخر المكرم سنة 1133 وجملة المال الذي جاء من طرف السلطنة 46 كيساً ديوانياً، فلم تكف العمارة، وأتم بقية بنائه الأمير إسماعيل بيك أميو الحاج من عنده 13 كيساً من السقف والابواب والمقاصير وترميم الفسقية، وعلوا الفسقية عن القديم قدر ذراع كامل، وبدلوا العمدان الخشب التي في بحرة الترك (يريد رواق الاتراك) بعمدان من الحجر، وصلوا فيه صلاة العيد»<sup>(1)</sup>

وقال في عمارة إحدى السقايات «وفي خامس رجب ابتدأ علي باشا - رزقه الله ما يشاء- في عمارة السبيل الذي في ديوان الغوري، وتم في آخر شعبان سنة 1132»<sup>(2)</sup>.

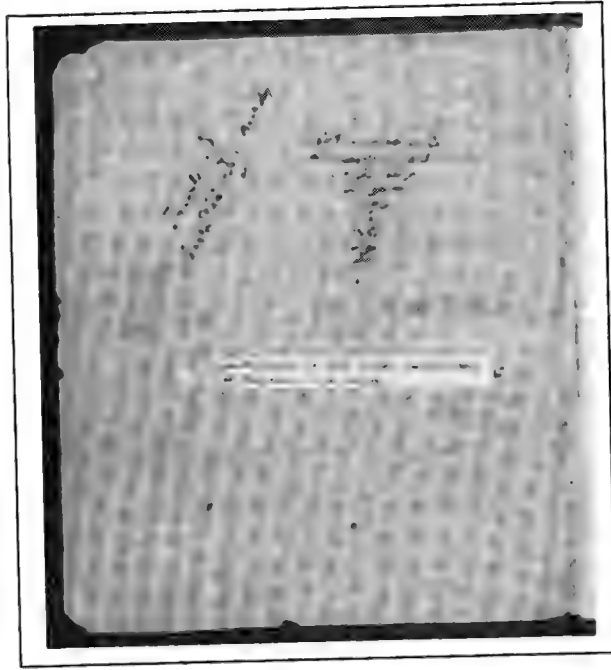


الورقة الاخيرة من المخطوط وهو بخط مرتضى الكردي

(1) ص 258

(2) ص 244





ورقة العنوان من مخطوطة (تهذيب الاطوار)



الورقة الاولى من مخطوطة (تهذيب الاطوار) لمرتضى بك



## رحلة اللحافي البغدادي من بغداد إلى اسلامبول

سنة 1297هـ / 1879م

قام بهذه الرحلة في سنة 1297 هـ / 1879م، رجلٌ بغدادي سُمي نفسه (السيد أحمد أفندي اللحافي)، قاصداً إستانبول لشأن من شؤونه لم يشأ أن يذكره في رحلته، ومن المحتمل أنه أراد التوصل إلى بعض الوظائف الشرعية من خلال توسطه شيخ الإسلام في الدولة العثمانية؛ فإنه قصده بالزيارة، وتقرَّب إليه، على ما يفهم من كلامه.

وعلى الرغم من عدم وقوفنا على ترجمة له فإن في وسعنا أن نكونَ تصوراً عاماً لثقافته من خلال رحلته نفسها؛ إذ كان أبوه -كما يفهم من لقبه - ممن يمتهنُ صناعة «اللحافان، جمع: لحاف» ببغداد، وإليها تُسب، وأنه كان معدوداً من «السادة»؛ أي: من أسرة تتنسب إلى آل البيت النبوي<sup>(1)</sup>، وذكر في رحلته عن قرية (عين قباقيب) القريبة من دمشق أن هذه القرية كانت «محل كرامة أجدادنا»، مما يفهم منه أنها موطن أسرته الأولى قبل أن تنزحَ منها إلى بغداد.

وقد نال قسطاً من التعليم أهله للتعرف على عدد من الشخصيات البارزة في مدينته، وشغف بدراسة الأسطربلاب، وفنون (الهيئة) القديمة، حتى إنه كان يصطحب معه إسطربلاباً في رحلته، يستخدمه لإشباع هوايته في قياس ارتفاعات الأرض، ومن الراجح أنه عمل (مؤقتاً) في بعض مساجد بغداد، وهي مهنة كانت تختص بضبط أوقات الصلاة؛ فإن ولداً له اسمه عبدالحليم، كانت له اهتماماته نفسها، وعمل مؤقتاً في جامع السراي ببغداد<sup>(2)</sup>.

(1) ذكر لي المرحوم جواد بن السيد هبة الدين الشهرستاني (المتوفى في 4 آب 2005م) أن عبدالحليم بن أحمد اللحافاتي لم يكن يتحدث عن نسبه، وقد سأله بعض شيوخ عشيرة (العصامات) في مجلس السيد هبة الدين عن نسبه، فاكتفى بالقول: إنه (من بني آدم)؛ تواضعاً منه فيما يظهر، وذكر بعض من ترجم لولده عبدالحليم أنه ابن أحمد بن خلف، فأثبت اسم أبي السيد أحمد صاحب هذه الرحلة التي تقوم بنشرها، وأن نسبه يعود «إلى الصوفي المشهور بشهر الحاي»، ينظر يونس إبراهيم السامرائي: تاريخ علماء بغداد في القرن الرابع عشر، بغداد 1402هـ / 1982م ص 242-243، هذا بينما تكشف المخطوطة أنه اللحافي، بإثبات اللام الثانية، نسبة إلى صناعة اللحف، وهكذا كان معروفاً لدى أهل بغداد في عصره.

(2) ولد عبدالحليم ببغداد سنة 1276هـ / 1859م ونال تعليماً جيداً في بغداد وإستانبول، مكثه من تولي القضاء في بعض المدن العراقية، وانتخب نائباً عن بغداد في مجلس النواب العراقي، وكان له شغف

سكن أحمد اللحي في بيت كان يقع في محلة الميدان في بغداد، قرب مدخل شارع الرشيد اليوم؛ حيث كان له مجلس يحضره البغداديون، وقد ورث ابنه المذكور هذا المجلس، فلبث يُعقدُه كلَّ أسبوعٍ حتى وفاته.

ويفهم من قصيدة أثبتها بعضُ معاصريه في آخر كتاب رحلته، بعض اهتماماته الأخرى، وأبرزها الموسيقى، وربما الغناء أيضاً؛ فهو «بلبل الألحان»، وله أيضاً شعرٌ وُصف بأنه «ممتاز»<sup>(1)</sup>، ولكن لم نقفْ على شيء من هذا الشعر، ونحن نستكثره على الرجل؛ فإن لغته التي كتب بها رحلته وأسلوبه، وأفكاره، لا تدل على علو كعب في أي من تلك المجالات، كما لا تشير محاوراته مع معارفه، مما أثبتته في ثايات رحلته، على نباهة خاصة، أو دقة فكر.

وعلى الرغم من أنه عمل في أثناء إقامته بإستانبول مُدرِّساً في بعض مدارسها إلا أنه لم يكن معدوداً بين المدرِّسين المبرزين، فعمله ذاك لم يكن إلا بتوسط من شيخ الإسلام نفسه، ومعظم من التقى بهم في أثناء رحلته لم يتعرفوا عليه إلا بجهد، بل إنه اضطر إلى تعريفهم بنفسه أحياناً، ولسنا نعلم أنه كتب شيئاً غير تدوينه وقائع رحلته من بغداد إلى إستانبول، وحتى هذه تكاسل عن وضع مقدمة لها - كما ذكر ناسخ مخطوطتها السيد أحمد شمس الدين الألوسي - مما دفع بالأخير إلى القيام بهذه المهمة، وكتابة مقدمة مناسبة.

لم يحدّد اللحي في زمن قيامه برحلته، بيد أن من الميسور معرفة ذلك؛ فإنه أشار إلى لقائه بوالى دمشق مدحت باشا، ومن المعلوم أنه تولّاها سنة 1295 رومية 1297هـ / 1879 م، وصرح بأنه التقى بواليتها الجديد أحمد حمدي باشا، وقد تولّاها في ذلك العام.

وتكشف رحلة اللحي عن الطريق المتخذ في أواخر القرن التاسع عشر للسفر إلى العاصمة العثمانية، مع تحديد لمراحل هذا الطريق ومحطاته، وذلك على النحو الآتي: السير براً من بغداد إلى بيروت، عن طريق: أبو غريب - الصقلاوية - الرمادي

---

بجمع الكتب، ومنها مخطوطات نادرة، أهديت بعد وفاته إلى مكتبة الأوقاف المركزية في بغداد، وله مؤلفات، منها: مجموعة سماها (مجموعة الحاي) و(عمدة الكتاب)، ورسالة في فن الوراقة، وعمل مدرّساً في جامع السراي ببغداد حتى وفاته سنة 1362هـ/ 1943م، وكان يحوز على إسطرلابات، منها ثلاثة من البرونز، محفوظة اليوم في المتحف العراقي؛ ينظر الدليل الرسمي للمملكة العراقية لسنة 1936 ص 901، الزركلي: الأعلام ج 3 ص 283، وهاشم الأعظمي: تاريخ جامع الإمام الأعظم أبي حنيفة، ج 1، بغداد 1965، ص 185، ويونس السامرائي: تاريخ علماء بغداد ص 242.

(1) الرحلة، الورقة 14.

- هيت - جُبّة - حديثّة - الفحيمي - عنة - النهيّة - القائم - البوكمال - الصالحية - الميادين - الدير - تدمر - عين قباغب - صخنة - أبو الفوارس - القريتين - عطنة - جرود - دوما - دمشق - زحلة - بيروت، ثم الإبحار منها إلى إستانبول، مروراً بقبرص - رودس - أزمير - مضيق كالي بولي.

ويختلف هذا الطريق - وجه عام - عما كان يسلكه بعض البغداديين في سفرهم إلى إستانبول منذ عهد بعيد، حينما كانوا يجتازون جبال طوروس في مسالك عدة، فإنه - كما لاحظنا - سلك طريقاً صحراوياً مباشراً من البوكمال فدير الزور (عند الحدود العراقية السورية الحالية) ثم إلى دمشق، ومنها إلى بيروت حيث ركب سفينة، أو بالأحرى باخرة، أقلّته إلى قبرص، ومنها إلى أزمير فإستانبول بحراً.

وليس من العسير توضيح أسباب هذا التغيير في الطريق، فتوفّر حدّ أدنى من الأمن، وتنامى سلطات المدن، وتحسّن السفن، واستقرار خطوط الملاحة البحرية - كانت كلها وراء أرجحية هذا الطريق لدى مسافري تلك العهود.

ومن ناحية أخرى فإن الرحلة تحفل بأسماء الأشخاص الذين التقى بهم المؤلّف أثناء رحلته، ومنهم ولاة وقادة عسكريون، وموظفون رسميون آخرون، وعلماء وأعيان وغيرهم، وهي لا تخلو من انطباعات شخصية عما مرّ به من معالم، وما لقيه من صعوبات.

والنسخة الوحيدة المعروفة اليوم من هذه الرحلة، تحتجّنها خزانة دار المخطوطات العراقية ببغداد، تحت العدد (3346)، وهي بخط السيد أحمد شمس الدين الألوسي، نقلها عن نسخة المؤلّف «التي أملاها وصنّفها» نقلاً حرفياً بما فيها «من إملاء وتحرير وإعراب وبناء وتقرير وتسطير»؛ ولذا لم يُصلح منها شيئاً من الأخطاء الإملائية والنحوية العديدة التي تحفل بها، بيد أنه أضاف عليها مقدمة من إنشائه «جرباً على العادة؛ لتكون عند ذوي الألباب مستجادة».

وكان لا بد لنا - عند نشرنا هذه الرحلة - أن نصلح من أخطائنا الظاهرة ما وسعنا إصلاحه، إلا أننا نبهنا إلى ذلك في مواضعه، ومنها استطرادات قليلة قد أخلّت بالسياق وأربكته، فحذفناها وأشرنا إلى ذلك أيضاً<sup>(1)</sup>.

(1) كنا قد نوهنا بهذه الرحلة في كتابنا: التاريخ والمؤرخون العراقيون في العصر العثماني، ط: 2 لندن 2009، ص 280-281 ÷ ونشرنا نصّها في مجلة المورد التي تصدرها وزارة الثقافة في بغداد،

## نص الرحلة

الحمد لله الذي خلق الإنسان، وعلمه البيان، ومنحه عقلاً امتاز به عن سائر الحيوان، وعلمه ما لم يعلم، وفهمه ما لم يفهم، والصلاة والسلام على من أسرى به ليلاً إلى المسجد الأقصى، وعرج به إلى حظيرة القدس فكان قاب قوسين (أو أدنى)، ورأى من آياته الكبرى ما لا تكاد تحصي، فعاد منشراح الصدر قرير العين وعلى آله وأصحابه نجوم السائرين<sup>(1)</sup> إلى طريق الهدى، والمرشدين إلى سواء الطريق ما أظلم ليل، ولاح ضوءٌ صبح ويدا .

وبعد، فقد رأيت رحلة الفرد الذي ما تشى في مرآة الزمان لناظر، والأوحد الذي كلُّ لسانٍ عن سرِّ مناقبه؛ لما حازه من جم المآثر، ذي الذهن الواقد، المُجمع على فضله على رغم أنف الحُساد، الذي عَزَّ عن شبيهه في الظاهر والخافي، حبيبنا وأُنيسنا السيد أحمد أفندي اللحاف، أحد المدرسين المشار إليه في بغداد المحمية، بلغه الله كل أمنية، وذلك فيما جرى له وعند سفره إلى فُروق<sup>(2)</sup>، فكان الفرق بين رحلته وبين رحلة غيره من الفضلاء كفرق الصبح يَروق؛ بيد أنه بعد أن أتمَّها، ورصَّعَ جيدها بلاليتها<sup>(3)</sup> ونظمها، ولم يُحلَّها بدباجة، فهي كعروس لم تُزَيَّن بخضاب، ولا جُلِّيت عن منصة الأنس كالفادة من الأتراب، فحلَّيْتُها بهذه الدباجة؛ ليروق حُسنها، ويعلوَ قدرها وشأنها، لدى من رام أن يكحلَّ ناظره بإثمد سوادها عند مطالعته لها، ويقف على ما أودع فيها من البلاغة وسكب العبارة فيزداد بها شغفاً ووَلَهًا، فقال - لا قُضَّ فوه، ولا برح من يجفوه-

### بسم الله الرحمن الرحيم

خرجنا يوم الخميس بكرة من النهار غُرَّة شعبان<sup>(4)</sup> من الزوراء، فتوجهنا إلى الشام، مرفقين معنا خمسة أنفار من طرف الحكومة لمحافظةتنا، وكان معي عماد

---

المجلد 18 العدد 4/1989 ص203-215، وقد عدنا إلى تلك النشرة، فراجعناها ونتقناها، وأضفنا إليها تعليقات جديدة، وزدنا في مقدِّمتنا ملاحظات ما يوضح هوية مؤلفها، وغير ذلك.

(1) في الأصل: السادين.

(2) أحد أسماء مدينة القسطنطينية أو إسلامبول .

(3) في الأصل: بوالبها .

(4) الموافق 9 تموز سنة 1879م.

الدين يشيعنا، فبينما نحن سائرون نزلت عن مطيتي، وركبت يعفور<sup>(1)</sup> عبدالحليم<sup>(2)</sup>،  
وعبدالحليم عماد الدين ركب مطيتي.

### أبو غريب

فلما دَيننا<sup>(3)</sup> من أرض أبو غريب<sup>(4)</sup>، رأى الجنود بطيخاً أخضر، وساروا إليه حتى  
يجنوا منه للأكل، وهو معمول في الخدود، وجداول الماء تجري.

وأنا قلت لهم: تتحوا عن هذا الطريق، ولا يجوز لكم الأكل من هذا البطيخ، قالوا:  
يا سيدنا، نبتاعه بالدرهم، فدخلت خيل الجنود في الجدول، وهربت مطية  
عبدالحليم في جدول من الجدول، فوثب عبدالحليم عن ظهرها كأنه فهد، والجَمال  
يقول: واجملی! واجملی! انكسر جملي، وأنا قلت له: على بالظمان، لا تخف ولا  
تحزن؛ إن الله معنا، ثم نهضت المطية وخرجنا سالمين، غير أن الغرار<sup>(5)</sup> الذي فيه  
متاعنا، والخبز والسكر صار عجيباً، ثم ألقيناه، فأقبل عليه الجنود يأكلون منه،  
ويقولون: يا سيدنا، هذا دقيق ملون بسكر، فقلت لهم: هنيئاً مريراً!

فبعدما قضوا وطهرهم بالمجل، ركبنا مطايانا وتوجهنا إلى مدير (أبو غريب)  
محمد شواف زاده،<sup>(6)</sup> فأتينا إليه، ونوَّخنا مطايانا بباب خيمته، فقابلنا بالترحيب  
والتكريم والتبجيل، ومعه ولده عبدالرزاق، فقال لي: يا جدي، ما هذه الساعة المباركة  
التي أتت بك؟ ثم قبلت بين عينيه، فكان جلوسنا عنده ست ساعات، ثم صلينا المغرب،  
وودعت ولدي عبدالحليم، وعبدالرزاق ووالده محمد علي أفندي.

(1) اليعفور: الطيبي، يريد به الجمل الذي كان يركبه ابنه.

(2) ولد ولده عبد الحليم في بغداد سنة 1276هـ / 1859م فيكون عمره في وقت قيام والده برحلته  
هذه نحو عشرين سنة.

(3) الصواب: دنونا.

(4) أرض زراعية واسعة في غربي بغداد، ولا يعلم من هو أبو غريب هذا، ونرجح أن يكون صحيح  
الاسم (أبو غريب) اسم لإحدى العشائر التي سكنت هناك، ومن المعالم الأثرية المهمة في هذه  
المنطقة تل أثري يسمى بتل (العليمي)، يرقى إلى العصر البابلي القديم، وقد أنشئ في أرضه  
سجن أبي غريب الشهير؛ كتابنا: الأصول التاريخية لمحلات بغداد، بغداد 2004، ص128.

(5) جمع غرارة وهي القرية.

(6) هو محمد علي بن عبدالرزاق الشواف، الأسرة البغدادية الكرخية التي انحدرت من دير الزور في  
القرن الثاني عشر للهجرة (18م)، نوه به السيد محمد سعيد الراوي في تضاعيف ترجمة أبيه؛  
تاريخ الأسر العلمية في بغداد، بتحقيقنا، ط1، بغداد 1997 ص246.

## الصقلاوية

وتوجهنا نحو الصقلاوية<sup>(1)</sup>، فلما أتيناها نوّخنا مطايانا عند مدير التيل<sup>(2)</sup> حيدر أفندي، فجلسنا مع حيدر أفندي برهة من الزمان، وإذا حسن بك قائمقام من أمراء العساكر<sup>(3)</sup> المنصورة مُقبلٌ من الشام ودخل علينا، فلما رأيته نهضت وقبّلت بين عينيه، فجلسنا معه مقدار ساعتين من الزمان، ثم نظر إلى ولدي محمد، وقال: ما هذا الشبل الذي معك؟ فقلت: هذا ولدي محمد أخو عبدالحليم.

## عبور الفرات

وسرنا نحو الفرات، ثم أتينا الفرات، فقدموا لنا قُلُكًا حتى نعبّر نحو الشامية<sup>(4)</sup>، فلما أدخلنا مطايانا في القُلُك، وإذا قوم من عشيرة<sup>(5)</sup> الدليم يريدون أن يدخلوا<sup>(6)</sup> معنا للعبور، والجنود ما رضوا أن يدخلوا معنا، وصارت منازعة بين الفريقين، الجنود يقولون: لا تدخلوا، وهم يقولون: ندخل، فأخذ<sup>(7)</sup> الجنود أيديهم إلى سلاحهم، وكذلك القوم، وأنا أصلح بينهم<sup>(8)</sup>، وإذا عجوز شمطاء زلاء<sup>(9)</sup>، منطبق تقول: الفتنة من هذا الشويخ، فلما قالت هذا الكلام، وابنها كذلك تقوّه في هذا الكلام، وكان معنا خادم اسمه محمد جاويش متوجّهاً إلى إستانبول، لما سمع الكلام من ابن العجوز، وكان في يده

---

(1) قرية تقع على نهر الفرات اتخذت في أواخر العصر العثماني مركزاً لوحدة إدارية باسم (الصقلاوية - الفلوجة)، ووصف الأب أنستاس ماري الكرملّي الصقلاوية في أثناء رحلة له سنة 1886م (1304هـ) بقوله: «هي قرية صغيرة، فيها قليل من الخضر، تزرع في بساتين صغار بلا أشجار، وبضعة أسواق، وهي مبنية على نهر الفرات على شكل الأزج»، وقال في الهامش «في الصقلاوية 249 نسمة، و45 داراً و3 خانات و4 قهاوي، وهي مديرية الحكم، ليس فيها جامع ألبتة، وفيها مركز للتلفراف، وبعض أهلها ينامون في دكاكينهم (مخطوط كان في مكتبة الدراسات العليا بآداب بغداد برقم 244، وهو اليوم في دار المخطوطات العراقية، الورقة 8).

(2) أي مدير التلفراف.

(3) في الأصل: عساكر.

(4) أي: الجانب الغربي من الفرات.

(5) في الأصل: عشيرت.

(6) في الأصل يدخلون، تدخلون.

(7) في الأصل: فأخذوا.

(8) في الأصل: بينهما.

(9) الزلاء: الخفيفة الوركين، أو هي القوس التي يزل السهم لسرعة خروجه، كناية عن سرعتها في الكلام.

دَبُّوس<sup>(1)</sup> فضربه تحت إبطه فأغى عليه، فسمع يوزياشي<sup>(2)</sup> الجنود حيدر أغا، فقال: ياشيخ، ما هذا الأمر؟ فقلت: الجناية من الجنود، ثم بدّل الجنود، فقال<sup>(3)</sup> القوم: جزنا<sup>(4)</sup> عن دعوانا، ولو ألف رجل يموت لحُسن كلام الشيخ، ورئيس القوم كان محمد الأعرج المعروف بالطوبال<sup>(5)</sup>، فبعد ما عبّرنا ركبنا مطاينا وتوجهنا الى الطوبال فنزلنا عنده، وبيتنا ليلتنا، وكانت بئس الليلة؛ لأنه رجل دنيء ما يلتفت إلى حق<sup>(6)</sup> الضيف.

### الرمادي:

وتوجهنا نحو الرمادي<sup>(7)</sup>، ونزلنا عند قائم مقام الدليم أحمد أفندي<sup>(8)</sup>، فقام مستقبلاً لنا بالترحيب والتبجيل، وكان الوقت الشمس في رابعة النهار، فجلسنا معه، ثم أتاننا بغداء، فأكلنا وشربنا معه، فسمع بنا طه أفندي شواف زاده<sup>(9)</sup> فقال: مرحباً بكم، فذهب بنا إلى بيته، فبتنا عنده تلك الليلة، فلما مضى ثلثا الليل، قُدِّمت لنا مطاينا، وتوجهنا نحو هيت، وقد رفقوا معنا أربعة فرسان من طرف الحكومة، فبعد ما مضت ثلاث ساعات من النهار قال<sup>(10)</sup> رئيس الفرسان علي أغا: أنتم تفوزون بهذه المفازة، ونحن نورد خيلنا ونتبعكم، فلما فارقناهم وإذا رجل أعزني<sup>(11)</sup> راكب على

(1) هراوة فيها مسامير.

(2) اسم رتبة عسكرية عثمانية مركبة من يوز: مائة، باشي: رئيس، قائد، مقدم.

(3) في الأصل: فقالوا.

(4) عامية، بمعنى: تركنا.

(5) طوبال، تركية، وتعني: الأعرج.

(6) في الأصل: بحق.

(7) حينما مر اللحاف بالرمادي لم يكن قد مضى على إطلاق هذه التسمية غير أربع أو خمس سنين، فالرمادي مدينة حديثة سميت بهذا الاسم في عهد الوالي مدحت باشا (1869-1872م)، وكانت تسمى قبل ذلك قلعة الرمادي نسبة إلى تل الرماد الذي بنيت عليه، وهو تل أثري قديم لون الرماد، وهي اليوم مركز محافظة الأنبار في غربي العراق؛ فرحان الحديثي: تاريخ الحديثة 26/1.

(8) هو أحمد أنوري أفندي، أشارت إليه جريدة الزوراء في عددها 1063، المؤرخ في 10 محرم 1300هـ/1882م، بوصفه قائم مقام الدليم الأسبق.

(9) هو الشيخ طه بن عبدالرزاق الشواف، كان عالماً، تقلد قضاء البصرة مدة طويلة، وتولى التدريس في مدارس بغداد، وكان شاعراً أيضاً، توفي في 14 صفر سنة 1328هـ/1900م، ودفن في مقبرة الحسن البصري في الزبير؛ إبراهيم الدروبي: البغداديون، بغداد 1958، 39.

(10) في الأصل: فقالوا.

(11) نسبة إلى عنزة، كما سيذكر المؤلف، القبيلة المعروفة.

يفزل، ويتكلم في الحيل<sup>(1)</sup> الشرعية، كل حيلة عملة المحكمة<sup>(2)</sup> عندهم، وإذا برجل أتى إلى وقيل يدي، ولحيته كأنها عرض تسعين، فقال: يا سيدي، هل تعرفني من أنا؟ فقلت له: لا يا أخي، فقال: ابن سيد حديد، وسيد حديد كان خادماً في جامع المصرف<sup>(3)</sup> في بغداد في محلة محمد خليل<sup>(4)</sup>.

#### الفحيمي:

وسرنا نحو الفحيمي<sup>(5)</sup>، فأتيناه صباحاً، فتوَّخنا مطايانا بباب الحصن، وكان ذلك اليوم عبوساً قمطيرياً من شدة الحر والسموم، وقد قتل رجال كثر، فقضينا ذلك اليوم ولم نرْ مكروهاً.

#### النهاية

وسرنا نحو النهاية<sup>(6)</sup> مع أربعة فرسان مرفقين معنا، فلما وصلنا النهاية، وهي كذلك حصن متخذ للجنود المحافظين لأبناء السبيل، ولم ننزل فيها.

#### القائم

فبقينا ليلنا سائرين حتى دخلنا القائم<sup>(7)</sup>، فنزلنا عند المدير السيد محمد سعيد أفندي نجل السيد عمر أفندي<sup>(8)</sup> نقيب برصه<sup>(1)</sup>، وجميلزاده<sup>(2)</sup>، وهو رجل كريم، حلو

(1) في الأصل: حيل.

(2) كذا في الأصل.

(3) مسجد لم يزل قائماً، قريب من شارع الخلفاء، شيده أحمد أفندي المصرف سنة 1227هـ/1812م، وكانت فيه بعض الحجر ومدرسة وخزانة كتب، محمود شكري الألوسي: مساجد بغداد وآثارها، بغداد 1341هـ، ص73.

(4) يقع هذا المسجد في طريق لا ينفذ، سمي بشارع المصرف نسبة إليه، وعد في بعض العهود من محلة البارودية، وليس فيها بين أيدينا من مصادر ما يشير إلى محلة بهذا الاسم، وورد في حاشية على كتاب العقد اللامع بآثار بغداد والمساجد والجوامع، لعبد الحميد عبادة، بتحقيقنا، بغداد 2004، ص184، أن جامع المصرف يقع في زقاق، كان يسمى قبل إنشاء الجامع، بزقاق صالح در.

(5) تقع قرية الفحيمي في غرب مدينة حديثة، وهي تنسب إلى واد هناك.

(6) هي اليوم قرية تابعة لناحية العبيدي في قضاء القائم في محافظة الأنبار.

(7) كانت القائم في أواخر القرن التاسع عشر، تتألف من مخفر للشرطة وخان واسع اتخذ مركزاً للناحية، وهو يقع على ضفة الفرات اليمنى، وهي اليوم مدينة عامرة، تبعد القائم عن بغداد بنحو 420 كم، وترتبط بها نواحي العبيدي والرمانة والكرابلة.

(8) ورد اسمه في سالنامه بغداد لسنة 1299هـ، مديراً لناحية القائم.

الشمالك، ذو عقل ودراية، ثم قال: يا سيدي، هذا المحل محلك، وأنا ذاهب للتعشير، وولدي مصطفى أفندي<sup>(3)</sup> هو هنا، فهو مقيم بضيا فتكم فكان الأمر كذلك.

البو كمال:

ثم بتنا ليلتنا، وخرجنا سائرين سَحراً نحو أبي الكمال<sup>(4)</sup>، فدخلناه وقت القيلولة، وإذا خارج البلدة سقيفة مبنية لأبناء السبيل، فوجهنا مطايانا نحو المضيف، فخرج رجل من نحو المضيف مرحباً، فأخذ بخطام مطيتي، وقال: المنزل عندي، ونزلت عنده، وكان حاتماً، وقبل هذا ذكرنا ياسين الذياب<sup>(5)</sup> حاتماً، فذاك يصرف بماله، وهذا كساب وهاب صفة حاتم، فصيح اللسان حلو الشمالك، قدّه كأنه عود بان، فلما جلسنا معه وبدأنا بالمنادمة، وإذا بقائمهقام أبي الكمال مع عبد الحكيم أفندي البغدادي فقال القائمهقام: يا مولانا، لأي شيء ما شرفتنا؟ فقلت له: المقام مقامك يا سيدي، ثم قضينا في راحة حتى انفلق الصبح.

الصالحية

وتوجهنا نحو الصالحية<sup>(6)</sup> فأتيناه قبل الظهر، وقيلنا فيها ويردنا بالظهر.

الميادين

وتوجهنا سائرين نحو الميادين<sup>(7)</sup>، فبينما نحن سائرون في القيظ، وإذا بأسد له صَوْلَةٌ، فجَفَلَتْ ونَفَرَتْ الإبل منه، ولم نَضْبِط أخطامها، والفرسان معنا غائرون<sup>(8)</sup>.

(1) في الهامش: بروسا .

(2) لم يذكر اسمه، واكتفى بذكر لقب أسرته، ونرجح أن يكون من آل جميل الأسرة البغدادية العريقة التي نزلت من بلاد الشام واستقرت في مدينة الحديثة على الفرات حيناً من الدهر؛ ينظر محمد سعيد الراوي: تاريخ الأسر العلمية في بغداد، ملحق للمحقق ص 399، وإبراهيم الدروبي: البغداديون ص 32.

(3) هو مصطفى وفي الجميل، وكان أديباً، توفي سنة 1324هـ/1906م؛ البغداديون ص 31.

(4) هكذا يكتبها المؤلف والمشهور (البوكمال)، وهي مدينة سورية على الجانب الأيمن لنهر الفرات، على الحدود السورية العراقية، ومركز منطقة البوكمال في محافظة دير الزور، تأسست عام 1864م بعد أن كانت قرية صغيرة تسمى النحامة.

(5) ينظر ما ذكره في حديثه عن بلدة هيت.

(6) بلدة على الفرات، إلى الشمال من البوكمال.

(7) مدينة على الفرات في جنوب دير الزور.

(8) يريد: هاجمون.

فزادها جفلاً ونفوراً، فلما سكنت الإبل وخيلُ الجنود، قلتُ لولدي: السلامة، وهو كذلك يقول: السلامة يا أبتى.

فلما وصلنا الميادين، استقبلنا «القائمقام» شاكراً أفندي بالترحيب والتبجيل، فأنزلنا في مكان داره - وكان خيرَ المنزلين - وجرتَ بيننا المناديات إلى المغرب، فلما جنَّ الليلَ قدّمتْ لنا مطايانا وسرنا نحو الدير.

#### الدير:

ثم سرّنا ليلاً كله، وكانت<sup>(1)</sup> الإبل تخفضنا طوراً، وترفعنا طوراً؛ لأن الأرض نَجْدٌ ووهاد، فلما انفلق الصبح أتينا الدير صباحاً، وأنخنا مطايانا بباب المتصرف السيد محمد على باشا ابن السيد شريف، فلما دخلتُ عليه قام على قدميه مرحباً، وقال لي: من أين القدوم يا مولى؟ فقلتُ له: من بغداد، فقال: مع مَنْ أتيت؟ فقلتُ له: أنا وولدي مع فرسان مرافقين معنا من مرحلة إلى مرحلة، فقال لي: إلى أين الذهاب؟ فقلتُ له: إلى القسطنطينية العظمى، قال: وعلى أي طريق تذهب، على<sup>(2)</sup> طريق حلب أو على طريق الشام؟ فقلتُ له: على طريق الشام، فقال لي: أما الذهاب على طريق الشام، فلا يمكن السلوك فيه الآن؛ لأن الزمان قيظ وحر شديد، فقلتُ له: يا سيدي، لا بد أن أذهب من هذا الطريق، فأطرق برأسه<sup>(3)</sup>، ثم رفعه، وقال: على بابن هديب العكيلي، فأتى بابن هديب، فقال له: الشيخ يريد الذهاب على طريق (صخرة)، فقال: يا سيدي، بوجود همتكم يمكن هذا، فالفرسان الذين<sup>(4)</sup> تُركبهم معه يحملون الماء، ثم أمر بخمسة فرسان، فقال لهم: توصلوه إلى القريتين، وبعدما جلسنا معه خمس ساعات، قدّمتْ لنا مطايانا وركبناها، وتوجّهنا نحو الشام، وأرفق معنا إبلاً حاملة الماء لنا وللفرسان، وكان المسير ليلاً، فسرنا ليلتنا ونهارنا، وذهبوا مسرورين، فلما انقضى النهار ومد الليل أطنابه؛ أمر شيخ الحمل بالرحيل.

#### تدمر

فرحلنا سائرين في البیداء ليلنا مع نهارنا إلى أن أتينا تدمر، فأنخنا خارجها، فلما نظرتُ إليها فإذا هي بلدة عظيمة، ورأيتُ بعض دُورها خاوية على عروشها،

(1) في الأصل: وكان.

(2) في الأصل: إلى على.

(3) في الأصل: طرق راسه.

(4) في الأصل: الذي.

وبعضها قائمة على حالها، ونظرتُ إلى الأساطين؛ فإذا منها: صنف أبيض، وصنف أحمر، وصنف أزرق، وهى من الرخام.

يا لها من بلدة! وأكثر ما قال المؤرخون إنها لسليمان ابن داود، ثم أتى جَار الله شيخ تدمر إلى، وقال لي: «يا سيدي، أدعوك للمضيف حتى نتبرك فيك»، فذهبتُ معه للمضيف، وبتُ ليلتي في أرغد عيش، وكان فيها خطيباً، فقال لي: تبقى ههنا في رمضان حتى نستفيد منك، فقلت له: لا يمكنني يا أخي، فقال لي: «تشرّف<sup>(1)</sup> يا سيدي علينا بكم موعظة»، فكتبتُ له موعظات لأربع<sup>(2)</sup> جُمع.

عين قباقب:

وأتيانا إلى (عين قباقب)، وهى محل كرامة أجدادنا، فروينا مطايانا، وكذلك الفرسان أوردوا خيلهم، فمضيّا سائرين أربع وعشرين ساعة.

صخرة:

وأتيانا (صخرة)، ورأينا الحمل نائخاً هناك، ورأينا<sup>(3)</sup> خيمة مضروبة خارج القرية، فَأَنْخَتْ بباب الخيمة، وخرج من بابها<sup>(4)</sup> رجلٌ مع خدامه، فإذا هو العثمان العكيلي شيخ الحمل، وبعدما حيّانا بأحسن تحية أقبل<sup>(5)</sup> الفرسان إليه يقبلون الأيادي، يقولون: هل ترخصنا وتمشي مع الحمل، أو نذهب معك إلى القريتين، فقلت لهم: لكم الرخصة؛ لأن بقيت أربع مراحل للإبل، فهذه الأربع مراحل نسير مع الحمل، فقبلوا يديّ وذهبوا مسرورين.

أبو الفوارس:

ثم رحل الحمل وأناخ بأبى الفوارس، وهو بمسافة ساعة عن تدمر، فقمنا نحن وصلينا الصبح، وركبنا مطايانا وتوجهنا نحو أبى الفوارس، فلما وصلنا الحمل، رأينا<sup>(6)</sup> الخيمة مضروبة حول البئر، وهذا المكان ذو آبار وقنوات، وكذلك هذه، من آثار

(1) يريد: تفضل.

(2) في الأصل: أربع.

(3) في الأصل: فرأينا.

(4) في الأصل: باب.

(5) في الأصل: فأقبل.

(6) في الأصل: فرأينا.

سليمان، فمنها معطلة، ومنها غير معطلة يشرب<sup>(1)</sup> منها أبناء السبيل، وهذا المكان واقع بين جبلين، وهو مفازة يسمونه (الدوة)، وهو إلى القريتين بمسافة<sup>(2)</sup> عشرين ساعة، وكل جبل فيه بعض العيون، يهطل منها الماء، لكن لا يخرج إلى مكان، وأنا أخذتُ الأسطُرلاب لأزن<sup>(3)</sup> بعض الأرض التي يخرج منها الماء، وهي قابلة للتعمير، لكنها محتاجة إلى قوة دولة.

#### القريتين:

ثم رحلنا نحو القريتين<sup>(4)</sup>، فسرنا يومنا وليلتنا، فلما وصلنا نزلنا عند شيخ القرية فيأض آغا، وهي قرية ذات أشجار وأثمار، فيها تفاح<sup>(5)</sup>، وكُمثرى لم أر مثله لا في بغداد ولا في الشام ولا في جميع الدنيا، ثم فارقنا الحمل وسار معنا فياض آغا - وهو رجل جليل تتجب له النجائب - فشيّعنا كم ساعة<sup>(6)</sup>، وودعنا وسيّر معنا فرساناً محافظين لنا.

#### سدوم وعطنة:

فسرنا سدوم، وهي بلدة قوم لوط، طولها ثلاث ساعات، وعرضها ساعتين، وبقرية قرية يقال لها «عطنة»، فقالوا لى: يا سيدي، نزل في هذه القرية للاستراحة؟ فقلتُ لهم: لا أنزل في هذه القرية؛ لأنها قرية قريبة من قرى الذين ظلموا، ألا نتأسى بالنبي - صلى الله عليه وسلم - لأنه في غزوة تبوك لما أتى إلى مدائن صالح، قال: ((لا تناموا فيها، ولا تجلسوا فيها، واذكروا الله؛ لأنها ديار الذين ظلموا))، ثم ألحوا على فأتيت شيخ القرية (مصطفى الغزال)، فأخّنا مطايانا عند بابه، وهو مع بنت له خماسية يقبلها ويلعبها، فقلتُ له: ما هذا التقبيل! لعلها زوجة لك؟ قال: هذه بنتي، ثم رجعت رفقتي، وقالوا لى: ما هذا التقبيل؟ فقلتُ لهم: لعله تقبيل كرامة، لا يظن بالمسلم إلا هذا، ثم قلتُ لهم: اركبوا مطاياكم حتى نخرج من هذه القرية؛ لأنها بقرب قرية لوط.

(1) في الأصل: يشربون.

(2) في الأصل: وهو بمسافة.

(3) في الأصل: وزان، ووزن الأرض اصطلاحاً: قياس مستوى ارتفاعها.

(4) بلدة إلى الشمال الغربي من دمشق، كانت تعد من أعمال حمص، ذكر ياقوت أن بينها وبين تدمر

مرحلتين؛ معجم البلدان 336/4.

(5) في الأصل: تفاحاً.

(6) يريد: عدة ساعات.

## جرود:

فركبنا مطايانا حتى أتينا «جرود»<sup>(1)</sup> فنزلنا عند محمد أغا الجرودي، فلم يكن، بل كان نسيبه فارس أغا التصري، فقام بضيافتنا وإكرامنا وأحسن مثوانا، وهو رجل كريم حاتمي الصفات، عنزي<sup>(2)</sup> الشجاعة، ذو عقل ودراية، وجرت المنادمة بيننا إلى الصباح.

## دوما:

وركبنا متوجهين نحو دمشق، فطال علينا المسير، فنزلنا دون دمشق في دوما<sup>(3)</sup> عند القاضي الشيخ محمد سعيد أفندي، وهو سبط الجابي محمد أفندي، وهو يفصل بين الخصوم في دار الحكومة، فلما سمع بنا أتى مهرولاً، فحيّانا بتحية القدوم، وجلسنا معه وجرت المنادمة بيننا، فقلتُ له: يا أخي، أسألك عن «محمد أفندي الجابي»، كيف حاله؟ فقال: هو جدي، فقمْتُ إليه، وقبلت بين عينيه، وقلتُ له: ذاك أخي، وابنُ ابن بنت أخي<sup>(4)</sup>! ثم رجعتُ الكلام عليه، وقلتُ له: ما حاله الآن؟ فقال لي: وهنَّ العظم منه، لكنه لم يكن بدعاء ربه شقياً، ثم أقمنا عنده تلك الليلة مع أناس من أهل الشام خارجين للنزهة، فلما انطلق الصبح سرنا إلى دمشق.

## دمشق:

فدخلناها، ثم أتينا الصالحية، فأئخنا مطايانا عند باب الوالى مدحت باشا<sup>(5)</sup>، فدخلتُ عليه، فقام على قدميه، وقال: أهلاً بالشيخ أحمد اللحاف، ثم سألني على أي طريق سلكت، فقلتُ: سلكتُ<sup>(6)</sup> طريق الشامية، وقلتُ: يا مولاي، كذبت كذبات على العرب؛ ترهيباً لهم، قلتُ لهم: الوزير مدحت باشا باعث عليّ، ثم ضربني على يديّ تلطيفاً، وقال: لله دُرُك من رجل داهية زمانه، فالتفتُ إلى ولدي، وقلتُ: يا بني، هذا تأويل رؤياي من قبل، قد جعلها ربي حقاً، فجرت المنادمة بيننا برهة من الزمان، ثم

(1) بلدة إلى الشمال الشرقي من دمشق، قرب صيدنايا.

(2) نسبة إلى عنزة، القبيلة العربية المعروفة.

(3) بلدة إلى الشمال من دمشق.

(4) كذا في الأصل: ولعله أراد: ابن بنت أخي.

(5) تولى دمشق سنة 1295 رومية / 1879 م، ولَبِث فيها سنة واحدة، وثمانِي أشهر؛ (صلاح الدين

المنجد: ولاية دمشق في العهد العثماني، دمشق 1949، 93)، وكان قد تولّى - قبل ذلك - بغداد

كما هو معروف.

(6) هنا استطراد لا وجه له فحذفناه.

خَيْرُنِي، وقال لي: يا شيخ، أين تريد أن تُضَيَّفَ؟ هل تريد أن تضيف ههنا، أو في بيت سعيد باشا، أو في بيت المفتي؟ فقلت له: ضيافتى تكون عند «سعيد باشا»؛ لأن بيننا حقوقاً قديمة، فأتينا إلى دار سعيد باشا فجلسنا فيها، وكان الرجل يتنزّه في جنيّة له، فلما سمع بنا أتى مبادراً إلينا، ثم قال لي: يا مولاي، قدومك إلى نعمة غير مُرتقبة، الحمد لله الذي منّ<sup>(1)</sup> بقدومك عليّ، ثم قال لي: يا سيدي، الرخصة لاستقبال المشير الذي جاء من إستانبول، فقلت له: ومن يكون المشير؟ فقال: مشير العراق سابقاً حسين فوزي باشا، فزادني سروراً بقدومه، ثم أخذتُ استراحتي برّهة من الزمان، ثم ذهبت إليه فدخلتُ عليه في المقصورة، فوجدته جالساً مع أحمد أيوب باشا المشير<sup>(2)</sup> السابق، فلما رآني قام ناهضاً على قدميه، وهو يرطن بالتركي، ومعناه بالعربي: أهلاً وسهلاً بقدومك علينا، فأجلّسني عن يمينه وولدي جالس<sup>(3)</sup>، فقال: من هذا الغلام الذي معك؟ فقلت: هذا ولدي شقيق عبدالحليم، فقال: ما رأيته في بغداد، فقلت له: يا مولاي، هذا كنز مخفي؛ إذ وجد عبدالحليم اختفى، وإذا لم يوجد عبدالحليم ظهر، فضحك المشيران، ثم قال: إلى أين الذهاب؟ فقلت له: إلى القسطنطينية، فقال: صمّ رمضان ههنا، فقلت: أصوم في القسطنطينية، فقال أحمد أيوب باشا رطنة بالتركي معناها بالعربي: تريد أن تشتت رمضان، فقلت له: يا مولاي، هذا كلام أهل العراق قبلك، ثم قال لي المشير حسين فوزي باشا: كيف يكون ولدك عبدالحليم، وعلى أي حال يكون، وهو على هوسه القديم في نشر العلوم، فقلت له: بل يزيد على ذلك يا سيدي، فقال لي: اكتب له من لسانى لا يفتر عن سعيه، ثم قمت منه ذاهباً إلى دار الضيافة، وكان اليوم الجمعة أول رمضان<sup>(4)</sup>، ثم أخذتُ راحتي، ثم بعد برّهة من الزمان، وإذا بالشيخ عبدالقادر أفندي نجل المرحوم السيد مراد أفندي الكيلاني<sup>(5)</sup> أتى إليّ فحيّاني بتحية القدوم، وسرّنا<sup>(1)</sup> بقدومه غاية السرور،

(1) في الأصل: من الله.

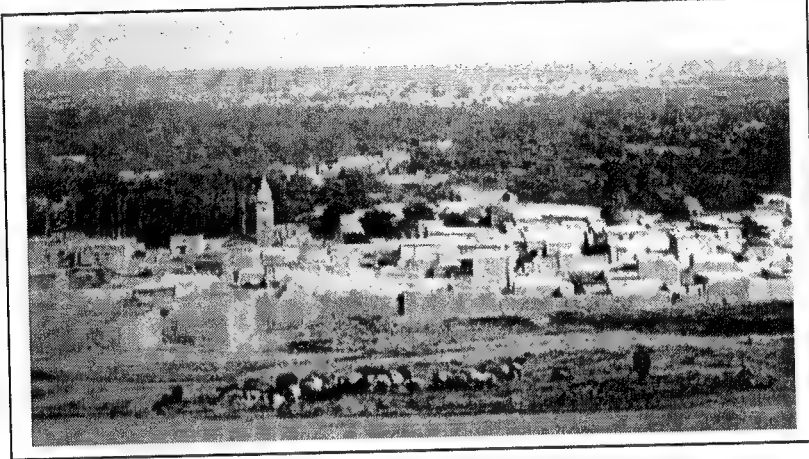
(2) في الأصل: شير.

(3) في الأصل: جالساً.

(4) ويوافق 7 آب سنة 1879م.

(5) هو السيد عبدالقادر بن السيد مراد الكيلاني النقيب، ترجم له الدرربي، فقال إنه كان «من العلماء الأعلام، ومراجع الإسلام في مدينة السلام، له باع طويل في العلوم العقلية والنقلية، وله مشاركات في الفنون الغربية.. انتهت إليه رئاسة أسرته في عهده، انتخب عضواً في محكمة الاستئناف، وأجيز من قبل رئيس علماء الشام الشيخ عبدالغني الغنيمي الميداني، ثم درس في الحضرة الكيلانية مدة طويلة، وتخرج فيه جمع غفير من العلماء، توفّي سنة 1315هـ/1897م»؛ البغداديون ص19.

واستأنسنا معه وقتاً من الزمان، فذهب إلى داره، وأنا ذهبتُ إلى الجامع<sup>(2)</sup> الأموي فرأيتُ شيخاً على كرسى جالساً يعظ الناس، وهو يتكلم في قدوم رمضان.. ثم في اليوم الثالث ذهبنا إلى الشيخ مسلم الكزيري<sup>(3)</sup>، فدخلت فإذا هو جالس على كرسى، فجلست في الحلقة وهو يتكلم.. وفي اليوم الثامن أتيتُ إلى جامع الأموي فودعتهم فرداً فرداً، ودعوا لي بالسلامة، وقالوا: راشدٌ مهدياً، ثم أتيت إلى دار ضيافتي، فأفطرت مع سعيد باشا، فلما مضى بُرْهة من الليل ودعته، وذهبنا إلى العربة فركبنا فيها، وقلنا: بسم الله



صالحية دمشق في اوائل القرن العشرين

وودعنا أناسٌ من أهل الشام، وركب<sup>(4)</sup> معنا؛ أربعة من النصارى، وهم خليل، وموسى، ومحب كرامة، ويوسف، فلما جلسنا وأخذنا بالمنادمة، فإذا كل واحد منهم أفلاطون زمانه، ثم قال لي: يا سيدي، ما هذا الغلام الذي معك؟ قلتُ: هذا ولدي. ثم قال موسى: لا شبه له بك. قلتُ له: بل هو ولدي، وأمه عرسى، فقال خليل: لا تنتظر إلى سُمَرْتِه (فإنما)، له شبه بالعينين والوجنتين والمنكبين، ثم قالوا لي: يا مولانا، من أى البلاد أنت، ومن تكون؟ قلتُ لهم: أنا عراقى، واسمى الشيخ أحمد اللحايفي، ثم قالوا: إلى أين الذهاب؟ قلتُ لهم: متوجهاً إلى القسطنطينية العظمى والخلافة

(1) في الأصل: استرينا.

(2) في الأصل: جامع.

(3) هو الشيخ المحدث سليم بن عبد الرحمن الكزيري المتوفى سنة 1299هـ/1881م، من كبار علماء دمشق في علم الحديث في عصره، ونقيب أشرافها، له إجازات كثيرة في هذا العلم؛ ينظر عمر نشوقاتي: مجموع الأثبات الحديثية لآل الكزيري الدمشقيين، وسيرهم، وإجازاتهم؛ دمشق 2007.

(4) في الأصل: وركبوا.

الكبرى، قال خليل: يا سيدي، كيف تسميها الخلافة الكبرى، وقد قال نبيكم - صلى الله عليه وسلم - الخلافة بعدي ثلاثون، ثم تكون إمارة أو ملكاً عضوضاً؟ فقلتُ له: الخلافة الكاملة ثلاثون، ثم رجع موسى إليه، وقال: صدق الشيخ وبالحق نطق.

زحلة:

ثم لما أتينا قريب (زحلة)<sup>(1)</sup> في جبل لبنان خرج الثلاثة إلى زحلة إلا موسى؛ فإنه بقي معنا إلى أن أتينا بيروت.

بيروت:

فلما أتيناها ونزلنا من العربة قبل يدي، وهو يقول: العذر من التقصير، محروساً راشداً مهدياً، فمشيتُ الخطا سائراً، وولدي على إثري، وإذا الناس يتحدثون<sup>(2)</sup> بأن والي الشام الآن أتى، وقد نزل في دار عمر غزوة، فقلت لولدي: أين منزلنا يكون الليلة؟ فقال: الليلة نزل الخان. فتوجهنا نحو الخان المسمى (خان حمزة)<sup>(3)</sup>، فانفردنا بحجرة، ولم يناقشنا أحد بأجرة. ثم لما جلسنا قلتُ له: اذهب فابْتَغ لنا فطوراً. فراح وابتاع لنا فطوراً وأتى، فلما أفطرنا حمدنا الله، ثم قلتُ له: يا بُنيَّ قُمْ نذهب إلى والي الشام حمدي باشا<sup>(4)</sup>، والدار النازل فيها قريبة من الخان؛ لأن معنا حقوقاً قديمة، فلما أتينا إليه دخلنا عليه، وهو قاعد على الطعام، فجلستُ ولم أسلم وأنا بهيئة السفر بألبسة رثة، ولم يَعْرِفَنِي، فقال لي: تفضل إلى الطعام، فأشرتُ إليه بيدي إني على كفاية حتى لا يعرفني في أثناء تناول الطعام، ثم لما قضى وَطَره من الأكل والشرب، بدأ يغسل يديه، فلما قام من المغسل توجَّهْتُ<sup>(5)</sup> إليه وصافحته وحيَّيته بتحية، وهو لم

(1) في الأصل: رحلة.

(2) في الأصل: يتحدثون الناس.

(3) خان في بيروت يُنسب إلى مؤسسه حمزة سنو، وهو من أصل مغربي هاجرت أسرته (آل سنو) إلى لبنان، وقد توفى «حمزة سنو» في بيروت عام 1840 م. ينظر موقع عائلة سنو.

<http://www.kadmous.org>

(4) هو أحمد حمدي باشا ولي الشام سنة 1292 رومية/1876، وفي سنة 1296 رومية/1880م: (ولاية دمشق 93)، وكان قد أقام ببغداد سنة 1286هـ/1869م، حين وجهت إليه رئاسة أركان الفيْلَق السادس؛ (عباس العزاوي: تاريخ العراق بين احتلالين 7/221، 223)، ويظهر أن تعرف المؤلف عليه كان في أثناء إقامته تلك.

(5) في الأصل: فتوجهت.

يعرفني، فقلتُ له: يا سيدي، لم تعرفني، فقال: مَنْ أنت؟ فقلت: أنا السيد الشيخ أحمد اللحياني، فقال: واللّه شبّهت بك من عينك وأنت جالس، ثم بدأ بالترحيب وأجلسني عن يمينه، وجرتِ المناذمة بيننا، فقلتُ له: يا سيدي لمَ لمَ تعرفني؟ قال: يا سيدي مضى قرن من الزمان، لم أرك<sup>(1)</sup> على قول من قال: إن القرن ثلاثون سنة<sup>(2)</sup>، وأنت طعنتَ في سن الشيخوخة، وكانت رؤيتي لك وأنت كهل<sup>(3)</sup> وودعنا، فبعد بُرْهة من الزمان توجهَ إلى الشام، ونحن توجهنا إلى الفلك المشحون المنسوب إلى «نمسة»، ورئيس الأول<sup>(4)</sup> كان اسمه (بتروفيج)، وكان مسيحياً<sup>(5)</sup>، ذا عقل ودراية، لله دَرُهُ من رئيس، كان ذا<sup>(6)</sup> عدالة عرفية، ثم لما رأيته حيّاني بأحسن تحية، وكان معظماً لي ولولدي.

#### قبرس ورودس:

ثم بدأت السفينة بالمسير، فقلت: (بِسْمِ اللَّهِ مَجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا) (هود: 41)؛ فسارت ليلتها ويومها حتى أتت (قبرس)، ثم رستَ محاذية إلى جزيرة قبرس، فبقيتَ راسية ثمان ساعات، ثم سار الفلك متوجّهاً نحو (لدس)<sup>(7)</sup>، فلما وصلنا بقي الفلك راسياً ساعتين.

#### أزمير:

ثم جرى الفلك، وتوجهنا نحو أزمير، فلما وصلنا بقي الفلك راسياً يوماً وليلة، ثم خرجتُ منه إلى مدينة أزمير أنا ولدي نمشي في أزقتها، وننظر يميناً وشمالاً فإذا هي كأنها (بارس) محل<sup>(8)</sup>؛ لأنه يوجد فيها من جميع الملل، ثم بقينا نتخطى في أزقتها ساعتين، ثم رجعنا إلى الفلك ودخلنا فيه، وإذا بقادين خانلي زاده حافظ محمد أفندي

(1) في الأصل: أراك.

(2) في الأصل: ثلاثين، وفي الحقيقة فإنه لم يكن مضى على إقامته ببغداد غير ست سنوات في أكثر تقدير.

(3) في الأصل: كهلاً.

(4) لعله يريد: ورئيسه الأول.

(5) في الأصل: مسيحي.

(6) في الأصل: ذو.

(7) لعلها: رودس، وهي جزيرة تقع في اليونان. بالقرب من الساحل الجنوبي لتركيا، في منتصف المسافة بين جزر اليونان الرئيسية وقبرص.

(8) لم يتأكد لنا معنى هذه العبارة.

أزميرلى، رأيته داخلاً في الفلك، فنظرتُ إليه، فإذا هو ذو عقل ودراية، فسألتُه عن فنون كثيرة، فأجابني، ثم جرتُ بيننا مذاكرة في العلوم ونحن متوجهون نحو جزيرة مدلي<sup>(1)</sup> فأرست السفينة مقدار ساعتين.

### جناق قلعة وكلّي بولي:

ثم توجَّهنا نحو جنَّه قلعة<sup>(2)</sup>، وهي متخذة على حافتي<sup>(3)</sup> البحر. لله دَرٌ من أسسها، وفيها مدافع عظام، ثم جرت السفينة نحو كلّي بولي<sup>(4)</sup>، فلما أتت رست محاذية البلدة، وهذه البلدة مدفون فيها محمد أفندي اليازجي<sup>(5)</sup> - تغمده الله بالرحمة - ثم تهيأنا - أنا وولدي - وتوجهنا نحو مرقده الشريف، فقرأنا الفاتحة، ثم رجعنا إلى الفلك.

### القسطنطينية:

وجرى نحو القسطنطينية فوصلنا إليه صباح الاثنين السابع عشر من رمضان، ثم خرجنا<sup>(6)</sup>، ودخلنا القسطنطينية متوجَّهين نحو (أيه صوفية)، فلما أتيناها وضعنا متاعنا عند إمامها، وذهبنا نمشي في أزقة القسطنطينية حتى أتينا جامع (بايزيد)، فصلَّينا الظهر هناك، ثم ذهبنا إلى جامع السلمانية لنصلي العصر، فبعدما انقضت صلاة العصر - وكان في كل من أركانها الأربعة واعظ يعظ<sup>(7)</sup> - توجَّهنا<sup>(8)</sup> نحو الركن الشمالي لنسمع واعظه، وإذا بحقي أفندي من أمراء العسكرية، وقبل هذا كان في بغداد من

- 
- (1) جزيرة مقابلة لخليج أدرميد، إزاء الساحل الغربي للأناضول.  
(2) كذا يكتبها المؤلف، والصحيح، «جناق قلعة»، حصن ضخّم شامخ في مدخل المضيق المسمى باسمه، النافذ من البحر المتوسط إلى بحر مرمرة، وكان يسمى بالقلعة السلطانية، وتقع على الجزء الجنوبي من بحر مرمرة، ويصل بين أراضيها الموجودة في آسيا وأوروبا مضيق يحمل معها الاسم نفسه.  
(3) في الأصل: حافتين.  
(4) مدينة شهيرة على الساحل الأوربي لمضيق جناق قلعة (الدردينل).  
(5) هو الشيخ محمد ديجان اليازجي، من كبار الصوفية في عصره، من آثاره شرحه لفصوص ابن عربي، و(أنوار العاشقين) توفي سنة 855هـ/1451م.  
(6) يريد: خرجنا من السفينة.  
(7) في الأصل: في أركانها الأربعة كل واعظ يعظ.  
(8) في الأصل: فتوجهنا.

المعلمين<sup>(1)</sup> في مكاتب<sup>(2)</sup> الدولة العلية العثمانية، وكانت لنا معه رفقة وصحبة قديمة، فلما رآني قام على قدميه وقبّل يديّ، وقبّلت ما بين عينيه، فقال لي: المنزل عندي، فقلتُ له: بل ذاهب إلى شيخ الإسلام، فقال: لا يمكن! يا سيدي، هذه الليلة ضيافتك عندي، وكانت داره في (أبي أيوب الأنصاري)<sup>(3)</sup>، ثم خرجنا متوجّهين نحو أبي أيوب الأنصاري، فقال لي: يا سيدي نركب في الفلك؟ فقلتُ له: يا مولاي هذا اليوم خرجتُ من الفلك، ولا طاقة لي بالركوب في الفلك؛ لأنّ معي وجع رأس من الركوب في الفلك، فذهبنا نمشي في الطريق، فأطبقت السماء بالسحاب، وأنزل الماء من المُنْز كأفواه القرب، وكان الوقت قيطاً، فقال حقي أفندي: نمضي إلى بيت أقارب جمال أفندي رئيس مكتب إعدادية بغداد، فذهبنا إلى ذلك المنزل وخرج صاحب المنزل، وقال: الإفطار عندي. فقال حقي أفندي: لا يمكن، أعطانا (شمسيات) حتى نمضي إلى دارنا، فأتى إلينا بشمسيات، وذهبنا إلى داره، فلما أتينا المنزل تجرّدنا<sup>(4)</sup> من ثيابنا، وأتى إلينا بثياب لبسناها، فبتنا تلك الليلة بأرغد<sup>(5)</sup> عيش ومسامرة، فلما انفلق الصبح أتى إلينا بماء فتوضأنا وصلّينا.

ثم توجّهنا نحو القسطنطينية، وهو مشيع<sup>(6)</sup> لنا، حتى خرجنا عن دور الأيوبيّة<sup>(7)</sup>، ثم رجع عنا ونحن راجلون حتى دخلنا جامع بايزيد لنصلي العصر، وإذا بسيد سلمان أفندي نقيب الأشراف القادري<sup>(8)</sup>، فلما رآني توسّم<sup>(9)</sup> فيّ، فقال: السيد أحمد؟ قلتُ: نعم، يا سيدي، فأقبل علىّ وعانقني، والناس في الجامع ألوف ينتظرون تقبيل أياديهِ، فأخذني وأجلسني بين يديه، وهو يسألني عن أحوالي ومجيئي، فقلتُ له: يا سيدي،

(1) في الأصل: معلمين.

(2) في الأصل: المكاتب.

(3) محلة شهيرة في القسطنطينية كانت تعد يومذاك من ضواحيها.

(4) في الأصل: فتجرّدنا.

(5) في الأصل: بأرغد.

(6) في الأصل: مشيعاً.

(7) محلة أبي أيوب الأنصاري التي تقدمت الإشارة إليها.

(8) هو السيد سلمان بن علي بن سلمان القادري، نقيب أشراف بغداد، ولد سنة 1250هـ/1834م، ودرس العلوم في المدرسة القادرية ببغداد، وتبوأ وظائف قضائية عدة، وفي سنة 1286هـ/1869م اختير نقيباً للأشراف، ومتولياً للأوقاف القادرية، وتوفي سنة 1315هـ/1897م؛ محمد صالح السهروردي: لب الأبواب (بغداد 1933) 128، وإبراهيم الدروبي: البغداديون 6.

(9) في الأصل: فتوسّم.

بخير، والناس يقولون: ما هذا الصعلوك؟ يعظمه؟ ولم يلتفت إلى هؤلاء الوزراء والعلماء المنتظرين إلى تقبيل يديه، فقال لى: اذهب إلى منزلنا هذه الليلة، فقلتُ له: أبغى الذهاب إلى شيخ الإسلام<sup>(1)</sup> هذه الليلة، فقال: راشداً مهدياً، وبلغ السلام عليه. ثم ذهبت اهرع الى نحو داره، فلما أتيت الى داره دخلت<sup>(2)</sup> على وزيره المسمى الآن (بكتخدا)، فقلتُ له: يا سيدي، أريد المواجهة مع شيخ الإسلام، فقال: بعد الإفطار، فلما آن وقت الإفطار قدّموه لنا، فأتى إلى الإفطار بذاته شيخ الإسلام، وأقبل كل واحد منا يناوله<sup>(3)</sup> الطعام، وهو ينظر إليّ ويظن أنى من المدعويين على هذه السفرة ويتوسّم<sup>(4)</sup> فيّ ولم يعرفني، فلما طعمنا انتشرنا عن السفرة، ثم بعدما توضئنا وتوضأ شيخ الإسلام، فلما أتم الوضوء أقبلتُ عليه مصافحاً له، فنظر إلى مستشاره وقال: <sup>(5)</sup> مَنْ يكون الأفندي، فقال له: من مدرسى<sup>(6)</sup> بغداد السيد أحمد اللحاي، فقال لى: أهلاً بك، ثم قال: آتوا له بقهوة ودخان، فقلتُ له: يا سيدي، ما ابتليتُ بالدخان، ثم التفتُ إلى ولدي، وقال: ما هذا الغلام الذي معك؟ فقلتُ له: هذا ولدي وابن عرسى، فقال لى: أين أنت نازل؟ فقلتُ له: يا سيدي بين السماء والأرض، فقال: كل واحد منا بين السماء والأرض، فقلتُ له: يا سيدي أنتم لكم منازل، وأنا لم يكن لى منزل، فقال: ضيافتك عندي، فقلتُ له: يا سيدي لا يمكن؛ لأن الضيافة ثلاثة أيام، ثم التفتُ إلى درس وكيلى<sup>(7)</sup> مصطفى أفندي - وكان جالساً عنده - فقال له: هيئْ له مكاناً، فقال لى: في الخرقَة الشريفة<sup>(8)</sup> أو في اسكدار؟ فقلتُ له: لا يمكنني لأن المحل بعيد، ثم قال: في مدرسة إبراهيم باشا<sup>(1)</sup> فقلتُ له: نعم يا سيدي.

(1) وهو يومذاك الشيخ عرياني زاده أحمد أسعد أفندي، تولّى مشيخة الإسلام في الدولة العثمانية من سنة 1306 إلى 1293 هـ / 1878 - 1889.

(2) في الأصل: فدخلت.

(3) في الأصل: يناول.

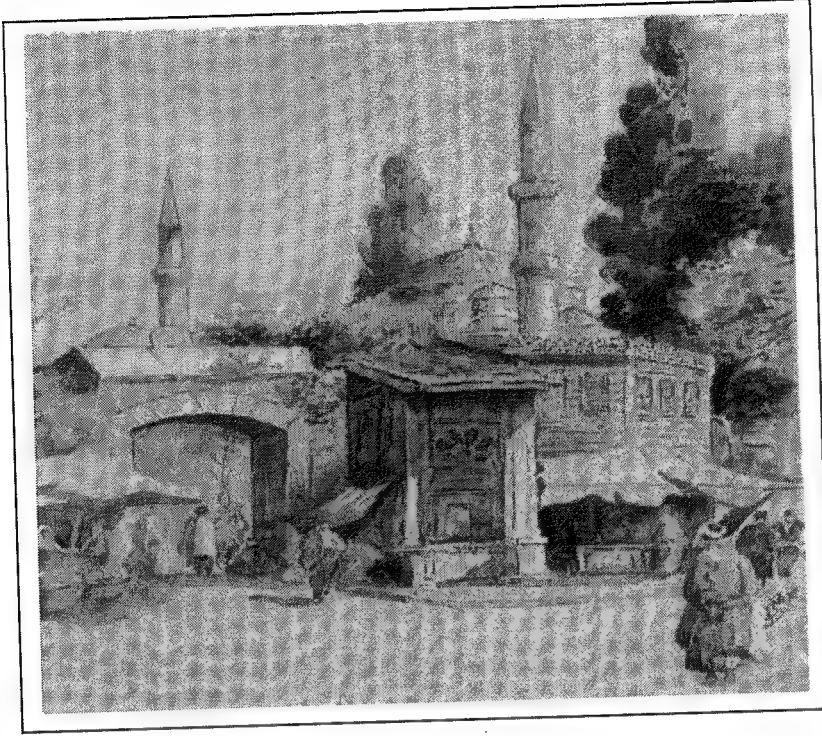
(4) في الأصل: يتسوم في.

(5) في الأصل: فقال.

(6) في الأصل: مدرسين.

(7) أي وكيل الدرس، وهو الموظف المختص بالإشراف على شؤون التعليم الديني وكالة عن شيخ الإسلام الذي يرتبط به هذا النوع من التعليم آنذاك.

(8) هي ما كان يعرف بالبردة الشريفة الثانية، وكانت في مبنى قريب من جامع السلطان محمد الفاتح، يفتح للزيارة وللطعام وللمبيت، قال عبدالقادر آل أبي السعود المقدسي: «هذه البردة



مشهد من استانبول للرسم العراقي عبدالقادر الرسام سنة 1901

فانفردنا منها بحجرة فسكنا فيها أياماً، ثم سمع بنا الشيخ السيد أحمد بيا أفندي الموصلی، فأتى إلى فقال: يا سيدي، كيف تجلس هنا، وأنا في إستانبول، وما تنزل عندي؟ قلت له: يا سيدي، هذه مدرسة الإبراهيمية، قال لي: يا سيدي، التي أنا فيها كذلك إبراهيمية، ثم أمر بنقل متاعنا إلى التكية، وكان هجوعنا في الليل بالتكية فأقمنا في النهار في المدرسة، وأيام العطل نذهب إلى الأصدقاء، منهم صفوت باشا، ونزهت أفندي، وإلى باب المشيخة، وإلى رؤوف باشا وإلى أدرنة، وإلى قدري باشا صدر أعظم سابق<sup>(2)</sup>، وإلى منجم باشي الحاج كامل أفندي، وإلى نصيف باشا ناظر

الناس يعتقدون أنها برده - صلى الله عليه وسلم - ويقال: إنها بردة سيدنا أؤيس القرني - رضي الله عنه؛ رحلة من نابلس إلى إسلامبول، بتحقيقنا، منشورات دار الزمان/دمشق.  
(1) الراجح أنه يقصد دار الحديث التي أنشأها شهزاده باشي في إستانبول، وقد أضاف إليها إبراهيم باشا الداماد، الصدر الأعظم في عهد السلطان أحمد الثالث (1083-1149هـ/1673-1736م) مكتبة مهمة.

(2) في الأصل: سابق صدر أعظم، وهو محمد قدري جناني باشا، تولى منصب الصدارة العظمى من 1 رجب 1297هـ/9 حزيران 1880 إلى 7 شوال 1297هـ/12 أيلول 1880م.

الأوقاف، وإلى درويش الحيدري، ومن أشبه ذلك<sup>(1)</sup>، لا سيما سيدي الشيخ سيد سليمان أفندي الكيلاني، فمضت أيام، وأنا على هذا الدأب.

ثم [إن] سيدي سيد سلمان أفندي عزم عليّ على الرحيل إلى بغداد، فأتيتُ وودّعته وقلتُ له: راشداً مهدياً، وكذلك ودّعتُ أخاه<sup>(2)</sup> السيد أحمد أفندي، وكاتب سرّه ملا حمادي أفندي، ففارقتُ وتوجهتُ إلى القسطنطينية العظمى فهطلت دموعي على خدي، فأتيتُ مكاني وجلستُ في غرفتي، وناديتُ<sup>(3)</sup> ولدي السيد محمد، فقلتُ له: يا ولدي، آتني بماء، فنظر إليّ متغيّر اللون، وقال<sup>(4)</sup>: يا أبتى ما أصابك؟ فقلتُ له: يا ولدي، فراق سيدي السيد سلمان؟ فأتاني بماء ممزوج بسُكّر، فقلتُ له: يا ولدي، أنا أمرتُ بماء، كيف تأتيني بماء ممزوج بسُكّر؟ فقال لي: يا أبتى، لما رأيته متغيّر اللون خرجتُ لأتِي لك بالماء، فرأيتُ جمال أفندي الحكيم، فقلتُ له: إن أبي اعتراه عشق وصباة لمفارقة سيده سيد سلمان أفندي، فقال: أعطه ماءً ممزوجاً بسُكّر، فلما أخذتُ الكأس من يد ولدي وأوردته على شفّتي؛ لم يسغ لي الشراب، وكنتُ أتجرعه كشارب الحمم، وكان جالساً عن شمالي الشيخ محمد وهبي، وعن يميني الشيخ عبدالغني الطرابلسي<sup>(5)</sup>.

فصببتُ الكأس عن شمالي وناولته محمد وهبي، فأنشد الشيخ عبدالغني الطرابلسي:

صددت الكأس عنّا أمّ عمّرو

وَكَانَ الْكَاسُ مَجْرَاهُ الْيَمِينَا

ثم أتى أمير من العساكر المنصورة فأجلسني، واتكأتُ على شجرة شمسية، فرطن بالتركي بما معناه بالعربي: ما دهالك؟ فقلتُ له: لمرافقة سيدي سلمان أفندي، كذلك رطن بالتركي بما معناه: يحق لك ذلك، فنزل عن فرسه وأركبني، وقال لخادمه: اذهب به إلى القسطنطينية، ولم أثب عن صهوة الجواد، وكان الخادم يسندني حتى لا أسقط

(1) كذا في الأصل، يريد من أشباههم.

(2) في الأصل: أخيه.

(3) في الأصل: فناديت.

(4) في الأصل: فقال.

(5) هو الشيخ عبدالغني بن أحمد بن عبدالقادر الرفاعي الفاروقي الطرابلسي، المتوفى سنة

1301هـ/1883م.

عن الجواد، وأتى بي إلى المدرسة، فلما أنزلني أغمى علىّ، ثم اجتمع علىّ المدرسون<sup>(1)</sup> والطلبة، وجاء ولدي محمد، فقال: وأبّاه، فلما سمعتُ صوت محمد أتتني الإفاقة، ثم قالوا: اتّوا له بحكيم، فذهب إلى ملا حسن إلى باب سر عسكر<sup>(2)</sup>، وأخبر صفوت باشا بذلك، فبعث بالعربة وأركبتُ فيها، فذهبتُ إلى دار صفوت باشا، وإذا بالحكيم واقف في الدار ينتظر مجيئي، فمدّ الحكيم يده إلى يدي، ونظر إلى العرق الضارب، فقال: لم يكن فيه شيء إلا عشق وصباية، فقال: ارقوه، وإذا بكريم أفندي، قال: صدق الطبيب؛ هي الصباية، ومحبة لولده عبدالحليم، ففتحت عيني، ثم تكلم من هناك الحاج كامل أفندي مُنْجَمُ باشي، قال: بلغنا عنك [أنك] تقول: عاشق لسيدي سيد سلمان أفندي، فقلتُ له: نعم ذاك مجازي وهذا حقيقة، ثم قال محمد: أمس البارحة أتانا كتاب من تلقائه، فقال: اتّونى بالكتاب، ثم ناوله ولدي محمد الكتاب، فأخذت راحتي واندفع عني إعلان العشق، واللّه أعلم<sup>(3)</sup>.

---

(1) في الأصل: المدرسين.

(2) مصطلح تركي بمعنى قائد الجيش.

(3) في آخر المخطوط تعليقه للناسخ أحمد شمس الدين الألوسي؛ هي: (قد كتبتُ هذه الرحلة على نسخة المؤلف أعلاه، وصنفها ذو الفضل الوافي، والأدب الوافر الكافي، السيد أحمد أفندي اللحافي، كما عليه مسودة الأصل من إملاء وتحرير، وإعراب وبناء، وتقرير وتسطير، غير أنه - عليه الرحمة - لم يُعَوّنَ رحلته بديباج كأمثالها؛ جرياً على عادة نظائرها وأشكالها، وذلك إما كان سهواً منه وتكاسلاً، أو تسويقاً وتجاهلاً، وإني طالما سمعتُ منه يذكرها تبجحاً بها، وإلى ما حوله من اللطائف؛ مشيراً ومنبهاً، فأحببتُ أن أُعَوّنَها بديباجة؛ جرياً على العادة؛ لتكون عند ذوي الألباب مرغوبة مستجادة، وذكر أبياتاً في تقريرها، فيها شطب وتعديل.



## ورود حديقة الوزراء نص غير معروف عن تاريخ بغداد

مؤلف هذا الكتاب هو أبو الكمال مهذب الدين محمد سعيد بن عبد الله بن حسين بن ناصر الدين السويدي البغدادي الشافعي.

ينحدر من أسرة علمية شهيرة، عباسية المحدث، نزحت من بلدة الدور على دجلة في شمال سامراء فسكنت في إحدى محلات كرخ بغداد، وهي الأسرة السويديّة التي خرّجت العشرات من العلماء الكبار، ممن نبّه في مجالات علوم عصرهم في القرون الثلاثة الأخيرة، وكان لبعضهم آثارٌ مهمة في إطار تجديد تلك العلوم، وأكثرهم كان مؤلفاً، له مُصنّفات عدة اشتهرت في الآفاق، فأبوه الشيخ أبو البركات عبد الله بن ناصر الدين السويدي (1104-1174هـ/1692-1760م)، وهو أول من عُرف بهذا اللقب، كان علامة عصره ومُجدّده، اقتحم طريقه في العلم بروح عصامية، فجاع وعمرى في سبيل التحصيل، وجاهد البرد والفقر من أجل الأخذ عن الشيوخ، واتقان ما يأخذ عنهم. وتلقى تعليمه في مدارس بغداد والموصل، وأخذ عن علمائهما، حتى برز بين معاصريه وطار صيته، وقصده الطلبة من كل بلد يأخذون عنه ويتأثرون به. واشتهر بتمثيله الجانب العثماني في المؤتمر الذي عقده نادرشاه في صحراء النجف سنة 1156هـ/1743م، وتسجيله الدقيق لما دار فيه من محاورات. كما قام برحلة طويلة إلى الحج، مرّ فيها بالعديد من المدن في العراق وبلاد الشام والحجاز، والتقى في أشائها بعدد جَم من علماء عصره وأدبائه، وقد سجّل وقائع هذه الرحلة أيضاً في كتاب عنوانه (النفحة المسكية في الرحلة المكية)، فعبر الكتاب عن المدى الرفيع الذي بلغه أدب الرحلات عند العرب في العصر الحديث، بما اكتنزه من معلومات تاريخية ومشاهدات حية في مجالات علم الجغرافيا الطبيعية والبشرية وغيرها. وفضلاً عن ذلك فإنه ألف عدداً كثيراً أخرى في علوم القرآن والحديث وعلم الكلام والأخلاق والردود واللغة والنحو والبلاغة والتاريخ، وغير ذلك<sup>(1)</sup>.

(1) إن أوسع ترجمة لحياته كتبها بنفسه في كتابه (النفحة المسكية في الرحلة المكية) بتحقيقنا، بيروت 2011، ص77-106، وينظر أيضاً محمد خليل المرادي: سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر، القاهرة 1290هـ، ج3 ص86 وعثمان عصام الدين العمري: الروض النضر في تراجم أدباء القرن الثاني عشر، بغداد 1974، ج3 ص93 ومحمود شكري الألوسي: المسك

وأما أخوه الأكبر فهو عبد الرحمن أبو الخير (1134-1200هـ/1720-1786م)، الذي اشتهر بمؤلفاته الجمّة، وأبرزها كتابه (حديقة الزوراء في سيرة الوزراء)<sup>(1)</sup>، وقد أُرِّخ فيه لبغداد، بل أنحاء مختلفة من العراق، في عهد الواليين حسن باشا (1116-1136هـ/1704-1723م) وابنه أحمد باشا (1136-1147هـ/1723-1734م)، وذيل عليه بكتاب آخر تناول فيه الحقبة الممتدة من 1186 إلى 1192هـ/1772-1778م)<sup>(2)</sup>. وقد سدَّ الكتابان فراغاً كبيراً في معلوماتنا عن هذه الحقبة المهمة من تاريخ العراق، هذا عدا مؤلفاته الأخرى في مجالات الفقه والحكمة والعقائد والتصوف والنحو والبلاغة والأدب والشعر والفلك<sup>(3)</sup>.

ولمحمد سعيد أخوة آخرون، أصغر منه سناً، كلهم عُرف بالتدريس والتأليف، هم أبو الفتوح إبراهيم (ولد سنة 1146 ولم تعلم وفاته) وكان أديباً مُحدثاً، له آثار في علم الحديث<sup>(4)</sup>، وأبو المحامد أحمد (ولد سنة 1153 وتوفي سنة 1210هـ/1740-1795م)، وكان «عالماً يَعَجَز عن علمه الواصفون»<sup>(5)</sup>، وله مؤلفات عدة في التصوف والردود والنحو<sup>(6)</sup>، وبنات، هن: أم العفاف سارة، وأم الخير رقية، وأم السعد صفية، وكُن

---

الأذفر في نشر مزايا القرن الثاني عشر والثالث عشر، الرياض 1982، وكتابنا: التاريخ والمؤرخون العراقيون في العصر العثماني، ط2، لندن 2009، ص153-155، وكتبنا دراسة في سيرته ومؤلفاته في مقدمتنا لكتابه النفحة المسكية ص5-44.

(1) كان الدكتور صفاء خلوصي قد نشر قطعة من أوله تختص بسيرة حسن باشا (بغداد 1961،

128ص) ثم حققناه كاملاً ونشرناه (بغداد، مطبوعات المجمع العلمي 2003، 660ص)

(2) حققنا هذا الكتاب ونشرناه بعنوان (تاريخ حوادث بغداد والبصرة) إذ لم يضع مؤلفه عليه عنواناً. (بغداد، الطبعة الأولى 1978 والطبعة الثانية 1987، 168ص).

(3) المرادي: سلك الدرر ج4 ص10 وإسماعيل البغدادي: هدية العارفين في أسماء المؤلفين

والمصنفين، استانبول 1951، ج1/556 والآلوسي: المسك الأذفر ص131-135 وكاظم

الدجيلي: مجلة لغة العرب 2(بغداد 1912) ص280 وعباس العزاوي: تاريخ الأدب العربي في

العراق، بتحقيقنا، بغداد 2001 ج2 ص284 وتاريخ علم الفلك في العراق، بغداد 1963،

ص262 وعبد العزيز سليمان نوار: التاريخ في العراق بين التقليد والتجديد (ضمن كتاب

بحوث في التاريخ الحديث، القاهرة 1976، ص211) وكتابنا: التاريخ والمؤرخون ص180-183.

(4) الروض النضر ج3 ص101 والمسك الأذفر ص136 والعزاوي: تاريخ الأدب العربي، ج2 ص131.

(5) المسك الأذفر ص135.

(6) تنظر في ترجمته المسك الأذفر ص135 وإسماعيل البغدادي: هدية العارفين ج1 ص182

وكتابه إيضاح المكنون ج2 ص635 وعباس العزاوي: تاريخ الأدب العربي ج2 ص133 وعمر

رضا كحالة: معجم المؤلفين ج1 ص288.

متعلّقات أو عالّات، وقد اشتهرت رُقّة بالعلم حتى صارت تمنح عالّات عصرها الإجازات في فروع العلم المختلفة<sup>(1)</sup>.

ولأربعة أجيال في الأقل، تعاقب في الأسرة أبناء اشتهروا في مجالات العلم والأدب<sup>(2)</sup>، ثم عرف بعضهم، ممن عاش في النصف الأول من القرن العشرين للميلاد بالعمل السياسي والوطني، فضلاً عن علوم اختصاصها.

وعلى الرغم من الشهرة العلمية الذائعة الصيت لأولئك العلماء، فإن حيواتهم لم تكن بعيدة عن أحداث عصرهم، إذ أنهم شاركوا مشاركة حقيقية في الحوادث التي عاشها وطنهم، لاسيما في أثناء الأزمات من كوارث بشرية وطبيعية، فكان لعبد الله السويدي مثلاً مشاركته في الدفاع عن بغداد أثناء حصار نادرشاه سنة 1145هـ/1732م، فقد خرج هو وعشيرته لصد المهاجمين وإفشال تعرضهم على سور الكرخ، وشارك بحماسة منقطعة النظير في معركة دفاع باسلة<sup>(3)</sup>، كما شارك في تداعيات تلك الحروب في تمثيله وحده الجانب العثماني في المؤتمر الذي نوّهنا به من قبل.

وعبد الرحمن كان شاباً متحمساً تزعم أبناء الجانب الغربي من بغداد غير مرة، كلما تعرضت المدينة إلى خطر داهم، آخرها ما حدث سنة 1190هـ/1191هـ/1776-1777م، حينما تصدى لمحاولة أفّاق مجهول الأصل، يدعى عجم محمد التوصل إلى منصب ولاية بغداد، مقتدياً بأبيه، طارحاً عنه زي العلماء وهدوئهم، متقلداً سيفه، ليشرع في تنظيم مقاومة فعالة، وفي ترتيب خطط الدفاع كأبي قائد عسكري محنك<sup>(4)</sup>.

وقد أبدى كل منهم ما في وسعه من ضروب مشاركة أبناء مدينته في الحوادث العامة التي كانت تعصف بها بين حين وآخر، فضلاً عن مشاركتهم في الحياة الثقافية، ولذلك السبب، وغيره، كانت لهم صلات علمية واجتماعية واسعة مع علماء عصرهم في العراق والبلاد الإسلامية.

---

(1) النفحة المسكية ص182.

(2) قال إبراهيم فصيح الحيدري «بيت السويدي وهو بيت الحديث والفضل، وقد نشأ فيهم رجال أجّلهم الشيخ عبد الرحمن السويدي مُحشّي تحفة ابن حجر». عنوان المجد في بيان أحوال بغداد والبصرة ونجد، بغداد بلا تاريخ، ص93.

(3) المصدر نفسه ص18.

(4) مقدمتنا لكتابه تاريخ حوادث بغداد والبصرة ص23 ولديوانه الذي حققناه بمشاركة الحاج وليد الأعظمي رحمه الله، بغداد 2000، ص1-29.

فمؤلف هذا الكتاب إذن لم يكن بدّعاء فيما شارك فيه، وشاهده، وسجل وقائعه بقلمه، وإنما اتباعاً والتزاماً بتقليد أسري يجمع بين العلم والتأليف والتدريس، وبين المشاركة، أو الزعامة، في الحياة العامة بكل ما يعنيه ذلك من أعباء ومسؤوليات.

وعلى الرغم من منزلته العلمية وقول مترجميه بأنه كان «مُشاراً له بالبنان، ممتازاً بين أقرانه بالفضل والعرفان»<sup>(1)</sup>، فإن معلوماتنا عن مجريات حياته لا تتناسب مع تلك المنزلة، وسبب ذلك يكمن في أن مترجميه وهم من العلماء أيضاً، كانوا يأنفون عن ذكر مشاركة أمثالهم في الشؤون العامة، تصوراً منهم أنه لا يليق بالعالم أن يشارك في غير أمور العلم والشرع، من درس وتدريس وإفتاء وتأليف، فجاءت تراجم هؤلاء فقيرة من جوانب كثيرة، بعيدة عن صخب الحياة الدائرة من حولهم، وكأنهم يعيشون في خارج الحياة نفسها. ويقف محمد سعيد أنموذجاً على اجحاف المؤرخين في الترجمة لأعلام عصرهم، إلا من المعلومات القليلة التي يختارون هم أن يُبرزوها لقرائهم دون غيرها من المعلومات الأخرى، التي تكمل معالم صاحبها ودوره إنساناً مثقفاً متفاعلاً مع ما حوله، ولذا كان لزاماً علينا أن نكمل هذه المعلومات القليلة بما كشف عنه الكتاب الذي نشره اليوم، وما تناثر في كتابات أخيه عبد الرحمن وشعره، من جوانب غير معروفة من حياته، سكت عنها مترجموه.

وغاية ما تمدنا به هذه المصادر أنه ولد في بيت أبيه في بغداد سنة 1141هـ/1728م، وقد كتّاه أبوه بأبي السُّعود، كما كنى أبناءه الآخرين، جرياً على عادة العلماء في ذلك العصر، تفاؤلاً بمستقبله، وتأثر هو بتقاليد أسرته العلمية، فبدأ الدرس على يدي علماء مدينته، ثم ارتقى فيه مجالاته على يد أبيه، وهو العلامة الذي تُشَدُّ إليه الرحال، فنال منه الإجازة بالتدريس، كما نال مثله من عالمين آخرين، هما الشيخ عبد القادر المكي الحارثي، والشيخ علي الأنصاري، وربما من غيرهم ممن لم تصلنا أسماؤهم.

وشاءت الأقدار أن تتعرض بغداد إلى حصارات قاسية ضربها عليها حاكم إيران عهد ذاك نادرشاه، وكان هو في الخامسة عشرة من عمره يوم حاصر نادر شاه بغداد سنة 1156هـ/1743م، وكان أخوه عبد الرحمن يتولى رعايته في غيبة أبيه، حتى أنهما اضطررا إلى مغادرة منزلهما في الجانب الغربي والنزوح إلى الجانب الشرقي حيث

(1) المسك الأذفر ص 131.

أقاما في حجرة في جامع الشيخ العاقولي، وهما في أكثر ما يكونا حنيناً إلى بيتهما القديم وجيرانهما هناك<sup>(1)</sup>.

وكان محمد سعيد معجباً - كسائر أسرته - بوالي بغداد القوي أحمد باشا، وكان الأخير يُقدّر للأسرة خدماتها، لا سيما في أثناء الحصارات الماضية، وموقف عميدها في مؤتمر النجف، وهو ما كان يدفع ببعض الناس إلى أن يقصده كي يعرض له، بأسلوبه البليغ، طلبه إلى الوالي المذكور، حتى أنه مدحه بقصيدة مطولة «على لسان بعض الأصدقاء يستمنح الوزير بها حين أخنى عليه الدهر بكلّكّه..»<sup>(2)</sup>، وشارك أخاه المذكور في نظم قصيدة في شكر الوالي ومدحه بمناسبة إهدائه فرساً إلى أبيه سنة 1159هـ/1746م<sup>(3)</sup>، ولم يكن يتجاوز آنذاك الثامنة عشر من عمره، مما دل على تفتح مبكر لمواهبه الأدبية.

أكمل محمد سعيد دراسته على أيدي علماء عصره، والراجح أنه عمل مدرساً في بعض مدارس بغداد، شأنه شأن أبيه وأخوته، وأظهر تفوقاً متميزاً في علم الفقه لأننا وجدناه يؤلف كتاباً مستقلاً في أحكام التقليد، ثم أنه اختير ليشغل إفتاء الحنفية في النجف وكربلاء، هذا مع أنه نفسه كان شافعيّاً وهكذا كان أبوه وأخوه الأكبر عبدالرحمن.

وحينما توفي والي بغداد والبصرة وتولى صهره، وأبرز مماليكه، سليمان باشا (أبو ليلة) الولاية من بعده، وكان يومذاك في البصرة سافر محمد سعيد إلى بغداد مستقلاً السفينة التي أقلت موكب زوجته عادلة خاتون بنت أحمد باشا وأختها عائشة خاتون وأتباعهما.

وفي بغداد شهد محمد سعيد جواً سياسياً مضطرباً، فسليمان باشا ماض لتولي السلطة، يؤيده زملاؤه من مماليك سيده السابق، وواليتها يسعى بكل سبيل إلى إقصائه عنها، وأهل بغداد منقسمين بين هذا وذاك، فكان أن انضم إلى جانب سليمان باشا، وحينما وصل فرمان تعيينه والياً، كان هو، وأخوه، من أوائل المهنتين.

اتسمت حياة محمد سعيد في أثناء ولاية سليمان باشا بالدعة والاستقرار، مشمولاً برعاية عادلة خانم زوجة الوالي والحاكمة الحقيقية للولاية، وكان من آثار

(1) ديوان السويدي ص12

(2) ديوان السويدي ص35

(3) ديوان السويدي ص60

ذلك الاستقرار أن تزوّج، وهو في السابعة والعشرين من عمره، فتكفلت عاذلة خاتون بنفقات الزواج كله. يقول «وفي هذه تزوجت بأُم أولادي الموجودين، وذلك سنة ثمانية وستين بعد المائة والألف، وأرسلت عاذلة خانم إليّ النقد، وما تحتاج العروس والعرس من كل شيء بالزيادة»<sup>(1)</sup>.

وجاءت وفاة سليمان باشا سنة 1175هـ/1761م، لتبدّد مظاهر الإستقرار، ليس على مستوى أسرة محمد سعيد فحسب، وإنما على مستوى العراق كله، فقد انفجر صراع عنيف بين نوابه (كُتْخُداواته) السبعة، المرشّحين بحكم مناصبهم إلى شغل منصب الولاية، فكان «كل واحد من هؤلاء يتمنى من قلبه أن يكون هو الخلف لسليمان باشا»<sup>(2)</sup>، ووجد السويديون، ومنهم المؤلّف، أنفسهم منحازين إلى أحدهم، وهو علي باشا، فالرجل كان هادئاً إذا قيس بالآخرين، وقد تعرّف إليه المؤلّف في مقرّه حينما كان ضابطاً للحسكة (الديوانية) على نحو مباشر في أثناء بعض أسفاره. قال «وكان في ذلك الوقت أكبر من كثير من الوزراء غير وزير بغداد هيئة ونظاماً وعدداً وعدّة واستعداداً، فألزماني بالبقاء والمكث عنده ثلاثة أيام»<sup>(3)</sup>.

ويظهر أن أعجابه بشخصه، وما وقرّ في قلبه من احترامه، أدى إلى مساندته في الوصول إلى السلطة بكل سبيل، بعد أن كاد علي باشا أن يبأس منها إثر معارضة خصومه. يقول «مضيتُ أنا وبعض المتعنيين من أهل الجانب الغربي، فرأيناه وأتباعه بلا أكل، ولا أحد يتجرأ أن يمضي اليهم ليبيعهم، ولا أحد من أتباعه يتجرأ ينزل إلى البلد يشري شيئاً، فأرسلنا إلى بيوتنا وبيوت معارفنا وأحبابنا أن يأتوا لنا بكل ما لديهم من مأكول، حتى ما أعدّ كلّ لعشاه، وأهل بغداد يخبزون كل وقت خُبْزاً قلماً يكفي يومين، فجاءوا لنا وقت صلاة المغرب بأطعمة كثيرة نفيسة تصلح له ولأتباعه، فأكل الكل وشبعوا، والباقي تصدّق به على الشحّاذين، وبإيعناه عنا وعن كل أهل الجانب الغربي، أن له ما لنا وعليه ما علينا، ويحارب له أهل الجانب الشرقي كلهم. ففرح وعرف أنه صار باشا جديداً، فشكرنا وجئنا منه، فلما سمع بفعلا أهل الجانب الشرقي انحلت عزيمتهم، فأطاع أكثرهم في الليل، ومضوا إلى خدمته، وهو لم يَنَمْ تلك الليلة فرحاً»<sup>(4)</sup>.

(1) المخطوط الورقة 16ب.

(2) رسول حاوي الكركوكلي: دوحة الوزراء في تاريخ وقائع بغداد الزوراء، ص 133.

(3) المخطوط، الورقة 21ب.

(4) المخطوط، الورقة 19 أ.

لم يكن غريباً إذ أن يرفض محمد سعيد المشاركة الحملة النفسية والإعلامية التي قادها الكتّخداوات لعزله بعد نحو سنتين من توليه منصبه. وأنف، وأخوه، أن يضعاً ختميهما كغيرهما من المدرسين وخطباء الجوامع على عريضة رفعت إلى الدولة تُلصق به من التهم ما يدعوها إلى عزله، قال «وختموا العَرَض - أي العرضحال- حتى عند جميع المدرسين وخطباء الجوامع، وأنا وأخي اعتذرنا بضَياع خواتمنا، فختموا عند من تسمّى كإسمينا»<sup>(1)</sup>.

ولا ندري على وجه التحديد موقف محمد سعيد من تولي عمر باشا السلطة، إثر اغتيال سلفه علي باشا، وكان عمر هذا شديداً بطاشاً، لكنه مع ذلك زوج عائشة خانم بنت أحمد باشا، وأخت عادلة خانم، صاحبة الأيدي البيض عليه، والراجح أن أعمال عمر باشا العنيفة، لاسيما ضد آل الشاوي، وهو الذين تربطه به صلات الولاء والجيرة، وقتله عبد الله بك الشاوي، لم تُبق شيئاً من التقدير له. وها هو يصف الشاوي بالشهيد<sup>(2)</sup>، مما دل على إتهامه الباشا ضمناً بالظلم، وقد وَصَفَه بأن لسانه وقت الغضب فحاش<sup>(3)</sup>، وذكر في هذا الكتاب أنه لما نفى عمر باشا دفتر دار بغداد عثمان أفندي العمري إلى الحلة، وهو يضمّر له الإعدام، لم يجد حرجاً في أن يقصده بالزيارة متفقداً صحته، متعاطفاً معه فيما هو فيه من عنت<sup>(4)</sup>.

داهم الطاعون بغداد سنة 1186هـ/1772م، فاضطر وأخوه، إلى مغادرة بغداد والنزوح إلى الحلة، فالبصرة، وحينما أدرك الوباء تلك المدن أيضاً، تركها متوجهاً إلى الكويت، وهي القرين كما يسميها، حيث استقبله، وأخاه، أهلها استقبالا يليق بكرامتهما العلمية، وعاشا بين ظهرائهم أياماً هائلة بين وعظ وتدريس<sup>(5)</sup>، ولما انتهى الطاعون عاد الأخوان إلى البصرة، وإذا بأخيه يُصدع بأمر من والي بغداد بتولي منصب الإفتاء والقضاء فيها، فاضطر لقبول هذا التكليف مرغماً، أما محمد سعيد فقد لزم أخاه ولبث في البصرة هو أيضاً، ولا ندري ماذا كان يفعل في هذه الأثناء إلا أن مرضاً أَلَم به جعله يكره الإقامة فيها.

(1) المخطوط، الورقة 21 أ.

(2) المخطوط، الورقة 25 ب.

(3) المخطوط الورقة 22 ب.

(4) المخطوط الورقة 22 أ.

(5) المخطوط الورقة 27 أ.

متعاطفاً مع هذا الوالي بعد عهد من الفوضى، لا سيما وأن بطولة سليمان باشا في دفاعه عن البصرة، وخبر أسرته في إيران على يد كريم خان الزند، تزيد من دواعي تأييده، وليس صعباً أن نجده يثني على صفاته وأنه «عامل الناس بالعدل لا الجور والإضرار»<sup>(1)</sup>.

وفي المرة الثانية، غادر محمد سعيد بغداد سنة 1202هـ/1787م قاصداً الحج، فدخل حلب، ثم دمشق، وكان ذلك في غرة رجب من ذلك العام، ونزل في ضيافة صديقه الشيخ مفتي الشام المؤرخ محمد خليل المرادي (المتوفى سنة 1206هـ/1791م)، حيث قضى لديه أياماً هانئة رخيّة. وفي تلك الأيام قام، بتشجيع من المرادي، بتأليف هذا الكتاب كما سنذكر ذلك. وبلغ من إعجابه بصديقه المؤرخ الكبير أن نسب نفسه إليه وإلى مدينته حباً وولاءً، فقال في آخر كتابه أنه «البغدادي ثم الدمشقي ثم المرادي».

وانحدر من دمشق إلى مصر ليلتقي بعلمائها وليستجيزهم، وقصد القاهرة حيث التقى بالعلامة السيد مرتضى بن محمد الزبيدي مؤلف (تاج العروس في شرح القاموس)، فانتفع كلُّ بصاحبه، قال الزبيدي «عَمَرْنَا بفوائده وأمتعنا بصنوف موائده من كل فن غريب»، وقد أجازته السويدي بالرواية عن شيوخه النُبل، وكذلك أجازته الزبيدي- بالمقابل- بكل مؤلفاته، ومنها (التاج) وشرح إحياء علوم الدين المسمى (إتحاف السادة المتقين بشرح أسرار إحياء علوم الدين)، و(المقاصد العنيدية في المشاهد النقشبندية) وذلك في 10 ذي الحجة من سنة 1204هـ/1789م<sup>(2)</sup>.

عاد محمد سعيد إلى بغداد بعد سنتين قضاهما في سفر وإقامة وترحال، وكان عمره قد تجاوز الستين عاماً، فاستقر في بيته حتى وفاته.

وذكروا أن وفاته جرت في سنة 1203هـ/1788م<sup>(3)</sup>، مع أنه لم يكن إذ ذاك في بغداد، لأن تاريخ تأليفه هذا الكتاب - الذي نقوم بنشره الآن- هو في سنة 1204هـ/1789م، وكان يومها في دمشق، وأن تاريخ إجازة الزبيدي له في القاهرة كانت في هذه السنة، ولا ندري تاريخ عودته إلى وطنه بعد هذا التاريخ على وجه التحديد، وثمة رواية تحدد وفاته في سنة 1213هـ/1798م، وأخرى تقول أنها حدثت سنة

(1) المخطوطة، الورقة 40 أ.

(2) نشر عز الدين علم الدين هذه الإجازة في مجلة المجمع العلمي السوري، المجلد 8، ص752.

(3) المسك الأذفر ص139 ومحمد سعيد الراوي: تاريخ الأسر العلمية، بتحقيقنا، بغداد، ط2.

2007 ص190.

1223هـ/1808م<sup>(1)</sup>، ونحن لا نطمئن إلى هذه التواريخ جميعاً لأن المؤلف وعد في نهاية كتابه هذا أنه حينما يمن عليه الله بالعودة إلى وطنه فإنه سيحرر «ذيلًا مطوّلًا» للكتاب، ويرسله إلى صديقه الشيخ محمد خليل المرادي في دمشق، أي أنه كان يعد بتكملة الكتاب بما سيجد من حوادث جرت بعد توقفه عنه، لكنه لم يفعل، ولو كان حياً لفعل، وذلك للمنزلة الرفيعة والتقدير العميق الذي أبداه تجاه من وعدّه بذلك، ولكننا وجدنا ابنه الشيخ علي هو الذي يقوم بتلك المهمة فيؤلف كتاباً في تاريخ بغداد.

ونعلم أن وفاته حضرت وهو في داره في بغداد، لأنه دفن في مقبرة الشيخ معروف الكرخي، حيث يسكن بالقرب منها. ومما يلفت النظر في هذه الترجمة، على قصرها، ما ذكره الألوسي من أنه كان «سلفي العقيدة»<sup>(2)</sup>، مع أن من مؤلفاته كتاباً في الطريقة النقشبندية، ويظهر أن الألوسي استند في رأيه على حفظه للحديث الشريف، وإنه «كان محدثاً عالماً متقناً، متقناً فيه»<sup>(3)</sup>، هذا مع أن كثيراً من معاصره من العلماء كان يجمع بين كونه محدثاً وبين إعجابه بالطريقة النقشبندية دون غيرها من الطرق، وذلك لأن هذه الطريقة، كما جدد قواعدها الشيخ خالد النقشبندي المعاصر له (توفي سنة 1242هـ/1728م)، كانت تؤكد على أتباعها ضرورة دراسة العلوم الشرعية، ومنها الحديث بوجه خاص، وقد انتمى إليها الكثير من العلماء لقدرتها على الجمع بين (جناحي الشريعة والطريقة) كما قيل.

أعقب محمد سعيد أبناء ذكوراً هم الشيخ حسين، والملا علي، وعبد الله، وأحسن تربيته وتعليمهم حتى وصفهم من عاصره «وكل من هؤلاء قد بلغ من الفضل منتهاه»<sup>(4)</sup>. وأبرز هؤلاء الشيخ علي، فقد كان «أعلم أهل عصره في عصره بالحديث»<sup>(5)</sup>، وله التأليف القيمة، لعل أبرزها (العقد الثمين في بيان مسائل الدين) الذي نقد فيه بدع عصره بجرأة ملحوظة، وألف كتاباً في تاريخ بغداد، «أحسن فيه وأجاد»<sup>(6)</sup>، متأسياً بعمه عبد الرحمن، وبأبيه كما سنبذكر ذلك، وتوفي سنة 1237هـ/

(1) عبد الحميد عبادة: العقد اللامع بآثار بغداد والمساجد والجوامع، ص 507.

(2) المسك الأذفر ص 131.

(3) المصدر نفسه والصفحة.

(4) المسك الأذفر ص 139.

(5) المصدر نفسه ص 140.

(6) المسك الأذفر ص 140-146.

1821م<sup>(1)</sup>. وعلي هذا هو والد المؤرخ الأديب محمد أمين السويدي، صاحب المؤلفات الكثيرة<sup>(2)</sup>، ومنها كتاب (سبائك الذهب في معرفة قبائل العرب) الذي نال الشهرة العريضة في عالم الأنساب<sup>(3)</sup>.

وله أيضاً بنت سماها عاتكة، زوّجها من ابن عمها محمد بن عبد الرحمن السويدي.

وقد ألف بعض المؤلفات، ذكر منها إسماعيل البغدادي<sup>(4)</sup> كتاباً في الأدب سماه (دُرّة الأبحار في علم الأشعار)، إضافة إلى كتابه (التقليد في أحكام التقليد) الذي ألفه من قبل.

كما أن له بعض القطع الشعرية التي دلت على رقة طبعه وعذوبة لفظه، ومنها تشطيره لقصيدة البُرْدَة الشهيرة، وقيل أنه لما نظمها برئ من آلام أصابته نتيجة سقوطه من سطح منزله. منها<sup>5</sup>

أمن تذكّر جيران بذي سَلَم      أسلمت قلبك في سَلَم بلا سَلَم  
وقُل في صدق هذا الحال إنك قد      مرّجت دمعاً جرى من مقلّة بدمي  
أم هبّت الريح من تلقاء كاظمة      تثير ما في الحشا للوجد من ضرم

---

(1) عثمان بن سند: مطالع السعود بطيب أخبارالوالي داود، ص268، ومختصره لمحمد أمين الحلواني ص47 وأبو الثناء الألوسي: غرائب الإغتراب ص15 والمسك الأذفر ص140-146 ونعمان الألوسي: جلاء العينين في محاكمة الأحمديين ص27 وعلي علاء الدين الألوسي: الدر المنتثر ص140 وعبد الحميد عبادة: العقد اللامع ص215 ومحمد سعيد الراوي: تاريخ الأسر العلمية ص164 وهدية العارفين ج1 ص773 [مختصر] تذكرة الشعراء للشهراباني، بتحقيق الكرمل، وكتابنا: التاريخ والمؤرخون في العصر العثماني ص215-216 و . Brockelmann, S.II., 782, 58

(2) ينظر عنه المسك الأذفر ص149-152 والدر المنتثر ص87 وهدية العارفين ج2 ص164 والدجيلي، مجلة لغة العرب (بغداد 1912) ص15 والعزاوي: تاريخ الأدب العربي ج2 ص48 وتاريخ علم الفلك في العراق ص268 والزركلي: الأعلام ج6 ص267 وبحشنا: محمد أمين السويدي دفين بريدة، في الجزء الاول من هذا الكتاب.

(3) طبع على الحجر ببغداد سنة 1280هـ، ثم أعيد طبعه في بومبي بالهند، على الحجر، سنة 1296هـ، وأعيد طبعه مراراً في القاهرة وفي بغداد بالتصوير.

(4) هدية العارفين ج2 ص138.

(5) المسك الأذفر ص138.

فأرعد الرعدُ من صوت الحداة دجىً وأومض البرق في الظلماء من إضم  
ومن شعره يتشوّق فيه إلى منزله في كرخ بغداد<sup>(1)</sup>:

يا ليلة الكرخ عودي لي بذي سلم لا زال بدرك مع ظلماك في سلم  
أفدي سُويعَة بشر منك إذ رجعت كرائم المال من خيل ومن نَعَم  
يا ليلة في أراضيك الشמוש سمّت إلى السما فمحت ما فيك من ظلم  
جعلت ذكراك ذكرى كي أذكر ما بي مُذكّر تأنيث الجوى السقم  
إن لم تعودى وإن العود أحمد في باقي البقا فبقائي فيه كالعدم  
يا ليلة بحمى بغداد ذات حمى سقى أديمك هطّال من الديم  
واشترك مع أخيه عبد الرحمن بنظم قصيدة واحدة، يحن فيه إلى أيام الصبا،  
ويظهر تبرّمه من دهره، بما فيه من ألم فراق وبعاد، وقد وضعنا شعره بين قوسين  
كالآتي<sup>(2)</sup>:

وذا ت طرف ناعس	(يرمي بنبل من لهب)
كانه سيف إذا	(ما سلّ أراك العجب)
(من ذات ثغر باسم)	قد زانه ذاك الشنب
وإلي وكم أغرت بنا	(وكم رمتنا في نصب)
وكم لهجر أظهرت	(فكم لها فيه أرب)
يا ويح دهر كم له	(من حدثان ونوب)
(كنا بعيش راغد)	فهل لتفريق سبب
(آه لأيام مضت)	في الكرخ في تيك الصحب
(وكم قضينا مأرباً)	وكم نفينا من كُرب
تباً لدهر خاننا	(قد نالنا منه تعب)

(1) المصدر نفسه ص138.

(2) ديوان عبد الرحمن السويدي، ص182.

كَأَنَّهُ فِي غَفْلَةٍ      (مُذْ نَحْنُ كُنَّا فِي طَرْبِ)  
 (يَا دَهْرُ يَكْفِينَا الَّذِي)      (أَرَيْتَنَا مِنْهُ الْعَجَبِ)  
 تَبَّتْ يَدَاكَ مِثْلَمَا      (تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبِ)

وله قصيدة نظمها بمناسبة تولية صديقه محمد خليل المرادي منصب الإفتاء في دمشق، منها<sup>(1)</sup>:

دمشق الشام صار لها مَزِيدُ      من الفرح الذي أبداً يَزِيدُ  
 وَسُرَّ الخلق إذ كل ترجأ      مُنَاهُ وفوق الله يستفيد  
 وذلك حيث في رمضان وافى      ببشرى منصب الفتوى البريد  
 لسيدنا الجليل خليل مجد      مُرَادِي إن سئلت من المجيد  
 فعمّت جلقاً أفرأح      وسابق عيدها غيدٌ وعيد

أما داره التي طالما تغنى بها في الكرخ، وحن إليها في أثناء غيابه عنها، فقد ورثها عنه ابنه محمد أمين السويدي، ووصفت بأنها ذات طبقتين عليا وسفلى، فاتخذ ابنه المذكور من طبقتها العليا المطلة على الطريق، مجلساً يجلس فيه للتدريس «فغدت روضة من رياض العلوم، أغصان أشجارها مفتحة أنوار وأزهار الأدب فيها مبعث الأنوار»<sup>(2)</sup>. وحينما تضعضع بنيانها جدد عمارتها فعرفت بمدرسة السويدي، ولبثت من مدارس الكرخ المشهورة حتى وفاة محمد أمين سنة 1246هـ/1830م.

### هذا الكتاب

ذكرنا أن مصادر ترجمة السويدي نُوِّهت ببعض عنوانات مؤلفاته، ولم يكن بينها هذا الكتاب، فضلاً عن أنه لم يؤثر عنه أنه كان مؤرخاً، أو معنياً بالكتابة التاريخية بأي حال من الأحوال، إلى أن وقفنا على هذه المخطوطة في مكتبة جستر بتي في دبلن في أيرلندا، وهي تحمل العنوان المَطْوَّل الآتي (ورود حديقة الوزراء بورود وزارة مواليتهم

(1) أثبت محمد خليل المرادي هذه القصيدة كاملة في كتابه (عرف البشام فيمن ولي فتوى دمشق الشام)، تحقيق محمد مطيع الحافظ ورياض عبد الحميد، دمشق 1988، ص 187.

(2) السيد محمد سعيد الراوي: خير الزاد في تاريخ مساجد وجوامع بغداد، ص 493-495.

في الزوراء) وقد كتب في صدرها أنها من تأليف (الشيخ الفاضل المُفَنِّن<sup>(1)</sup>) الشاعر الأديب أبي الكمال مهذب الدين سعيد بن عبد الله بن حسين بن ناصر الدين البغدادي الشافعي الشهير بابن السَّوَيْدي - حفظه الله - وهو بخطه الشريف)، فعلمنا أنه لم يكن أقل من أخيه عناية بكتابة التاريخ، بل إن تميز عنه ببعض الجوانب.

وإذا كان أخوه عبد الرحمن قد كتب تاريخ العراق من خلال سيرة والييه القويين حسن باشا وأحمد باشا، فغطى بذلك حوادث السنين من 1116-1160هـ/1704-1747م، فإن ما أراده محمد سعيد هو تكملة الحوادث التي جرت على وطنه بعد وفاة أحمد باشا. وعنوان الكتاب نفسه يكشف عن الأطار الذي أراده له، ومع أن العنوان جاء مشابهاً لعنوان كتاب أخيه (حديقة الزوراء في سيرة الوزراء) وفي الغالب فإنه تعمد ذلك، فإنه كشف به الإطار الذي أراده لكتابه، فالحديقة هي وطنه بغداد، والوزراء، هما والياها المذكورين، والذين وردوها من (مواليهم) هم مماليكهما الذين تولوا السلطة من بعدهما، وواضح أن العنوان جاء مُعَبِّراً عن مضمونه إلى حد كبير.

كتب المؤلف كتابه وهو بعيد عن وطنه، وهو أمر مكنه من أن يعبر عن رأيه في شخوص الحوادث التي كتب عنها بصدق نادر، لم يكن ليحصل لو أنه كتبه في كنف بعض ولايته أو أتباعهم، كما أنه كتبه لدوافع علمية بحثية، بتشجيع من مؤرخ دمشق الشهير محمد خليل المرادي، فلا مصلحة له مطلقاً فيما يكتبه عن أولئك الشخوص، ولا خوف عليه أو حرج إن ذكر من الحقائق ما أساء إليهم، ومن المؤكد أن المرادي لم يملك دافعاً لتشجيعه ضيفه إلا حب المعرفة التاريخية لا غير، مثلما فعل حينما شجّع صديقه عبد الرحمن الجبرتي في القاهرة أن يكتب تاريخ مصر، وقد جرت العادة أن يكتب مؤرخو العصر كتبهم أما نزولاً لرغبة ولاية ذلك العصر أو أمرائه أو أتباعهم، مثلما فعل أخوه عبد الرحمن حينما كتب تاريخ العراق بناء على طلب خديجة خانم بنت قره مصطفى باشا، وكتب عثمان بن سند (مطالع السَّعُود) بطلب من والي بغداد داود باشا، وكتب رسول حاوي الكركوكلي (دوجة الوزراء) بطلب منه أيضاً. أو - في الأقل - رغبة في إهدائه إلى ذاك الوالي أو هذا الأمير، تكسباً أو تقريراً، كما فعل ياسين العمري في معظم مؤلفاته التاريخية، أما أن نتاح الفرصة لمؤرخ أن يكتب ما يكتب لا عن رهبة أو رغبة، وإنما لاستجلاء الماضي، فهذا أمر نادر الحدوث فعلاً، ويزيد من القيمة العلمية للكتاب دون ريب.

(1) المفنن تقابل الفنان في لغتنا العصرية.

والكتاب بعد هذا يعتمد شهادة عيان مؤلفه، فهو لم يسجل غير الحوادث التي رآها بعينه<sup>(1)</sup>، أو كان لصيقاً بمجرياتها، فلم يعتمد على روايات نقلها إليه آخرون، مهما كانوا، بل لم يتأثر بوجهات نظرهم لأنه لم يلتق بهم أصلاً في أثناء كتابته لتاريخه، اتباعاً لتوجيه محمد خليل المرادي، فقال «حيث لم يُمهني إلى مكاتبه من اعتمده في بغداد، ورَضِي من كَرَم طبعه الشريف بما يخطر في الفكر ويحضر في الفؤاد، فامتثلت أمره العالي»<sup>(2)</sup>، والاستثناء الوحيدان في الكتاب كله رواية دقيقة وفريدة لحوار دار بين سيدتين عن سر لم يُعرف، نقلتها له أخته رُقيّة، وهي سيدة عالمة مُحَدِّثة، جديرة بالثقة، ورواية أخرى عما جرى في البصرة بعد مغادرته للعراق، نقلها إليه ابنه الوحيد مكاتبه، وقد صرّح باسميهما بوصفهما مصدر تلك الروايتين، التزاماً بالأمانة العلمية.

ويختلف أسلوب محمد سعيد السويدي عن أسلوب أخيه، وأبيه من قبل، اختلافاً بيناً، ففي الوقت الذي كان هذان معنيان بتزويق عبارتهما باتخاذ السجع، والمبالغة في الالتزام به، لم يشأ صاحبا أن يقيّد نفسه به، فكتب ما كتب دون سجع، فضلاً عن المحسنات البديعية التي اعتاد كتاب العصر على استعمالها، وهو لم يشغل نفسه باتخاذ الكلمات الحوشية، والمفردات الغريبة، إظهاراً لمُكنته في الأدب، كما فعل أبوه وأخوه وغيرهما من المؤرخين المعاصرين<sup>(3)</sup>، وإنما فضل أن يكتب بأسلوب سهل، يقرب أن يكون عامياً في بعض المواضع، لا تكلف فيه ولا صنعة. كما أنه لم يزين كلامه بأبيات من الشعر، له أو لغيره، كما هي عادة كتاب ذلك العصر، مع أنه نفسه كان

(1) من ذلك أنه حينما وصل محمد باشا التريكي إلى بغداد قادماً من الحلة وكان يقسم الميري، أي حصة الحكومة من الحاصل «كيفما كان» كان هو يرقب المشهد بنفسه قال «وأنا إذ ذاك فيها مع الواقفين على الأبراج، فوصل ضحى ونحن نراهم عياناً، ونزلوا غربي بغداد القديمة مقدار ساعة، مثل عمله في الحلة». الورقة 17. وحينما قدم (محضر) إلى بغداد بشأن سليمان باشا والي البصرة يعلن عن عزله، قال «ورأيتُه بعيني وسمع أذني يقول للناس جهراً»، ولما اجتمع هذا المحضر بأبيه عبد الله السويدي كان المؤلف ثالثهما. الورقة 13ب.

(2) المخطوط، الورقة 1ب.

(3) ظل استخدام السجع والمحسنات البديعية يمثل الأسلوب السائد في مجال كتابة التاريخ والسير، فضلاً عن استعمال الألفاظ الحوشية والتعبيرات المتكلفة، والأشعار التي تحتاج ألفاظها إلى شرح وبيان، ولم يجر التخفف من هذه المؤثرات الأدبية إلا في النصف الثاني من القرن التاسع عشر. التاريخ والمؤرخون العراقيون ص 66.

شاعراً جيداً، وله أشعار بمناسبات تاريخية شتى، ولكنه أراد لقلمه أن يسترسل في الحديث عن الحقبة التي يؤرخها دون قُطعه بأبيات أو قصائد مهما كان قائلها، متقيداً بتوجيه المرادي، قال «وأعفاني - حفظه الله- من ذكر ما قيل فيهم من مליح المديح»<sup>(1)</sup>.

من الكتاب نسخة مخطوطة يتيمة بخط مؤلفها، كتبها سنة 1204هـ/1789م، تحتفظ بها اليوم مكتبة جِسترِتي في دبلن بإيرلندا، تحت العدد 3551، وتقع هذه النسخة في 44 ورقة، وهي بخط نسخ معتاد، في كل صفحة 23 سطراً، وفي كل سطر ما معدله 11-12 كلمة. وقد تبدو المخطوطة في أول وهلة في حال جيدة، إلا أن قراءة متمعنة فيها تظهر أن عيوباً كثيرة تَعْتَوِرُها، من ذلك أن المؤلف لم يعدها غير مسودة، فعاملها على هذا الأساس، حيث كشط، أو مسح، كلمات، أو أجزاء من سطور، بغية أن يكتب بديلاً أفضل في مواضعها، فكتب حيناً وأحجم، أو أجل ذلك، في أحيان أخرى، فظلت تلك المواضع بياضاً، أو حروفاً مطموسة فلا تُقرأ. ومع أنه كتب في الهوامش بعض الكلمات أو العبارات البديلة، إلا أنه استخدم حبراً باهتاً، أو رديئاً، ضاعت معه معالم تلك الكلمات والعبارات، حتى بات من الصعب قراءتها. ومن ناحية أخرى، فإنه كتب أحياناً كلمة صحيحة فوق أخرى أراد حذفها، لضيق المكان، فضاعت الكلمتان معاً، فلم تعد تقرأ، أو تقرأ ولكن بفسر شديد. ثم أنه استعمل حبراً في كتابته زادت فيه نسبة الصمغ الذي يخلط عادة به لتثبيته، فما كان من الكلمات التي كتبت بهذا الحبر إلا أن التصقت بأمثالها في الصفحة المقابلة، فطمس بعض حروفها.

ومن المؤكد أن هذه النسخة لم تجد طريقها إلى بغداد، فقد أودعها - فيما يظهر- لدى صديقه ومُضيفه بدمشق المؤرخ محمد خليل المرادي، والعبارة التي على ورقة العنوان وفيها الشاء الكثير عليه ( الشيخ الفاضل المُفَنِّن الشاعر الأديب أبي الكمال مذهب الدين .. إلخ) هي بخط المرادي لا خطه، وفي آخرها ورقة مستقلة عليها تمليكات لأناس كلهم من الشاميين على ما يبدو<sup>(2)</sup>، آخرها مؤرخ في سنة 1250هـ/1834م<sup>(1)</sup>.

(1) المخطوط، الورقة نفسها.

(2) في هذه الورقة ما يأتي:

- 
- 1- بيتان من الشعر، نصهما :  
في عام تسع بعد الألف والمائتين مع الثلاثين أجمعهم حجل (٩) يا زين  
طلع خبر في دمشق يا زاكي الفرعين ظهر محمد حبيبي الهادي المهدين  
نظر فيه وتأمل معانيه الحقير الفقير إلى الله تعالى السيد سليم بن المرحوم الحاج عبد الوهاب  
بيك التزري (الترزي) غفر الله له وإلى والديه وإلى كل المسلمين أجمعين آمين 1250
- 2- بيتان عاميان غير واضحي المعنى.
- 3- تملك (جناب حضرة أخونا الأعز الأكرم حميد الشيخ سيد السيد أحمد جلي الطاراني)
- 4- (جناب حضرة أخونا الأعز الأكرم المحترم سيدي السيد صالح السيد سليم جلي)
- 5- جناب ..ليدي السيد سليم جلي السايحة (1250)
- (1) حققنا هذا الكتاب وعلقنا عليه وصدر عن دار الزمان بدمشق سنة 2012.

## قراءة في مخطوطة نزهة الادباء للسهروردي

نزهة الادباء في تراجم علماء ووزراء واشراف مدينة السلام الزوراء، عنوان لكتاب ضم تراجم نخبة من البغداديين الذي عاشوا في أخريات العصر العثماني، ألفه عالم بغدادي نابه، هو الشيخ محمد الأمين بن عبد الرحمن العباسي السهروردي، المتوفي سنة، وما زال الكتاب حبيس نسخة وحيدة بعضها بخط مؤلفه والبعض الآخر بخطوط اقارب له.

### المؤلف

ترجم له الشيخ محمد صالح بن سليم السهروردي (1310-1376هـ/1893-1957م)، ترجمة ضافية أوردها في آخر النسخة الخطية من الكتاب، وهي:

هو الواثق بالله محمد الأمين أبو نافع، أحد أجلة علماء بغداد المشهورين في العلم والأدب والفضل، بن العلامة أبو الخير الناصر لدين الله عبد الرحمن بن العلامة اقضى قضاة بغداد، الشيخ العباسي الجليل محمد عبد المحسن السهروردي طريقة.

كان أتم أهل عصره ظرفاً، وأشفهم رقةً ولطافة، له طبع كما راق نسيم السحر، وحسن منظر لا يقنع منه النظر. وقد رقت باللفظ شمائله، وراقت لبصائر المجتلين خمائله، وكان شاعراً معجباً عارفاً لطيفاً منقياً، حسن المطارحة، ذا براعة ومهارة فائقة، كم له في ميدان مبارزة العلماء اليد الطولى، وفي المعميات القدر المعلى.

ولد -رحمة الله تعالى- في بغداد في محلة تحت التكية<sup>(1)</sup>، إحدى محاليل<sup>(2)</sup> جانب الرصافة، سنة الالف ومئتين واثنين وخمسين للهجرة<sup>(3)</sup>. وترى في حجر والديه تربية

---

(1) محلة قديمة عرفت في العصر العباسي بالمقتدية نسبة إلى مستحدثها الخليفة المقتدي بالله العباسي (467-487 هـ)، وربما شملت هذه المحلة جانباً من محلة قنبر علي أيضاً، ثم عرفت في العصور التالية بتحت التكية، نسبة إلى تكية قديمة كانت تقع في آخر محلة قنبر علي، فسميت المنطقة التي تلي هذه التكية بتحت التكية، أي ما دونها موقعاً، ومن معالم هذه المحلة مسجد حسب الله الذي كانت تحيط به بيوت أسرة المؤلف. عبد الحميد عبادة: العقد اللامع بآثار بغداد والمساجد والجوامع، بتحقيقنا، بغداد 2005، ص 284 وكتابنا: الأصول التاريخية لمحلات بغداد، بغداد 2005، ص 37.

(2) المحاليل جمع محلة عند البغداديين.

(3) الموافق أولها 17 نيسان 1836م.

الأشراف والملوك، ثم قرأ القرآن الكريم وتأدب بأدبه على من اشتهر في بغداد من المُقرئين، ثم انتقل بطلب العلوم على العلامة الشيخ حبيب الكُروي<sup>(1)</sup>، ولازمه ملازمة الليل للنهار، حتى صار من المشار اليهم في العلوم العقلية والنقلية، كالفقه والحديث والتفسير والهيئة والمناظرة والحساب والهندسة والأدب والأصول والخط والإنشاء. ثم أجازته المومى اليه إجازة مطلقة كما هي العادة عند علماء بغداد. وقرأ أيضاً على الشيخ الداغستاني<sup>(2)</sup>، وعلى المُحدث الكبير داود النقشبندي<sup>(3)</sup> وغيرهم. كان ذكياً سريع الانتقال، حاد الذهن، غزير المادة، عاقلاً ذا رصانة وتوعدة، قوى الحافظة. ثم أخذ علم التصوف على الشيخ داود المذكور، فأجازته هذا بكل ما أجزبه، وكان يُقدِّمه على جميع تلامذته، ويرفع له مكانه، وأخذ علم الخط على الشيخ حكيم الإسلام، ذي الفنون البديعة، والمقامات الرصيفة، المشهور بخلفة عبد الله<sup>(4)</sup>، فصار به عليه أشهر من نار على علم، بل أنه ابن مُقلّة لحُسنه وبِداعة نظامه.

كان - رحمه الله تعالى- خطيباً محققاً ناثراً مبدعاً ناظماً مساجعاً حسن الصوت، وقد افتتن به كثير من الولاة حيث أنه يخيل للسامع أنه صوت داود عليه السلام، ذلق اللسان فصيحاً، ذربه، يسحر الناس بعباراته، ويفتتهم بإشاراته، لين العريكة، قوي الجنان، ثابت الإيمان، حافظ القرآن، سلامة القلب سجية له، وعظم الحلم من مقدمات صفاته.

كان - رحمه الله تعالى- أَعْيَر الناس على دينه، وأقواهم بالمدافعة عن كيانه. كريم النفس طيِّبها، طلق اليدين حتى ليبيذل جميع ما لديه، يقرئ الضيف ولا يخامرهم في مثل هذا أدنى حيف. كان كثير الاعتماد على الله تعالى، صبوراً في أعماله، وكان عظيم الأمانة، كربه الخيانة، سهلاً لمن لاينه، صعباً على من خاشنه. وكان - رحمه الله تعالى- موضع ثقة الولاة، محترم الجانب لدى الفضلاء، وكان بلبل المجالس، هزار الأندية والمدارس.

(1) عالم، محدث، توفي سنة 1295هـ/ 1878م ترجم له المؤلف في هذا الكتاب.

(2) لم نقف على ترجمته، ولم يترجم له المؤلف ضمن أساتيد هذا الكتاب.

(3) من كبار علماء بغداد، ذو نزعة صوفية، وله مناظرات فكرية، توفي سنة 1299هـ/ 1881م، وله ترجمة مستقلة في كتابه هذا.

(4) عالم، مدرس، عارف بفنون الحكمة، توفي سنة 1280هـ/ 1863م. ترجم له المؤلف في هذا الكتاب.

وقد ألف كثيراً من الكتب العظيمة في شتى العلوم، غزيرة الفائدة، عظيمة العائدة، منها (إعراب القرآن الكريم) ومنها (المقصد لتلخيص ما في المرشد) و(القول الفرد في أسماء وفضائل أهل بدر) و(إعراب الأجرومية) و(حاشيته على شرح خالد الأزهرى). وله هذا المؤلف<sup>(1)</sup>، وله ديوان خطب، وديوان شعر يدل على ما له من قريحة فياضة، وخيالاته سحرية....<sup>(2)</sup>، وله الأقوال الحكمية، حلل فيه الأمثال وفوائدها. وله حواش على كثير من كتب الأصول والحديث، وله شرح أربعين حديثاً في الاختلاف، والتمسك بالفضائل<sup>(3)</sup>. هذا غير ما له من الرسائل والكتب التي خاطب بها بعض أمراء الهند وولاية الدولة العلية في بغداد وغيرها، فيما لو جمعت لخرجت كتاباً عظيماً جم الفائدة، وله تاريخ في آثار بغداد جاء فيه عن كل ما شاهده من الأريطة والمعاهد الدينية ورجالها، وما كانت عليه قبل أن تكون على ما هي عليه، وله تذيل على تاريخ حوادث بغداد لجده الأعلى القاضي الشيخ صلاح الدين، قاضي بلدة الدور وسر من رأى وحاكم إقطاعها<sup>(4)</sup>.

كان جده المذكور -رحمه الله تعالى- قد جمع فيه كل ما حدث أيام الولاية في العراق، وجرى عليهم، وخروج العشائر على الدولة، وظهور الثورات، وما جرى لهم من المظالم وغيرها في البلاد.

وكان - رحمه الله تعالى- عضواً في محكمة الإستئناف [في] بغداد، ثم صار حاكماً في سامراء، ثم نقل إلى الكفل، وكان مدرساً وإماماً وخطيباً في الحضرة السهروردية ببغداد، وإماماً ومدرساً بجامع أبي النجيب السهروردي<sup>(5)</sup> أيضاً، وكل ذلك بإرادات شاهانية سلطانية.

(1) يقصد كتاب (نزهة الأدباء) هذا.

(2) هنا كلمة غير واضحة.

(3) وله من المؤلفات، غير ما ذكر هنا، ما نوه به محمد صالح السهروردي في كتابه (لب الألباب، بغداد 1933 ص258): تفسير مُشكل القرآن، ومجموعة في الأدب.

(4) في لب الألباب أن «هذا الكتاب استعاره بعض العلماء من الفاضل عبد المحسن أفندي أخي المترجم ليطلع على ما فيه وبقي عنده عدة شهور غير أنه بعدما راجعه المومى إليه وطلب إعادته إليه اعتذر... وتوفي الكتاب بوفاته».

(5) هي المدرسة التي أسسها الشيخ أبو النجيب عبد القاهر بن عبد الله البكري السهروردي (المتوفى سنة 563هـ)، وتولى التدريس فيها في السنوات 545-547هـ وذلك قبل أن يتزهد، وينقطع مع جماعة من أصحابه إلى العبادة والتصوف في رباط له قريب. واستمر التدريس

وكان في جميع أدواره حكماً عادلاً لا يقول إلا فضلاً، ولا ينطق إلا صواباً، عُدَّت فعالة على رأسه إكليل الإمارة، تجده مرة في تلك البلدة حاكماً، ومرة واعظاً زاجراً، يقلد المعتصم في حكمياته، والرشيد في عزمه وهيئته. كيف لا وهو ابن بجدتها، وسيد عشائرها، غير أنه لما كان عربياً عريقاً في المجد والسؤدد، وله روح وثابة، يود إعادة الحكم الى بني العباس. وكان ناصر بعض شيوخ آل جربة من شمر سنجار، والجبور في أعالي الخابور، والبدرخانية<sup>(1)</sup> في ديار بكر، على بث هذه الفكرة في العراق، ولهم به صلة من أيام أبيه وجده عبد المحسن.

وكان قد وُشي به لدى الوالي تقي الدين باشا<sup>(2)</sup> فعزله عن الأمر، وكفَّ يده من العمل في جهة سامراء، وعيَّنه في [ذي] الكفل سنة 1297 هجرية<sup>(3)</sup>، بدعوى أن الحكومة لم تجد أحزم منك، وأمضى سهماً، فكان منه الإجابة الى الطلب، وقد خاب مسعاه من كل وجه.

وكان -رحمه الله تعالى- السبب الوحيد في عمارة جامع الإمام أبي حنيفة، حيث أنه هو الذي رغب الوالي في عمارته. كما أنه هو الذي وضع خارطته بالشكل الحالي، وقد كانت عمارته تحت نظارته حتى تم على ما هو عليه اليوم<sup>(4)</sup>.

وقد كان رُبع القامة، عريض الوجه مُدَوَّر، أحمر الوجنتين، كبير العينين أكحلها، أفتى الأنف، كث اللحية أبيضها، أسيل الخدين. يشبه بعمته هرون الرشيد، مقوَّس الحاجبين، يخلب القلوب منظره، وتأخذ بالألباب عبقريته ورشاقته، مُهاباً لا يلبث ان

---

في هذه المدرسة حتى العصر الحديث، واتخذ فيها مسجد، فصارت تعرف بمسجد أبي النجيب، أو نجيب الدين، وبعد توقف التدريس الديني فيها اتخذتها الأوقاف مدرسة متوسطة وثانوية تقوم هي بإدارتها، ثم ألغتها، واتخذتها دائرة لمديرية أوقاف بغداد، ثم أخلتها فشغلتها دوائر أخرى، وفي 2003م أعيد تعميرها كلياً ليشغلها بعض الأقسام العلمية التابعة لمؤسسة بيت الحكمة، بينما أضيفت بعض حجراتها إلى مبنى الإعدادية المركزية المجاور. كتابنا: مدارس بغداد في العصر العباسي ص 116-122 وخير الزاد في تاريخ مساجد وجوامع بغداد، بتحقيقنا، بغداد 2006 ص 364، والعقد اللامع ص 154.

- (1) آل بدرخان أمراء بوتان، وهي جزيرة ابن عمر.
- (2) الأصح في سنة 1298 هـ لأن ولاية تقي الدين في بغداد، وهي الثانية، بدأت من 28 محرم 1298 إلى 4 رجب 1304 هـ/3 كانون الأول 1880-25 آذار 1887م وقد ترجم لتقي الدين في هذا الكتاب.
- (3) الموافق أولها 14 كانون الأول 1879م.
- (4) هذه هي العمارة الشاملة التي أمر بها السلطان عبد العزيز، وتضمنت تجديد الجامع وتوسيعه، وقد شرع بها في سنة 1288 هـ/1871م وتمت في سنة 1293 هـ/1876م، في أيام جلوس السلطان عبد الحميد. محمد سعيد الراوي: خير الزاد، ص 30-31.

يقف أمامه أحد، لا يغضب إلا لله، ولا يُحب إلا له وحده. راوية للحديث والشعر وأخبار العرب، سيما حوادث دول بني العباس -رحمهم الله تعالى وعفى عنهم- وكان لا يجلس فوقه أحد من أشراف بغداد، ويخشونه من كل وجه. وكان يجالس الندماء، وله مجلس أدب ومطارحة. وتخرج به خلقٌ كثير، ويدخل على الولاة من دون إذن ولا حجاب.

أعقب ولدين من الذكور: المستكفي بالله محمد نافع، ونور الدين، غير أن الأول سلك مسلك الجندية، فصار قائداً في المدفعية، وسلك الثاني مسلك الكتابة في المحاكم، فصار رئيس كتاب محكمة البداية في بعقوبة وغيرها من البلاد، ومن الإناث السيدة حليلة والسيدة عطية والسيدة صفية والسيدة عائشة. ولما توفيت سنة 1312هـ<sup>(1)</sup> دفن في رواق مصلى جامع الشيخ شهاب الدين عمر، على الدكة، عند باب سلم المحفل<sup>(2)</sup>، وأقيمت له التعازي في بغداد، ورثاه الشعراء، فرحمه الله تعالى رحمة واسعة.

### أهمية الكتاب

تتجلى أهمية هذا الكتاب في أن مؤلفه قدم لنا عدداً من تراجم أعلام عاش أغلبهم في بغداد في القرن التاسع عشر، ومنهم من عاش في القرن الثامن عشر أيضاً، والأكثر أهمية أن أولئك الأعلام لم يكونوا من العلماء فحسب، كما جرت عادة مؤلفي كتب التراجم في ذلك العصر، وإنما كانوا أيضاً من فئات أخرى ندر أن ترجم لهم أحد، منهم اداريون وزعماء قبليون بل وموسيقيون وقراء مقام، وهذا التنوع الشديد في الأصول الاجتماعية لأولئك المترجمين، هو الذي كان سبباً في إطالة عنوان الكتاب على نحو ظاهر ليشمل «علماء ووزراء وأشراف ثم أدباء وأغنياء مدينة السلام الزوراء»<sup>(3)</sup>.

(1) يوافق أولها 4 تموز 1894م.

(2) أنشئ هذا الجامع عند مرقد الشيخ شهاب الدين أبي حفص عمر بن محمد بن عبد الله البكري السهروردي (المتوفى سنة 632هـ، والمدفون في مقبرة باب أبرز عند باب الظفرية، وهو الباب الوسطاني اليوم)، ولا يُعلم تاريخ إنشائه على وجه التحديد، ولكن توجد كتابة أثرية على باب المرقد تشير إلى تجديده سنة 735هـ، ولا دليل على وجود الجامع في ذلك التاريخ. وقال السيد محمد سعيد الراوي واصفاً إياه «هو جامع قديم، رحب فناءؤه، واسع مصلاه، يقصده الناس في الجمع والأعياد للصلاة فيه، خصوصاً في أيام الربيع والخريف والشتاء، عند عدم الأحوال، وفيه مدرسة عند الباب في الطبقة العليا، مطلة على الصحراء، وفيه حجر لإقامة الفقراء، وعلى باب طاق، وفيه طارمة واقعة في الجهة الشمالية، وفيه سقاية يجيء إليها ماء دجلة من دجلة بكرد يستقي من دجلة..» خير الزاد ص 307-308.

(3) أجرينا اختصاراً جزئياً في هذا العنوان المطول، فحذفنا (ثم أدباء وأغنياء) فلفظ أدباء تكرر في مطلع العنوان (نزهة الأدباء) وأما (أغنياء) فلم يترجم المؤلف في كتابه أحداً على وفق غناه فحسب.

وفي أكثر هذه التراجم لا يقتصر المؤلف على تقديم المعلومات التقليدية المعتادة عن أصحابها، وإنما نراه يسعى لتقديم صورة متحركة مفعمة بالحيوية والمواقف من خلال نشاطاتها في مجتمعتها، لا سيما في ظل المتغيرات الجسيمة التي شهدتها بغداد، بل والعراق عامة، إثر انتهاء نظام المماليك وسقوط آخر ولاته داود باشا على يد الحملة العثمانية التي قادها علي رضا باشا اللاز، وما رافق هذا الحدث من عنف واضطراب، ترافقا مع كارثتي الغرق الداهم وفشو الطاعون الجارف في المدينة. وبعض أولئك الأعلام لم يترجم لهم أحد، ومن ثم يتخذ ما كتبه عنهم أهمية خاصة، وبعض آخر نجد لهم ترجمة في كتب العصر، لكن يبقى ما كتبه هو عنهم مفيد بسبب ما تضمنه من اشارات جديدة وملاحظات غير مسبقة.

وفي الكتاب فوائد جمة، تتجاوز ما يتضمنه من تراجم، فقد تطرق فيه مؤلفه إلى أمور شتى من الحياة السياسية والاجتماعية والثقافية في بغداد في خلال القرنين الأخيرين من عصر الدولة العثمانية في العراق، من ذلك أنه تضمن إشارات ذات شأن إلى معالم من خطط بغداد لم تكن تعرف من قبل، منها اشارته إلى بعض محلاتها وضواحيها، ومنها محلات: تكت التكية، والحيدرخانه، والمهدية، والصابونجية، والكولات، والفضل، والشيخ العاقولي، وبوب الشام، كما أشار إلى قلعتها الداخلية، وسراي ولاتها، وبعض ثكنات الجند فيها، وقلعة القرنيتين، وما كان في أرضها من مبان عباسية. كما أنه نوه بسقاياتها، ومنها سقاية سري باشا في الميدان، وساقية حسين باشا السلاحدار، وتطرق إلى مساجدها، ومنها مساجد الحيدرخانه، وحسب الله، والشيخ عبد القادر الكيلاني، والشيخ عمر السهروردي، ومعروف الكرخي، والوزير، وغيرها. ومن مدارسها: مدرسة الشيخ صندل، والسليمانية، والخاتون، ومن تكاياها: تكية البندنجي. ومن مؤسساتها ومعالمها القديمة الأخرى: أبواب وأسوار وسداد.

ومن الناحية الاجتماعية والسياسية، كشف الكتاب عن انتفاضات القبائل العربية ضد سلطات الولاة، لا سيما انتفاضات قبائل العُبيد، والخزاعل، والمنتمق، والعقيل، وبيّن دوافعها، كما تناول أيضاً دور الإمارة البابانية في سياسة المماليك، بل دور الكرد عامة في التأثير على مجرى الأحداث في العراق عهد ذاك. والمؤلف، على الضد من أكثر مؤرخي المدن، شديد التعاطف مع هذه القبائل بيدي تفهما خاصاً لدوافع زعاماتها في تحدي السلطات، ولذلك نجده يترجم لنماذج من تلك الزعامات

على نحو يتسم بالاحترام. وفي المخطوطة اشارات أخرى إلى قبائل وأسر عديدة أخرى، منها المليّة، والجبور، والكروية، والقراغول، وحرب، والصلبية.

ومن جهة أخرى، قدم الكتاب تفاصيل مهمة عن التشكيلات العسكرية في العراق، النظامية منها كالينكجيرية، وغير النظامية كاللاوند، وأورد - عَرَضاً - أسماء عدد من المناصب العسكرية، مثل: الكتخدا، والأغوات، والتفنكجية، وغيرها. كما تحدث عن الأسلحة النارية التي استخدمتها القوات العسكرية وما أصابها من تطوير في ذلك العهد، من ذلك مثلاً قوله عن والي بغداد داود باشا «هو الذي أمر أيضاً بجلب البنادق التي هي خلاف ما بأيدي العسكر، وكانت تعرف بالششيخان<sup>(1)</sup> وغيره من نوع أبي الفتيل، وجلب من بلاد الافرنج المصانع والصناع لعمل الأسلحة والتدريب».

وفي الجانب الاقتصادي، أورد المؤلف قائمة بأسعار السلع المختلفة في سوق بغداد، في أثناء الفوضى التي شهدتها بغداد في فترة فراغ السلطة إثر انهيار نظام المماليك، وأشار إلى بعض العملات المتداولة، منها: القرش، والقرش الرائج، والأوزان المستعملة في سوق بغداد، ومنها الوزن، والأقة، والبشنك، وغير ذلك من الفوائد الكثيرة.

وتحدث عن الحياة السياسية في بغداد في عهد المماليك شبه المستقل، وفي خلال مرحلة انتقال السلطة إلى الحكم العثماني المباشر، ومواقف الزعامات المحلية، من العلماء، والأشراف، والتجار، من ذلك الانتقال، وما رافقه من عنف واضطهاد. وقد أبدى تعاطفاً واضحاً مع تلك الزعامات، يصل إلى حد الانتماء الكامل لمواقفها في صراعها ضد السلطة العثمانية المباشرة، وهو إن أبدى نوعاً من العطف على حكم داود باشا، آخر المماليك، فذلك لأنه كان يمثل نزوعاً مشروعاً نحو تحقيق شيء من الاستقلال عن تلك السلطة التي بدت أكثر عنفاً وظلماً منذ أول يوم استعادت فيه حكم بغداد سنة 1247هـ/1831م.

(1) الشيشخان نوع من البنادق في سطح سبطانته الداخلي ستة خطوط طولاً تساعد على دفع القذيفة باتجاه الهدف، وهي تختلف عن البنادق القديمة بأنها مزودة بالزناد اللازم لالهاب البارود، على خلاف تلك البنادق ذات الفتيل عن أنها مزودة بالحرية (السونكي) غالباً، وقد استمر استعمال هذا النوع من البنادق حتى سنة 1840م، إذ بدأ استبدالها بالبنادق ذات الكبسول. عبد الرحمن علي: تذكارات الشجعان في إصابة النشان، القاهرة 1288هـ، ص 92.

تناول الكتاب حقبة زمنية ترامت على قرنين، وقسم من هذه الحقبة، وهي التي شغلت القرن الثالث عشر (التاسع عشر للميلاد) كانت قريبة من عهد المؤلف، عاش أحداثها وعاصر شخوصها بنفسه، وقسم آخر أبعد زمناً، شغل معظم القرن الثاني عشر للهجرة (الثامن عشر)، وبينما اعتمد في المدة التي عاصرها على ملاحظاته المباشرة، والروايات التي سمعها بنفسه، فإنه عمد في المدة التي سبقت على الإفادة مما كتبه أبوه وجده من وثائق وكتب، بوصفها شهادات عيان لما حدث في ذلك العصر. ويأتي كتاب جده محمد عبد المحسن العباسي السهروردي، في تاريخ بغداد في مقدمة مصادره التي اعتمد عليها، وهو المعنون (تاريخ حوادث بغداد الجديدة) الذي ذُيل فيه على ما دونّه والده، ومن قبله جده الشيخ صلاح الدين، قاضي بلدة الدور وسر من رأى، وقد سماه (تذيل على تاريخ حوادث بغداد)، وتناول فيه «أيام الولاة في العراق، وما جرى عليهم. وخروج العشائر على الدولة، وظهور الثورات، وما جرى لهم من المظالم وغيرها في البلاد». وكتابه (الوقائع العراقية) وهو في الموضوع نفسه<sup>(1)</sup>، وقد صرح هو بأنه «عولتُ على كثير من المواضع التي جاءت في هذا الكتاب، عليه وعلى الكتب التي تبودلت بين جدي وبينه (يريد داود باشا) رحمهما الله تعالى». وميز بوضوح ما نقله عنه إذ نجده يقول «إنتهى من تاريخ جدنا العلامة الشيخ عبد المحسن». كما اعتمد على مؤلفات أبيه عبد الرحمن حلمي إذ نجده ينقل خبراً عن زيارة العالم المدني جمل الليل بغداد فيقول «هذا ما كتبه عنه والدي عليهما الرحمة والرضوان» وحينما تحدث عن الطاعون الذي داهم بغداد سنة 1247هـ/1831م قال «ذكر جدي العلامة في تاريخه (حوادث ووقائع بغداد) أنه بلغ يومياً عدد الأموات بالطاعون ما فوق العشرة ألف ميت، وكان يصلى على كل ألف جنازة مرة واحدة»..

وموطن أهمية هذا المصدر أنه تضمن نصوص ما كان يرسله مؤلفه الى داود باشا من رسائل يصف فيها احوال بغداد بعد عزله عنها، وكان داود يعيش آنذاك معزولاً في استانبول، وبالطبع فإن تلك الرسائل كانت أشبه باليوميات التي تتحدث عما يجري في المدينة أولاً بأول، وقد سبق أن اعتمد عليها أبو المؤلف، وكان مؤرخاً أيضاً، وهو عبد الرحمن حلمي العباسي السهروردي في كتاب له لم يسمه، وسميناه

نحن (تاريخ بيوتات بغداد في القرن الثالث عشر للهجرة)<sup>(1)</sup>، وهذا ما يفسر بعض أوجه التشابه بين ما كتبه مؤلف (نزهة الأدباء) وما كتبه والده المذكور، حينما يتحدث كل منهما عن الوقائع التي رافقت عزل داود ونفيه.

### خطة الكتاب

رتب المؤلف تراجمه، وتبلغ نحواً من أربعين ترجمة، على وفق حروف الهجاء، لكنه اضطر إلى الخروج على هذا المنهج بسبب عدم وقوفه على تراجم تغطي جميع هذه الحروف، فوقع في شيء من الارتباك، وأخذ يرتب مترجميه تارة بحسب أسمائهم الأولى، وتارة بحسب ألقابهم، وأخرى بحسب كُناهم. وتختلف هذه التراجم من حيث وفرة التفاصيل أو قلتها، بحسب الدور الذي أدته في حوادث عصرها من جهة، وما يمتلكه عنها من معلومات من جهة أخرى. ومن الملاحظ أن السلطة لم تكن معياراً له في طول ترجمة صاحبها، صحيح أنه ترجم لعدد من الولاة، أبرزهم داود باشا، آخر المماليك، إلا أن سليمان بك الشاوي، وهو نائر تمرد على السلطة نال حظاً من الترجمة يزيد على أولئك الولاة طولاً ووفرة. ولم يُعن المؤلف كثيراً بتعيين تواريخ الحوادث في حياة من يترجم له، فهو يغفل أحياناً عن ذكر تواريخ وفيات مترجميه، فضلاً عن ولاداتهم، أو أن يتركها بياضاً بانتظار أن يثبتها فيما بعد لكنه لم يفعل، ومخطوطة الكتاب لا تعدو أن تكون مسودة له، وواضح أنه لم يخرجها إلى البياض.

وفيما يأتي قائمة بأسماء المترجمين

رقم الترجمة	اسم المترجم
	حرف الألف
1	الشيخ أحمد الحافظ
2	أحمد زكي باشا العمري
3	أسعد الحيدري
4	إسماعيل باشا

(1) طبع ببغداد سنة 1996، 144ص.

5	أمين الموصلى
	حرف التاء
6	تقى الدين باشا
7	تيمور الملى
	حرف الثاء
8	ثوينى السعدون
	حرف الجيم
9	جمل الليل
10	جميل
	حرف الحاء
11	حافظ باشا
12	حامد الآلوسى
13	حييب الكروى
14	حسن الزوزوجى زاده
15	حسن المهداوى
	حرف الخاء
16	خالد باشا اللاوندى
17	خزاعة العراق
18	خلفة عبد الله
19	خلفة عبد الله بن محمد
20	خليل المقدسى
	حرف الدال
21	داود النقشبندى

22	داود باشا
	حرف الراء
23	راشد السعدون
24	رباز المغنى
	حرف السين
25	سليمان الشاوى
	حرف الصاد
26	صبغة الله الزيارتى
27	صبغة الله الحيدرى
	حرف العين
28	عبد الباقي الآلوسى
29	عبد الرحمن الآلوسى
30	عبد الرحمن بن عبد المحسن العباسى
31	عبد السلام الشواف
32	عبد العزيز الشاوى
33	عبد الغفار الأخرس
34	عبد الغنى بن عبد المحسن العباسى
35	عبد القادر بن عبد المحسن العباسى
36	عبد الفتاح الشواف
37	عبد اللطيف الزهير
38	عبد الله بهاء الدين الآلوسى
39	عبد الله السويدي
40	عثمان بن سند

41	عيسى البندنجي
	حرف القاف
42	قاسم البياتي
43	قاسم الغواص
	حرف اللام
44	لطف الله كاتب الديوان
	حرف الميم
45	محمد أمين العمرى
46	محمد سعيد الأخفش
47	محمد بن صالح العساي
48	محمد صالح بن عبد المحسن العباسى
49	محمد بن عبد المحسن العباسى
50	محمود الألوسى
51	محمود النقيب
	حرف النون
52	نامق باشا
	حرف الياء
53	يحيى المزورى

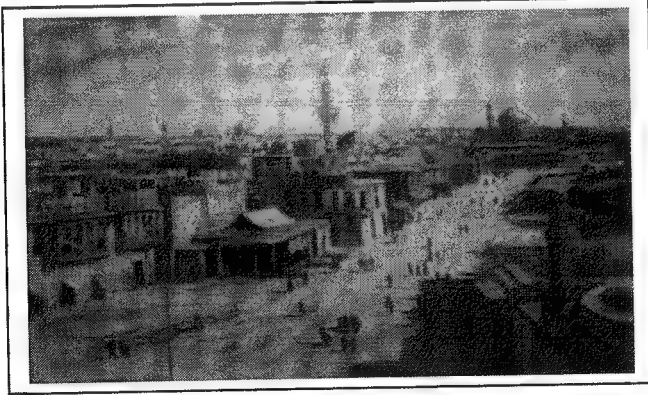
### أسلوبه

أسلوب المؤلف خال غالباً من المحسنات والتكلف، إلا في المواضع التي يعتمد فيها الشئ على مترجم ما، فيأتي حينذاك بعبارات مسجوعة في وصف محاسن ذلك المترجم وإطراء مناقبه، أما في سرده للحوادث فهو سريع في العرض سرعة تدافع الأحداث نفسها، فلا تستطيع أن تضع فاصلة بين عباراته، أو أن تتوقف هنيهة بين كل جملة وأخرى، وإنما هي تتصل ببعضها لتعبر عما حدث وتصفه بسرعة ظاهرة.

وأسلوبه، في هذا، أقرب إلى أسلوب الصحفيين الذين ينقلون الخبر إلى قرائهم بصورة مباشرة غير عابئين بتزويق أسلوبهم أو تزيينه بشعر أو نحوه، باستثناء ألفاظ التفخيم التي يجزلها أحياناً على بعض مترجميه من العلماء، لا سيما من رجال أسرته. بل أننا نجده يعتمد التقليل من شأن بعض العلماء، بإظهار فقرهم الشديد، أو حاجتهم إلى عون أرباب السلطان، بالتقرب إلى هذا الوالي أو ذاك. وفي أحيان قليلة نجده يسمح لنفسه أن يطلق القلم في ثلب عالم لمجرد ضغينة يحملها في صدره ضده، أو ضد أسرته، هذا في حين نجده شديد الإعتداد برجال أسرته، يذكر ثراءهم وعلمهم ومكانتهم الإجتماعية الرفيعة كلما ترجم لأحد منهم.

### مخطوطة الكتاب

تقع مخطوطة الكتاب في 160 ورقة، كل منها في 19×26 سم، كتبت بخطوط مختلفة، فالأوراق 1- 31 بخط ناسخ ليس هو المؤلف، والأوراق 31-93 بخط آخر، والأوراق 93-160 بخط ناسخ ثالث، ولا تفسير لهذا الأمر إلا أن يكون تلقاً أصاب القسم الأول من المخطوطة، والقسم الأخير منها، فأكمل أولهما واحد، وأكمل آخرهما آخر، نعتقد أنه الشيخ محمد صالح السهروردي، لمعرفتنا بخطه من آثار أخرى له اطلعنا عليها.



الشارع المؤدي الى الميدان ببغداد، في آخر الصورة حيث منتهي الشارع يظهر جامع الاحمدية (المشيد سنة 1211هـ) وعن اليمين، في مقدمة الصورة، جامع الازيك، بمئذنته الصغيرة، وتوجد وراء قلعة بغداد، وعن يسار الصورة جامع المرادية المقابل للقلعة

وواضح أن الأسطر الأولى من خطبة الكتاب ليست للمؤلف، فهي تبدأ بإطناب الشاء عليه من كاتب آخر، ولا نعرف هذا الكاتب، وعلى أية حال فهو ليس محمد صالح. وقد كتب في الورقة الأولى منه العبارة الآتية (لمؤلفه وجامعه اللوذعي الأديب، ذي الحسب الرفيع، والنسب المنيع، العلامة الكبير، واللغوي الشهير، صاحب التاريخ، ومؤلف إعراب القرآن الخطي، الوثائق بالله، أبي نافع، محمد الأمين بن العلامة الشيخ عبدالرحمن العباسي ثم السهروردي المتوفى 1312 هـ) وفي الورقة الأخيرة عبارة ختامية تقول «وقد كمل والحمد لله إنشاء هذه التراجم في أوائل ذي الحجة سنة 1290 في المدرسة السهروردية، والحمد لله أولاً وآخراً، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين». وهي بخط يختلف عن خط عبارة العنوان المذكورة.

وتوجد في آخر المخطوط ترجمة للمؤلف في ست أوراق، بخط الشيخ محمد صالح السهروردي، والراجح أنها من إنشائه، يليها أرجوزة في 59 بيتاً، نظمها محمود بن الشيخ عبد الكريم المجموعي الخطيب في جامع الزبير بين العوام في بلدة الزبير، في نسب أسرة المؤلف، وقد فرغ منها في 15 من شهر رجب سنة 1361هـ/28 تموز 1942م.

وختاماً، فمن المؤكد أن الكتاب يمثل إضافة جديدة لمعلوماتنا عن تاريخ بغداد والعراق في القرنين الأخيرين من العصر العثماني<sup>(1)</sup>.

---

(1) صدر هذا الكتاب عن دار الزمان- دمشق سنة 2016.

## نزهة المشتاق في علماء العراق نص جديد في تاريخ العراق في القرن الثاني عشر للهجرة

نزهة المشتاق في علماء العراق كتاب ما زال مخطوطاً ألفه عالم عراقي جليل هو محمد بن عبد الغفور الرّحبي البغدادي من أهل المئة الثانية عشرة للهجرة (الثامنة عشرة للميلاد)، ترجم فيه لعدد من علماء العراق وأدبائه المعاصرين له، وأكثرهم ممن لم يُترجم لهم أحد .

### المؤلف:

ومؤلف الكتاب هو كما سمّي نفسه في خطبته (أبو البركات محمد بن عبد الغفور الرّحبي)، فهو من آل الرّحبي الأسرة البغدادية القديمة<sup>(1)</sup> التي طالما خرّجت العديد من العلماء والأدباء، ومنهم من تولى مناصب القضاء والإفتاء، في بغداد وفي الحلة وفي البصرة، إبّان العصر العثماني، وكان أسلافها قد نزحوا من بلدة (الرّحبة)<sup>(2)</sup> في بلاد الجزيرة، ووفدوا إلى بغداد في زمن غير محدد، حيث سكنوا في محلة باب الشيخ، قرب جامع السيد الشيخ عبد القادر الكيلاني، وفي محلة السّنك، إحدى محال الجانب الشرقي من بغداد، وكانت لهم في محلة باب الشيخ قصور ودور، ألقت محلة قائمة بذاتها نسبت إليهم فُعرفت بمحلة آل الرّحبي<sup>(3)</sup>، وفيها انعقدت مجالسهم الثقافية التي كان يؤمها أهل العلم والأدب لأجيال عدة، ومنهم من اختار السكنى في مدينة الموصل<sup>(4)</sup>، وفي قرية بُهْرَز

---

(1) ذكر المؤلف فيما يأتي من شعره أن أسرته تنتسب إلى الدوحة النبوية، وقد سجل عبد الحميد هذا نسبه على النحو الآتي: عبد الحميد بن عبد الله بن محمود بن عثمان بن محمد بن علي بن عبد الرحمن بن عبد النافع الموسوي الحنفي المعروف بالرّحبي، فهو من ذرية الإمام موسى الكاظم إذاً. كتابه (الزلزلة العظمى) في المكتبة القادرية. كتابنا: الآثار الخطية في المكتبة القادرية، بغداد 1977، ج 2 ص 488.

(2) تقع الرحبة على بعد 5 كم جنوب مدينة الميادين التابعة لمحافظة دير الزور.

(3) جاء في وقفية الحاج اسماعيل بن محمود أفندي الرّحبي المؤرخة في 20 جمادى الآخرة من سنة 1225هـ/1810م، أنه وقف دارين «في محلة آل رحي زاده، وباغجة (حديقة) ملحقة بالدارين المذكورين». كتابنا: معالم بغداد في القرون المتأخرة، ط: 2 بغداد 2016، ص 61.

(4) كتابنا: الآثار الخطية ج 1 ص 88 اسم لاحد المالكين هو محمد بن الحاج عبدالرحمن الرّحبي اصلا الشافعي مذهباً الموصلية مسكناً والخاتوني مولدا سنة 1100هـ/1688م.

من أعمال مدينة بعقوبا<sup>(1)</sup>. ومنهم من تولى الإفتاء في الحلة، مثل محمد الرحبي، وإفتاء الشافعية في البصرة، مثل الشيخ علي بن الشيخ محمد الرحبي<sup>(2)</sup>، وعثمان الرحبي<sup>(3)</sup>، ومن علمائهم المؤرخ محمود بن عثمان بن محمد الرحبي (توفي بعد 1162هـ/1748م) مؤلف كتاب (بهجة الإخوان في ذكر الوزير سليمان)<sup>(4)</sup>، والعلامة الشيخ عبد العزيز بن محمد الرحبي البغدادي (توفي سنة 1184هـ/1770م) مؤلف كتاب (فقه الملوك ومفتاح الرتاج المرصد على كتاب الخراج) وهو شرح كتاب الخراج لأبي يوسف<sup>(5)</sup>، ومنهم الشيخ محمد بن عبد الرحمن الرحبي (توفي سنة 1197هـ/1782م)، الذي عدّه العلامة عبد الله السويدي من شيوخه<sup>(6)</sup> وكان مؤرخاً كتب في موضوعين مهمين هما (تاريخ قضاة بغداد) و(تاريخ نساء بغداد)<sup>(7)</sup>. ومنهم أيضاً عبد الرحمن الرحبي، و خليل بن محمد الرحبي، وعبد الغفور الرحبي، والد المؤلف، والملا ياسين بن عبد القادر الرحبي، وعبد الكريم بن محمود الرحبي، وعبد الكريم بن الشيخ محمد الرحبي، والحاج إسماعيل بن محمود الرحبي، وعمر أفندي بن محمود

- (1) إبراهيم الدروبي: البغداديون أخبارهم ومجالسهم، بغداد 1958، ص 136.
- (2) محمد سعيد السويدي: ورود حديقة الوزراء، بتحقيقنا، دمشق 2012، وعثمان عصام الدين العمري: الروض النضر في ترجمة أدباء العصر، بغداد 1975، ج 3 ص 79.
- (3) الروض النضر ج 3 ص 88.
- (4) يتضمن ترجمة الوزير أحمد باشا بن حسن باشا (1136-1147هـ/1723-1734م) وألفه باسم الوزير سليمان باشا أول ولاية المماليك (1162-1175هـ/1749-1761م). منه نسخة بخطه في مكتبة المتحف البريطاني، وقد حققناه وصدر عن دار الزمان بدمشق 1915.
- (5) إسماعيل باشا البغدادي: هدية العارفين ج 1 ص 585. وقد نشر ببغداد بتحقيق الدكتور أحمد الكيسبي.
- (6) النفحة المسكية في الرحلة المكية، بتحقيقنا، ط 2، بيروت 1911، ص 99. وقد كتب اسمه في حاشية تملك له على إحدى مخطوطات المكتبة القادرية ببغداد على النحو الآتي: محمد بن الحاج عبد الرحمن الرحبي أصلاً الشافعي مذهباً الموصلية مسكناً والخاتوني مولداً سنة 1100هـ/1688م ولم تتأكد لنا هوية الخاتونية التي ولد فيها. الآثار الخطية ج 1، بغداد 1973، ص 88.
- (7) آل هذان الكتابان مع كتب أخرى إلى عبد القادر الرحبي الذي كان مقيماً في بَهرز، قرب بعقوبا، وبذلنا مساع حثيثة في أوائل السبعينات من القرن الماضي لمقابلته والاطلاع على الكتابين، إلا أن جهودنا فشلت، بسب تركه بهرز والانتقال إلى بغداد سرّاً لظرف ألم به، ثم علمنا أن كتبه تفرقت في غيبته ولم يعلم مصيرها. كتابنا: التاريخ والمؤرخون العراقيون في العصر العثماني، ط 2، لندن 2009، ص 176-177.

الرحبي، وعبد السلام الرحبي<sup>(1)</sup>، وعبد الفتاح الرحبي، وإبراهيم الرحبي، وبكر بن الشيخ محمد الرحبي، وكان عالماً له (الحواشي السننية في شرح ألفاظ الآجرومية) و(تحفة المبتدي وتذكرة المنتهي)<sup>(2)</sup>، ويوسف الرحبي وولده جواد بن ملا يوسف بن شيخلي بكر<sup>(3)</sup>، وقاضي البصرة عبد الحميد بن عبد الله بن محمود الرحبي (توفي سنة 1247هـ/1831م)<sup>(4)</sup>، وله رسائل مهمة في أصول الفقه<sup>(5)</sup>، وعبد الحافظ الرحبي القاضي في الأحساء سنة 1282هـ/1864م<sup>(6)</sup> وغيرهم ممن عاش في القرنين الثاني عشر والثالث عشر للهجرة (18، 19م) وغيرهم. «وكلهم علماء أعلام»<sup>(7)</sup>. وترجم الأديب عثمان عصام الدين العمري (المتوفى سنة 1186هـ/1772م) لطائفة من أدباء هذه الأسرة تحت عنوان «بيت الفضلاء الرحبية»<sup>(8)</sup>، وقال السيد إبراهيم فصيح الحيدري (المتوفى سنة 1300هـ/1882م) «هو بيت علم، وقد نشأ فيهم رجال أجلاء»<sup>(9)</sup>.

لم يُترجم مؤلف الكتاب لنفسه في كتابه، ربما تواضعاً منه، ولكنه ترجم لأبيه عبد الغفور ترجمة ضافية، فقال «هذا المولى ربيب أدب وكمال، وفخر ومجد وأفضال، في ميدان العلوم سابق طلق عنانه، كأنما حُشِر الصواب بين بيانه وبنانه، مجمع البحرين، العلم والأدب، وملتقى الفخرين الحسب والنسب، فاق بكل فن، أبناء العصر والزمن، فكَم كَشَف مُشْكلاً وحلَّ مُعضِلاً، بلسان طلق فصيح، وميدان فضل فسيح، جوهرة خلته لا يشوبها عَرَض، حميد النجدة في كل عرض، يجري على لسانه ما ينطق الدهر باستحسانه، حَسَن المحاضرة، وأرف المناظرة، سامي القدر، عالي الذكر،

(1) استخرجنا هذه الأسماء من سجلات الوقفيات المحفوظة في وزارة الأوقاف (ديوان الوقف السني الآن)، وينظر الملحق الذي أضفناه إلى كتاب عبد الرحمن حلمي السهروردي، بتحقيقنا، بغداد 1996، ص 127-128.

(2) كتابنا: الآثار الخطية في المكتبة القادرية ج 3، بغداد 1979، ص 309 و 312.

(3) ورد اسماهما مالكين لكتب في المكتبة القادرية، الآثار الخطية ج 3 ص 312.

(4) كتابنا: الآثار الخطية ج 2، بغداد 1976، ص 488.

(5) من مؤلفاته (لباب المنار) و(زجاجة الأنوار في كشف لباب المنار) وكلاهما في المكتبة القادرية، الآثار الخطية ج 5 ص 124، 125.

(6) الآثار الخطية ج 1 ص 188.

(7) الدروبي: البغداديون ص 136.

(8) الروض النضر ج 3 ص 79.

(9) إبراهيم فصيح الحيدري: عنوان المجد في أحوال بغداد والبصرة ونجد، بغداد بلا تاريخ، ص 92.

متوقد كالقمر ليلة البدر، إلى عزمة تلين قسوة الدهر الأبى، ويُتلى حديثها كما يُتلى الحديث النبوي، وهمةً تتأطح الأفلاك، وتشامخ السّمك، وهو كالبدر في التمام، وليدّيه في الجود آثار الغمام، بثبات يستخف بالجمال الرواسي، وأنس يلين القلب القاسي، وإعلان بالصدق وإظهار للحق، يقول الحق ولو على نفسه، ويدحض الباطل ولو أرسله إلى رمسه، بقلب أسد، ورأي مُسدّد، وذكاء إياس، وفصاحة قس وحفظ ابن عباس، وأنا لا أرض لهذا المولى إلا التوحّد، ولا أقبل له إلا التقرّد، فإذا قلت: فاضل، فقد ساواه في الفضل سواه، أو قلت: ماجد، فقد شاركه في المجد ما عداه، وأما وصفه فلا يحيط به طرسي، ويقصر دونه نفسي، وفي ما ذكرتُ ففي الحقيقة واصلتُ نفسي، لأنه سبب حياتي الفانية، وتتبعها حياتي الباقية، لا أعد من الفضل ما كثر لديّ وما قلّ إلاّ منه ابتداءً، وإليه انتهاؤه، وكنت له أطوع من قلّمه لكلمه، ومن بنانه لبيانّه، وما ملتُ عن نفحه ولا تنحيّت، من حين دببت إلى أن التحيّت، لأسعد في آخرتي ودنياي، ومماتي ومحياتي. وكان -رحمه الله تعالى- حريصاً على فائدة يلقاها إليّ، أو عائدة يجري نفعها عليّ، حتى علمني القريض وذلك فضل من الله يؤتيه من يشاء، وفي آخر عمره، ومنتهى أمره، عبثت به أيدي اللأواء والمصائب، وأخنى عليه الدهر ونابه بأعظم النوائب، واجتاحه بقتل ولده، وقطع حشاشة كبده، وجور بعض الملوك والخواص، يمنعهم القصاص، ولم يزل يئن أنين الثكلى، ويرفع الشكوى إلى المولى، وكان من جملة وصاياه أن يقتل، بساعة قبل أن وافاه الأجل، وعن هذه الدنيا الدنية ارتحل، فرحمه الله رحمة الأبرار، وأسكنه دار القرار<sup>(1)</sup>. وقد ساق له أبيات من قصيدة جميلة في مدح النبي صلى الله عليه وسلم. وقال أن «له في القريض باع طويل»<sup>(2)</sup>.

فهذه الترجمة، على ما حشد فيها من ضروب البلاغة، تشهد على البيئة الأدبية التي نما فيها مؤلف الكتاب ورعى، والرعاية الفائقة التي حظي بها من أبيه الأديب المثقف، مع وجود أخوة له لم يذكر أسماءهم، ولم يصفهم، عدا إشارته إلى أخ له قتل لأسباب غامضة سكت عن ذكرها، ويظهر أن قتله كان على يد بعض الولاة أو خواصهم، ربما لأمر سياسي، أو لشأن يتصل بمنافسة على بعض الأمور، ومن ثم لم يلق القاتل ما يستحقه من عقاب يشفي غليل أبيه المكلوم.

(1) المخطوط، الورقة 209.

(2) المخطوط، الورقة 209، وقد ترجم عثمان عصام الدين العمري لعبد الغفور هذا في الروض

النضر ج3 ص86 ترجمة أدبية وأطنب في الثناء عليه.

وللمؤلف قصيدة أوردتها في كتابه تكشف عن جانب من شخصيته، منها قوله<sup>(1)</sup>:

أطوي الفيا في لأطوي شقة السفر  
 وأنحر البيد بالأنضاء والسهر  
 وامتطي العزم مُهراً سابقاً طلقاً  
 يحط ما فره في موقع البصر  
 أغرأدهم مفتول الأكارع لا  
 يثنيه عن قصده شيء سوى القدر  
 مُضمراً سابح حجل سوابقه  
 يسابق الريح سباق لدى الظفر  
 أعلوه في جحفل طلق الجنان من  
 الشهب الدراري ملء السهل والذمر؟  
 وإنني من عمود الصبح معترض  
 سمر الرماح وترسي دارة القمر  
 ومنها مفتخراً:

وإنني أنا من فرع الهداة إلى  
 سبل المكارم تجب نخبة البشر  
 وفيهم المجد المفصل والمجد المؤثّل والع  
 لم الموطّد بالقرآن والزُّبر  
 ومقتدى الخلق في طول وفي شرف  
 أكفهم قد حكاها صيب المطر  
 لا يدرك الواصف المطري مدائحهم

(1) المخطوط، الورقة 39- 40 .

لذاك قد قلتُ فيهم قول مختصر

وإن لي همّة في جنبها صَغُرَتْ

شُمُ الرواسي تَسْري وهي لم تَسِرْ

لا غَرَوْا نِي أنا الرحيبي من أُسْدٍ

أضحوا نجوم الهدى للبدو والحضر

والقصيدة تشهد بأنه كان، فضلاً عن أدبه، فارساً محارباً، وشجاعاً مقاتلاً، له في الحرب صَوَلات وجَوَلات، له فرسٌ يعلوها، وجحفل يصحبه، وخنجر وسيف يتمنطق به، ورمح يحمله، يطوي الفيا في ليلاً، ويركب الصعب في نيل العُلا، طلباً لعز ضائع، يستودع أفلاداً له، ولا يقيم في دار الهوان، وتأبى همته صحبة الجاهل، معترساً بأصله السامي ونبل محتده. ولا ندري عن أي هدف كان يسعى إلا أن يكون طلباً لثأر أخيه، أو دفعاً لضرر أصاب أسرته لسبب يتعلق بجور بعض الولاة، مما نوه به في ترجمة أبيه.

وفي قصيدة له «في ذم الزمان وأبنائه، وغدرة لأرباب الفضائل وجفائه» نظمها في عنفوان شبابه، أنه كان له عهد ذاك ولد اسمه خليل، له من العمر ست سنين، يحفظ لامية العجم «ليتعلم منها مكارم الأخلاق والشيم»، ولكن سرعان ما دهمته خطوب قصر عندها العقل، وحدثته نفسه بمفارقة وطنه ورهطه، وامتناء البيد، وأن أعداءه وإن كانت لهم رياسة إلا أنه كان «لهم دون الورى جهل»، وأنه فضل أن «يطلب العليا» على الإقامة بين ظهرانيتهم، وقد ختم قصيدته بالفخر بعشيرته وحسبه<sup>(1)</sup>. فالقصيدة إذن تتصل في غايتها مع سابقتها وإن تزيدنا معلومة عن ولده خليل.

ويروي المؤلف في مقدمة كتابه قصته مع الأدب، وكيف شغف به، وتتبعه في الدفاتر، وفي صدور الأدباء، فذكر أن أولع به منذ صغره، إذ قال «إني منذ عرفت نفسي، وميّزت يومي من أمسي، مَوَّلَعٌ باقتناص الأبرار من الأدكار، بالآصال والأبكار، باذلاً وسَعَجَ الجد، راكباً مطايا الجد، أنفق نقد عمري في سلم فوائده، وأجري حلية

(1) المخطوط، الورقة 87.

الجد في اقتناص شوارده، أنشد ضالته في الكتب والمجامع، وأملأ بفرائده أصداف المسامع..»<sup>(1)</sup>.

وقد امتدح الأديب عثمان عصام الدين العمري مواهبه الأدبية بقوله «إمام محراب العلوم، ومالك أزمة الحجا والفهوم، أرفع أهل النصوص، وأبرع أهل العموم والخصوص.. وهو الآن مشكاة العلم والكمال، ومصباح المعارف والأفضال، وقمر الدجى في ظلام الليال»<sup>(2)</sup>.

والمؤلف بعد هذا شاعر، تتناثر في الكتاب أبيات وقطع شعرية من نظمه، من ذلك قوله<sup>(3)</sup>:

العلم أحسن مصحوب ومدّخر  
وخير مال مدى الأيام يكتسبُ  
فصاحب العلم مأمونٌ ومحتشمٌ  
والمال كم زال في ذل ولا عجبُ  
وقوله<sup>(4)</sup>:

وحبيب أطال هجريَ عمدا  
وسقاني صبرا كؤوس المدام  
وجفاني وصدَّ بالصدِّ عني  
ورماني بالبُعد دون الأنام  
ليته أبدلَ الصُدودَ بوصلٍ  
وسقاني من ثغره البسَام  
وقوله<sup>(5)</sup>:

---

(1) المخطوط، الورقة 5 ب و6.

(2) الروض النضر ج3 ص90.

(3) المخطوط، الورقة 26.

(4) المخطوط، الورقة 30.

(5) المخطوط، الورقة 36.

فكرتُ ليلة وصلها في صدها  
فجّرت بقايا أدمعي كالعندم  
وعلمتُ أني لا أطيق فراقها  
وعَضَضْتُ كَفِّي عَضَّةَ الْمُتَدَمِّمِ  
وظفقتُ أُمسَحَ أَدْمُعِي فِي جِيدِهَا  
من عادة الكافور إمساك الدم  
وقوله في مطلع قصيدة:  
ألا يا نسيمَ البان والشَّيخ والرُّند  
لقد زدّتي شجواً وهيَّجتَ ما عندي  
وأجّجت ناراً في الحشَى بعد ما خَبَّتْ  
وأظهرتَ سِراً كان خافٍ من الوجدِ  
وجددتَ عهداً بالعَذيب وبارق  
وأنشبت قلباً كان خالٍ من الودِ

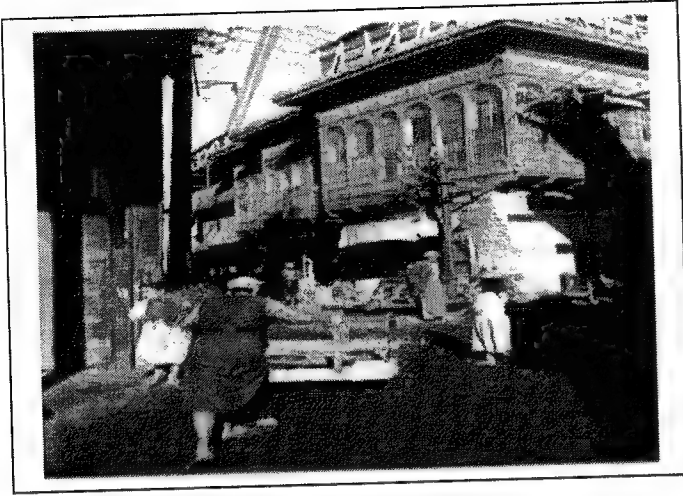
وهو لم يُشر إلى أنه ينقل شعره من ديوان جمعه، وإنما كان يصرح بأن كان ينظم أشعاره غالباً في أثناء تأليفه الكتاب، وحتى قصيدته في الفخر بنفسه لم يذكر من أين نقلها من مجاميعه.

والمتأمل للكتاب تلوح له قدرة المؤلف في تأليفه، ووفرة اطلاعه على مصادر عصره الأدبية، وعلى مؤلفات السابقين ودواوينهم، كما يظهر له أيضاً أنه كان عالماً في علوم شتى، أبرزها علم التفسير، وأن له رسالة، أو أكثر، في هذا العلم، أثبت منها في كتابه رسالة مستقلة في تفسير سورة الفاتحة.

وكانت وفاته -رحمه الله- بعد سنة 1175هـ / 1671م.<sup>(1)</sup>

---

(1) كارل بروكلمان: تاريخ الأدب الجغرافي العربي، الترجمة العربية، قم 2008، ج 7 ص 407.



أحدى درابین محلة باب الشيخ - بغداد 1935

### سبب تأليفه:

لم يؤلف الرحبي كتابه هذا تلبية لطلب أحد معاصريه، وإنما استجابة لرغبته في جمع تراجم أدباء عصره في كتاب شامل لأعمالهم الأدبية مع نماذج من أشعارهم، وكان هذا النمط من التأليف شائعاً لدى أدباء عصره، وما سبقه، على ما سيأتي بيانه بعد قليل.

وكانت فكرة تأليف كتاب في هذا الإطار تلوح في ذهنه منذ مدة سبقت تأليفه إياه، إذ قال «وكثيراً ما عنّي أن أؤلف كتاباً يشتمل على فرائد مسائل العلوم، وعقود محاسن المنثور والمنظوم». إلا أن شواغل الحياة، وما أكثرها، كانت تحول دون تحقيق تلك الفكرة، وفي ذلك يقول «يصدني عن ذلك حوادث دهر تستغرق صبر الجليل، وصروف أيام يشيب بوقائعها رأس الوليد، ومقاساة الشدائد والمحن، ومعاداة الدهر والوطن».

ثم أنه انصرف، رغم همومه وخطوبه، إلى تقليب طرّفه «في رياض الدفاتر»، حتى اجتمع لديه كتاباً «تسجد الأقلام في طرسه لأنه للعلم والأدب جامع»، مسمى إياه (نزهة المشتاق في علماء العراق).

وبعد أن فرغ من تأليفه، لم يجد من يستحق أن يهديه إليه من ولاية العراق، ويظهر أن علاقته السيئة بهم -مما ظهر لنا من قبل- كانت السبب وراء هذا الموقف، ففكر في إهدائه إياه إلى الصدر الأعظم في الدولة العثمانية الوزير محمد راغب باشا، وكان هذا الوزير أديباً عالماً عرف بمؤلفاته المهمة<sup>(1)</sup>، وقد طار صيته بسبب ذلك في

(1) ولد محمد راغب باشا سنة 1110 هـ/1698م، في استانبول وفيها تعلم، وكتب النثر البليغ ونظم، عين بمنصب رئيس الكتاب في سنة 1153 هـ/سنة 1741م، واستمر في عمله حتى

الترجمة يقرن بينها وبين أبيات أخرى لشعراء آخرين من عصور مختلفة، عالجوا موضوعها نفسه، على نحو يجعل مباحثه تقرب من أن تكون ضرباً من الأدب المقارن، من ذلك أنه حينما أورد قصيدة للأديب عبد الله الفخري، كاتب ديوان الإنشاء في عصره، جزأها إلى قطع عديدة، وقارن بين كل قطعة بالعديد مما أورده في معناها شعراء العربية، بضمنهم نفسه، فكان من بين أولئك الشعراء ابن قلانس، والقاضي، والنصير الحمامي، وابن عبد الحديد، وصدر الدين، وشرف الدين المقدسي، وابن رشيق، والصابي، والمتوكل الليثي، والبولاني، وأمرؤ القيس، وابن الرومي، ومجنون ليلى، والتهامي، وابن حمديس، والبهاء زهير، وابن الساعاتي، والصفدي، وذو الرياستين، وشرف الدين عيسى الناسخ، وصفي الدين الحلبي، والوزير المغربي، وابن نباتة، وابن رشيق، وأبو الحسين الجزار، وابن زيدون، والقيسراني، وبعض الأندلسيين، ومهيار الديلمي، والطغرائي، والسراج الوراق، والصفدي، وابن المعتز، وأبو نواس، وابن عبد المجيد، ومحمد بن غالب، والمعري، والقاضي الحشيشي، وابن الجهم، وأبو تمام، وحمديس الصقلي، وأبو فراس، وابن الفارض، وعبد الصمد، وشهاب الدين محمود، وعبد الرحمن الحلبي، وغيرهم ممن لم يسمهم واكتفى بقوله أنهم «بعض الشعراء»، وهكذا الأمر مع جميع من أورد لهم نماذج من أشعارهم.

يبلغ عدد من ترجم له 23 ترجمة هي:

1- صبغة الله أفندي الحيدري

2- عبد الله أفندي الفخري

3- محمد أسعد الفخري

4- فخري أفندي الفخري

5- عثمان أفندي العمري

6- حيدر أفندي بن صبغة الله الحيدري

7- ياسين أفندي مفتي الحنفية

8- عبد الله السويدي

9- عبد الرحمن السويدي

10- علي أفندي مفتي الشافعية

- 11- عبد الكريم الرحبي مفتي الشافعية
- 12- عبد الغفور أفندي الرحبي
- 13- عثمان أفندي الرحبي
- 14- عبد العزيز أفندي الرحبي
- 15- بكر أفندي الرحبي
- 16- عبد السلام أفندي الرحبي
- 17- عبد الجليل الرحبي
- 18- عبد اللطيف أفندي الرحبي
- 19- عبد الستار أفندي الرحبي
- 20- حسين أفندي الرحبي
- 21- محمود أفندي الرحبي
- 22- محمود أفندي الرحبي مفتي الحلة
- 23- محمد سعيد أفندي الرحبي

والتراجم العشر الأولى هي لأعلام بارزين في العراق، اثنان منهم من آل الحيدري الأسرة العلمية الكردية المنحدرة من قرية (ماوران) قرب اربيل في منتصف القرن الثاني عشر للهجرة (18م)، واثنان من آل السويدي الأسرة العباسية المنحدرة من قرية الدور في شمال بغداد في مطلع ذلك القرن، وثلاثة من آل الفخري، وواحد من آل العمري، وهما الأسرتان اللتان انحدرتا من الموصل في منتصف القرن المذكور، واثنان لم يتحدد منحدرهم، أما التراجم الأخرى فهي جميعاً لأعلام أسرة الرحبي، وواضح أن المؤلف استقصى جميعهم في عهده، حتى أنه ترجم لمن كان شاباً ما زال في طلب العلم، وأكثر هؤلاء انفرد بالترجمة له، ومن هنا تأتي أهمية هذه التراجم.

تفاوتت هذه التراجم طولاً وقصراً بحسب مكانة صاحبها لا بحسب قريه من المؤلف، فبينما توسع في تراجم الآخرين حتى بلغت العشرات من الصفحات، مثال ذلك ترجمته لصيغة الله الحيدري حيث جاءت في نحو خمس عشرة ورقة، وبلغت ترجمة عبد الله الفخري نحو عشرين ورقة، وترجمة محمد اسعد الفخري تسع ورقات، وترجمة عثمان العمري نحو خمس وعشرين ورقة، لم تتجاوز ترجمة أبيه

الزاهرة، والبُرْدُ المُحَبَّرُ، والعقد المُجَوَّهَرُ، وهو ملازم الدرس على الفاضل النحرير، والشافعي الصغير، أستاذ الكل في الكل، بحر المعارف والفضل، صبغة الله أفندي، أدام الله ظله، وأعلى في الدارين محله»<sup>(1)</sup>، فهذه التراجم تكاد تكون مجرد صورة قلمية يرسمها المؤلف لمن يترجم له، لا أن تكون ترجمة حقيقية له، والدليل على ذلك ابتسارها الشديد واقتصارها على معلومة وحيدة ربما كان لها بعض فائدة في التعرف على حياة المترجم، وأما سائرُها فهو أماديح وعبارات ثناء. والطريقة التي اتبعها في عرض كل ترجمة أن يفتتحها بأبيات في مدح صفات المترجم، يظهر أنها من نظمه، قبل أن يبدأ في عرض الترجمة نفسها. على أنه على الرغم من ذلك فإن التراجم حوت فوائد تاريخية مختلفة، كقوله في ترجمة بكر أفندي الرحيبي أنه «كان ملازماً للتدريس في حضرة القطب الرباني والهيكل الصمداني، جامع الإشارات والمعاني، الشيخ عبد القادر الكيلاني»، وأن له «مؤلفات سديدة وتعليقات» و«مصنفات»<sup>(2)</sup>. وقوله في ترجمة عبد الجليل الرحيبي إلى أنه قصد حضرموت بحرّاً حيث التقى بشيخها السيد عبد الله الحداد، وبلغ من تأثره بمنهجه الروحي أنه «لما رجع إلى الأوطان، ترك الأهل والإخوان، والأحباب والخلان، وأخذ العيال والأولاد، وقصد تلك البلاد، واشتغل بالأعمال الصالحة والطاعات، واستغرق أوقاته بالعبادات»<sup>(3)</sup>. وقوله في ترجمة عبد الستار الرحيبي أنه «سكن في آخر عمره البصرة الفيحاء، حتى انتقل من دار الفناء إلى دار البقاء»<sup>(4)</sup>، وقوله في ترجمة محمود الرحيبي أنه كان مفتياً على المذهب الشافعي»<sup>(5)</sup>. وفي ترجمة سَمِيٍّ له محمود، أنه «مفتي الحلة الفيحاء»، وقوله عن عثمان أفندي الرحيبي أنه «كان قد ولي الإفتاء في الحلة الفيحاء حتى سكن دار البقاء»<sup>(6)</sup>، وقوله في ترجمة عبد الكريم الرحيبي أنه «في آخر عمره ولي الإفتاء للشافعية»<sup>(7)</sup>، وقوله عن عبد العزيز أفندي الرحيبي أن «له تأليفات في سائر العلوم فائقة، وتحقيقات رائقة، مع اشتغاله في التدريس والإفادة، وتردد الطلبة عليه

(1) المخطوط، الورقة 262.

(2) المخطوط، الورقة 234.

(3) المخطوط، الورقة 241.

(4) المخطوط، الورقة 248.

(5) المخطوط، الورقة 256.

(6) المخطوط، الورقة 214.

(7) المخطوط، الورقة 240.

للإستفادة، لكن له مدة تتوف على عشرين سنة قد لازم البيت واعتزل عن أهل الدنيا.. الخ»<sup>(1)</sup>، كما أنه أثبت له نصوصاً كاملة لرسائل مهمة في بعض العلوم، نوَّهنا بها من قبل، وهذه الرسائل لم تعرف من قبل. وأثبت في ترجمته عبد الله الفخري منظومة مطولة في وصف حصار نادرشاه للموصل سنة 1156هـ/1743م فقال «ومن بديع نظم صاحب الترجمة.. ما نظمه في وقائع نادرشاه وما نتج منها ومحاصرته للحدباء ورحيله عنها وعدم نيله منها ما أراده، ولم يحصل له مُتمناه ومُراد، إذ هي محروسة بعين عناية الملك المتعال، والأُفهي وقعة تشيب لها الأطفال، وتذك الجبال، وتذهب العقول، وتحير الفحول، وقى الله شرها، وبرد حرَّها، ودفع ضرَّها، فألف هذا الفاضل الذي فاق الأوائل هذه الأرجوزة، وجعلها ميدان تلك الوقعة والحروب والنائب..»<sup>(2)</sup>، وتقع المنظومة، أو ما اثبتته منها، في 72 بيتاً. ورسالة للأخير كتبها إلى شريف مكة المكرمة الشريف مساعد يهنيه، ويعزيه بوفاة أخيه مسعود<sup>(3)</sup>.

ومنها القصيدة التي أشار فيها إلى المعركة التي خاضها والي بغداد الوزير أحمد باشا (1136-1147هـ/1723-1734م) ضد صقر الشبيب، شيخ قبيلة قشعم النازلة على الفرات الجنوبي، سنة 1152هـ/1739م<sup>(4)</sup>، مفتتحاً إياها بقوله «هو الوزير ابن الوزير، العادم الأشباه والنظير، المرحوم المغفور أحمد باشا، .. وذلك حين تكلف الإغارة بنفسه، وكادت تؤدي من حر الهجير والقيض إلى حتف أنفه.. فشن الغارة، وأجج نفع الفلا وأثاره، على الطائفة المسماة بآل قشعم، وشيخها إذ ذاك صقر الشبيب، الليث الغشمشم، فغلب من العسكر وخيلهم ناس كثير، واشتد الخطب بهم من شدة وقد الهجير، وضل كثير من الجند إذ أخذوا خلاف طريق العدو طريقاً، وهو مع فئة قليلة وقعوا بالعدو، ونصرهم الله عليهم، فريقاً يقتلون ويأسرون فريقاً»، وتقع القصيدة، أو ما انتخبه منها، في 23 بيتاً، وصف فيها المعركة وأرخها<sup>(5)</sup>.

(1) المخطوط، الورقة 219.

(2) المخطوط، الورقة 40.

(3) المخطوط، الورقة 27-47.

(4) ينظر عبد الرحمن السويدي: حديقة الزوراء في سيرة الوزراء، بتحقيقنا، بغداد 2002، ص 436-440 وياسين العمري: الدر المكنون في المآثر الخالية من القرون، الورقة 541، نسخة المتحف البريطاني، ورسول حاوي الكركوكلي: دوحة الوزراء في تاريخ وقائع بغداد الزوراء، ترجمة موسى نورس، بيروت بلا تاريخ، ص 47.

(5) المخطوط، الورقة 51، 52.

## المخطوط:

توجد مخطوطة الكتاب بخط مؤلفه في مكتبة راغب باشا باستانبول، وأولها «الحمد لله الذي قصرت غاية العقول عن حقيقة ذاته، وكلت أذهان الفحول عن الوصول إلى إدراك بعض كمالاته...». وخطها نسخ جيد مما كان شائعاً لدى نساخ عصره، وفي كل صفحة 26 سطراً، في كل سطر ما بين 8-10 كلمة، وهي تقع تحت العدد 1050 ويبلغ مجموع أوراقها 263 ورقة، وعلى بعض أوراقها كلمات أو عبارات سقطت عند تبييض مؤلفه الكتاب فأضافها فيما بعد، وفي المركز الوطني للمخطوطات ببغداد نسخة مصورة من هذا المخطوط تقع في ثلاثة مجلدات تحت الأعداد 9420 و9421 و9422، وفي خزانة نسخة مصورة منها، ومنه نسخة في المدينة المنورة في 716 ورقة، تحت العدد 262<sup>(1)</sup>، وأخرى كانت لدى سليمان بن صالح الدخيل، صاحب جريدة (الرياض) المتوفى سنة 1945، نشر قسماً منها في مجلة (اليقين) البغدادية الصادرة سنة 1340-1341. ونسختان في مركز الملك فيصل للبحوث في السعودية تحت العددين 104385 و46676<sup>(2)</sup> وكانت في خزانتي جامع الفضل وجامع القبلانية ببغداد نسختان من كتاب عنوانه (تراجم أدباء العراق)<sup>(3)</sup> لعله هذا الكتاب، ولم يعلم مصيرهما الآن.

والكتاب بعد هذا جدير بالتحقيق، فهو يمثل درة من درر الأدب والتاريخ في عصره، ويكشف عن صفحة مهمة من صحائف الثقافة في العراق في القرن الثاني عشر للهجرة (الثامن عشر للميلاد)، وفيه من الفوائد والشذرات التاريخية ما يستحق العناية والاهتمام.

---

(1) عمر رضا كحالة: المنتخب من مخطوطات المدينة المنورة، دمشق 1393هـ، ص 86.

(2) موقع ملتقى أهل الحديث.

(3) نعمان خير الدين الألويسي: فهرست مكاتب بغداد الموقوفة، بتحقيقنا، ديوان الوقف السني

ببغداد 2012.

## البراقى فى مخطوطاته

البراق واحدة من أربع محلات كانت تتألف منها مدينة النجف فى القرون المتأخرة، عرفت قديماً باسم (البُرْكة) لوجود مستقى للماء فيها<sup>(1)</sup>، ثم اشتهرت باسم (البراق)<sup>(2)</sup> لنزول آل البراقى فيها فى النصف الأول من القرن الثانى عشر للهجرة (18م)، وأولهم السيد إسماعيل بن زين العابدين (أو زين الدين) بن محمد المعروف بالبراق وكان قد رحل إليها من نواحي بغداد لطلب العلم فى مدارسها فيما يظهر<sup>(3)</sup>.

وفى موطن الأسرة الجديد، ولد لإسماعيل هذا ولد سماه حسين، ويظهر أن تسميته جرت لمناسبة نزول الأسرة قرب المشهد الحسينى، وشاء القدر أن يلقى حسين هذا حتفه قتلاً فى هجوم شنته القوات السعودية سنة 1220هـ<sup>(4)</sup>، تحت أسوار مدينته فى أثناء دفاعه عنها<sup>(5)</sup>، وكان لحسين ولد اسمه أحمد، وقد امتن، كأبناء أسرته، التجارة، ولذا فإنه لم يشتهر بالعلم ولم يعرف به<sup>(6)</sup>، وحين أنجب الأخير ولداً سماه حسيناً، على اسم جده، وعرف تحبباً - كما يبدو - بحسُون، ولازمه هذا الاسم طيلة حياته.

ولد السيد حسون<sup>(7)</sup> فى بيت أبيه، فى محلة البراق<sup>(1)</sup>، سنة 1261 أو 1262هـ/1845-1846م، ويظهر أنه تلقى شيئاً من مبادئ علوم العربية، إلا أن

- 
- (1) أنظر جعفر محبوبية: ماضى النجف وحاضرها، جذ، النجف 1378هـ/1958م، ص25.  
(2) بضم أوله وتخفيف ثانيه، ولم نجد وجه تلقبه بهذا الاسم، فالبراق كما فى معاجم اللغة، دابة يركبها الأنبياء - عليهم السلام - مشتقة من البرق، وقيل غرس جبريل، ودابة ركبها رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ليلة المعراج، سمي بذلك لنصوع لونه وشدة بريقه.  
(3) أنظر عن نسبه: عدنان السيد عيسى القابجي النجفي: المجموعة المشجرة فى الأنساب المطهرة، مخطوط، الورقة 49، وقد تفضل بنقله إلى السيد كاظم محمد علي شكر، فله منى كل شكر وثناء.  
(4) ذكر لي ذلك حفيده السيد حسين بن علي (المولود سنة 1900) فى دار فى النجف فى 12/20/1992م.

- (5) عباس العزاوي: تاريخ العراق بين احتلالين، ج6، 1954، ص169.  
(6) علي الهاشمي الخطيب: مقدمة كتاب (الدرة البهية) للبراقى، النجف 1389هـ/1970م، ص5.  
(7) ترجم له الشيخ محمد رضا الشيبى فى مجلة الاعتدال النجفية ج1 ص113-117 وأعيد نشر الترجمة فى مقدمة تاريخ الكوفة للبراقى ص2-7، وهى أوسع ترجمة له، وكان الشيبى قد عاصر، فى شبابه، البراقى، واختلف إلى داره فى النجف، وترجم له أيضاً السيد محسن الأمين العاملى فى أعيان الشيعة ج1 ق2 (دمشق 1367هـ/1947م) ص42-46، وقد عاصره أيضاً والتقى به، ولكن أغلب ما كتبه عنه منقول من مقالة الشيبى المقدمة، وله ترجمة فى

ذلك لم يصل الى حد أخذه العلم على أيدي العلماء وفقاً للطريقة المنهجية السائدة في عصره، وإنما كان يختلف، يافعاً، الى مجالس أهل العلم، وقد اشتهرت النجف عهد ذاك بكثرة مجالسها الثقافية وروعة تقاليدها وغنى ما يلقي فيها من علم وأدب، ومالت نفسه ميلاً فطرياً إلى ما كان يسمعه من أولئك الشيوخ من أخبار وذكريات ماضية، وأدرك قيمة تلك الاخبار والذكريات بوصفها تمثل مواد تاريخية ذات شأن، فشرع يسجلها في دفاتر خاصة<sup>(2)</sup>، ولم يكتف بدور متلقياً للخبر، وإنما مضى لاستيضاح محدثيه بالأسئلة المعدة، ليزيده الجواب فهماً لتفاصيل الحدث، وهو يقرب مما نعرفه اليوم بأسلوب (المقابلات الشخصية)<sup>(3)</sup>.

بيد أن هذا الأسلوب لم يغنه عن اتباع وسائل البحث الأخرى، إذ شرع بمطالعة الكتب، والبحث في بطونها عن كل شاردة يمكن أن تشيع اهتماماته التأريخية، وقد جمع بخطه في هذه المدة من حياته، عدداً من المجموعات، التي تضم مدوناته مما سمعه أو قرأه من مواد تاريخية متنوعة، وكانت كتابة المجموعات في تلك الحقبة تعد

---

آقا بزرك : أعلام الشيعة ج1 ق2 (وعنوانه: نقيب البشر في القرن الرابع عشر) النجف 1375هـ/1967م ص523-526 وآقا بزرك: مصفى المقال في مصنفي علم الرجال (طهران 1378هـ/1959م) ص139، ومحمد هادي الأميني: معجم رجال الفكر والأدب في النجف (النجف 1384هـ/ 1964م) ص62، ومحمد رضا كحالة: معجم المؤلفين ج3 ص309، والزركلي: الأعلام ج2 ص252، وكتابنا: التاريخ والمؤرخون العراقيون في العصر العثماني، الطبعة الثانية، دار الوراق لندن (2009) ص361-366.

(1) تقع هذه الدار في عقد ابو عجينة المتفرع من شارع الصادق، مقابل سوق المسابك، وهي في هياتها الأصلية واسعة تتألف من عدد من الأواوين والحجرات، إلا أنها قسمت بين الورثة في عهد تال، لتغدو عدة دور.

(2) ثمة دفتر من هذه الدفاتر بعنوان (مجموعة أخبار وتاريخ) في مكتبة محمد حسين آل كاشف الغطاء في النجف، وسيأتي الكلام عليه فيما بعد، وذكر الشيبيني أن من محاسن الاتفاق أنه عمراً طويلاً (عاش نحو 91 سنة قمرية) وسبق له الاشتغال بالتدوين والتقييد منذ مراعاته، فعضمت مجموعة ما أحصاه من الوقائع التاريخية التي رافقت أيامه، عذا ما استخرجه من بطون الدفاتر والآثار.

(3) نوه الشيبيني بطريقته هذه لإذ قال أنه «استفاد مما يدور على ألسنتهم غير ما يتقدم إلى السؤال عنه بنفسه، وذكر الأمين أن البراقي اجتمع به في صحن الإمام علي (ع) وأنه جاء يسأله عن قصيدة له ليدونها في تاريخه «وهو يدل على مزيد اعتناؤه بضبط الحوادث».

(أعيان الشيعة ج25 ص43).

نمطاً مبكراً من أنماط الكتابة التاريخية، وهي تضم - في الغالب - أخباراً وتراجم، قد تكون مهمة في حد ذاتها، ولكن دونما سياق زمني أو مكاني محدد<sup>(1)</sup>.

ومن الراجح أن تكون مدينته النجف أول محور لاهتماماته، وهو الذي طالما شغف بآثاره، وتتبع ما جرى عليها من حوادث، وحضر مجالسها، والتقى بعلمائها ووجوهها، فألف في تاريخها ثلاثة كتب، شفعها برابع في تراجم مشاهير علمائها، ثم تنوعت محاور اهتماماته، وتعددت مشاريع بحثه، وتوافقاً مع هذا التنوع، أخذت مطالعاته في الكتب تتخذ شكل البحث المنظم، فأخذ يستعير الكتب، وأكثرها مخطوطات، من خزائن أصحابها في مدينته. وكان يستخرج منها مواد تاريخية مهمة، ضمت جملة من المصادر الخطية المفيدة، بعضها نادر في بابه، استعان بها على إنجاز مشاريعه العلمية.

وساعدته رغبته في الترحال على تحقيق هدفين، أولهما أنه كان يقتني أو يستنسخ خلالها كل ما تصل إليه يده من مصادر ومعلومات، ويُقيّد كل ما يصل إلى سمعه من روايات يراها مفيدة، وثانيهما أنه كان يتقصّد التطواف في المدن والقرى التي تدخل في نطاق بحثه أو اهتماماته، فيشاهد آثارها، ويطبق على تلك الآثار الشاحصة معطيات قراءاته الكثيرة، فيتابع مجرى هذا النهر المندرس هنا، ويقف عند تل أثري هناك، وقد توصل بهذا الأسلوب العلمي إلى معلومات للصحة فيها نصيب كبير.

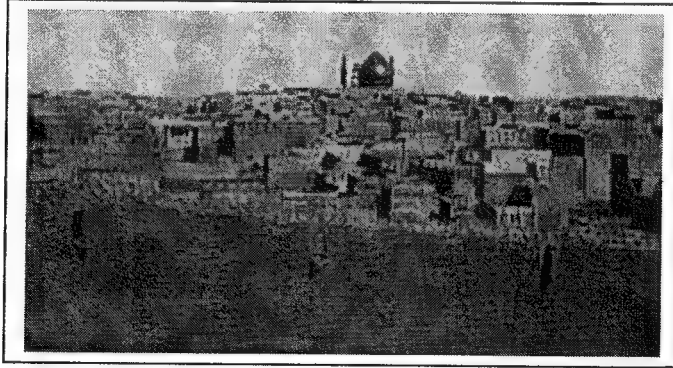
بيد أن رهافة حسّه الشديدة، التي بلغت حد استشعار نبض حياة الماضين في الحجارة الصماء، والأجر البالي، كانت في الوقت نفسه سبب متاعبه، فقد سجل لنا العلامة محمد رضا الشبيبي، وكان قد التقى به في صغره، أنه كان يضيق بملاحم التغيير الذي أخذ يطرأ على مجتمعه إبان ذلك العهد، وهو تغيير سببه، بالدرجة الأولى، كثرة الوافدين على النجف من الغرباء، الذين يحملون من القيم ما يختلف عن قيم مجتمع المدينة العربي الأصيل<sup>(2)</sup>، فلم يكن إلا أن غادر النجف سنة 1320هـ/

(1) انظر كتابنا: التاريخ والمؤرخون العراقيون في العصر العثماني، ط2، لندن 2016، ص361-

(2) الشبيبي: مقدمته لتاريخ الكوفة ص5.

1902م، وكان يومذاك يناهز الستين، إلى قرية صغيرة من قرى الحيرة تسمى (اللهيات)<sup>(1)</sup>، نسبة إلى عشيرة اللهيات القاطنة هناك<sup>(2)</sup>، وهم أخوال أولاده<sup>(3)</sup>، ومن الممكن أن يكون من أسباب هذه الهجرة انتشار الوباء في النجف في مدينته آنذاك، فقد وجدنا عدداً من العلماء والفضلاء يتركون النجف للإقامة في المناطق المحيطة بها، لا سيما الحيرة وقراها، إبان الحقبة نفسها، وكانت هذه المناطق معروفة بازدهارها ووفرة غلاتها ووجود فرص جمة للزراعة فيها.

أقام البراقي بين ظهراني أصهاره من (اللهيات) وأخذ يستغل، وأولاده، مزرعة له هناك، متحملاً ضنك العيش ومفارقة الإخوان، على أن يحيا في وسط لم يعد يرضيه. وفي هذه المزرعة تفرغ البراقي للبحث والتأليف، تعينه على ذلك مكتبته الغنية بما اقتناه واستنسخه من الكتب، وما التقطه واختصره من المعلومات التي حوتها دفاتره العديدة، فوضع عدداً مهماً من المؤلفات أكثرها في مجال التاريخ، أو لها تعلق به، ولُبث مشتغلاً بذلك إلى أن لقي ربه في العاشر من رجب أو من شعبان سنة 1332هـ (4) حزيران أو 5 تموز 1914م) فنقل جثمانه إلى النجف، مشيعاً من محبيه وعارفي قضله، ودفن في سرداب داره بمحلة البراق، معقباً خمسة من الذكور، وأربعاً من الإناث، ومجموعة كبيرة من مؤلفاته وكتبه، فضلاً عن ثناء الناس وتقديرهم، مما ظل ذكره يتردد في مجالس النجف ومحافلها جيلاً بعد جيل.



مدينة النجف سنة 1914

- 
- (1) تبعد اللهيات عن الحيرة بنحو كيلومتر واحد/  
(2) اللهيات عشيرة لها فروع عدة وأكثرهم زراع وأصحاب نخيل وأراض في ضواحي الحلة. مهدي القزويني: أنساب القبائل العراقية، هامش ص121 (النجف الطبعة الثانية).  
(3) عن حفيده السيد حسين بن علي.

## مؤلفاته

ألف البراقي جملة وافرة من الكتب، زاد عددها على ثمانين مجلداً، وكان يُطالع عليها طالبو العلم والباحثين، بل يسمح لهم أن ينقلوها منها، وأن يلخصوها، أو ينقلوها كلها. وقد ذكر الشيببي أنه قصد في مزرعته، قبل سنة واحدة من وفاته «لمشارفة كتبه التي لم يسبق لنا الإطلاع عليها».

### في تواريخ المدن:

1- اليتيمة (أو الدرة) الغروية و(التحفة النجفية) في الارض المباركة الزكية، نسخة منه في مكتبة سيد الشهداء في كربلاء برقم 21، وأخرى لدى حميد مجيد الشعرباف في النجف، بخط المؤلف، وفي مكتبة محمد حسين كاشف الغطاء في النجف، في 407 ص، وفي مكتبة محمد علي اليعقوبي في النجف، نوه بها حمود الساعدي (العراق وعشائره، النجف 1990) ص 241، وقد لخصه الشيخ محمد بن عبود الكوفي (المتوفى سنة 1360هـ/ 1941م) تلخيصاً مستوفياً في كتاب له سماه (نزهة الغري) (طبع سنة 1371هـ/ 1956م) عن نسخة خطية كانت لدى السيد عبد الحسين سادن الحضرة الحسينية، وجاء هذا الملخص في 22 صفحة من الكتاب المذكور<sup>(1)</sup>. وكان البراقي قد ألحق بكتابه هذا كتاباً جعله كالذيل له سماه (قرة العين قي من عمر قبر أبي الحسين). نسخة بخطه في مكتبة الشيخ محمد رضا الشيببي، وتقع في 190 ص<sup>(2)</sup>، وقف عليها الدكتور حسين علي محفوظ، ووضع عبد الله بن محسن بن باقر بن علي السبزواري الأصفهاني كتاباً سماه (لؤلؤ الكشف في تاريخ النجف) فرغ منه سنة 1322هـ/ 1904م. ذكر جعفر محبوبية (ماضي النجف وحاضرها ج 1 ص 3) أنه ترجمة لكتاب (اليتيمة الغروية) الآتي.

2- رسالة صغرى في تاريخ النجف. وهو غير الكتاب المتقدم كانت منها نسخة لدى السيد عبد الحسين المذكور، ذكر ذلك الكوفي ولم يرها بنفسه<sup>(3)</sup>.

3- رسالة كبرى في تاريخ النجف. وهي غير الكتابين المتقدمين، كانت منها نسخة لدى السيد عبد الحسين المذكور، نوه بها الكوفي أيضاً<sup>(1)</sup>.

(1) من ص 59 إلى ص 75.

(2) آقا بزرگ: الذريعة ج 17، طهران 1387هـ/ 1947م، ص 74.

(3) نزهة الغري ص 59.

4- بُراقية السيرة في تحديد الحيرة. فيه فصول عن تاريخ الحيرة وآثارها القديمة. نوه به الشيببي وآقا بزرك<sup>(2)</sup>.

5- الدرة المضية في تاريخ الحنانة والثوية. رسالة في تحقيق هذين الموضوعين، فرغ من تأليفها سنة 1325هـ/1907م. نسخة بخطه في مكتبة محمد حسين كاشف الغطاء في النجف، برقم (ت6/736) وتقع في 59 ص.

6- رسالة أخرى في تحقيق هذين الموضوعين.

7- الحسرة الدائمة للزفّرات في عدد الهواشم الذين أصيبوا في الغاضريات. نسخة بخطه في مكتبة محمد حسين كاشف الغطاء في النجف، تقع في 81 ص، فرغ منها في نهار الأربعاء 17 ربيع الثاني سنة 1316هـ/1898م، وهي ضمن مجموعة برقم (828).

8- الدرة البهية والروضة المضية في تاريخ الروضة الحسينية المسماة بكريلاء والفاضرية ونيوى وعمورية والحراء الجلية. وهو تنمة لكتابه (الحسرة الدائمة). قال في أوله أنه ذكر فيه «أرض كربلاء وما فيها لتكون خاتمة لما جمعناه»، بحث فيه في قدّم كربلاء وفضلها وفضل قبر الحسين (ع) وحرّمه ومشهده، وما مرّ على هذا المشهد من حوادث، وما لحقه من أعمال التعمير والتوسيع، وألحق به معجماً صغيراً بأسماء أرض كربلاء، نسخة بخط المؤلف، فرغ منها في 12 ربيع الثاني سنة 1316هـ/1898م، في مكتبة محمد حسين كاشف الغطاء برقم 36 مجاميع. وتقع في 104 صفحة، ومنه نسخة في مكتبة الشيخ ودّاي العطية في الديوانية، وطبع الكتاب بتحقيق السيد علي الهاشمي الخطيب، المطبعة الحيدرية، النجف، سنة 1389هـ/1970م، 87 ص.

9- البقعة البهية. وهو تاريخ مختصر للنجف، نوه به في مقدمة (عقود اللؤلؤ والمرجان).

10- عقود اللؤلؤ والعُقيان في تحديد أرض كوفان ومن سكن فيها من القبائل والعُريان. رسالة في معنى اسم الكوفة وتحديد منطقتها ومن نزل فيها، وأنهارها. قال أنه اختصره من كتابه (البقعة البهية). نسخة في مكتبة محمد حسين كاشف الغطاء

(1) المصدر نفسه ص59.

(2) مقدمة تاريخ الكوفة ص6 ونقباء البشر ج1 ق2 ص521.

في النجف برقم 559 في 63 ص، حققه حسن عيسى الحكيم وعلي عبد الحسين المظفر، 90 ص، بلا بيانات طبع.

11- تاريخ قم. ألفه في الأصل أحد معاصري صاحب بن عباد سنة 378هـ. ونقله إلى الفارسية الحسن بن علي بن الحسن القمي سنة 865هـ، ولقدان الأصل العربي لهذا الكتاب، فقد اختار البراقي أهم أبواب هذه الترجمة فنقله إلى العربية، وهو الباب الثالث الذي يختص بذكر الطالبين الذين جاءوا إلى قم من ولد الحسين (ع)، ومن ولد محمد بن الحنفية، وضم إليه من الباب الرابع (ذكر العرب من آل سهل الأشعريين النازلين بقم). وقد فرغ من ترجمة ما انتخبه منه في 8 ربيع الثاني سنة 1317هـ/1907م. وهو مخطوطة بخط مؤلفه في مكتبة محمد حسين كاشف الغطاء برقم 6/734، وتقع في 78 ص. وقد اتخذ السيد عبد الحليم عبد الكريم المدني من تحقيقها رسالة للماجستير بإشرافنا، في معهد التاريخ العربي في بغداد سنة 1994.

12- الجوهرة الزاهرة في فضل كربلاء ومن حل فيها من الذرية الطاهرة، وله عنوان آخر هو (الجوهرة الشعشعانية والثمرة الجنية في فضل كربلاء والفاضرية ومن حل فيهما من الذرية)، مخطوط منه نسخة بخط المؤلف في خزانة الشيخ محمد علي اليعقوبي بالنجف، وقف عليها آقا بزرك<sup>(1)</sup>. وفي مكتبة السيد عبدالرزاق الوهاب آل طعمة مخطوط بعنوان (الجواهر الزاهرة والفواكه المثمرة) للبراقي أيضاً. ومن المحتمل أن يكون نسخة من هذا الكتاب<sup>(2)</sup>.

#### في الأنساب:

13- كشف النقاب في فضل السادة الأنجاب. نوه به الشيبيني والامين<sup>(3)</sup>.

14- كشف الأستار في أولاد خديجة من النبي المختار. وكان قد سماه أولاً: الثمر المجتبى من خديجة الكبرى في ذرية محمد المصطفى، ثم غيره بالعنوان المذكور، وقال في أوله «إني لما نظرت إلى التواريخ ورأيت كثرة الاختلاف في أولاد النبي (ص) أحببت أن أذكر فيهم رسالة على سبيل الاختصار وأثبت فيها ما كان مثبتاً في كتب السير

(1) الذريعة ج5، طهران 1363هـ/1943م، ص239، ونقباء الشرج1، ق2، ص526.

(2) سلمان هادي آل طعمة: تراث كربلاء، بيروت 1983، ص235.

(3) مقدمة تاريخ الكوفة ص6، وأعيان ج25 ص44.

والأخبار». نسخة بخط المؤلف، فرغ منها في 17 من شهر ذي الحجة سنة 1225هـ/1908م، في مكتبة محمد حسين كاشف الغطاء في النجف برقم 22 متنوعة.

15- السيرة البراقية في رد صاحب التحفة العنبرية. والتحفة العنبرية في نسب خير البرية، للنسابة أبي الفضل محمد الكاظم بن أبي الفتوح الأوسط بن سليمان، من مشاهير أئمة الزيدية (عاش في القرن السابع للهجرة) في الأنساب، صحح فيه بعض الأبحاث الواردة فيه، وعلق على بعض فصوله، وذكر في آخره فصولاً في تاريخ الكوفة، مقتطفاً ذلك من كتابه المستقل في (تاريخ الكوفة) وذكر بعدها فوائد رتبها على حروف المفجم تتعلق بأصحاب النبي (ص)، اقتطفها من رجال السيد محسن الأعرجي. نسخة في مكتبة محمد حسين كاشف الغطاء برقم 7- أنساب.

16- معدن الأنوار في نسب النبي وآله الأطهار. نسخة بخط المؤلف لدى الشيخ جعفر الحكيم النجفي في الشنافية، فرغ منه سنة 1307هـ/1890م. ويقع في 847 ص<sup>(1)</sup>.

#### في الحوليات:

17- بهجة المؤمنين في أحوال الأولين والآخرين. وهو تاريخ عام انتهى به إلى أيامه، ويقع في أربع مجلدات ضخام، نوه به الشيبيني وآقا بزرك<sup>(2)</sup>.

18- قلائد الدر والمرجان فيما جرى في السنين من طوارق الحدثن. وهو تاريخ عام على السنين، في مجلد كبير، في مكتبة وداي العطية في الشامية، ونوه بهذه النسخة حمود الساعدي، ونقل منه (العراق وعشائره، النجف 1990) وذكر السيد محسن الأمين أن للبراقى كتاباً في التاريخ إلى سنة 1318هـ/1908م، ونسخة مخرومة، من سنة 131هـ إلى 449هـ، والمجلد الأول منه موجود عند السيد حسن الصدر في الكاظمية، وتوجد نسخة منه في خراسان، ولا نعلم ما إذا كان هو (قلائد الدر والمرجان) المذكور أم غيره.

#### في التراجم:

19- ترجمة الشيخ المفيد أبي عبد الله محمد بن محمد النعمان المتوفى سنة

413هـ<sup>(1)</sup>.

(1) الذريعة ج21، طهران 1393هـ/1973م، ص220.  
(2) مقدمة تاريخ الكوفة ص6، والذريعة ج3 ص164.

20- منبع الشرف في مشاهير علماء النجف. ذكر الشيباني أنه فقد في حياته<sup>(2)</sup>.

21- إكسير المقال في مشاهير في الرجال. نوه به الشيباني وأقا بزرك.

22- هتك الحجاب. رسالة في زواج السيدة أم كلثوم. نسخة بخط المؤلف في مكتبة محمد حسين كاشف الغطاء برقم (828)، فرغ منها في 25 ربيع الثاني 1316هـ/ 1906م.

23- رسالة في ترجمة السيدة زينب الكبرى. نسخة بخط المؤلف في مكتبة محمد حسين كاشف الغطاء بالنجف، برقم (828)، وتقع في 30 ص.

24- كتاب في قريش وأحوالهم.

25- كتاب في بني أمية وأحوالهم<sup>(3)</sup>.

26- مختصر مقاتل الطالبين. نسخة بخط المؤلف في مكتبة محمد حسين كاشف الغطاء.

27- مختصر الحقائق الوردية في مناقب أئمة الزيدية. فرغ منه في 23 جمادى الأولى 1319هـ/ 1909م. نسخة بخطه في مكتبة محمد حسين كاشف الغطاء برقم (761).

#### موضوعات مختلفة:

28- مجموعة أخبار وتاريخ. نسخة في مكتبة محمد حسين كاشف الغطاء بخط المؤلف سنة 1313هـ/ 1895م برقم 847، وتقع في 467 ص.

29- النخبة الجليلة في أحوال الوهابية. فيه تاريخ ظهورهم ووقائعهم في العراق. نسخة بخطه في مكتبة محمد حسين كاشف الغطاء برقم 693 (علم الكلام والعقائد) وتقع في 167 ص، وأخرى في مكتبة محمد علي اليعقوبي بالنجف<sup>(4)</sup>.

30- تغيير الأحكام فيمن عبد الأصنام.

---

(1) الذريعة ج 4 ص 166 ونقباء البشر ص 526 وأعيان ج 25 ص 45.

(2) مقدمة تاريخ الكوفة ص 6.

(3) الأرقام 17- 19 من مقدمة تاريخ الكوفة ص 6-7، ونقباء البشر ص 526 وأعيان ج 25 ص 45.

(4) نقباء البشر ص 527.

### 31- الهاوية في تاريخ يزيد بن معاوية.

وفيما عدا مؤلفاته الكثيرة، فإنه استسخ بخطه طائفة حسنة من الكتب التي يدور أكثرها في مجال التاريخ والأنساب. ونوعية هذه الكتب وأحجامها يدلان على مبلغ الجهد الذي كان يبذله في تتبع مظانها، وفي صبره على نسخها، ودقته في عمله ذلك، فمن الآثار التي نسخها بخطه، نذكر:

1- كتاب بحر الأنساب. وهو مُشجّر كبير في أنساب العرب، غير معروف المؤلف، كتب سنة 607هـ، وقد نسخ البراقى هذا الكتاب عن نسخة رآها في الكاظمية سنة 1321هـ/1903م، وأتعب نفسه في تصحيحها ومقابلتها على الأصل. وآلت هذه النسخة إلى خزانة السيد أبي محمد الحسي الصدر الكاظمي على ما يذكر آقا بزرك<sup>(1)</sup>.

2- سبك الذهب في شبك النسب. لمحمد بن القاسم الديباجي الحلبي المتوفى سنة 776هـ/1374م<sup>(2)</sup>. نسخها عن نسخة تاريخها سنة 972هـ/1564م، وتوجد نسخة في مكتبة محمد حسين كاشف الغطاء.

3- المجدي في أنساب الطالبين. للسيد الشريف نجم الدين علي بن أبي الفنائم العمري (كان حياً سنة 443هـ/1051م)، نسخها البراقى سنة 1324هـ/1906م، وآلت هذه النسخة إلى مكتبة الشيخ محمد السماوي في النجف<sup>(3)</sup>.

4- الدر السلوك لأحمد بن الحر. نسخه سنة 1317هـ وتوجد هذه النسخة في مكتبة محمد حسين كاشف الغطاء برقم 745.

5- تحفة الأزهار وزلال الأنهار في نسب وحسب الأئمة الأطهار لضاامن من شذقم (كان حياً سنة 1068هـ/1658م). وتوجد نسخته في مكتبة كاشف الغطاء برقم 695.

6- سر السلسلة العلوية. نسخه سنة 1313هـ/1895م، وهو في مكتبة كاشف الغطاء ضمن المجموعة المرقمة 733.

7- تاريخ ابن خلدون المسمى بالعبر، نسخه سنة 1323هـ/1905م، وهو في مكتبة كائف الغطاء أيضاً برقم 7433.

(1) الذريعة ج3 ص 377.

(2) الذريعة ج12، طهران 1380، ص133، ونقباء البشر ص 527.

(3) الذريعة ج20 ص2.

8- المسامرات والمحاضرات لمحيي الدين ابن عربي. نسخه سنة 1314هـ/ 1906م. في مكتبة كاشف الغطاء أيضاً.

9- عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب لأحمد بن علي، ابن عتبة (المتوفى سنة 828هـ/ 1425م). مجلد رأيته لدى حفيده السيد حسين بن علي في النجف، سقط شيء من أوله وآخره.

10- الصحيفة السجادية. كتبه بخط النسخ، مؤطر بمداد أحمر، وكتب عنواناته بخط الإجازة، ولم نتيقن من أنه بخطه، ولكنه موجود لدى حفيده السيد حسين بن علي، وقد أخبرنا أنه بخطه.

11- كامل الزيارة. لابن بابويه القمي، ورسائل أخرى، مجموعة بخطه رأيته لدى حفيده السيد حسين بن علي.

12- كتاب الأنساب، ويُعرف بلب الألباب، لأبي الحسن الفتوني (توفي 1138هـ) نسخه البراقى نسختين، آلت أولاهما إلى مكتبة السيد حسن الصدر في الكاظمية، وآلت الأخرى إلى مكتبة الشيخ علي كاشف الغطاء في النجف<sup>(1)</sup>.

13- الحقائق الوردية في مناقب الأئمة الزيدية. تأليف حميد بن أحمد الهمداني. نسخه سنة 1325هـ/ 1907م. وتقع هذه النسخة في جزأين، في أولهما فهرس. وهي في دار المخطوطات العراقية برقم 1867 وتقع في 380 ص<sup>(2)</sup>.

وغير ذلك كثير مما تفرق في خزائن الكتب الخاصة والعامة في النجف وكربلاء والكاظمية وغيرها من المدن والقصبات.

وذكر الشيخ محمد رضا الشيباني أن ورثة البراقى<sup>(3)</sup> وهم يجهلون قيمة الاحتفاظ بالآثار، حملوا كتبه، وبينها مؤلفاته، ومعظمها بخط يده، لينادي عليها في سوق الكتب في النجف، وذلك في شوال سنة 1333هـ/ 1914م فكان ذلك آخر العهد بها. والظاهر أن ما رآه الشيباني لم يمثل كل مؤلفات البراقى، وإنما بقيت لدى أبنائه جملة كبيرة

(1) جعفر محبوبية: ماضي النجف وحاضرها، ج 2 ص 48.

(2) أسامة النقشبندى وظمياء عباس: مخطوطات التاريخ والتراجم والسير في مكتبة المتحف العراقي، بغداد 1981، ص 152.

(3) أكد لي حفيده السيد حسين بن علي أن الذي باع كتبه هو الشيخ عباس بن الشيخ جعفر الحكيم وليس ورثته.

منها، فقد ذكر لي الأستاذ علي نعمة الحلو أنه رأى مجموعة من مؤلفات البراقبي المخطوطة لدى حفيد له اسمه صاحب السيد موسى سلمان، في داره الكائنة في مدينة الحيرة، وكانت تشغل (زنبيلين) كبيرين، وذلك عند زيارته له سنة 1979.

### أسلوبه

ولقد انتقد مترجمو البراقبي ضعف أسلوبه، وقلة بضاعته من علوم العربية، إلا أننا لم نجد ما يؤيد هذا الرأي، في أكثر مؤلفاته التي وقفنا عليها، فأسلوبه واضح ومعتاد، وموفٍ بالغرض، كما أن خطه ظل يحتفظ بقوته حتى ما قبل وفاته بسنوات معدودات، أي وهو يناهز الثمانينات من عمره.

ويبقى أن نسجل له أنه كان مؤرخاً محترفاً بطبعه، اختص بالتاريخ وحده، وهو أمر نادر في بياته وعصره، إذ كان التاريخ لا يُعد في أفضل الفروض، إلا إكمالاً لصورة الرجل العالم، واهتماماً ثانوياً على هامش اهتماماته العلمية الرئيسية. وفي هذا يقول الشيببي «كان جلُّ هممه مصروفاً إلى التاريخ، فذلك استقل به واختص فيه، ولم يشارك في شيء سواه من العلوم والفنون، إلهم إلا في علمي الأنساب والرجال لإتصالهما بذلك الفن، فقد ضرب إليهما مؤرخنا بعرق عريق»<sup>(1)</sup>. وقال السيد محسن الأمين «كان له ولوع شديد بتدوين التاريخ والبحث والتقيب عن الأخبار والآثار والحوادث»، وذكر حادثة تشير إلى شدة ضبطه للحوادث<sup>(2)</sup>. وقال الشيخ آقا بزرك «فهو الوحيد الذي صرف همه لتاريخ العراق وقضى فيه عمره، فلا غرو إذا لقبناه بمؤرخ العراق، فقد خلف مادة تاريخية غزيرة هي نتيجة حياته وثمره أتعابه وخلاصة تتبعاته»<sup>(3)</sup>.

### تاريخه لمدينة الكوفة

كان لبيئة البراقبي دور مهم في توجيه اهتماماته التاريخية، ففي زمانه كانت مدينته النجف قد دخلت عهداً جديداً من التوسع والعمران نتيجة لكثرة الوافدين إليها والمستقرين فيها، لا سيما من طلبة العلوم الدينية الذين يقصدونها من أماكن بعيدة غالباً، كما شهدت أيضاً استتباب حد أدنى من الأمن نتيجة لتعاظم سلطة المدن في العراق آنذاك، وغلبتها على ما حولها من ريف وبادية، ومن ثم انفتاح المدينة على ما

(1) مقدمة تاريخ الكوفة ص 7.

(2) الأمين: أعيان ج 25، ص 42.

(3) نقباء البشر ج 2 ق 1 ص 525.

حولها من مناطق، ومن تلك المناطق ما كان يحتفظ بآثار حضارات قديمة بادت، ومدن زاهرة اندثرت، ومجاري أنهار اندرست، وقبور تبعثرت، فكان ذلك يقدم مادة جديدة للمؤرخ ومحفزاً جدياً للعناية بما هو خارج عن نطاق أسوار مدينته.

ويمكننا أن نعد البراقى أول مؤرخ نجفي، بل عراقي، خرج باهتماماته التاريخية من إطار أسوار النجف القديمة، إلى فضائها الرحيب، ليؤرخ لتلك المدن الدائرة التي استطاع الإطلاع على آثارها، وفي تقديرنا فإن خروجه من ذلك النطاق كان في حقيقته خروجاً ذهنياً قبل أن يكون مادياً، فلم تعد النجف - في نظره - أسواراً قديمة مهلهلة، وبيوتاً ضيقة متراسة، وإنما عدت، كما دلت عنوانات كتبه نفسها، محوراً رئيساً لنطاق إقليمي واسع يشمل ما حول أسوارها من مدن وقصور وأديرة وأنهار وتلال وغير ذلك، مما تحفل بذكره كتب التاريخ والبلدان والتراجم وغيرها، فكان أن أفرد كتاباً عن مدينة الحيرة، وآخر في تحقيق موضعي الحنانة والثوية، وكتاباً في تاريخ كربلاء تطرق فيه إلى مواضع حولها، هي الغاضرية ونينوى وعمورية والحراء وغير ذلك من المواضع التاريخية.

وكانت مدينة الكوفة التاريخية واحدة من المواضع التي استأثرت باهتمام البراقى وجهده، وفي الواقع فإنه كان أول مؤرخ عراقي فعل ذلك<sup>(1)</sup>، وتلك ماثرة تسجل له بكل تأكيد، أما لم لم يسبقه أحد في ذلك الاهتمام، فلأن مدينة الكوفة نفسها أمست منذ القرن الثامن للهجرة (14م) نسياً منسياً، فقد اندثرت مبانيها، وضاعت معالمها، واندرست حدودها، ولم يبق منها إلا مسجدُها الأثري الشهير يقاوم عوادي الدهر وحده<sup>(2)</sup>، بينما فقدت المدينة التي كانت أول عاصمة إسلامية في العراق كل وظائفها

---

(1) يمكن أن نشير هنا إلى أن للسيد محمد مهدي بن السيد مرتضى بحر العلوم (1155-1212هـ/1742-1797م) رسالة في فضل مسجد الكوفة نوه بها البراقى قس مصادره (تاريخ الكوفة، طبعة أولى، النجف 1356هـ/ص82) ولم تصلنا هذه الرسالة، ومن الواضح أنها تدخل ضمن كتب الفضائل، وهي المعنية بفضائل مواقع بذاتها، وليس في كتب التاريخ.

(2) حدد البراقى نفسه في تاريخ الكوفة هذا القرن تاريخاً لخراب الكوفة، وثمة أدلة وقرائن عديدة ترجح هذا التحديد، وفي الواقع فإن بعض ملامح الخراب بدأت تبين منذ أواخر العصر الفباسي، فهذا ابن جبیر لاحظ أن الخراب قد استولى على أكثرها، فالعامر منها أكثر من الفامر، ونقل ابن بطوطة هذا القول، وقال أن الخراب استولى عليها بسبب أيدي العدوان التي امتدت إليها، وخاصة أن لا سور عليها يحميها، وقد شمل الخراب أكثر مسجد الكوفة التاريخي نفسه.

القديمة، السياسية والاجتماعية والثقافية، ليغدو مسجدُها مجرد محطة لاستراحة المسافرين الذين يقصدون النجف لشؤون من الشؤون. ولم يكن هذا الأمر بكافٍ لحث الباحثين للإهتمام بها، حتى إذا ما كادت شمس القرن الثالث عشر للهجرة (19م) أن تغيب، حتى أخذت ملامح العمران تبدو ظاهرة حوالى مسجدِها، وعند ضفة نهرها، مؤلفة بلدة جديدة آخذة بالنمو والإتساع، لتشغل مواضع لم تكن حتى وقت قريب إلاّ مزارع وكثباناً متفرقة<sup>(1)</sup>، فذكّرت الناس - من ثم - بأهمية هذه المواضع، ليس لما تمثله في ذلك العهد، وإنما لم تضمنه من ذكريات تاريخية حفلت بذكرها الكتب، وكان أحد هؤلاء الناس مؤرخنا البراقى، إذ شرع بتتبع أخبارها، وتقصى أخبارها في مختلف المصادر والمطان، بقصد كتابة تاريخ شامل لها، يُذكر أبناء عصره بما لهذه المدينة من ماضٍ تالد، ومجد رفيع.

ويستدل من قائمة مؤلفات البراقى التاريخية أنه خصَّ مدينة الكوفة بكتابين عنها، أسبقهما تأليفاً كتابه الذي سماه (البقعة البهية فيما ورد من مبدأ الكوفة الزكية)<sup>(2)</sup> ومن المؤسف أنه لم يصلنا هذا الكتاب لنعلم طبيعة محتواه ومنهجه والحقب التي يؤرخ لها، ولنا أن نفهم من عنوانه أنه اختص بتاريخ نشوء الكوفة وتكونها، إلا أن وصفه الكتاب في أول كتابه الثاني قلائد الدر والمرجان (المطبوع باسم تاريخ الكوفة) يدل على أنه كان أكثر سعة في تناول تاريخ المدينة. وأنه لم يقتصر في تاريخها على مرحلة محددة من مراحلها المبكرة، حيث قال «ذكرت فيه فضل الكوفة وفضل مسجد سهيل، وما ورد فيهما وأعمالهما وغير ذلك من تحديدها وبنائها ونزول القبائل فيها وخرابها»<sup>(3)</sup>.

وقوله «وخرابها» يدل على أنه لم يتوقف في تاريخها عند عصر تأسيسها، أو العصر الأموي والعباسي في أكثر تقدير، وإنما استمر في ذلك التاريخ حتى ما بعد سقوط الدولة العباسية، وهي الحقبة التي ولع بالبحث فيها، ولو وجد هذا الكتاب

(1) تاريخ الكوفة ص 457.

(2) قال آغا بزرك في نقباء البشر ج 1 ق 2 ص 526 أن البراقى ذكر أنه اختصر كتاب عقد اللؤلؤ والمرجان من كتابه البقعة البهية وقد استنتج ذلك من قول البراقى في مقدمة كتاب عقد اللؤلؤ والمرجان أنه بعدما فرغ من تأليف البقعة الزكية أحب أن يذكر فيها رسالة مختصرة نافعة من نظر فيها.

(3) تاريخ الكوفة ص 1.

لأفادنا في توضيح الظروف التي أدت إلى خراب الكوفة واندثار معالمها، وتبيين أسباب نزوح أهلها منها، وهذه بلا شك من الأمور المهمة للباحث في تاريخ العراق العمراني والاجتماعي والإقتصادي إبان القرون المتأخرة.

أما الكتاب الثاني، فهو الذي سماه (عقود اللؤلؤ والمرجان في تحديد أرض كوفان ومن سكن فيها من القبائل والعربان). وقد وصفه الشيبيني بقوله «وهو من أمتع آثاره ومن أوعى ما كتب عن الكوفة، وقد ألمّ فيه بتاريخها القديم والحديث إلى أواخر أيامه»<sup>(1)</sup>. وكان حظ هذا الكتاب أحسن من سابقه، فقد وصلت مخطوطته إلى يد أديب نجفي مهتم بتاريخ مدينته، هو السيد محمد صادق بن حسن آل بحر العلوم، فسعى إلى نشره، بعد إضافة فصول عدة لم ترد في الأصل، ونشر فعلاً، بطبعتين، الأولى سنة 1356هـ/1337م، في 457 صفحة، والثانية سنة 1379هـ/1960م في 448 صفحة، وتولت طبع كليهما المطبعة الحيدرية في النجف باسم (تاريخ الكوفة).

لم يأت المطبوع ممثلاً للمخطوط، كما تقتضي ذلك قواعد التحقيق عادة، ذلك أن ناشره لم يميز بين تعليقاته وإضافاته الشخصية، وبين المتن، بل أدرج أغلب ما لديه من إضافات في المتن مباشرة، حتى بات من الصعب أن يميز قارئ بين الإضافة والأصل، إلا بطبيعة المواد التاريخية نفسها، أو نوع ما استند إليه من مصادر. وقد نبّه الشيخ محمد رضا المظفر (المتوفى سنة 1383هـ/1953م) إلى هذه المسألة في مقدمته للكتاب، إذ قال أنه «زاد فيه زيادة ذات شأن يُذكر فيشكر، ونقحه تنقيحاً زاد في جماله وقيّمته التاريخية حتى أصبح كتاباً مشتركاً بينهما، وإذا كان قد نسبته إلى مؤلفه الأصلي، فالجل الإعتراف بفضل المتقدم وابتكاره للموضوع الذي كان أساساً متيناً بنى عليه هذا الكتاب فخرج وافياً بالغرض، وتعرف تصرفاته وزياداته على الأكثر في أواسط الكتاب وأواخره إذ تشم أن الأسلوب قد تغير بما لم يتفق له مؤلف في عصر السيد البراقي، ويتجلى ذلك لك عندما تقرأ المنقول عن المؤلفات التي طبعت، أو عن المقالات التي أنشئت بعد البراقي بسنين كثيرة»<sup>(2)</sup>. ومن الموضوعات التي أضافها الناشر، على ما لاحظ الشيخ المظفر، «معجم أسماء الكوفة وقراها ومجالاتها وما يتعلق بها من النواحي والبقاع والديارات والقصور» ويشغل الصفحات 134-170،

(1) مقدمته لتاريخ الكوفة ص6.

(2) مقدمته لتاريخ الكوفة ص12.

و«معجم نقبائها وقضائها وولاتها وتاريخ حوادثها وفتتها»، ويشمل أكثر الصفحات من 134 إلى 441، فتكون هذه الإضافات نحو ثلثي الكتاب المطبوع.

وعلى الرغم من أن الناشر أعاد كتابة نص البراقي أحياناً، فإن في وسعنا تحديد الأجزاء الأصلية من الكتاب، وتشمل معظم الصفحات 1- 130، وذلك أن المؤلف كان يميز أقواله بقوله «قال البراقي»، على نحو ما كان يفعله الأقدمون<sup>(1)</sup>، وبذلك فإنه منحنا الفرصة للتعرف على الأجزاء التي تؤلف الكتاب في شكله الأول قبل أن تمسه يد التغيير والإضافة.

وإذ كنا لا نملك نسخة من كتابه الأول في تاريخ الكوفة، وهو الذي عنوانه البقعة البهية، فإنه ليس في وسعه - بالطبع - المقارنة بين الكتابين، ومعرفة ما تميز به كتابه الأخير من معلومات وموضوعات جديدة. ومن الواضح أن كليهما يبحث في موضوع واحد، فإذا كان الأول يتناول تأسيس الكوفة ومن سكنها من القبائل ثم خرابها، فإن هذه المباحث هي نفسها التي تؤلف مادة كتابه الأخير، باستثناء تاريخ خرابها، فإنه لم يتناوله في شيء، وإن كان قد تحدث عن ظهور بلدة الكوفة الحديثة في زمانه على خرائب المدينة الدائرة القديمة، وليس ببعيد أن يكون البراقي قد فصل في كتابه الأخير ما أوجزه في كتابه الأول، وزاد عليه معلومات جديدة استجدت لديه، وآراء خططية استقرت عنده، ولكن ضمن إطار كتابه (البقعة البهية). ومما يُقوّي هذا الاحتمال عنوان الكتاب نفسه، على ما ساقه الشيببي، فهو (البقعة البهية مختصر في تاريخ الكوفة الزكية)، فالإختصار إذأ سمة الكتاب، أما قلائد الدر والمرجان فهو - كما وصفه الشيببي - «من أمتع آثاره، ومن أوعى ما كتب عن الكوفة»، وليس في هذا الوصف ما يُشتم منه سمة الاختصار بأي حال.

### منهجه:

ذكر مترجمو البراقي انه كان في منهجه جامعاً أكثر منه مؤلفاً<sup>(2)</sup>، وهذا - في تقديري - مظهر عمله لا حقيقته، فقدرة الرجل كانت تكمن في طريقة انتقائه النصوص الخاصة بموضوعه، وانتخاب الروايات المتصلة به، وحرصها في سياق

(1) وهذا ما قعله في كتبه الأخرى التي وقفنا عليها.

(2) الشيببي: مقدمة تاريخ الكوفة ص3.

مقصود، بحيث يصل بالقارئ إلى تكوين فكرة عامة. وربما حملت كثرة فصول الكتاب قارئه على الظن بأنه ليس تاريخاً لمدينة بقدر ما هو موسوعة مصغرة، جمعت مواد متنوعة، أراد بها مؤلفها أن يستغني قراؤها عن مراجعة الكتب التي استقيت منها. بيد أن تحليلاً لمصمون الكتاب يكشف أن هدف مؤلفه الأول لم يكن إلا تنبيه قراء زمانه إلى أهمية الكوفة وعظم شأنها، تلك الأهمية التي غابت بغياب الكوفة طيلة خمسة قرون قبله، وما جمعه من نصوص لم يكن سوى انتخاب منظم لروايات مختلفة، لكنها تخدم هذا الهدف رأساً.

ويمكننا تقسيم تاريخ الكوفة، في أصله الذي وضعه البراقبي، على ثلاثة محاور رئيسية، كالآتي:

أ- المحور الأول: يتناول تاريخ مسجد الكوفة، فضله، قدمه، تأسيسه، تحديد مقاماته، قبلته، فضل الصلاة والاعتكاف فيه، أبوابه، وما شاهده من توسعة وتعمير.

ب- المحور الثاني : يبحث في بقية معالم الكوفة، مما ورد خبره في المصادر التاريخية، أو مما ظل موجوداً إلى أيامه، فتطرق فيه إلى مساجدها القديمة، وإلى عدد من قبور الشهداء والصالحين وغيرهم في أرضها، مثل قبر مسلم بن عقيل، وقبر هانئ بن عروة، وميثم التمار بن أبي عبيد الثقفي، وبعض المعالم الأخرى.

ت- المحور الثالث: ويتناول بعض خطط الكوفة، مثل حدودها، وتخطيطها، وتقسيمها، وأسواقها، وأنهارها المدرسة.

فهذه الخطة - كما ترى- تكاد أن تكون متكاملة، بوصفها تحقق هدف المؤلف من كتابه، ولكنها ليست كذلك إذا ما أريد بها أن تحقق هدفاً آخر، أو أن تكون خطة لكتاب شامل، يستعرض حضارتها، ونشاطاتها الاجتماعية والاقتصادية والثقافية وما إلى ذلك من شؤون.

ولقد عني البراقبي في كتابه هذا، كما في أكثر كتبه الأخرى، بالمتابعة الميدانية لآثار المدن والمواضع التي يختارها موضوعات لكتابات، ومعنى ذلك أنه لم يكتف باختيار النصوص التاريخية من بطون الكتب، وإنما مضى فتأمل معطيات تلك النصوص، وعيّن ما تشير إليه، من مواضع معروفة في زمانه، ثم استدل بما هو معروف أو شاخص لتحديد مواقع ما ضاع أثره واندرس، وتعيين المواضع البائدة بحسب تسميات

الأمكنة الحديثة، فأثبت بذلك قدرته فيما يعرف بعلم الخطط، وهو دراسة المدن القديمة عن طريق الاستدلال بمواضعها المعروفة على ما هو غير معروف منها. وتلك -في تقديرنا- مزية مهمة تسجل له، إذ لم نعلم أن أحداً من مؤرخي مدينته، قد سبقه إليها. وقد لاحظ الشيببي أنه كان «مطبوعاً على التتقيب عن تاريخ العراق وآثاره القديمة»، وأنه من ثم «أزاح الستار عن حقيقة كثير من القبور والمزارات المنتشرة في قرى السواد»<sup>(1)</sup>.

ووفقاً لهذا المنهج العلمي السليم، فإنه اجتهد في تحقيق، أو تحديد، مواضع كثيرة. من ذلك مثلاً أنه علق على ما شاهده الرحالة المغربي ابن بطوطة في مسجد الكوفة من آثار كثيرة بقوله: «ان ابن بطوطة شاهد آثاراً كثيرة وفي زماننا هذا ليس لها عين ولا أثر». ويبحث في حقيقة المحراب الذي ذكر ابن بطوطة أنه محراب أمير المؤمنين بأنه المحراب الموجود الآن الذي بجنب المنبر المبني بالجص والحجارة». واجتهد في تحديد موضع الزاوية التي أشار إليها ابن بطوطة بأن فيها مسجداً صغيراً «يذكر أنه الموضع الذي فار منه التتور» فقال «يشير إلى الزاوية الغربية، وهي الآن حجرة كبيرة، فعلى كلامه يكون منها فار التتور». وكان ابن بطوطة قد ذكر أنه في ظهر المسجد بيت يزعمون أنه بيت نوح، وبيازائه بيت يزعمون أنه متعبد إدريس، فاستدل البراقبي بذلك على أن «بيت نوح ملاصق للزاوية الغربية. ويتصل بالباب الذي ذكرنا أنه مقام نوح الذي بجنب المنبر، وهو الباب الذي يدخل منه الإمام أمير المؤمنين (ع) إلى المسجد، أما متعبد إدريس فليس له الآن عين ولا أثر». وذكر ابن بطوطة أنه موضع إنشاء سفينة نوح، وفي آخر هذا الفضاء دار علي بن أبي طالب والبيت الذي عُسل فيه « فاستدل البراقبي بهذا على أن الفضاء هو الموجود ما بين بيت أمير المؤمنين وبيت نوح الذي هو ملاصق للحائط القبلي»<sup>(2)</sup>.

وأرخ البراقبي لمساجد الكوفة، فعد منها ثمانية عشر مسجداً، عدا مسجدها الكبير، منها مسجد السهلة، ومسجد بني ظفر، ومسجد غني، ومسجد جعفي، ومسجد الحمراء، ومسجد ثقيف الأشعث، ومسجد جوهر البجلي، ومسجد سماك بن

(1) مقدمته لتاريخ الكوفة ص3.

(2) تاريخ الكوفة ص17.

مخرمة، ومسجد شبت بن ربيعي، ومسجد ثيم، ومسجد بني السيد، ومسجد بني عبدالله بن رازم، وغيرها. ولم يكتف بإيراد ما ورد في الكتب عنها، وإنما سعى إلى تحديد مواضعها، وما بقي من آثارها، فقال عن مسجد الأشعث أنه «بقي منه حائط قبلته ومنارته»<sup>(1)</sup>. وذكر أن مسجد سماك بن مخرمة «بالموضع الذي فيه الحدادون قريب منه»، وأن مسجد الحمراء «هو بمحلة النجار». وقال عن المسجد الذي بقرب القنطرة الجديدة «لا يبعد أن يكون موضع القنطرة الجديدة من الجانب الشرقي هو الآن قريب من معبر الجسر المعروف بعبرة البازول محاذاً للبلستان الراجعة إلى آل السيد رضا الرفيعي سدنة الحرم العلوي إلى القصر الذي بني فيها»<sup>(2)</sup>.

ونوه بأسماء عدد من العلويين الذين دفنوا في الكوفة ونواحيها، وحقق قبور بعضهم، وحدد مواضع قبور بعض آخر، فنقل مثلاً أن إبراهيم أحمر العين بن عبدالله المحض (المقتول سنة 145هـ) دفن بباخمر من أعمال الكوفة. ويحث في موضع هذا القبر، حتى انتهى إلى القول بأنه «القبر الذي بقرب قرية أبو قوارير، وأهلها اليوم مكارية من الرماحية يدفنون موتاهم بقرية، أو القبر الذي في العذار بقرب الحلة السبفية وهو الأشبه»<sup>(3)</sup>. وكان الحسين بن الحسن من ذرية الإمام موسى الكاظم (ع) قد «قتل بطريق قصر ابن هبيرة» فاجتهد هو في تحديد هذا المكان، حيث قال «أي إلى جنب الهاشمية في العذار»<sup>(4)</sup>. وتوصل إلى أن صاحب القبر المعروف بالنبي عيسى، الكائن على مسافة ثلاثة أميال عن قرية الشنافية، هو عيسى بن زيد مئتم الأشبال تحديداً، وذكر شيئاً من تاريخ عمارة هذا القبر في زمانه. كما توصل عن طريق الاستدلال الخططي وحده إلى أن المكان المعروف في تاريخ الكوفة بالكناسة «هي الآن فيها مقام زيد بن علي، وهو مكان دفنه وحرقه، وهو عن قرية الكفل على بعد خمسة أميال»<sup>(5)</sup>. وأن قصر الإمارة كان يقع خارج مسجد الكوفة، من جهة قبلته، وليس بداخل المسجد، كما كان يتصور بعض أهل زمانه. فقال «ووضح من هذا أن دار أمير

(1) المصدر نفسه ص44.

(2) المصدر نفسه.

(3) المصدر نفسه ص54.

(4) المصدر نفسه ص56.

(5) المصدر نفسه ص15.

المؤمنين (ع) يخرج الخارج منها ويدخل المسجد ولو كان موضعها من المسجد لما اتخذه أمير المؤمنين (ع) مسكناً، وأن هذا البيت بيت أمير المؤمنين لا ريب»<sup>(1)</sup>.

ونتيجة لدراسة البراقي الخططية، فقد توصل إلى تحديد منطقة الكوفة في العصور الإسلامية، وفقاً للمواضع الماثلة في عهده، ونعتقد أنه أول من فعل ذلك، إذ قال في تعيين حدودها «أحد حدودها خندق الكوفة المعروف بكري سعد، فالحد الآخر القاضي الذي هو بقرب القائم إلى أن يصل قريباً من القرية المعروفة بالشنافية، والحد الآخر الفرات الذي هو ممتد من الديوانية إلى الحسكة إلى القرية المعروفة اليوم بأبو قوارير، وهي منزل الرماحية، والحد الرابع قرى العذار التي هي من نواحي الحلة السيفية»<sup>(2)</sup>.

ويغض النظر عن دقة هذا التحديد أو ذاك (فذلك أمر يحتمل الاجتهاد) فإن نتائج كهذه التي ذكرنا لا يمكن أن تكون إلا باطلاع واسع، وزيارات، أو جولات، عدة إلى المنطقة، وحسن نظر واستدلال.

---

(1) المصدر نفسه ص16

(2) المصدر نفسه ص111.

## آراء الكشناوي في العلوم السرية

هو، كما سُمي نفسه، محمد بن محمد، الفلاني، الأشعري، المالكي (توفي سنة 1154هـ/1741م)<sup>(1)</sup>، عالم سوداني<sup>(2)</sup>، عاش في النصف الأول من القرن الثاني عشر للهجرة، وكان معنياً، على نحو عجيب، بتتبع كتب السحر والطلسمات وما يتصل بها، ومن المؤكد أنه كان واسع الخبرة فيها، ممارساً لأكثر فنونها، وقد صنف فيها جملة من الكتب، هي:

1- بهجة الآفاق وإيضاح اللبس والاعلاق في علم الحروف والأوفاق.

2- الدرر واليوافيت في شرح الدر والدرياق لعبد الرحمن الجرجاني.

3- كتاب (الدر المنظوم) وهو موضوع هذا البحث.

4- رحلة تتضمن ما حصل له في أسفاره.

وله فضلاً عن ذلك كتب في المنطق والنحو والتراجم.

ويعد الكتاب الذي سماه (الدر المنظوم وخلاصة السر المكتوم في السحر والطلاسم والنجوم) أبرز مؤلفاته<sup>(3)</sup>.

يذكر الكشناوي أنه ألف كتابه هذا في أثناء مجاورته في مكة سنة 1141هـ/1728م، وذلك حين اقترح عليه أحد العلماء الذين لهم باع طويل في تلك الفنون، هو الشيخ يونس بن محمد السوداني الحوساوي الكناوي (الكشناوي) أن يقوم بتلخيص كتاب كان الكشناوي يمتلكه، عنوانه (السر المكتوم) يجمع «لأكثر الفوائد النجومية والطلسمية والسحرية والنيرنجية بأنواعها السُميّة وغيرها»، فبدأ بتلخيصه بأن حذف الزوائد والمكررات، بل زاد عليه أن «فكّ مكفلات عباراته الشبيهة بالألفاظ». ويظهر أنه أعاد ترتيبه على نمط جديد ارتضاه، مرتباً إياه على مقدمة وخمسة مقاصد وخاتمة. ولم يكن الأصل على هذا الترتيب، وغير بعيد أن يكون الكتاب كله من وضع الكشناوي،

(1) ترجم له باختصار الجبرتي في عجائب الآثار ج1 ص159 والبغدادى: هدية العارفين ج2 ص325 و Brockelman. II.p.366

وأضاف مترجموه إلى ألقابه (الدانركوي السوداني).

(2) يقصد بالسودان، في التراث الجغرافي العربي، بلاد السودان الغربي، التي تشمل في عصرنا هذا: بلاد مالي والسنغال ونايجيريا.

(3) طبع في مجلدين، في مطبعة مصطفى البابي الحلبي في القاهرة سنة 1381هـ/1961م.

ولكنه عدّ نفسه مختصراً له، تخلصاً من مسؤولية ما ورد فيه من أفكار وآراء وتجارب وعبارات قد لا ترضي جمهور القراء.

يطلق الكشناوي على المعارف الثلاث: الطلسمات، والسحر، والتنجيم، مصطلحاً واحداً، هو (العلوم السرية)، ويرر تعلم هذه العلوم بالمبررات الآتية:

1- إن المتصرفين فيه يقدرّون على تحصيل جميع ما أرادوه من الأمور، ك معالجة الأمراض الصعبة البرء، التي يعجز عنها الأطباء، مثل المفلوجين والمجدومين، وكإزالة العشق.. الخ

2- إن صاحبه يقوى على قهر الخصوم من غير ممارسة وحروب «وتعريض النفس للقتل».

3- إن صاحبه قد يصير بحيث «تخبره الأرواح بالحوادث التي ستقع قبل وقوعها، ليتمكن الاحتراز عن جميع المضار».

4- إن صاحبه يقدر على إنقاذ المظلومين من أيدي الظلمة الجبابة».

5- إن صاحبه «يقدر على رؤية الأشياء المتباعدة والتصرف بها».

والأمثلة والشواهد التي أتى بها لتأكيد هذه المبررات تدل على أن أغلبها يدخل ضمن نطاق علم الباراسايكولوجي الحديث، فعلاج الأمراض الجسدية يدخل في مجال استخدام ظاهرة الإشفاء Therapeutic touch، كواحدة من ظواهر القدرة الفائقة extra-sensory perception وعلاج الأمراض النفسية، أو السيطرة على الرغبات الكامنة، يدخل في مجال الإيحاء، سواء أكان في حالة اليقظة أو النوم الإيحائي (المغنطيسي) Hypnosis . والقدرة على قهر الخصوم، متأتية من إمكان التأثير تخاطرياً telepathy على تصرفات الناس وسلوكهم، وكذلك التأثير على شعورهم وصحتهم بل حتى قتلهم بواسطة قوى نفسية خارقة، ومن مسافات بعيدة (Psychokinesis أو ربما حرقهم Pyrokinesis أما القدرة على التنبؤ Precognition، ورؤية الأشياء البعيدة، فنعتقد بأنها لم تكن بعيدة عن تجاوز حازي الزمان والمكان لبعض المؤمنين مغناطيسياً Clairvoyancy فما ساقه من شواهد يؤيد ذلك.

وعلى الرغم من تقارب مفاهيم الطلسم والسحر والنجوم، فإننا سنقتصر هنا على مفهومه للسحر بالذات، نظراً لأهمية آرائه في تحديد هذا المفهوم ونطاقه وشروطه.

يقدم الكشناوي عدة تعريفات للسحر، ولكنه يعلن أن أشملها لفنونه أنه «علم

يستفاد من حصول ملكة نفسانية يُقَدَّر بها على أفعال غريبة بأسباب خفية». ويمكن إعادة كتابه هذا التعريف على النحو الآتي: إنه علم القدرات الفائقة التي يقدر بها على إتيان أفعال غير معتادة بوسائل غير فيزيائية. وهذا التعريف - كما نرى - يقرب به إلى أن يكون داخلاً في نطاق علم الباراسايكولوجي فعلاً.

ويقسم الكشناوي القدرة النفسية التي يقدر بها على ذلك إلى قسمين:

1- قوة فطرية تحصل للإنسان من غير اكتساب، والذين يمتلكونها لا يُتعبون أنفسهم في تحصيل قوانين هذا العلم وأركان شرائطه، ولكن يمكن لمن يحرزها أن يُنمِّيها، أو يشحذها، بشيء من التدريب الذي يفصله.

2- قوة مكتسبة. وتكون بخمس وسائل:

أولاً: الرياضة الروحية القائمة على الزهد بالملاذ الدنيوية.

ثانياً: تنقية القلب من الأفكار الرديئة (أي التأمل والتركيز).

ثالثاً: مراعاة حال الغذاء كمية وكيفية (أي اتباع نظام غذائي خاص يقوم على أساس نباتي).

رابعاً: استخدام أنواع معينة من العطور، والألوان، والموسيقى، للمساعدة على العمل.

خامساً: إحكام العلاقة بالأرواح الفلكية (أي الاتصال بأرواح مطلقة ثابتة، أو جان).

ويعد الكشناوي الوسيلة الأخيرة أفضل الوسائل وأهمها، والظاهر أنها تمثل عنده جوهر العمل السحري ومعنى نجاحه، ولذا فإنه يقسمها إلى أربعة أنواع، بحسب ما دلت عليه تجارب الأمم، وعلى النحو الآتي:

1- التدريب على التركيز في تلك الأرواح، ولا بأس باستخدام أشكال ترمز إليها، كوسيلة تساعد على التركيز نفسه، وهذا ما يسميه طريقة الكلدانيين.

2- عمل أسباب مناسبة للغرض المطلوب، مثل التماثيل والعُقد التي تُعقد وينفث عليها، والكتب التي تكتب وتدفن في الأرض، أو تطرح في الماء، أو تعلق في الهواء، أو تحرق في النار، هذا مع رُقَى وأدخنة تطلق في أوقات مختارة، وهذا ما يسميه بطريقة النبط.

3- الوقوف والتضرع إلى روحانية إلى روحانية الكواكب وسيلة لتسخيرها، وهذا ما يسميه طريقة اليونانيين القدماء.

4- الإعتماد على ذكر أسماء مجهولة المعاني، كأنها أقسام (جمع قسم أو يمين) وعزائم، بترتيب خاص، كأنهم يخاطبون بها حاضراً، لاعتقادهم أن هذه الآثار إنما

تصدر عن الجن، ويدعون في تلك الأقسام أنها تُسخر ملائكة قاهرة للجن. وطريقة  
تحصيل تلك الأسماء والأقسام أما بالوحي إلى بعض الأنبياء، أو بالإلهام، أو بالمنامات  
الصادقة، وهي ما يسميه طريقة العبرانيين والنبط والعرب.

وتتحدد الطرق الموصلة إلى تسخير الأرواح في ثلاثة أنواع، هي:

أ- الإستخدام. وهو أعلى الأنواع.

ب- الإستئصال. وتبرز الفائدة منه في كشف الأمور الغائبة، من سرقة أو تهمة، أو  
علاج المصاب بالجان.

ج- الإستحضار، وهو أدنى الأنواع، وغاية نفعه - كما يرى - كشف الأمور الغائبة،  
كالمتهم (أي معرفة المتهم بفعلة ما). وطريقته إذا كان في البقظة يتوسط بتلبس الروح  
ببدن منفعل، كالصبي أو المرأة، بأن يتشخص المتهم وترسم صورته في المرأة، أو يحصل  
للصبي حالة تشبه حالة النوم، بحيث يغيب عن حواسه، وينطق في تلك الحالة باسم  
المتهم. وهذا هو عين ما عرف بالتتويم المغناطيسي.

وإذا كان الكشناوي قد أشار إلى أن من فوائد ما سماه بالسحر علاج الأمراض  
الجسدية والنفسية، وأن (الإستحضار) هو واحد من أهم ما يدخل في نطاق السحر،  
فلنا أن نقول أن إدخال إنسان ما في «حالة تشبه حالة النوم بحيث يغيب عن حواسه»  
(وهو التتويم المغناطيسي نفسه) كان يعد الوسيلة المعتمدة في تلك المعالجات، وهذا  
يعني أن التتويم لم يكن يستخدم لأغراض مثل إيجاد المتهم، أو الإخبار عن المغيبات  
فحسب، وإنما كان يستعمل أيضاً لعلاج المريض الذي يعاني اضطراباً في نفسيته،  
فتجتاحه رغبات جامحة، أو تؤثر في سلوكه رغبات مكبوتة، تماماً كما يفعل بعض  
النفسانيين في الوقت الحاضر.

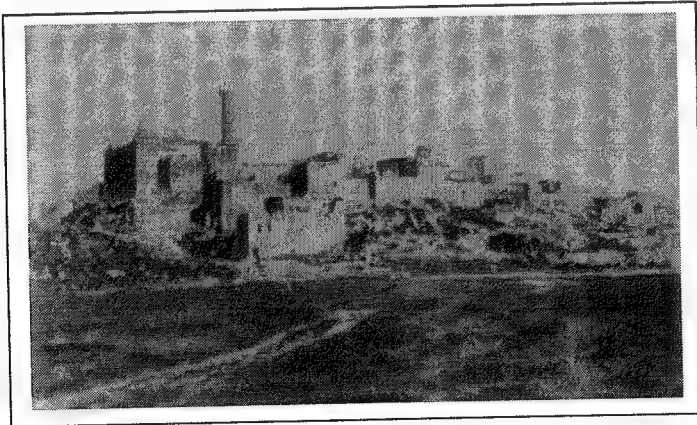
بقي لنا أن نقول: أن تفسير الكشناوي لظاهرة تجاوز النوم (بفتح الواو) لحاجزي  
الزمان والمكان، يقوم على أساس (تلبس) قوة (مطلقة) لجسده (النسبي)، وهو ما  
يسميه تلبس الروح (قوة علوية، أرواح فلكية، جن) ببدن منفعل (مستجيب للتلبس).

ويأتي هذا التفسير متساوفاً مع نظرة الكشناوي العامة للعلوم السرية كلها، وهي  
نظرة تقوم على أن غاية هذه العلوم، هي إحداث إتصال بين نسبي (الإنسان) ومطلق  
(أياً كان اسم هذا المطلق)، ثم السعي للسيطرة على نتائج ذلك الاتصال، وتسخير  
لأغراض مختلفة تخدم الإنسان وتلبي مطالبه في هذا الكون.

## رسالة في غلاء الموصل سنة 1297هـ/1878م

كان التذبذب الشديد بين حالتي الغلاء والرخص في أسواق الموصل يمثل انعكاساً مباشراً لطبيعة المواسم الزراعية لريف المدينة، حيث تتحكم فيها -بصفة أساسية- التغيرات المناخية المستمرة، فمنطقة الموصل، تعتمد في ري حقولها على مياه الأمطار وحدها تقريباً، كان لابد من أن يتأثر إنتاجها الزراعي بكل ما يطرأ من تغير مناخي أو بيئي. وكان من المتوقع دائماً أن يؤدي تعرض المنطقة إلى حالة جفاف، أو أن يتأخر هطول الأمطار، فيؤدي إلى تلف المحاصيل الزراعية وأغلبها من الحبوب. بيد أن الجفاف لم يكن المسؤول الأوحده عن هذا التلف، بل قد تكون كثرة الأمطار نفسها، وتجاوزها القدر الملائم، سبباً في تلف الزرع، أو أن يؤدي البرد الشديد، الذي تتعرض له الموصل أحياناً، إلى تلف جانب كبير من المحصول، وربما ساهمت أسراب الجراد المندفعة إلى المنطقة من مواطنها الصحراوية في الجزيرة العربية، إلى أكل الحاصل، فتتفاقم الأزمة، ويعم ضررها مجتمع المدينة بأكمله.

ومن ناحية أخرى فإن للعوامل البشرية أثرها على إقتصاد مدينة تعتمد في جانب من نشاطها على التجارة، فانقطاع الطرق بسبب التمرد أو النزاعات الداخلية بين العشائر وسلطات المدن المجاورة، كان يؤدي أيضاً إلى قلة المعروض من سلعة ما، ومن ثم إلى ارتفاع حاد في أسعارها.



جامع النبي يونس في الموصل

صورة قديمة

وتكشف دراسة النصوص التاريخية التي سجلها المؤرخون<sup>(1)</sup> عن ظاهرة الغلاء في مدينتهم إبان القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، عن تكرار هذه الظاهرة، بصفة كلية أو جزئية، في أوقات متقاربة للغاية، وربما استمرت مع اختلاف في أسبابها، عدة سنوات، وذلك ما يمكن توضيحه في الجدول الآتي:

سنة الغلاء	أسبابه	مدته
1192هـ/1778م	إنقطاع المطر	(٩) (2)
1197هـ/1782م	إنقطاع المطر	3 اشهر (3)
1199هـ/1784م	انقطاع المطر	— (4)
1200هـ/1785م	انقطاع المطر	سنة كاملة (5)
1206هـ/1791م	انقطاع المطر	(٩) (6)
1209هـ/1794م	الجراد - البرد - كثرة الامطار	4 اشهر (7)
1210هـ/1795م	الجراد	سنة كاملة (8)
1211هـ/1796م	البرد	موسم (9)
1213هـ/1798م	انقطاع الطرق	(٩) (10)
1214هـ/1799م	الجراد	موسم (1)

- (1) ان ابرز المؤرخين الموصليين اهتماماً بهذه الظاهرة (وغيرها من الظواهر غير السياسية) هو المؤرخ ياسين بن خير الله الخطيب العمري المتوفى بعد سنة 1236هـ/1252م، لا سيما في كتبه:
- أ- الدر المكنون في المآثر الماضية من القرون، مخطوط.
- ب- الآثار الجليلة في الحوادث الارضية. وقد انتخب زبدته داود الجليبي ونشرنا هذه الزبدة بعنوان «زبدة الآثار الجليلة في الحوادث الأرضية» النجف 1974.
- ج- غرائب الاثر في حوادث ربع القرن الثالث عشر، نشره محمد صديق الجليبي (الموصل 1940).

(2) الزبدة ص 144

(3) الزبدة ص 152

(4) الدر المكنون، حوادث 1199.

(5) الزبدة ص 155.

(6) غرائب الاثر ص 26

(7) الزبدة ص 177

(8) غرائب ص 40.

(9) غرائب ص 41.

(10) غرائب ص 48.

1215هـ/1800م	انقطاع الطرق	(٩) <sup>(2)</sup>
1219هـ/1804م	انقطاع الطرق	(٩) <sup>(3)</sup>
1824م	الجفاف- الجراد	(4)
1826م	الجفاف	(٥)

وقد علّمت خبرات الفرد الموصلّي أن يعتمد إلى خزن كميات كبيرة تزيد عن حاجته العادية من الحبوب والمنتجات الزراعية الأخرى، في كل موسم زراعي، تلافياً لما قد يواجهه في أزمات الموسم القادم وبالطبع، فإن هذا التخزين الدائم من شأنه التخفيف من حدة الأسعار في بعض المواد بازاء الطلب عليها بيد أن حدود الأزمات لم تكن مما يمكن السيطرة عليه دائماً، ففي حالة تلف المحصول، لأي سبب من الأسباب المختلفة، سنتين متتاليتين، تتجاوز الأزمة القدرات المتاحة للمدينة، وتجعلها على حافة مجاعة حقيقية، مع ما يترتب عليها من مأس اجتماعية محتملة، فإذا ما تكررت مثل هذه الحالة في أوقات متقاربة- كما يوضح الجدول- أدى ذلك إلى تفاقم الأزمة الاقتصادية- الاجتماعية، وامتداد أثرها إلى الحياة السياسية نفسها .

وقد أثارت ظاهرة الغلاء الفادح اهتمام المؤرخ الموصلّي إبان القرنين الأخيرين، فسجل ارتفاع أسعار بعض المواد الرئيسية في سنوات الغلاء. لكنه سكت عن تسجيل أسعارها في السنوات العادية بوصفها تمثل أمراً معروفاً من قبل معاصريه. ففي سبيل المثال، ذكر المؤرخ الموصلّي ياسين بن خير الله العمري أن الغلاء الذي داهم مدينته سنة 1192هـ/1778م أدى إلى أن تباع الوزن ونصف من الحنطة بثمانية دراهم، والوزنتان من الشعير بثمانية دراهم<sup>(6)</sup>، وأنه في سنة 1200هـ/1785م بيع الرطل من الحنطة بدرهمين وبدرهم ونصف، والشعير الرطل بدرهم وأكثر، ورطل الملح بدرهم، والدهن بخمسة دراهم، والقطن بدرهمين وأكثر<sup>(7)</sup>، وإن سنة 1206هـ/1791م شهدت ارتفاع سعر الحنطة إلى ريال لكل وزنيتين، ومثله لكل أربع

(1) غرائب ص 46.

(2) غرائب ص 54.

(3) غرائب ص 67.

(4) Budge. W. By Nile and Tigris, 11,P.38

(5) المصدر نفسه.

(6) زبدة ص 144 والدرهم هنا هو الدرهم العثماني المسمى آقجة.

(7) زبدة 155.

وزنات من الشعير<sup>(1)</sup> بيد أن المؤرخ نفسه، لم يحدد لقرائه أسعار هذه المواد في السنوات السابقة، أو اللاحقة، لنعلم نسبة الارتفاع الذي حصل بشأن كل مادة، هذا فضلاً عن استخدامه أنواعاً مختلفة من العملة التي كانت مستعملة في أسواق الموصل آنذاك، مما يزيد من صعوبة تحليل معطياته من الأرقام المذكورة.

وكان من توفيقه تعالى، أننا وقفنا على رسالة مهمة لم تتشر بعد<sup>(2)</sup>، من شأنها أن تلقي ضوءاً ساطعاً على الإرتفاع السريع للأسعار في سوق الموصل إبان النصف الأخير من القرن التاسع عشر، ومن المؤكد أن هذا الضوء يمكن أن يفيد الباحث في توضيح أبعاد هذه الظاهرة في الحقب التاريخية السابقة بوجه عام. وعلى الرغم مما يعوزنا من معلومات عن مؤلف هذه الرسالة، وطبيعة ثقافته، فإنه يكفي أن يكون المؤلف الوحيد بين أكثر من ثلاثمائة وثمانين مؤلفاً عراقياً<sup>3</sup>، عُنوا بكتابة التاريخ، أو تسجيل أحداث عصرهم في الأقل، أفرد للظاهرة الاقتصادية رسالة خاصة بها، ولقد اكتفى المؤلف في توضيح هويته بأن صرح في آخر رسالته بأنها (لمحرره محيي الدين) ومن المحتمل أن تكون هذه كنيته لا غير، وبذا يكون اسمه قد غاب بصفة نهائية. وعلى أية حال، فإنه صرح بموصليته، ويظهر أنه كان أديباً له شيء من النظم، فقد ختم رسالته ببيتين من نظمه في رثاء الموصل بمناسبة ما أصابها من غلاء فقال:<sup>(4)</sup>

ولما رأيتُ ما حلَّ بأهل الموصل - وأنا منهم - وما همُّ

عليه من سوء الحال على سبيل الرثاء، فقلتُ كما

رأيت وبالله اعتصمت:

فاضتْ مدامُ عيني بِيكائي      أسفاً على ما حلَّ في الحدياء

عمرنا هذا فما أعظمه      أرخوه عام قحط والغلاء

(1) غرائب الأثر 26

(2) عثرنا على هذه الرسالة بين مجموعة من (الكشاكيل) والأوراق التي كان يحتفظ بها السيد الحاج إبراهيم ونه في بغداد، وقد تفضل بالسماح لنا بتصويرها. وينظر عن آل ونة في بغداد بحثنا المعنون (خليل ونه سيرته - رحلته - آثاره) في الجزء الأول من هذا الكتاب.

(3) استندنا في هذا الإحصاء على معطيات كتابنا: التاريخ والمؤرخون العراقيون في العصر

العثماني، ط2، لندن 2009.

(4) المخطوطة الورقة 10 - 11.

والبيت الأخير يتضمن تاريخ الغلاء بحساب الجُمْل، وهو سنة 1297هـ/1878م<sup>(1)</sup> ويوافق هذا التاريخ ما سجله، في رسالته نفسها، كما سيأتي.

والرسالة بعد هذا بخط مؤلفها، وهو خط نسخ معتاد فيه بعض الإختزال، مما يظهر أن صاحبه اعتاد على أعمال السوق، من تسجيل ومسك دفاتر، وهو ما يتفق مع كلامه عما أصابه من خسارة نتيجة انخفاض قيمة النقود المتداولة في سوق الموصل. وتقع الرسالة في 11 صفحة، بمقياس 12×20 سم، وفي كل منها 14 سطراً تقريباً، وهي خلو من العنوان.

وتقدم الرسالة أسعار عدد كبير من المواد الغذائية «من الغلال والخضروات والبقاليات واللحوم في حال رخصها وعدم غلائها، وذلك من أواسط سنة ست وتسعين ومايتين وألف (التي) فيها الترقى والتزايد إلى ساعة التاريخ» أي إلى تاريخ كتابة هذه الرسالة.



سوق في الموصل 1916

استخدم المؤلف، في تحديده مقادير المواد المختلفة الأوزان الآتية:

---

(1) ثمة قصيدتان بالسريانية، في وصف هذا الغلاء والقحط الذي أصاب الموصل سنة 1897 ضمن مجموعة خطية في خزانة الرهبانية الكلدانية في بغداد، أحدهما للراهب كوريال داود اللقوشي، والآخرى لكاتب غير معروف.

8	-	1.5 أوقية	نخالة حنطة منخل
6	-	2 أوقية	دقيق ارز منخل
30	-	الحقة	خبز حنطة
15	-	الحقة	خبز شعير

#### ثانياً: البقالية

المادة	الوزن	أسعار الرخص بالقرش	أسعار الغلاء بالقرش
عسل	المن	40	150
حلو	المن	5	65
طحينية	المن	5	120
زبيب أحمر	المن	5	40
زبيب أسود	المن	15	80
تمر قَوْصَرَه <sup>(1)</sup>	المن	5	100
تمر قصب <sup>(2)</sup>	المن	5	100
تين هوى	المن	10	65
تين سنجار	المن	10	75
جوز	المن	5	104
لوز	المن	6	150
قَيْسِي (المشمش)	المن	5	65
حبة خضرا (مال سعرد)	المن	40	55
بُطْم	المن	5	75
فستق	المن	7	65

(1) القَوْصَرَة وعاء من قصب يحفظ فيه التمر بعد كبسه، وتعرف أيضاً باسم (خصاف).

(2) القسب هو التمر المجفف يتفتت في الفم.

بندق	المن	20	55
قضاى	المن	15	55
سسى	المن	6	40
ملح	المن	2	52
سماق	المن	6	45
حب رمان	المن	10	50
حصرم	المن	8	55
رمان حلو		8	
رمان حامض	المن	4	55
نومى حلو	المن	6	50
نومي حامض	المن	6	50
انجاص ماردين	المن	20	45
قمر الدين	المن	20	-
بلوط	المن	2	-
كسب	المن	2	55
حلاوة راشية	المن	20	80
دهن غنم	المن	40	220
توتون	المن	20	200

### ثالثاً- الخضروات

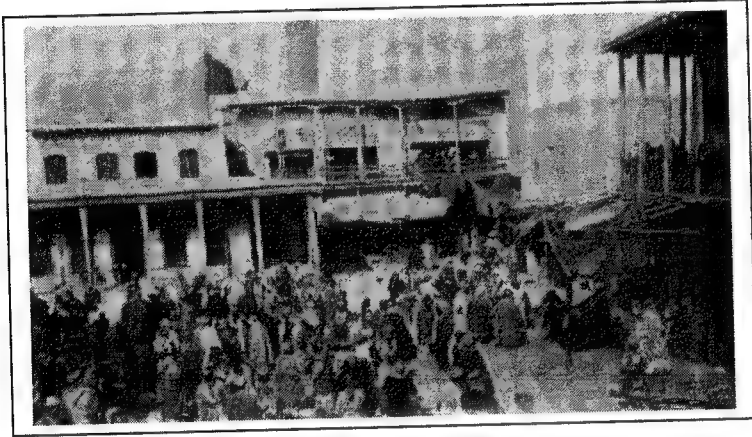
المادة	الوزن	أسعار الرخص بالقرش	اسعار الغلاء بالقرش
بصل	الوزنة	2	25
الشلجم	الوزنة	2	12
شوندّر	الوزنة	-	25
سلق	الوزنة	-	25

جَزَر	الوزنة	-	25
فجل	الوزنة	-	12
كرفس	الوزنة	4	40
قرع	الوزنة	1	22
كعُوب	الوزنة	2	15

#### رابعاً- اللحوم

المادة	الوزن	اسعار الرخص بالقرش	اسعار الغلاء بالقرش
لحم غنم	اوقية	1	12
لحم بقر	اوقية	-	8
لحم جمل	اوقية	-	4
لحم القيمة	اوقية	4	-
شحم	اوقية	4	140
سمك	اوقية	2	6
معلق	-	-	5
رأس وكرش	-	-	10
غنم	-	-	40
رأس وكرش	-	-	المعلق 15 المصارين 6
بقر	-	بارة	8
معلق بقر	-	4	15
ومصارين	المن	20	175
بيضة	اوقية	-	لبن غنم 7
دجاجة	المن	25	180
إلية غنم	المن	40	140
شيرج	-	1	4
لبن	-	2.5 بارة	2
زيت	الوزنة	-	5
شمع	الحمل	10	50
مصارين	-	-	2
غنم	-	-	-
قرية الماء	-	-	-

تظهر هذه الجداول أن ارتفاع الأسعار كان يتخذ شكلاً عاماً يشمل جميع المواد الزراعية والحيوانية بلا استثناء، المنتجة في الموصل أو المجاورة من الولايات الأخرى على حد سواء، إلا أن الغلاء في الحبوب (وهي منتوجات الموصل غالباً) يكون أشد، حتى يصل في محصول الحنطة ثلاثين ضعفاً، وفي الشعير إلى 99 ضعفاً، وفي الذرة مثل ذلك، وفي العدس إلى 52 ضعفاً، وفي الحمص إلى 23 ضعفاً، بل يصل في التبن، وهو مجرد ناتج ثانوي عن عملية الحصاد، إلى 75 ضعفاً، بيد أن الأسعار تقل نسبياً في السلع الأخرى، وبخاصة في الفواكه المجاورة من خارج الموصل كالتمر والتين والقيسي والنومي (الليمون) والإنجاص. الخ مما يدل على أن الأزمة كانت في حقيقتها زراعية، تتعلق بحالة الجفاف التي أضرت بمحاصيل الموصل، أكثر منها أزمة تجارة ومواصلات، إلا أنها سرعان ما انعكست بعد شهور قليلة- على هذا المجال أيضاً كما سيأتي.



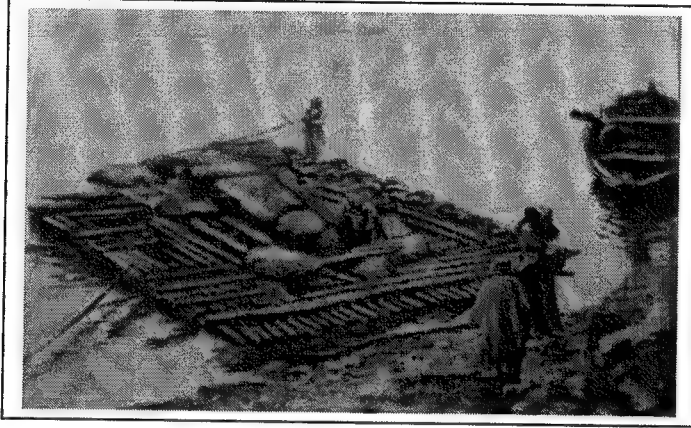
سوق قديم في الموصل

#### أسباب الغلاء

ويوضح مؤلف الرسالة أسباب الغلاء الذي داهم الموصل، على هذا النحو، فإذا بها أسباب طبيعية يمكن إجمالها بالآتي:

- 1- قلة وقوع الأمطار
  - 2- كثرة الحر
  - 3- الوحامة أيام الحصاد
  - 4- البرد الذي يهلك دواب النقل والماشية
- وأسباب بشرية، هي:

- 1- إمتناع الولايات المجاورة عن تصدير كميات كبيرة من الحبوب، تعويضاً عن نقصها الشديد في سوق الموصل.
- 2- الخفض المفاجئ لسعر العملة
- 3- فرض إتاوات غير قانونية على قوافل التجارة.
- 4- توقف حركة نقل السلع بسبب البرد الشديد وتجمد نهر دجلة مما يؤدي إلى تعطل وسائل النقل النهرية.



الكلك وسيلة قديمة للنقل النهرية

يقول: «وسبب وقوع هذا الغلاء العظيم الذي لم يُسمع بوقوع مثله فيما مضى في الكثير من السنين، قلة وقوع الأمطار زمان الربيع، وكثرة الحر والوخامة أيام الحصاد، فحصل للزرع الشطف»<sup>(1)</sup> وقلة الحنطة والشعير فقلت أثمانهما، وازداد سعرهما في بلد الموصل في ذلك (ان) غلال الموصل لازال يذهبون بها إلى هذين البلدين، خصوصاً إذا احتاجوا إلى ذلك، فمنع شراء الذخائر من ديار بكر واليها [في] ذلك اليوم عزت باشا، وكذلك منع الشراء من بغداد واليها في ذلك الوقت عبد الرحمن باشا<sup>(2)</sup> حذراً على أهل بلديهما من الإحتياج، فترقت<sup>(3)</sup> قِيم الغلال، وكذا البقالية وما أشبهما في الموصل، وضجت العامة، واستمدوا من الدولة أن يحرروا إلى والي ديار بكر كتاباً حتى يعطي

(1) الشطف: لفظة آرامية تعني تعرض الزروع الى لفحة هواء تضر بها .

(2) تولى عبد الرحمن باشا ولاية بغداد مرتين، الاولى من 16 رمضان 1292 الى 23 ربيع الاول 1294

هـ والثانية، وهي التي يعينها المؤلف، من 12 ربيع الاخر 1296 الى غرة ذي الحجة 1297هـ

(3) ترقّت : تصاعدت

الرخصة في شراء الغلال وتسييرها وجلبها إلى هذا الطرف، فمنع الوالي من ذلك<sup>(1)</sup>. فاشتد الأمر على الأهالي واضطربوا غاية الاضطراب، فاستغاثوا بالدولة ثانياً، فكررت الدولة الأمر على الوالي الموما اليه فتعلل، وبعده اظهر الامتثال في الظاهر فأعطى الرخصة، ثم في الخفية أمر على الغلال التي اشتراها أهل الموصل وسيرتها من يقف على طريق الماء من الرعايا، حتى إذا مرّت بها أخذوها ولم يتركوها تصل إلى الموصل، فغظم الخطب على أهل الموصل وضاق الخناق، وآل بهم الأمر إلى أن أكلوا الدم والجيف والميتة، واستجدوا من الدولة واستغاثوا بها واستجلبوا الأمر منها إلى عزت باشا وكرروا الطلب، فلما أعطى الوالي الرخصة في المكيل، وتكثرت أهل الموصل الغلال، وأتوا بها إلى شاطئ دجلة، اشتد البرد ونزل الثلج حتى جمد هنالك الماء، ووقفت الكلكات عن السير، فجئحت الناس إلى دواب نقلية فلم يتيسر لهم ذلك لأن الجمال والخيول والبغال قد وقع فيها ذلك موت عظيم والباقي لا قدرة له على الحمل من قلة العلف وقلة العشب. وإلى ذلك الوقت من بغداد أيضاً ما جلب شيء، وفي هذا الاثناء أيضاً حصل موت عظيم في الأغنام بحيث لم يسلم منها إلا القليل، واستمر الحال على هذا المنوال، ومات<sup>(2)</sup> الناس من الجوع، وباعوا [كل ما]<sup>(3)</sup> ما ملكوه حتى باع البعض أولاده.

وفي هذه الأثناء، ورد الأمر السلطاني بتزليل المسكوكات، حتى أن البعض صار الغرش في نصف الغرش، فليتأمل الناظر في حال ما قاسته أهالي الموصل<sup>(4)</sup>. مثلاً من كان عنده غرض قيمته أربعمئة غرش وفي هذه الايام باعه في مائتين، وصاح الدلال على الدراهم ونزكت، فصارت المائتين مائة فشرى وزنة حنطة، فمثل هذا الفقير صارت وزنة حنطته بأربعماية غرش فكيف حال هذه الأقوام ساعدهم الله وكشف عنهم هذا الامر الجسيم، ولهذا تفرقت الأهالي شذر مذر، وذهبوا إلى كل جهة، ودام الحال كذلك إلى أواخر شهر شباط من هذه السنة، فجاءت الأمطار العظيمة ونبت العشب، وقدمت الكلكات من أطراف ديار بكر محملة بالحنطة. وعملت أهل الموصل قُرُنات<sup>(5)</sup> للخبز وباعوه على الناس، واستمروا على ذلك، إلا أن الغلاء باقى على حاله.

(1) الاصح قوله: فمنع الوالي ذلك

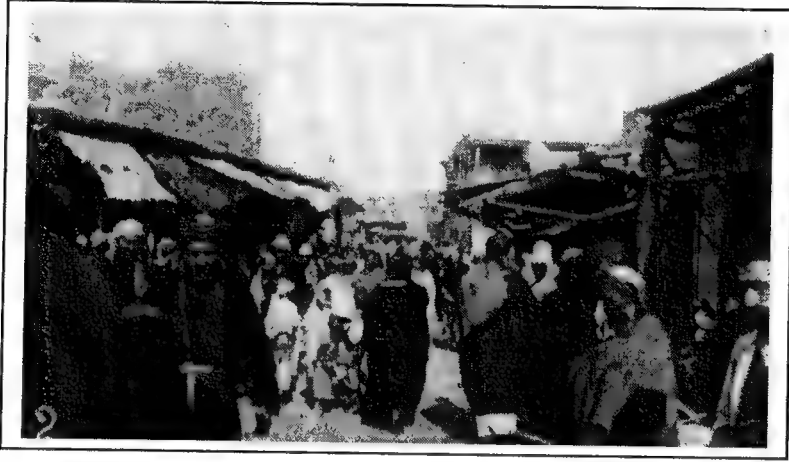
(2) في الاصل: موت

(3) في الاصل: كلما

(4) في العبارة ركة ظاهرة، وهو يشير الى تخفيض سعر صرف القرش في عهد السلطان عبد الحميد الثاني، نتيجة لخفض نسبة الفضة فيه.

(5) قُرُنات، يريد أفران، جمع فرن.

وفي هذه الاثناء قدمت الجمالة بالتمر والأرز من بغداد وباعوه بأغلى ما يكون  
حيث أن فرحان باشا شيخ شمر<sup>(1)</sup> يأخذ من كل قافلة مرّت به النصف، فامتعت  
التجار عن الجلب ولولا ذلك لباعوه رخيصاً .



سوق قديم في الموصل



صف من الدكاكين في الموصل قديماً

(1) هو فرحان باشا بن صفوق، شيخ مشايخ شمر الجربة في العراق، ارسل، اثر اغتيال ابيه: الى  
استانبول حيث درس هناك، وعندما عاد بعد سنوات تسلم مشيخة شمر ومنح لقب (باشا)  
واتخذ من قلعة قرب قضاء الشرفا، على دجلة، مستقراً له. وفي عهده انقسمت شمر  
الجربة الى قسمين، أحدهما تبعه، والآخر تبع أخاه عبد الكريم الذي كان اميل الى المحافظة  
على تقاليد القبيلة البدوية، وكانت وفاته ببغداد سنة 1905 ودفن في مقبرة الشيخ معروف.

## مخطوطة كلدانية في المكتبة القادرية!

ليس غريباً أن تجد مخطوطة كتبها كاهن أو راهب في مكتبة ملحقة بإحدى الكنائس أو الأديرة، فهذا ما يتوقعه كل أحد، لكن الغريب حقاً أن تجد مخطوطة تضم عدة كتب ألفها أو وضعها آباء للكنيسة في مكتبة للمخطوطات الإسلامية ملحقة بمسجد أو زاوية مثلاً. هنا علينا أن نتساءل: كيف وصلت هذه المخطوطة، ولماذا وصلت، ومن هو المستفيد منها في هذا المكان؟ ولنقترب من الموضوع أكثر، فالمكتبة القادرية الملحقة بجامع السيد الشيخ عبدالقادر الكيلاني في بغداد واحدة من أهم المكتبات الإسلامية ليس في بغداد وحدها، وإنما في العراق كله، لما ضمته من كتب متنوعة في مختلف حقول المعرفة الإسلامية، وأهم ما تحويه هذه المكتبة خزانة نادرة احتوت على مجموعة كبيرة من أكثر المخطوطات قيمة وأهمية، وهي بالطبع تبحث في العلوم الإسلامية أيضاً، آلت إليها من مصادر شتى، فبعضها أهدى إليها مباشرة، وبعضها الآخر آل إليها من خزائن كتب موقوفة، أعيد وقفها على المكتبة بعد إندثار تلك الخزائن، ومنها ما تولى القائمون على المكتبة نسخَه من أقطار العالم الإسلامي، خصيصاً لها في عهود متعاقبة. وقد كان لي شرف إعداد فهرس وصفي شامل لمخطوطات المكتبة في سبعينات القرن الماضي، صدر في خمسة مجلدات كبيرة في السنوات 1974-1980.

ولقد لفتَ نظري في أثناء إعداد هذا الفهرس وجود مجموعة خطية كلدانية تضم أكثر من كتاب واحد، تتناول موضوعات مسيحية بحتة، فتفحصتُ المجموعة عسى أن أجد في ثناياها، أو في أولها، ما يشير إلى طريقة انتقالها إلى المكتبة شراءً أو إهداءً أو نسخاً، فلم أجد شيئاً من ذلك، فسألت السيد أمين المكتبة والقائمين عليها عن ذلك، فلم يكن لديهم جواب على سؤالي ولا الزمن الذي وصلت فيه المخطوطة إلى هذه المكتبة، فهذه المخطوطات ترقى إلى عهود بعيدة، وقد آلت من مصادر متنوعة للغاية، وحينما سُجلت في خمسينات القرن الماضي لم يكن ممكناً تسجيل مصدر كل مخطوطة منها لعدم تسجيله في حينه<sup>(1)</sup>.

(1) عن تاريخ هذه المكتبة ومصادر مخطوطاتها يُنظر كتابنا الآثار الخطية في المكتبة القادرية ج1، بغداد 1974، ص23-30.

وعلى أية حال فقد قدرنا أن مسلماً قد وقع على هذه المخطوطة في مكان ما، ربما في الموصل أو في بغداد، فلم يجد مكاناً يحفظها فيه، من احتمالات النهب والتعدي عهد ذاك، غير هذه المكتبة، فأهداها إليها<sup>(1)</sup>.

تحتوي المجموعة الخطية على ثلاثة كتب كُتبت جميعاً بخط النسخ، عدا العنوانات، فيخط الثلث، وصفحاتها مجدولة، أي مؤطرة، بمداد أسود كما جرت العادة في المخطوطات المهمة. ولحسن الحظ كتب ناسخها اسمه الصريح في آخرها، وهو بطرس بن أنطون بشار، وقد فعل ذلك «لأجل الكاهن خوري أندراوس بن خوري يوسف هندي ببغداد» وفرغ منها في يوم الجمعة 3 أيلول سنة 1830م، على عهد البابا بيوس الثامن، والبطريك مار يوحنا، فالإشارة هنا إلى ثلاث شخصيات متعاصرة، أولها الكاهن أندراوس، وهو ابن البطريك يوسف الخامس هندي بطريك آمد على الكلدان (تولى البطريكية من سنة 1804 إلى أن توفى سنة 1828)، وثانيهم البابا بيوس الثامن، واسمه كزافييه كاستيليوني، أسقف مونتانتو، فكردينال، وقد تقلد الحبرية عشرين شهراً، بين سنة 1829 وسنة 1830، وثالثهم: مار يوحنا، وهو يوحنا هرمزد، بطريك الكلدان من سنة 1830 إلى وفاته سنة 1837، وهو آخر من تولى البطريكية من أسرة (أبونا) الوراثة، وقد أصبح مقرها في عهده مدينة الموصل<sup>(2)</sup>.

ومقياس المجموعة هو 30,5 × 20,5 سم.

أما الكتب التي تتألف منها فهي:

#### 1- مختارات من الأناجيل.

(1) ومما تحتفظ به هذه المكتبة مجموعة خطية مصورة أصلها في المكتبة الفاتيكانية في روما، أهداها السفير البابوي في بغداد إلى السيد يوسف الكيلاني، متولي الأوقاف القادرية، بتاريخ 23 آذار 1968، ومنه انتقلت إلى المكتبة القادرية، وهي اليوم محفوظة فيها تحت العدد 673، وتتضمن المجموعة رسالتين هما 1- رسالة في خواص فاتحة الكتاب، تأليف الشيخ عبد القادر الكيلاني 2- مختصر في علم الدين، له أيضاً. والسفير المذكور هو المونسنيور بيران (1966- 1970) وكان أول سفير للفاتيكان في بغداد، حيث تم التمثيل الدبلوماسي بين الطرفين سنة 1966، وقبل هذا التاريخ كان يمثل الفاتيكان قاصد رسولي، وآخر من شغل هذا المنصب قبل تبادل السفراء، أرماند اسطيفان دوشيل، رئيس أساقفة اللاتين في بغداد، وقد شغل القصادة الرسولية من 1948 إلى 1966.

(2) كتابنا: الموصل في العهد العثماني، فترة الحكم المحلي، النجف 1975، ص 339.

وهي مما يتلوه المسيحيون في الكنائس، إختارها ورتبها على حسب أيام السنة مار يوسف [أو غسطين] الخامس [هندي]، بطريرك بابل على الكلدان (هكذا كان يلقب، مع أن مقر كرسيه البطريركي آنذاك في ديار بكر، وقد تولاها من سنة 1757 إلى 1781م)، ويشير الكتاب وحده إلى نزعة مبكرة لإتخاذ هذا اللقب التاريخي في وقت لم يكن للكلدان تلك الكثافة والثقل في بغداد<sup>(1)</sup>، ومن المعلوم أن انتقال البطريركية إلى بغداد جرى بعد قرنين كاملين (وبالتحديد سنة 1958).

وأول هذه المختارات «يوم عيد (خرم) من بشارة مار متي في ذلك الزمان خرج يسوع من الهيكل».

وآخرها «ومن حلف بالأسماء فهو يحلف بكرسي الله وبالجالس فوقه».

الأوراق 1- 59

2- كلندار

وهي لائحة بالفصول والشهور والأيام وأعياد السنة ومناسباتها بحسب طقس طائفة الكلدان (الكنيسة الكلدانية).

أولها «شهر كانون الأول، أيامه واحد وثلاثون يوماً، ساعات نهاره تسع ساعات، وساعات ليله خمس عشرة ساعة، اليوم الأول منه صوم الميلاد».

وآخرها «هو ذكر أن ماري أوكين الطوبايي ورفقت الإثني والسبعين».

الأوراق 55- 57

29 سطرأ

3- حساب معرفة السنين وعيد الفصح

وهي لائحة بأيام الأسبوع التي تكون أعياداً للفصح ومناسبات للصيام، وتشمل السنين من 1831 إلى 1851م. وبما أن هذه المدة تتجاوز تاريخ نسخ المخطوطة نفسها فمن الراجح أن الناسح أضاف إليها بعد فراغه منها مناسبات العقدين التاليين.

---

(1) كان بطريرك ديار بكر يسمى إلى توحيد الكنيسة الكلدانية تحت رئاسته، إلا أن وفاته سنة 1828م حالت دون ذلك، وجرى تعيين يوحنا هرمزد مطراناً على الموصل، وفي 1830 أقرت روما يوحنا هرمزد بطريركاً عاماً وحيداً على الكنيسة الكلدانية برمتها. أوجين تسييران: خلاصة تاريخية للكنيسة الكلدانية، ترجمه عن الفرنسية سليمان الصائغ، الموصل 1939، ص 132 ويوسف غنيمه: بطارقة الكلدان، مجلة النجم ج 3 (1930) ص 97.

أولها «آدم 7339 المسيح 1831 قاعدة القدس 38 بارامون الميلاد الاربعاء جمع  
الدنح 8»

وآخرها «الفصح 8 نيسان، صوم الرسل 35، عيدهم الجمعة»

الاوراق 57-58

29 سطرا

والمجموعة المخطوطة بعد هذا، محفوظة في المكتبة تحت العدد 1418

## السيد علوان السامرائي رائد صناعة السلاح في السعودية بحسب تقرير سري

ثمة رجال أغفل ذكرهم التاريخ، وسكت عنهم الرواة، فلم يعرف الناس عنهم شيئاً، وبات خبرهم نسياً منسياً، وإذا بوثيقة تظهر، أو نص يُنشر، تكشف فجأة عن أولئك الرجال المجهولين، ويوضح مدى تأثيرهم في حوادث عصرهم، وما قاموا به من مهم الأعمال.

والسيد علوان السامرائي أنموذج واضح على أولئك الرجال الذين نسيهم التاريخ، وكان يمكن أن يكون حديثه مطويماً، لولا أن وقفنا على بعض جوانب حياته المفعمة بالحوادث في وثيقة مهمة بعث بها نائب القائم بأعمال المفوضية الملكية العراقية من جدة إلى وزارة الخارجية العراقية بتاريخ الثامن من آب سنة 1932. وعلى الرغم من قلة المعلومات التي أوردتها هذه الوثيقة، وسكوته عن كثير من التفاصيل، فإننا نستطيع أن نتلمس، من خلال المعلومات المتاحة، أهمية الرجل، وجسامة الحوادث التي شارك فيها، والعلاقات التي وصلت بينه وبين الشخصيات البارزة في عصره. وعلى أية حال، فإن الوثيقة شجعتنا على المضي في تتبع أخبار الرجل، وتسقط المعلومات عنه، وتصحيح ما ورد في الوثيقة نفسها أحياناً، حتى تكاملت عندنا صورة ذلك العراقي النابه، فإذا به أحد رواد الصناعة العسكرية في الشرق العربي، إبان الثلث الأول من القرن الماضي.

وتصرح الوثيقة بأن اسم السيد علوان الكامل، هو علوان بن السيد بن السيد محمود بن الشيخ أمين السامرائي، والذي نعرفه أن جده الشيخ أمين كان أحد صلحاء عصره في سامراء، وهو ابن يوسف الحلبي الذي قدم إلى بغداد رفقة والي حلب علي رضا باشا اللاز سنة 1831م، ويوسف هذا هو ابن نعمان بن عبد الرحمن بن عبد الوهاب بن محمد بن عثمان بن عبد الله الشريف، وكانت أسرته تعد إحدى أعرق أسر السادة الأشراف في حلب في القرنين الثاني عشر والثالث عشر للهجرة (الثامن عشر والتاسع عشر للميلاد).

وبحسب معلوماتنا المستمدة مما تحتفظ به أسرته من وثائق في بغداد، فإنه تزوج من ابنة عمه الحاجة خديجة بنت الحاج صالح الشيخ أمين، وأنه أنجب منها من

الذكور لطفي وعبد الجبار، والأخير هو والد الدكتور فائق السامرائي، ومن الإناث: فخرية ولطفية.

أقام السيد علوان في البصرة مدةً من الزمن قبل ذهابه إلى الحجاز، وكان عماء السيد أحمد، والسيد علي، ولدا الشيخ أمين، قد قاوما البريطانيين في أثناء احتلالهم العراق، فتم نفيهما إلى مدينة (كانه) في الهند، مما أدى إلى أن يصادر البريطانيون بعض أموال السيد أحمد في البصرة، كما صادروا أموال السيد علي في مدينة العمارة في جنوبي العراق.

وتفيد الوثيقة أن السيد علوان كان مقيماً في الحجاز خلال حكم الدولة العثمانية، وأنه حارب في صفوف قواتها في حربها على القوات السعودية الزاحفة على الحجاز، أما معلوماتنا فتشير إلى أنه حارب في صفوف قوات الشريف حسين بن علي ضد تقدم القوات المذكورة. وتتوه الوثيقة بأنه اتصف بالقوة وشدة المراس، وأنه عرف بفتكه بأعدائه والتتكيل بهم، ولا تشير الوثيقة إلى تفاصيل أخرى عنه في تلك المرحلة من حياة السيد علوان، والظاهر أنه استقر بعد ذلك في الحجاز، ولم يغادره حتى بعد دخول القوات السعودية إليه، إثر انهيار حكومة الهاشميين وانسحابها منه نهائياً. وأغلب الظن أنه حظي باحترام النظام الجديد، بسبب طبيعة ما كان يؤديه من عمل تحتاجه البلاد، فقد تخصص السيد علوان بإصلاح الأسلحة النارية، التالفة منها والمعطوبة.

ثم أنه أنشأ معملأ في مكة لهذا الغرض، وقد بلغ هذا المعمل حداً كبيراً من سعة الإنتاج، حتى وصل عدد قطع السلاح التي أصلحها لحساب الحكومة وحدها نحو 14000 قطعة. ومن الواضح أن إصلاح هذا العدد الكبير من الأسلحة، كان يقتضي التصنيع الناجح لأعداد ضخمة من أجزاء الأسلحة التالفة، بما يعنيه ذلك من أعمال صهر وصب في القوالب الخاصة بها، وهذا ما كان يضعه في طليعة الصناعات التي كان العرب في تلك الحقبة، وربما كان العراقي الوحيد الذي أنشأ مصنعاً للسلاح في خارج وطنه في ذلك العهد.

وتغاضى الملك عبد العزيز آل سعود عن ماضي السيد علوان السامرائي المعادي للسعوديين، بل أنه قربه منه، وقد شهد الشيخ يوسف ياسين، أحد موظفي الخارجية السعودية في الثلاثينات، للقنصل العام العراقي بأنه كثيراً ما كان يرى الملك عبد

العزیز یمازح السید علوان، ویزکره بما کان یقوم به فی أثناء مشارکته فی الحرب علی السعودیین، بل أنه کان یکن له احتراماً خاصاً. وقد عد من وجهاء العراقیین فی الحجاز، لاسیما بعد أن تزوج الشیخ علی العماری<sup>(1)</sup>، مدیر شرطة جدة، من ابنته فخریة.

ویبدو أن أمراً ما أدى إلى تتقلب الأمور علی السید علوان، ففي أحد أيام شهر تموز من سنة 1932م، أوقفته شرطة جدة بحجة أنها عثرت علی بعض البنادق فی مخزنه، مع أن مهنة الرجل هی تصنع السلاح وإصلاحه، وهو یتولی ذلك للحکومة علناً، وأن الأخيرة كانت مدینة له بقيمة إصلاحه آلاف القطع من السلاح. ویری نائب القائم بأعمال المفوضیة، وهو مُعد التقرير، أن سبب توقيفه هو مراجعته للمفوضیة العراقیة فی جدة بین حین وآخر، وهذا الأمر «محرم بعرف الحکومة المحلیة». والظاهر أنه کان متهماً بالتعاون مع سلطات المفوضیة من حیث تزویدها بالمعلومات السیاسیة والعسکریة، وهی المعلومات التی كانت السلطات المحلیة ترى انها ذات طابع سري یتوجب کتمانها.

ونقرأ فی التقرير<sup>(2)</sup> المؤرخ فی 8 مایس 1932 تفاصيل عن السید علوان السامرائی وما تعرض له من السلطة آنذاك، حیث یشیر الی «رجل سوري لم أتعرف به (الضمیر لکاتب التقرير) یدعی خالد الحکیم<sup>(3)</sup>» أنه «یشتری لحکومة الملك عبد العزیز السلاح من بولونیا، و السلاح قديم وعندما یصل الی مكة یقال (خرب

(1) یذكر التقرير المؤرخ فی 8 مایس 1932 المحفوظ فی المركز الوطنی للوثائق فی بغداد، ملفات البلاط الملكي، الملف 749، الوثیقة رقم 3، الی أن علی المذکور (ویسمیه العماری) کان معاوناً لقائمقام جدة، وأنه نسیب السید علوان السامرائی، وأنه أنشأ له قصراً «خارج سور جدة بعدة آلاف من الجنیهات» وقد تملکته الحکومة وجعلته قصراً ملکياً باسم (القصر الاخضر) مما دعا بصاحبه الی المطالبة بتعویض قدره (11000) جنیه.

(2) المركز الوطنی للوثائق فی بغداد، الملف 749، الوثیقة نفسها. وقد نشرنا نصوص هذه الوثائق فی کتابنا: المملكة العربیة السعودیة بین الحربین العالمیتین، فی تقارير القنصلیة العراقیة فی جدة، دار دجلة، عمان 2005.

(3) هو خالد بن یاسین الحکیم، ولد فی حمص سنة 1878، وتعلم بالاسنانة، والتحق بثورة الشریف حسین، ثم یابنه فیصل فی سوريا، وبعد سقوط الحکومة العربیة، التحق بالملك عبد العزیز آل سعود، وصار من أقرب مستشاریه، ثم توفی بدمشق سنة 1944. الزرکلی: الاعلام، الطبعة 15، 2002، ج 2 ص 300.

وتصدى في الطريق) فيحضر السيد علوان السامرائي العراقي المتخصص باصلاح الأسلحة ويدعى لتعميرها، فيؤسس العمل اللازم ويجلب الأدوات الضرورية وينفق لذلك مبالغ طائلة ويزود نجد بـ(12000) بندقية في العام الماضي، وعند الإنتهاء يحتلون العمل باسم الحكومة ويقال له (إرسل الكشف ننظر به بعدين) وهكذا خرج هذا البائس صفر اليدين بعد أن أنفق من ماله ما يساوي ثلاثة الاف جنيه»

واجه السيد علوان، نتيجة عمله هذا، إحدى ثلاث عقوبات، إما الإعدام، أو النفي، أو الجلد بالسوط، ولذا فقد بادرت المفوضية العراقية في جدة إلى التدخل في الأمر، ومفاتحة الشيخ يوسف ياسين بشأنه<sup>(1)</sup>، والسعي لإصدار جواز سفر عراقي له إظهاراً لعراقيته، للحيلولة دون مواجهته إحدى تلك العقوبات الفادحة.

ومن المؤسف أن تقارير المفوضية العراقية التالية خلت من الإشارة إلى حياة هذا العراقي، فلا نعلم مصيره بعد ذلك التاريخ، وعلى أية حال، فإننا نعلم، بناءً على معلومات أحفاده، أنه توفي في الحجاز، وأنه دفن فيه، أما أولاده فقد عادوا إلى العراق، ولهم اليوم أحفاد يعيشون في بغداد وسامراء.

---

(1) من كبار موظفي حكومة الملك عبد العزيز، سوري، ولد في اللاذقية، ونال تعليماً رصيناً في مدارسها الدينية والرسومية، والتحق أولاً بالأمير عبد الله بن الحسين، ثم انضم إلى الملك عبد العزيز آل سعود، ونال ثقته، فتولى منصب رئيس الشعبة السياسية في ديوانه، ثم وكيلاً لوزارة الخارجية، وأصدر جريدة (أم القرى) الرسمية، وتوفي في الدمام سنة 1962. الأعلام ج8 ص 252

## في التصوف



## مساهمة في التفسير السياسي للظاهرة الصوفية

### مقدمة

هذه أفكار أردنا بها المساهمة في تفسير العلاقة المعقدة التي وصّلت بين التصوف، كظاهرة روحية، وبين الواقع السياسي (ويضمنه الاجتماعي والإقتصادي) وذلك من خلال تتبع ثلاثة مسارات، أولها المسار التاريخي، وثانيها المسار الفكري، وثالثهما: المسار الصوفي، بوصف هذه المسارات تمثل خطوطاً متوازية هي نتاج التفاعل بين الفكر والواقع، وبكلمة أخرى فإن هدف هذه الورقة هو توجيه نظرة جديدة إلى الفكر الصوفي تضعه بين غيره من العلوم التاريخية وليدة التفاعل بين الفكرة والواقع، وليس فكراً مجرداً تأملياً هائماً.

### أولاً: نظرة في تطور الواقع السياسي للدولة الإسلامية

#### 1- بدأ المجتمع حياته السياسية حراً

كانت المجتمعات الإسلامية في أول نشوء الدولة مجتمعات حرة، تعترف للفرد منه بحقوق كثيرة، أهمها حرية تقرير السياسة ونقدها، والوقوف ضدها، وحرية التعلم، وحرية التفكير عموماً.. الخ، وكانت هذه الحرية من صفات المجتمعات القبلية السابقة، الذي هو أقرب بطبيعة الحال إلى مجتمع الإنسان البدائي الأول، واعترافه بفردية، بطابع من الفوضوية القديمة.

#### 2- الحرية السياسية تؤدي إلى الثورة الدائمة على الواقع، ولا تعترف بأية قيمة مطلقة له

ولم يكن المجتمع يعترف لذلك بوجود أية سلطة مطلقة، ولا بأية قيمة مطلقة، ولم يكن يستطيع- بحكم حريته شبه التامة- أن يرى في الواقع أمراً مفروضاً، أو حقيقة مطلقة (يُضطر) إلى قبولها، فكان دائم الثورة على السلطة، وهذا ما يفسر الثورات العديدة التي قامت في القرن الأول للهجرة. لقد كانت نظريته إلى الواقع أنه أمر متغير، نسبي، وأن الواقع لا يمكن أن يكون ثابتاً، ولهذا فإنه لا يمكن أن يطابق الحقيقة، ولا يمكن أن يكون هو نفسه حقيقة، ذلك أن الحقيقة- على نقيضه- مطلقة لا تتغير.

#### 3- تطور الدولة وتعقدها التدريجي أدى إلى فقدان المجتمع حريته الأولى

أدى تطور الدولة وتنوع مهامها ونموها إلى زيادة إحكام هيمنتها على المجتمع، وذلك بسلبها حريته القديمة تدريجياً، لقاء ما تكفله له من نظام، واستقرار في الملكية،

وأمان عام. وبعد أن كان الدين وسيلة للثورة على الدولة في العصر الأموي، اتخذته الدولة، منذ أوائل العصر العباسي، وسيلة لتثبيت سلطانها، وركناً من أركانها، فصار من يخرج على الدولة يُعدّ خارجاً على الدين، وبعد أن كانت المساجد أماكن للإحتجاج على الدولة، أضحت دور إعلام تابعة لها. وفي القرن الثالث حاولت الدولة (متمثلة في خلافة المأمون) فرض عقائد معينة على المجتمع، وهي التي عرفت بفتنة خلق القرآن. وفي القرن الخامس والسادس ضمت الدولة - وهي ماضية في نموها وتعتقدها - العلم إلى جملة وسائلها وأركانها، فأنشأت المدارس، وهيمنت على التدريس، وعلى مناهجه ومصادره (بعد أن كان حراً تماماً)، وهكذا كان المجتمع يفقد حريته السابقة (المتثلة في نظريته النسبية المتغيرة إلى الواقع، التي تدفعه إلى تغييره) تدريجياً، ليحل محلها الولاء والإيمان بالدولة (المتمثل في نظريته المطلقة للواقع، بوصفه حقاً لا يمكن تغييره).

#### **4- فقدان المجتمع حريته تدريجياً يقتدرن بتبريره لواقعه، مهما كان سيئاً، على أساس أنه ضرورة**

وهكذا نجد أن الواقع السياسي الإسلامي كان يتغير - بتطور الدولة - من واقع متغير نسبي، إلى واقع ثابت مطلق، وتغيرت نظرة الناس إلى الحق على أساس أنه أمر يمكن التوصل إليه وتطبيقه في الواقع، طالما تمتع المجتمع بإرادة الاختيار، الحرية، تغيرت إلى أن اعتبار الحق هو الواقع نفسه، وأن المجتمع (مضطرب) لقبول ذلك الواقع لأنه حق. ولسوف نرى كيف اعترف الفكر الإسلامي بهذه الضرورة، وكيف أن الفكر الصوفي وقف الموقف نفسه منها، وذلك في مرحلة معينة من مراحل تطورها.

وعليه فإننا نخلص مما تقدم كله إلى أن تطور الواقع السياسي الإسلامي كان يمثل انتقالاً تدريجياً من القيم المتغيرة، الحرة، النبوية، إلى القيم الثابتة، غير الحرة (الضرورة)، المطلقة.

#### **ثانياً: نظرة في تطور نظرية الحكم، أو الفكر السياسي**

##### **1- بدأ الفكر السياسي - كالواقع السياسي - حراً**

كان الفكر السياسي في أول نشوء الدولة الإسلامية فكراً حراً بسيطاً، يرى كل فريق أنه من الممكن الوصول إلى الحقيقة التي ينشدها عن طريق الثورة وتغيير الواقع، وذلك أن الأخير ليس إلا واقعاً نسبياً متغيراً بطبيعة زمانه ومكانه، وهذا يفسر كثرة

الأحزاب الثائرة، والجماعات السياسية، في أوائل عصر الدولة، حتى ضربت رقماً قياسيًّا في كثرتها، وتفرعاتها، وانشقاقاتِها، وتعدد وجهات نظرها، وهو أمر طبيعي طالما آمن الإنسان بحرية إرادته، وأنه (مُخَيَّر) في أن يرضخ للشر، أو أن ينتصر للحق، بمحض إرادته الحرة وحدها .

## 2- تطور الدولة الإسلامية اقترن بتطور نظرية عصمة الأمة

لما كان الواقع السياسي الإسلامي - كغيره - دائم الحركة والتغير (لأسباب المذكورة)، وكانت الدولة التي بدأت بالاستقرار والنمو تحتاج إلى واقع ثابت، مستقر، تقوم عليه، وإلى قيم ثابتة مطلقة، تدعم وجودها، ولم يكن في السوابق الإسلامية الأولى ما يمكن أن يكون حقيقة مطلقة (منذ أن نفت الخلافة عن نفسها المعرفة اللاهوتية)، فقد بدأت في التطور تلك الفكرة القديمة القائلة بأن للأمة الحق في تغيير واقعها، إلى نظرية متكاملة مفادها أن الحق يمكن أن يكون دائماً مع الأمة، وطالما كانت الأمة موجودة فعلاً في الواقع، فإن الحق إذن هو الواقع نفسه . وبمعنى آخر، فقد تحولت النظرة المتغيرة، النسبية، للواقع، إلى نظرة إليه بوصفه واقعاً ثابتاً و(حقيقياً)، وهو حق لأنه حدث بإرادة العقل الكلي للأمة (بجميع عقول أفرادها، أي بإجماعها) .

وهكذا تكاملت لدينا نظرية (عصمة إجماع الأمة) . ولما كان إجماع الأمة عملياً غير ممكن، فقد كان الإجماع (بمفهومه النظري الواسع) يمثل رضا الأمة عموماً، وهذا الرضا هو من إرادة الله الحتمية، لأنها تمثل حقاً مطلقاً .

بدأت النظرية السياسية الإسلامية تفقد تدريجياً قوة التقرير وتغيير الواقع، إلى أن تصبح مُبرَّرة له، ومُكرَّسة، ومضى الفقهاء يفسرون كل السوابق السياسية الماضية على أساس أنها تمت بإرادة الأمة وبرضاها، التي هي من إرادة الله المطلقة، وإنما لذلك تمثل (ضرورة حتمية) لا مفر منها، ولا اعتراض عليها إذ (لا اعتراض على حكم الله)، وأمسى ذلك المبنى الجليل من النظم السياسية تسويفاً (بعدياً) للوقائع التاريخية السابقة التي أقرها الإجماع .

## 3- النظرية السياسية الإسلامية تعترف تدريجياً بالضرورة الحتمية

أمست النظرية السياسية الإسلامية مجرد مبررة لواقع الحكم، واعتراف بضرورته الحتمية، وهذا ما نراه جلياً في فكر الماوردي السياسي، حين اضطر إلى

إكساء كثير من الحوادث السياسية (حتى التي تخالف الدين) بصبغة دينية مطلقة ثابتة، ولكنه لما أعيته الحيل في تبرير إمارة الاستيلاء، وهي تنازل الخلافة عن سلطاتها للأمراء الذين حازوا سلطتهم بالقوة (لأن مخالفتها للخلافة الدينية جليّة) نجده يُقر صراحة بحكم الضرورة الحتمية إذ يقول (إن الضرورة تُسقط ما أعوزَ من شروط المُكنة) منتهياً إلى أن الخوف من الإضرار بالمصالح العامة (السياسية) يُسوّغ التخفف من الشروط الدينية، وبمعنى آخر فإنه اعترف بأن للضرورة (من الحق) ما يُسوّغ مخالفة القواعد الشرعية.

وهكذا كان تطور الفكر السياسي الإسلامي لأن يكون فكر تبرير (مطلق) لا فكر تقرير، وتغيير (نسبي)، واعترافه لذلك بالضرورة، وبأحقيتها، بوصفها من إرادة الأمة المستمدة من إرادة الله، وبإلغائه التدريجي لإرادة الاختيار الحرة، فكان ذلك كله ما أوقعه في تناقض كبير فيما بعد .

#### 4- سقوط الحكم الإسلامي يُحدث فجوة في التفكير السياسي

كان للجمود الذي تملك واقع الحكم الإسلامي (وما تضمنه من واقع اجتماعي واقتصادي)، وإيمان الناس بأن واقعهم السيئ ما هو إلا حقيقة ثابتة مطلقة، أي أنه إرادة إلهية لا يمكن تغييرها، الدور الأساس في شيخوخة الحكم، وبطء تحركه لمعالجة الأوضاع المادية السيئة، فلما سقط الحكم الإسلامي في المشرق على يد المغول وأعقابهم، وسقط في المغرب على يد القوى الأوربية، وقعت النظرية السياسية في تناقض كبير، فإن الفقهاء الذين كانوا يبررون كل سابقة تاريخية على أساس أنها ضرورة، وهي لذلك من إرادة الله فلا مجال للإعتراض عليها، واجهوا - عند سقوط الحكم الإسلامي على يد غير المسلمين - التناقض الآتي:

كيف يمكن التوفيق بين سقوط حكم الإسلام، وبين أن يكون ذلك السقوط من إرادة الله؟ وكان الجواب أسرع مما يُتوقع، حيث برّر الفقهاء تخلي الله عن حكم المسلمين بأنه عقاب لهم، وأن مجيء المغول مثلاً لم يكن إلا من إرادة الله، وهو لذلك لم يكن إلا حقاً، وقد تم برضا الأمة نفسها، التي ترضى بحكم الله (والنصوص التي ترد في أثناء أخبار سقوط بغداد حافلة ومؤيدة لهذه المعنى). وهكذا تطورت النظرية السياسية إلى أن وصلت إلى نقطة فلسفية خطيرة، وهي أن الخير حق والشر (كسقوط الخلافة مثلاً ومآسي الاحتلال) هو أيضاً حق، وكلاهما يمثلان ضرورة

أرادها الله، وإذن فلا فرق بين الخير والشر على المستوى السياسي، وإنه مهما يكن في الواقع من شرور وسيئات، فهو حق، لا مجال لتغييره أو تبديله، أو حتى الاعتراض عليه.

لنقف عند هذه النتيجة الخطيرة، وهي تبرير النظرية السياسية الإسلامية للشر بأنه ضرورة حتمية، وأنه حق مطلق، مثله مثل الخير تماماً، لنتتبعها في الفكر الصوفي.

### ثالثاً: نظرة في تطور الفكر الصوفي

يصعب التمييز عند البحث في نشأة التصوف، بينه وبين نشأة الزهد (وقد أدى هذا التشابه في النشأة إلى إرجاع بعض الباحثين، كزكي مبارك، التصوف إلى عهود سابقة)، وإن هذا الاتحاد في البداية يدلنا بوضوح على أن التصوف نشأ كرد فعل عنيف على الواقع السيئ، ولهذا فقد كان التصوف في المراحل الأولى من التاريخ الإسلامي يمثل حركة مناوئة للواقع السياسي للمجتمع والدولة، إذ احتقر ذلك الواقع بصراحة، ونادى بأن الحقيقة ليست في ذلك الواقع لأن الحقيقة مطلقة (كل شيء خلا الله باطل)، بينما ذلك الواقع نسبي، يتغير، ويزول، وأن الدولة لا تمثل الحق، وإنما يستطيع الإنسان الوصول عليه والاتحاد معه بنفسه عن طريق وقوفه ضد الواقع، وتجرده من نوازعه ومغرياته، لذلك فقد كان الفكر الصوفي في عهده الأول - عهد الجُنْد ومعروف والسَّقْطِي والحلاج وغيرهم - يمثل ثورة الإنسان على الواقع الذي يؤمن بحرية إرادته في تغييره، ولذلك وقف النظام السياسي ضد التصوف واضطهد بعض المتصوفة بقسوة بالغة.

وهكذا نجد أن التصوف وقف نفس الموقف الثائر الذي وقفه من قبل الفكر السياسي، في تقريره للواقع، وإيمانه بحرية الإرادة في تغييره.

### 5- التصوف يسير في نفس مسار الفكر السياسي من قبل فيعترف بالضرورة

وكلما بررت النظرية السياسية الواقع، وعدته ضرورة لا محيص عنها، كان التصوف يأخذ في تطوره نفس المجرى، فمنذ القرن الخامس للهجرة هدأت ثورة الصوفية، وأخذ موقفها من الواقع السيئ يتحول من رد الفعل إلى قبوله وتبريره، فخفضت أصوات من قال بأن الحقيقة المطلقة ليست في الواقع المتغير، وأنه يمكن تغيير الواقع للوصول إلى تلك الحقيقة المنشودة، ولم نعد نسمع تلك الأصوات التي دعت إلى

نبذ الواقع باعتباره شراً لا بد من محاربته بالإرادة الحرة للإنسان، وبدأت تحل محلها أصوات تدعو إلى أن الإنسان مُسَيَّر في إرادة عامة، وهو مضطر لقبولها، وأن ما يحدث في الواقع ليس إلا نتيجة لتلك الإرادة، ولذلك فإن الحقيقة تكمن في الواقع ذاته، وفيما أحدثته الأمة عليه من مؤسسات (وبالطبع فإن الدولة أبرزها وأهمها)، وهكذا بدأ الصوفية - هم أيضاً - يضيفون الحق على الواقع السياسي ويبررونه بإخلاص مُتَمَتٍّ، حتى إذا ما جاءت نهاية القرن السادس للهجرة، كان التصوف قد غدا من أركان حكم الخلفاء، لا سيما الخليفة الناصر لدين الله العباسي، الذي أراد شد مفاصل الدولة به.

إن هذا التكريس الصوفي للواقع هو الذي دفع بصوفية متأخرين إلى إعلان مقاومتهم لمن يريد تغيير النظام السياسي، كما فعل الشعراي مثلاً، بل صار «حفظ النظام ومراعاة المصلحة العامة.. وتحريم الخروج على الإمام» قاعدة من قواعد التصوف المهمة (أحمد زروق: قواعد التصوف).

#### 6- سقوط الحكم الإسلامي يحدث فجوة وتناقض في الفكر الصوفي هو أيضاً

ومثلما أحدث سقوط الحكم الإسلامي فجوة وتناقضاً في بناء النظرية السياسية الإسلامية، أحدث هذا السقوط هزة كبيرة في الفكر الصوفي أيضاً، ذلك أن تبرير الصوفية للواقع باعتباره حقاً، أدى إلى الوقوع في التناقض الآتي: ما دام الواقع السياسي المادي يمثل حقيقة مطلقة، وما دامت هذه الحقيقة هي إرادة الله، فكيف التوفيق بين سقوط هذا الواقع = الحق، وبين أن تكون تلك النهاية من صنع الله؟

ومثلما قدمت النظرية السياسية الجواب السريع على هذا السؤال المحرج، مجتازة ما يثيره من تناقض على ما سبق ذكره، خَطَّت النظرية الصوفية الخطوة نفسها، فذهبت إلى أن سقوط الحكم الإسلامي، على ما نتج عنه من شرور، فإنه يمثل إرادة الله، وهو لذلك حق مطلق لا يمكن تغييره والإعتراض عليه. وكما أن الخير ضروري لهذا العالم، فإن الشر ضروري أيضاً، وأن هذه الضرورة حتمية، إذ هي تمثل حقاً مطلقاً، الذي هو الله تعالى، لأنه طالما كان الله نفسه حق، فإن كلاً من الخير والشر يمثل وجهاً من أوجه الله، أي أنهما الله ذاته. وهكذا تبلورت لدينا في هذا الاتجاه نظرية (وحدة الوجود) الذي حمل لواءها ابن عربي، فحين يقول ابن عربي «فسبحان من أظهر الأشياء وهو عينها» يعلم أن من هذه «الأشياء» (في الواقع) ما هو

شر، كما أن فيها ما هو خير، وحين يقول «وقد ثبت عند المحققين أنه ما في الوجود إلا الله، ونحن وإن كنا موجودين، فإنما كان وجودنا به» يعلم أن من بين هؤلاء «الموجودين» (في الواقع «من هم من الأشرار ومن هم من الأخيار، وهو حينما يتوصل إلى أن «حقيقة الموجودات واحدة»، يعني أنه لا فرق بين الموجودات الخيرة والموجودات الشريرة، فإنها جميعاً تمثل حقيقة مطلقة واحدة، هي الله تعالى.

وبهذا يبرر لنا الصوفي ابن عربي الشر بأنه ضرورة إلهية، وهو لذلك حق مطلق لا سبيل لدفعه، وهو بهذا أيضاً وصل بالنظرية الصوفية إلى المنعطف نفسه الذي وصلت إليها النظرية السياسية الإسلامية.

هذه هي الخطوة الخطيرة التي خطاها ابن عربي في تطوير نظرية (وحدة الوجود) الصوفية، إلا أن ابن عربي لم يستطع حل المعضلة الأخيرة التي تبقت نتيجة ذلك التناقض الذي أدى إليه تدهور الواقع السياسي الواضح، وهي: كيفية التوفيق بين نظرية وحدة الوجود التي أنضجتها الظروف التاريخية وصيرتها إلى ما صارت إليه، وبين الفكرة الإلهية القديمة، القائلة بوجود خير قائم بذاته، وشر قائم بذاته، وأن على الإنسان أن يختار بإرادته الحرة (التي سيُحاسب عليها) بينهما لينال بعدئذ ثوابه إن اختار خيراً، وعقابه إن اختار شراً.

## 7- التطور الأخير في النظرية الصوفية جاء تبريراً آخر للواقع

كان الانحطاط السريع الذي دبّ في جسم النظام السياسي الإسلامي في القرنين السابع والثامن للهجرة، يوجب تبريراً أقوى لأسباب ذلك الانحطاط، وكانت فكرة وجود الجنة والنار، كنتيجة لوجود الخير والشر، وما يوجبان من وجود إرادة اختيار حرة، تشكك دائماً في تبرير الشر على أنه يمثل إرادة إلهية ضرورية مطلقة، لهذا فقد ظهر في الميدان صوفي آخر طور ما تركه ابن عربي من الفكر الصوفي، متوصلاً إلى أنه كما لا يوجد فرق بين الخير والشر، فإنه لا فرق أيضاً بين نعيم الجنة وعذاب النار، وكان ذلك الصوفي هو الشيخ عبد الكريم الجيلي (المتوفى سنة 832هـ) الذي رفع أكبر مشكلة كانت تعترض القائلين بوحدة الوجود، أعني مشكلة العقاب والثواب، حين ذكر بأن جميع الناس مهتدون، في أحوال الطاعة وفي أحوال العصيان، وقرر بأن الله تعالى يسمى المُضِل كما يسمى الهادي «فالتطاع متحقق بصفة الهداية، والعاصي متحقق بصفة الضلال، وكلاهما أمام الحق سواء»، وما إرادتنا المخلوقة -

في رأيه- إلا «عين إرادة الحق سبحانه وتعالى»، وهي «عين الإرادة القديمة». ويحاول الجيلي جاهداً التوصل إلى أن النار لا تختلف بعذابها عن نعيم الجنة، فمما يقول «إن لأهل النار لذة فيها تشبه لذة المحاربة والمضاربة، وهم عارفون أنهم يتألمون بذلك، ولكن الربوبية الكامنة التي هي النفس تحملهم على خوض ذلك، ثم أن لهم لذة أخرى تشبه لذة من به جَرَبَ فيَحْكُهُ.. ولهم لذة أخرى تشبه لذة الجاهل المستغني برأيه ولو أخطأ.. الخ» (كتابه: الإنسان الكامل في معرفة الأواخر والأوائل).

والواقع أن الجيلي مضطر إلى أن يصل بالنظرية الصوفية إلى هذه النقطة، فهو في تفسيره لعذاب النار على هذا النحو، فإنه يُوفق بين كون الواقع السياسي (بكل ما فيه من شرور) حقاً مطلقاً، وبين فكرة الثواب والعقاب، ويرفع ما بينهما من تناقض أخير.

#### خاتمة:

تتضح لنا، مما تقدم، الصلة الوثيقة بين الفكر الصوفي من جهة، وبين الواقع السياسي والفكر السياسي من جهة أخرى، وأنه ليست هناك أية (تجربة روحية) منفصلة عن الواقع، بل أن التصوف كله كان تفاعلاً بين الفكر والواقع السياسي، كل منهما رسم طريق الثاني وحدد اتجاهه، وإن دراسة التصوف كمعرفة تأملية محضة دون دراسة واقعه التاريخي أمر غير مجد.

## عبد الكريم الجيلي

### حياته ورحلاته ومصطلحاته

هو الشيخ عبد الكريم الملقب بقطب الدين، وبغيف الدين على ما جاء في صدر بعض رسائله، ابن إبراهيم بن عبد الكريم الجيلي، أو الجيلاني. وقد صرَّح بأصله ونسبه حين قال في إشارة عارضة أوردتها في كتابه (قاب قوسين) أنه: عبد الكريم بن إبراهيم بن عبد الكريم بن خليفة بن أحمد بن محمود الكيلاني نسباً، البغدادي أصلاً، الربيعي عربياً، الصوفي حَسَباً. وقال الحاج خليفة أنه ابن سبط السيد الشيخ عبد القادر الكيلاني الحسني المتوفى ببغداد سنة 5611هـ/1165م<sup>(1)</sup>. ورغم ما توضحه هذه النصوص فإن في الأمر ما يستدعي المناقشة. وأول ما يثير التساؤل هنا أنه لُقِّب نفسه بالكيلاني، على خلاف شهرته المعروفة بالجيلي، وثمة فرق بين النسبتين، فالكيلاني، أو الجيلاني، هو المنسوب إلى جيلان<sup>(2)</sup>. ومنها قدم الشيخ عبد القادر الكيلاني إلى بغداد، أما الجيلي، فمنسوب إلى بلدة الجيل من أعمال بغداد تحت المدائن، كان يسكنها أهل جيلان الوافدين على العراق<sup>(3)</sup>. وإشارة الجيلي إلى أنه بغدادي أصلاً، ربما رجَّحت أن يكون من هذه البلدة، القرية من بغداد، وأما أنه لُقِّب نفسه بالكيلاني، فلأنه أراد نسبته إلى السيد الشيخ عبد القادر الكيلاني، وليس إلى تلك البلدة، وسبب هذا الترجيح أنه يمثل الجيل الثالث بعد جده الكيلاني، ومعنى هذا أنه لم يكن حديث عهد ببغداد ليعيش في بلدة جيل المذكورة، وجَدَّه نفسه لم يعيش بها وإنما اختار أن يقيم في محلة باب الأزج من محلات الجانب الشرقي منها، وفي هذه المحلة كانت مدرسة القاضي المُخرمي التي تحوَّلت إلى مدرسة باسمه وفيها دُفِن<sup>(4)</sup>.

(1) كشف الظنون، استانبول 1947، ص 1525.

(2) جيلان اسم معرب من كيلان، وهي بلاد تقع على الساحل الجنوبي لبحر قزوين، ينتمي أهلها إلى الكادوسيين من الشعوب التركية، وكلمة جيلان تعني (أرض الجبال)، وكانت قديماً تسمى الديلم، ويسمى سكانها الديلمة. وكان العرب يسمون هذه البلاد مع محافظة مازندران بمنطقة طبرستان، فتح العرب المسلمون جيلان في عهد الخليفة عثمان بن عفان، وسكنت فيها جالية عربية كبيرة، وتذكر مصادر سيرة السيد الشيخ عبد القادر الكيلاني، أنه حسني الأب، حسيني الام. وجيلان اليوم محافظة في شمالي إيران، مركزها مدينة رشت.

(3) يراجع ياقوت الحموي: معجم البلدان، مادة (جيل) و(جيلان) والسمعاني: الأنساب، مادة جيلي وجيلاني.

(4) كتابنا مدارس بغداد في العصر العباسي، بغداد 1966، ص 140-154

وفيهما أيضاً عاش أبناؤه، فالمعقول أن ذريته كانت تسكن هي أيضاً في هذه المحلة تحديداً. وقد كان دقيقاً حينما ذكر لفظ (نسباً) بعد هذا اللقب، ولفظ (أصلاً) بعد لقبه الآخر (البغدادى)، فبغداد هي مكان ولادته، ومحل نشأته، أما الكيلاني فهي نسبة الى جده فحسب. ومن المهم هنا أن نذكر أن نص الحاج خليفة على كونه ابن سبط الشيخ الكيلاني، ينبغي أن لا يفهم - كما فهمه كل ما أورد هذا النص - بأنه حفيد مباشر لبنت الشيخ، وذلك لان تصريحه بأسماء خمسة آباء له، يدل على انه الحفيد الثامن للشيخ الكيلاني، من بنت له، لم تذكر المصادر اسمها<sup>(1)</sup>. وهذا ما يُعززه حساب الأجيال، إذ اتفق النسابون على أن الجيل من الناس ما تراوح بين ثلاثين سنة وأربعين، والمدة بين وفاة الشيخ الكيلاني وولادة عبد الكريم تبلغ نحو قرنين من الزمن، وهي مدة زمنية تتناسب مع عدد أولئك الآباء تماماً. أما قوله بأنه (ربيعة عربياً) فهو مصطلح غير واضح الدلالة لدى النسابين، لاسيما بعد تصريحه الأول بنسبه، ولا معنى له إلا بأن جدته، ابنة الشيخ الكيلاني، كانت زوجة لرجل من ربيعة، إحدى قبائل العرب المشهورة<sup>(2)</sup>. أما تاريخ مولده فمُحدد تماماً، وهو محرم من سنة 767هـ/1356م، وذلك أنه نوه به في قصيدته التي سماها (النادرات العينية) حيث قال:

ففي أول الشهر المحرم حُرمة      ظهوري وبالسعد العطار طالع  
لستين من سبع على سبعمائة      من الهجرة الغرّا سَقَتني المراضع

ويقع هذا التاريخ في عهد تسلط المغول الجلائريين على مُقدّرات العراق، وهذا العهد اتسم بالاضطراب الشامل<sup>(3)</sup>، وفقدان الاستقرار السياسي، واختلال الأحوال الأمنية، وتعرّض البلاد إلى غزوات خارجية، أخطرها وأشدها وبالأغزى تيمولنك في نهاية القرن الثامن للهجرة (الرابع عشر للميلاد)، فكان هذا الظرف، فضلاً عن تراث

- 
- (1) كان للشيخ عبد القادر الجيلاني بنات كثيرات، قيل إنهن بلغن 22، هذا عدا الذكور.  
(2) ذهب بعضهم إلى انه (فارسي)، (د. عبد المنعم الحفني: الموسوعة الصوفية، القاهرة 2003) ولم نملك أي دليل أو قرينة تؤيد ذلك المذهب، فالرجل بغدادي المولد، وهو ابن سبط السيد الشيخ عبد القادر الكيلاني، الحسيني القرشي النسب، وقد صرح هو بنسبته إلى قبيلة ربيعة العربية، وإن كان قد تعلم الفارسية ففي رحلة له إلى المشرق وإقامة محدودة هناك.  
(3) يقع هذا التاريخ في المدة التي اتخذ فيها الجلائريون تبريز عاصمة لهم، فانحدرت بذلك الأهمية السياسية والإدارية لبغداد، وكان يحكم بغداد في السنة التي شهدت ولادة الجيلي، أمير جلائري يدعى سلمان شاه خازن (766-769هـ/1367-1367م). كتابنا: الاسر الحاكمة ورجال الإدارة والقضاء في العراق في العهود المتأخرة، في بغداد 1992، ص 34.

الأسرة الصوفيّة، من العوامل المهمة التي دفعت بعبد الكريم إلى الالتجاء إلى عالم التصوف، حيث وجد فيه ما كانت تصبو إليه نفسه من السمو الروحي عن اضطراب العالم المادي الذي كانت حوادثه، بل نوائبه، تموج من حوله.

### مكابدات صوفية

وجد الجيلي في نفسه، منذ طفولته وصباه، نزوعاً ملحوظاً نحو التسامي عما حوله من أحوال الدنيا وشواغلها، فقال في قصيدته المذكورة:

وَمُنْ كُنْتُ طِفْلاً فَالْمَعَانِي تَطْلُبُنِي      وَتَأْنَفُ نَفْسِي كُلُّ مَا هُوَ وَاضِعٌ

ولا تُسَعِّفُنَا الْمَصَادِرُ بِشَيْءٍ عَنْ طَبِيعَةِ اهْتِمَامَاتِهِ الْعِلْمِيَّةِ وَالثَّقَافِيَّةِ فِي هَذِهِ الْمَرَحَلَةِ مِنْ حَيَاتِهِ، فلا ندري ما إذا انتظم في إحدى مدارس بغداد الشهيرة لدراسة العلوم الشرعية، كما هي عادة النابهين من أترابه، كما لا نعرف أسماء من تتلمذ على أيديهم من العلماء، وما قرأه من كتب العلوم السائدة في عهده، كما أنه لم يحدثنا عن هذا في أي من كُتبه، ولا يعني إهماله الحديث عن هذه الجوانب -على أهميتها- من حياته، أنه لم ي تلق العلم على نحو ما كان معروفاً في ذلك العهد، لأن المستوى اللغوي والأدبي والفكري والعلمي العالي، الذي بدت عليه مؤلفاته الكثيرة، يكشف عن دراسته الرصينة لعلوم العصر، والظاهر أن سكوته عن كل ذلك، كان لانصرافه الكامل إلى علم التصوف الذي شغف به عما سواه.

ولما كان لا بد للمريد من توجيه وإرشاد، فقد انخرط الجيلي في خدمة مشايخ الصوفية في عهده، وسلك طريقتهم، فشاهد ما شاء أن يشاهد من تجاربهم ورياضاتهم الروحية، وقد تأثر بها، وتأكد له أنها الطريق الوحيد للتوصل إلى الحقيقة في هذا العالم، أنظر إلى قوله في شرحه قصيدة صوفية «ولقد حصّل لي -بحمد الله- من ذلك كله نصيبٌ وافر، وعايِنْتُ في أثناء الخدمة أحوال القوم (يعني الصوفية)، وجمعتُ بين الخبر والمشاهدة، فإني كنت مصدقاً بكل ما كنت أسمع من أحوال القوم ولا أنطلبه، وإنما مقصودي محض العبودية، وكنت أسمع المشايخ في كتبهم يقولون: لا بد للشيخ في الطريق، وهو وإن كان أعز من الكبريت الأحمر، لكن من صدق في الطلب ظفره الله بالاجتماع به، فكنت عاضاً على هذه الوصية بالنواجذ، ملازماً للأدب المذكورة عن المشايخ في آناء الليل وأطراف النهار»<sup>(1)</sup>.

(1) شرح قصيدة صوفية، مخطوط في مكتبة الأوقاف ببغداد، غير مرقم الصفحات.

إلا أن خدمة المشايخ، والرغبة الصادقة في العبودية، لم تكن لترضي طموح الشاب عبد الكريم، وهو الذي كان يطمح إلى الوصول إلى لب الحقيقة وجوهرها، حيث «الفتح العظيم» على حد تعبيره.

### رحلاته

وفي نهايات القرن الثامن للهجرة، سافر الجيلي إلى مكة حاجاً، وكان ما زال عهد ذلك شاباً يافعاً، وفي أثناء أدائه مناسكه، أو بعدها، التقى بالشيخ الصوفي شرف الدين إسماعيل بن إبراهيم الجبرتي، المتوفى سنة 806هـ<sup>(1)</sup>، فأخذ عنه آداب الطريقة، وتلقى منه الاذكار الصوفية بوقت قصير لا يزيد على سبعة أيام «حصلت له فيها الجذبة المطلوبة»، فكان لقاؤه بالجبرتي حاسماً في حياته الروحية المقبلة، فإننا نجده يشد الرحال، بعده إلى زبيد في اليمن، وهي موطن الشيخ الجبرتي، سنة 779هـ/1377م، حيث التحق به وبمريدين له هناك، منهم: الشيخ شهاب الدين أحمد الرداد، قال واصفاً بعض مكابذاته هناك «ولقد كنت غرقت في هذا البحر الغزير، وكاد يهلكني موجه في قعره الخطير، وأنا يومئذ في سماع في بيت أخينا الشيخ العارف شهاب الدين أحمد الرداد، وكان شيخنا أستاذ الدنيا القطب الكامل والمحقق الفاضل، ابو معروف شرف الدين إسماعيل بن إبراهيم الجبرتي حاضراً يومئذ في السماع<sup>(2)</sup>، فناديت بأعلى صوتي: اللهم أعوذ بك من العلم المهلك، أدركني ياسيدي أدرك!، فكان يراعييني الشيخ في نفس السماع مراعاة من له على الأمر اطلاع، فنقلني ببركته إلى المعراج القويم الذي هو الصراط المستقيم»<sup>(3)</sup>.

طوّف الجيلي في بلاد عدة، آخذاً من كبار الصوفية فيها، حيث وجدناه يقصد بلاد الهند، فيكون فيها سنة 790هـ/1387م، ويظهر أن ارتحاله إلى الهند كان صُحبةً لشيخه إسماعيل الجبرتي الذي نُفي إليها عهد ذاك بسبب اختلافات فكرية<sup>(4)</sup>. وقد

---

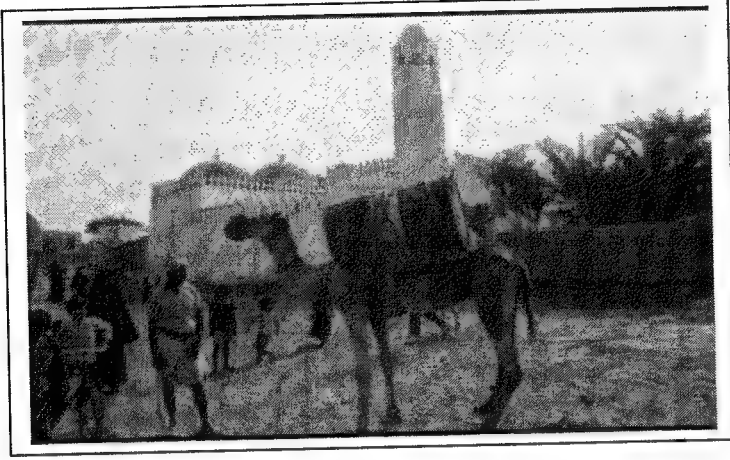
(1) هو إسماعيل بن إبراهيم بن عبد الصمد الهاشمي العقيلي الجبرتي ثم الزبيدي الشافعي، فقيه مقرئ محدث، اشتغل بالعلوم ثم تصوف ونسبت إليه كرامات، وله مدرسة تنسب إليه في زبيد جددت عمارتها سنة 909هـ، ابن الديبع الشيباني الزبيدي: الفضل المزيد على بغية المستفيد في أخبار زبيد، تحقيق محمد عيسى صالحية، الكويت 1983.

(2) في الأصل: السماء.

(3) الإنسان الكامل ج3 ص39

(4) السخاوي: الضوء اللامع لأهل القرن التاسع ج2 ص283.

أشار هو الى تعرضه إلى تجربة غريبة في بلدة تسمى (كوشي) في تلك السنة. ثم أنه ارتحل إلى بخارى، حيث التقى هناك سنة 791هـ/1388م بالشيخ الخواجة بهاء الدين محمد بن محمد الشاه نقشبند الأوسي البخاري (المتوفى في السنة المذكورة)، أحد كبار صوفية عصره، والذي نسبت إليه الطريقة النقشبندية فيما بعد، فتعلم منه فوائد، وأفاد من تجاربه، وجرت له «أمور بعد ذلك وأحوال لا يمكن التعبير عنها».



مسجد الجبرتي في زبيد

وزار بلاد فارس، وتعلم اللغة الفارسية هناك، بدلالة أنه كتب بها رسالة صغيرة سماها (جنة المعارف وغاية المريد والعارف)<sup>(1)</sup>، وقيل أنه تعلم الهندية أيضاً في أثناء إقامته في الهند، وألف بها، ولم نتيقن من صحة هذه الأقوال، فهو غادر بغداد شاباً، وإقاماته في تلك البلاد كانت قصيرة، ربما أقصر من أن يتقن خلالها لغتين، فضلاً عن أن يؤلف بهما، وواضح ان عنوان الكتاب المذكور هو بالعربية لا بالفارسية. كما قيل أنه احاط بالتراث اليوناني<sup>(2)</sup>، ولم نجد في كتبه جميعاً ما يفهم منه ذلك<sup>(3)</sup>.

ولم تمض إلا سنوات، حتى عاد الشيخ الجيلي إلى زبيد في اليمن، حيث أقام ثانية عند شيخه شرف الدين إسماعيل الشيخ الجبرتي، وكانت زبيد قد تحولت بسبب هذا الشيخ إلى مركز صوفي فريد، يقصده المتصوفة من البلدان البعيدة، وصار

(1) يوسف زيدان: عبد الكريم الجيلي فيلسوف الصوفية، القاهرة 1988، ص14.

(2) www.chrib.net مقال بتوقيع (الكوثري)

(3) الإشارة الوحيدة في هذا الصدد إشارات في (الإنسان الكامل) بأفلاطون، ودفاعه عنه، وقوله: «رأيت له مكانة لم أرها إلا لأحد من الأولياء».

مسجد الشيخ الجبرتي مدرسة صوفية قائمة بذاتها، يقصدها المريدون، ويعقدون في جبانته (مقبرته) مجالس السماع<sup>(1)</sup>، وهم يتحلّقون حوله، ويتدارسون الفكر الصوفي كما انتهى على يد أكابر شيوخه، وأهمهم الشيخ محيي الدين ابن العربي، وقد بلغ من رواج أفكار الأخير أن كتبه كانت تباع وتشتري بالأسواق<sup>(2)</sup>، فلم يكن غريباً أن عرف الجيلي بـ (محيي الدين الثاني)<sup>(3)</sup>.

وقد نوه الجيلي بعدد من المتصوفة الذين التقى بهم في زبيد، منهم «الأخ العارف الرياني.. عماد الدين يحيى بن أبي القاسم التونسي المغربي، سبط الرّدّاد، والشيخ العارف جمال الدين الملقب بالمنجون، والشيخ حسن أبي السرور، والاخ الفقيه أحمد الجبائي» الذي كان يحضر معه مجالس السماع في مسجد الجبرتي، والفقيه أحمد الحيايبي<sup>(4)</sup>، وكلهم كان متأثراً بمدرسة ابن عربي الفكرية، إلا أن أحداً منهم لم يبلغ شهرة الجيلي، ولم تكن له مثل تأليفه الكثيرة. وأشار إلى لقائه بالصوفي أبو الغيث ابن جميل، وأنه أعجب به إعجاباً شديداً، ونقل خبر هذا اللقاء من ترجم له من المحدثين<sup>(5)</sup>، مع ان ابن جميل توفى سنة 651هـ/1253م، أي قبل أن يولد الجيلي بأكثر من قرن كامل.

بلغ الجيلي شأواً بعيداً في عالم التصوف، فتعمّق فيه، وخبر لُجّته، وكانت له فيه مكابدات جمة، ومجاهدات كثيرة، معتزلاً الدنيا، مستغرقاً في نشوة (الفناء)، نافذاً - بحسب اصطلاحه- من التعدد الى التفرّد، ومن الكثرة الى التوحّد. قال واصفاً إحدى تلك الحالات «غيبني وارِدُ الوقت عن الأكوان، وأخرجني بالكلية عن عالم الحداث، فأشهدني صفاتي، وأوجدني ذاتي، ثم نقلني مني إلى في أطوار كثيرة هي لي عندي ولدي، فلما قمتُ على صراطي المستقيم، وحفظت شروط ذلك العهد القديم، وضعتُ أحد القدمين في حضرة العَيْن، والآخر في عالم الأَيْن (يعني انه عرف حقائق الاشياء كلها دون تحديد بزمان او مكان)، ففتح لي الأفق الأعلى ذلك الباب، فولجتُ في عالمي، وعقدت حوأي بآدمي»<sup>(6)</sup>. وقد استغرقت تلك المكابدات المدة بين سنتي

(1) الكهف والرقيم، تحقيق عاصم الكيالي، ص 27.

(2) يوسف زيدان: عبد الكريم الجيلي ص 29.

(3) هكذا كتب على رخامة قديمة كانت قد ثبتت على قبره في بغداد.

(4) الكهف والرقيم ص 27.

(5) يوسف زيدان: عبد الكريم الجيلي ص 29.

(6) سبب الاسباب والكنز لمن ايقن واستجاب، مخطوط في مكتبة الاوقاف ببغداد.

792هـ/1393م و803هـ/1400م، عدا زمن ارتحل خلاله إلى مكة سنة 799هـ/1396م. وقد أشار إلى أنه اجتمع ببعض أهل مكة في آخر تلك السنة حيث تذاكر معهم في (الاسم الأعظم)، وساق كلاماً من حوار جرى في الموضوع<sup>(1)</sup>.

وتبرز لنا أهمية هذه المدة من حياته، من غنى تجاربه الروحية فيها، ومما تنأثر أحياناً في كتبه من إشارات إلى تلك التجارب، فها هو يقول «أقمت فيه بزييد شهر ربيع الأول من سنة ثمانمائة (1397م) من الهجرة النبوية، فرأيت جميع الرسل والأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، والأولياء والملائكة العاملين والمقربين وملائكة التسخير، ورأيت روحانيات الموجودات جميعاً، وكشفت عن حقائق الأمور على ما هي عليه في الأزل إلى الابد، وتحققت بعلوم إلهية لا يسع الكون أن نذكرها فيه»<sup>(2)</sup>.

ولأسباب لا نعلمها، غادر الجيلي زييد إلى القاهرة سنة 803هـ/1400م، حيث أقام هناك مدة سنة أو شهوراً منها، فقد جاء في الورقة الأخيرة من كتاب له سماه (آداب السياسة بالعدل)، وهو بخطه، أنه فرغ من إملائه وتسويده «لساعتين بقيتا من نهار الأربعاء سلخ رجب.. أحد شهور سنة ثلاث وثمانمائة.. بخط مؤلفه.. عبد الكريم بن ابراهيم بن عبد الكريم الجيلاني الصوفي - لطف الله تعالى به- بالقاهرة المحروسة»<sup>(3)</sup>. والغريب أن ساعة الفراغ من هذا الكتاب، هي نفسها التي أتم فيها تأليف كتاب آخر له إذ جاء في آخر مخطوطته (غنية أرياب السماع في كشف القناع عن وجوه الإستماع) أنه «فرغ من كتبها وتسويدها لساعتين بقيتا من نهار الأربعاء سلخ رجب سنة 803هـ بالقاهرة المحروسة»<sup>(4)</sup>. ولا نظن أن الجيلي أخطأ بتكرار التاريخ مرتين، كل مرة في آخر مخطوطة له، وإنما أراد شيئاً له تعلق بعالم الأرواح.

ولم تمض إلا مدة قليلة، حتى وجدنا الجيلي قد غادر القاهرة عائداً إلى زييد، ففي كتاب له عنوانه (الكملات الإلهية في الصفات المحمدية) ذكر أنه «إبتدأ تأليفه في أول ربيع الأول سنة 803 وفرغ من كتابته صبح يوم الاثنين الثامن والعشرين من شوال سنة 805 بمحروسة زييد»<sup>(5)</sup>، ثم أنه غادر زييد إلى صنعاء، لأمر لم يبينه، فكان فيها سنة 805هـ<sup>(1)</sup>.

(1) الإنسان الكامل ج1 ص58.

(2) الانسان الكامل ج2 ص97.

(3) الزركلي: الاعلام ج4 ص175.

(4) فهرست الكتب العربية المحفوظة بالكتبخانة المصرية، القاهرة 1305هـ، ج2 ص127.

(5) المصدر نفسه والصفحة.

بيد أن مدة مكوثه في زبيد لم تطل هذه المرة، فقد توفي شيخه إسماعيل الجبرتي بعد عام واحد من ذلك التاريخ، وبذا عاد الجيلي إلى القاهرة ليستقر فيها ولو إلى حين. وفي الواقع فإن استقراره بمصر كان يمثل مرحلة جديدة من حياته، لها صفاتها ومميزاتها الخاصة، فهو هنا في أواخر العقد الرابع من عمره، قد خبر لجة الحياة، ونال ما نال في الغوص في عالم الروح والحقيقة، واتصل -كما صرح علناً- بالحق، وعرف حقائق الموجودات وكانت له تجليات، لذلك فإن إقامته بمصر قد هيأت له الفرصة لتأمل ما مر به من تجارب، وتسجيلها في كتب، فشرع يؤلف كتبه بنفس قوي، وقدرة بالغة على وصف ما شاهده من كشف ومعرفة، تدل على ذلك وفرة مؤلفاته التي صرح فيها أنه ألفها بالقاهرة، إضافة إلى وجود عدد من كتبه ورسائله التي بخطه محفوظة في مكتبات هذه المدينة.

ولا علم لنا بالمدة التي أقام فيها الجيلي في القاهرة، وما إذا كان قد عرج على بلدان أخرى زائراً لها، أو مقيماً فيها، مع أننا نلمح من خلال سطور كتابه (الإنسان الكامل) كثرة سياحاته ومشاهداته ورحلاته في مختلف الأماكن والبلدان. من ذلك ما وصف به بعض المدن والاجناس والبحار، كوصفه لـ (البحر الأخضر) حيث يذكر أنه «ليس فيه حوت، ومن يركبه يموت، رأيته وعلى ساحته مدينة مطمئنة أمينة .. ثم أني رأيت أهلها مشغوفين بركوب هذا البحر، ومتعلقين بحب هذا الأمر.. الخ»<sup>(2)</sup>. ومثله حديثه عن (البحر الأحمر)، إذ يقول فيه «رأيت على ساحل هذا البحر رجالاً مؤمنين ليس لهم عبادة إلا تقريب الخلق إلى الحق، قد جُبلوا على ذلك، فمن عاشرهم أو صاحبهم عرّف الله بقدر معاشرتهم.. وليس في هذا البحر من السكان سوى دوابه والحيتان»<sup>(3)</sup>.

كما أنه وصف ما سماه (البحر النتن) بقوله «صعب المسالك، قريب المهالك، هو طريق السالكين ومنهج السائرين، يروم المرور كل أحدٍ عليه، ولا يصل إلا العباد إليه، لوئه أشهب، وكونه أغيب.. رائحة حيتانه كالبالغال والجمال تحمل الكل وأعباء الأثقال إلى بلد الدر الأنفس.. وأكثر مراكب المسلمين تبتلعها قروش هذا البحر.. ورأيت سكان هذا البحر سليمي الاعتقاد، سالمين بحسن الظن من فتن الإنقياد»<sup>(4)</sup>. ومع أنه حمل

(1) شرح مشكلات الفتوحات، نقلاً من الغنيمي، مقدمته لكتاب المناظر الإلهية ص 13.

(2) الإنسان الكامل ج 2 ص 118.

(3) المصدر نفسه ج 2 ص 117.

(4) المصدر نفسه ج 2 ص 114.

وصفه هذه الأماكن بُعداً روحياً، بل استخدمها إشارات لمعان صوفية، فإن ذلك لا يجب أن يدفعنا إلى القول بأن الوصف كان محض خيال، لأن الرجل سافر فعلاً إلى أماكن عدة كما تشهد سيرته، وكثرة تردد ألفاظ مثل (البحر) و (ركوب البحر) و (البحر العميق) و (الغور الأعماق) و (الأمواج المتلاطمة) و (سفينة من ألواح) و (المراكب كثيرة العطب) و (أهوال البحر) و (طيب رائحة البحر) و (الاستدلال بالكواكب في البحر) و (ومرسى المراكب) و (الغرق والإنكسار) وغيرها، تؤكد سلوكه البحر كثيراً في رحلاته، وألفاظ مثل (البغال) و (الجمال) و (الدرب) و (المفازة) و (الجبل) و (القفار) و (تيهات القفار) وغيرها تدل على سلوكه طرق البر أيضاً، وفي كلتا الحالتين فإنه كان جواباً كثير الأسفار.

### وفاته ومدفنه

ثمة اختلاف شديد في تاريخ وفاته، فذهب الحاج خليفة إلى أنه توفي بعد سنة 805هـ، وحدد يوسف إيلان سرركيس وفاته بأنها حدثت سنة 805 نفسها، ولا نستبعد أنه نقل ذلك الحاج خليفة بحذف (بعد) أو سقوطها، بينما ذكر إسماعيل باشا البغدادي<sup>(1)</sup>، وتابعه في ذلك المستشرق الانكليزي رنيكلسون<sup>(2)</sup>، أنه توفي سنة 820، وحدد يوسف زيدان وفاته في سنة 826هـ ومثله ما جاء في الموسوعة الصوفية<sup>(3)</sup>، بينما حدد كل من ماسنيون<sup>(4)</sup>، وبروكلمان<sup>(5)</sup>، والزركلي<sup>(6)</sup>، وكحالة<sup>(7)</sup> وآخرون وفاته بسنة 832هـ، ولم يذكر أحد من هؤلاء سبباً واحداً لاختيار ما أورده من تاريخ.

وثمة رواية للحسين بن الأهدل اليمني (المتوفى سنة 855هـ)، في مخطوطته (كشف الغطا) أشار فيها إلى أنه التقى بمن سماه (عبد الكريم الجيلاني العجمي)، في بلدة (أبيات حسين) في اليمن، وأنه توفي في هذه البلدة، وفيها دفن في تربة الشيخ

(1) هدية العارفين في أسماء المؤلفين ج1 ص728.

(2) دائرة المعارف الإسلامية ج5 ص67.

(3) د. عبد المنعم الحفني: الموسوعة الصوفية ص141.

(4) ماسنيون: الإنسان الكامل وأصالته النشورية، ترجمة عبد الرحمن بدوي، ضمن كتابه (الإنسان الكامل) ص111.

(5) Brock., II.P.284

(6) الأعلام ج4 ص175.

(7) معجم المؤلفين ج5 ص313.

إبراهيم الجيلي<sup>(1)</sup>، واذ وقف الدكتور نجاح الغنيمي على هذه الرواية، فإنه قطع بأن عبد الكريم العجمي هذا هو نفسه الشيخ عبد الكريم الجيلي البغدادي، وعليه فإنه حدد تاريخ وفاته بأنها حدثت ما بين سنة 805 وسنة 829، اعتماداً على المدة التي استغرقها هذا المؤرخ في كتابة مخطوطته المذكورة، ونحن نرى أن هذا الرأي لا يستند إلى ما يدعمه، لانه لم يثبت أن الجيلي العجمي اليمني الذي ترجم له، هو نفسه الجيلي البغدادي، وهو ما سنناقشه بعد قليل، هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى، فإن الغنيمي ذكر بأن آخر تاريخ أثبتته الجيلي في مؤلفاته هو سنة 805هـ، وهو هنا يقصد كتابه (حقيقة الحقائق)، مع أن هذا التاريخ لم يكن الأخير، لأننا وجدنا في آخر كتابه (حقيقة اليقين وزلفة التمكين) أنه فرغ من تأليفه سنة 815هـ، فهل أنه هو نفسه الجيلي البغدادي الشهير، أم أنه ثمة خلط بين الشخصيتين؟ لنناقش الأمر إذاً:

لم يذكر ابن الأهدل أسم أبي عبد الكريم الجيلاني العجمي، وأشار إلى أنه توفي في (أبيات حسين) في تربة (إبراهيم الجيلي)، وسياق الرواية لا يفهم منه مطلقاً أن يكون إبراهيم الجيلي هو أبا عبد الكريم، لأنه لو كان الأمر كذلك لقال أنه دفن في تربة أبيه، فواضح أنه غيره، وبذا فإننا نستنتج وجود عدد من الجيلانيين في زبيد. وقد حاول د. الغنيمي جاهداً أن يجد صلة بُنُوَّة بين الرجلين فلم يستطع، وانتهى إلى القول أن الأمر يدعو إلى الحيرة، وأنه «يشككنا في صلته بإبراهيم بحيث يمكن أن يكونا شخصين غريبين عن بعضهما تماماً»<sup>(2)</sup>. ولكنه مع ذلك الخلط بين الجيليين عبد الكريم اليمني، والبغدادي، بوصفهما واحداً، عين تاريخ الوفاة المذكور.

وقف الغنيمي على ترجمة لإبراهيم الجيلي، دفن (أبيات حسين) الذي افترض أنه أب لعبد الكريم، في كتاب العقود اللؤلؤية للخزرجي اليمني، تشير إلى أنه بدأ حياته (مفلوتاً) أي جندياً بسيطاً في جيش السلطان الرسولي في اليمن، قبل أن يتزهد ويتصوف، هذا مع أن عبد الكريم الجيلي المؤلف كان بغدادياً، ولد في بغداد، وأسرته منها، كما تقدم بنا، وأبوه كان من ذرية السيد الشيخ عبد القادر الكيلاني، ولم يكن دفن أبيات حسين كذلك. ومما يلفت النظر أن الدكتور الغنيمي، وهو الذي أفرغ جهده في دراسة تراث الجيلي، قد أكد بغداديته ونسبته إلى ربيعة، مستنداً إلى تصريح

(1) د. نجاح محمود الغنيمي، مقدمته لكتاب المناظر الإلهية للجيلي، القاهرة 1987، ص 14.

(2) مقدمة كتاب المناظر الإلهية.

الجيلي نفسه، ثم عاد فناقض ما أكده بقوله « كل الدلائل تشير إلى ان الجيلي ولد ونشأ وتوفي في اليمن»<sup>(1)</sup>. نعم! لقد قضى في اليمن سنوات من حياته، ولكن ذلك لا يقدح في أنه كان وافداً إليها لا من أهلها. وهنا لا بد أن نلاحظ أن ابن الأهدل أطلق على عبد الكريم الجيلي اليمني، لقب (العجمي)<sup>(2)</sup>، مع أن سميّه البغدادي كان عربياً، من قبيلة ربيعة، كما مر بنا هذا أيضاً.

إن الخلط بين الشخصيتين، أو الدمج بينهما، ضيع فرصة الافادة من الشاهد التذكاري المهم الموجود على قبر عبد الكريم الجيلي في بغداد، في مسألة تعيين تاريخ وفاته. وكان الغنيمي قد ذكر بأن المستشرق الفرنسي ماسنيون قد نوه بوجود قبر لعبد الكريم الجيلي في بغداد، ولم يُقدّم تفسيراً لهذا الامر، ورأى يوسف زيدان ان القبر مجرد (مقام) له «فعادةً ما نجد لمشاهير الصوفية أكثر من مقام يعتقد الناس مع مرور الزمن انه مدفون فيه»<sup>(3)</sup>. وواضح أن كلا الباحثين لم يطلعا على هذا القبر ولو إطلاعاً عليه لما تجاوزا أهميته على نحو ما فعلا.

وقبره هذا موجود الارض المرقمة 197 الكائنة في الزقاق الجنوبي المسمى (طَرْف حَجِّي فتحي) المتفرع من شارع سيد سلطان علي بشرقي بغداد<sup>(4)</sup>، وكان حوله حتى اوائل القرن الماضي مسجد عامر، وصفه السيد محمود شكري الآلوسي بقوله: «هذا مسجد من مساجد بغداد القديمة العهد، قريب من مسجد السيد سلطان علي، فيه مصلى واسع، وعليه قبة، وساحة المسجد فسيحة، وفيه حجر وبيوت، وفي وسطه جُنبنة فيها نخيل وأشجار، يجد الداخل فيه انشراحاً وارتياحاً، وعبد الكريم الجيلي هذا من اكابر الصوفية، له مؤلفات كثيرة في علم التصوف، ومرقده في هذا المسجد يزار، وفيه إمام ومؤذن وخادم، وإدارة الأوقاف السلطانية هي القائمة بأمره»<sup>(5)</sup>. ومثل ذلك ما كتبه السيد محمد سعيد الراوي الغدادي اذ قال: «هذا من المساجد القديمة، منسوب الى عبد الكريم بن إبراهيم الجيلي، أحد أئمة الصوفية وأكابرهم، وكان على

(1) المصدر نفسه.

(2) كشف الغطاء عن حقائق التوحيد، الورقة 184 نقلاً من مقدمة كتاب المناظر الإلهية ص15.

(3) عبد الكريم الجيلي فيلسوف الصوفية ص25.

(4) ورقمه بحسب الترقيم الجديد 16 زقاق 63 محلة 104.

(5) مساجد دار السلام بغداد، مخطوط، وقد اختصر الشيخ محمد بهجة الاثري هذا النص في تهذيبه لمساجد بغداد المذكور، بغداد 1341، ص 79.

مذهب ابن العربي، وهو صاحب كتاب الإنسان الكامل في معرفة الاواخر والأوائل. وله مؤلفات غير هذا الكتاب في التصوف، منها كتاب (الكلمات) وكتاب (الناموس الاعظم) وغير ذلك<sup>(1)</sup>. كما اشار اليه عبادة في كتابه (العقد اللامع بآثار بغداد والمساجد والجوامع) الذي ألفه في اوائل القرن العشرين<sup>(2)</sup>.

وقد نُقِض هذا المسجد القديم في خمسينيات القرن العشرين، لاسباب فنية تتعلق بتداعي مبناه، ولم يبق منه اليوم غير القبر الذي يقع داخل قبة حديثة البناء، ارتفاعها نحو متر ونصف المتر، وعرضها نحو نصف متر، عليها لوحة قديمة من الرخام، تأكلت بعض كلماتها وحروفها، فيها اربعة اسطر بخط النسخ، تشير الى اسم صاحبه وتاريخ وفاته، نحتت بشكل بارز جميل<sup>(3)</sup>. ونص هذه السطور:

«هذا مرقد الشريف العالم العارف (ال) رباني والغوث الصمداني الجامع للمعاني الملقب من الله بمحيي الدين الثاني السيد الأجل الشيخ عبد الكريم قُدُس سره ونور ضريحه، وكان انتقاله في شهور سنة اثنتين و (كلمتان متاكلتان غير واضحتين) بعد الهجرة».

وقد نقل ماسنيون هذا النص في أوائل القرن الماضي.

وبما ان لفظ (اثنتين) يقع في مرتبة الاحاد من تاريخ وفاته، تأكد لنا ان التاريخ لا ينطبق الا على العدد 832، فهو اذن تاريخ وفاته، ويكون قد عاش خمساً وستون سنة.

وهناك قطعة قديمة أخرى من الرخام أيضاً، داخل القبة، تكسرت أطرافها، وتآكلت بعض ألفاظها، وكانت مدفونة في التراب الذي يعلو حفرة الرفاة، فاخرجناها عند زيارتنا للمكان في صيف سنة 1966، وأزحنا ما عليها من أتربة، وها نحن نثبت منها ما استطعنا قراءته:

(.....الشيخ.....الرباني الغوث عبد الكريم الصمداني.....)  
فقرائه واصحابه محمد الفاني سنة.....)

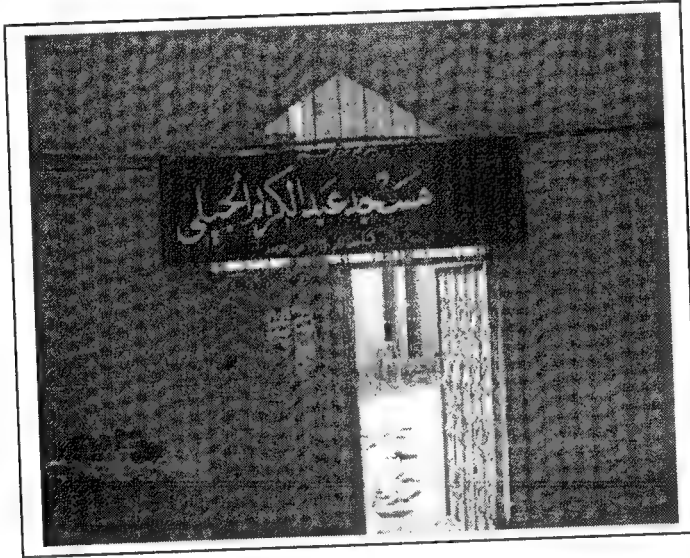
(1) خير الزاد في تاريخ مساجد وجوامع بغداد، بتحقيقنا ديوان الوقف السني، بغداد 2006، ص187-189.

(2) العقد اللامع، بتحقيقنا، بغداد 2004، ص405.

(3) ولا وجود لهذه الكتابة اليوم.

ولا ندري من هو محمد هذا، وما هي صلته بالدفين الجيلي، والراجع ان يكون احد «فقرائه وأصحابه»، قام بتعمير القبر، وربما المسجد، في زمان تالٍ غير محدد، بسبب تآكل تاريخه.

فالنصان مؤرخان صريحان يشيران الى أنهما كتبا ليكونا على قبر، وهما منـ ثمـ ليسا مما يوضع في (المقامات) التذكارية عادة، وقدم الشاهدين البالغ، يدل على أنها وضعا في زمن متقدم، ربما كان قريباً من زمن دفن من كتبت لأجله. ومن المؤسف أن هذه الكتابة الاثرية التي نقلنا نصها في الستينات من القرن الماضي أزيلت منذ زمن ولم يبق لها أثر اليوم.



مسجد عبد الكريم الجيلي المجدد حيث قبره

### مؤلفاته

صنف الجيلي عدداً كبيراً من الكتب جميعها في التصوف، وقد ضمنها أفكاره التي تدور جميعاً في نطاق نظرية (وحدة الوجود)، حيث اتخذ من هذه النظرية منطلقاً لفهم كل النصوص التي وردت في القرآن الكريم، وفي الحديث القدسي، والحديث النبوي، وفي عبارات الصوفية المتقدمين، بل كانت المفتاح الذي بواسطته سبّر (حقائق الأشياء) كما يقول، وخرج باكتشافات سنعرض لها بعد قليل، ولذا فإن أسلوبه في الكتابة جاء متوافقاً مع هذه الفكرة، فلا تكاد تميز بين وحدة العبارة ووحدة الفصل ووحدة الكتاب كله، فالكلام يأتي متدفقاً بقوة، لا مسافات بين كل

فقرة وأخرى، وفصل وآخر. ونظريته في وحدة الوجود تبقى مسيطرة على كل صفحات الكتاب حتى آخر كلمة فيه، وهي تزداد وضوحاً في كل عبارة، وتكاد تتجلى من وراء كل لفظ.

### فمن مؤلفاته:

1- الإنسان الكامل في معرفة الأواخر والأوائل، وهو من أجل كتبه المعروفة وأشهرها، وسنتحدث عنه فيما يأتي.

2- الكهف والرقيم في شرح بسم الله الرحمن الرحيم. أو: الكهف والرقيم الكاشف عن أسرار بسم الله الرحمن الرحيم. أوله «الحمد لله الكامن في كنه ذاته..» وقال عنه «ألفته إجابة لسؤال أخ عارف رباني، ذي الفهم الثاقب، عماد الدين يحيى بن أبي القاسم التونسي المغربي سبط الحسين بن علي»<sup>(1)</sup>. منه نُسخ خطية في دار الكتب المصرية تحت الأعداد 208 / 2676، و 67/56 و 74 و 23803 ب<sup>(2)</sup>، وفي مكتبة جامعة الملك فيصل بعدد 136 وثم نسخ أخرى في برايل بهولندا ودمشق وكمبريدج والقاهرة وتونس نوه بها بروكلمان<sup>(3)</sup>، وقد طبع في حيدر آباد الدكن سنة 1312 هـ، وفي القاهرة سنة 1326 هـ وفي مكتبة بن أيده من مكتبات ولاته، برقم 5ب/ و<sup>(4)</sup>، وحققه د.عاصم الكيالي، بيروت، دار الكتب العلمية سنة 2008.

3- مراتب الوجود وبيان حقيقة إبتداء كل موجود، ويُسمّى كتاب (الأربعين). جمع فيه أصول تلك المراتب في أربعين مرتبة على حسب شهوده وعلمه، أولها مرتبة العماء المطلق وآخرها مرتبة الإنسان الكامل. وأوله «الحمد لله الذي اعطى مراتب الوجود حقها على التمام والكمال»<sup>(5)</sup> فظهر فيها بما علمه لها من الحسن والجمال والثبوت والزوال والميل والإعتدال». وهو شبيه بالإنسان الكامل في معظم فصوله لكنه مختصر. وقد نظمه الشيخ غرس الدين محمد الأشعري الوفائي، ثم شرح هذه المنظومة بعضهم، وسماه (القرى الروحي الممدود للأضياف الواردين من مراتب الوجود). من الكتاب نسختان في مكتبة الأوقاف ببغداد، الأولى بعدد 12244 والثانية

(1) كشف الظنون ص1525.

(2) فهرست الكتب العربية المحفوظة بالكتبخانة المصرية ج2 ص108 و 115 و 119.

(3) Brock., S,II,284

(4) أحمد ولد محمد يحيى: فهرس مخطوطات نعمة وولاته، لندن 2003، ص236.

(5) في كشف الظنون ان أوله: حمداً من الحامد للحامد.

بعدد 7071<sup>(1)</sup>. وتوجد منه أربع نسخ في دار الكتب المصرية، الأولى ضمن مجموعة بعدد 2447 / 202، والثانية بعدد 6442 / 303، والثالثة بعدد 180 / 2670<sup>(2)</sup>، وثم نسخ في الموصل<sup>(3)</sup>، وفي الفاتيكان وحيدر آباد وشهيد علي ورضا ورامبور وسباط، نوه بوجودها بروكلمان. وطبعت مكتبة الجندي بمصر هذا الكتاب، وحققه د. عاصم الكيالي، ونشره ملحقاً بكتاب (الكهف والرقيم) المتقدم.

4- مسامرة الحبيب ومسامرة الصليب. أشار اليه الجيلي في (الإنسان الكامل) عند حديثه عن موسى ويوشع بن نون.

5- الخَصْمُ الزاخر والكنز الفاخر، وهو تفسير صوفي للقرآن. ذكره البغدادي. والظاهر أنه ألفه بعد (الإنسان الكامل) لأنه ذكر فيه ما نصه «وأرجو أن يُؤذن لي أن أكتب للقرآن تفسيراً يكون فيه بيان ما أوضح الله فيه من الأسرار المستغرية عن العقول، فيحصل به تمام الوعد الإلهي في الصفات المحمدية. رتبه على أربعة ابواب، الباب الاول في معرفة أن محمداً (ص) هو النسبة بين الله وعبد، الثاني في معرفة ما لله من الأسماء والصفات، الثالث في معرفة اتصاف محمد بالصفات الإلهية، الرابع في معرفة ما في الإنسان من الأمور الكمالية». ابتداءً في تأليفه في أول ربيع الأول سنة 803 هـ، وفرغ من كتبه صباح يوم الإثنين 28 من شوال سنة 805 بمحرسة زييد<sup>(4)</sup>. منه نسخة بخط المؤلف في دار الكتب المصرية ضمن مجموعة عددها 360 / 18454<sup>(5)</sup>، ونسخ أخرى في الرباط وبريل ودمشق والموصل نوه بها بروكلمان.

7- حقائق المناظر، وهو كتاب المناظر الإلهية، ويسمى أيضاً (كتاب الآفات). أوله «الحمد لله ذي المناظر العلية والمحاضر السنية». منه نسخة في دار الكتب المصرية، تاريخها سنة 988 هـ، وهي بعدد 23803 ب<sup>(6)</sup>. حققه د. نجاح محمود الغنيمي، دار المنار. 1987.

(1) انظر وصف الاولى في فهرس المخطوطات العربية في مكتبة الأوقاف العامة في بغداد ج2، بغداد 1974، ص490، وأما الثانية فلم تقهرس.

(2) فهرست الكتب العربية المحفوظة بالكتبخانة المصرية ج2 ص45 و 115 و 125 و 134.

(3) داود الجليبي : مخطوطات الموصل ص 123.

(4) فهرست الكتب العربية ج2 ص127.

(5) المصدر نفسه والصفحة.

(6) فؤاد سيد : فهرست المخطوطات بدار الكتب المصرية، القسم الأول، مصر 1961، ص281.

8- النودار (النادرَات) العينية في البودار الغيبية. وهي قصيدة عينية فقي 533 بيتاً<sup>(1)</sup>، أو 534 بيتاً<sup>(2)</sup>، تدور في نطاق نظرية (الإنسان الكامل)، وذكر قسماً منها في كتابه (الإنسان الكامل)<sup>(3)</sup>. وللقصيدة عنوان آخر في بعض المخطوطات، هو (الدرّة أو الدرر) العينية في الشواهد (أو البودار) الغيبية.  
أولها :

فؤاد به شمسُ المحبة طالع      وليس لنجم العذل فيه مواقع

منها نسخة في مكتبة المتحف البريطاني<sup>(4)</sup>، ونسخة في دار الكتب المصرية ضمن مجموعة بعدد 190/2658<sup>(5)</sup>، ونسخة جيدة في دار الكتب الظاهرية بدمشق بعدد 6169<sup>(6)</sup>، وفي الخزانة العامة في الرباط تحت العدد 1019، وفي الخزانة الصبحية بسلا تحت العدد 4/484، ونسختان في مؤسسة عبد العزيز آل سعود بالدار البيضاء تحت العددين 280 و 14/527. وثم نسخ أخرى نوه بها بروكلمان في خزائن لايبزك وكمبرج والمتحف البريطاني، وقد شرح القصيدة عدد من كبار الصوفية، منهم الشيخ عبد الغني النابلسي (المتوفى سنة 1143 هـ) بعنوان (المعارف الغيبية في العينية الجيلية)، ونسخة منه بخطه محفوظة في دار الكتب الظاهرية، تحت العدد 9118<sup>(7)</sup>. وتوجد نسخة أخرى من الشرح في مكتبة الغازي خسرو بك في سيراغيفو بعدد 747/3357<sup>(8)</sup>. ونالت القصيدة وشرحها شهرة في القرون التالية، حتى عدت من النصوص المهمة في (العلوم الإلهية)، ومن أعز ما يمتلكه الصوفية من كتب<sup>(9)</sup>. قد نشرت القصيدة محققة ومرفقة بشرح النابلسي لها بعناية يوسف زيدان، دار الامين بالقاهرة 1998 و 1999.

- 
- (1) كشف الظنون ص 740.
  - (2) عبد اللطيف الطيباوي: التصوف الإسلامي العربي، مصر 1928، 96.
  - (3) انظر مثلاً ج 1 ص 90.
  - (4) الطيباوي: المصدر السابق ص 96.
  - (5) فهرست الكتب العربية ج 2 ص 111.
  - (6) عزة حسن: فهرست مخطوطات دار الكتب الظاهرية، الشعر، دمشق 1964، ص 341 و 377.
  - (7) المصدر نفسه ص 377.
  - (8) قاسم دوبراجا: فهرس المخطوطات العربية والتركية والفارسية في مكتبة خسرو بك في سراييفو، ج 1 ص 493.
  - (9) رحلة طه الكردي الباليساني: بتحقيقنا، أربيل 2007، 54.

9- حقيقة الحقائق التي هي للحق من وجه ومن وجه للخلايق. ذكر أنه يتألف من ثلاثين جزءاً، وطبع من هذه الأجزاء كتاب (النقطة) وهو أول الأجزاء الثلاثين. توجد نسخة منه في دار الكتب المصرية بعدد 2260/192، تم نسخها سنة 1159هـ<sup>(1)</sup>، وأخرى في لايبزك بعدد 249.

10- غنية أرباب السماع في كشف القناع عن وجوه الإستماع. بحث فيه مسائل السماع لدى الصوفية وآدابه، ورتبه على مقدمة وثلاثة أبواب، وجعل المقدمة في الكلام على شيم أهل الطريقة، والباب الأول في مائة كلمة مما يتداوله الفصحاء، من نظم الشعر وفواصل النثر وشرحها، والباب الثاني في عدة قصائد شرح فيها كيفية السماع لأهل الاستماع، والباب الثالث في ذكر جمل من المقدمات وكيفية اختلافها في أرباب الدرجات. فرغ من كتابته وتسويده في نهار الاربعاء سلخ رجب سنة 803 هـ بالقاهرة. توجد منه نسخة بخط المؤلف في دار الكتب المصرية بعدد 360/18454<sup>(2)</sup>، ونسخة أخرى في كتبخانة أسعد أفندي في استانبول ضمن مجموعة عددها 3672<sup>(3)</sup>، وتوجد نسخ أخرى أشار إليها بروكلمان في الرباط ورامبور.

11- سبب الأسباب والكنز لمن أيقن الحساب (واستجاب). أوله «حمداً لله لصفاته، وتوحيداً لذاته، فهو الواحد لا عن التوحيد، والمحمود قبل الحمد والتحميد». نسخة منه في مكتبة الأوقاف ببغداد تاريخها سنة 1262 هـ ضمن مجموعة بعدد 6491<sup>(4)</sup>

12- آداب السياسة بالعدل. فرغ منه في رجب سنة 803 هـ بالقاهرة. منه نسخة بخطه في دار الكتب المصرية بعدد 4300 أدب، وثمة نسخ أخرى في كمبردج ورامبور أشار إليها بروكلمان.

13- الناموس الأعظم والقاموس الأقدم في معرفة قدر النبي (صلى الله عليه وسلم). أشار إليه في شرح مشكلات الفتوح المكية ص 79 و 89 و 195 ويقع في أربعين جزء، لكل جزء موضوعه وعنوانه، وأكثر هذه الموضوعات في شرح أحاديث قدسية، وقد فُقد أكثر أجزاء الكتاب، ومن الأجزاء المتبقية: الجزء التاسع وعنوانه (لوامع البرق

(1) فهرست الكتب العربية ج 2 ص 112.

(2) المصدر نفسه ج 2 ص 127.

(3) دفتر كتبخانة أسعد أفندي ص 545.

(4) فهرس مخطوطات مكتبة الأوقاف ج 2 ص 420.

الموهن في معنى ما وسعني أرضي ولا سمائي ووسعني قلب عبدي المؤمن<sup>(1)</sup>. نسخة منه في كتبخانة أسعد أفندي باستانبول تحت العدد 1665. وقطعة من ضمن مخطوطة في موقع مخطوطات طوكيو أشير إليها في الموقع [almudad.4umer.com](http://almudad.4umer.com) والجزء العاشر، وعنوانه (قاب قوسين وملتقى الناموسين). ومنه نسخة بدار الكتب المصرية ضمن مجموعة بعدد 2447/202، وتاريخها سنة 1114هـ<sup>(2)</sup>. ويقرأ على الموقع [islamic-sufism.com](http://islamic-sufism.com) والجزء الحادي عشر، وعنوانه (كتاب النور المتمكن في معنى قوله: المؤمن مرآة المؤمن). منه نسخة في دار الكتب المصرية ضمن المجموعة آفة الذكر، تاريخها سنة 1114هـ. والجزء الثاني عشر، وعنوانه (نسيم السحرا لصفات خير البشر). نسخة منه في مكتبة جامعة الإسكندرية، في 44 ورقة، برقم 45 من مجموعة الأميرة فائزة<sup>(3)</sup>. ونسخة منه في 7 أوراق، في حزم موت<sup>(4)</sup>. وقد طبعته مطبعة الجندي بمصر. وله كتاب كالشرح له، سماه (لسان القدر بكتاب نسمة السحر). منه نسخة في دار الكتب المصرية ضمن مجموعة بعدد 2676/308، تاريخها سنة 1135هـ<sup>(5)</sup>. حققه أحمد فريد المزيدي، القاهرة 2000. ويمكن مشاهدته على موقع (حان الألحان).

14- شرح مشكلات الفتوح المكية وفتح الأبواب المغلقات من العلوم الدينية. وهو شرح صوفي للأبواب العشرة من الكتاب 559 من كتاب الفتوحات لأبن عربي. قال في أوله: «أما بعد، فإنه لما كان العلم بالله تعالى، أعظم العلوم قدراً، وأرفعها فخراً، وأدقها معنى، وأجلها سرّاً.. وكانت الفتوحات المكية التي ألفها الولي الكبير والقطب الأعظم.. ابن عربي الحاتمي الطائفي المغربي الأندلسي.. أعظم الكتب المصنفة في هذا العلم نفعاً.. الخ». منه نسخة في مكتبة الاوقاف ببغداد تحت العدد 7074 تاريخها سنة 1129<sup>(6)</sup>، وفي المكتبة الازهرية بالقاهرة وفي دار الكتب الظاهرية بدمشق بعدد 9118، وفي مكتبة بلدية الإسكندرية بعدد 6301 د/تصوف، وفي مكتبة جامعة الاسكندرية

(1) البغدادي: هدية العارفين ج 1 ص 610.

(2) دفتر كتبخانة أسعد أفندي ص 98.

(3) يوسف زيدان: فهرس مخطوطات جامعة الإسكندرية، القاهرة 1994، ج 2 ص 385.

(4) المصدر نفسه ص 23.

(5) فهرست الكتب العربية ج 2 ص 45.

(6) فهرس مخطوطات مكتبة الاوقاف ج 2 ص 434.

في 45 ورقة، في مكتبة جامعة الإسكندرية برقم 45 من مجموعة الأميرة فائزة<sup>(1)</sup>، وفي المعهد الأحمدى في طنطا بعدد ح22، ع732، حققه عثمان يحيى، ثم يوسف زيدان. ويقرأ على موقع دار الايمان Daralemam.Org .

15- حقيقة اليقين وزُلفة التمكين وعمارة الدين. فرغ من تأليفه سنة 815هـ، منه نسخة في دار الكتب المصرية ضمن مجموعة عددها 2676/208<sup>(2)</sup>. وفي مكتبة بلدية الإسكندرية بعدد 3893ح/ت، ونسخة في مكتبة الاوقاف في بغداد ضمن مجموعة تحت العدد 7071<sup>(3)</sup>. ونشر على الموقع almuada.4umer.com .

16- الإسفار عن رسالة الأنوار فيما يتجلى لأهل الذكر من الأسرار، شرح فيه رسالة (الأنوار) للشيخ محي الدين ابن عربي، وهي تبحث في كيفية السلوك الى الله تعالى والوقوف بين يديه. أوله «أحمدُ الله الذي نورَ قلوب العارفين بنبراس معرفته»<sup>(4)</sup>.

17- السّفر (الإسفار) القريب نتيجة السفر الغريب. شرح فيه كتاب (الإسفار عن نتائج الاسفار) للشيخ ابن عربي. أوله «الحمد لله الذي خلق الانسان، وعلمه البيان، وجعله نسخة كاملة»، تحدث فيه عن سفر الإنسان عن طريق استحضار الطرائق من ظاهره إلى باطنه، ثم تفتح السموات السبع على الترتيب، بحسب الركوع والسجود بكل صلاة. منه نسخة في دار الكتب المصرية تحت عدد 178، وفي مكتبة جامعة القاهرة تحت العدد 15699.

18- الكنز المكتوم والحاوي على سر التوحيد المجهول المعلوم. ذكره البغدادي<sup>(5)</sup>.

19- كشف الغايات في شرح ما اكتتفت عليه التجليات. وهو في شرح (التجليات الإلهية) للشيخ ابن عربي، وتناول فيه تجليات بعض أسماء الله وصفاته وأفعاله. منه نسخة في رامبور نوه بها بروكلمان. وفي المكتبة الوطنية بباريس نسخة منه ذكر انها لمؤلف مجهول، وهي للجيلي، حققه محمد عبد الكريم النمري مع تعليقات إسماعيل بن سودكين، دار الكتب العلمية 2008.

(1) يوسف زيدان: فهرس مكتبة جامعة الإسكندرية ج2 ص68.

(2) فهرست الكتب العربية ج2 ص119.

(3) فهرس مخطوطات مكتبة الاوقاف ج2 ص354.

(4) إسماعيل باشا البغدادي: إيضاح المكنون ج1 ص79.

(5) هدية العارفين ج1 ص610.

- 20- الغايات معرفة معاني الآيات المتشابهات. ذكره البغدادي<sup>(1)</sup>.
- 21- قطب العجائب وفلك الغرائب. وصفه الجيلي بما يفهم منه أنه جاء مكملًا  
موضحاً لمعاني كتاب (الإنسان الكامل)<sup>(2)</sup>. نوه به في كتابه (شرح مشكلات الفتوحات  
المكية) ص 89 و 90.
- 22- شرح لطيف على منظومة في التصوف نظمها محمد بن عبدالدائم المعروف  
بابن بنت الميلى المتوفى سنة 797هـ مطلعها:
- مَنْ ذاق طعم شراب القوم يدريه      وَمَنْ دَرَاهُ غدا بالروح يشريه
- منه نسخة في مكتبة الأوقاف ببغداد تحت العدد 7074<sup>(3)</sup>.
- 23- الحالي المكين. منه نسخ في خزانة ولي الدين في القاهرة، نوه بها بروكلمان.
- 24- المناظر الإلهية. يحتوى على 101 منظر، من المناظر النورانية التي شاهدها  
الجيلي في خلوته بربه، منه نسخ في حيدر آباد والقاهرة ودمشق، اشار عليها  
بروكلمان. وطبعته مكتبة الجندي بمصر سنة 1962، وحققه د. نجاح محمود الغنيمي،  
دار المنار 1987، ود. عاصم الكيالي، دار الكتب العلمية في بيروت. 2004.
- 25- منازل (منزل) المنازل في معنى التقريبات بالفوائد النوافل. منه نسخة في  
الخزانة الاصفية في حيدر آباد الدكن بعدد 1902 اشار اليها بروكلمان ايضاً.
- 26- عيون الحقائق في كل مايحصل (تحصل) من علم الطرائق. منه نسخة في  
المكتبة الوطنية بباريس بالعدد 2595.
- 27- روضة الواعظين. منه نسخة في خزانة قليج علي باشا في استانبول بعدد 701.
- 28- شرح أسماء الخلوة. نوه به بروكلمان.
- 29- عقيدة الأكابر المقتبسة من الأحزاب والصلوات. منه نسخة في طرابلس نوه  
بها بروكلمان.
- 30- القصيدة الوحيدة. منها نسخة في حيدر آباد، أشار اليها بروكلمان أيضاً.

(1) المصدر نفسه والصفحة.

(2) الإنسان الكامل ج 1 ص 17.

(3) اسعد طلس: الكشف عن خزائن كتب الاوقاف ص 228.

- 31- إنسان عين الجود ووجود عين الانسان الموجود. اشار اليه في شرحه للفتوحات ص 131 و 160
- 32- جنة المعارف و غاية المريد والمعارف. رسالة أشار إليها في كتابه (الكمالات الإلهية).
- 33- كشف الستور عن مخدرات النور.
- 34- أمهات المعارف. نسخة في مكتبة الأزهر تحت الرقم 964/تصوف.
- 35- رسائل السبحات. وهو الشرح الثالث الاخير الذي وضعه الجيلي على مؤلفات ابن عربي. نسخة منه في مكتبة لايبزك.
- 36- الوجود المطلق.
- 37- بحر الحدوث والحدث والقدم وموجود الوجود والعدم.
- 38- رسالة الأغرب من العجالة لمن نظر وتعجب وتجنّب عن التعرض والتعصب في بيان ديباجة عنقاء مغرب وشمس المغرب للشيخ الشهير بابن العربي - قدس الله سره الاغلب- مع قارورة قلبه والقالب. نوه به بروكلمان 283/2 ومنه نسخة تاريخها 1299 هـ في مكتبة جامعة الاسكندرية تحت العدد 17 من مجموعة الاميرة فائزة.
- 39- المملكة الريانية المودعة في النشأة الانسانية. أحال اليه في كتابه (مراتب الوجود).
- 40- قطب العجائب وفلك الغرائب. ذكره في كتبه (مراتب الوجود) و (حقيقة الحقائق) و (سر النور المتمكن)<sup>(1)</sup>.
- 41- شرح وراء الكوئين . نوه به بروكلمان 283/2 ومنه نسخة كتبت سنة 1299 في مكتبة جامعة الاسكندرية في ست اوراق، ضمن مجموعة الاميرة فائزة، برقم 17.
- 42- الكمالات الإلهية والصفات المحمدية. منه نسخة في مكتبة خاصة في تريم بحضرموت<sup>(2)</sup>.

### كتابه (الإنسان الكامل في معرفة الأواخر والأوائل)

كتاب في جزأين، منه نسخ خطية عديدة في مكتبات شتى، منها اربع في دار الكتب المصرية، الأولى تاريخها 1271 بعدد 2486/18، والثالثة تاريخها 1013 هـ

(1) الغنيمي، مقدمة لكتاب المناظر الإلهية ص 14.

(2) عبد الله الحبشي: فهرست المخطوطات اليمنية في حضرموت، المركز اليمني للأبحاث الثقافية 1975.

بعدد 6774/56، والرابعة تاريخها 1284 هـ بعدد 2670/202<sup>(1)</sup>. وتوجد منه عدة نسخ في خزائن كتب استانبول، منها نسخة في كتبخانة ايا صوفيا<sup>(2)</sup>، ونسخة في كتبخانة ولي الدين عددها 1634<sup>(3)</sup>، ونسخة في كتب خانة دركلي بابا بعدد 343<sup>(4)</sup>، ونسخة في كتبخانة قليج علي باشا بعدد 574<sup>(5)</sup>، وأخرى في مكتبة اسعد أفندي بعدد 205<sup>(6)</sup>، وثلاث نسخ في مكتبة نور عثمانية تحت الأعداد 2264 و 2276 و 2277<sup>(7)</sup>، وفي مكتبة الاوقاف ببغداد نسختان بالعدد 4814 و 4909<sup>(8)</sup>، وفي مكتبة الاوقاف بالموصل تحت العدد 7/1<sup>(9)</sup>، وفي مكتبات موصلية أخرى<sup>(10)</sup>. وفي كتبخانة كجرات تحت العدد 560 و 561، ونوه بروكلمان بنسخ أخرى في خزائن شهيد علي وفيض الله وسليم باستانبول، وفي خزائن بريل في هولندا والوطنية بباريس والاصفية بالهند<sup>(11)</sup>، وثلاث نسخ في الخزانة الملكية في الرباط في المغرب تحت الأعداد 197، 633، 9948، وفي خزانة الزاوية الحمزية العياشية بإقليم الراشدية في المغرب، تحت العدد 13/276<sup>(12)</sup>، وفي خزانة المسجد الأعظم بوزان تحت العدد 498<sup>(13)</sup>. وقد طبع الكتاب بمصر غير مرة دونما تحقيق، وأفضل طبعاته تلك التي تولتها مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بالقاهرة سنة 1956، فقد عهد بتصحيحها الى (لجنة التصحيح) في المطبعة المذكورة، وهي التي اعتمدناها في هذا البحث. وقد ترجم

- (1) فهرست الكتب العربية ج 2 ص 67 و 111 و 115.
- (2) دفتر كتبخانة ايا صوفية، استانبول 1304، ص 99.
- (3) دفتر كتبخانة ولي الدين، استانبول 1304، ص 91.
- (4) دفتر كتبخانة دوكلي، استانبول 1310، ص 26.
- (5) قليج علي باشا كتبخانة سي، استانبول 1311، ص 40.
- (6) دفتر كتبخانة اسعد أفندي، استانبول، ص 79.
- (7) نور عثمانية كتبخانة سنده، استانبول، ص 128.
- (8) فهرس مخطوطات مكتبة الاوقاف ج 2 ص 315 و 316.
- (9) سالم عبد الرزاق احمد: فهرس مخطوطات مكتبة الاوقاف العامة بالموصل، الموصل 1982، ج 1 ص 71.
- (10) داود الجلي: مخطوطات الموصل ص 52 و 143.

(11) Brock, s., II, 283

- (12) حميد لحيمر: الفهرس الوصفي لمخطوطات خزانة الزاوية الحمزية العياشية بإقليم الراشدية، الرباط 2009، ج 4 ص 989
- (13) بدر العمراني ومحمد سعيد الغازي: الفهرس الوصفي لمخطوطات خزانة المسجد الأعظم بوزان، الرباط ج 1 ص 528

المستشرق رينولد نيكلسون قسماً منه الى الانكليزية سنة 1921، ولخص فكرته الاساسية في مقالته (الإنسان الكامل) في دائرة المعارف الإسلامية.

يتألف الكتاب من ثلاثة وستين باباً، عدا المقدمة، أوله «الحمد لمن قام بحق حمده، فتجلى في كل كمال استحققه وأقتضاه، وحصر بنقطة حال جلاله حروف الجمال واستوفاه، سمع حمد نفسه بما اثى عليه المعبود، فهو الحامد والحمد والمحمود حقيقة الوجود!». وكان الجيلي شديد الاعتزاز بهذا الكتاب، إذ يقول عنه: «هذا كتاب لم يأت بمثله الزمان، ولم يسمح بشكله الأوان، فافهمه وتأمله، فالسعيد ابن السعيد من قرأه وحصله...». ويروي قصة وضعه، ومعاناته في تأليفه، بقوله: «كنت قد أسست الكتاب على الكشف الصريح، وأيدت مسأله بالخبر الصحيح، وسميته بالإنسان الكامل في معرفة الأواخر والأوائل، ولكني بعد أن شرعت في التأليف، وأخذت في البيان والتعريف، خطر في خاطر إن أترك هذا الأمر الخاطر، إجلالاً لمسائل التحقيق، وإقلالاً لما أوتيت من التدقيق، فجمعت همّتي على تفريقه، وشرعت في تشتيته وتمزيقه، حتى دثرته فاندثر، وفرّفته شذر مذر... فأمرني الحق الآن بإبرازه بين تصريحه والغازه، ووعدني بعموم الانتفاع، فقلت: طوعاً للأمر المطاع، وشرعت في تأليفه متكلاً على الحق...»<sup>(1)</sup>.

وإذ كنا قد أطلعنا - إطلاعاً مباشراً - على معظم مؤلفات الجيلي المحفوظة في القاهرة وبغداد والاسكندرية، فضلاً عما طبع منها، وما نشر منها على الأنترنت، فإننا نستطيع القول بأن كتاب (الإنسان الكامل) يمثل واسطة عقدها بلا جدال، فقد حوي بين دفتيه جميع أفكار الجيلي التي توزعت في سائر مؤلفاته الأخرى، بحيث يصعب القول أنه ترك فكرة أو رأياً في كتاب ولم يدرجه، على نحو ما، في إنسانه الكامل هذا، بل يمكن القول انه قصد، في كتابه المذكور، أن يقدم لقارئه خلاصة مكثفة لكل تجاربه الفكرية والروحية منذ أن سلك طريق التصوف. وإشاراته الى بعض مؤلفاته الأخرى تدل على أنه لم يكتب الكتاب إلا بعد أن كانت له تجارب مهمة ومتنوعة في عالم التأليف أيضاً.

ولقد ذكرنا أن الجيلي تأثر تأثراً عميقاً بشيخه اسماعيل الجبرتي، ولما كان هذا «داعية لمقالة ابن عربي»<sup>(2)</sup>، فقد تأثر الجبرتي بآراء ابن عربي (توفي سنة 638هـ)، بل

(1) الإنسان الكامل ج1 ص4.

(2) السخاوي: الضوء اللامع ج2 ص282.

وعلى الرغم من كثرة هذه المصطلحات فإن الجيلي لا ينسى أحدا منها، فهو يستخدمها مقترنة بدلالاتها في مواضعها مرة بعد مرة، ولا يقتصر هذا على كتاب واحد وإنما في سائر كتبه على كثرتها، مما يبعث على الظن، بأنه كان يسجل المصطلحات المتعددة في ورقة، ليلجأ إليها كلما اقتضى الأمر ذلك، أو أنه كان يتمتع بذاكرة قوية تعينه في التوصل إلى الغاية نفسها.

على أنه في أحيان أخرى يخرج عن هذه القاعدة، فيأتي للمصطلح الواحد بدلالات تختلف عما أورده في المرة، أو المرات السابقة، كل بحسب السياق الذي يستخدمها فيه، وهي ظاهرة لا ينفرد بها وحده وإنما يمكن تتبعها لدى متصوفة آخرين أيضاً، وتعد من الظواهر الملازمة للنص الصوفي بخلاف نصوص العلوم الأخرى، التي يعبر فيها المصطلح عن دلالة واحدة غالباً. ولا يمكن أن نفسر هذا الأمر بضعف في دراية المؤلف الصوفي أو في ذاكرته، وإنما في طبيعة المعرفة الصوفية نفسها، التي تقوم على تنوع التجارب الذاتية كما أشرنا من قبل، فهو يضطر غالباً إلى اضافة دلالات جديدة على المصطلح بحسب تنوع هذه التجربة وغناها وتعدد مراحلها، وهكذا فلا يمكن فهم الاختلافات، وإن كانت جزئية، في هذه الدلالات إلا بفهم سياق النص كله، بل بفهم معمق لموضوعه<sup>(1)</sup>. وفي هذا يرى أحد الباحثين أن «العمل الصوفي في النهاية هو عمل فني مفعم بالرموز والإيحاءات والتلوينات التي لا تنكشف إلا بضرب من التذوق والاستشفاف»<sup>(2)</sup>.

ويبدو أن كثرة ابتكار، أو استعمال، المصطلحات لدى الجيلي، أدت به إلى ضعف العلاقة بين لفظه ودلالته، أو إلى انقطاعه عنه أحياناً، مثال ذلك اصطلاحه على الحياة بأنها (إمام الأئمة)، وعلى الكرسي بـ(العقل الكلي)، وأن (الوُتدية) المرتبة الثانية من مراتب الاستخلاف، وأن (الإرزاق) تجل فيضي على قدر حكمي، مع أنه لا علاقة لفظية بين الرزق وبين هذا المعنى، وأن (الأئمة) الصفات النفسية، ولا صلة بين اللفظ ومعناه، وهكذا.

ويصرح الجيلي أنه يتعذر عليه الكلام دون استخدام الاصطلاح، فيقول «لا بد لنا التثزل في الكلام على قدر العبارة المصطلحة عند الصوفية»<sup>(3)</sup>، لكنه يميز الجيلي بين

---

(1) ينظر الكاشاني: الاصطلاحات الصوفية، ص 11 من المقدمة ورفيق العجم: موسوعة مصطلحات التصوف الإسلامي، بيروت 1999، المقدمة.

(2) يوسف زيدان: عبد الكريم الجيلي فيلسوف الصوفية، ص 54.

(3) الإنسان الكامل ص 11.

ما ابتكره من مصطلح، وبين ما استخدمه من مصطلحات لمتصوفة سابقين، فيقول عن الأخيرة أنها «المعبر عنها»، أو «التي عبر عنها القوم» أو «عبرت عنها الطائفة»، و«يسميه المحققون». وعلى أية حال فإن قدرة الجيلي على ابتكار المصطلح وعلى استخدامه أيضاً تبدو جلية بالقياس إلى قدرات غيره من المؤلفين، فمصطلح (الأحدية) مثلاً، عند الكاشاني هو «اعتبارها مع إسقاط الجميع»<sup>(1)</sup>، بينما هو عند الجيلي «درجة إلى الحق تضمحل فيها العلوم وتُتَحَّى فيها الرسوم»، ومصطلح الإحسان عند الكاشاني هو «يتحقق بالعبودية على مشاهدة الحضرة الربوبية بنور البصيرة»<sup>(2)</sup> بينما هو عند الجيلي «اتحاد البصر والبصيرة»، فانظر إلى الفرق في الوضوح وجودة التعبير.

ومن غير اليسير استخراج مصطلحات الجيلي من مؤلفاته كلها، فهذه المؤلفات كثيرة قد تتجاوز الأربعين، وبعضها مفقود، ولذلك فإننا عمدنا إلى جملة من مؤلفاته المهمة، التي تميزت بتنوع موضوعاتها، لاسيما كتابه الشهير (الإنسان الكامل في معرفة الأواخر والأوائل)، وقد اعتمده هو فأحال عليه في كتبه الأخرى، فاستخرجناها من هذه المؤلفات، وهي:

الإنسان الكامل في معرفة الأواخر والأوائل. طبعة محمد علي صبيح، القاهرة، 1345هـ، رمزنا إليه بالحرف (أ)

نسيم السحر، تحقيق بدوي طه علام، رمزنا إليه بالحرفين (نس)  
مراتب الوجود وحقيقة كل موجود. تحقيق بدوي طه علام، رمزنا إليه بالحرفين (مر)  
قاب قوسين وملتقى الناموسين، رمزنا إليه بالحرفين (قا)  
حقيقة اليقين وزلفة التمكين، مخطوط في مكتبة جامعة الإسكندرية، رمزنا إليه بالحرف (ح)

المنابر الإلهية ومخاطر إجمال العلوم الدنية، رمزنا إليه بالحرف (م)  
لوامع البرق الموهن في معنى ما زسعني أرضي ولا سمائي ووسعني قلب عبدي المؤمن، رمزنا إليه بالحرف (ل)

(1) الاصطلاحات الصوفية ص 59.

(2) المصدر نفسه ص 52.

كتاب النقطة الموسوم حقيقة الحقائق، رمزنا إليه بالحرف (ن)

الكمالات الالهية رمزنا إليه بالحرفين (كم)

ورتبنا ما استخرجناه من مصطلح بحسب حروف الهجاء، فاستوى معجماً جديداً في هذا المجال الدقيق من مجالات المعرفة الصوفية، يمكن أن يكون عوناً للباحثين في فهم النص الصوفي وفي تحقيقه أيضاً، والله تعالى من وراء القصد .

- أ -

• الإبهام: تجلّ إلهي يُشهدك الحق تعالى فيه أسرارهِ المودعة في مخلوقاته ويطلعك على تداخل الأسماء والصفات (أ).

• اتباع الحق: أن تنسب إليه ما يستحقه من الكمالات وتزهه عما لا يليق بكبريائه (م)

• أثر الخلافة: نفوذ الأمر بالتعرف في الأكوان (أ)

• إثينية الباء: بروز الحق لنفسه في ترتيب ذاته الخلقي (ق)

• الإجابة: موافقة الإرادة الإلهية لسؤال العبد سواء تقدم حصوله أو تأخر (كم)

• الإجلال : أن يتعرف الحق للعبد بما ليس يعرفه من العظمة والعزة فيجعله ويجهد أن يقدره حق قدرته فيعجز ثم يؤيده فيقدره حق قدرته (ل)

• الإجمال الكلي: أن يريك الحق تعالى كليات الأمور (م)

• الإجمال: إرجاع أفعال العبد إلى الحق تعالى، فينسبها إليه سبحانه بعين ما كان ينسبها إلى نفسه (أ).

• الإجمال: أن يجد العبد عقله عين العلم الإلهي وروحه عين الحياة الرحمانية السارية في الموجودات كلها ومخيلته عين إرادة الحق ومصورته عين القدرة الإلهية ويصيرته عين السمع الإلهي وحديث نفسه عين الكلام (ل)

• الأحدية: المرتبة الثالثة من مراتب الوجود، الأحدية: درجة إلى الحق تضمحل

فيها العلوم وتتحى فيها الرسوم (ق)

• الإحسان: اتحاد البصر والبصيرة، فيشهدك الحق تعالى أنوار عظمته

الساطعة على الوجود (أ)

• الإحسان: أن يأخذك الحق تعالى أنوار عظمتة ساطعة على الوجود فيأخذك الصعق (م)

• الإخبار: أن يعرف الله عبده بالواقعات الصادرة في الأكوان غدت حلولها وبعده لا قبله من غير أن يحصل من العبد استشراف إلى علم ذلك (ل)

• الإذلال: تجل إلهي من حيث البطون والإستئثار في الموجودات فتتزل لرجوعها إلى أنفسها (كم)

• الإرادة: الروح الممتزجة بالجسم (مر)

• الإرزاق: تجل فيضي على قدر حكمي (كم)

• الأركان الأربعة: النار، الهواء، الماء، التراب (أ)

• الأرواح الثلاثة: أصل الحرف الألفي (ن)

• الأرواح الفعلية: الملائكة المهيمنة، عالم الحدوث، عالم المعاني (مر)

• استغفر الله: أن يتجلى الله تعالى على العبد بتجل يستتر فيه وجود العبد فيغفر ذات العبد أي يسترها بذاته فلا يشهد في الوجود إلا الله وحده (ق)

• الاستواء: أن يستوي إتصاف العبد بصفات الله تعالى واتصافه بصفات نفسه (م)

• الاستيلاء: استيلاء الصفات الإلهية والأسماء الذاتية على سائر العبد بأن يتحقق جسمه الذي هو هيكله بما هو متحقق به في روحه. استيلاء حكم الحق تعالى على العبد فلا يبقى لبشريته أثر (أ)

• اسم الله تعالى: قطب رحي العالم (م)

• الاسم المحيط: كل اسم له سدنة يشملها حكمه (كم)

• الأسماء الجمالية: المرتبة العاشرة من مراتب الوجود (مر)

• الأسماء الحسنى: أسماء الإحصاء التي تعرف به إلينا من الأسماء والصفات

فيما يتجلى بها على عبده (أ) (ق)

• الأسماء الذاتية المقيدة: أسماء تقيد معنى الوصفية من وجه على أنها أسماء

ذاتية فهي سبعة: الرحمن، الواحد، الفرد، الوتر، الصمد، القدوس، الدور (كم)

- الأسماء الذاتية: أسماء مستأثرة عنده في غيبية لم يدخرها سبحانه وتعالى تجلياً على عباده وإنما لكون درايتهم لا يمكنها معرفة ذلك (كم)
- الأسماء الفعلية: المرتبة الحادية عشرة من مراتب الوجود (مر)
- الأسماء المستأثرة: أسماء لله يتجلى بها على من شاء من عباده، فهي مستأثرة عنده لا يعلمها إلا هو، ويعلمها من شاء من عباده (ق)
- الأسماء المستأثرة: الأسماء والصفات التي لم يتعرف إلينا بها، وهي له، يتجلى بها على من يشاء من عباده (أ).
- الأسماء النفسية: الحي، العليم، المريد، القادر، السميع، البصير، العليم (كم)
- الإغاثة: سرعة إجابة سؤال كل مضطر بإيصاله إلى المضطر إليه على ما تستحقه قابليته (كم)
- الأفلاك: الصفات الذاتية أو الإسمية أو الفعلية (م)
- الأقدار: جريان القدرة في الأشياء، وجريانها في أفعال الموجودات (م)
- الألف الأصلية: مظهر الحق تعالى، مظهر العناصر (ن)
- الإلهام: إنعدام الأعيان الثابتة بالكلية (م)
- الألوهية: الظهور الصرف (مر)
- الإلهوية: المرتبة الخامسة من مراتب الوجود، المرتبة الشاملة لمراتب الوجود، أعلاها وأسفلها (ق)
- الألوهية: تجليات الحق بالأسماء الذاتية والنفسية والوصفية والعقلية في مجلى واحد (كم)
- الألوهية: حضرة جمع الجمع، الحضرة الأكملية، مرتبة المراتب (مر)
- الألوهية: الظهور الصرف، منشأ الكثر والوجودية، حضرة التعيينات الإلهية، حضرة جمع الجمع، مرتبة المراتب (مر)
- إمام الأئمة: الحياة (مر)
- الإمامية: الغوثية الصغرى. المرتبة الثانية من مراتب الاستخلاف (ل)

• إنباء الحق: أن تتسبب إليه ما يستحقه من الكمالات وتنزهه عما لا يليق بكبريائه تعالى (أ)

• الإنسان الكبير: العالم الموجود تحت العرش من عالم المعنى وعالم الجبروت (ن)

• الإنسان: العالم الصغير (ق)

• أهل التجلي: الواصلون (أ)

• أهل الحضائر: عباد تجلى الله عليهم بتجليات متعينة فأكسبتهم تلك التجليات معارف آداب الدخول في الحضرات، فإذا أراد أحدهم دخول حضرة الحق تعالى استحضر تلك المعارف وتأدب بأدائها (أ)(م)

• أهل الحضائر: نوع من العارفين يخرجون عن محاضرتهم الإلهية لمصالحهم الخلقية فإذا فرغوا منها رجعوا إلى أمر الله تعالى ودخلوا حضرة الحق تعالى (م)

• أهل الخلع: هم الذين يشربون الصرف، وهم أهل عين التسنيم، وهو الكافور يخرج منه لأهل المواهب (أ)

• أهل المجالسة: الحافون بالعرش

• أهل المواهب: الذين يشربون من الممزوج (تنظر هذه المادة) (أ)(م)

• الأوصاف السبعة النفسية: الإرادة والقدرة والسمع والبصر والكلام (ق)

• الإيمان: تجل يدرك به سائر العلوم والأسرار، ويصل إلى سائر المقامات العلية، ويقطع به المنازل بنفس واحد (أ)(م)

• الإيمان: نور الله (م)

• الأئمة: الصفات النفسية (مر)

-ب-

• الباء: العرش، النفس الناطقة المسماة من بعض وجوهها بالقلب الذي وسع الله تعالى (ك)

• الباصرة: الروح الإنسانية (ل)

• الباطل: العدم المحض، غير الله تعالى (كم)

• الباطن: الحقيقة (ن)

• البداية: تجل على قلب العبد يعيده إلى المحل العلمي الإلهي الذي بدأ منه إلى العالم العيني. أن لا يكون للعبد في العالم العيني وجود البتة، بل يفنى سائر وجوده ويضمحل تركيبه ويذهب في الذاهبين فيرجع إلى المحل العلي، فلا يكون موجوداً إلا في علم الله وحده (أ) (م).

• البديلية: المرتبة الرابعة من مراتب الاستخلاف (ل)

• البراءة: تجل إلهي اختراعي يظهر الله فيه الأشياء على حسب مراده (كم)

• البَسْطُ: أن يعطى العبد أزمة المعاني فيقودها إلى حيث القلوب المصطفات حيثما أراد الحق (ل)

• البَسْطُ: تجل رحماني به انتشر في الوجود ما كان منطوياً في العلم الإلهي (كم)

• البشائر- النوع الأكمل: أن يكشف الله تعالى لك أولاً عما أودعك من أسرارهِ عن طريق المكاملة أو المحادثة أو المخاطبة أو المسامرة (م)

• البشائر- النوع المتوسط: الإخبار الإلهي للعبد من غير أن يكشف له عن سرهِ الموعود به له (م).

• البشائر- النوع الثالث: ما يرد عليك من البشارة بطريق مخاطبات الملائكة أو مقام تراه أو يرى لك أو بتصريح ولي (م)

• البَصَرُ: تجلي علم الحق من حيث مرتبة معلوماته له (كم)

• البعث: تجلي الكثرة وتعين الذات باسم الغيرية وظهور الصفات المعنوية بالمظاهر الصورية، الظهور بعد البطون (كم)

• البَهْت: أن يتجلى الله تعالى على العبد بتجلٍ يذهب فيه لبه ويزيل عقله وتتعدم فيه معارفه (أ) (ق)

-ت-

• التاج: عدم التناهي. إشارة إلى ماهية الذات التي لا نهاية لها (أ)

• التأنيس: أن يعرف الله عز وجل عبده بإقباله عليه وتدانيه إليه ويكشف له عن أسرارهِ المودوعة ليأنس بها فيرجع إلى جنابه ويطيق عتد بابهِ (ل)

• التجلي الأحدي: حقيقة صرافة الذات (مر)

- التجلي الأقدس: حقيقة تلك الروح المتجلية بأطوارها إلى تقلبات هذا القلب المتقلب (ل)
- التجلي الرحماني: أن يستولي حكم الحق تعالى على العبد فلا يبقى لبشريته أثر (م)
- تجلي الفتق: الكشف عن تداخل العلوم والمعلومات بعضها في بعض، فتري المسألة الواحدة المعقولة في ضد ما يقال بعينها في ضده (أ)
- التجلي: ثمرة التخلي (ن)
- تجليات المراتب الإلهية: التجلي الذاتي المخصوص الأقدس إلى سدرة المنتهى (م)
- تجليات المعنى: التجليات الإلهية (ق)
- تجلي عديمي: التجلي الذاتي للذات في الذات، التجلي المخصوص (ن)
- التدلي: أن يعرف الله تعالى وليه بأسرار الرجوع إلى العبودية ومناقبها وحصول استيعاب الكمال بذلك المعنى فيتدلى وينزل إلى العبودية المحضة (ل)
- التزندق: تجلي الحق تعالى على الولي بتجلي مخصص يظهر أثره عليه بحكم الغلبة، فيزندقه كل من يراه أو يسمع به أو يعلمه في تلك الحالة (أ) (م)
- التصوف: التخلق بالأخلاق الإلهية (م)
- التعالي: أن يعرف الله سبحانه وتعالى وليه بمدارج القربى (ل)
- التعليم: تأديب الحق تعالى عباده بأنواع الأدب (أ) (م)
- التفريد: الإنفراد بحقائق الكمالات الإلهية (أ) (م)
- التفصيل الجزئي: العلم بحقائق الأشياء كما هي عليه (أ) (م)
- التقرب: أن يساير الحق تعالى عبده بأنواع المسامرات والمحاضرات والمحادثات مما لا يستطيع هذا الكون انشاؤه (ل)
- التقوى: عين العبادة (ن)
- التقييد: إعطاء الحقائق حقها (أ)
- التقييد: عدم الوقوع في تجل إلا ويظهر على هيكله أثر ما هو فيه

• التكميل: أن يتجلى النبي (ص) على العبد حينما يعجز عن تحقيقه بمقام الكمال المطلق (ل)

- التلاشي: التخلي لورود التجلي، فالموصول فان، والمفصول باق (أ)
- التلامت: تجلي الحق تعالى على العبد بتجل بتغرب في أحوال العبد على الخلق، مما يوجب ملامتهم عليه (أ) (م)
- التلوين: الإلتصاف، هو من لوازم الخلق لا من صفات الحق، غلبة حكم صفة في كل زمان (م)

- التلوين: هو مشهد ذاتي تتلون فيه بمعاني الأسماء والصفات، فيغلب عليه في كل زمان صفة، فتكون في لون غير ما كنت عليه قبل (أ)
- التمكنين: تجلي الحق تعالى للعبد بذاته من حضراته، فيتصف حينئذ بأسمائه وصفاته (أ) (م)
- التنزيه الذاتي: سليك الشيء عن ليس ذلك الشيء من صفاته بوجه من الوجوه (كم)

- التنزيه الصفاتي: سليك الشيء عن لا تقتضيه صفاته (كم)
- التنكير: تجلي الله تعالى على عباده بالأسماء والصفات المستأثرة عنده، فيعرفه العبد بها (أ)

### -ج-

- الجلال: تجلي الحق تعالى على العبد بصفات القهر والكبرياء والقدرة والعظمة والجبروت (م)
- الجلال: حقيقة المجد الصرف المطلق الذي لا يختص بنسبة ولا باعتبار بل من كل الوجوه، وبكل الاعتبار، ولكل النسب (كم)
- الجمال: تنوع تجليات الحق تعالى في منظر الحال، فتارة بتجلى باللطف وتارة بالرحمة وتارة بالفضل وأمثال ذلك (م)
- الجوهر البسيط: الجوهر بعد انحلال التركيب، الجزء الذي لا يتجزأ
- الجوهر الفرد: الجوهر قبل التركيب (مر)

- الجوهر المركب: الجوهر بعد التركيب (مر)
- الجوهر: ذات قابلة للإنصال غير قابلة للإفراق (مر)

-ح-

- الحب: الواسطة الأولى لوجود الموجودات. محمد صلى الله عليه وسلم (أ)
- الحرف: العين الثابتة في العلم الإلهي لا تسمى كلمات وسميت حروفاً (أ)
- الحروف الظلامية: الحروف ت ج د ز ف ش ت ث خ ذ ض ط غ (ك)
- الحروف العاليات: صور المعلومات الإلهية (ن)
- الحروف النورانية: الحروف: أ ه ح ط ي ك ل م ق س ع ص ق ر (ك)
- الحَسَب: تجل إلهي يظهر المجد الباذخ، والكمال الشامخ على أنه من مقتضيات الذات الإلهية لذاتها لا لاعتبار ألوهية أو ربوبية (كم)
- حضرة الأسماء الجليلية: المرتبة التاسعة من مراتب الوجود (مر)
- الحفظ: الكلاءة الإلهية لآثار الأسماء والصفات بحيث لا يمنع بعضها بعضاً من إظهار الأثر، فإن لله أسماء متضادة فلو لم يمنع بعضها من بعض لطمس أنوار بعضها بعضاً، ولانعدمت الأسماء للمتضاده بأسره (كم).
- حق اليقين: الإتصاف بالتجليات الإلهية منك فيك بلا واسطة اسم أو فعل بل بذاتك من غير تشبيه ولا حلول ومن نوع من النقائص (م)
- حق اليقين: الإتصاف بتجليات الله الصفاتية والأسمائية والذاتية منك فيك بلا واسطة اسم أو فعل بل بذاتك في ذاتك لذاتك (أ)
- الحق: الذي في مقابلة الباطل، لأن اليقين إذا ظهر في أمر زال خلافه (كم)
- الحق: العلم والعالم والمعلوم، الشاهد والمشهود، الوجود المحض (كم)
- الحق تميز الذات الإلهية بصفات الكمال عن الذات الخلقية (كم)، الذات الموصوفة الممتازة عن صفات الأكوان (كم)، الذات الظاهرة في الملابس الكونية بما هي الأكوان عليه، وهذا هو الحق المخلوق به (كم)
- الحقائق: أصول الشرائع (أ) (م)

- الحقيقة المحمدية: قاب قوسين أو أدنى (مر)، العلم المطلق، العشق المجرد عن شبه العاشق والمعشوق، الشأن الصرف (مر)
  - حقيقة اليقين: إعطاء كل حق إلهي حقه مما يتصف العبد من أسماء الله تعالى وصفاته (أ)
  - حقيقة حق اليقين: إعطاء كل حق إلهي حقه مما يتصف به العبد من أسماء الله تعالى وصفاته (م)
  - الحكم: مقتضيات صفاته في الوجود (كم)
  - الحكمة: إظهار القدرة تحت ملابس الأسباب بوضع كل شيء موضعه من الترتيب اللائق بالعلم الإلهي، وأعطى كل حقيقة في الوقت المخصوص ما تقتضيه من الظهور والبطون والتعالي والتسفل والنقص والكمال والتقديم والتأخير والإيجاد والإعدام والتقليل والتكثير (كم)
  - الحلم: تجل إلهي بما اقتضته أسماء الرحمة في العصاة لا بما اقتضته فيهم أسماء النعمة (كم)
  - الحمد لله: أن يتجلى الله على العبد بتجل يحمد الله فيه نفسه بنفسه عن العبد، وحمده لنفسه تجليه فيما يستحقه من الكمالات الإلهية والشؤون الذاتية والمقتضيات الصفاتية وإعطاء كل شيء حقه (ق)
- خ-
- الخاطر الأول: السبب الأول، خاطر إلهي لا يكون إلا حقاً (م)
  - الخالقية: تجل إلهي يعين ما سوى الله فيه بالوجود التام، بعد أن كان محكوماً عليه بالعدم التام (كم)
  - الخبرة: المعرفة التفصيلية الإحاطية الشمولية باعتبار عدم احتجاب المعلوم عن العالم به (كم)
  - الخفض: تجل رباني فيه تظهر عزة الربوبية فيلحق خفض بالربوب (كم)
  - خلع العذار: تجلي الحق تعالى على العبد بتجل يقتضي حقيقة ذلك التجلي منه أن يتحدى به، فيظهر منه شطحات (م)
  - خلعة الولي الكامل: صفة إلهية يتلبس بها ويكون الأغلب على حاله (أ)

- الخلق: مظاهر الأسماء والصفات وذلك عين تجليه لنفسه بنفسه (كم)
- الخيال: برزخ بين الروح والحسد (مر)

- د -

- دائرة العين الصغرى: دائرة تنفتح حول عينه، فيرى فيها المحسوسات من وراء كثائف الحجب الحسية أشخاصاً معينة فلا تحجبه الجدارات ولا البعد ولا شيء من ذلك كله (أ)

- دائرة العين الصغرى: كشف يرى فيه العبد المحسوسات من وراء كثائف الحجب الحسية (م)

- دائرة العين الكبرى: دائرة يرى العبد فيها البرزخ والملكوت وعالم الأرواح، ويطلع على الجنان والنييران وأنواع النعيم والعذاب (أ) (م)

- ذ -

- الذات الإلهية الساذج: منقطع الإشارات بمجهول الغيب (مر)
- الذات الإلهية: الغيب المطلق، المرتبة الأولى من مراتب الوجود، غيب الغيب (مر)
- الذات الساذج: المرتبة الأولى من مراتب الوجود (ق)
- الذات: حقيقة حقائق الوجود (ن)

- ر -

- الربوبية: المرتبة السابعة المقتضية لوجود المربوب (ق)
- الربية: تجليات الحق بالإسمية والفعلية معاً في تجل واحد (كم)
- الرجوع إلى الله: الرجوع إلى المحتد الأصلي (م)
- الرحمانية: الوجود الساري، المرتبة الخامسة من مراتب الوجود (مر)
- الرحمانية: تجليات الحق بالأسماء الوصفية والفعلية والنفسية في مشهد واحد (كم)

- الرفع : تجل كماله يظهر فيه الحق سبحانه وتعالى بما يستحقه من الكمالات التي تنتهى فيتعين استحقاقه بالرفع دون خلقه (كم)

• رفع العذار: ضيق الحياة الدنيا بتجلي الحقائق الإلهية التي يتحدى بها الولي  
فلا يسعها إلا الدار الآخرة (م)

• الرقيبية: عبارة عن دوام شهوده لذاته (كم)  
• الروح الأعظم: النفس الكلية، اللوح المحفوظ، الإمام المبين، إمام الكتاب، أم  
الكتاب (مر)

• الروح الأمين: الكتاب المبين (ن)  
• الروح المحمدية: العقل الأول (أ)  
• الروح المحمدية: العقل الأول، مظهر الذات في الوجود (أ) (قا)  
• الروح المطلق: مقدم كافة الملائكة المقربين (ن)

- س -

• سبحان الله: أن يتجلى الله تعالى على العبد بتجل يتعشق فيه حضرة التنزيه  
ويتعشق بها فلا يدخل عليه الكون ولا يلحق به نقص ولا ينتمي إليه تحديد ولا حصر (ق)  
• ستر الحال بالحال: التلبس بملابس أحوال العوام فلا يظهر على هياكلهم  
المظهرة أثر مما في بواطنهم بحال (م)

• الستر: أن يغفر الله بذاته ذات العبد فلا يشهد في الوجود إلا الله وحده (ق)  
• الستر: تجل على العبد تستتر عنه سائر العوالم الكونية، فلا يعلم للأكوان علماً،  
• السحق: الفناء الذاتي (أ)

• سدرة المنتهى: تجليات المراتب الإلهية (أ) (م)  
• سدرة المنتهى: جميع صوره من لطيفة وكثيفة وعوالمه كلها (أ)  
• سدرة المنتهى: فناء الأوصاف الكونية من ذواتهم ببقاء الأوصاف الإلهية  
واتصافهم بها (ق)

• السذاجة الذاتية: الأحدية (ق)  
• سر الوقفة بين مقامين: تمييز العارف بها ما قد مضى ويعرف بها أدب المقام (م)  
• السرير: المرتبة الرحمانية التي هي في المكانة الإلهية (أ)

- السكران: من لا وقفة له (أ)
- السكران: من لا وقفة له بين مقامين (م)
- سماء الدنيا: الحسن (أ)
- سماعه تعالى: تجلي علمه في الأشياء من حيث مسموعيتها لأنه سبحانه يسمع منها ما علمه من نفسه (كم)
- السيار في الذهاب إلى الله تعالى: هو الذي يقطع مقامات الطريق مع البطء في الطريق، والمكث فيه بحكم العائق الماسك له (أ)
- السيار: قطع مقامات الطريق (م)
- السيارون في الله: الأفراد الواصلون إلى الله تعالى (أ)
- السيارون في الله: الأفراد الواصلون إلى الله تعالى (م)
- السير: تجاوز المقامات وقطعها بغير مكث في شيء منها بحكم العائق، مع البطء في الطريق (أ) (م)

#### - ش -

- الشرائع: أصول الشرائع لمعرفة الحقائق (م)
- الشكر: تجل إلهي يثني فيه على نفسه بما يقابل إحسانه على عباده (كم)
- الشم: تجل يعلم به من العلم الخاص بالله على قدر قوة قابليته، وذلك بطريق الوجدان والشم، فهو ليس عياناً ولا كشفاً إلا على سبيل الإيجاز (أ)
- الشهادة الإلهية: الكثرة التعيينية الظهورية، سواء كانت كثرة الأسماء والصفات أو كثرة الأثر، التي عين المخلوقات (كم)
- الشهادة: التعيين والظهور (كم)
- الشهادة: الظهور الإلهي بجميع المظاهر، حقيقة كانت أو خلقية، مع قبول جميع النسب والإضافات والأحوال والشؤون التي تلحق بأوصاف الحق وأوصاف الحق (كم)
- الشهود: أن يشهدك الله تعالى ظهوره في سائر مخلوقاته، وهو أول المناظر الحقيقية (أ)

- الشهيد: من فتكت به سبّحات الجمال والجلال فأفنته عنه فهو مقتول في حركة صدمات التجليات أخرس لا ينطق، أعمى لا يبصر، ميت لا يحيى (أ)(م)

- ص -

- الصديقية: وجودك حقائق الأسماء الإلهية والصفات الربانية منك فيك كما كشف الله تعالى علماً وعياناً وتحقيقاً (أ)(م)
- الصراط المستقيم: صراط الله الذي هو تنوعات تجليه في ذاته لذاته (م)
- الصفاء الإلهي: السحق ثم المحق (م)
- صفة الإلوهية: إعطاء الحقائق حقها من العدم والحدوث والحقيقة والخلقية والكمال والنقص بالقسطاس العدل (ل)
- الصور الروحانية، صور مخلوقة من نور جمال الله تعالى (ل)
- الصورة الرحمانية: مظهر الجمال المطلق (ل)
- الصوفي: من صفا من كدورات البشرية بأسماء الحق وصفاته وذاته فهو مصفى مما سوى الحق تعالى (أ)(م)

- ط -

- الطبيعة المحمدية: المرتبة الثامنة من مراتب الوجود (مر)
- الطرف الأدنى الصوري: الأفعال الحسية الصالحة المشهودة، والصور الحسية الموجودة، والأشكال اللطيفة، والأماكن العلية المنيفة (أ)
- الطرف الأعلى المعنوي: التخلق بالصفات الإلهية (أ)
- الطريقة: منهج يذهب فيه العبد إلى ربه، فالسلوك والسفر من لوازم أحكام العبد (أ)
- الطيار: هو الذي يتجاوز المقامات ويقطع منازل المنازلات والتعرفات الإلهية من غير عائق ولا مانع (أ)(م)

- ظ -

- الظاهر: المجاز (ن)

- العارفون: الذين عرفوا الذات بالأسماء والصفات (كم)
- عالم الإمكان: برزخ بين وجود القديم ووجود الحديث (مر)
- عالم الحقائق: المرتبة الثامنة والثلاثون من مراتب الوجود (ق)
- العالم الصغير: الإنسان (ق)
- عالم الصور: المرتبة السادسة والثلاثون من مراتب الوجود (ق)
- العالم الغيبي البرزخي: العالم الذي يمكن شهادته وظهوره (ق)
- العالم الغيبي: العالم الذي لا يتصور شهادته وظهوره أبداً (ق)
- عالم المعاني: المرتبة السابعة والثلاثون من مراتب الوجود (ق)
- العالم: الإنسان الكبير (ق)
- العائق: ما يقطع السير بغير مكث في شيء (م)
- العبودية الحقّة: إعطاء الأسماء الإلهية حقائقها بإظهار آثارها على هيكله (م)
- العبودية: رجوع العبد من الحق إرى الخلق بالحق وقد تمكن من التصرف بحقائق مقتضيات الأسماء والصفات (أ) (م)
- العدل: نفي الظلم وعدم الميل مع جهة على أخرى (كم)
- عدم الاستقرار: الإستيلاء (انظر هذه المادة)
- العدم: الخلق والوجود، الحق (مر)
- عرش الربوبية: حقائق الأسماء والصفات (كم)
- عرش الرحمن: الربوبية النافذة في حث الوجود المطلق بأحدية الوجود الساري فيه فيتجلّى فيه جمالا وجلالاً بالبسط والقبض والعطاء والمنع والإيجاد والإعدام (أ) (ق)
- عرش الرحمن: العالم (مر)
- العرش العظيم: الحقيقة الرحمانية (أ)
- عرش الله: القلب (م)

- العرش: الجسم الكلي، العالم الكبير (ق)
- العرش: الجسم الكلي، المرتبة الخامسة عشر من مراتب الوجود (مر)
- العرش: المرتبة الثامنة من مراتب الوجود (ق)
- العرش: محل استواء الرحمن (ق)
- العزة: تجل ذاتي في مظهر المكانة الإلهية (كم)
- العظمة: تجل إلهي بشمول الكمالات الإلهية تجلياً لا يطيقه غيره للمقتضى الذاتي، فإن هذا التجلي مما اقتضته الذات لذاتها (كم)
- العقل الأول: أول التترلات الإلهية الخلقية، مرتبة متوسطة بين الحق والخلق، المرتبة الثالثة عشر من مراتب الوجود (مر)
- العقل الفعال: عقل أوجد الله بواسطته الأركان الأربعة: النار، الهواء، الماء، التراب.
- العقل الكلي: الظهور الكمال بالمعنى الأسماي (أ)
- العقل الكلي: العقل الثاني (أ)
- العقل الكلي: حقيقة روح كل نبي وولي كامل (أ)
- العقل الكلي: مظهر الصفات، العرش، العقل الثاني، الظهور الكمال بالمعنى الأسماي (قا)
- العقل: القلم (قا)
- العقل: القلم الأعلى، الفكر، الروح المحمدي (مر)
- العلامة: أن يقع عند المخاطب أن كلام الحق على الفور والسرعة (ل)
- علم الأقدار: الكشف عن إجراء القدرة في الأشياء.
- العلم الإلقائي: علم يلقيه الله في قلب العبد كما يشاء وعلى حسب ما يريد (ن)
- علم الحضرة النفسية: شؤون المقتضيات والنسب والظهور والبطون والأولية والأخيرة (م)
- العلم الكسبي: علم يحصل للعبد بالمنازلات، علم الأذواق (ن)
- علم اليقين: معرفة الله الخاصة الذوقية التي يمنحها من شاء من عباده.

- علم اليقين: معرفة الله الخاصة الذوقية التي يمنحها من شاء من عباده (م)
- العلم: تجل إلهي إدراكي فيه أجد الله أعيان الحقائق على حسب ما اقتضاه ذلك التجلي بعلمه تعالى بالأشياء على حسب ما اقتضاه شأنه القديم (كم)
- العلوم الدنية: حقائق العالم التي تشهد لها من الغيب الإلهي في الكينونة العلمية من حيث أعيانها الثابتة (م)
- العلوم: أعيان ثابتة قائمة مشهودة بحقائقها إجمالاً وتفصيلاً سمعاً وعياناً (م)
- العَمَاء: الكنه الذاتي (ق)
- العنيدية: حضرة العلم الإلهي (ق)
- العنيدية: عبارة عن حضرة العلم الإلهي (أ)
- عين الخلافة: كل فرد من أفراد النوع الإنساني خليفة الله في العالم لأنه يتصف بصفاته، وذاته من نور ذاته (أ)
- عين اليقين: تجليات الله تعالى الصفائية والأسمائية والذاتية بحكم الوجدان والإطلاع التفصيلي (أ)

- غ -

- الغاية: تجل على العبد يرى فيه ما لا يدركه، ويجد فيه ما لا يعرفه، ويعرف ما لا يراه فيفوته الضبط، ولا يستقر عنده وجود ولا علم ولا رواية ولا رؤية ولا إدراك (أ) (م)

- الغفر: تجل إلهي يقني فيه على نفسه بما يقابل إحسانه على عباده (كم)
- الغيب: الاستتار والبطون (كم)

- ف -

- الفتح: تجل وجودي إيجادي به يتعين تفصيلاً ما انبهم من إجمال الوجود منحة وجوداً.
- الفتق: الكشف عن تداخل العلوم والمعلومات بعضها في بعض، ما يطرأ على محل الرتق، ولا يكون الفتق والرتق إلا لمن هو دون مرتبة الكمال (م)
- الفصال: أعلى من الوصال، هو التجلي بمقتضيات التجلي (أ)

- فلك الأثير: المرتبة الرابعة والعشرون من مراتب الوجود (ق)
- الفلك الأطلس: فلك وجودي عيني يدور تحت الكرسي وفوق بقية الأفلاك (مر)
- الفلك الأطلس: المرتبة الخامسة عشر من مراتب الوجود (ق)
- فلك الأفلاك: الفلك المكوكب ومنطقة البروج فيه جميع الكواكب الثابتة والسيارة ملا خلا السبعة الكواكب (مر)
- فلك البروج: المرتبة السادسة عشر من مراتب الوجود (ق)
- فلك التراب: المرتبة السابعة والعشرون من مراتب الوجود (ق)
- فلك الجوهر البسيط: المرتبة التاسعة والعشرون من مراتب الوجود (ق)
- فلك الشمس: المرتبة التاسعة عشر من مراتب الوجود (ق)
- فلك العناصر: المرتبة الرابعة عشر من مراتب الوجود (ق)
- فلك الغرض اللازم: المرتبة الثلاثون من مراتب الوجود (ق)
- فلك القمر: المرتبة الثالثة والعشرون من مراتب الوجود (ق)
- فلك الماء: المرتبة السادسة والعشرون من مراتب الوجود (ق)
- الفلك المأثور: الكرة الهوائية (مر)
- الفلك المتأثر: الكرة الترابية (مر)
- فلك المريخ: المرتبة الثامنة عشر من مراتب الوجود (ق)
- الفلك المستأثر: الكرة المائية (مر)
- فلك المولدات: المرتبة الثامنة والعشرون من مراتب الوجود (ق)
- فلك الهواء: المرتبة الخامسة والعشرون من مراتب الوجود (ق)
- فلك زحل: المرتبة السابعة عشر من مراتب الوجود (ق)
- فلك عطارد: المرتبة العشرون من مراتب الوجود (ق)
- الفناء الذاتي: اضمحلال الذات والفناء عن الصفات والنوعت والأفعال والآثار. تلاشي الوجود وانعدام التركيب (أ) (م)

• الفناء عن الفناء: مرحلة تلي الفناء عن الذات، وفيه يكون مشهدك في الله مشهده فيه (أ)

• الفناء من الفناء: تحقق المحق والطمس والمحو والأعدام (م)

-ق-

• قاب قوسين: التجلي الذاتي المخصوص الأقدس (أ)

• قاب قوسين: مجمع قوسي الدائرة الوجودية، أحد قوسيهما يسمى بالواجب، والآخر يسمى بالممكن (ل)

• القبض: أن يقبض العبد من كل جهة لا يدري من أي جهة قبض عليه

• القبض: ظهور التجلي الواحدي فلا يبقى للأشياء ظهور لحكم قبض الواحدية لها

• القدوسية: التجلي الأقدس الأول المنزه عن حكم المظاهر الخلقية (كم)

• القرآنية: تعقلك ما يستحقه الإله من أوصاف الألوهيات (ق)

• القرية: أن يتجلى الله تعالى على عبده بتجل يستقدر به على إظهار آثار

الأسماء والصفات فيظهر على هيكله كل عضو بما يستحقه (م)

• القطبية: الغوثية الكبرى. المرتبة الأولى من مراتب الاستخلاف (ل)

• القلب: عرش الله (م)

• القلم الأعلى: العقل الأول (ق)

• القلم الأعلى: المرتبة التاسعة من مراتب الوجود (ق)

• القلم الأعلى: أن يتجلى الله تعالى على العبد بتجل علمي فيه يحكم الولي

على الموجودات بما تقتضيه صفات الحق تعالى فيها من الاقتضاءات المختلفة (ق)

• القلم الأعلى: نور مخلوق من حضرة اقتضاءات الأسماء والصفات (أ)

• القلم الأعلى: نور مخلوق من حضرة اقتضاءات الأسماء والصفات لظهور

الأثر (أ) (ق)

• قنطرة الحقيقة: المجاز (ن)

• القهر: تجل واحد لا يبق لكون معه أثراً (كم)

- المحل العلمي: أن لا يكون العبد موجوداً إلا في علم الله وحده، لا يعلمه غير الله تعالى، ولا يعلم هو نفسه، ولا يعلمه غيره (م)
- محمد صلى الله عليه وسلم: صورة القلم المسمى العقل الأول (أ)
- المخابرة: أن يكشف للعبد عن حقيقة النفس فيطلع على أن البشرية لا تفنى بالكلية وأن لابد من بقية حقيقة النفس البشرية فيرجع بذلك إلى مقام العجز (ل)
- المخاطبة: السماع من جهة على لسان الخلق مع العلم بأن الله هو المتكلم. سماع العبد مخاطبات الحق على السنة المخلوقات، حكمة إلهية (أ) (م)
- المراقبة: شهود العبد بقلبه لحضرة الحق تعالى (أ) (م)
- المركبات الروحانية: مركبات أجزاؤها مركبة من العالم الروحي، وكل جزء منها أمر خكمي (مر)
- المركبات السمعية: أن تسمع الكلمة التي تتركب من حروف كثيرة شيئاً واحداً وكذلك الألحان المسموعة من الأوتار (مر)
- المركبات العلمية: صور المعلومات في العلم (مر)
- المركبات العينية: الأعراض التي تتواتر وتتوارد على الجوهر (مر)
- المركبات النورانية: الأجزاء الفلكية المعبر عنها بالكواكب (مر)
- المركبات: المرتبة الحادية والثلاثون من مراتب الوجود (ق)
- المسامرة: أن يسمع العبد من قلبه كلاماً يعلم أن الله هو المتكلم به ضرورة. سماع كلام الله تعالى في قلب العبد من غير جهة (أ) (م).
- المسامرة: أن يكشف للعبد عن الكمال الإلهي فينظر بحراً لا ساحل له فيؤيد بالروح الأبدية (ل)
- المسامرة: خروج الحق تعالى للعبد درجاً يقرأ فيه ما سطرته يدي القدرة للعبد في الأزل قيضاً سابقته حرفاً وحرفاً ويعلم مجمله وتفصيله (أ).
- المسامرة: مسامرة العبد للحق تعالى في جميع ما علمه فيه من صفاته (م)
- المشاركة: أن يعرف الله عبده بما يشفع في العالم من الأمور التي قد قضى الله سبحانه وتعالى في الوجود قبل وقوعها (ل)

- المشاهدة: المراقبة (كم)
- المشهد الأحدي الذاتي: مشهد لا وجود للخلق في ذلك المشهد (ق)
- المشهد الذاتي: ينظر الله فيه إلى مرتبة من ذاته سماها خلقاً مرتبة على ترتيب ذاته (ق)
- المطلق: من أطلقه الله تعالى في تجلياته فلم يتقيد مع الله باسم ولا صفة، بل هو مع الله تعالى بكل أسمائه وصفاته (أ) (م).
- المظهر الكمالي: عين الأسماء والصفات الإلهية المحيطة بالوجود أعلاه وأسفله (أ)
- المعارف: تجلي الله تعالى على عباده في الأسماء والصفات التي تعرف بها إليهم، فإذا تجلى بها عرفه عباده (أ) (ق)
- المعاني الكمالية: الأسماء والصفات (ح)
- المعرفة: تجليات سائر الأسماء والصفات (ق)
- المعنى: منظر مخصوص من التجلي لواجب الوجود الظاهر بمعاني الكلام في سائر صور الوجود (ق)
- معية الحق: عين الوجود (ل)
- المعية: عدم مفارقة العبد الحق، فلا ثمة فراق ولا وصول، فهو مع الله أينما كان العبد (أ)
- المعية: يتجلى الحق تعالى على العبد فلا يفارق الحق (ق)
- المغفرة: تجل إلهي يظهر فيه الجمال المطلق من غير تقييد فينكشف عند ذلك أنه تعالى هو الفاعل لأفعال العباد، وأن أفعالهم كلها كانت مليحة لأنها أفعاله (كم)
- مقام التمكين: أول مقامات الوصول عند الكمل وعلى الحقيقة (م)
- مقام الحب: مقام يلي مقام الخلّة (م)
- مقام الخلّة: مقام يلي مقام القرية (م)
- مقام العبودية المحضة: مقام يلي مقام الحب (م)

- مقام القرية: مقام فوق مقام التمكين (م)
- المكاملة: كلام الحق تعالى يسمعه العبد بسمع الله تعالى، فيكون مع الكلام بكلية جسده وقلبه. سمع العبد الكلام من كل جهة فلا يتقيد سماعه بجهة دون أخرى (أ) (م)

- الملامتية: المحققون الذين يسترون الحال بحال (أ)
- الملائكة المهيمين: أنوار مجردة خلقهم الله تعالى من نور أسمائه وصفاته (أ)
- الملائكة المهيمين: أنوار مجردة خلقهم الله تعالى من نور أسمائه وصفاته (ق)
- الملكية: تجليات الحق بالأسماء الفعلية كلها في مظهر واحد (كم)
- الممزوج: الكافور ممزوج منه لأهل المواهب (م)
- من أنا: أن يتجلى الحق تعالى بتجل يكشف فيه عن حقيقة الذات المقدسة فلا يرى العبد إلا ذات نفسه بذهوله عن الحيطة وشهوده الحق تعالى ووجوده في أنية العبد (ق)
- من أنت: أن يتجلى الحق تعالى على العارف بتجل يكشف له عن حقيقة ذات العارف (ق)

- منازل المنازلات: المراقبة والتجلي وشهود (م)
- المناظر الإلهية: محاضر جمال العلوم اللدنية. الملائكة المهيمين: أنوار مجردة خلقهم الله تعالى من نور أسمائه وصفاته (م) (ق)
- المناظر: ما يوجد بين كل اثنين من المقامات (م)
- المنصة الكبرى: الرفرف.
- منظر عين اليقين: شهود تجليات الله تعالى الصفاتية والأسمائية والذاتية بحكم الوجدان والإطلاع التفصيلي (م)
- الميم المحمدي: محل النقطة وظهورها (ن)

- ن -

- النباتات: المرتبة الثانية والثلاثون من مراتب الوجود (ق)
- النجابة: المرتبة السادسة من مراتب الاستخلاف (ل)

- النجوم: العينين.

الندائر: إطلاع العبد على تقلبات القلوب وما تقتضيه كل تقلبية من البعد من الله تعالى (م)

- النقابة: المرتبة الخامسة من مراتب الاستخلاف (ل)
- النقطة الأولى: روح الله تعالى (ن)
- نقطة الباء: الكنز المخفي (ك)
- نقطة الباء: غيب الهوية (ك)
- النقطة البيضاء: المقام المحمدي (ن)
- النقطة الثالثة: الروح الأمين (ن)
- النقطة الثانية: الروح القدس (ن)
- النقطة: حقيقة حقائق الحروف (ن)
- نهاية العبد : رجوعه إلى العجز الكلي عن أداء حقوق الكمال (م)
- نهاية العبد : رجوعه إلى العجز الكلي (أ)
- النهاية: الرجوع إلى البداية، لأن العبد مخلوق من العدم (ق)
- النهاية: أن يتجلى الله على قلب العبد بتجل يعرف منه قدر الله تعالى فيشتم من رائحة الكمالات الإلهية (أ) (م)

- ه -

- الهباء: المرتبة الثالثة عشر من مراتب الوجود (ق)
- الهباء: مكان حكمي لا وجودي أوجد الله العالم به، مكان العالم (مر)
- الهداية: أن يشهد العبد المعاني والأحكام صوراً وجودية عينية (م)
- الهداية: تجلي الله تعالى على قلب عبده بتجل يقيمه في سنن صراط الله فيتصف بما وصف الله به (م)
- الهداية: شهود المعاني والأحكام صوراً وجودية عينية (أ)
- الهممة: القدرة الإلهية الداخلة فيك (ل)

- الهوية الإلهية: غيبوية الصفات الكمالية في بطون الذات الأقدسية (ن)
- الهيبة: أن يتعالى الحق بعد التداني فتظهر عزته وعظمته وكبريائه وجبروته (ل)
- الهيمنة: التجلي الإلهي الإطلاعي التصريفي بحكم الاستقلال والتصريف والشمول والإطلاع (كم)
- الهولي: المرتبة الثانية عشر من مراتب الوجود (ق)
- الهولي: حضرة التشكيل والتصوير، المرتبة التاسعة عشر من مراتب الوجود (مر)

- 9 -

- الواحدية: التنزل الثاني، العين الثابتة، حضرة الجمع والوجود، حضرة الأسماء والصفات (مر)
- الواحدية: العين الثابتة (مر)
- الواحدية: المرتبة الرابعة من مراتب الوجود (ق)
- الواحدية: أول تنزلات الذات في الأسماء والصفات (ق)
- الواحدية: حضرة الجمع والوجود (مر)، حضرة الأسماء والصفات (مر)
- الواحدية: منشأ السوية (مر)
- وإن من شيء إلا عنده خزائنه: أن يتجلى الله تعالى على العبد بتجل يكشف له فيه عن مفاتيح الغيب التي أودعها الله تعالى إلى الإنسان الكامل (ق)
- الوتدية: المرتبة الثانية من مراتب الاستخلاف (ل)
- الوجود الساري: الرحمانية، المرتبة الخامسة من مراتب الوجود (مر)
- الوجود المطلق: التجلي الأول، الأحدية، أول التنزلات الذاتية (مر)
- الوجود المطلق: الله (كم)
- الوجود المطلق: حقيقة الحقائق لأنه غير مقيد أو منسوب إلى جهة حقيقية أو جهة خلقية (ن)
- الوجود: تجلي الحق تعالى بأعيان المظاهر، فيكون عين الظاهر وعين المظهر (أ)

- الوحدة: سلب الحق تعالى العالم ما ألبسهم من حلل الدعاوى الكاذبة المشعرة بوجود موجود سواء (م)
- الود: التوجه الإرادي الحبي، لا لعة بل لمقتضى الذات، فلولاً المحبة ما كان هذا الظهور، ولولاً الظهور بما عرف الله تعالى (كم)
- الوصال: التلاشي (م)
- الوصال: دوام الوصلة بلا انقطاع ولا فتور (م)
- الوصال: دوام الوصلة بلا انقطاع ولا فتور. هو لحق العبد بالله تعالى. هو التلاشي (أ) (أنظر هذه المادة)
- الوصال: لحوق العبد بالله تعالى (م)
- الوقفة بين المقامين: دليل على قوة سير العارف، فإن من لا وقفة له سكران بخمار المقام الذي خرج عنه (أ)
- الوقفة: الوقوف بين يدي الله تعالى في منظر بين المناظر، أما صحواً وأما سكرأ (أ) (م)
- الوقوف مع المراسم: هو سريان الولي في أفلاك الأسماء والصفات إلى أن يقف عند مقتضى كل اسم وصفة بما هي عليه من الذات المقدسة (أ) (م)
- الوقوف: الوقفة بين مقامين (م)
- الولاية: المرتبة السابعة من مراتب الاستخلاف (ل)
- الولي: من يستولي حكم الحق عليه فلا يبقى لبشريته أثر (م)
- الوهب: تجل جودي على مقتضى إيجادي بتصرف إيرادي على نسق علمي، وهو ثاني التجليات الفيضانية (كم)

للتوسع في موضوعه جيلان العراق وجيلان الطبرستان أنظر كتاب  
جغرافية الباز الأشهب للدكتور جمال الدين الكيلاني تقديم الدكتور  
عماد عبد السلام رؤوف



## الفهارس



## 1- الاعلام

- أباز حسن بك 518  
 ابراهيم احمر العين بن عبدالله المحض 633  
 ابراهيم اغا النفطجي 379، 376  
 ابراهيم اغا كتحداي جاويشان 112  
 ابراهيم اغا محضر باشي 348  
 ابراهيم الدروي 27-31، 48، 105، 114، 117، 145، 156، 325، 366، 477، 482، 483، 543، 547، 557، 561  
 ابراهيم الرحبي 597  
 ابراهيم الرواف 38  
 إبراهيم السامرائي 114، 537  
 ابراهيم السهراني الجراحي 214  
 أبراهيم إمام جامع النعمانية 259  
 ابراهيم باشا الداماد 559  
 إبراهيم باشا بن محمد علي باشا 207، 209  
 إبراهيم بك أبو شنب 532  
 ابراهيم بك الدفتردار 518  
 ابراهيم بك المميز 28، 107  
 إبراهيم بك قبطان سابق 522  
 ابراهيم بكتاش اليتيم 47  
 ابراهيم بن سليمان بن محمد 222  
 ابراهيم بن عبدالله السويدي 564  
 ابراهيم بن علي الطرسوسي 368  
 ابراهيم بن محمد بن دقماق 476  
 ابراهيم بن محمد قاضي بغداد 366  
 ابراهيم خان موصلو 291  
 ابراهيم سليمان العاملي 87، 644  
 إبراهيم سيف الدين الكيلاني 27  
 إبراهيم فصيح الحيدري 19، 40، 119، 342، 565، 595، 597  
 إبراهيم قره ماني 315  
 ابراهيم نديم 16  
 ابراهيم ونة 641  
 إبراهيم، الحاج 332  
 ابن الجهم 608  
 ابن الديبع الشيباني الزبيدي 674  
 ابن الصابوني 127  
 ابن الغملاس 43  
 ابن الفارض 608  
 ابن القفطي 144  
 ابن المعمار البغدادي 51  
 ابن النديم 471  
 ابن الوردي 131  
 ابن انجب الساعي 126، 144، 99  
 ابن بابويه القمي 625  
 ابن بطوطة 627، 632  
 ابن جبير 627  
 ابن حجر 318  
 ابن سينا 476  
 ابن طباطبا الطقطقي 12، 141  
 ابن عربي، محيي الدين 669، 676، 694، 689  
 ابن نباتة 608  
 ابن هديب العكيلي 548  
 ابو اسحق الشيرازي 462  
 أبو الحسن الفتوني 624  
 ابو الحسن بن علي الدامغاني 125  
 ابو الحسين الجزار 608  
 ابو السعود الأسكوبي 315، 316  
 ابو الهدى الصيادي 50  
 ابو الوفاء ابن عقيل 140  
 ابو بكر الباجه جي 133، 481  
 ابو بكر الشنواني 221  
 أبو بكر المفتي الكركوكلي 473  
 ابو بكر بن السيد اسماعيل القادري 348  
 ابو بكر بن رمضان الموصللي 348  
 ابو تمام 492، 608  
 أبو جعفر ابن الصباغ 125

- أحمد باشا بن حسن باشا، والي بغداد 39،  
79، 102، 149، 165، 491، 564، 567، 613  
أحمد بيا الموصل 559  
أحمد بك آل صيغة الله الحيدري 347  
أحمد بك بن صالح بك 347  
أحمد بك قائممقام دفتردار الخزينة 522  
أحمد بن عبد الله السويدي 564  
أحمد بن علي ابن عنبة 625  
أحمد بن علي بن سوار البغدادي 475  
أحمد بن محمد الحلبي 475  
أحمد بن محمد الحموي 476  
أحمد بن محمد الخالدي 297  
أحمد بن محمد النحاس 475  
أحمد بن محمد أمين بن عبدالعال 220  
أحمد بن يوسف عكبر البغدادي 129  
أحمد بن همام 518  
أحمد توفيق باشا، المشير 486  
أحمد تيمور باشا 477  
أحمد جودت 305  
أحمد حسيب مومه زاده 111، 110  
أحمد حمدي باشا والي دمشق 538، 554  
أحمد خطيب الأعظمية 28  
أحمد زكي باشا العمري 589  
أحمد سوسة، الدكتور 478  
أحمد شلبي 522، 528، 532  
أحمد شمس الدين الألوسي 538، 539، 561  
أحمد شهاب الدين الرداد 674  
أحمد شوقي منين 308  
أحمد صفي الدين العلمي 498  
أحمد طاهر حنفي زاده 471  
أحمد عبدالرحيم مصطفى، الدكتور 52، 192،  
227  
أحمد فريد المزيدي 688  
أحمد فهمي 520  
أحمد ولد يحيى 684
- أبو حنيفة، الامام 346، 473، 478  
أبو يوسف، الإمام 346  
أحمد ابن الشرمساحي 129  
أحمد اسعد عرياني زاده 557  
أحمد اغا اسي 377  
أحمد اغا بن إسماعيل اغا 373  
أحمد اغا بن عثمان آغا 260  
أحمد اغا بن محمد آغا الكتخدا 111، 370  
أحمد آغا جاوش كهية سي 260  
أحمد آغا بن عبد الله الأندروني 346  
أحمد أفندي خليفة الرزنامه جي 330  
أحمد أفندي الطبقةجلي 379  
أحمد أفندي المثرف 516  
أحمد أفندي المصرف 21، 211  
أحمد أفندي النائب 39، 45  
أحمد أفندي بن زين الدين 337  
أحمد أفندي بن محمد أفندي 309، 312  
أحمد أفندي بن مصطفى أفندي 260، 261  
أحمد أفندي خطيب الامام الاعظم 340  
أحمد أفندي عثمان زاده، قاضي مصر 530  
أحمد الأورفلي 341  
أحمد الثالث 536، 559  
أحمد الحافظ 589  
أحمد القدوسي الحنفي 530  
أحمد الرفاعي 50  
أحمد السعيد سليمان 52  
أحمد السيد عثمان الخطيب 29  
أحمد الكبيسي، الدكتور 596  
أحمد الكيلاني 27  
أحمد الحاجي 551، 554، 537، 538، 553  
أحمد النائب 19  
أحمد انوري أفندي 543  
أحمد باشا البوشناق 486  
أحمد باشا الكجك 302  
أحمد باشا الكهية 376

- أحمد أفندي الزندي 21  
 أدریس، شریف مكة 297  
 أرسلان باشا الديوه جي 342  
 ارمان اسطيفان 654  
 اسامة غاندي 215  
 اسبريمة بنت يوسف 167  
 اسحاق اليهودي 374  
 اسد رستم 297  
 اسعد افندي الدوري 139  
 أسعد أفندي الموصلی 29  
 اسعد الحيدري 589  
 اسعد طلس، الدكتور 690  
 اسکندر اسطيفان 30  
 اسماء بنت علي المزين 115  
 أسماء خانم بنت عبدالرحمن الروزيهاني 488، 162  
 اسماعيل بن مصطفى الانوري، الخطاط 103  
 إسماعيل اغا من المماليك 373  
 إسماعيل افندي الموصلی 481  
 اسماعيل افندي النائب 348  
 اسماعيل افندي مفتي الحنفية ببغداد 19، 359، 313  
 اسماعيل البغدادي 564  
 اسماعيل الحموي المفتي 366  
 اسماعيل باشا البغدادي 477، 471، 220  
 إسماعيل باشا الجليلي، والي الموصل 169  
 اسماعيل باشا العباسي 589  
 اسماعيل باشا والي بغداد 215  
 إسماعيل بن ابراهيم الجبرتي 674، 673، 678  
 اسماعيل بن زين العابدين البراق 615  
 اسماعيل بن سودكين 989  
 اسماعيل بن محمود الرحبي 595  
 اسماعيل بن مصطفى الموصلی 47  
 إسماعيل كتخدا الجاوشية 523  
 إسماعيل كهية 20  
 أسمة خاتون بنت سعد الله الجليلي 183  
 أسمى بنت الحاج أحمد النعلجي 167  
 أسمى بنت عباس 166  
 أسمى خاتون بنت داود 162  
 آسية بنت الحاج إسماعيل 119  
 آسيه خاتون بنت سليمان اغا 171  
 آقا بزرک 616، 619، 623، 624، 628  
 أم كلثوم خاتون بنت أحمد أفندي 142  
 أمة الله خاتون 353، 355  
 أمة الله خانم بنت محمد صالح الشيعلي 16  
 امجد الزهاوي 28، 334، 337  
 أمّنة بنت الحاج إبراهيم التكريتي 167  
 أمّنة بنت جاسم بن مهدي 167  
 أمّنة بنت محمد النجار 165  
 أمّنة بنت ولي بن بابا 161، 165  
 امنة خاتون بنت عبدالوهاب اغا بن رضوان اغا 165  
 أموش بنت علي بن خلف 161  
 أمونة بن محمد بن حمام 166  
 أمونة بنت إلياس 166  
 أمونة بنت محمد بك 123  
 أمونة خاتون بنت إبراهيم 162  
 أميمة خاتون بنت عبدالرحمن جلبي الباجه جي 163  
 امين اغا الجادرجي 354  
 امين الحلواني 83  
 أمين المميز 23، 32، 101،  
 امين الموصلی 190  
 أمينة خانم بنت عبدالقادر بك بن رستم بك 162  
 أنستاس ماري الكرملی 30، 92، 237، 306،  
 238، 352، 461، 472، 487، 642  
 أنور الناصري 487  
 أنور شاؤول 30

- أوجين تسييران 655  
أورخان، السلطان 345  
أوليا جلبي 61، 60، 50  
أويس القرني 559  
أيوب بن السيد أمين الأدهمي 256، 348  
باب بشير زوجة المستعصم بالله 128  
بetroفج 555  
بدر العمراني 692  
بدوي طه علام 701  
بروكلمان 685، 687، 690، 691، 602، 692، 693  
بسام عبد الوهاب الجابي 698  
بشار عواد معروف، الدكتور 375، 292  
بشر الحافي 537  
بشير اسكندر، الدكتور 253  
بشير اغا 111، 342  
بطرس بن انطون بشارة 654  
بكتاش أفندي 19  
بكر اغا عجمي زاده 260  
بكر بن محمد الرحبي 597، 609  
بكر كهية 21  
بنفشة خاتون 98، 99، 125  
بهاء الدين العاملي 315  
البهاء زهير 608  
بهية بنت أمين بنت عبد الرحمن 161  
بهية خانم بنت عبد القادر بن مراد الكيلاني 164  
بوون 52، 58، 60، 192، 232  
بيران، المونسنيور 654  
بيوس الثامن، البابا 654  
تاجة خانم بنت أحمد أفندي 162  
نازلي خاتون بنت عبد الغني 121  
تايلر 209  
تنش السلجوقي، السلطان 485  
تركان خاتون الجلالية 124  
تقي الدين باشا، والي بغداد 190  
توفيق بن الحاج محمد 157  
تيمور الملي 190  
ثويني السعدون 190  
الجاربردي 323  
جاكسون 67  
جب 58، 60، 132، 237  
جيريه أصفر 23  
جرجي زيدان 487  
جعفر الحكيم النجفي 622  
جعفر باشا 302  
جعفر محبوبة 615، 624  
جعفر خياط 425  
جلال الحنفي 62  
جمال أفندي الحكيم 560  
جمال الدين الشيال، الدكتور 500  
جمعة الكركوكلي الدباغ 42  
جمال الليل 190  
جموغة بنت عنبر 165  
جميل الطائي 34  
جميل العظم 477  
جميل صدقي الزهاوي 29  
الجنيد البغدادي 667  
جواد السياهبوش 30  
جواد بن دلي فتحي 375  
جواد بن ملا فتحي 160  
جواد بن هبة الدين الشهرستاني 537  
جواد بن يوسف الرحبي 597  
جومرد القصاص 50  
الحاج خليفة 671  
حاجية خاتون بنت محمد 11  
حافظ باشا، والي بغداد 590  
حامد اللوسي 590  
حبش بن جمعة 201  
حبيب اغا بن عبد الله 370

- حبيب الكروي 590  
حبيب الهرمزي 333  
حبيب بك الشاوي 307، 313، 343  
حبيب بك تقلا 421  
حبيب بن عبدالله الشاوي 307  
حبيبة بنت محمد 162، 165  
حسام كاتي 320  
حسن افندي بن حسين الرحبي 257  
حسن افندي طرنقجي زاده 476  
حسن الإخميمي 518  
حسن الزوزجي 590  
حسن الزبياري 320  
حسن الزبياري 320  
حسن الصدر 625  
حسن العباسي النبهاني 471  
حسن الكوله 28  
حسن باشا بن محمد باشا الصوقلي، والي  
بغداد 486  
حسن باشا المملوكي، والي بغداد 305  
حسن باشا المملوكي، والي بغداد 305  
حسن باشا فاتح همدان 359  
حسن باشا والي بغداد، فاتح همذان 39،  
79، 564  
حسن بك (باشا) الجليلي 173، 179، 180  
حسن بك بن صالح بك 347  
الحسن بن الحسن 633  
حسن بن علي بن طوغان الحائري 296  
حسن توتونجي 355  
حسن سالم الكيلاني 27  
حسن عيسى الحكيم، ادمكتور 621  
حسن كراوي، الملا 355  
حسنة بنت الحاج حسين 122  
حسنى بنت عبدالله 101  
حسيت اغا بن الحاج يوسف  
حسين اغا بن الحاج حسن 256  
حسين اغا بن الحاج صادق 184  
حسين آغا رئيس البوابين 111  
حسين افندي الرحبي 609  
حسين افندي بن عبدالله الغرابي 342، 372  
حسين الراوي 25  
حسين الكاشفي 318  
حسين المهداوي 590  
حسين النجم الطائي 30  
حسين الهندي 216  
حسين باشا الجليلي، الحاج، والي الموصل  
173، 192، 193، 202، 203  
حسين باشا السلاحدار 341  
حسين باشا القازيقجي 202  
الحسين بن الأهدل 679  
حسين بن علي البراقي 615-634  
الحسين بن علي، شريف مكة 658  
حسين بن محمد سعيد السويدي 573  
حسين بن منصور الاوزجندي 368  
حسين جلبي رواف 47  
حسين جلبي قصار زاده 258  
حسين خيوكة 340  
حسين رهة 15  
حسين علي محفوظ، الدكتور 12، 31، 619  
حسين فوزي 138  
حسين فوزي باشا، مشير العراق 542  
الحسين، شريف مكة 302  
حصة خانم آل الزبيق 160  
حصة خانم بنت عبدالله جلبي الزبيق 160،  
حليل الموصللي 331  
حليمة بنت عبدالله افندي 161، 162  
حليمة بنت محمد أمين السهروردي 585  
حمادي افندي، كاتب سر 560  
حمد الحمود شيخ الخزاعل 212  
حمديس الصقلي 608

- حمرة خاتون زوجة الحاج حسين باشا  
الجليلي 173، 183  
حمو بن الحاج يونس الموصللي 47  
حمود الساعدي 213، 619  
حمود بن السيد علي 256  
حموش آغا بن الحاج يوسف 348  
حميد لحيمر 692  
حنيفة بنت خضر آغا 16  
حوى خاتون بنت عثمان أفندي 133  
حيدر بن صبغة الله الحيدري 608  
خاتون بلاسم 100  
خالد آغا الكتخدا 379  
خالد الأزهرى 320  
خالد الحكيم 659  
خالد النقشبندى، مولانا 43، 482  
خالد باشا اللاوندى 590  
خانة بنت جمعة 91، 93  
خبیب بك الشاوى 313  
خديجة بنت الحاج صالح الشيخ أمين 657  
خديجة بنت السيد عيسى 160، 162، 164، 160  
خديجة بنت خليل بن أمين جلبي 163  
خديجة بنت سليمان باشا 257  
خديجة بنت هداوى بن جاسم 163  
خديجة خاتون آل شريف جلبي 115  
خديجة خاتون بنت صادق آغا 183  
خديجة خاتون بنت عبد الله 40، 41  
خديجة خاتون بنت نعمان آغا 184  
خديجة خانم بنت قره مصطفى باشا 577  
خضر بك 313  
خضر بك بن عبد الله جلبي 307  
خضر بك بن عبد الله جلبي 307  
خضر بن عباس العجاج 29  
خلفة عبد الله محمد 590  
خليل أفندي الدفترى 17، 21  
خليل المقدسي 590  
خليل الموصللي 331  
خليل إينالجبك 233، 233  
خليل بن علي البصير 604  
خليل بن محمد البستاني 39، 45  
خليل بن محمد الرحيبي 596  
خليل رشدي قاضي بغداد 44، 46  
خليل عرموش 358  
خليل غرموش 376  
خمارتكين بن عبد الله 485  
خميسة بنت بيرة 256  
خميسة بنت عبد الله 161  
خير الدين الرملي 54، 220، 335، 368،  
659، 260، 574، 577  
خير الدين الزركلي 579، 574، 659  
داود آغا بن ملا سليمان الجوريه جي 47  
داود الجلبي، الدكتور 92، 177، 178، 179،  
182، 640  
داود السعدي 488  
داود النقشبندى 590  
داود باشا، والي بغداد 42، 62، 97، 82، 99،  
351، 352، 353، 358، 367، 472، 473،  
374، 377، 587، 589، 590  
داود بركات 209  
داود سمره 30  
داود ضياء الدين الكيلاني 27  
درويش آغا القائممقام 21، 28، 259، 372  
درويش أفندي إمام الأعظمية 257  
درويش أفندي امام عتبة الأعظمية 313  
درويش أفندي بن حمزة جلبي 260  
درويش الحيدري 560  
درويش بك بن الحاج احمد بك 377  
درويشة بنت جاسم بن مهدي 162  
دولة بنت فتحى 185

- دومنيكو لانزا 62، 63، 9، 101، 185، 191، رقوقشة خاتون بنت محمد 164  
201، 192  
ذياب البلبوص 91  
رابعة بنت أبي العباس أحمد بن المستعصم 30  
بالله 130  
رابعة خاتون بنت اسماعيل باشا الجليلي 62  
169، 176، 177  
رازقية بنت عبدالرزاق 161  
رازقية بنت محمد آغا 161  
راشد السعدون 591  
رائف ابو بكر 81  
رباز المغني 591  
رباط خوري بنت منصور 142  
ربيع بن محمد الكوفي 130  
رجب باشا 522  
رجب ياشا محافظ حلب 526  
رحمة الله الجبيهه جي 21  
رحمة بنت الحاج أمين بن خضير 114  
رحمة بنت جواد بن إبراهيم 161  
رحمة بنت عبدالكريم جلبي 116  
رحمة خاتون بنت بكر 165  
رسول بن أحمد الشوكي 488  
رسول حاوي الكركوكلي 305  
رسول حاوي الكركوكلي 82، 205، 246، 305، 488، 568، 577  
رشيد حلمي بن معروف الأنكلي 480  
رضا الطالباي 29  
رضا محسن القريشي 544  
رضوان آغا 17  
رضي الدين ابن الصدر شرف الدين الشيباني 292، 294، 295  
رفعت بك ينكجري آغا سي 28  
رفعت مرهون الصفار 35  
رفيق العجم 700، 699  
رقوقشة بنت مصطفى 161
- رقوقشة خاتون بنت محمد 164  
رقية خاتون بنت محمد افندي ابن المصرف 175  
روبين بطاط 30  
روسو 62  
روفاثيل بيداويد 63، 95، 192  
رؤوف باشا والي ادرنة 559  
رياض عبدالحميد 576  
زبيدة زوج الرشيد، 95  
زمرد خاتون 47، 140، 141، 481  
زمرم خاتون بنت علي الكيلاني 163، 380  
زمرم خاتون بنت محمد آغا 165  
زهرا خانم بنت أحمد آغا 166  
زهرة بنت حسين بن حسن 165  
زهرة بنت طاهر بن معروف 166  
زهرة خاتون بنت عبدالله 166  
زهو بنت حسين بن علو 163  
زهوة بنت السيد يوسف 162  
زهوة بنت عبد الوهاب المزراقجي 161  
زهير الشايب 58  
زين احمد النقشبندي العبابيلي 349، 350  
زين الدين القادري 380  
زين الدين، الدكتور 172  
زين عبدالله النقشبندي 13  
زينب بنت الحاج ابراهيم 375  
زينب بنت محمد 257  
زينب خاتون بنت الحاج يونس آغا 182  
زينب خاتون بنت عبدالله 161، 174  
سارة خاتون بنت سليمان باشا  
ساسون خضوري 30  
سالم عبدالرزاق أحمد 182  
سبط ابن الجوزي 124، 127  
السخاوي 674، 693، 693  
سراج الدين النهرقلي 129  
السري السقطي 667

- سعد الدين التفتازاني 323  
سعد الدين بن أحمد بن مصطفى البصير 177  
سعد بن أمين الموصللي 488  
سعيد افندي النقشبندي 488  
سعيد البقال 23  
سعيد الديوه جي 57، 161، 170، 174، 177،  
177، 190، 195، 196، 206، 214  
سعيد باشا والي بغداد 48، 80، 82، 351،  
370، 472، 552، 553  
سعيد بن عبدالقادر 487  
سعيدة بنت عبدالله 161  
سكران البعقوبي 50  
سكنة بنت الشيخ صالح بن مهدي 165  
سكنة بنت علي 166  
سكنة بنت باقي آغا 167  
سكنة بنت عبدالواحد 256  
سكنة بنت محمد 154  
سلطنة بنت موسى 163  
سلمان افندي بن علي القادري 560، 561  
سلمان افندي بن السيد عبدالله افندي 347  
سلمان الفارسي، الصحابي 53  
سلمان الكيلاني 27  
سلمان بن علي القادري 557  
سلمان شاه خازن، حاكم بغداد 672  
سلمان هادي آل طعمة 621  
سليم بن عبدالرحمن الكزيري 553  
سليم بن عبدالوهاب بك الترزي 579  
سليم جلبي السايحة 579  
سليم طه التكريتي 67  
سليمان آغا الخزنه دار 63  
سليمان آغا بن خضر بك 260  
سليمان آغا خزنه دار بغداد 352  
سليمان الجوربه جي 15  
سليمان الشاوي 591  
سليمان الصائغ 216، 655  
سليمان الفخري 379  
سليمان باشا ابو ليلة، والي بغداد 100،  
106، 117، 145، 151، 305، 306، 351،  
371، 567، 596، 578  
سليمان باشا الصغير 371  
سليمان باشا الكبير، والي بغداد 79، 80،  
83، 86، 121، 155، 303، 305، 306، 307،  
309، 310، 311، 330، 334، 335، 326،  
327، 338، 339، 370، 371، 377، 379، 479  
483، 488، 571، 572  
سليمان بك الشاوي 306، 307، 312، 313  
سليمان بك الفخري 355  
سليمان بن داود 549  
سليمان بن صالح الدخيل 614  
سليمان فائق 37، 28، 118، 124، 247، 305  
سليمان فائق بك 305  
سنان بن ثابت بن قرة الحراني 144  
سنبط ابن قنيتو الاريلي 126  
سهيل صابان 226، 495  
سهيل صابان 518  
سيمون الذمي ولد شمعون 372  
شابرول 58  
شاكر افندي، قائممقام الميادين 548  
شاكر جابر البغدادي 33  
شاهلبن شمس الضحى الأيوبية 130  
شبيب بن علي 545  
شرف الدين المقدسي 608  
شرف الدين داود الجيلي 130  
شرف الدين عيسى الناسخ 608  
شفيفة بنت مصطفى بك 161  
شفيفة خاتون بنت عبد الله 261  
شكر، الشيخ 29  
شمس الدين السكرجي 484  
شمس الدين سامي 497  
شهاب الدين النجفي المرعشي 471

- صاحب السيد موسى سلمان 626  
 صاحب بن عباد 621  
 صادق الفحام 491  
 صادق بك بن سليمان باشا 377  
 صادق بك بن سليمان باشا الكبير 109، 342  
 صالح آغا بن عبيد آغا ال عبد الجليل 348  
 صالح الجوادى 177  
 صالح السيد سليم جليبي 579  
 صالح بك بن سليمان باشا 377  
 صالح بك بن سليمان باشا الكبير 121  
 صالح سعداوي 250  
 صالح قحطان 30  
 صالح محيي الدين الرملي 220  
 صالحة بنت السيد عيسى 167  
 صالحة بنت علي البندنيجي 143  
 صالحة خاتون بنت عبد القادر الرحبي 131  
 صبغة الله الحيدري 133، 591  
 صبغة الله الزياتي 591  
 صديقة بنت أحمد بكر 176  
 صفاء خلوصي، الدكتور 564  
 صفوت باشا 561  
 صفي الدين الحلي 608  
 صفية بنت محمد أمين السهروردي 585  
 صفية خاتون بنت عبد الله 123  
 صفية خاتون بنت محمد أفندي آل جميل 160  
 صفية خاتون بنت يوسف بن مصطفى 162  
 صقر الشبيب القشعبي 613  
 صلاح الدين المنجد 551  
 صلوة بنت عبد خيوكة 162  
 ضامن بن شدقم 624  
 طارق الحمداني، الدكتور 131  
 طاهر جليبي آل الراضي 28  
 طه أفندي خطيب الامام الأعظم 347  
 طه الخطيب 259  
 طه السنوي 486  
 طه بن عبدالرزاق الشواف 543  
 طه بن يحيى الباليساني 193، 686  
 طيبة بنت إبراهيم 162  
 عائكة خاتون بنت علي الكيلاني 134  
 عائكة خاتون بنت عمر أفندي 164  
 عادلة خاتون بنت احمد باشا 106، 107، 119، 132، 567، 569  
 عادلة خاتون بنت عبدالفتاح باشا الجليلي 178  
 عادلة خاتون بنت سعد الله الجليلي 183  
 عادلة خاتون بنت عبدالرحمن 182  
 عادلة خاتون بنت عناية الله آغا 120  
 عارف حكمت 471  
 عاصم الكيالي 690  
 عاي بن محمد البسطامي 475  
 عائشة بنت أرناؤوط 165  
 عائشة بنت المستنجد الفيروزي 141  
 عائشة بنت عبد القادر 116  
 عائشة بنت محمد الباجه جي 120، 481  
 عائشة بنت محمد أمين السهروردي 585  
 عائشة بنت معروف آغا 219، 162  
 عائشة خاتون بنت احمد باشا 119، 567، 568، 569  
 عائشة خاتون بنت سليمان باشا الجليلي 171، 179  
 عائشة خاتون بنت شاهين آغا 260  
 عائشة خاتون بنت فضلي 256  
 عائشة خاتون بنت محمود ال نظمي 165  
 عباس آغا بن هاشم آغا 260  
 عباس العزاوي 13، 58، 71، 63، 69، 89، 92، 93، 307، 337، 495، 564، 574، 615  
 عباس بن جعفر الحكيم 625  
 عباس بن رجب البغدادي 99، 100، 102، 137، 237، 334، 479، 481  
 عباس بن عمر 260

- عباس حلمي 421، الخديوي  
عباس حلمي القصاب 297  
عبد الجليل الرحبي 612  
عبد الحافظ الرحبي 597  
عبد الحميد بن عبد الله الرحبي 597  
عبد الحميد عبادة 42، 99، 114، 119، 145، 207، 147  
عبد الرحمن ابن الجوزي 98  
عبد الرحمن الأعظمي 16  
عبد الرحمن البناء 155  
عبد الرحمن السويدي 307  
عبد الرحمن حلمي السهروردي 597  
عبد الرحمن زكي 523  
عبد الغني الفنيمي الميداني 552  
عبد الفتاح الشواف 591  
عبد الفتاح بن عبد الله مفتي بغداد 45  
عبد اللطيف الزهير 591  
عبد الله بهاء الدين الالوسي 591  
عبد المهدي بن الحاج قنبر 256  
عبد المؤمن دده 344  
عبد الباقي الالوسي 591  
عبد الجبار آل الشيخ أمين السامرائي 678  
عبد الحق بن عبد الرحمن اليزدي 458  
عبد الحليم بن احمد الحافاتي (اللاحق) 28، 537، 541، 552، 561  
عبد الحميد الأتروشي 29  
عبد الحميد الأول، السلطان 63، 118  
عبد الحميد الثاني، السلطان 477، 584، 651  
عبد الحميد الدهان 158  
عبد الحميد الضاحي 28  
عبد الحميد بن عبد الله الرحبي 595  
عبد الحميد عبادة 324، 334، 479، 487، 488، 574، 682، 573، 346  
عبد الرحمن ابو الفرج بن الجوزي 491  
عبد الرحمن أفندي 340  
عبد الرحمن أفندي نقيب الأشراف 27، 247، 259، 313  
عبد الرحمن الأعظمي 20  
عبد الرحمن الالوسي 591  
عبد الرحمن الأورفلي 21  
عبد الرحمن الباجه جي 481  
عبد الرحمن الحلبي 608  
عبد الرحمن الرافي 210  
عبد الرحمن الراوي 478  
عبد الرحمن الرواف 38  
عبد الرحمن الزبير 29  
عبد الرحمن السهروردي 377  
عبد الرحمن السويدي 65، 215، 246، 247، 305، 373، 564، 566، 577، 608، 613  
عبد الرحمن بدوي، الدكتور 679  
عبد الرحمن بن عبد العلي السكري 467  
عبد الرحمن بن علي ابن الجوزي 125  
عبد الرحمن بن محمد الاعظمي 48  
عبد الرحمن بن ملا مصطفى 348  
عبد الرحمن جلبي الباجه جي 120  
عبد الرحمن حلمي بن محمد عبد المحسن السهروردي 13، 18، 24، 35، 39، 47، 48، 64، 208، 587، 591  
عبد الرحمن علي 587  
عبد الرحيم 522، 528  
عبد الرزاق ابن الفوطي 484  
عبد الرزاق الشيخلي 16، 48  
عبد الرزاق الصانع 38  
عبد الرزاق الكاشاني 699، 700  
عبد السلام الرحبي 597، 609  
عبد السلام الشواف 591  
عبد السلام المفتي المارديني 59  
عبد العزيز آل سعود 657، 660  
عبد العزيز الدوري، الدكتور 49، 52  
عبد العزيز العلي 39

- عبدالعزیز المطیر 28  
عبدالعزیز بك الشاوي 591، 83  
عبدالعزیز بن عبدالرحمن الرحيبي 606، 596، 612، 609  
عبدالعزیز سليمان نوار، الدكتور 564  
عبدالعزیز، السلطان 584، 483  
عبدالفجار الاخرس 591  
عبدالففور أفندي 340  
عبدالففور الرحيبي 609، 596  
عبدالففور المشاهدي 30، 28  
عبدالفني آل جميل 207، 160  
عبدالفني النابلسي 686  
عبدالفني بن أحمد بن عبدالقادر الرفاعي الطرابلسي 560  
عبدالفني بن عبدالمحسن العباسي 591  
عبدالفني شندالة 104  
عبدالفتاح الرحيبي 597  
عبدالفتاح باشا الجليلي 278، 201  
عبدالقادر آغا أمر البحرية 487  
عبدالقادر ال ابي السعود المقدسي 557  
عبدالقادر الرسام 559  
عبدالقادر السليمانی 334  
عبدالقادر السليمانی 334  
عبدالقادر الشهراباني 83، 306، 348، 574، 472، 351، 348  
عبدالقادر الكيلاني 672، 671، 654  
عبدالقادر المكي الحارثي 566  
عبدالقادر المميز 107  
عبدالقادر بن صيغة الله الحيدري 41، 45  
عبدالقادر بن عبد المحسن العباسي 591  
عبدالقادر بن مراد الكيلاني 552  
عبدالقادر بن يوسف قدری 368  
عبدالقاهر بن عبدالرزاق 138  
عبدالكريم الجيلاني العجمي 679، 680
- عبدالكريم بن ابراهيم الجيلي 6، 671، 679، 702-680  
عبدالكريم بن سبتي 212، 213، 215، 216، 217  
عبدالكريم بن صفوق الجريا 632  
عبدالكريم بن محمد الرحيبي 611، 612  
عبدالكريم شريف مكة 530  
عبداللطيف الرحيبي 609  
عبداللطيف الطيباوي، الدكتور 686  
عبدالله آغا بن سليمان آغا 339  
عبدالله أفندي الراوي 313، 340  
عبدالله أفندي بن محمود أفندي مفتي الحلة 257  
عبدالله أفندي كليدار الإمام الأعظم 257، 259  
عبدالله الجبوري 472، 491  
عبدالله الحبشي 691  
عبدالله الخياط 29  
عبدالله الربيعي 19  
عبدالله الزرقلوني 42  
عبدالله السويدي 145، 478، 487، 563، 608، 591  
عبدالله الشخلي 29  
عبدالله الصغير 104  
عبدالله الفاضل 544  
عبدالله الفخري 195، 206، 608، 213  
عبدالله اليهودي 356  
عبدالله باشا، والي بغداد 77، 80، 373، 571  
عبدالله بك الشاوي 306  
عبدالله بك دفتردار بغداد 306، 311  
عبدالله بك، أمير الحاج 519  
عبدالله بن الحسين، الأمير 660  
عبدالله بن شهيد 256  
عبدالله بن صالح آل خنين 122  
عبدالله بن فتح الله الغياثي 131  
عبدالله بن محسن بن باقر السبزواري 619

- عبدالله بن محمد سعيد السويدي 573  
عبدالله بن مرتضى المفتي 19، 24  
عبدالله بن ناصر الدين السويدي 563  
عبدالله جليبي بن الحاج يوسف الأعظمي 258  
عبدالمجيد الخادمي 50  
عبدالملك بن مروان 463  
عبد المنعم الحنفي، الدكتور 679  
عبد المنعم خليل 368  
عبد النبي اليهودي 373  
عبد الوهاب افتدي الصعيدي 530  
عبد الوهاب المميز 107  
عبد الوهاب النائب 137، 488  
عبد الوهاب بن عبد الفتاح بن حجازي 137  
عبد الوهاب بن مصطفى اغا 47  
عبد ي باشا، والي مصر 518  
عبودة بنت درويش 164  
عبودة خاتون بنت محمد جواد الغرابي 164  
عثمان اغا بن خضير الاعظمي 374  
عثمان الثالث، السلطان 604  
عثمان الخطيب الموصللي 491  
عثمان الرحبي 596، 609  
عثمان بن عفان، الخليفة 671  
عثمان بن سند البصري الوائلي 62، 83، 305، 307  
عثمان بن علي عصام الدين العمري 195، 305، 351، 463، 574، 591، 597، 598، 607، 610، 608  
عثمان يحيى 689  
عجم محمد 373، 565، 571  
عدنان احمد العزاوي، الدكتور 80، 82  
عدي بن مسافر 214  
عرب علي اغا 63  
عزالدين علم الدين 572  
عزة حسن 686  
عزرا صراف باشي 23  
عزرة مناحيم دانيال 30  
عزير آغا 28  
عزير اغا بن عبدالله 356  
عزير الكردي 171  
عصمت بينارق 250  
عطا ملك الجويني، حاكم العراق 130  
عطية بنت محمد المعروف 167  
عطية بنت محمد أمين السهروردي 585  
عطية بنت محمود آغا 158  
عطية خانم بنت درويش الحيدري 488  
عقبة بن عامر 338  
علاء الجليل الرحبي 609  
علوان السامرائي 655-660  
علوش أفندي 21  
علي اسكندر مفتي الحنفية بمصر 530  
علي أفندي الكمرنجي 111  
علي أفندي بن مراد أفندي 372  
علي أفندي شيخ زاده 316، 317  
علي أفندي مفتي الشافعية 608  
علي الانصاري 566  
علي البندنجي 143  
علي الحساوي 43  
علي الخصي 210  
علي العمارة 659  
علي الكيلاني 27  
علي الموصللي 256  
علي الهاشمي الخطيب 615، 620  
علي باشا جانبولاد 300  
علي باشا والي بغداد 79، 88، 333، 484  
علي باشا والي مصر 536  
علي بن ابراهيم الحلبي 476  
علي بن الحاج عبدالله القرغولي 375  
علي بن حسن الأعرج 492  
علي بن عبد المؤمن السكرجي 484  
علي بن عبدالله الباجه جي 257

- علي بن عبد الله، شهاب الدين 130  
علي بن محمد الرحبي 596  
علي بن محمد سعيد السويدي 573  
علي جلبي بن خليل جلبي ال عبد الجليل جلبي 87  
علي رضا باشا اللاظ 377  
علي رضا باشا والي بغداد 64، 71، 72، 118، 207، 209، 210، 657  
علي عبد الحسين المظفر 621  
علي علاء الدين الالوسي 47  
علي علاء الدين عبد المؤمن السكرجي 333  
علي كافل الحسين 30  
علي نعمة الحلو 626  
علي هادي المهداوي 152  
عليوي بن حميد ابو خشوت 91  
عماد احمد الجواهري، الدكتور 250، 251  
عماد الدين بن صلاح الدين الايوبي 466  
عمر اغا الجبيه جي 21  
عمر اغا طويق زاده 376  
عمر افندي بن محمود الرحبي 596  
عمر الدباغ الموصللي 47  
عمر باشا، والي بغداد 110، 305، 306، 373، 569  
عمر بن الخطاب، الخليفة 462  
عمر رضا كحالة 614، 616، 564، 679  
عمر شهاب الدين السهروردي 356  
عمر طوسون 497  
عمران بن عسكر 82  
عهدي البغدادي 607  
عيسى اسكندر المعلوف 197  
عيسى القابجي النجفي 615  
عيسى بن مصطفى بن محمد العطار 374  
عيسى صفاء الدين البندنيجي 28، 592  
عيشة بنت حسين آغا 161  
عيطاس بك الأعور 531  
عيفان بن صالح البناء 157  
غانم بن محمد البغدادي 54، 60  
عباس العزاوي 554  
عبد الله بك بن احمد باشا الكهية 376  
عبد اللطيف بن أجمداغا 373  
عبد المجيد محمود 375  
فارس الدباغ 42  
فارس بن درويش 261  
فاروق صنع الله العمري 907  
فاسم البياتي 592  
فاطمة بنت بكتاش 333  
فاطمة بن السيد أحمد أفندي 161  
فاطمة بنت الحاج ابراهيم 375  
فاطمة بنت الحاج حمودي 165  
فاطمة بنت السيد هاشم 166، 167  
فاطمة بنت حمودي 161  
فاطمة بنت سيد حسين 161، 167  
فاطمة بنت محمد العكيلي 261  
فاطمة بنت محمد جواد الغرابي 164  
فاطمة بنت وحيد آغا 186  
فاطمة خاتون بنت احمد بك 157  
فاطمة خاتون بنت بكتاش بن ولي 155، 112، 333  
فاطمة خاتون بنت عبد الله 165  
فاطمة خاتون بنت محمد 176  
فاطمة خاتون زوج عجمي زاده بكر 259  
فاطمة خانم بنت حسين باشا 165  
فالتر هنتس 81، 83، 463، 644  
فائق السامرائي، الدكتور 678  
فتاح صادق الموصللي 47  
فتح الله القادري 193، 194، 196، 197، 198، 204، 199  
فتحي الموصللي 15

- فتحية خاتون بنت عبدالفتاح باشا الجليلي 170، 178
- فتحية خاتون بنت عبيدآغا 182
- فخر الدين أبو إسحاق البغدادي 129
- فخر الدين بن قرقماز المعني 297، 298، 300، 301
- فخر الدين محمد ابن النوقاني 127
- فخري افندي الفخري 608، 610
- فرحان الجديشي 543
- فرحان باشا بن صفوق 652
- فرحة بنت فاضل بن خلف 161
- فردناند توتل 60
- فردوس خاتون بنت يحيى باشا الجليلي 173، 179، 180
- فرديناند دي مدتشي 300
- فضلة بنت عبدالله 165
- فضولي البغدادي 343
- فطومة بنت قاسم 167
- فطومة بنت مصطفى 164
- فطيم بنت خالد 164
- فؤاد افرام البستاني 297
- فؤاد سيد 685
- فياض بن سلمان 257
- فيصل الأول، الملك 484، 688
- فيض الله افندي قاضي بغداد 306، 310
- فيلكس جونز 62
- فيليب آيرلند 425
- قاسم البكرجي 491
- قاسم الفواص 28، 592
- قاسم القيسي 139
- قاسم دوبراجا 686
- قيلان نصطفى باشا 359
- القسطلاني 466
- قيس عبدالقادر الشبخلي 34
- كاتب جليبي الرومي، الحاج خليفة 473
- كاظم الجنابي، الدكتور 487
- كاظم الدجيلي 30، 574، 564
- كاظم محمد علي شكر 615
- كاميل 209
- كامل افندي منجم باشي 559
- كامل العسلي 81
- كتشنر 424
- كريم خان الزند 571
- كزافييه كاستليونني 654
- كسرى الأول 462
- كلثوم بنت سلمان بن موسى 165
- كلثوم بنت ماجد 260
- كلرخ خاتون 103
- كلوت بك 497، 498
- كلي بنت علي 157، 166
- كمال الدين الطائي 138
- كوتولوف 67
- كوريال داود الالقوشي 643
- لطف الله آغا 259
- لطف الله افندي 83، 311
- لطف الله بن عبدالله الخزندار 472
- لطف الله كاتب الديوان 472، 592
- لطفلي آل الشيخ أمين السامرائي 657
- لطيفة بنت قدوري بن علاوي 167
- أمنة بنت إبراهيم التكريتي 372
- ليكلاما 150
- ليلي خاتون بنت جواد 145
- ماردين 305
- ماسنيون 65، 679، 681
- ماه جين بنت عبدالله 355
- ماهية خانم بنت علي آل الشهيد 162
- المنتبي 492
- المتوكل الليثي 608
- مثيلة بنت عبداللطيف الصراف 186
- مجاهد الدين قيمانز 196

- مجد الدين شقير الواعظ 130  
 محب الدين الطبري 464  
 محبوبية خاتون 358  
 محبوبية خاتون بنت عبدالله 167 116  
 محسن الامين العاملي 621، 615  
 محسن بن حسين بن ابي ندى 298، 297  
 محسن بن محمد ابن مهنا الخزعلي 212  
 محمد أبو فحل 300  
 محمد أسعد افندي 72  
 محمد أسعد الفخري 609، 608  
 محمد اغا الجرودي 551  
 محمد اغا بن حسين اغا الخرمتلي 372  
 محمد آغا كشيخ زاده 118  
 محمد أفندي المارديني 305  
 محمد افندي اليازجي 556، 555  
 محمد افندي خزينه كاتبي 59  
 محمد آل جميل 493، 337  
 محمد آل دباغ 177  
 محمد الارضروملي 471  
 محمد الاشعري الوفاي، غرس الدين 684  
 محمد الاعرج، طوبال 543  
 محمد الأعظمي 48، 45  
 محمد البرماوي 530  
 محمد الجاويشان 527  
 محمد الجليلي 170  
 محمد الحسني الصدر الكاظمي 624  
 محمد الخطيب ينكجري أفنديسي 259  
 محمد الراشد 695  
 محمد الرواف 38  
 محمد السراج 172  
 محمد الششتاوي 521  
 محمد العشاري 48  
 محمد الفاتح، السلطان 496  
 محمد القزليجي 139  
 محمد القليطي 524  
 محمد الكاظم بن أبي الفتوح 621  
 محمد امين ابراهيم اليتيم 47  
 محمد أمين اغا الأعرج 356  
 محمد امين اغا الطوبال 375  
 محمد امين افندي الزند 375  
 محمد امين افندي بن عبدالسلام افندي  
 مفتي الشافعية 347  
 محمد أمين افندي مفتي الشافعية 340  
 محمد أمين السهروردي 306  
 محمد أمين السهروردي 306، 72  
 محمد امين السويدي 48، 473، 492  
 محمد أمين الطبجللي 484  
 محمد أمين العمري 57، 60، 170، 171  
 177، 190، 205، 591  
 محمد أمين الكردي المعنوي 29  
 محمد أمين المحبي 43، 57، 220  
 محمد أمين باشا الجليلي، والي الموصل  
 170، 171، 181، 205  
 محمد أمين بن محمود افندي مفاي الشافعية  
 347  
 محمد باشا الجليلي، والي الموصل 170  
 محمد باشا الداغستاني 29  
 محمد باشا الديار بكري 28  
 محمد باشا اينجه بيرقدار 217  
 محمد باشا بالطه جي 497  
 محمد باشا نشانجي صدر أعظم 522  
 محمد باشا والي مصر 526  
 محمد باشا، والي الموصل 521  
 محمد بت قره باجق 357  
 محمد بدران 211  
 محمد بك بن ابراهيم بك 531  
 محمد بك بن إسماعيل بك دفاردار 522  
 محمد بك بن عبدالله بن شاوي 83، 86  
 محمد بك دفتردار بغداد 376  
 محمد بن أحمد الأحسائي 43

- محمد جميل افندي بن عبد الجليل 257  
 محمد جواد السياهيوش 12  
 محمد حسين ال كاشف الغطاء  
 محمد خلوصي الناصري 100  
 محمد خليل المرادي 563, 572, 575, 604  
 محمد خورشيد 66  
 محمد درويش بن عزيز 28  
 محمد راغب باشا 602, 606  
 محمد رشيد باشا الكوزلكي، والي بغداد 157  
 محمد رضا الشبيبي 615, 617, 619, 620, 622, 623, 625, 630  
 محمد رضا المظفر 629  
 محمد رفيع بن حسين قاضي بغداد 44  
 محمد رؤوف الشبخلي 103  
 محمد رؤوف العطار 291, 338  
 محمد سعيد افندي الرحيبي 609  
 محمد سعيد افندي المصرف 82, 85  
 محمد سعيد افندي بن السيد عمر افندي 546  
 محمد سعيد افندي بن عبد الجليل 257  
 محمد سعيد افندي قاضي الحلة 90  
 محمد سعيد الاخفش 592  
 محمد سعيد الحاج سعودي 101  
 محمد سعيد الدباغ 45  
 محمد سعيد الراوي 24, 42, 43, 72, 100, 101, 107, 119, 122, 145, 156, 160, 337  
 472, 477, 478, 479, 482, 486, 574, 584, 641, 692  
 محمد سعيد الرحيبي 611  
 محمد سعيد السويدي 307, 334, 337, 563, 566, 569, 570, 571, 572, 577, 578, 596  
 محمد سعيد القشطيني 101  
 محمد سعيد المفتي 17, 19, 24, 71  
 محمد سعيد افندي، قاضي دوما 551  
 محمد سلمان حسن، الدكتور 77  
 محمد شوكت باشا 441  
 محمد بن أحمد الطبقجلي 482  
 محمد بن أحمد اللحاي 542  
 محمد بن أحمد بدر الدين العيني 472  
 محمد بن إدريس الشافعي 478  
 محمد بن الحسن الشيباني 346  
 محمد بن الحنفية 621  
 محمد بن جعفر، عز الدين البصري 130  
 محمد بن حمد العسافي 133  
 محمد بن حميد ابو خشوت 91  
 محمد بن داود السراج 212  
 محمد بن داود بن محمد، ابن السبتي 212  
 محمد بن درويش شوشه جي 48  
 محمد بن سعيد الديبثي 99  
 محمد بن صالح العسافي 592  
 محمد بن عبد الدائم ابن بنت المليلق 690  
 محمد بن عبد الرحمن الرحيبي 595  
 محمد بن عبد الرحمن الرواف 38, 39, 46  
 محمد بن عبد الغفور الرحيبي 206, 595  
 محمد بن عبد اللطيف 38  
 محمد بن عبد الله التمرتاشي 225, 233, 235  
 محمد بن عبد الله الغزوي 368  
 محمد بن عثمان البغاددة 43  
 محمد بن عثمان الحرياوي 375  
 محمد بن عثمان الرحيبي 596  
 محمد بن علي الحصصكي 368  
 محمد بن محمد الفلالي الاشعري 636  
 محمد بن محمد النعمان، الشيخ المفيد 622  
 محمد بن محمد، بهاء الدين نقشبند 675  
 محمد بن ناصر العبودي 38  
 محمد بن يحيى الفيروزابادي 475  
 محمد بهجة الأثري 26, 100, 119, 477, 681  
 محمد تقي الدين الفاسي 297  
 محمد توفيق، الخديوي 422  
 محمد جليبي الباجه جي 120  
 محمد جليبي الرواف 44, 45

- 170 محمود الجليلي، الدكتور  
 592 محمود النقيب  
 170 محمود باشا الجليلي  
 171 محمود بك متولي جامع المحمودين  
 457 محمود بن أحمد بن موسى  
 175 محمود بن عبد الجليل الخضري  
 372 محمود بن عبد الكريم  
 594 محمود بن عبد الكريم المجموعي  
 25 محمود بن عبد الله، ابو الشاء الألويسي  
 592، 574، 487، 479، 478  
 محمود بن عثمان الرحيبي 596، 612  
 محمود حسام الكيلاني 27  
 محمود حسين الأمين، الدكتور 192  
 محمود شكري الالوسي 47، 100، 107، 105،  
 116، 133، 165، 475، 479، 482، 484،  
 546، 563، 590، 681  
 محمود كهية 30  
 محمود آغا طويجي 259  
 محيي الدين ابن الجوزي 129  
 محيي الدين الكيلاني 27  
 محيي الدين بن صبغة الله الحيدري 41، 45  
 مخدوم شاه، إيكجي 131  
 مدحت باشا، والي بغداد 155، 251، 484،  
 485، 538، 551  
 مدالج الصغير بن ظاهر بن أحمد الرحيبي 116  
 مراد الرابع، السلطان 32، 484  
 مراد باشا، والي بغداد 486  
 مراد بك بن الحاج حسين باشا الجليلي 204  
 مرتضى الزبيدي 572  
 مرتضى بك الكردي 6، 517، 534، 535،  
 536  
 مرتضى نظمي زاده 309، 487، 495، 520، 521  
 مرتضى نقيب كربلاء 343  
 مرجان، امين الدين 373، 477  
 مرزا جان 346  
 محمد صالح أفندي نائب الحلة 40  
 محمد صالح السهروردي 307، 557  
 محمد صالح بك بن عبد الرحمن باشا 111  
 محمد صالح بن عبد المحسن العباسي 307،  
 485، 592، 593، 594  
 محمد صديق الجليلي، الدكتور 640  
 محمد عبد الكريم النمري 989  
 محمد عبد المحسن السهروردي 587  
 محمد عبد المطلب، الدكتور 696  
 محمد علي الانسي 235، 497  
 محمد علي باشا 500  
 محمد علي باشا بن محمد شريف 548  
 محمد علي بن بشارة النجفي 607  
 محمد علي بن عبد الرزاق الشواف 541  
 محمد عيسى صالحية 674  
 محمد فريد بك 72  
 محمد فؤاد كويرلي 51، 54  
 محمد فيضي الزهاوي 334، 484  
 محمد قدری جناني باشا، الصدر الاعظم  
 محمد كتخدا زاده قاضي مصر 528  
 محمد مطيع الحافظ 576  
 محمد منجد الحزماوي 239  
 محمد مهدي آل بحر العلوم 627  
 محمد نافع السهروردي 585  
 محمد نجيب الارمنازي 571، 247، 571  
 محمد نور الدين ابن العربي 129  
 محمد هادي الاميني 616  
 محمد هاشم قاضي بغداد 338، 339  
 محمد وهبي 560  
 محمد سعيد الكيلاني، النقيب 17  
 محمود أفندي مفتي الشافعية ببغداد 313  
 محمود أفندي مفتي الشافعية ببغداد 313  
 محمود أفندي الرحيبي 609  
 محمود الأورفلي 30  
 محمود الثاني، السلطان 257

- مصطفیٰ جواد ، الدكتور 51، 99، 126، 127،  
 483، 478  
 مصطفیٰ درویش 500  
 مصطفیٰ سمیکه 258  
 مصطفیٰ طوبی 308  
 مصطفیٰ طوبی 308  
 مصطفیٰ قیلان باشا، والی بغداد 485  
 المظفر بن علی ابن جھیر، الوزير 124  
 المعتضد بالله العباسی 144  
 معروف اغا السلاحدار 370  
 معروف اغا السلاحدار 370  
 معروف الرصافی 28  
 معروف الکرخي 667  
 ملا باشي علي أكبر 195  
 ملح الصغیر بن ظاهر الرحبي 373  
 الملك غازي، الملك 484  
 ملکشاہ السلجوقي، السلطان 124  
 مناحيم دانيال 30  
 منصور القطان 60  
 منصور بن سيد الكيلاني 469  
 منيرة خانم بنت عبد فتاح بن حبيب اغا  
 166، 162  
 منيفة بنت السيد أحمد أفندي 161  
 مهدي الشماع 40، 54  
 مهدي القزويني 618  
 موسى الرواف 38  
 موسى بك شاوي زاده 260  
 موسى بن حسن القبي 220  
 موسى شرف الدين الألوسي 27  
 موسى كاظم نورس 305  
 موسى كاظم نورس 37، 82، 305، 246، 613  
 ميخائيل عواد 247  
 مير بصري 30  
 ميرزا جان 320  
 ميرزا جان 320  
 مريم بن الحاج عبدالله نعمة 167  
 مريم بنت أحمد أفندي 184  
 مريم بنت شيخو بن عبدالله 166  
 مريم بنت غريب 161، 343  
 مريم بنت محمد الباجه جي 120  
 مريم خاتون بنت إبراهيم بك بن نجيب بك  
 176  
 مريم خاتون بنت أحمد باشا الجليلي 175، 176  
 مريم خاتون بنت عبدالله 41  
 مريم خاتون بنت محمد باشا الجليلي 175  
 مريم خان بن محمد جان 161، 166  
 مريم خانم بنت عبدالقادر أرييلي 162  
 المستضيء بالله العباسي 98، 125، 140،  
 141، 341، 481  
 المستعصم بالله العباسي 128، 129  
 المستجد بالله العباسي 141  
 المستنصر بالله العباسي 141  
 مصطاف بن ملا حسن 257  
 مصطفى آغا 15  
 مصطفى آغا بن عبدالله 261  
 مصطفى اغا عربيه جي باشي 259  
 مصطفى الخليل 17  
 مصطفى الخليل 376  
 مصطفى الرفاعي ، نقيب الأشراف بمصر  
 527  
 مصطفى الصباغ 177  
 مصطفى العلقبند 131، 259  
 مصطفى الغزال 550  
 مصطفى بك الربيعي 351  
 مصطفى بك الربيعي 370  
 مصطفى بن أحمد 355  
 مصطفى بن خليل 377  
 مصطفى بن عبدالله، الحاج خليفة 471  
 مصطفى بن محمود 372  
 مصطفى جاوش بن إبراهيم 488

- نابي خاتون 371  
 نابي خاتون بنت عبد الله 155، 134  
 نابي هاتون ام سعيد باشا 370  
 نادرشاه 169، 173، 193، 199، 200، 205، 206، 561، 565، 566، 613  
 نازنده خاتون بنت مصطفى 156  
 الناصر لدين الله العباسي 141، 352، 481، 668  
 نافعة خانم بنت محمد رشيد باشا الكوزلكي 157  
 نامق باشا ، والي بغداد 592  
 نائلة خاتون بنت عبدالرحيم اغا 138  
 نائلة خاتون بنت عناية الله اغا 120  
 نجاتي اقطاش 250  
 نجاح محمود الغنيمي 685، 780، 690  
 نجم الدسن علي بن أبي الفنائم العمري 624  
 نجم الدين الواعظ 133  
 نجم بن محمد 90  
 نجو بنت الحاج عبد القادر 167  
 نجيب الارمنازي 134  
 نجيب الربيعة 370  
 نزهت افندي والي باب المشيخة 559  
 نشعة بنت مال الله الجميلي 167  
 نصير الدين الطوسي 320  
 نصير الدين الطوسي 320  
 نعمان اغا 155  
 نعمان افندي القائم مقام 21، 28  
 نعمان بك الشاوي 374  
 نعمان بك بن سليمان باشا الجليلي 172، 178  
 نعمان بن ابراهيم 256  
 نعمان خير الدين الالوسي 5، 98، 477، 478، 480  
 نعيم زلخة 30  
 نفيسة القشطيني 100  
 نوبار باشا 421  
 نوح الحديشي، الملا 487  
 نوح النبي ع 53  
 نوح بن مصطفى الحنفي 475  
 نوري الشيرواني 29  
 نوري خاتون بنت مصطفى 165  
 نورية بنت يوسف بن علي 161  
 نيبور 148، 151، 153، 192، 195  
 نيقولا زياده 48  
 نيقولا سيوفي 54، 170، 171، 172، 174، 176، 181، 214  
 نيكلسون 679، 693  
 هاشم الاعظمي 122، 124، 483  
 هاشم الأعظمي 538  
 هاشم بن عبد مناف 469  
 هاشم بن محمد درويش 260  
 هاشم خضير الجناي 216  
 هبة الدين الشهرستاني 537  
 هيبه الله خاتون بنت عبدالرحمن افندي 158، 175  
 والية الصفو 176  
 وفا خاتون 371  
 وفا خاتون الجلثرية 99، 100، 131،  
 ولي افندي الكركوكلي 305  
 ولي افندي الكركوكلي 305  
 وليد عبدالكريم الاعظمي 103، 483، 565  
 وهيبه بنت هليل 176  
 وولف، السير 421  
 الياس عيسى 23  
 ياسين اغا بن محضر اغا 374  
 ياسين افندي مفتي الحنفية 608  
 ياسين الذياب 544  
 ياسين الذياب 547  
 ياسين العمري 305  
 ياسين العمري 379  
 ياسين المفتي 19، 24  
 ياسين باسا تقيب اشراف مصر 527  
 ياسين بن خلف بن عبد الله 379

## 2- المواقع

- ياسين بن خير الله العمري 37، 63، 170، 171،  
173، 190، 205، 215، 305، 412، 577،  
641، 640، 613  
يحيى المزوري 17، 592  
يحيى باشا الجليلي 180، 209، 210، 212  
يحيى بن ابي القاسم التونسي 684  
يعقوب سركيس 30  
يلقوت 550  
يلماز أوزتونا 495  
يوحنا هرمزد 654  
يوسف الخامس هندي، البطريك  
يوسف الرحيبي 597  
يوسف الكبير 30  
يوسف الكيلاني 654  
يوسف النصراني 370  
يوسف الياسين 657  
يوسف اليان سركيس 679  
يوسف اندراوس بن الخوري  
يوسف باشا سنان باشا 342  
يوسف بك الجزائر 432  
يوسف بك بن داود باشا 356  
يوسف بك بن داود باشا 358  
يوسف بك قائم مقام مصر 522  
يوسف بن محمد أبو الحجاج الملوي 519  
يوسف بن نعمان بن عبد الرحمن السامرائي  
657  
يوسف بن يحيى المنجم 144  
يوسف جبره 23  
يوسف زيدان، الدكتور 67، 676، 688، 689  
يوسف غنيمة 655  
يوسف كركوش الحلبي 91  
يوسف هندي 654  
يوسف ياسين 660
- أبو صيدا 362، 363  
أبو قوارير 634  
أبو الفوارس 539، 549  
أبيات حسين في اليمن 679، 680  
أدرنة 437، 441  
أرييل 363، 381، 609، 686  
الأردن 460  
أرض بتي سعد 381  
استانبول 305، 46، 305، 437، 444، 472،  
495، 605، 671، 688، 690، 692  
أسكلة السيد حسين بن الملا محمد 378  
الاسكندرية 497  
اسكندرية بابل 381  
اصبهان 605  
الإعدادية العسكرية ببغداد 461  
اعدادية الكرخ للبنين 487  
الإعدادية المركزية ببغداد 440  
الأعظمية 337، 355، 379  
الأناضول 438  
أوزون كوبري 443  
ايران 460، 571، 572، 671  
ايوان الساعات في المستنصرية 372  
ايوان الطب في المستنصرية 485  
باب الإمام الأغظم 342، 343  
باب السلطان 343  
باب الكمر 241  
باب الماء 374  
باب المعظم 343  
بحر قزوين 671  
البدرية ببغداد، محلة 478  
برايل 684، 685  
بريدة 574  
بريطانيا 545، 466  
بستان ال السيد رضا الرفيعي 633

- بستان الحاج صالح 379  
 بستان الصرافية 343  
 بستان الفصر في الاعظمية 479، 355  
 بستان الملا رجب في الاعظمية 379، 355  
 بستان سليمان بك الفخري 355  
 بستان عمران بن محمد 356  
 البصرة 305، 310، 377، 481، 565، 567، 568، 571، 572، 578، 612  
 بعقوبة 585، 596  
 بغداد تكرر ورودها في معظم صفحات الكتاب  
 بلاد الديلم 670  
 بلاد السودان الغربي 635  
 بلغاريا 499  
 بلغراد 437، 443  
 بندنيجين 462، 478 وتنتظر: مندلي  
 بنغازي 698  
 بني سويف 451  
 بوب الشام 586  
 بومبي 574  
 بوهريز 478  
 بباري الشطيطة 380  
 بيت الحكمة الحديث في بغداد 440، 485  
 بيروت 305، 368، 465، 497، 596، 613، 690، 700  
 التاجيات 379  
 تبريز 672  
 تريم 691  
 تزميت 451  
 تفليس 451  
 تكية البكتاشية في كريلاء 305، 344  
 تلؤل بخش 380  
 التبرول 437  
 الثعالبية 379  
 الثكنة الشمالية 467  
 جامع ابي النجيب السهروردي 333  
 جامع الأحمدية 304، 359، 376، 593  
 جامع الازليك 593  
 الجامع الأزهر 488  
 جامع الأصفية 204، 304، 374  
 جامع الإمام الأعظم 313، 353، 584  
 جامع الحاج أمين الباجه جي 304  
 جامع الحيدرخانه 353، 370، 359، 360، 366، 374، 377، 436، 452، 493، 586  
 جامع الخفافين 341 وينظر: جامع الصاغة، مسجد الحظائر  
 جامع الخلفاء 305، 377  
 جامع الزبير بن العوام 594  
 جامع السيد سلطان علي 304، 681  
 جامع الشيخ عبدالقادر الكيلاني 486، 586  
 جامع الشيخ عمر السهروردي 341  
 جامع الصاغة 375  
 جامع العادلية الصغير 342، 343  
 جامع العادلية الكبير 304، 342  
 جامع العاقولي 567  
 جامع الفضل 310، 487  
 جامع القبلاية 310، 357، 359، 372، 377، 485  
 جامع القصر 305  
 جامع المرادية 357، 593 وينظر: المدرسة المرجانية  
 جامع المرجانية 3  
 جامع المصرف 204  
 جامع النبي يونس 639  
 جامع النعمانية 333، 340  
 جامع الوزير 356، 369، 374، 485، 486، 491  
 جامع الوفاية 379  
 جامع بابا كركر 376  
 جامع جديد حسن باشا 305، 309، 335  
 جامع حبيب العجمي 365، 377  
 جامع حسين باشا 304، 311

- جامع خضربك 304  
 جامع عاتكة خاتون 304  
 جامع علي افندي 372  
 جامع عمر السهروردي 304  
 جامع قمريه 487, 343  
 جامع مراد باشا 486  
 جامع مرجان 480 وينظر: المدرسة المرجانية  
 جامع منور خاتون 204  
 جامع نعمان الباجه جي 304  
 جدة 660  
 جزيرة بغداد السياحية 379  
 جسر الشهداء (جسر المأمون) 486  
 جمرين 478  
 جناق قلعة 442, 437  
 جيزان 379  
 جيزاني (قرية) 356  
 جيل 671  
 جيلان 671  
 الحجاز 439, 463, 563  
 حديقة السيد أحمد آغا 341  
 حديقة العيوانية 342, 343  
 حديقة محمد غياث في كريلاء 343  
 الحسكة 568, 634  
 خشخشية 356  
 حضرموت 612, 688, 691  
 حظائر الشوك 341  
 حلب 437, 439, 444, 657, 570  
 الحلة 356, 461, 586, 596, 612, 634  
 حماة 376  
 حمص 659  
 الحميرة 381  
 الحنانة والثوية 620  
 حيدرabad 684, 690  
 الحيرة 618, 620  
 الخاتونية 596  
 الخالص 337, 356, 362, 363, 478  
 خان اسماعيل آغا بن وهيب 376  
 خان الابريسم 375  
 خان الاورتمه 375  
 خان الباجه جي 481  
 خان التتن 341  
 خان التمر 375  
 خان الدوكمة 356  
 خان الزاوية 478  
 خان الزرور 375, 376  
 خان الزوار 357  
 خان الصاغة 342  
 خان الكمرك 356  
 خان اليهود 356  
 خان بكر 356  
 خان جفان، جفاله 342, 360, 370, 375  
 خان سليمان باشا الكبير 305  
 خان عبدالله اليهودي 375  
 خان مرجان 375, 478  
 خانقين 478  
 خراسان 622  
 خرائب وقف آل دراج في كريلاء 343  
 خرنابات 488  
 الخزانه الاصفية 690  
 خزانه الرهبانية الكلدانية ببغداد 643  
 خزانه الزاوية الحمزاوية العياشيه 692  
 الخزانه الملكية بالرباط 692  
 خزانه دوكملي 692  
 خزانه قليج علي باشا 690  
 الخليلات 478  
 دار التربية الإسلامية 328  
 دار السلطنة السلجوقية 343  
 دار الشفاء 377  
 دار الضباط الأعوان 440  
 دار الطب المستنصرية 372

- 594 الزبير  
 363 الزعفرانية  
 زقاق طرف حجي فتحي 681  
 زنباد 381  
 ساحة النهضة 478  
 ساقية الشيخ شهاب الدين عمر السهروردي  
 355، 342  
 سامراء 660 593، 657  
 سراي الحكم 333  
 سراي الخارج 378  
 سراي بغداد 586، 341، 333، 306  
 سراييفو 686  
 سرنديب 605  
 سقاية جامع الشيخ عمر 342، 341  
 سقاية سري ياشا 586  
 السنغال 635  
 سوريا 466، 439، 438  
 سوق السراجين 361  
 سوق الاطرقجية 372، 356، 361، 360  
 سوق الأمشاطيين 478  
 سوق البزازسن 378، 376، 375، 371، 358، 379  
 سوق البزازين 341  
 سوق البزازين 372  
 سوق البقالخانة 373  
 سوق البلطجية 376  
 سوق التمر 361  
 سوق الجبوقحية 356  
 السوق الجديد (المجاور للمرجانية) 477  
 سوق الحيدر خانة 357، 356، 354، 353  
 370، 369، 362، 360  
 سوق الخفافين 378، 374، 361  
 سوق الخياطين 372  
 سوق الدفتردار 377  
 سوق الدقاقين 378
- 688، 686 دار الكتب الظاهرية  
 685، 684، 477، 453 دار الكتب المصرية  
 691، 688 / 687  
 دار المخطوطات العراقية 625  
 دائرة المحاكم المدنية 377  
 دبلن 567  
 الدجيل 363  
 دجيل، مقاطعة 381، 380  
 درب الزنجير 374، 373  
 درب السلسلة ينظر: درب الزنجير 373  
 الدردنيل 442، 437  
 الدفترخانة 377  
 الدقاقخانة 378  
 الدمام 661  
 دمشق 570  
 دمشق 306، 438، 465، 466، 467، 570، 477، 572، 596، 614، 659، 685، 695  
 دوب النخالة 380  
 الدور 587، 563  
 دولاب نبعية في الأعظمية  
 ديار بكر 651، 650  
 ديالى 381  
 دير الزور 467، 465  
 ديلتاوه 478  
 ديوان الوقف السني 682، 614، 386، 385  
 الديوانية 634، 620، 568  
 رابطة العلماء ببغداد 334  
 راوة 440، 438  
 الرباط 687، 685، 308  
 الرحبة 595  
 رشيت 671  
 الرماحية 634  
 رومانيا 499  
 الرياض 564، 499، 37  
 زبيد 678، 677، 673

شارع الخلفاء 372 وينظر: شارع الملكة عالية  
 شارع الرشيد 369، 436 وينظر الشارع العام  
 شارع السموءل 478  
 شارع السيد سلطان علي 681  
 الشارع العام 353  
 شارع المأمون 343  
 شارع المتبي 370  
 شارع الملكة عالية 372  
 شارع النهر 343، 374  
 شارع المستنصر 374  
 الشام 442، 543  
 شريعة المصيفة 377، 478  
 شريعة الميدان 341  
 شطيطة سيد مصطفى ولسطان 380  
 الشنافية 622، 633  
 صريستان 443، 437  
 صنعاء 677  
 صوقابي (باب الماء) 374  
 صيدا 570  
 الصين 605  
 طبرستان 460  
 طبرية 460  
 طرابلس 690  
 طريق ينكجه 342  
 طهران 619  
 طوكيو 688  
 عانة 605  
 عبدة البازول 633  
 العذار (قرى) 633، 634  
 العقار التنشي 486  
 عقد المصطنع 371  
 عقرقوف 478  
 علوة عمراغا 377  
 علوة محمد الطاهر خليل 376  
 العينة 37

سوق الدنكجية 360، 361، 372  
 سوق الريحانيين 373، 477  
 سوق الزنجير 360  
 سوق السراجين 374، 485  
 سوق السراي 485  
 سوق السريرية 377  
 سوق السلطان 376  
 السوق السلطاني 342  
 سوق الشعربافية 361، 375  
 سوق الشورجة 360، 361، 362، 377  
 سوق الصاغة 361، 373  
 سوق الصرافين 478  
 سوق الصياغين 370، 375  
 سوق العجيمي 378  
 سوق العطارين 361، 374  
 سوق القبلانية 361، 362، 377  
 سوق القبوقجية 337، 361، 374  
 سوق القزازين 337  
 سوق القوندرجية 375  
 سوق الكبابجية 371، 377  
 سوق المرجانية 360، 361  
 سوق الميدان 362، 376  
 سوق الهرج 371، 372، 377، 485  
 سوق الوفاية 361  
 سوق باب الاغا العتيق 378  
 سوق بكر 361، 375  
 سوق خان بكر 356  
 سوق دانيال 342  
 سوق رأس الجسر الغربي 362  
 سوق رأس القرية 361، 374  
 سوق صبايغ الال 377  
 سوق قاضي الحاجات 360  
 سوق قطني 356  
 سوهاج 531  
 السويس 465، 570

- الفاضرية 621  
 الغرابية 380  
 غزة 442، 437  
 الفاتيكان 685، 654  
 فارس 461  
 الفريجات 379، 362  
 الفصر الأخضر بمكة 659  
 القاطون 478  
 القاهرة 368، 477، 451، 466، 500، 570، 605، 635، 675، 677، 678، 680، 686، 701، 692  
 قبر عبد الكريم الجيلي 782، 283، 676  
 قبر محمد الفضل 487  
 قبر محمد بن أبي القاسم، قاضي الخافقين 371  
 القدس 570  
 قرارة 380،  
 قرش يا خا 37، وينظر: الكرخ  
 القرنيتنة 586  
 قره تبة 363، 381  
 القشلة الخامسة والثلاثون 357، 376  
 القشلة ببغداد 441  
 قصبة الإمام الأعظم 362، 378 وينظر: الاعظمية  
 قصر ابن هبيرة 633  
 قصر الامارة في الكوفة 633  
 القصر الملكي ببغداد 484  
 القصيم 37، 38  
 قلعة بغداد 376، 486  
 قم 621  
 قناة السويس 437، 442  
 قهوة أحمد الأورفلي 341  
 قهوة المصبغة 376  
 قهوة حسن العجمي 370  
 قهوة سارة خاتون 372  
 قهوة سوق الحيدر خانة 354  
 قهوة عباس أفندي 355  
 قهوة محمود أفندي بن ملا محمد ينكجري  
 أفندي 370  
 قهوة وقف جامع الصاغة 341  
 الكاظمية 625  
 كانه في الهند 658  
 كريلاء 305، 343، 481، 467، 621، 619  
 الكرخ 37، 563، 565  
 كري سعد 634  
 كفري 381  
 الكفل 633  
 كليبولي 442، 438  
 كميردج 686  
 الكمر ك ببغداد 341، 633  
 كناسة الكوفة 633  
 كوت العمارة 310  
 كوتاهية 440، 438  
 كوشي 675  
 الكوفة 626/627، 629، 634  
 الكويت 568، 673  
 اللاذقية 660  
 لامبور 687  
 لايزك 686، 687، 474  
 اللجمة، قرية 380  
 لندن 375، 596، 616، 640  
 اللهيبات 618  
 ليدن 474  
 ماردين 305، 310  
 مالي 635  
 ماوران 609  
 المتحف البريطاني 613  
 المجر 443، 449  
 المجلس النيابي 484  
 المجمع العلمي العراقي 342  
 المحكمة الشرعية 343، 385  
 المحكمة العسكرية الخاصة ببغداد 484

- المدرسة السليمانية 305-310، 333، 340،  
 348، 349، 359، 485، 493، 586  
 المدرسة السهروردية 594  
 مدرسة الشيخ صندل 586  
 مدرسة الصنائع 440، 484  
 المدرسة الطبقلية 482  
 المدرسة الطيرسية بالقاهرة 452  
 المدرسة العادلةية 493  
 المدرسة العلية 484، 493  
 المدرسة العمرية ببغداد 487  
 المدرسة الغرابية 304  
 مدرسة القاضي المخرمي 671  
 المدرسة القبلانية 493  
 المدرسة المرادية 468  
 المدرسة المرجانية 373، 477، 479، 480  
 المدرسة المستنصرية 341، 372، 347، 479،  
 481، 485  
 المدرسة المعزية بالقاهرة 452  
 مدرسة المهندسخانة 41، 440  
 المدرسة الوفاية 371  
 مدرسة جامع الفضل 492  
 مدرسة جامع جديد حسن باشا 311، 337  
 مدرسة جامع حسين باشا 493  
 مدرسة عاتكة خاتون 304  
 مدرسة نائلة خاتون 304  
 مدرسة هيبه خاتون 304  
 مرأب الرصافي 343، 372  
 مرقد حبيب العجمي 357، 364، 377  
 مركز الملك فيصل للبحوث 614  
 المركز الوطني للوثائق ببغداد 659  
 مزرع احمد افندي الطبقلية 379  
 مستشفى الولادة في الكرخ 343  
 مسجد أبي النجيب السهروردي 584  
 مسجد الجبرتي في زبيد 675  
 مسجد الحظائر 481  
 محلة ال الرحبي 595  
 محلة البراق في النجف 615  
 محلة الحلبة ببغداد 478  
 محلة الحيدر خانة 356، 357، 586  
 محلة السنك 595  
 محلة الصابونجية 586  
 محلة الصباغين 379  
 محلة العاقولية 378، 586  
 محلة العلوانية 343  
 محلة الفضل 586  
 محلة الكولات 586  
 محلة المهدي 586  
 محلة الميدان 386  
 محلة باب الأزج 671  
 محلة باب الاغا 377  
 محلة باب الاغا الجديد 378  
 محلة باب الشيخ 595، 603  
 محلة تحت التكة 586  
 محلة جامع عطا 480  
 محلة خان التمر 375  
 محلة خضر الياس 343، 478  
 محلة راس القرية 343  
 محلة عباس أفندي 355  
 محلة قصر عيسى 478  
 محلة نجيب الدين السهروردي 340  
 المحمودية 363، 381  
 مدرسة ابي النجيب السهروردي 440  
 المدرسة الأحمدية 493  
 المدرسة الاعدادية 340  
 مدرسة الإمام ابي حنيفة 483  
 المدرسة التشية 485  
 مدرسة الحاج حسن ببغداد 440  
 المدرسة الداودية 304، 353، 354، 356  
 356، 357  
 المدرسة الرشدية العسكرية 340

- مكتبة الامام محمد بن سعود 499، 501  
مكتبة الاوقاف بالموصل 692  
مكتبة الأوقاف ببغداد 309، 473، 673، 483،  
485، 676، 684، 687 / 688، 692  
مكتبة الجندي بمصر 685  
المكتبة العامة في بغداد 494  
مكتبة الغازي خسرو بك 686  
المكتبة الفاتيكانيّة 654  
المكتبة القادريّة 595، 594، 597، 663  
مكتبة المتحف البريطاني 596، 686  
مكتبة المتحف العراقي 472، 473  
المكتبة الوطنية في باريس 689، 690  
مكتبة ايا صوفيا 692  
مكتبة جامع الإمام أبي حنيفة 483  
مكتبة جامعة الاسكندرية 688، 889، 691، 701  
مكتبة جامعة القاهرة 689  
مكتبة جامعة الملك فيصل 684  
مكتبة جستر بتي 567  
مكتبة راغب 614  
مكتبة ساباط 685  
مكتبة سيد الشهداء 619  
مكتبة شهيد علي 685  
مكتبة عبدالرزاق الوهاب آل طعمة 621  
مكتبة محمد السماوي 624  
مكتبة محمد علي اليعقوبي 619، 623  
مكتبة نور عثمانية 692  
مكتبة وداي العطية 620  
مكتبة ولي افندي 692  
مكتبي رامبور 685  
مكتلة اسعد افندي 687، 688  
منتلبران 498  
منديلي 373  
الموصل 310، 379، 563، 594، 639، 643،  
648، 650، 651، 652، 654، 785  
المولا خانه 374
- مسجد الحمراء 632  
مسجد الحيدرخانه 359، وينظر: جامع الحيدرخانه  
مسجد الرحبي 373  
مسجد السليمانية 349  
مسجد السهلة 632  
مسجد الشيخ محمد الطيار 342  
مسجد القنطرة الجديدة 633  
مسجد الكوفة 631، 627، 633  
مسجد بني السادة 633  
مسجد بني ظفر 632  
مسجد ثقيف 632  
مسجد ثيم 633  
مسجد جعفي 632  
مسجد جوهر البجلي 632  
مسجد حسب الله 586  
مسجد سماك مخرمة 633  
مسجد شيت بن ربيعي 632  
مسجد عبدالكريم الجيلي ببغداد 681، 682  
مسجد غني 632  
مسجد الرواف 38، 39  
مشرفة الإبريين 478  
مشرفة الصباغين 376  
المشهد الحسيني 615  
المصيفة 361، 376  
مصر 439، 459، 466، 467، 496، 522،  
527، 604، 688  
مطبعة عيسى البابي 692  
مقبرة باب ابرز 371  
المفوضية العراقية في جدة 660  
مقام زيد بن علي 633  
مقبرة الشيخ معروف 439، 651  
المقدادية 381  
مكة المكرمة 459، 657، 674، 677  
مكتبة احمد خيرى الخاصة 500  
المكتبة الازهرية 688، 691

### 3- المصطلحات

- الميادين 595  
 الميدان ببغداد 377، 593  
 نابلس 570  
 النادي العسكري ببغداد 440  
 الناصرية 442  
 الناصرية (قرب الزعفرانية) 380  
 نايجيريا 635  
 نجد 439، 660  
 النجف 345، 499، 563، 567، 615، 617، 618، 627، 628، 640، 618، 619، 621، 625، 622  
 نهر أبودبس 381  
 نهر ابي عوسج 381  
 نهر الحمر 379  
 نهر الخالص 381  
 نهر الرحي 381  
 نهر الصخرية 380  
 نهر العلي 380  
 نهر بني سعد 380  
 نهر جرجيس 380  
 نهر جمالية بلد 381  
 نهر عيسى 478  
 نهر غواضر 381  
 نهر قصب 379  
 الهاشمية، قرية 364، 381، 633  
 هبهب 488  
 الهند 439، 657، 674  
 هور الجيبه جي 363  
 هور الغرق 342، 343  
 هولنده 684  
 وزارة الأوقاف 385  
 يافا 570  
 اليمن 605، 673، 681  
 يوغوسلافيا 499
- ابريسم خانه 59  
 احتساب اغا سي 58  
 اردب 466، 468، 468، 531  
 استقهامات ، بمعنى استخبارات 503  
 اسطوات 53  
 اسكلة 224  
 اسكيجيلر 61  
 اصبع 469  
 اطرقيه 61  
 اقجة 154، 158، 245، 532  
 اقماع اللغم 508، 511  
 اكمجية 67  
 اناث 512  
 اوجاغ الانكشارية 63  
 اوقبة استانبول 644  
 اوقية 244، 468  
 ايتمجية 376  
 بابوج 224  
 باره 43، 92، 362، 364  
 بازار ياشي 225  
 باغجة 92  
 باقورة 225  
 الباليوز 257  
 بريد 468  
 بشولات 511  
 بلانجية 61  
 بلطجية 6، 495-502  
 بلوص 532  
 بندق 225  
 بوليصات 532  
 بويه خانه 59، 73  
 بياري 225  
 بير 50، 61  
 بيوراوودي 69، 75، 226، 306

خراج المقاسمة 229	تال 83
خرده فروشيه 341	تتويج 508
خزندار 472	تذاكر 69
خفريه 229	ترجمان 226
خلفة 54	تغار 87
خلو 330	تفالييس (ضرب من السكة) 92
خلوة 330	تفريجات 412
خميسية 330	تمويت بمعنى اطفاء 90
خندق سماوي 504	تيمار 292
خونداقجية 61	تيماري 226
دانق 463، 462، 460	جاووش الكنائس 227
درايزين 511	جبقجية 61، 374
دريند 507	جدرزند 354
الدريندان 506	جرصن 227
درجة رملية 330	جرنال 513
درهم 468، 465، 459	جريب 469
درهم طبري 466	جمالان 510
دزدارية 230	الجنزولي 532
دساتير العمل 57	جنزير 510
دست 331	جنكل 511
دشيشة (معونة إلى الحجاز) 532	جوخجية 61
الدفتراخاقاني 250	جوخدار 227
دفتردار 331	جوربجية 227
دمت 410	جوق بمعنى كمية 88، 89
دنك 101	حاكم سياسي 228
دنكجية 61، 372	حاكورة 228
دورات 509	حبة 460، 458
دونم 82	حفت 501
دياس 331	حفت طائر 509 / 503
الديجات 510	حضر بسيط 4503
ديديان 512	حق حطب 229
ديوانخانه 40	حقة 645
ذراع 469	الحمل 648، 644
ذراع الكرباس 81، 83	حوش الاخور 40
رسم الميدان 69، 74، 75	خابور 512

صنف 49-68، 69	رطل 458، 463، 464، 465 / 466
ضلما (سبج) 527	رفس 81
ضيرة 233	روماني 331
طائفة مستحفظان 530	زر محبوب (سكة) 256، 261
طباخة 234	زعيم 331
عاقول 234	سباهي 292، 331
عريانات 507	سبزلاتنجية 61
عربية 236، 508	سجفات 412
عرضحال 60، 61 / 72، 75، 341	سربول 507
عرق 466	سقالة 510
عريف بروازي 234	سكك 88، 90
عصوبة 234\	سمور (فراء) 527
علوفة 235	سنجة 510
عوارض سلطانية 235	سوباشي 132
عونة 235	سونكي 587
العارون 52	شاكردية 50، 54
عيدية (ضريبة) 74، 236	شد 51
عين الشوشي الكبير (ضرب من القروش)	شروم 507
92	شسشخان، بنادق 587
غرش رومي 345	شطار 52
غرش شامي 345	شطفة 509
غرش عين 345	شعريافية 61
غلة دار 236	شعرة (مقياس طول) 469
غليون، غاليون 236، 521	شغالة 510
فاخورة 236	شنكل 411
فتح المنجل 236	الشو الصغير 509
فتوة 50	شوال 232، 512
فحت البسيط 509	شوشة بمعنى رأس 92
فحت المركب 509	شيخ الاصناف السبعة 60
فحت سكة الفار 504، 405	صاع 459، 460، 478، 663
فجر 510	الصاغة 179
فرسخ 468	الصانع 55
فرسية (قماش) 237	الصحاحيف 61
فريكة 237	صف ضابطان 501
فضة (عملة) 531	صلقوم 511

كيسة 239	فلس 364
كيجه جية 112	قابستان 511
كيس 532	قائم مقام 372
كيس ديواني 532	قبوجيلر قبوسي 111
كيلة 468	قدح 468
لحافة 239	قدم 469
لغم، لقم 205	قرش 237 (وينظر: غرش)
لغمجية 509، 503	قرش أسدي 238
مارس (أداة للغرس) 239	قرش بغدادي رائج 43، 46، 90، 364، 382
مال طنطور 240	قرش رائج 363، 645
مباشرة 241	قرش رومي (وينظر: غرش رومي) 92، 257،
مبطخة 241	472، 262، 262
متسلم ماردين 59	قرش صاغ 36، 43، 46، 92، 121،
مثقال 460، 459، 458	قرصية 238
مجدية 241	قزما 502، 508
مد 468، 459	قصابخانه 69، 73، 75
مديسة 241	قطعة مصرية 238
مرتفق 242	قفا سطحي 511
مزلقان 513	قطنان الصنجدية 527
مساقى (فلاح) 91	قللغ 134
مسحاة 88، 90	قنبرة 509
المشعلجي 112	قنواتي 238
مصرف، مصرفخانه 82	قهوجية 238
مغارسة 81-94	قواسية 239
مكتا 466	قيرخانه 59
مكتوبي 473	كتخدا 53، 54، 68
من 644، 645-648	كرخان الخبز 376، 377
مناولات 513	كرخان الخبز 376، 377
المهترخانه 196	كردار 239
مومخانه 69، 73، 74، 75	كريكات 502
ميقاتي 241	كسر الفدان 239
ميل 469	كلة 506، 509
الميل الهاشمي 469	كله خانه 113
ميمية 241	كمرات 409، 513
نصف فضة ديواني 532	كهيه = كتخدا

ويبة 368	نقد سلطاني 232
ويوده 63	نيمكار 340
ياظجية 232	هوان (مدفع) 512
يدكجية 508	وزنة 510، 644-648
يماعية 411	وقف أرصادي 242
يمك كارخانه 59	وقف أهلي 242
	وكس 242

## المحتويات

5	مقدمة
9	دراسات اجتماعية
11	بيوتات بغداد في دراسات المؤرخين المحدثين
37	آل الرواف في بغداد
49	نظام الأصناف في العراق إبان العصر العثماني
69	ضرائب صنف القصابين في العراق في القرن التاسع عشر. دراسة في وثائق جديدة
77	صور من العلاقات الزراعية في العراق في القرن الثامن عشر. دراسة في وثائق تاريخية جديدة
95	من تاريخ الخدمات النسوية العامة في بغداد
169	من تاريخ الخدمات النسوية العامة في الموصل
189	دور الجماهير في صمود الموصل سنة 1156هـ/1743م
207	أضواء على انتفاضة الموصل المنسية سنة 1839
219	ألفاظ حضارية من فلسطين في القرن السابع عشر
243	وثائق وسجلات
245	واقع الوثائق العثمانية في بغداد
291	قرية القاطع المندثرة في ديالى في وثيقة وقفية
297	وثيقة تكشف عن مشروع رحلة الأمير فخر الدين السرية إلى مكة
302	وقفيات سليمان باشا الكبير، أنموذجاً لوقف الكتب في بغداد
351	وقفية داود باشا، نص وتحقيق
385	أسماء ومعالم غير إسلامية في وثائق وقفية بغدادية
399	من داود باشا إلى نقيب كربلاء
405	من كتحدا بغداد ألى أمير المنتفق
413	آراء بشارة تقلا السياسية في رسائله السرية

425	جمعية الدفاع المقدس السرية في بغداد
437	من مفكرة ضابط عراقي في الحرب العالمية الأولى 437
449	قراءات في تراث مخطوط
451	الإيضاح والتبيان في المكيال والميزان
471	نسخة غير معروفة من كشف الظنون يختصرها بغدادى من القرن الثالث عشر للهجرة
477	أول محاولة لفهرسة المخطوطات في العراق
495	مخطوطة (تعليم البلطجية)
517	ذيل في تاريخ مصر لمرتضى بك الدمشقى الكردي
537	رحلة اللحافى البغدادى من بغداد إلى اسلامبول سنة 1287هـ/ 1879م
613	ورود حديقة الزوراء نص غير معروف في تاريخ بغداد
581	قراءة في مخطوطة نزهة الأدباء للسهروردي
595	نزهة المشتاق في علماء العراق نص جديد في تاريخ العراق في القرن الثاني عشر للهجرة
615	البراقى في مخطوطاته
635	آراء الكشناوى في العلوم السرية
639	رسالة في غلاء الموصل سنة 1291هـ/ 1878م
653	مخطوطة كلدانية في المكتبة القادرية
657	السيد علوان السامرائى رائد صناعة السلاح في السعودية بحسب تقرير سرى
661	في التصوف
663	مساهمة في التفسير السياسى للظاهرة الصوقية
671	عبدالكريم الجبلى حياته وزحلاته ومصطلحاته
729	الفهارس